مصر بعد العبور

علي محبوب   أحمد كمال الطوبجي   سعد شعبان

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٨

الاشراف الفني
راجية حسين

تصميم الغلاف
رفيق يونس

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في
سبيل الله فيقتلون ويقتلون
وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل
والقرآن ومن أوفى بعهده من الله
فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم
صدق الله العظيم



السيد الرئيس محمد حسنى مبارك

هـذا الكتاب

صدرت عدة كتب عن المعركة ، أشادت كلها بدور القوات المسلحة فيها وتحدثت عن بطولات وابتكارات رجالها ، غير أن كل مطلع يلمس أن القوات المسلحة كان لها دور أعمق مما ذكرته تلك الكتب ، وأكثر إيجابية مما سجلته .

وفى هذا الكتاب ، سجل مؤلفوه دور القوات الجوية ، كأحد أجهزة القوات المسلحة الرئيسية ، بدقة وتفصيل ، كمثل أدوار الأجهزة الأخرى ، وبحكم إدراك مؤلفيه لهذا الدور .

وسيقف التاريخ العسكرى طويلاً ، بالدرس والتمحيص أمام ملحمة البطولات التى سجلها جنود مصر ، وأبطالها فى معركة السادس من أكتوبر . ويشرفنى أن أقول أن زهرة شباب مصر من رجال القوات المسلحة الذين فدوا مصر بأرواحهم ، ستظل ذكراهم حية فى ضمير هذه الأمة ، التى أعادوا لها كرامتها ، وأسمعوا العالم صوت عزتها

إن الإنصاف يقتضينى القول ، بأن موضوع الكتاب ، لم يعن بالمعركة وحدها ؛ بل تطرق إلى آثارها ، وعالج كثيرًا من مجالات الحياة فى أمتنا . ورسم أبعاد ما فرضته المعركة من تحولات فى ركب الحضارة فى مصر .. لذلك فهو كتاب لكل وطنى وكل مثقف .

تهنئتى للمؤلفين بكتابهم ، وأرجو لهم مزيدًا من النتاج الفكرى والعسكرى .

والله أكبر والعزة لمصر

حسنى مبارك

محمد حسنى مبارك

مقدمة الطبعة الثانية

لقد اقتضت الأمور إدخال بعض التعديلات على نصوص الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، لأن ظروف الإصدار تأتى فى ظلال السلام الذى تنعم به مصر ، وفى ركب الديمقراطية التى تظلل مجتمعنا .

وإن كان كل ما حرر عن معركة العبور قد عنى بالدرجة الأولى بالنتائج العسكرية لها ، فإن كتابنا يركز على النتائج السياسية والاجتماعية والنفسية التى دخلت على مجتمعنا .

والله ولى التوفيق

سعد شعبان
أحمد كمال الطوبجى
على محبوب

القسم الأول

الجولات العربية - الاسرائيلية

مقدمة فلسطينية

حرب فلسطين

حرب السويس

حرب ٥ يونيه

الباب الأول

مقدمة فلسطينية

القضية الفلسطينية
هى جوهر النزاع
العربى الاسرائيلى

الأطماع اليهودية

ليس هناك من جديد ، يمكن أن يضفي معلومات ، على تلك التي يختزنها التاريخ عن فلسطين ‥ اذ أن العالم أجمع ، والجماهير العربية بأسرها ، أصبحت تملك المعلومات الوافية ، عن هذه المشكلة ٠

فمنذ أكثر من قرن من الزمان ، والمسألة الصهيونية ، تهدد وجود العرب في فلسطين ‥ وتتوالى الأحداث لتنتت تصميم المخطط الامبريالي الصهيوني الرجعي ، على « تهويد فلسطين » ، ابتداء من المؤتمرات الصهيونية ، مرورا بوعد « بلفور » ، والهجرة اليهودية ، وحرب ١٩٤٨ وعدوان ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ ٠

ولم توقظ هذه الأحداث العرب ، الا بعد وقوعها ، وكينونتها أمرا واقعا ٠

وبالمعرفة الصحيحة لمخططات العدو وغاياته ، أمكن التعرف على مدى خطره على الحقوق العربية ٠

ويزداد الايمان ، وتصلب العزائم ، ويشتد القتال ‥ وتتحقق يقظة العرب ، بحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، التي تجمع العرب حولها ، فأفاقوا على نهار النصر الساطع المبين ٠

وينبئنا التاريخ عن بداية أطماع اليهود ، في خلال القرن السادس عشر ، عندما ازداد ضعف الدولة العثمانية ، فظهر مشروع « دافيد روبيني » الذي كان يدعو اليهود العرب ، الى غزو فلسطين وانتزاع أراضيها ، بمساعدة زعماء يهود أوروبا ، كخطوة لتكوين دولة يهودية في أراضي فلسطين ‥ بيد أن هذا المشروع قد لاقى استنكارا ، ولم يكتب له وجود ٠

وثمة مشروع يهودي آخر ، لتاجر من الدانمارك يدعى « أوليجر باولي » ، تقدم به الى « لويس الرابع عشر » ملك فرنسا ، الذي رفض بتضامن ملك انجلترا ، هذا المشروع ٠

وتندلع الثورة الفرنسية ، ويحاول اليهود استغلال مبادئها الداعية الى الحرية والمساواة ٠ وحينما أصبح « نابليون بونابرت » رجل فرنسا الأول ، خرج اليهود من أحيائهم ، ليندمجوا في المجتمع الفرنسي ‥ ولكن شدة العداء بين اليهود والمسيحيين ، جعلت « نابليون » يرغم اليهود على العودة الى عزلتهم في احيائهم ٠

وحينما أراد « نابليون » (عـام ١٧٩٩) ، السيطرة على طـرف التجـارة بين الشرق والغـرب ، رأى أن يستفيد من اليهود فأعلن فى الصحف الرسمية ، عن دعوة يهود أفريقيا وآسيا ، الى موافاة جيشه بمصر ، ليدخلوا معه الى « أورشليم » • وراجت فى فرنسا دعوة يهودية ، الى اغتنام هذه الفرصة لتحقيق أطماعهم •• الا أن القضاء على الحملة الفرنسية فى مصر ، وانسـحاب « نابليون » منها ، قضى على أحـلام اليهود •

الى أن جـاء عام ١٨٤١ ، عندما احتضن الانجليز « الايرل أوف شافتبرى » فكرة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين •• فوضع مشروعا أسماه « الأرض بغير شعب ، للشعب بغير أرض » •

وتشكلت جمعية « عشاق صهيون » (عام ١٨٨٤) ، التى دعت الى احياء اللغة العبرية ، للتمهيد للهجرة الى فلسطين• وتخيب آمال اليهود ، حين منعت الدولة العثمانية ، اليهود من دخول فلسطين ، كما أوقفت الحكومة الروسية هجرة اليهود •• وبذلك تم تحديد الهجرات اليهودية•

ويأتى « تيودور هيرتزل » (١٨٦٠ ــ ١٩٠٤) ، وهو صحفى ولد فى بوادبست ، ليكرس جهوده للقضية اليهودية ، على أثـر « مذبحة ليشبنف الشـــهيرة فى روســيا القيصرية التى كانت تضطهد اليهــود بعنف وقسوة ، على أثر فضيحة أخرى لضابط يهودى فرنسى اتهم فى قضية جاسوسية عرفت باسم قضية « دريفوس » •• وانتهز « هيرتزل » هاتين الحادثتين ، لاثارة عطف الدول الأوروبية ، وساعده فى ذلك كاتبان فرنسيان هما « اميل زولا » و « كليمانصو » •

وقد نادى « هيرتزل » ، أن اليهود يلاقون الاضطهاد فى كل دولة ، وأنهم لن يستطيعوا الخلاص من طبائعهم التى تثير عليهم كراهية وبغض الناس •• ولذا لابد أن يعيش اليهود معا ، فى دولة واحدة تحقق لهم السيادة على أنفسهم • ومن هنا وجد « هيرتزل » الأرضية السـياسية المناسبة ليضع كتابه « الدولة اليهودية » الذى ضمنه توجيه اليهود ، الى أن يكون لهم كيان يهودى خالص لهم •

واستطاع « هيرتزل »أن يجمع ٣٠٠ مندوب عن جميع يهود العالم وعن الهيئات اليهودية العالمية ، فى أول مؤتمر صهيونى عقد فى مدينة « بال » السويسرية •• وبذلك اجتمع اليهود لأول مرة فى التاريخ ، منذ ١٨ قرنا ، حول مائدة واحدة • وتدارس المؤتمر الوسائل الكفيلة باعادة بناء دولتهم التى زالت على أيدى الرومان •

وحدد المؤتمر الصهيوني الأول ، أن الصهيونية هي القومية الجديدة للشعب اليهودي ، وأنها حركة ترمي الى انشاء وطن شرعي معترف به للشعب اليهودي .. وحدد مكانه في أرض فلسطين . ورسم المؤتمر وسائل تحقيق ذلك في قراراته التي جاء فيها :

١ ـ تشجيع الاستعمار اليهودي في فلسطين ، والعمل على رفع مستوى اليهود المقيمين في فلسطين في نشاطهم الزراعي والصناعي والتجاري .

٢ ـ تنظيم الحركة اليهودية ، وتأليف يهود جميع الدول في جماعات محلية .

٣ ـ تنمية الوعي القومي اليهودي في كل دولة .

٤ ـ حث الدول على تأييد الأهداف الصهيونية .

ومن واقع هذه القرارات ، أصبحت الصهيونية ، تمثل الوجه السياسي لليهودية ، الذي يهدف الى اقامة دولة يهودية صهيونية في فلسطين .

البحث عن وطن

وتتوالى المؤتمرات الصهيونية ، حتى كان خامسها (عام ١٩٠١) وفيه تقرر انشاء البنك الوطني اليهودي ، لشراء الأراضي في فلسطين ، واقامة المستعمرات عليها ، والسعي لانشاء جامعة عبرية في فلسطين .

وتحرك « هيرتزل » ـ الذي لقبوه ب « نبي الصهيونية الروحي » ـ لمقابلة السلطان عبد الحميد (١) ، ليحصل منه على ما يحقق أطماع اليهود في فلسطين .. الا أن السلطان عبد الحميد ، رفض تماما كافة المغريات والعروض التي قدمها « هيرتزل » ، والتي كان منها رشوة مغلفة على هيئة هدية للسلطان مقدارها ٥٠ مليون جنيه ذهبا لخزانة الدولة و ٥ ملايين أخرى لخزينة السلطان الخاصة ، وذلك مقابل الرجاء بالسماح لليهود بالهجرة الى فلسطين .

واتجه « هيرتزل » الى بريطانيا .. وعرضت عليه الحكومة البريطانية « أوغندة » لاتخاذها وطنا قوميا . ولكن الصهيونيين رفضوا العرض ، وأصروا على فلسطين . واقترح « هيرتزل » استقرار اليهود في جزيرة قبرص أو شبه جزيرة سيناء . الا أن « تشمبرلين » وزير

(١) السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٤٢ ـ ١٩١٨) اعتلى عرش تركيا (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩) .

المستعمرات البريطانيــة ، قرر أن أهالى قبرص ، لن يسمحوا لليهود بالاستقرار فى جزيرتهم ٠٠ أما عن سيناء ، فقد تسلم « هيرتزل » خطاب توصية للورد « كرومر » المعتمد البريطانى فى القاهرة ٠٠ الا أن دراسة طبيعة الأرض بمنطقة العريش لم تحقق ذلك ٠

وعرض « تشمبرلن » اقطــاع اليهود أراض فى مستعمرة شرق افريقيا ٠٠ ثم عرض أيضا ، منح اليهود هضبة قريبة من مدينة « نيروبى » عاصمة كينيا البريطانية ٠ ولكن « هيرتزل » رفض كل هذه العروض وتمسك بانشاء هذا الوطن فى فلسطين ٠

ويموت « هيرتزل » (عام ١٩٠٤) ، ويتولى الدكتــور « حاييم وايزمان » زعامة الصـــهيونية ، ويرأس المؤتمرات الصـــهيونية التى اعتبرت « العبرية » لغة المخاطب الرسمية ، وقررت انشاء جامعة عبرية فى القدس ٠٠ كما تم اقرار خطــة « وايزمان » التى أطلق عليهـــا « الصهيونية التوفيقية » ، التى تدعو الى التسلل البطىء الى فلسطين ، باقامة المستعمرات اليهودية ، لتكون دعامة وأساس المجتمع الصهيونى ٠

هذا وقد نجح « وايزمان » فى أن يجمع شـــمل الصهيونيين ، وأخذت جمعية « عشاق صهيون » تنفث نشاطها من أجل توطين اليهود ، فى أراضى فلسطين ، التى كان يبلغ عدد سكانها وقتئذ (عام ١٩١٤) حوالى ٦٩٠ ألفا ، كان منهم ٩٠ ألفا من اليهود ٠

وعد « بلفور » الأسود

وأتيحت الفرصة للدكتــور « وايزمان » فى عام ١٩١٦ ، حينمـــا أصبح رئيسا لمعامل البحرية الانجليزية ، للاتصال باللورد « بلفور » وزير البحرية ، وعرض عليه مشكلة اليهود وآمالهم٠٠ وكان « وايزمان » قد ساعد الانجليز بمجهوداته واكتشافه لمعادلة تحضير مادة «الاسيتون» التى تستعمل فى صـــناعة المتفجرات ، مما أدى الى اكتســـابه عطف الانجليز ٠

وأصغى « بلفور » الى مطالب « وايزمان » بكل اهتمام ، مما شجع الزعماء الصهيونيين ، على تقديم برنامج خاص بادارة فلسطين وتوطين اليهود فيها ، والاعتراف بجنسية خاصة باليهود ، وانشاء شركة تتولى شراء الأراضى الفلسطينية لتوطين اليهود عليها ٠

وكان لزاما على بريطانيا ، بعد انتصارها فى الحرب العالمية الأولى ، أن تحتفظ بكيانها فى منطقــة الشرق الأوســط للمحــافظة على طــرق مواصلاتها عبر مستعمراتها ، فى امبراطوريتهـا التى لا تغيب عنهـــا الشمس ٠

النّص الأصلي لعهد بلفور بإمضائه الخطي

Foreign Office.

November 2nd, 1917

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

Yours,

Arthur James Balfour

ويتلمس « وايزمان » طريق أطماعه عبر مصالح بريطانيا ، خاصه عندما نولى « لويد جورج » رئاسة الوزراء وتعين اللورد « بلفور » وزيرا للخارجية ٠٠ ويتقدم الصهيونيون بمذكرة رسمية بمطالبهم فى فلسطين (آخر يناير ١٩١٧) الى الحكومة البريطانية ، وعقدت جلسة رسمية للتفاوض فى تلك المطالب ، حضرها « سـايكس » ممثلا للحـكومة البريطانية ، والذى أبدى عطفا كبيرا على المسألة اليهودية ٠

وبدأ الصهيونيون يعدون صيغة التعهد البريطـانى الذى يحقق فلسطين اليهودية ٠٠ وهو ما سمى فيما بعد بوعد « بلفور » الذى خرج الى الوجود فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، على هيئة رسالة رسمية ، بعث بها « بلفور » الى اللورد « روتشيلد » وأشار فيها الى عطف حـكومة جلالة الملكة على الأمانى الصهيونية ، وعن عزم الحكومة البريطانية على اقامة وطن قومى يهودى ، والتمهيد لدولة يهودية فى فلسطين ٠

وهكذا وقعت فلسطين بين شقى الرحى ٠٠

الصهيونية التى اختارتها وطنا قوميا لليهود ٠٠

والامبريالية الدولية ، التى تريد أن تجعل منها « نقطة ارتكاز » فوق أرض العرب ، لتحرس منها مصالحها ، ولتقاوم بها كل متمرد على استغلالها واستثمارها ٠

تحت الانتداب البريطانى

نجحت الصهيونية العالمية ، فى ضغطها على بريطانيا ، لاصدار وعد « بلفور » ٠٠ وبالتالى ، اعتبرت بريطانيا أن اصدارها هذا التصريح ، كان بمثابة اجراء حربى ضد قوات أعدائها من دول المحـور ، بجـانب مساندة اليهودية العالمية ، التى ضغطت على الحكومة الأمريكية ، لدخول الحرب الى جانب الحلفاء ، والى أن يصدر الرئيس الأمريكى « ويلسن » بيانا جاء فيه :

« ان الدول الحليفة ، مع تأييد حكومتنـا وشـعبنا لذلك ــ دون تحفظ ــ قد قررت أن تضع فى فلسطين أساسا لدولة يهودية » ٠

ويوافق المجلس الأعلى لقوات الحلفاء (٢٥ ابريل ١٩٢٠) ، على أن تقوم بريطانيا ، بالانتداب على فلسطين ، تطبيقا لوعد « بلفور » ٠٠ كما وافقت عصبة الأمم على ذلك (٢٤ يوليـو ١٩٢٢) ، بعد أن أعد

وثيقة الانتداب ، خبراء الصهيونية من الانجليز والأمريكيين من أمثال ٠٠ « هربرت صموئيل » و « فيلكس فرانكوفورتر » ٠

وقد نجح الزعيمان الصـــهيونيان « الدكتـــور حاييم وايزمان » و « ناحوم سوكولوف » ، فى الضغط على الحكومة البريطانية لقبولها الانتداب على فلسطين ٠

ودخل الانتداب البريطانى على فلسطين ، مرحلة التنفيذ الرسمى فى ٢٩ سبتمبر ١٩٢٣ ٠ وجدير بالذكر أن المادة الثانيـــة من وثيقة الانتداب ، قد نصت على أن سلطات الانتداب :

« مسئولة عن وضع البلاد فى أحوال سياسية وادارية واقتصادية ، تكفل انشاء الوطن القومى اليهودى وعن تطور أنظمة الحكم الذاتى وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس والدين » ٠

ويعتبر ذلك تنفيذا كاملا لوعد « بلفور » من خلال فرض الانتداب البريطانى على فلسطين ٠

متى شعر العرب بالخطر الصهيونى ؟

قبل الحرب العالمية الأولى ، كان السلام سائدا على أرض فلسطين، وسائدا بين العرب واليهود بشكل خاص ٠٠ وان كان سلاما بين فريقين، ليس لأى منهما علاقة بالآخر ٠ ولم تكن هناك أبدا مشاكل بين العرب واليهود ٠

حتى جاء « هيرتزل » فأرسى قواعد الفكر الصهيونى ، فأبرز الفرق الشاسع بين اليهودية كدين وعقيدة ، وبين الصهيونية التى هى دين العصابات فقط ٠

ان اليهودية لم تناد أبدا بطرد العرب من ديارهم ٠ وما أن أخذ شـــبح الصـــهيونية يزحف بخطـــواته الى فلســـطين ، حتى زرع الحقد والكراهية بين العرب واليهود ٠

وكان اليهود يتمتعون فى الدول الاســـــلامية ، بالمعاملـــة الطيبة الشاملة لكافة حقوق المواطنين ٠٠ بل ان اليهود الشرقيين قد اندمجوا تماما مع المسلمين فى كثير من النواحى الثقافية والاجتمـــاعية لدرجة أنه قد أطلق على اليهود فى العالم الاسلامى أنهم ٠٠ « عرب فى كل شىء ، ما عدا الدين » ٠

على عكس ما كان يحدث فى معظم الدول الأخرى ، شرقا وغربا ، من مذابح لليهود ، وحركات مناهضة لهم نرمى الى ما يشبه القضاء على اليهودية ٠

ولأول مرة ، خلال عام ١٩١٨، أحس عرب فلسطين بخطر يهددهم، تمثل فى بعثة صهيونية قدمت الى فلسطين يوم ٤ أبريل ١٩١٨ ، برئاسة الدكتور « حاييم وايزمان » ٠ وقد أتاح كل من حاكمى القدس ويافا من الانجليز ، الفرصة للبعثة الصهيونية للاجتماع مع أعيان فلسطين ٠

وتحدث « وايزمان » وكان يترجم حديثه الى العربية « سنورس » الحاكم العام البريطانى ٠٠ فأبرز مشاعر الأخوة بين العرب واليهود ، وان عودة اليهود الى فلسطين ، لوصل الماضى بالحاضر ، واعادة خلق مركز فكرى وأدبى ، وأن هذا المظهر الروحى ما هو الا المعنى الحقيقى للوطن القومى ٠

قد تركت هذه الزيارة ، انطباعا سيئا فى نفوس العرب ، شعرت به سلطات الانتداب البريطانى واستشعر العرب خطر الصهيونية الذى سحيق بهم ٠٠ فكونوا الجمعيات ، وقدموا الاحتجاجات ، وأقاموا المظاهرات ضد وعد « بلفور » والهجرة اليهودية ٠

تقسيم الوطن العربى

وفى عام ١٩٠٧ ، صدر قرار بالتسلل الى فلسطين ، وصدر تقرير « كاميل بنرمان » عن المؤتمر الاستعمارى الذى عقد فى لندن ، والذى أكد على ضرورة فصل الشرق العربى عن مغربه ، وذلك باقامة حاجز بشرى ٠٠ وكان من أهم ما جاء فى التقرير :

« ان البحر الأبيض المتوسط ، هو الشريان الحيوى للاستعمار ، لأنه الجسر الذى يصل الشرق بالغرب ، والممر الطبيعى الى القارتين الآسيوية والافريقية وملتقى طرق العالم ٠٠ ويكمن الخطر المهدد للعالم فى هذا البحر ، ففى حوضه مهد الأديان والحضارات ، وعلى شواطئه الجنوبية والشرقية ، يعيش شعب واحد له من وحدة تاريخه ودينه ولغته وآماله ، كل مقومات التجمع والترابط والاتحاد ، وتتوافر له فى ثرواته الطبيعية وكثرة تناسله ــ كل أسباب القوة والتحرر والنهوض ٠ ويكمن الخطر على كيان الامبراطوريات الاستعمارية فى تحرر هذه المنطقة وتثقيف شعوبها وتطويرها وتوحيد اتجاهاتها وتجمعها واتحادها تحت

عقيدة وحدة . لذا على الدول ذات المصالح المشتركة ، أن تعمل على استمرار وضع هذه المنطقة المجزأة ، وعلى ابقاء شعبها فى حالة تفكك وجهل وتخلف » .

ثم أوصى التقرير فى نهايته كضرورة سريعة بما يلى :

« ضرورة العمل على فصل الجزء الافريقى عن الجزء الآسيوى من هذه المنطقة ، عن طريق اقامة حاجز بشرى قوى وغريب ، ويكون صديقا للاستعمار وعدوا لسكان المنطقة » .

ثم فى عام ١٩١٧ كان وعد « بلفور » المشئوم .. الذى بعده ، تنكر يهود فلسطين الوطنيون لعرب البلاد ، وعلاوة على ذلك فقد اشتركوا فى أعمال الصهيونيين لتهديد فلسطين .

وكان أن غدر الحلفاء بالعرب جميعا ، عقب انتصارهم فى الحربين العالميتين .. الأولى (١٩١٤ـ ١٩١٨) والثانية (١٩٣٩ـ ١٩٤٥) .

ففى الحرب العالمية الأولى ، كانت بريطانيا فى حاجة الى تأييد ومعاونة العرب .. فأرسل السير « مكماهون » خطابا الى الملك الحسين (١) « شريف مكة » يضمنه وعد حكومة بريطانيا باستقلال الأمة العربية ، اذا ما أيد العرب قضية الحلفاء ووقفوا الى جانبهم .

وصدق العرب .. وأخلت بريطانيا بوعودها .

وتنشب الحرب الثانية ، وتحتاج بريطانيا مرة أخرى ، الى معاونة العرب ووقوفهم معها ضد دول المحور . فاذا ببريطانيا تصدر « الكتاب الأبيض » فى (١٧ مايو ١٩٣٩) لتطمئن العرب على مصير فلسطين .

وينتصر الحلفاء ، ومرة أخرى يخلون بوعودهم .

وأكثر من ذلك .. بلغ الغدر بالوعود بعد الحرب العالمية الأولى ، الى حد تقسيم الوطن الى وحدات سياسية :

ـ الحجاز للملك الحسين .

---

(١) الحسين بن على ، شريف مكة (١٨٥٦ ـ ١٩٣١) ... ثار مع الانجليز على الحكم التركى (عام ١٩١٦) ونادى بنفسه ملكا على الحجاز . كافأه الانجليز بتعيين ابنه « عبد الله » أميرا على شرق الاردن ، ابنه « فيصل » ملكا على العراق تحت الانتداب البريطانى . ثم هزمه الملك « عبد العزيز بن سعود » (عام ١٩٢٤) واستولى على الحجاز وأقام فيها المملكة العربية السعودية وهرب الملك الحسين الى قبرص .

- استولى الانجليز على العراق ، حتى اذا ما ثار (عام ١٩٢٠) ولوا عليه فيصل بن الحسين .
- واستولت فرنسا على سوريا ولبنان .
- اقتطع شرق الأردن وأصبح امارة تولاها الملك عبد الله بن الحسين .
- أما اليمن ، فقد سلمها الأتراك الى الامام يحيى حميد الدين عقب جلائهم عنها (عام ١٩١٨) .
- أما مصر .. فقد نالت استقلالها ، بعد الغاء الحماية البريطانية عنها (عام ١٩٢٢) ، والتي كانت قد أعلنت عليها أثناء الحرب العالمية الأولى .

وهكذا عمل الاستعمار ، على تقويض وحدة الأمة العربية .. كما عملت كل من بريطانيا وفرنسا ، على تقوية قبضتها على الدول الخاضعة لانتدابها ، ووضعت الدولتان حدودا سياسية صناعية ، ونظما مختلفة في السياسة والاقتصاد لتضعف من الصلات القومية بين العرب .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وكما هو العهد بالاستعمار ، أخلت بريطانيا بوعدها قبل فلسطين .. بل واتفقت اليهودية الصهيونية مع بريطانيا ، على اغتصاب حقوق العرب في فلسطين ، ليحل مكانهم اليهود الوافدون من شتات العالم .

اليهود وأمريكا

اتجه الصهيونيون بنشاطهم الى الولايات المتحدة الأمريكية ، عندما أحسوا بأن بريطانيا تسير في فلسطين على طريق الحذر ، لتلافي اثارة الرأى العام العربي .

واستغل اليهود ، جهل الرأى العام الأمريكي ، بما يدور في فلسطين بل وفي الشرق الأوسط ، لكسب شعور الحكومة الأمريكية .. حتى أن أول عون رسمي أمريكي لاسرائيل ، قد تنفذ في عهد الرئيس « روزفلت » ، على هيئة تصريح « بلتيمور » الذى صدر في (مايو ١٩٤٢)، متضمنا :

- ضرورة اقامة دولة يهودية في فلسطين ، كجزء لا يتجزأ من العالم الحر .
- اطلاق الهجرة اليهودية لفلسطين .
- انشاء جيش يهودى معترف به ، يحارب تحت رايته الخاصة .

وبعد وفاه « روزفلت » تولى « ترومان » رئاسه أمريكا ، ومارس الصهيونيون ضـــغطهم على الرئيس الجـــديد ، ليحقق لهم مطامعهم وأغراضهم ٠

ولم يكن من الصعب على الصهيونيين ، اثناء سير الحرب العالميـة الثانيه ، التكهن بانتصار الحلفاء وعلى قيادتهم أمريكا ٠

واستعدادا لما سيكون عليه عالم ما بعد الحـــرب ، استـــغلت الصهيونية اسلوب الضغط للحصول على تأييد أصحاب النفوذ السياسى فى الحكومة الأمريكية ، لصالح المخططات والأهداف الصـــهيونية ٠٠ وتركز النشاط الصهيونى فى قلب نيويورك نفسها ٠

وكان أول تجاوب للتدخل الأمريكى لصالح الصهيونية ، هـــو ضغط الرئيس « ترومان » على « أتلى » رئيس حكومة بريطانيا ، للسماح العاجل بدخول ١٠٠ ألف يهودى من ضحايا النازية ، الى فلسطين ٠

ومضت الولايات المتحدة الأمريكية مع بريطانيا ، فى الطريق الذى رسمته لهما الصهيونية ، لتحقيق الوطن القومى لليهـــود فى فلسطين ولخلق دولة يهودية بها ٠

بوادر النكبة

كانت حـكومة فلســـطين الانجليزية ، تحت التصرف المطـــلق للوكالة اليهودية ، خلال فترة الانتداب البريطانى (١٩٢٠ ــ ١٩٤٨) ٠٠ فى الوقت الذى أهملت فيه حقوق العرب ، وهم أغلبيـــة الســـكان الأصليين لفلسطين ٠

وأصبحت فلسطين ، فى حدودها الصغيرة ، تضـم ثلاث لغـــات رسمية هى العربية والانجليزية والعبرية ، فى وقت كان اليهود فيه لايزيدون عن ٧٪ من سكان فلسطين الأصليين ٠

وأخذت بريطانيا تمهد لقيام الدولة اليهودية الموعودة ٠ وتكونت فى فلسطين ، حكومة انجليزية عسكرية ، قامت فى ظلهـــا ، الجمعية الصهيونية برئاسة « وايزمان » والتى تتألف من يهود انجلترا وفرنسا وايطاليا ، ووضعت هذه الجمعية ، البرنامج الصهيونى الذى يجب أن تتبعه بريطـــانيا ، من أجل انشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين والتمهيد لدولة اسرائيل ٠

وكافح عرب فلسطين كثيرا ، لمواجهة الأطماع اليهـــودية ، وكانوا بين نارين ٠٠ الوكالة اليهودية من جهـــة ، وحـكومة الانتداب المتحيزة تماما لليهود من جهة أخرى ٠

واندلعت نيران الثورة العربية ·· وتوالت ثورات عرب فلسطين لتدخل طورها الايجابى ·· فكانت ثورة القدس (عام ١٩٢٠) – وثورة « يافا » المشهورة (مايو ١٩٢١) – واضطرابات القــدس (٢ نوفمبر ١٩٢١) – وحوادث « يافا » (مارس ١٩٢٤) – واضطرابات (أغسطس ١٩٢٩) التى سادت جميع أنحاء فلسطين وقتل فيها حوالى ٢٠٠ يهودى أكثرهم فى الخليل والقدس ويافا ، وكان سببها اعتداء اليهود عـلى البراق النبوى الشريف وثورة الشيخ « عز الدين القسام » (٢ نوفمبر ١٩٣٥) والتى تحولت الى حركة عصيان مسلح ضد اليهــود وحكومة الانتداب ·

حتى كانت الثورة العربية الكبرى ، التى بدات فى (١٧ أبريل ١٩٣٦) بتحرشات اليهود بعرب « يافا » ، وتدخلت القوات البريطانية لحماية اليهود والبطش بالعرب العزل من السلاح . وشمل الجهاد عموم فلسطين فى ثوره عارمة لتحرير البــلاد من الاستعمار والصهيونية ·· ووصلت قوات متطوعة من سوريا والعراق منضمة الى عرب فلسطين ، وطالبت « اللجنــة العربية العليــا » برئاسة الحاج أمــين الحسينى مفتى فلسطين فى ثورة عارمة لتحرير البــلاد من الاستعمار والصــهيونية ·· فى وقف الهجرة اليهودية ، وتشكيل حكومة دستورية تمثل الشــعب الفلسطينى بأكثريته العربية الساحقة ·

وانتصر الثوار الفلسطينيون ، فى معظم ما خاضوه من معارك ، مع قوات بريطانيا العظمى بدباباتها وطائراتها ومدافعها · ودام الاضراب العام ستة أشهر ، قدم فيها عرب فلسطين أعظم التضحيات · ويئس الانجليز تماما من اخماد الثورة ، بعد أن استعملوا جميع أنواع البطش والوحشية والارهاب ·

وأخيرا توسل الانجليز بالمكر والحيلة والدسائس ، وأقنعوا ملوك العرب بالتوسط لانهاء الاضراب ، واعدين بالنظر فى مطالب العرب · وبالفعل تدخل ملوك العرب وامراؤهم فى (١١ أكتوبر ١٩٣٦) لانهاء الاضراب ·

وكم من لجان تدخلت للتحقيق وتهدئة الجو بين العرب واليهود فى فلسطين ·· ولكن كانت لها مآرب استعمارية وصهيونية ، هى الوصول الى الهدف المرسوم لانشـــاء دولة اسرائيل · بل اجتهدت معظم هذه اللجان فى ابراز رأى بعض اليهــود لتقسيم فلســطين بين العــرب واليهود ·

وكان للعرب استنكارهم ووقفاتهم فى وجه هذه المناورات المكشوفة ٠

استعداد اليهود

استغلت الصهيونيه ، الحرب العالميه الثانية ، لتقوى اقتصاديا وعسكريا وتنظيميا ٠٠ فمثلا :

ـ استغل اليهود فرصة اقتراب الجيش الألمانى من فلسطين ، للتسليح والتدريب وتكوين جيش دفاعى ومستعمرات حصينة ٠

ـ الاستفادة من عطف العالم على اليهود الذين عذبتهم النازيه الألمانية ٠

ـ قامت جمعيات سرية يهودية تعمل على شكل منظمات عسكريه مثل ٠٠ عصابات « الهاجانا » و « الأرجون » و « شترن » و « المكابى » ٠

وأقبل يهود فلسطين على حمل السلاح ، وأخذوا يستعدون منذ عام ١٩٤٤ ، وأعلنوا باسم « الجمعية العسكرية اليهودية » فتح أبواب فلسطين لليهود ٠ وفى خريف عام ١٩٤٧ ، أعلنت الجمعية عن عزمها على انشاء دولة يهودية كبرى فى وطنهم التاريخى ٠

فلسطين وهيئة الأمم المتحدة

ودخلت مسألة فلسطين الى قاعات هيئة الأمم المتحدة ، وتألفت لجنة دولية (٢٨ أبريل ١٩٤٧) للتحقيق فى تلك المشكلة ٠ وانقسم أعضاء اللجنة الى فريقين ، أحدهما يؤيد تقسيم فلسطين ، والثانى يؤيد اقامة اتحاد فيدرالى بين العرب واليهود فى فلسطين ٠٠ وكانت الأغلبية ٠٠ مع الرأى الأول ٠

ونتيجة لضغط أمريكا والصهيونية ، أقرت اللجنة فى (٣ سبتمبر ١٩٤٧) بصفة مبدئية ، فكرة التقسيم ، وأحالت الموضوع الى لجنة أخرى رأت أن تجتمع مع جميع ممثلى اليهود ٠ فأخذت وجهة النظر اليهودية ، دون أن تحصل اللجنة على أى وجهة نظر عربية ٠

وقد تضمن تقرير اللجنة :

ـ انهاء الانتداب على فلسطين ٠

ـ تقسيم فلسطين وانشاء دولة اسرائيل ٠

ـ ابقاء القدس وما حولها تحت وصاية الأمم المتحدة ٠

وفاز قرار تقسيم فلسطين بأغلبية ثلثى الأصوات ٠

وكان الأمم المتحدة ، بهذا العمل ، قد أنهت وصاية عصبة الأمم على فلسطين ٠٠ لتعطيها لليهود ٠

أنهار الدماء العربية

وفرضت الصهيونية وجودها بالارهاب فى فلســـطين ٠ وراحت العصابات اليهودية تفرض الذعر والابادة والدمـــار فى جميع القـــرى الفلسطينية ، وأخذت تكيل للعرب ضرباتها بكل وحشية وحقد وتجرد من الضمير الانسانى ٠

وكان ذلك بقصد بث الذعر فى صفوف العرب وحملهم على الفرار من ديارهم وقراهم واحلال اليهود بدلهم ٠

وكانت مذبحة « دير ياسين » الرهيبة (٨ أبريل ١٩٤٨) ، حيث اتبعت فيها عصابتا « الأرجون » و « الهاجاناه » أحدث أساليب الاجرام الدموى ٠

وقد قامت عصابة « الأرجون » بقتل جميع سكان القرية ، رجالا ونساء وشيوخا وأطفالا ، بما يبلغ ٢٥٤ نفسا ، قطعت أوصالهم ومثلت بجثث القتلى ٠

وكانت السيارات اليهودية فى القدس ، تعلن بمكبرات الصوت ، « اهربوا من القدس قبل أن تقتلوا » ٠٠ و « ان لم تتركوا منازلكم ، فان ما حل بدير ياسين سيكون مصيركم » ٠

وهنا كان اليهود ينفذون تعاليم التوراة ٠٠ « اذاعة الذعر عـن طريق مذابح مرسومة » ٠

وعقدت عصابة « الأرجون » مؤتمرا صحفيا ، أعلنت فيه تفاصيل المذبحة وما أنجزته من وحشية ، ولتعلن بأن ذاك هـــو بداية غـــزو فلسطين ٠

وسرعان ما انتشرت أخبار المذابح فى طول فلســـطين وعرضها ، واستشعر العرب الخطر ، فأخذ الأهالى يفرون بأرواحهم تاركين خلفهم دورهم ، الأمر الذى دفع العرب الى الهجرة على أوسع نطاق ٠

وقد تباهى « مناحيم بيجن » فى كتابه « التورة » بهذه الوحشية قائلا :

« . .سيطر الرعب على عرب فلسطين نتيجة لمذبحة دير ياسين ، التى كان لها من التأثير ، ما يساوى قوة ست كتائب من الجنود .. أما فى بقية أنحاء فلسطين ، فقد بدأ العرب يفرون هلعا ..

ولولا مذبحة دير ياسين لما كانت اسرائيل » .

وتبلغ جرائم الانجليز واليهود بشاعتها العظمى فى فلسطين . وتبدأ جامعة الدول العربية فى انشاء جيش الانقاذ الفلسطينى من المتطوعين العرب .

وتمر الأيام بسرعة تفوق سرعة الأحداث الدامية التى تمر على أرض فلسطين . حتى يقترب يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ .

قيام دولة اسرائيل

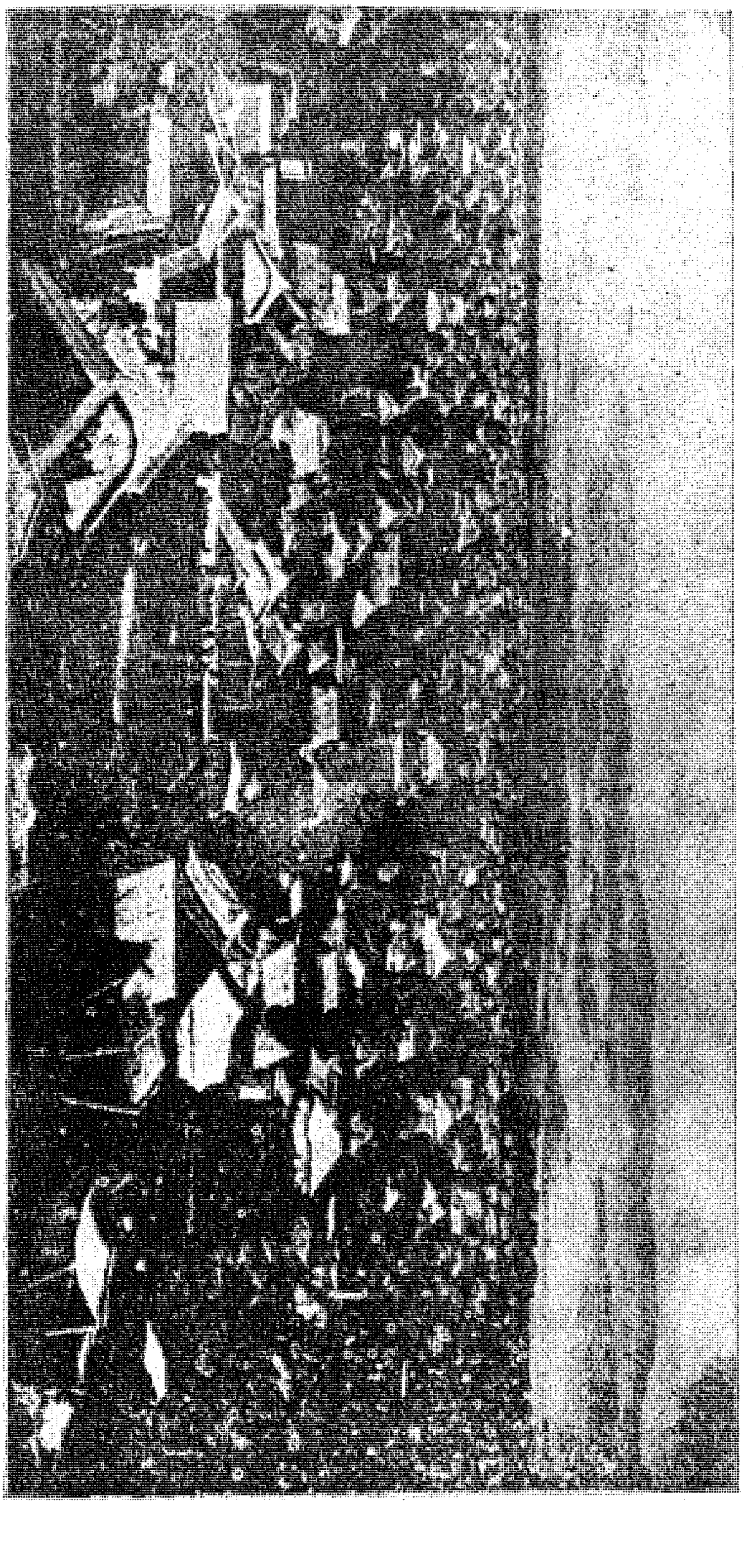
وعندما أعلنت الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعية ١٤ مايو ١٩٤٨ فى تل أبيب .. اجتمع أعضاء المجلس القومى اليهودى وممثلو الحركة الصهيونية ومندوبو الصحف ، فى قاعة « الموزيون » . ووقف « بن جوريون » ليعلن قيام دولة اسرائيل ابتداء من الدقيقة التى ينتهى فيها الانتداب البريطانى .. ليلة (١٥ مايو ١٩٤٨) .

وبعد مرور ١١ دقيقة من اعلان قيام دولة اسرائيل ، أعلنت الولايات المتحدة الأمريكيةاعترافها بالدولة الجديدة ، وتبعتها «جواتيمالا» فى نفس اليوم ، ثم الاتحاد السوفيتى يوم (١٨ مايو ١٩٤٨) .. وتلا ذلك اعترافات سائر الدول .

وقبل أن يغادر الدكتور « حاييم وايزمان » أمريكا ، لتعين أول رئيس لاسرائيل ، اجتمع مع«ترومان »الذى وعده بتقديم كافة المساعدات التى تحتاج اليها اسرائيل ، وأن الولايات المتحدة الامريكية ، مستعدة لتقديم المساعدة فى حالة الحرب مع العرب .

وقد اعترفت باسرائيل ، هيئة الأمم المتحدة وقبلتها بين أعضائها فى (١١ مايو ١٩٤٩) .

وهكذا ظهرت الى الوجود مشكلة الفلسطينيين ، الذين لحقت بهم مأساة كونهم أصبحوا لاجئين مشتتين فى الدول العربية وفى أنحاء العالم .



الباب الثانى

حرب فلسطين

١٥ مايو من عام النكبة الكبرى
أسمتها الصهيونية حرب التحرير
من الاستعمار العربى

الفدائيون المصريون

مساء يوم (٦ مايو ١٩٤٨) ، تحركت قوات المتطوعين المصريين تحت قيادة الشهيد البطل البكباشى « احمد عبد العزيز » . قائد القوات الخفيفة ، و الفدائيين . من « العريش » الى « رفح » عابرة الحدود الفلسطينية الى « خان يونس » لتمهد الطريق أمام الجيش المصرى .

وقامت هذه الجماعات الفدائية ، بشن عديد من الهجمات على المستعمرات اليهودية وقامت بتدميرها والاستيلاء على كثير من مدرعات العدو وكميات ضخمة من المؤن والاسلحة والذخائر .

وقد تميز البطل احمد عبد العزيز ، ببراعة تطبيقه لأسلوب المباغتة والمفاجأة فى الهجوم .. حتى أطلقوا عليه لقب النمر .

ودمرت القوات الفدائية مستعمرة « كفار ديروم » قرب « دير البلح » ، واحتلت مرتفعات « على المطار » على مشارف « غزة » ، ومنها كانت تقوم بواجب حراسة الطريق وتمهد لتقدم القوات النظامية .

وواصل الفدائيون تقدمهم حتى دخلوا « الخليل » ووصلت مقدمتهم تجاه « بيت لحم » وحققت الاتصال بين قوات الأردن ومصر يوم (٢٤ مايو ١٩٤٨) ، وأخذت قوات المتطوعين ، تقوم بأخطر العمليات ، التى أصبحت فيما بعد أساسا لدراسة المقاومة والفدائيين .. وأوقعت بالعدو اليهودى أكبر نسبة من الخسائر ، خاصة فى معارك (رامات راحيل) و (صور باهر) .. كما تعاونت فى معارك جنوب القدس ، مع قوات الجهاد المقدس والمقاومة الشعبية الفلسطينية .

وعندما كان البطل احمد عبد العزيز ، متوجها الى « غزة » يوم (٢٢ أغسطس ١٩٤٨) فى عربته الجيب للاجتماع بالقيادة ، وبالقرب من « عراق المنشية » مركز القوات النظامية المحاصرة قرب « الفالوجا » أطلقت على السيارة رصاصة من مركز مصرى للمراقبة طاشت الى صدر البطل فاخترقته وأسلم الروح .. وطيب الله ثراه فى « عراق المنشية » حيث دفن بها .

وقد ذكر موقف القوات الخفيفة وتوزيعها بالجبهة الأمامية فى تقرير كتبه الشهيد البطل فى « بيت لحم » يوم (١٨ يونيو ١٩٤٨) مقدرا فيه الموقف العسكرى لقواته :

« الخط الامامي يمتد من « صور باهر » شرقا و « بيت صفافا » غربا ، على هيئة نصف دائرة ، سيطرت بنيرانها الجانبية على بروز العدو في مستعمرات « رامات راحيل » و « أرنونة » و « تل بيوت » و « ماعوز حاييم » .. وتشرف مواقعنا على جميع أحياء القدس الجديدة والمستعمرات اليهودية غربها ، والفضل في احتلال هذا الخطر الحاكم ، يرجع الى سرعتى في التقدم من « بئر سبع » وسبق العدو في احتلاله ، مما حرمه من موقع هام » .

تحرك الجيوش العربية النظامية

وتحركت القوات العربيه يوم (١٥ مايو ١٩٤٨) ، في طريقها الى دخول فلسطين . واقتحم الجنود العرب الحدود الفلسطينية بشجاعه وحماس عظيمين . وكانت مناطق عمل الجيوش العربية كالآتي

- الجيش المصري ، يعمل في القطاع الجنوبي متجها الى « تل أبيب » .
- الجيش الأردني . يعمل في قطاع القدس متقدما من « باب الطرد » الى « حيفا » .
- الجيش السوري ، يعمل في القطاع الشمالي . ويتقدم من « الجليل » الى « حيفا » .
- الجيش العراقي ، يعمل في القطاع الأوسط ، ويتجه من « مرج ابن عامر » الى « حيفا » .
- الجيش اللبناني ، ويعمل في القطاع الشمالي ، ويدافع عن حدود لبنان .
- الجيش السعودي ويعمل مع الجيش المصري .
- الفلسطينيون .. ويعملون من الداخل في سهل « شارون » .

ولم تكن هناك خطة منسقة للجيوش العربية المشتركة ، اذ لم تزد الخطة النهائية لتحرك الجيوش العربية ، عن قرارات شفوية اتخذها مؤتمر الجامعة العربية في دمشق يوم (١٠ مايو ١٩٤٨) ، وفيها تعين الملك عبد الله قائدا للجيوش العربية بناء على طلبه .

وقد تغيرت خطة عمل الجيش العربي على أرض فلسطين ، قبل تحركه بثمان وأربعين ساعة ، وشمل التعديل تحركات جيوش الأردن والعراق وسوريا .

ولم تكن هناك خطة بالمعنى العسكري السليم . بل تعين لكل جيش هدف يصل اليه في وقت معين ، ومن ثم وحسب الموقف تكون أوامر المعركة .

وقد مرت حرب فلسطين بأربع مراحل :

ـ المرحلة الأولى :

ابتدأت يوم (١٥ مايو ١٩٤٨) يوم دخول الجيوش العربية الى فلسطين ، وانتهت يوم (٩ يونيو ١٩٤٨) اول أيام الهدنه الاولى .

وكان النصر حليف الجيوش العربيـة .. اذ حاصرت القوات المصريه القدس الجديدة وفيها نحو ١٠٠ الف يهودى (٤ يونيو) .. واقتربت الجيوش العربية من « تل أبيب » .

ـ المرحلة الثـانية :

ابتدأت بانتهاء الهدنة الأولى يوم (٩ يونيو ١٩٤٨) . وانتهت عند قبول الهدنة الثانية (١٨ يوليو ١٩٤٨) . ولم ترجح كفة الجيوش العربية لعدم التنسيق فيما بينها . خاصة وقد تخلى الجيش الأردنى عن « اللد » و « الرملة » وعن مواقعه فى المنطقة الجنوبية وتركها لليهود .

واتضح فى هذه المرحلة أن بعض القوات العربية . كانت ملزمة بتنفيذ سياسـة حكوماتها وهى عدم التعدى على خطوط التقسيم . وبذلك وضح لليهود أن الجبهة الوحيدة التى تقاتلهم هى جبهة الجيش المصرى .

ـ المرحلة الثـالثة :

ابتدأت يوم أن خرق اليهود الهـدنة يوم (١٤ أكتوبر ١٩٤٨) بهجومهم المفاجىء على القوات المصرية فى جنوب فلسطين . ودار القتال بعنف فى أكثر من موقع . وشدد اليهود ضغط هجومهم على « المجدل » وحاصروا « الفالوجة » . وبحماس ذاتى حاولت القوات العراقية الاتصال بالقوات المصرية بالفالوجة ، الا أن « جلوب » قائد القوات الأردنية حال دون ذلك .

وفرضت هدنة ثالثة يوم (٧ يناير ١٩٤٩) .. وبحضور وسيط هيئة الأمم « رالف بانش » . اجتمع فى جزيرة رودس ، مندوبون عن مصر واسرائيل . حيث تم الاتفاق على هدنة بغرض انهاء عمليات القتال يوم (٢٤ فبراير ١٩٤٩) ، وتم انسحاب قوات الفالوجة ، وتم تبادل الأسرى ، ووضع قطاع غزة تحت ادارة القوات المصرية .

ـ المرحلة الرابعة :

وقد تمت فى (مارس ١٩٤٩) .. وفيها سلم الجنرال « جلوب » لليهود ، الجزء الجنوبى من النقب ، كما سلمهم ميناء « ام الرشراش » (وأسموه ميناء « ايلات » فيما بعد) على خليج العقبة . ولاول مرة فى التاريخ ، يتم فصل الوطن العربى فى آسيا ، عن قرينه فى أفريقيا .

ويكفى ادراكا لأهمية النقب بالنسبة لليهود ، ان نذكر أن اليهود قد قتلوا « برنادوت » (سبتمبر ١٩٤٨) حينما أوصى فى مقترحاته أن تكون النقب فى الدولة العربية .. فقتله اليهود رسميا لان القتلة معروفون . واذا أجيز لنا التعليق على هذه الهدنات .. فان الهدنة الاولى التى فرضتها الدول الكبرى ، وأعلنتها من قاعة مجلس الأمن (٩ يونيو ١٩٤٨) .. حولت نتائج الحرب الى جانب اسرائيل . ومن هذا التاريخ ، واسرائيل تعتمد على هذه المساندة وتعتبرها من اقوى ركائز امنها القومى ودعم وجودها .. وأصبحت اسرائيل البادئة فى جولاتها ضد العرب ..

واغتصبت من نصرها ـ فى ١٩٤٨ ـ نيفا وعشرين الف كيلو متر مربع من الأرض العربية الفلسطينية ، بزيادة ٣٠٪ عن نصيبها من قرار التقسيم الجائر ، الذى أصدرته الأمم المتحدة فى (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) .

وكان رد فعل الهزيمة فى فلسطين ، فى أوساط الجيش المصرى بالغ المرارة ، لدرجة ألهبت حماس الضباط الاحرار الذين بدأوا يحكمون تنظيمهم ويمدون نطاقه .. وتنتهى حرب فلسطين (عام ١٩٤٨) .. كما أرادوا لها أن تنتهى .

ويصرح « بن جوريون » :

« أما السيف الذى أعدناه الى غمده ، فانه لم يعد الا مؤقتا .. اننا سنستله حين تتهدد حريتنا فى وطننا ، وحينما تتهدد رؤيا أنبياء التوراة .. فالشعب اليهودى بأسره سيعود الى الاستيطان فى ارض الآباء والأجداد ، الممتدة من النيل الى الفرات » .

الباب الثالث

حرب السويس

٢٩ أكتوبر

من عام العدوان ١٩٥٦

أفشل عدوان في التاريخ

حدث العدوان الثلاثي الغادر على مصر ، يوم (٢٩ أكتوبر ١٩٥٦) ٠٠ في أكبر مؤامرة اشتركت فيها اسرائيل مع بريطانيا وفرنسا ٠

ونعتبر الأحداث التي مرت بها مصر ، خلال الأعوام السابقة لعام ١٩٥٦ ، بمثابة ناقوس الخطر الذي تعالت دقاته ، فكان له دوى أفزع أعداء الأمة العربية ٠

واشتدت الحرب الباردة في منطقة الشرق الاوسط العربي ، وتفاقم فيها الصراع بين الاستعمار وبين مصر ٠

وثمة أحداث من جانب حكومة الثورة المصرية ، هزت الاستعمار وأفقدته السيطرة على أعصابه ٠٠ كان من أبرزها :

- ٢٧ يوليو ١٩٥٤ ، وقع الرئيس عبد الناصر بالأحرف الأولى على اتفاقية الجلاء ٠ ويبدو رد فعل هذه الاتفاقية على اسرائيل واضحا في تصريح رئيس وزرائها من أن مثل هذه الاتفاقية بين مصر وبريطانيا يعني ٠٠ « التخلي عن اسرائيل لتواجه قدرها ومصيرها » ٠
- ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ ، أحس الاستعمار الغربي والصهيونية العالمية ، بأن مسيرة الثورة المصرية ، تقضي على أحلامهم ومشروعاتهم في المنطقة العربية ، وكان لزاما على الأعداء أن يتحركوا ليتخلصوا من الرئيس عبد الناصر ٠٠ وبالفعل جرت محاولة لاغتياله في مساء ٢٦ أكتوبر بينما كان يشرح لجموع الشعب في ميدان المنشية بالاسكندرية ، نصوص اتفاقية الجلاء ٠
- أول نوفمبر ١٩٥٤ ، أعلنت ثورة الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي ٠٠ وفتحت مصر أبوابها على مصراعيها مرحبة بأحرار الجزائر ، وقدمت لجيش التحرير الوطني الجزائري كافة المساعدات ، واستقبلت المعسكرات المصرية ثوار الجزائر لتدريبهم ٠٠ حتى انطلق قادة فرنسا ينادون بأن القاهرة وليست الجزائر ، هي المكان الذي يمكن أن تنتهي فيه ثورة الجزائر ٠
- ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، شنت اسرائيل على غزة غارة انتقامية ، وازدادت حوادثها الاستفزازية خلال عام ١٩٥٥ ٠

- ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ ، الانتصار فى معركة احتكار السلاح .

وكان توتر الموقف على خطوط الهدنة مع اسرائيل ، من أهم البواعث التى دفعت الرئيس عبد الناصر ، الى البحث عن مصـــادر جديدة للحصول على الأسلحة منها ، بعد فشل المحاولة التى بذلت مع الدول الغربية . وعقدت صفقة الاسلحة مع الكتلة الشرقية وكانت ضربة صائبة اذ اتاحت لمصر ، وللمرة الأولى فى تاريخها ، أن تتحرر من سيطرة الغرب من الناحية العسكرية .

فى أوائل عام ١٩٥٦ ، استقبلت القاهرة جميع الزعماء الجزائريين الذين حكمت عليهم فرنسا بالاعدام أو السجن ، حيث كونوا « لجنة التحرير الوطنى » . وردا على ذلك قامت حكومة فرنسا بشن حملة كراهية ضخمة ضد مصر وركزت كراهيتهـا فى شـخص الرئيس عبد الناصر .

- ١٦ مايو ١٩٥٦ ، اعترفت حـكومة الثورة المصرية بدولة الصـين الشعبية ، فكانت مصر أول دولة عربية تعترف بها . ولم يعجب أمريكا هذا الاعتراف ، لأنه أفسد خطط الاستعمار الأمريكى الذى يعمل على عزل الصين الشعبية عن دول العالم .

- ١٨ يونيو ١٩٥٦ ، تم جلاء القوات البريطانية المحتلة (٨٠ ألفا) عن الأراضى المصرية ، ورفع العلم المصرى فوق أرض القناة .

- السد العالى .. وبرز مشروع تمويل تنفيذه الى الوجود ، وهو من أهم المشروعات الاقتصادية التى عنيت حكومة الثورة المصرية بتحقيقها .

- ١٩ يوليو ١٩٥٦ ، أصدرت لجنة الاعتمـادات فى مجلس الشيوخ الأمريكى قرارا حظرت بموجبه تقديم أى معونة مالية لبناء السـد العالى . كما سحبت الحكومة الأمريكية رسميا عرضها بمبلغ ٥٦ مليون دولار لتمويل مشروع السد العالى .

- ٢٠ يوليو ١٩٥٦ ، سحبت بريطانيا عرضها بمبلغ ١٥ مليون جنيه تقريبا لتمويل المشروع . كما أعلن رئيس البنك الدولى ، انه نظرا للقرار الانجلو ـ أمريكى فان البنك لا يستطيع أن يقرض مصر مبلغ ٢٠٠ مليون دولار التى وعدها به منذ أسبوع سابق .

- ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، أعلن الرئيس عبد الناصر تأميم قناة السويس .. اذ لم يكن هناك أمام مصر الا أن تعتمد على نفسها كلية لتمويل مشروع السد العالى .. ولم يكن ليتم ذلك الا بضربة صائبة ، تستعيد بها مصر حقا أساسيا من حقوقها .

رد فعل التأميم

كان اعلان تأميم قناة السويس بمثابة انفجار شديد أطاح بعقول ساسة الغرب ، الذين اعتبروا قرار الرئيس عبد الناصر ، من أكبر الأزمات منذ الحرب الكورية ٠

وفى اليوم التالى للتأميم ، بينما كانت وزارة الخارجية البريطانية تتصل بفرنسا حليفتها فى حلف شمال الأطلنطى ، وكان خبراء الخزانة البريطانية يحسبون نتائج التأميم بحساب الجنيهات وبراميل البترول والمنافع العديدة التى يفوقها التأميم على بريطانيا ٠ وتثبت الأرقام أن استعادة مصر لقناة السويس ، تعتبر بمثابة الضربة القاصمة على المصالح البريطانية فى الشرق الأوسط ٠

وفى يوم الجمعة (٢٧ يوليو ١٩٥٦) اتصل « ايدن » تليفونيا ، بمسيو « بينو » وزير خارجية فرنسا الذى اوعز الى « ايدن » ان يطلب من قادة قواته المسلحة ، اعداد الخطة اللازمة للقيام بعمل عسكرى ضد مصر ٠

وكتبت صحف بريطانيا وفرنسا عن ضرورة تزويد اسرائيل بمزيد من الأسلحة ٠

أما فرنسا ٠٠ فكانت فى ثورة أشد وأعنف من ثورة بريطانيا . اذ كان احساسها بقرار التأميم ، كأن مصر قد هاجمت فرنسا واحتلتها ٠٠ فقد كانت شركة قناة السويس آخر معقل دولى هام للرأسمالية الفرنسية.

أما أمريكا ٠٠ فكانت مشغولة بالحملة الانتخابية ٠٠ فقد كان « ايزنهاور » ــ الذى كان يعتمد فى دعايته الانتخابية على وصفه « أميرا للسلام » ــ يعمل على اعادة انتخابه فى شهر (نوفمبر ١٩٥٦) ٠

الا أن قرار التأميم لم يؤلم أمريكا بنفس القوة التى تأثرت بها فرنسا وبريطانيا ، اذ لشركة القناة أجمل الذكريات التاريخية بالنسبة لهما ٠

أما اسرائيل ٠٠ فمنذ عقدت مصر صفقة الأسلحة التشيكية ، و « بن جوريون » يردد دائما أن مصر تشكل الخطر الأكبر الذى يهدد كيان الدولة اليهودية ويزعزع مستقبل اسرائيل ٠ ولذا اعتزمت اسرائيل أن تقوم بحرب وقائية لتدمير الجيش المصرى وأسلحته الجديدة ٠

وانتهزت اسرائيل مشكلة قناة السويس ، وراحت تزيد المشكلة اشتعالا ، وتوغر صدر فرنسا ضد مصر ٠٠ وتمكنت اسرائيل من اقناع فرنسا التى أقنعت بدورها بريطانيا ، لتهيئة مشروعاتها العدوانية ٠

وهكذا كان حلف التواطؤ الاسرائيلى الفرنسى البريطانى ، الباعث على العدوان الثلاثى على مصر ٠

بدء العدوان

وفي الساعة الرابعة والنصف مساء يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .. بدأ الهجوم الاسرائيلي الغادر على الأراضي المصرية .

- دخلت الوحدات المدرعة الاسرائيلية ، بسرعة الى مراكز الحدود في القطاع الجنوبي من الحدود الاسرائيلية المصرية .
- تم اسقاط ٣٩٥ من جنود المظلات الاسرائيليين في ممر متلا .
- قامت ١٢ طائرة ميستير بدوريات فوق القناة .
- طارت الى اسرائيل ، وحدات من سلاح الطيران الفرنسي ، من التي كانت تخدم أغراض حلف شمال الاطلنطي .
- قامت من قبرص طائرات النقل الفرنسية لاسقاط الاسلحة والتعيينات للقوات الاسرائيلية المتقدمة .

وصدر الانذار البريطاني الفرنسي ، الذي سلمه كل من السفيرين المصري والاسرائيلي يوم (٣٠ اكتوبر ١٩٥٦) الذي جاء فيه ، بأن يسحب كل من الطرفين المصري والاسرائيلي ١٠ أميال من القناة في ظرف ١٢ ساعة . والا ستحتل القوات البريطانية والفرنسية بورسعيد والاسماعيلية والسويس .

وقبلت اسرائيل الانذار .. ورفضته مصر بالطبع .

وفي يوم (٣١ أكتوبر ١٩٥٦) .. بدأ الهجوم الجوي على مصر . فقد انطلقت من حاملات الطائرات البريطانية والفرنسية ومن قاعدة قبرص العسكرية حوالي ٢٠٠ طائرة بريطانية وفرنسية .

وتحركت قطع الاسطول البريطاني والفرنسي لاستكمال خطة الغزو . التي كانت في البداية تهدف الى نزول القوات البريطانية والفرنسية في ميناء الاسكندرية ، ثم تغير مكان النزول لتكون في بورسعيد .

وفي ليلة ٣١ أكتوبر .. اصدر الرئيس عبد الناصر اوامره بالانسحاب العام للجيش من سيناء . ووقف اشتراك القوات الجوية المصرية في هذه المعركة غير المتكافئة .

ونسف الجيش السوري ثلاث محطات لدفع البترول على خط أنابيب البترول العراقي . وقطعت المملكة العربية السعودية علاقاتها مع بريطانيا وفرنسا . وقررت وقف بيع البترول السعودي لهما .

وفى أول نوفمبر ١٩٥٦ ٠٠ سدت قناة السويس وتوقفت الملاحة تماما عبرها ٠

واستمدت الغارات الجوية البريطانية الفرنسية على المطارات المصرية ، قامت بها أكثر من ٢٠٠ طائرة متحالفة بمعدل غارة جوية كل ربع ساعة ٠

وأمام قوى التحدى الاستعمارية ، قبل الشعب المصرى التحدى وعقد العزم على احراز النصر أمام القوى الغاشمة ٠

وتمت بنجاح خطة انسحاب الجيش المصرى من سيناء ٠

وفى يوم ٥ نوفمبر ٠٠ اشتدت الغارات على بورسعيد تمهيدا للهجوم عليها ، غارات جوية وبحرية ، لتغطية انزال القوات البريطانية والفرنسية من الجو والبحر ٠

وتم الاسقاط الجوى بينما كانت هناك قافلتان بحريتان بريطانية وفرنسية ، فى طريقهما لانزال قواتهما على شواطىء بورسعيد وبور فؤاد ٠

واستطاعت قوات العدوان أن تحتل أجزاء من بورسعيد وبورفؤاد ورأى الرئيس عبد الناصر أن يتأخر فى الرد على العدو ، ليكسب الوقت الكافى ، الذى تتمكن فيه الدول الكبرى من التدخل لوقف العدوان ، ولاثارة أعضاء هيئة الأمم المتحدة ٠

وبالفعل أرسلت روسيا الى مجلس الأمن لعقد جلسة طارئة ، لبحث التدابير الفورية الواجب اتخاذها لوقف عدوان بريطانيا وفرنسا واسرائيل على مصر ٠

وأرسل رئيس وزراء روسيا رسالة الى الرئيس الأمريكى « ايزنهاور » والى « جى موليبه » وبرسالة جافة الى « بن جوريون » ، كما تسلم السفير البريطانى فى موسكو مذكرة من وزير خارجية روسيا ، لابلاغها الى « ايدن » والتى كانت تتضمن انذارا بالتدخل العسكرى السوفيتى ٠

وتحول العدوان الثلاثى على مصر ٠٠ الى أزمة دولية ، تهدد بنشوب حرب عالمية ثالثة ٠

ولمس أطراف العدوان ، جدية الانذار الروسى ٠٠ مما دفع اسرائيل الى الانسحاب من مغامرة العدوان متخلية بذلك عن بريطانيا وفرنسا ، ووضعتهما فى أسوأ وضع ٠

واجتمع مجلس الأمن القومى الأمريكى لدراسة الموقف ، الذى وصل الى ضغط أمريكا على بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، لوقف اطلاق النار فورا ٠

واذعنت بريطانيا وفرنسا لارادة غالبية الأمم المتحدة ، وقررتا ايقاف القتال اعتبارا من منتصف ليل (٦ نوفمبر ١٩٥٦) .

وتحت الضغوط المتعددة .. والتي من أهمها الجحيم الذي أعدته المقاومة الشعبية في بورسعيد ، والشعب المصري لقوات العدوان .. لم تجد فرنسا مفرا ومعها بريطانيا من الجلاء تدريجيا بمجرد وصول قوات الأمم المتحدة . كما اتفق على قيام الامم المتحدة بالمعاونة في تطهير القناة ، بعد انسحاب المعتدين نهائيا من منطقة القناة .

ووصلت القوات الدولية الى مطار « ابو صوير » وبور سعيد يوم ٢١ نوفمبر ..

وفي منتصف ليل ٢٢ نوفمبر .. كان آخر جندي من قوات الاعتداء يركب آخر سفينة للانسحاب عن بورسعيد التي عادت حرة لمصر .

وحطم أهالي بورسعيد تمثال ديليسبس .. وارتفع علم مصر عاليا .

هذا وقد تم انسحاب اسرائيل ، في أعقاب دخول قوات الطوارئ الدولية التي وصلت الى مشارف غزة يوم ٦ ـ ٧ مارس ١٩٥٧ ، وكانت هذه القوات قد تسلمت « شرم الشيخ » يوم ٢ مارس .

وهكذا لم يزد دور اسرائيل في هذه الجولة ، عن مجرد مخلب قط لفرنسا وانجلترا :

- لاخماد أنفاس التحرر .
- واعاقة ركب التطور العربي .
- وكبت الانتفاضات التحررية .
- ووقف تيار المد الثوري لتطهير أرض العرب من الاستعمار والاستغلال .

ووقف العالم أجمع ـ حكومات وشعوبا ـ يدين هذا العدوان الامبريالي الغربي المتواطئ مع اسرائيل ضد العرب .. ولأول مرة في التاريخ . تتكاتف أمريكا مع روسيا ، على سحق هذا العدوان بعنف وجدية .

وانتزعت اسرائيل عام ١٩٥٦ ، حق الملاحة البحرية والجوية عبر خليج العقبة العربي .

ولم يرض اسرائيل ذلك .. فقد أوضحت عن مكنون نواياها التوسعية ، على لسان « موسى شاريت » في تصريح له نشرته « جيروساليم بوست » عام ١٩٥٥ .. اذ يقول :

« ان اسرائيل ، لن يكتب لها البقاء ، ما لم تشن حربا وقائية على الدول العربية ، وتعمل على مد حدودها داخل هذه الدول ، حتى تضمن سلامتها ، وحتى تحقق الحلم ، الذى طالما راود فلاسفة الصهيونية .. ألا وهو اقامة امبراطورية اسرائيلية ، ممتدة الأرجاء ، تفرض سلطانها قويا يخشاه الجميع » .

وخلاصة غايات العدوان الثلاثى على مصر ، نلخص أهدافه فى الآتى :

١ ــ تحطيم الثورة فى مصر .. لانها مصدر خطر على اسرائيل ، بعد تحطيم احتكار السلاح .

٢ ــ ارجاع النفوذ الاستعمارى الى قناة السويس ، وحرمان الشعب المصرى ، من أكبر مورد له ، يدر عليه سنويا ، أكثر من مائة مليون جنيه استرلينى .

٣ ــ تحطيم الحصار الاقتصادى العربى لاسرائيل .. وذلك بفتح خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية .

الباب الرابع

حرب ٥ يونيو

.. من عام النكسة ١٩٦٧

التخطيط الاسرائيلى

جاءت نتائج الجولة الثانية (عام ١٩٥٦) مخيبة لآمال اسرائيل ٠٠ واستخلصت من فشلها ، يقينا بأن تواطؤ بريطانيا وفرنسا معها كان السبب في انتكاس هذه الجولة ٠٠

وقامت أجهزة التخطيط الاسرائيلية ، بتحديد الهدف السياسى العسكرى الجديد لجولة قادمة ٠٠ ووضعت الخطوط العريضـــة للعمل المطلوب انجازه ضد العرب ، مرتكزة على :

- النهضة التكنولوجية ٠
- تطوير نوعى لقدراتها السلحة الذاتية ٠
- تعويض النقص بمعونات مستترة لا تكشف أمام الرأى العام العالمى ٠

وتحقيقا لذلك ، كان على اسرائيل أن تستبدل السلاح الجوى البريطانى الفرنسى ، الذى حقق لها (عام ١٩٥٦) الضربة الجوية المفاجئة ٠٠ بسلاحها الجوى بمفرده وقدراته الذاتية على تحقيق هذه المهمة عام ١٩٦٧ ٠

ونالت بقية الأســلحة نفس التطوير والاهتمــام ٠٠ عدا السلاح البحرى ، اعتمادا على وجود الأسطول السادس الأمريكى فى مياه البحر المتوسط ٠

وقد كشف عن ذلك الاعداد والاستعداد ، تصريح العميد « مردخاى هود » قائد السلاح الجوى الاسرائيلى فى أعقاب الجولة الثالثة (١٩٦٧) بقوله :

« ان سلفى ، عازر وايزمان ، يعود اليه كل الفضل اذ بدأ الاعداد لهذه الحرب غداة أن حرمنا من ثمار النصر عام ١٩٥٦ » ٠

هذا وقد حدد مجلس الحرب الاسرائيلى ، فى أعقاب جوله ١٩٥٦ ، الهدف السياسى للجولة القادمة ضد العرب لتكون :

« تثبيت أركان دولة اسرائيل على الصعيد العالمى والاطار المحلى ، كخطوة مرحلية فى الطريق المرسوم لانشاء دولة اسرائيل الكبرى » ٠

وكان ذلك يشكل هدفا سياسيا مركبا ، تنبثق منه عدة أهداف سياسية عسكرية هى :

- ايقاع نكسة عنيفة بالطفرة العربية التقدمية ٠

- ايقاع هزيمة عسكرية ساحقة بكل القوات المسلحة العربية المتاخمة لاسرائيل ، تفقدها الثقة في النفس ، وثقة الشعوب العربية في فاعليتها .. كما توفر لاسرائيل مرحلة هدوء نسبي طويلة ، تستغلها في تنمية قدرات الدولة بمعدل عال ودون معوقات .
- قلب نظم الحكم التقدمية في الدول المهزومة .
- تمييع مشكلة اللاجئين الفلسطينيين في المجال الدولي والمحلي .
- تحقيق مكاسب اقليمية ، باقامة عاصمة اسرائيل الكبرى في القدس . وتعديل بعض أجزاء الحدود بما يوفر لاسرائيل أمنا قوميا أفضل . وتأمين الملاحة في خليج العقبة وقناة السويس .
- فرض الحل السياسي الملائم لمشكلة فلسطين من وجهة نظر اسرائيل . ورمى الهدف السياسي أيضـــا الى شحن معنويات الجبهة الداخلية الاسرائيلية ، وزيادة ترابط أشتات سكانها المختلفي الجنسية ، واثارة اعجاب الممالئين لها في شتى أنحاء العـالم ، سعيا وراء المعونات والتبرعات والهبات .

أما العرب

وبقدر ما أعدت اسرائيل وجهزت ، والتزمت بأسس ومبادىء الحرب في كل جولة من جولاتها الثلاث .. وبقدر ما حشدت وعبأت من قدرات مادية ومعنوية ..

بقدر ما تهاون العرب في الاعداد والتجهيز .. وبقدر ما فتتوا وشتتوا من امكانيات ، وأضاعوا من قدرات هباء وبلا مبالاة ..

وحاجة العرب أصبحت بين القوى المضادة :

- سلامة حشد الامكانيات .
- جدية عقد المقارنات بين القوى المضادة .
- حسن استغلال القدرات .
- كفاءة وضع الخطط .
- مرونة السيطرة على المعركة .
- صلابة الارادة ورباطة الجأش في الأزمات .
- واقعية تحليل مختلف العواقب المحتملة .
- الاستعداد الجوى لملاقاة ضخامة الجهد المطلوب في الصراع .
- معرفة جذور مستقبل القضايا العربية مع الصهيونية .

التمهيد المعنوي الاسرائيلي للعدوان

أخذت اسرائيل ، منذ اول عام ١٩٦٧ . تعلن ــ مموهة على العالم عامه وعلى العرب بوجه خاص ــ عما تعانيه من ازمات داخلية وبطالة وهبوط معدل استثمار رءوس الاموال الأجنبية فيها . وارتفاع نسبة نزوح المهاجرين منها الى الخارج ، وتوقف تيار الهجرة اليهودية . بل وراح « بن جوريون » يعلن على العالم من تل أبيب .

« ان مستقبل دولة اسرائيل أصبح غير مضمون » .

واستصرخت اسرائيل الصهيونية العالمية . واستنجدت بالاستعمار الامبريالي للمحافظة على ما أسمته حياتها ، كقاعدة تؤمن مصالحهما فى منطقة الشرق الأوسط والوطن العربي العنيد .

واقتنصت اسرائيل ، أعمال تنظيمات الفدائيين الفلسطينيين (الفتح) وجنـــاحه العسكرى (العاصفة) .. لتسبغ على ما بيتته للعـــرب من خطط عدوانية صفة الاضطرار والحتم ..

وكانت مصر وسوريا ، على رأس الأنظمة العربية ، التى تحمل شعارات الدفع الثورى ، ولهما مع اسرائيل حدود مشتركة ، واتجاهات عمل عسكرى مباشر .. ولهذا وقف « اسحق رابين » رئيس الأركان العامة الاسرائيلية ، يعلن من اذاعة اسرائيل يوم (١٢ مايو ١٩٦٧) :

« اننا سنشن هجوما خاطفا على سوريا ، وسنحتل دمشق لنسقط الحكم فيها .. ثم نعود » .

وهكذا خططت الصهيونية والامبريالية ، للعدوان على العرب منذ مطلع عام ١٩٦٧ . وعلى ضوء هذا التواطؤ الخفى ، جاء الهجوم على سوريا فى (٧ أبريل ١٩٦٧) ــ استخدمت فيه اسرائيل ، قوة متفوقة شنت بها ضربة قوية ، استمرت حوالى ٢٤ ساعة ، بغرض اسقاط الحكم الثورى السورى ، ولقيام حكم آخر عميل .

ولكن لم يحقق هذا الهجوم ، أى شىء من أهداف اسرائيل ــ ثم تحول ذلك ، الى تخطيط لاعداد هجوم شامل على سوريا ، بحجة أنها تشجع أعمال الفدائيين داخل الأراضى المحتلة .. وأخذ المستعمرون الاسرائيليون يتهمون سوريا ويؤلبون عليها الرأى العام العالمى وسارع وزير خارجية اسرائيل واجتمع فى (١٠ مايو ١٩٦٧) بجميع سفراء اسرائيل بالخارج لاقناع الدول التى يعملون فيها بخطورة الوضع على الحدود السورية الاسرائيلية والتأكيد بأن سوريا هى المسئولة عن اراقة الدماء الصهيونية .

وفى معركة التمهيد النفسى للعدوان المسلح على العرب ، صرح ليفى اشكول رئيس حكومة اسرائيل بأن :

« حرب العصابات أمر لا يقبله العقل ، ولا يمكن ترك الأمر له فى اسرائيل . ومن الواضح أن سوريا هى مصدر التخريب والمخربين الذين يعدون البيها » .

ودارت عجلة استعدادات الصهيونية الامبريالية تخطط لتعدوان على العرب .

ماذا فعلت مصر ؟

وفجأة تعثرت الخطط الاسرائيلية يوم (١٤ مايو سنة ١٩٦٧) عندما أعلنت مصر عن مؤامرة تدبر فى الخفاء للهجوم على سوريا تحدد لها يوم (١٧ مايو ١٩٦٧) .

كما علقت الدوائر السوفيتية (١٦ مايو ١٩٦٧) على التهديدات الاسرائيلية :

« ان حشد القوات الاسرائيلية فى المنطقة المجردة من السلاح يثبت ان اسرائيل تشكل — خلافا لمصلحتها — مصدرا للتوتر فى الشرق الأوسط .. وانها بذلك تعمل على وضع العراقيل فى طريق سوريا » .

ولم تكن اسرائيل أو الدوائر الاستعمارية ، تتوقع تدخل مصر .. علما بأنهم كانوا يعرفون بالاتفاقية العسكرية المعقودة بين مصر وسوريا « ٤ نوفمبر ١٩٦٦ » ، اعتمادا على انهماك مصر فى اليمن بما لا يسمح لها بمد سوريا بالعون العسكرى الكافى .

وقررت مصر يوم (١٩ مايو ١٩٦٧) استخدام حقها فى سحب قوات الطوارىء الدولية من أراضيها ، وعلى طول خط الهدنة بينها وبين اسرائيل . واستجاب سكرتير هيئة الأمم المتحدة لهذا الطلب .. وأعقب ذلك الانسحاب اعلان من جانب مصر يوم (٢٢ مايو) بغلق خليج العقبة فى وجه الملاحة الاسرائيلية .

وجاء قرار مصر قاسيا على اسرائيـــل .. وكان على الامبريالية والصهيونية العالمية المتآمرين على العرب ، أن تقف مع اسرائيل فى البحث عن خطة جديدة .

وبعد أن حضر ملك الأردن الى القاهرة ووقع اتفاقا عسكريا مشتركا يوم (٣١ مايو ١٩٦٧) .

وجدت اسرائيل أن نبادر بالمفاجأة ٠٠ وكان ما كان يوم (٥ يونيو ١٩٦٧) ٠

وكانت الجولة العربية الاسرائيليه الثالثه ٠

نكسة الهزيمة

فى صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ٠٠ شنت اسرائيل حربا خاطفه غادرة على مصر ، امتد لهيبها الى سوريا والاردن ٠

وتمكنت اسرائيل من التقدم فى الأراضى العربية فاحتلت

— الضفة الغربية للمملكة الأردنيه بما فيها القدس ٠

— مرتفعات الجولان السورية حتى القنيطرة ٠

— قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء حتى الضفة الشرقية لقناة السويس ٠

وأغارت الطائرات الاسرائيلية على منطقة قناة السويس ، وعلى المطارات المصرية ٠٠ **وفى أقل من ثلاث ساعات ، تحول السلاح الجوى الى حطام ٠ وفى سيناء ٠٠ كانت القوات المسلحة المصرية ، بمعظم أعدادها وعتادها ٠٠ تذهلهم مفاجأة الحرب ، ثم يزداد ذهولهم تماما عندما تصدر اليهم الأوامر المتضاربة من قيادتهم بالاسراع فى سحب القوات ٠**

وعلى الرغم من أنه كان عدد من الوحدات التى سيطر عليها قادتها فتماسكت وصمدت وقاتلت قتال الأبطال ٠٠ الا أن الكارثة قد حاقت بباقى القوات ، فأودت بكافة معداتها وبحياة آلاف من صفوة الضباط وخيرة الجنود ٠

كارثة أحالت جيشا نظاميا الى أشتات ليس له هم الا الانطلاق المنجاة صوب القناة ٠

النظرة الدولية

وبمعايرة هذا العدوان بمواثيق الأمم المتحدة ، نجد أنه يعتبر خرقا فاضحا لاتفاقيات الهدنة ، وانتهاكا اثيما لميثاق الامم المتحدة ٠

ولذلك ، انعقدت جلسة طارئة لمجلس الأمن يوم (٥ يونيو) ووضع « أوثانت » السكرتير العام أمام المجلس تقريرا ضمنه قيام اسرائيل بالبدء بالعدوان ٠٠ وبدلا من ادانة هذا العدوان ، رضخ المجلس لمشيئة امريكا وبريطانيا وأنصارهما ، حتى توصل يوم (٦ يونيو) الى قرار بالاجماع تضمن اتخاذ الحكومات المعنية تدابير عاجلة لوقف اطلاق النار فورا وانهاء النشاط الحربى فى المنطقة ٠

وتغاضت اسرائيل عن هذا القرار واستمرت في عدوانها وعاود المجلس بحث الأمر يوم (٧ يونيو) ٠٠ ولا تبالى اسرائيل باجماع الآراء وتسير فى عدوانها على المرتفعات السورية ٠

ويعاود المجلس يوم (٨ يونيو) بحث مشروع قرار روسى آخر بادانة اسرائيل والمطالبة بوقف الأعمال العسكرية الاسرائيلية ضد الدول العربية ٠ وهنا قاومت أمريكا هذا المشروع لأنه يدين اسرائيل ، ثم قدمت أمريكا مشروع قرار طالبت فيه :

- بوقف اطلاق النار فقط ٠
- واجراء مفاوضات بين الأطراف المعنية للوصول الى اتفاقات تشمل الانسحاب وتباعد القوات العسكرية ٠

ونظرا لاحتمال عدم الموافقة على هذا المشروع ، تقدم رئيس مجلس الأمن أخيرا بمشروع قرار ، تمت الموافقة عليه بالاجماع يوم الجمعة (٩ يونيو) ويقضى بوقف العمليات الحربية فورا ٠

استفادت اسرائيل ــ من خلال عدم احترامها لقرارات مجلس الأمن التى استمرت طوال أربعة أيام ــ استفادت امتداد اعتداءاتها على الأراضى السورية حتى وصلت الى « القنيطرة » ٠

وبلا أى جدوى ، ينتقل موضوع أزمة الشرق الأوسط التى خلقتها حرب ٥ يونيو بين جنبات هيئة الأمم المتحدة بمجالسها ولجانها المختلفة ٠

وتتمادى اسرائيل فى غيها ، وتتصرف فيما استولت عليه من أراض عربية وكأنها باقية عليها الى الأبد امتدادا لسياستها التوسعية ٠

مغانم اليهود

فى خطاب ألقاه « موشى ديان » وزير الدفاع الاسرائيلى السابق يوم (٥ يوليو ١٩٦٨) أمام اتحاد شباب الكيبوتز فى هضبة الجولان السورية جاء فيه :

« ان آباءنا قد وصلوا الى الحدود التى اعترف بها مشروع التقسيم عام ١٩٤٧ ٠٠ وأن جيلنا قد وصل الى حدود عام ١٩٤٩ ٠٠ أما جيل الأيام الستة ، فقد وصل الى السويس والأردن وهضبة الجولان ٠ وهذه ليست النهاية ، لأن هناك بعد خطوط وقف اطلاق النار ، خطوطا جديدة تصل الى ما وراء نهر الأردن ، وقد تصل الى لبنان وسوريا الوسطى » ٠

وفى أعقاب جولة يونيو ١٩٦٧ :

- احتلت اسرائيل مساحة من الأراضى العربية تبلغ ٦٥ ألف كيلو متر مربع وهى مساحة تزيد على ثلاثة أمثال مساحة اسرائيل الأصلية .
- نجحت فى الوصول الى المياه المفتوحة للبحر الاحمر .
- اكتسبت عمقا استراتيجيا طالما عانت اسرائيل من ضحالته ، أمن قلب الدولة من التهديدات المستمرة ، فيما بين تل أبيب غربا وبيسان شرقا وحيفا شمالا .
- أصبحت حدود اسرائيل ، بما تحتله من أرض عربية ، تمر فوق موانع طبيعية هامة .. بين القنيطرة شمالا ، وأخدود نهر الأردن والبحر الميت ووادى عرابة وخليج العقبة شرقا ، ثم خليج السويس وقناة السويس جنوبا ، وساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا .. واكتسبت اسرائيل من كل ذلك مزايا عسكرية واضحة .
- استولت اسرائيل على مغانم اقتصادية ، كموارد سيناء الطبيعية من بترول وفحم ومنجنيز وخامات معدنية ، وثروة سمكية وزراعيـة ، علاوة على عائد سياحى مباشر .. وكلها مكاسب اقتصادية يمكن أن تغطى تكاليف الاحتلال العسكرى وتخفف من اعبائه على الاقتصـاد الاسرائيلى على الزمن الطويل ..

عواقب عربية

كان أبرز التغيرات وأشدها أثرا على الجانب العربى :

- انتزاع المبادأة المطلقة من العرب ..
- المشاكل الحادة المتخلفة عن موضوع القناة ومنطقة السويس ..
- غلق ميناء العقبة بصفته المنفذ الوحيد للأردن ..
- حساسية منطقة القنيطرة باعتبارها نقطة الوثوب نحو دمشق ..
- انتزاع منابع نهر الأردن ومنابع الليطانى والوزانى وبنماس ..
- سـلب مدينـة القدس ذات المركز الدينى الكبير بالنسبة للاسـلام والمسيحية .

التوسع الاسرائيلى

يعتمد التوسع الاسرائيلى - الهادف الى انشاء اسرائيل الكبرى على النهج المرحلى ، وفقا للمخططات الصهيونية .. أى بالتصاعد أو الانتقال بعد استنفاد مكاسب أحد الظروف ، الى مرحلة جديدة ، تقفز منها الحركة

الصهيونية الى مطالب أخرى جديدة ، بحيث يكون حدها الأدنى فيها ، هو ما كان حدا أقصى فى المرحلة السابقة ويعنى ذلك ، فى السياسة الصهيونية ، أن يكون مبدأ « اللاتراجع » هو الحد الأدنى للمطالب الصهيونية ، فى كل وضع ٠٠ وأن تكون « الواقعية » هى الحد الأقصى لما نطالب به الحركة الصهيونية ، فى كل ظرف طبقا لأوضاعه وامكانياته ٠٠ مع استغلال عنصر « المرونة » الذى يسمح لها بتكييف الوسائل واخضاعها لرغبتها ٠٠

وعلى ذلك فان عمليات اسرائيل العسكرية التى تعتمد دائما على ما يحيط بها من ظروف عامة ٠٠ ترتكز أساسا على عاملين :

الأول : أن يكون التوسع المرحلى ، فى حدود طاقة اسرائيل ، التى ترتبط بقدرتها العسكرية على احتلال أرض جديدة والسيطرة عليها وحماية حدودها الجديدة ٠

(فى ٥ يونيو ، استطاعت اسرائيل أن تتقدم بسرعة داخل أراضى كل من مصر وسوريا والأردن ٠٠ ولكنها توقفت عن التقدم عند حدود قناة السويس ونهر الأردن والقنيطرة ٠٠ وكان فى امكانها التقدم الى ما هو أكثر من ذلك لولا حجم طاقتها وقدرتها) ٠

الثانى : انزال ضربات قاصمة على ما تعتدى عليه من دول ٠٠ عملا بتعاليم حكماء صهيون : « كلما ازددت قوة ، وجب أن يزداد غيرك ضعفا » ٠

عندما احتلت اسرائيل الضفة الشرقية للقناة ٠ أصبحت معظم المدن والمنشآت المصرية فى دائرة نيران مدفعيتها ٠ علاوة على اضعاف مصر اقتصاديا باقفال القناة ٠ واحتلال الضفة الغربية من الأردن خلق للأردن مزيدا من الأعباء المالية والاقتصادية والاجتماعية والسياحية ٠ أما سوريا ، فقد لحقتها الأضرار الجسيمة اذ أن هضبة الجولان التى احتلتها اسرائيل تمثل المطرقة الفولاذية بيد سوريا تنهال بها على العدو لتحد من أطماعه ٠ بالاضافة الى تشريد أكثر من مائة ألف مواطن) ٠

أى أن اسرائيل باحتلالها شبه جزيرة سيناء والضفة الغربية لنهر الأردن وهضبة الجولان ٠٠ كانت تهدف الى انزال ضربة قاصمة بالدول العربية الثلاث ، تضطرها بعد ذلك لقبول أى شروط للصلح قد تفرضها اسرائيل عليها ٠

ولعل ذلك ما جعل موشى ديان يقول بعد حرب ٥ يونيه :

« ان حدود اسرائيل ، أصبحت طبيعية على جميع الجبهات ٠٠ باستثناء لبنان » ٠

وليس أدل على هدف اسرائيل التوسعى ، من الخريطه المرسومه على مدخل الكنيست الاسرائيلى ٠٠ اذ رسمت حدودها — فى هذه الخريطه — من النيل الى الفرات ، كما أطلق فى الخرائط المدرسية على الدول المجاوره لاسرائيل ، تعبير « البلاد الاسرائيلية المحتلة » ٠

الرفض العربى

بعد هزيمة يونيو ، تركزت جهود اسرائيل والامبريالية والصهيونية العالمية على شىء أساسى هو ٠٠ احتلال الانسان العربى ٠٠

فثمة مخطط اعلامى خبيث يستهدف هذا الاحتلال الغريب لاقناع الانسان العربى ، بالتخلى عن القتال والتحرير ، وجره الى الاعتراف بالأمر الواقع ٠

وما ذلك الا ترجمة هزيلة لقبول الهزيمة والتكيف مع الاوضاع الجديدة التى أوجدتها ٠

فان أكثر ما يشغل بال اسرائيل والامبريالية ، هو الرفض العربى الذى يخلق مناخ الاصرار على التحرير وحرب التحرير ٠

والصمود هو الذى يستطيع أن يقلب كل المخططات المعادية ، ويبعث فى المنطقة العربية رياح التحرر والتحرير ٠

حقيقة التاريخ

ان كانت اسرائيل قد انتصرت فى حرب ١٩٦٧ ، فلأنها بدأت الحرب أولا ، ولأنها وجدت المجال لتركيز قوتها على جبهة واحدة ، ثم انتقلت بها الى الجبهات الأخرى ٠

وقد اتفق الخبراء العسكريون العالميون الذين درسوا تفاصيل حرب ٥ يونيو ، اتفقوا جميعا ، على أنه رغم الخسائر التى حاقت بالطيران المصرى فانه لو كان قد تحقق التحرك العسكرى العربى على طول الجبهات العربية الاسرائيلية فى الساعات الأولى للحرب — وفق خطة محددة — لكانت نتيجة الحرب غير تلك التى كانت ٠

القسم الثانى

الجولة العربية - الاسرائيلية الرابعة

مقومات النصر

٦ أكتوبر والمفاهيم

العسكرية الجديدة

الجبهة فى الشرق

الباب الأول

مقوّمات النصر

الاصرار المصرى

بعد ٥ يونيو ٠٠ كان لا بد من العمل بأقصى قدر من الطاقة والاحساس بالمسئولية ، نحو توفير المناخ الصحى الثورى لحرب التحرير وامتلاك أسلحتها الاستراتيجية ٠

وكانت التصريحات الاسرائيلية ـ فى الفترة ما بين ١٩٦٧ الى ما قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ـ تكشف عن نيات اسرائيل لكسب الوقت والتسويف فى السعى الى تسوية مشكلة الشرق الأوسط :

ولعل أخطر ما صرح به الاسرائيليون ، هو قولهم :

« ثمة فارق كبير بين اعادة صحراء ، واعادة أراض يقطنها اليهود » ٠

فقد أقامت اسرائيل المستعمرات التى يقطنها اليهود ، فى معظم الأراضى العربية المحتلة ، ابتداء من مرتفعات الجولان وانتهاء بصحراء سيناء ٠

وتشير مخططات اسرائيل الى استبعاد التخلى عن صحراء سيناء كلها ٠ اذ ان تغيير وجودها فى بعض أجزائها ضرورة استراتيجية لا يمكن اغفال أهميتها ومن هنا كان الاصرار الامريكى على التسوية الجزئية ٠٠ الأمر الذى رفضته مصر نهائيا ما لم يقترن بتعهد صريح بانسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة كلها ٠٠ أى الى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ ٠

ودائما ما تعتمد اسرائيل على اقرار سياسة الأمر الواقع وفرضها على العرب ٠٠ وذلك للأسباب الآتية :

- يعتقد الاسرائيليون أن زمام المبادرة فى أيديهم دائما ، وهم بهذا الاعتبار يملكون حق تقرير ما اذا كانوا سوف ينسحبون من بعض الأراضى العربية المحتلة ، أو ما اذا كانت حدود وقف اطلاق النار هى حدودهم الآمنة ٠
- تعتمد اسرائيل على التأييد الامريكى لها ، الذى يبيح استخدام « الفيتو » كلما تعرضت اسرائيل لخطر الادانة ٠
- يثق الاسرائيليون بأن أمريكا ، قدمت وستقدم لهم كل ما يحتاجون اليه من أسلحة أو من معونات مالية بالاضافة الى الدعم السياسى ٠٠ مما يوفر لها صمودا طويل الأمد ٠

— تستفيد اسرائيل من ظروف التهدئة الدولية ، للابقاء على الحالة الراهنة أطول فترة ممكنة ٠٠ معتقدين أن الحالة الراهنة لا بد أن تتحول الى أمر واقع كما حدث عام ١٩٤٩ يوم تجاوزوا حدود التقسيم ووصلوا الى ميناء ايلات فى خليج العقبة ٠

— وتدعو اسرائيل الى المفاوضات المباشرة مع العرب ، وتدفع أمريكا الى تبنى هذه الدعوة ٠٠ وتعلم اسرائيل أن هذه المحاولة غير مجدية مع العرب ومن ثم فهى بذلك تكسب قطاعات كبيرة من الرأى العام الدولى ، الذى يرى مرونة دعوة اسرائيل وما يقابلها من رفض العرب ٠

الصبر والصمت

أما كيف تنسحب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة ٠ « فلا سبيل الى ذلك الا بالحرب » ٠٠ كما قال الرئيس محمد أنور السادات ٠٠ وكان لا بد من توافر القوى العربية من أجل التصدى لاسرائيل ٠ وانطلاقا من هذا الواقع ، اعتمد الرئيس السادات على الحقائق بالعمل والفعل ، فى ثلاثة اتجاهات :

— خطة الدبلوماسية المصرية المكثفة بهدف الوصول الى تأييد عالمى للقضية العربية فى مواجهة العدوان الاسرائيلى ٠٠

— خطة الوحدة العربية بهدف جمع شمل العرب دون البحث عن تفصيلات من أجل مواجهة اسرائيل ٠

— خطة اعداد القوات المسلحة المصرية اعدادا كاملا لخوض المعركة المصيرية الحتمية وقدم الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، هذا التحديد الواضح الى مجلس الشعب فى (يناير ١٩٧٣) من أجل النجاح فى التحرير والوصول الى السلام ٠٠ وذلك بعد أن واجه الرئيس السادات الواقع بكل أبعاده فى شجاعة ٠

والرئيس السادات — ابن مصر تربى سياسيا ونضاليا من خلال حركة التحرير المسلحة ضد الاحتلال البريطانى لمصر فى الأربعينيات ٠٠ وقد خاض — منذ أن تولى رئاسة جمهورية مصر العربية — على رأس وحدة القوى الوطنية ، معارك شرسة متعددة الجوانب ، ضد كل من يحاول ان يتعامل مع سوق الرقيق السياسى وعناصره الانهزامية فى مصر وفى غير مصر ، والذى يحاول أن يستغل تناقضات المرحلة الراهنة من ناحيتنا العربية ٠ وقد حقق الرئيس السادات الحرية والديموقراطية والعلم

والايمان علاوة على مبدأ الصبر والصمت الذى وضعه خلال الفترة السابقة لحرب أكتوبر ٠

ومن خلال الممارسة الديمقراطية الحقيقيــة فى مصر ، علم الشعب المصرى أن مسئولية معركة التحرير ليست مسئولية القوات المسلحــة وحدها ، انما هى أيضا مسئولية الشعب ٠٠ ليست مسئولية شعب مصر فحسب بل مسئولية الشعوب العربية كلها ٠

وقد برزت من خلال مناقشات مجلس الشعب المصرى ، ان المعركة التحريرية ذات شقين مترابطين ٠٠ أحدهما يتعلق بالوجود العسكـرى الاسرائيلى ، والثانى يتعلق بالدعم الأمريكى الذى يضمن هذا الوجود لذلك كان اصرار الرئيس السادات على وجوب التصدى لاسرائيل وأمريكا معا :

- التصدى لاسرائيل بالقوة المسلحة ٠
- ولأمريكا عبر التصدى لمصالحها التى تشمل المنطقة العربية كلها ٠

مقدمات المعركة

ومن البديهيات الضرورية للمعركة ، والتى تسهل وضـع حســاب دقيق لميزان القوى ٠

- أن القوة البشرية فى مصر وسوريا ، تزيد بمراحل كبيرة عن القوة البشرية فى اسرائيل ٠
- أن كبر القوة البشرية يستتبع بالضرورة قدرة قتالية توازى قيمتها ٠٠ اذا سار التدريب فى مجراه الحقيقى ٠
- أن قدرة السلاح توازى أيضا القدرة البشرية مع فارق نـوع السلاح وامكانياته فالمعروف أن الحروب تعتمد على أحدث الأسلحة ٠ وقد استطاعت اسرائيل الحصول على أحدث الأسلحة الأمريكية فى حين حصل العرب على بعض هذه الأسلحة ٠ واذا كانت اسرائيل تملك نوعا من التفوق ، فان القوة العربية تملك القدرة على ألا يحقق هذا التفوق كل ما تزعم اسرائيل القدرة على تحقيقه ٠
- أن المقارنة بين ما زودت به اسرائيل وما تزودت به كل دولة عربية ٠٠ (دون اغفال الأوضاع الجغرافية وأوضاع خطوط وقف اطلاق النار) هذه المقارنة تفرض وجوب ألا تخوض دولة عربية بمفردها الحرب ضد اسرائيل بل أن تشترك الجبهات العربية كلها فى القتال أو على الأقل

الجبهتان المصرية والسورية لمنع اسرائيل من تركيز امكانياتها العسكرية كلها على جبهة واحدة ٠

- أن أنواع السلاح التى حصلت عليها الدول العربية تيسر لها قدرة كافية فيما اذا استخدمت كلها على سائر الجبهات ·· مع اعتبار الوضع الجغرافى ، أى أنه اذا كانت احدى الدول العربية ، تفتقد القدرة على ضرب مواقع العدو فى عمق أرضه بسبب وضعها الجغرافى فان الوضع الجغرافى لدولة أخرى قد يوفر لها هذه القدرة ٠
- أن كل حرب لا تعتبر ناجحة الا اذا تمكن احد الطرفين المتحاربين من تسديد ضربات حاسمة الى مواقع الطرف الآخر الخلفية التى تشمل مراكز امداداته وتموينه ومواصلاته ·· ومن هنا كانت حروب الاستنزاف محدودة القيمة والأهمية ، وهى تعتبر بذلك حروبا سياسية أكثر منها حروبا فعلية ٠
- أن الاشتباكات البرية تلغى تفوق السلاح الجوى عندما تكون القواعد الأساسية ذات حماية كافية ٠
- أن الدول العربية تملك من الطاقات البشرية والاقتصادية ما يجعلها أكثر قدرة على الصمود ، فى حرب طويلة الأمد نسبيا ، من اسرائيل التى اعتمدت دائما على الحروب الخاطفة التى تتعمد أن تدور رحاها خارج أراضيها ٠
- أن الحرب النفسية تعتبر نصف الحرب الفعلية ·· وتعتمد الحرب النفسية أساسا على المعنويات العالية وعلى الثقة بالقوات المحاربة ٠
- أن مجرى الحرب يتحكم بالمواقف السياسية وليس بالعكس وأن ما يؤخذ بالحرب أو خلالها لا يمكن أن يؤخذ فى حالة السلم ٠

ومن منطق هذه البديهيات ارتكزت السياسة المصرية التى أرسى الرئيس السادات قواعدها الحكيمة ·· على بعض الخطوط العريضة التى تحقق القدرة على انتزاع المبادرة من اسرائيل بعد أن تعذر على العرب ارغام اسرائيل على الانسحاب عن طريق المبادرات والوساطات والمقررات الدولية ٠ وتبرز أهم هذه الخطوط فى الآتى :

- عدم السماح لاسرائيل بتركيز قوتها على جبهة واحدة ٠
- اشعال الجبهات العربية كلها فى نفس الوقت ٠
- وضع الطاقات الاقتصادية والبشرية كلها فى خدمة المعركة ٠
- اطلاع الشعب على حقيقة ما يجرى فى ميادين القتال ٠

- تهيئة الشعب المصرى ـ مسبقا ـ لتقبل أمر أساسى ، وهو أن لا حرب بلا خسائر أو تضحيات ، ولا توقع انتصار من أى نوع كان فى اللحظات الأولى للمعركة ٠

جدية العمل العسكرى

وكان لا بد لمصر ـ حكومة وشعبا ـ من العمل بأقصى قدر من الطاقة والاحساس بالمسئولية ، نحو توفير المناخ الصحى الثورى لحرب التحرير ٠٠ وفقا للمعطيات الآتية :

- بناء وحدة القوى الوطنية والقومية فى كل وطن عربى بحيث تنبع منها وبأسرع وقت ـ وحدة العمل الثورى العربى من خلال تنظيم واحد واستراتيجية مشتركة تصوغها الارادات الحرة ٠
- تحديد حلفاء حركة التحرير العربى ٠٠ بما فى ذلك اليهود الذين يعادون ـ قولا وممارسة ـ الصهيونية كحركة استعمارية عنصرية ويعترفون بالحقوق القومية للشعب الفلسطينى ٠
- صياغة الاقتصاد القومى على أساس اقتصاد حرب وتوزيع التضحيات اجتماعيا ٠
- استخدام سلاح البترول العربى استخداما جديدا ومخططا بأبعاده المختلفة ضد العدو ٠
- المساندة المادية والمعنوية ، ودون أى تحفظ للثورة الفلسطينية ٠٠ والاعتراف بحقها القومى المشروع فى استخدام الأراضى العربية الاستراتيجية من حول العدو ٠
- بذل المزيد من الجهد وحشد كل الطاقات والامكانيات ، للوصول الى موقف عربى متماسك موحد ينعكس على قوة عسكرية وسياسية واقتصادية ذات فعالية لمقابلة معارك المصير التحررى ٠
- دعوة العرب الى نبذ كل الخلافات والمعارك الثانوية والهامشية واعطاء المرتبة الأولى للمعركة الأساسية ٠

الاستفادة من حرب الاستنزاف والمواجهة

١ ـ اعتمدت حرب الاستنزاف على :

(أ) أساليب عسكرية ذات كفاءة عالية فى التخطيط والتنفيذ (وذلك باعتراف القادة العسكريين الاسرائيليين أنفسهم) ٠

(ب) المبادرات الفردية للضباط والجنود ، كما اتضح فى معركة جزيرة شدوان ٠

(جـ) استخدام المدفعية بصورة أدق وأكثر كفاءة ٠

(د) غارات القوات الخاصة وعمليات القناصة والطيران ٠

(هـ) مواكبة العمليات بتدريبات مستمرة على أعلى مستوى ولمختلف الأغراض وتطعيم مستمر بروح الحرب والقتال ٠

٢ ـ وأكدت عمليات المواجهة العسكرية مع العدو :

(أ) كفاءة الطيار المصرى فى ضربه لأهداف العدو بدقة واعتراض طائراته المغيرة ٠

(ب) كفاءة المقاتل المصرى تدريبا وتسليحا وروحا قتالية عالية ٠

(جـ) نجاح القوات المصرية الخاصة فى ضرب أهداف العدو فى عمق سيناء ونقل اشتباكات المواجهة الى الخطوط الخلفية للعدو فى تلاحم مباشر مع قواته (باعتراف اسرائيل نفسها) ٠

(د) كفاءة وسائل الدفاع الجوى فى مواجهة الطائرات المغيرة وعدم تمكينها من تحقيق أهدافها ٠

(هـ) كفاءة المدفعية المصرية فى اصابة أهدافها بدقة وضرب محاولات العدو المستمرة لتعزيز أو تدعيم خطه الأول الى جانب تغطية عمليات العبور والعودة ٠

(و) نجاح ويقظة أجهزة الرصد المصرية فى تتبع تحركات العدو الأرضية والجوية بكل دقة ٠

٣ ـ وكان تأثير حرب الاستنزاف على اسرائيل (١) :

(أ) تجميد حركة القوات الاسرائيلية فى سيناء داخل خنادق ثابتة ٠

(ب) انهاك الجنود ماديا ومعنويا وهم قابعون فى خنادقهم ولا يستطيع أى منهم أن يرفع رأسه حتى لا تخرقه على الفور رصاصة قناص مصرى ٠

(جـ) انزال خسائر يومية بالقوات الاسرائيلية ٠

---

(١) عن مجلة « بارى ماتش » الفرنسية ٠

(د) تركيز أنظار الحكومة الاسرائيلية على جبهة القناة ، حيث يتساقط القتلى فيها يوميا وتدوى أخبارهم فى كل اسرائيل فتزيد شعور الاسرائيليين باستحالة تحقيق ما وعدهم به قادتهم ٠

(هـ) عجز السلطات العسكرية الاسرائيلية عن حماية قواتها الموجودة فى جبهة القناة وانه ليس باستطاعة العدو أن يتحمل ما ينتابه من خسائر يومية لوقت طويل ٠

(و) ظهور علامات الضيق والتذمر الشديد على جنود اسرائيل بسبب شدة وعنف النيران المصرية ٠

(ز) أدى سقوط عدد كبير من طائرات « سكاى هوك وفانتوم » على جبهة قناة السويس وسوريا الى هبوط معنويات الطيارين الاسرائيليين وأسقطت أسطورة تدريبهم العالى وتفوقهم الفنى .

وكان المقاتل المصرى هو الذى خاض حروب الاستنزاف والمواجهة ٠ وهو الذى ساهم فى كسر معنويات المقاتلين الاسرائيليين فقد تعلم المقاتل المصرى الجندية وبرع فيها الى أقصى حد برا وجوا وبحرا وسار فى منطلقاتها بنجاح وثبات ٠

تطوير القوات المسلحة المصرية

كان أول ما استفادت به القوات المسلحة بعد الهزيمة هو ٠٠ معرفة قوة العدو وأساليبه فى القتال والاستفادة من هذه الأساليب والفصل التام بين الاستراتيجية والتكتيك ، وسد الثغرات المفتوحة التى كان يستعملها العدو للمرور الى العمق حتى أصبح الجيش فى وضع يستطيع معه أن يرد طبقا لمبدأ العمق اذا حاول الاسرائيليون شن اعتداءاته فى عمق مصر ٠

واستطاعت القوات المسلحة المصرية اللحاق بالتكنولوجيا العسكرية الحديثة وحصلت ــ فى سرية تامة ــ على أحدث المعدات الالكترونية البالغة الدقة بجانب القيام بالتغييرات المستمرة على المعدات والأسلحة وفقا لتقارير مراكز الاختبار ومعاهد التطوير الفنية المصرية ٠

وتقول التقارير العسكرية الغربية انه :

(نتيجة للدراسات التى قامت بها مكاتب الأبحاث المصرية أخرجت

الصناعات الجوية السوفيتية أسلحة تتلاءم مع حاجات مصر سواء بالنسبة لطبيعة أرضها أو بالنسبة لطبيعة أجوائها) ٠

وقد استطاع الطيار المصرى المقاتل أن يطوع أنواع طائراته بالشكل الذى يتناسب مع أجوائه ٠٠ فقد قاتل الطيار المصرى وقام بمناورات قتالية ببراعة بطائرات الميج (٢١) وانتصر على الفانتوم الاسرائيلى ٠٠ الأمر الذى حمل الدوائر العسكرية الغربية على الاعتقاد بأن مصر قد حصلت على طائرات (الميج ٢٣ قبل أن تحصل عليها فعلا ٠٠) ٠

هذا وقد طورت مصر قواتها المسلحة طبقا للأسس الآتية :

أولا : تحديد المهام والتنظيم والتخطيط

١ ـ تحديد حجم القوات المسلحة على أساس مهمة واحدة هى « القتال » مع التفرغ تفرغا كاملا ، وطبقا للامكانيات الموجودة وقوة العدو ٠

٢ ـ الضغط على أهمية الدفاع الجوى ، باعتباره المهمة الاستراتيجية الأولى ٠

٣ ـ اعتماد هيكل تنظيمى جديد يحقق توحيد خط القيادة والسيطرة ودفع العناصر الشابة المثقفة الى مراكز القيادة لكى تتحمل المسئولية عن طريق العلم والتمرس فى القيادة ٠

٤ ـ اعتماد الشورى والمناقشة فى التفكير والتخطيط ضمن مجالس حرب خاصة ، دون المساس بحق القيادات فى التصرف الفردى فى ظروف القتال ٠

ثانيا : مبادىء الاختيار والاعداد

١ ـ تجنيد الشباب المؤهل علميا لأداء الخدمة الوطنية الاجبارية ٠

٢ ـ اعتماد العلم والجهد والخبرة وحدها أساسا للترقية وأيضا للمناصب القيادية ٠

٣ ـ التركيز على الوحدة العنصرية للوحدة المقاتلة وهى الضابط وجنوده والمعدة والسلاح ٠

ثالثا : مبادىء استخدام السلاح

التدريب على استخدام السلاح بشكل مستمر وفعال ، ارتكازا على العوامل الآتية :

١ ـ التدريب
٢ ـ حجم القوات وتسليحها ٠
٣ ـ القدرة القتالية ٠
٤ ـ الروح المعنوية ٠

حى على القتال

قبل حرب ٦ أكتوبر ، كان الدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية يصور الموقف فى الشرق الأوسط كما يلى :

« ان عوامل الانفجار موجودة ، وشحنة البارود ما زالت هناك فى المنطقة الخطرة فى الشرق الأوسط . وجميع الأطراف تتأهب .

واعتقد أن الانفجار سيتأخر ، ريثما تتاح الفرصة لنا لدراسة المشكلة على الطبيعة .

ان الجميع يطالبوننا بأن نتدخل ، دون أن يحددوا لنا كيف ، والسبيل الذى علينا دخوله .

أنبقى على المشكلة مجمدة الآن ، ونضغط على الأطراف للابتعاد عن جهاز التفجير ، وبعدها نبدأ فى دراسة الحلول ؟ » .

ولكن القدر لم يترك المشكلة مجمدة ..

فقد أطلق الرئيس السادات ، فى الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، الشرارة نحو جهاز التفجير ، ليشتعل كل شىء لاسرائيل على ضفة قناة السويس الشرقية محطما أسطورة خط بارليف المحصن والنقط الحصينة مدمرا كل شىء فيها .. ويعبر المقاتل المصرى الى مكان الجندى الاسرائيلى ليلقنه أحدث فنون القتال بالمواجهة .

وتندفع الطائرات المصرية المقاتلة الى قلب سيناء ، فى رحلات قتالية لتدمير مطارات العدو ومراكز قياداته ومحطات الرادار ومحطات الشوشرة .

وفى نفس توقيت بدء المعركة ، أطلقت سوريا رجالها ونسورها ، ليصلوا اليهود نارا حامية ، مقتحمين عليهم قمم جبال الشيخ ومتقدمين بكل جرأة وثبات وعناد نحو الجولان .. وقامت طائرات النقل المصرية بدورها فى نقل الفرق الخاصة لتسقطهم خلف مواقع العدو فى مواقعه المتقدمة فى سيناء . لايقاعه فى شباك المباغتة المصرية . وكان يغلف هذه التحركات قصف المدافع وقذائف الصواريخ على هيئة غلالة محكمة من النيران ، على طول جبهة القتال ، لتحمى أرض مصر ورجال مصر .. وتهدى لهم جميعا أنجح معركة للعبور فى تاريخ الحروب ، تحت حماية غطاء جوى محكم يثبت تفوق القوات الجوية المصرية .. وعن هذا يقول « هيرتزوج » فى اذاعة اسرائيل العبرية من القدس يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ (الساعة ٢٢١٥ بتوقيت جرينتش) موجها حديثه للجبهة الجنوبية فى سيناء :

« ان أهم أمر فى تقييم قدرة العدو (أى المصريين) على التمسك بمعبره شرق قناة السويس ، هو التفوق الجوى • وان قوة عسكرية محرومة من هذا التفوق ، ستجد من الصعب عليها أن تحفظ ذلك المعبر » •

وكانت الحرب مفاجأة استراتيجية كاملة • لم يتحملها الاسرائيليون أنفسهم •• فقد تكسر جدار الخوف العربى ، وتسرب الخوف بكل سرعة الى قلوب الاسرائيليين ، ففقدوا الثقة فى أنفسهم وفى قادتهم وراحوا يفرون وهم لا يلوون على شىء •• تاركين خلفهم كل ما لهم ، الى أصحاب الأرض الحقيقيين •

وقد بدأت فصول هذه المعركة التاريخية المجيدة فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وانتهت يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ •

وبين هذين التاريخين استعاد الجيش المصرى والجيش السورى شرفهما ، بل استعادت الجيوش العربية سؤددها •• فى الوقت التى تصدعت فيه الاستراتيجية الاسرائيلية ، وراح رؤساؤهم وقادتهم يفيقون من كابوس هزيمتهم ليبحثوا عن حل لوجودهم •

وكانت معارك أكتوبر العربية ، مثار دهشة أكبر خبراء العالم العسكريين ، فقد أثبت الجيش المصرى والسورى ، فى ساحات القتال قدراتهما وبراعتهما فى استخدام أعقد أسلحة القتال الحديثة بكفاءة لم يكن يتوقعها العدو الاسرائيلى الذى ألجمته المفاجأة تماما وشلت ما قد يكون لديه من قدرات •

وجاء فى دراسة قامت بها وزارة الدفاع الأمريكية فى (٥ نوفمبر ١٩٧٣) عقب توقف القتال مباشرة :

« انه ثبت أن الدبابات كانت معرضة للاصابة بالصواريخ المصرية المضادة للدبابات بصورة شديدة » •

وعلى سبيل المثال •• قام المصريون بتدمير نحو ٢٠٠ دبابة اسرائيلية فى الأيام القليلة الأولى من الحرب على جبهة السويس باستخدام القذائف الموجهة كهربائيا •

كما ثبت — على نحو ما تقول الدراسة — مجال آخر تفوق فيه المصريون بوضوح ، وهو مجال الأسلحة الخفيفة الحركة المضادة للطائرات •• تلك الأسلحة التى نجحت فى الحاق خسائر جسيمة بالطيران الاسرائيلى لم تكن متوقعة على الاطلاق (دمرت القوات العربية ثلث الطيران الاسرائيلى فى الأسبوع الأول من الحرب — وزادت النسبة الى

النصف بعد ذلك ـ بينما فشل الاسرائيليون فى تدمير المطارات العسكرية المصرية ، التى أعاد المصريون تحصينها بالدشم هذه المرة ، حتى اجبروا خصمهم على التخلى عن الاستمرار فى المحاولة) . وكانت عملية العبور الى الضفة الشرقية للقناة ، مذهلة للغاية ، اذ لم يكن أحد من الخبراء العسكريين يتوقع أن تتم بهذا القدر الذى لا يذكر من خسائر . وقد خصصت جريدة « الصنداى تايمز » فى عددها الصادر يوم (١٤ أكتوبر ١٩٧٣) مكانا بارزا لنشر وصف مراسلها فى الجبهة ، لعملية العبور المصرى . وتحت عنوان « فى ١٥ دقيقة كان الجسر يقام على القناة » كتب مراسل انجليزى يقول : « وتحت مظلة المدفعية ، وفى حماية الضربات الجوية ، عبر المصريون فى زوارق مطاط ، ليكتسحوا أى مراكز اسرائيلية قد تكون مسيطرة على النقاط المختارة لاقامة الجسور . ووراء المشاة جاء المهندسون وكثيرون منهم مزودون بآخر طراز من الجسور العائمة التى يمكن نشرها ، بمعدل ١٥ قدما فى الدقيقة ، وبما يكفل اقامتها فى معظم أجزاء القناة فى ربع ساعة أو أقل » .

واقد أثر قيام حرب أكتوبر « فجأة » على اختلال الموازين الاسرائيلية والدولية وانتقل صراع الشرق الأوسط المتجمد الى الصدارة فى سلم الاهتمامات العالمية . وبتعبير « ريمون آرون » عالم الاجتماع الصهيونى الفرنسى المعروف فى مقال نشره فى « الفيجارو » يوم ٦ نوفمبر ١٩٧٣ :

« لقد كانت حرب أكتوبر من أكبر المفاجآت العصرية » .

أما عن سير القتال فى معارك أكتوبر ، فيعلق « دور ميدلتون » الخبير الأمريكى فى شئون الشرق الأوسط .. قائلا :

« تشير جميع التقارير التى وصلت الى المصادر الغربية ، الى ان الجيوش العربية قاتلت بعناد وحماسة .. وكانت القيادة على مستوى كتائب المشاة والدبابات على مستوى مرتفع .. كما كانت القيادة العربية العامة ، تتسم بالفطنة والحكمة ..

كما كان أهم تطور تكنولوجى على المستوى العربى ، وهو أستخدام القوات العربية للأسلحة الخفيفة بفاعلية وكفاءة لحماية المواقع المتقدمة وحشود القوات ضد الهجمات الجوية المدرعة المضادة الاسرائيلية .

لقد أكدت عملية العبور للقناة المصرية ، ان تلك القوات قد تطورت تكنولوجيا وأثبتت تلك العملية الجريئة ، أن المصريين قادرون على تحقيق النجاح والتصرف بانضباط » .

السعودية ومصر



الملك فيصل فى زيارة للجبهة

(عندما عبر الملك فيصل ، قناة السويس لزيارة الجبهة ، مع الرئيس السادات ، واستمع الى تفاصيل معارك الاستيلاء على تحصينات خط بارليف .. قال جلالته :

— ان هذا من فضل الله ، نحن معكم الى آخر هذه الأرض » .

ثم أضاف جلالته :

— « ان أملى الغالى على نفسى ، هو أن أصلى ركعتين لله فى المسجد الأقصى » ..

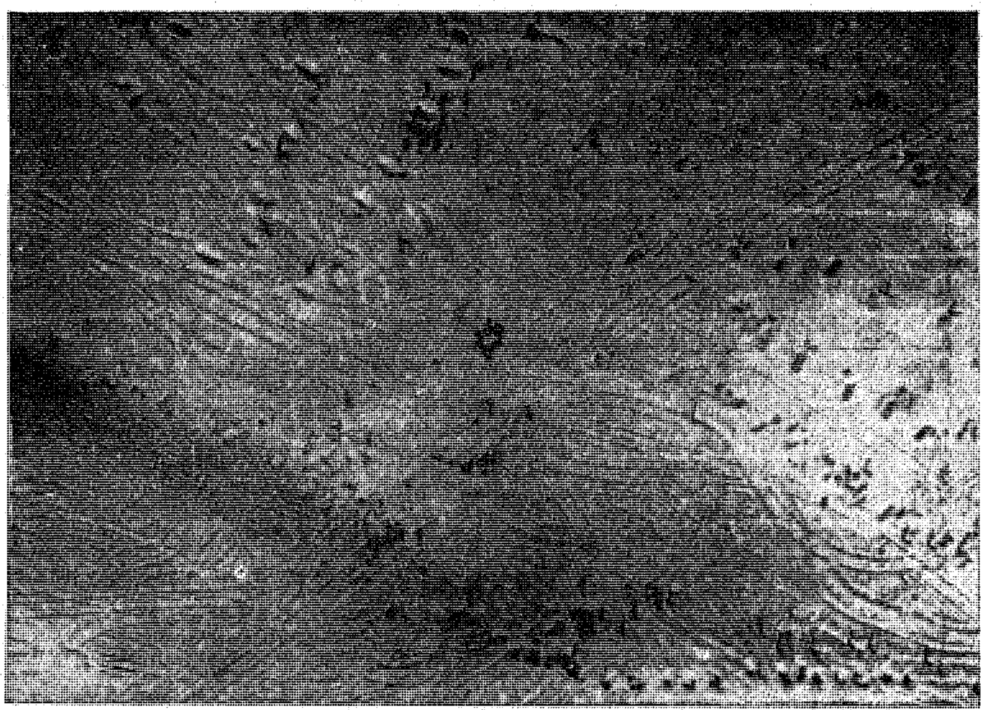
مظاهر الهزيمة الاسرائيلية

أوردت جريدة « نيويورك تايمز » فى عددها الصادر فى (٢٩ أكتوبر ١٩٧٣ . صفحة ١ ـ ٦) .. مقالا جاء فيه أن من أدلة الهزيمة الاسرائيلية الاستيلاء على مناطق قوية حصينة لم يكن يقتحمها أى بشر ، وكان الاسرائيليون يحتلونها شرق قناة السويس ، وفى مرتفعات الجولان .

وكانت نفسية الاسرائيليين بعد حرب ١٩٧٣ ، محل اهتمام واضح من الصحفيين ، وهذا ما عبرت عنه مجلة « الايكونومست » البريطانية بقولها :

« ان حرب أكتوبر قد تركت اسرائيل فى حالة ذهول من الصدمة » .
ومن أهم المظاهر لهزيمة اسرائيل :

- اضطرار اسرائيل الى المبالغة فى تقدير خسائر العرب ، بما يعكس الهزيمة الاسرائيلية المعنوية .
- تغيرت صورة الجيش الاسرائيلى فى صحافة العالم على اختلاف اتجاهاتها ومواقفها من اسرائيل والصهيونية العالمية . فقد أصبحت العبارات « الجيش الاسطورة » و « الجيش الذى لا يقهر » موضع رفض فى كثير من صحف العالم .
- ان الجرح الذى أصاب اسرائيل من حرب أكتوبر قد دعم مطالب أولئك اليهود الذين يتحدثون عن الحدود الآمنة التى يمكن الدفاع عنها .



القتلى الاسرائيليين فى أحد المواقع

... عن ... التفوق العسكري الاسرائيلي الذي كانت الولايات المتحدة والدول ... الغربية تعرفه ، وتعده كأمر مسلم به · وأصبح السلاح التفوق الاسرائيلي ... يدعى دون أن يصبح بمرة التقدم التكنولوجي ·

- تحطيم النظرية الاسرائيلية التي كان جيش الحرب الاسرائيلي يعتمد عليها ·
- تعرض اسرائيل من الآثار الاقتصادية الناجمة عن حرب اكتوبر ، والتي تسببت في مشاكل واضحة داخل اسرائيل ·
- ترتب على تراجع الجيش الاسرائيلي أمام الجيوش العربية ، وارتفاع عدد خسائره البشرية ، أصداء بالغة العمق في المجتمع الاسرائيلي ·
- انخفضت الهجرة الى اسرائيل بنسبة ٣٣٪ في الأشهر الستة الأولى من عام (١٩٧٤) نتيجة لما أحدثته حرب أكتوبر من اضطراب اقتصادي وعدم استقرار سياسي · كما أن مئات الألوف من اليهود قد غادروا اسرائيل الى مواطنهم الأصلية ·

وهكذا حطمت حرب اكتوبر ، اسطورة الجبروت الاسرائيلي ، كما محت أية انطباعات سابقة عما كان يشيعه اليهود والصهيونيون من أن العرب لا يستطيعون القتال ·

من نتائج حرب أكتوبر

- أدت حرب أكتوبر الى اثبات وجود وتغيير صورة المقاتل المصري وقدراته ·
- غيرت حرب أكتوبر ، لسنوات قادمة ميزان القوى في الشرق الأوسط ·
- أظهرت الحرب ، أن العرب قادرون على تشغيل الأسلحة الحديثة والالكترونيات المعقدة في ميدان القتال ·· ومن ذلك استخدام القوات المصرية للصواريخ بكفاءة ·
- في تعليق للخبير العسكري الأمريكي « دور ميدلتون » في صحيفة « نيويورك تايمز » بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ ·· أشار الى أن « القوات الجوية المصرية قد ظهرت على مستوى عال بصورة لم تكن متوقعة حيث أظهر الطيارون المصريون أنهم لا يفتقرون الى الجسارة كما يتفق الخبراء في شئون الطيران ، على أن القتال في جبهة سيناء ، قد أظهر قدرة مصر على توفير دفاع جوى متماسك لقواتها البرية ·
- أثبتت حرب أكتوبر — كما أعلن الخبراء العسكريون — ان سلاح الصواريخ بأنواعها المختلفة ، قد غير استراتيجية القتال التي سادت منذ الحرب العالمية الثانية ، وحد من فاعلية أسلحة الطيران والدبابات ·

- كشفت هذه الحرب ، بفضل مهارة جندى المشاة المصرى ، انه يمكن التغلب على الدبابات من جانب المشاة المسلحة تسليحا مكثفا بالأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات .. (كما حدث عند تدمير اللواء المدرع بالكامل ،الذى كان يقوده العقيد عساف ياجورى) .

- كان لاستخدام سلاح الضغط البترولى العربى ، أثره الفعال ، الذى يتضح من خلال موضوع عن « حرب البترول » تناولته صحيفة « التايمز » اللندنية فى افتتاحيتها يوم (١٣ أكتوبر ١٩٧٣) .. جاء فيه :

« ان قطع الامدادات البترولية العربية عن أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية واليابان ، سيخلق وضعا خطيرا .. وسيؤدى بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، الى تولد ضغط معين على أمريكا من جانب حلفائها ، لتضغط بدورها على اسرائيل حتى تتبنى موقفا معتدلا » .

- كان للحصار البحرى الذى ضربه الأسطول البحرى المصرى ، على مضيق باب المندب جنوب البحر الأحمر ، أثره الفعال فى القضاء على حجة اسرائيل فى استراتيجية « شرم الشيخ » .

كما ساعد احكام الحصار ، على وقف الواردات الاسرائيلية مثل : النفط الوارد من ايران ، والكبريت الذى عرقل الانتاج فى مناجم النحاس الاسرائيلية .

- قضت مقاطعة الدول الافريقية لاسرائيل ، على الأحلام الاسرائيلية فى استنزاف ثروات القارة واستغلال أسواقها لتسويق الانتاج الاسرائيلى.

ما بعد الحرب

لقد ثبت للعالم أجمع ، أن العرب دخلوا حرب رمضان ، بقوتهم الذاتية .. وان قرار المعركة قد اتخذه الرئيس المؤمن أنور السادات .

وجاء « هنرى كيسنجر » الى منطقة الحرب ، ودرس المشكلة على الطبيعة .

وكان فصل القوات .

وجرى العمل لتمهيد الطريق الى مؤتمر جنيف ..

وفتح العرب صفحة جديدة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، فأعيدت العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة ودمشق وبين واشنطن .

لقد كان أساس المشكلة بين العرب وأمريكا ، هى الصهيونية بكل ما تحمله من نيات عدوانية .

وفى الماضى ، حاولت الدبلوماسية الأمريكيـــة بكل ما لديها من مخططات وعقول ألكترونية ومخابرات وصداقات ٠ ان تفكك العالم العربى٠

ولم تفلح أمريكا فى القضاء على التجمع العربى فى أوقات الشدة ٠٠ بل انها تحالفت سرا مع عدوها الاتحاد السوفيتى ومعسكره الاشتراكى ، بأمل تقسيم النفوذ فى منطقة الشرق العربى ٠

ولا غرابة فى ذلك التعاون ٠٠ فاذا كانت الرأسمالية تعادى وحدة العرب لتستطيع السيطرة على الوطن العربى ٠٠ فان الشيوعية أيضا ، تعمل فى اطار التفكيك لتسهيل السيطرة العقائدية ٠

ويزور الرئيس الامريكى « نيكسون » بعض الدول العربية ، ولأول مرة بدأ العرب يتكلمون لغة واحدة ويتخذون خطوات واحدة ٠٠ فكانت طلبات العرب التى أسمعوها للرئيس الأمريكى ووزير خارجيته، تنحصر في :

- احترام قرارات هيئة الأمم المتحدة ٠
- الاعتراف الكامل بحق الشعب الفلسطينى ٠
- اعادة القدس الى أهلها ٠

وانتظارا لما بعد ذلك ٠

ما زالت القوات المسلحة المصرية على أهبة الاستعداد لأى مفاجأت فى الموقف ، واسرائيل أيضا ، تتوقع الا يدوم الحال على ما هو عليه ٠٠ فقد كتب المحرر العسكرى الاسرائيلى « ايتان هيفر » فى صحيفة « بد يعوت أحرونوت » مقالا ترجمته مؤسسة الدراسات الفلسطينية ٠٠ يقول فيه :

« ان الدول العربية قد تحارب من جديد ٠٠ وعلى اسرائيل ان تسعى للسلام ، وتستنفد كل احتمالات التسوية ، ضمن خطة مواصلة الهجوم ٠ وواجبنا اليوم أن نتأهب للحرب ، وكأنها وشيكة الوقوع ٠ لقد أخرجت حرب رمضان الجيش الاسرائيلى عن توازنه ، فقد كانت حربا قاسية جدا ٠ لقد ولدت الحرب آلاف العبر ، ومن المهم أن نعرفها ونتعلمها ونطبقها فى أقرب وقت ٠

وستكون الفترة المقبـلة صـعبة بالنسـبة الى الجيش الاسرائيلى فى السنوات القادمة ، وسيكون عليه أن يستوعب معدات لم تكن فى حيازته قبل الآن ، وأن يتعلم كيف يستخدمها على أفضل وجه ٠٠ وألا يكون نفس الجيش الذى خرج من حرب يوم الغفران ٠ **ولا بد أن نذكر دائما ، بأنه لدى مصر مفاعل ذرى** » ٠

وجاء فى خطاب ألقاه الجنرال المتقاعد « آريل شارون » أمام خريجى معهد التكنولوجيا فى حيفا :

« ٠٠ اذا حدث فى بضع سنوات ، أن أصبحت مصر على وشك الحصول على أسلحة ذرية ، فان اسرائيل لن يكون أمامها خيار ، الا شن حرب فظيعة وغير ضرورية ٠٠ وأنا متشائم بشأن فرص السلام فى الشرق الأوسط ، وأن الاسرائيليين يخدعون أنفسهم ، اذا ظنوا أنهم على طريق التسوية ٠٠ » ٠

وهكذا ، فالمتتبع لتصريحات العدو ، على لسان المسئولين الاسرائيليين ، يستطيع أن يكون صورة واضحة لنوايا العدو ٠

لقد ضمدت مصر جراح نكسة الهزيمة ٠ وتخلصت من عيوبها وحاربت وانتصرت ، وحطمت الأسطورة ومعها الجيش السورى والبلاد العربية ٠

ولا رجعة أبدا للهزيمة ٠٠ بل الى الأمام دائما نحو النصر ٠

التقصير ٠٠ من أقوالهم

ارتبطت كلمة « التقصير » فى أذهان الاسرائيليين ، بعيد « يوم الغفران » ، بسبب ما واجهته اسرائيل فى حرب أكتوبر ، من فشل عسكرى ونكسات داخلية ٠

ومن أسرار حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ما أفصحت عنه الصحف الاسرائيلية بنفسها ، وما نشرته من معلومات عن وضع الجبهة الاسرائيلية فى هذه الحرب ٠

وقد عبر أحد المعلقين الاسرائيليين عن الجو الذى سيطر على اسرائيل نتيجة هذه الحرب فقال : « اعتقد أن القنوط والكدر ينبعان من حقيقتين احداهما ذاتية ، اذ ان الشعب الاسرائيلى اعتاد منذ ٦٧ الشعور بأنه يستطيع أن يعمل كل ما يريده ٠ بل جرى كلام ان اسرائيل هى الدولة الكبرى الثالثة فى العالم ٠ وقد عكس ذلك شعورا ذاتيا بالعظمة ٠٠ والحقيقة الثانية موضوعية ، فقد اتضح لنا فى أكتوبر ١٩٧٣ أننا لسنا فى فراغ من القوى وأن هناك مقاومة عسكرية ، مدعومة من دول كبرى ، وأن هناك تيارا تاريخيا سياسيا يسير فى الاتجاه المضاد ٠ بعد ١٩٦٧ بدلا من أن نحاول اجراء تسوية فى المنطقة دار الجدل بيننا حول الانسحاب الى كيلومتر أو عدمه ، وجرى بيننا نقاش حول أرض اسرائيل الكبرى ٠ يعنى أننا شغلنا بأمور ثانوية بدلا من أن نجد حلا ٠ لم نحل شيئا ، وحسبنا أن العالم سيتوقف لكنه لم يفعل ٠ وفى العالم مسارات تاريخية لا تتوقف ٠ الا أننا تجاهلناها ٠ وكان هذا فى رأيى خطأ اسرائيل الأكبر » ٠

ومن الواضح أن حرب أكتوبر ، قد أثرت على تصرفات الجنرال « موشى ديان » وزير الدفاع الاسرائيلى • ويعلق على ذلك « مارك جيفن » فى صحيفة « عال هامشمار » فيقول :

« من الواضح لى دون جدل ، ان الحرب التى أدت الى انهيار فلسفة ديان ، أدت فى لحظات معينة الى انهياره هو شخصيا ، وصحيح أن لديان قدرة لا بأس بها على التكيف مع كل وضع تقريبا ، ولكن ديان اليوم ليس ديان ما قبل حرب يوم الغفران • وخلال الحرب ، شاهدنا ، وسمعنا كيف تتحطم خرافة ديان القادر على كل شيء » •

وتطرق جيفن الى لقاء ديان برؤساء تحرير الصحف الاسرائيلية ، (يوم الثلاثاء ١٩٧٣/١٠/٩) ، فقال : « كان ما أذهلنا جميعا ، هو تقديره أننا سنضطر الى الانسحاب فى سيناء الى خطوط جديدة ، اذ ليس فى استطاعتنا صد المصريين وارجاعهم الى ضفة القناة الغربية » •

ونقل جيفن عن ديان قوله : « ربما كان فى استطاعتنا محاولة ذلك ، ولكننا سندفع ثمن هذه المحاولة غاليا ، فى ميزان القوى الحالى ، لأن قوة الجيش الاسرائيلى الأساسية يجب أن تدافع عن دولة اسرائيل ، وليس عن الصحراء » •

وقال جيفن ان ديان كان ينوى الظهور فى برنامج تليفزيونى ، يقول فيه هذه الحقيقة الى الشعب الاسرائيلى ، واعترف جيفن بأن قرار ديان ذلك أثار ذهولا لدى الجميع ، لأن الجمهور الاسرائيلى لم يكن معدا لتقبل مثل هذه الاخبار ، لأن التقارير الصحفية كانت تنطوى على مبالغة للأفضل ، سواء بسبب نقص المعلومات الوثيقة أم بسبب الرغبة فى تشجيع السكان • الا أن جولدا مائير هى التى منعت ديان من تنفيذ خطته •

ويقول جيفن : « ومن جولدا نفسها ، حصلنا على اقرار بانها هى التى أمرت ديان حقا بالامتناع عن الظهور فى ذلك المساء على شاشة التليفزيون • وكانت لديها أسباب وجيهة لالغاء ظهوره التليفزيونى • فقد كانت تعلم بالكآبة التى يعيشها وزير الدفاع ، منذ مساء الأحد • ففى ذلك اليوم ، اليوم الثانى من الحرب ، وعندما لم تتحقق توقعات ديان ، وكان الوضع على الجبهات حرجا جدا ، جاء وزير الدفاع الى رئيسة الحكومة ، وعلى شفتيه اقتراح بالانسحاب من مرتفعات الجولان وسيناء معا ، ووصف الوضع بصورة مكدرة جدا ، واعتبر الانسحاب الملاذ الأخير » •

وتابع جيفن حديثه عن انهيار ديان ، فقال : « وعندما رفض اقتراح ديان المذهول بالانسحاب من الجولان وسيناء ، توقف وزير الدفاع ، عن التدخل فى ادارة الحرب ، وأصيب ديان بالذعر خلال المراحل اللاحقة من

الحرب أيضا ، وكان خوفه ناجما عن احتمال عدم انتهاء هذه الحرب . لأن للعرب نفسا طويلا ، ولأنه ، فى هذه المرة ، يقف ضدنا عالم عربى كبير وموحد » ٠

وأورد جيفن من أقوال ديان ما يأتى :

« لا أرى دلائل على الاستسلام من جانبهم . حتى لو دخلنا القاهرة ودمشق ٠ العالم العربى بأسره ضدنا ، ١٠٠ ـ ٢٠٠ مليون عربى ، من الجزائر الى الكويت ، ولديهم الوقت والصبر ٠ يستطيعون أن يخسروا ويرفضوا الكلام عن وقف القتال ٠ لو عرضوا علينا العودة الى الخطوط السابقة فى سوريا ومصر كشرط لوقف القتال ، لما رفضنا ذلك ٠ واذا بدأت احتمالات لوقف قتال حقيقى ، فسأشعر بارتياح كبير » ٠

وكشف زئيف شيف المراسل العسكرى لصحيفة « هاآرتس » أسرارا جديدة عن اليوم الثالث للحرب (٨ من أكتوبر) الذى ذكر انه أهم يوم فى الحرب على الجبهة المصرية ،وشبه المعارك التى جرت فيه بالمعركة حول ستالينجراد ومعركة هيدواى البحرية فى المحيط الهادى خلال الحرب العالمية الثانية ٠

وقال شيف :

« فى ذلك اليوم قام الجيش الاسرائيلى ، بمساعدة قوات الاحتياط ، التى استطاعت التجمع فى الجبهة ، بأول هجوم مضاد على الجبهة المصرية٠ وقد صد هذا الهجوم الاسرائيلى ، وتكبدنا خسائر جسيمة ٠ وبقى الكثير من رجالنا ، سواء المصابين أم الأصحاء ، فى الميدان دون امكان انقاذهم ، ووقع قائد كتيبة مدرعات اسرائيلى فى الأسر (١) ٠

« كانت القيادة العليا للجيش الاسرائيلى مقتنعة بأننا سنعبر القناة فى اليوم نفسه ٠ وأرسل تقرير الى الحكومة يفيد أن العبور بدأ ٠ وظهر أن التقارير الواردة من الميدان غير صحيحة ٠ وأحدث هذا الفشل هزة عنيفة ٠ وكانت هذه هى الهزة الثانية بعد المفاجأة التى داهمتنا ظهر يوم الغفران » ٠

وفى الحقيقة هدد القتال ، فى ذلك اليوم ، مصير معظم تحصينات القناة التى لم تكن سقطت بعد ٠ ففى مساء ذلك اليوم ، شعرنا للمرة الأولى ، وبصورة ملموسة ، بأننا وقعنا فى خطأ بالنسبة الى تقدير ميزان القوى ، وتأثير أنواع معينة من الأسلحة فى ميدان القتال ٠ وأدركنا أننا أخطأنا فى بناء قواتنا » ٠

---

(١) « العقيد عساف ياجورى » ٠

وتحدث شيف عن « حرب الجنرالات » فى الجبهة الجنوبية التى نجمت عن أحداث يوم (٨ أكتوبر) والفشل الذى منيت به القوات الاسرائيلية وتحدث عن الخلافات بين « جونين » قائد جبهة سيناء ، و « شارون » وكيف أثرت هذه الخلافات فى سير المعارك • وبالتالى ، لم تستطع قيادة الجيش الاسرائيلى تنفيذ الخطط التى أعدتها فى السابق ، لمواجهة احتمال عبور مصرى • وقال فى هذا الصدد :

« كان مفهوم الجيش الاسرائيلى هو نقل الحرب الى الجانب الثانى ، الى أراضى العدو • وكان من الواضح ، دائما وأبدا ، أنه فى حالة عبور مصرى للقناة ، سيشن الجيش الاسرائيلى هجمات مضادة فورية • وبعد ذلك يبدأ هجوما مضادا موازيا واسع النطاق ، ويعبر القناة • وكان الهدف هو العبور من خلال استغلال الهجوم المضاد • ولهـــذا الغرض ، أعدت القيادة ، خلال سنوات ، خططا مفصلة للعبور ، فى عهد شارون عندما كان قائد المنطقة ، حتى أنه جرى تمرين على عبور كبير فى سيناء » •

وأشار شيف الى البيانات « غير الصحيحة » التى كانت تصل من الجبهة ، فذكر أن :

« الاحســـاس بأن كل شىء يســير بمـوجب الخطة ، وأن الجيش الاسرائيلى يصد المصريين ، استمر حتى ما بعد الساعة الخامسة صباحا • ففى الساعة ١٩٠٥ ، قال « جونين » لرجال القيادة ، ان الوضع فى الجبهة الجنوبية استقر ، لذلك فهو يزمع نقل قوة « دان شومرون » الى الشمال • وبعد ذلك بدقيقة ، انقلب كل شىء رأسا على عقب • ووصلت الأخبار المقيتة التى غيرت الصورة • وهى أنه لم يبق من ٢٦٤ دبابة التى يقودها اللواء « ألبرت متدلر » ، سوى ١٠٠ دبابة سليمة • واتضح فجأة أنه لم يبق اتصال ، فى الجبهة الوسطى ، الا بجزء صغير من الدبابات • واتضح، أيضا ، انه خلال بضع ساعات ، فى الظلام الذى خيم بين منتصف الليل وبين الساعة الخامسة صباحا ، فقد الجيش الاسرائيلى عشرات الدبابات » •

وكشف « شيف » عن أعمال رجال الصاعقة المصريين (الكوماندوز). فكتب قائلا :

« والآن بدأت أكثر الساعات رهبة فى الجبهة المصرية • وقال جونين لرجاله فى غرفة العمليات ان الصد سيكون صعبــا ، وقــد يخسرون أراضى • وفى ذلك الـوقت أبلغت غرفة العمليات أن قــوات كوماندوز مصرية توغلت فى العمق وتهاجم أهدافا فى المنطقة • ولدى سماع القادة العسكريين فى غرفة العمليات هذا النبأ سارع كل منهم الى حمل سلاحـه

الشخصي فى غرفة العمليات ، كما أغمى على سخص يعمل على اجهزة اللاسلكى » ٠

ثم يتابع مقاله قائلا :

« ان رجال الكوماندوز المصريين هاجموا قوة الدبابات الأولى التابعة لبيرن بقيادة نتكا ، وكان الكمين المصرى يضم ١٥٠ رجلا . وأطلقوا صواريخ ساجر وبازوكا أر٠ بى٠ جى٠ ، وخلال الضربة النارية الأولى أحرقت دبابتان وعربة مجنزرة ، وقتل سبعة أشخاص ، وجرح ٢١ ، ونشبت معركة ٠ ولم يستسلم أحد من المصريين » ٠

وأشار شيف الى فشل الميراج فى هجمة خاصة قامت بها طائرات الميراج ضد أحد الجسور المصرية ٠ وأضاف : « ثمة شهادة أخرى على خطورة الوضع فى الجبهة ، ظهرت لدى وصول وزير الدفاع فى غرفة العمليات ٠ فقد وصل اليها (يوم ٧ أكتوبر) فى الساعة ١١ر٤٠ وقبل ذلك ، طلب قائد طائرته الهبوط هناك ، ولكن جونين اقترح أن يتخلى وزير الدفاع عن الفكرة خوفا من رجال الكوماندوز المصريين » ٠

وقد تخلى ديان عن الهبوط بالقرب من غرفة العمليات ، وهبط فى مكان آخر ، ثم جاء الغرفة بمجنزرة ٠ وعندما اطلع ديان على خطورة الوضع ، اتصل لاسلكيا برئيس الأركان طالبا مساعدة جوية للجنوب ٠ ولم يسمع من المحادثة سوى صوت ديان ، وهو يقول (فعلا ، دجانيا أهم) خاطب ديان قائد المنطقة الجنوبية قائلا :

« هذه حرب صعبة ، وليست اشتباكا ٠ يجب الانسحاب الى خط ثان ، الى الجبال ٠ والتحصن هناك ٠ ستحصلون على مساعدة جوية ، ولكن ليس قبل صباح الغد ٠ يجب ترك خط المياه ، لا ينبغى الاعتماد على التحصينات ٠ لا أرى أن الوضع سيتغير ٠ وليس من المنطق مهاجمتهم ، ولا أن يحاول الرجال فى التحصينات الهجوم ليلا » ٠

وعندما سئل ديان عن مصير الجرحى أجاب :

« الأصحاء يحاولون عبور الخطوط ، والجرحى لا خيار الا أن يقعوا فى الأسر » ٠

الباب الثانى

حرب ٦ أكتوبر

والمفاهيم العسكرية الجديدة

فوق الأحداث

ليس يعنينا هنا أن نتتبع أحـداث عمليات الســادس من أكتوبر وتطوراتها يوما بيوم ، أو ساعة بساعة . بل يعنينا ما هو أهم من تسجيل الأحداث وما هو أعمق أثرا وأكثر بعدا . وهو ما أدت اليه هذه الأحداث من تغيير فى الفكر العسكرى ومن تحول فى تكنولوجيا الحرب .

ان المفاهيم العسكرية ليست تعاليم صماء ، ولا هى نواميس ثابتة ، بل هى مزيج من اجتهادات متعددة ، تختلط فيها حنكة الادارة ، بشجاعة الرجال ، وتذوب فيها مهارة الفرد مع كفاءة السلاح ، وتتحكم الروح المعنوية للمقاتل فى سرعة الأداء . ورغم ما تذخر به ترسانات الأسلحة من أنواع العتاد ، ورغم ما بلغته التكنولوجيا الحديثة من تقدم فى عتاد الحرب فمازال العنصر البشرى الى يومنا سيد الموقف ومازال كما قال المشــير أحمــد اسماعيل « **السلاح بالرجل ، وليس الرجل بالسلاح** » . والدروس المستفادة من كل حرب ، أهم فى الدراسة لدى القادة من مجرد تتبع الأحداث . فمنها يحللون ويستنبطون ، وعلى ضوء نتائجها يجددون السلاح ، ويغيرون أساليب التكتيك ، وخطط الهجوم ، وطرق الدفاع .

وعلى ضوء الاجتهادات العسكرية ، تتحسن نوعيات السلاح ، ويطور المصممون فى صناعته . ومحك التجربة فى ذلك كله ، الحروب الصغيرة أو الصراعات المحدودة .

لقد كانت الحرب الأهلية الاسبانية التى اشــتعلت عام ١٩٣٦ محك تجربة ، استفادت منها دول أوروبا الغربية عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ . وأتت حرب كوريا ، ثم فيتنام وعلى ضوء نتائجهما أضيف الى ترسانات الأسلحة العالمية كثير من العتاد والسلاح ، ليختلط فيها ما هو قديم بما هو جديد . وحسبنا مثال واحد أن مدرعات اليوم غير مدرعات الأمس التى كان يستعملها رومل فى حرب الصحراء الغربية مثلا . لقد دخل على هذه المدرعة وحدها تطور هائــل مس كيانهــا فى الذخيرة التى تتسلح بها والمعدات الألكترونية التى تحملها ، والدروع التى تحمى جوانبها . لذلك ليس بدعا أن يستفيد المحللون العســكريون ، من أحداث الجولة العربية ــ الاسرائيلية الرابعة ، التى كانت تجربة جادة لاستخدام السلاح بكل صنوفه سبعة عشر يوما كاملة .

ولعد كان السوفييت ينظرون اليها ، نظرتهم الى حقل تجارب للسلاح الذى يستخدمه سوريا ومصر · وكذلك كانت أمريكا تنظر الى السلاح الذى يستخدمه الاسرائيليون ، نظرة النجاح أم الفشل ·

ومن منطلق عمق الادراك ، للتحولات العسكرية التى أحدثتها عمليات السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ، أتى حديث الرئيس محمد أنور السادات يوم ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، « **بأن التاريخ العسكرى سوف يتوقف طويلا بالفحص والدرس أمام هذه العملية** » ·

ويرتكز هذا الادراك على عدة حقائق من أهمها :

- أن ست سنوات ونصف سبقت الحرب ، تم فيها اعداد واستعداد وتجهيز وتسليح وتدريب ·
- ان الجزء الأكبر من الاعداد الهندسى للحرب ، ثم لعبور مانع مائى عريض ، ذى مزايا خاصة هو قناة السويس ·
- ان خط بارليف ، الذى امتد بطول القناة من شمالها الى جنوبها ، كان يمثل عقبة كأداء أمام الهجوم المصرى ، للافراط فى تحصينه ، والمغالاة فى تسليح نقطه القوية ·
- ان الصحراء المفتوحة التى دارت فيها أحداث الحرب ، لها طبيعتها ومميزاتها التى تحكم كثيرا من قواعد الحرب ، وأصول التكتيك ·
- ان أرض المعركة حفلت بالآلاف من قطع السلاح الشرقى والغربى المتنوعة الخصائص ، بين دبابة ومدفع وصاروخ ومجنزرة ·
- ان سماء المعركة عجت بمئات الطائرات ، التى تقذف حممها نحو أهداف الأرض ، وتنوعت أنواع هذه الطائرات بين مقاتلات ، وقاذفات ومقاتلات قاذفة وهيليكوبتر ، لتؤدى مهاما متعددة ومتنوعة ·
- ان أرض المعركة ، كان يحفها بحران كبيران ، هما البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ، وكان للقوات البحرية دورها فى العمليات ·
- ان دور الدفاع الجوى المصرى فى المعركة ، كان جديدا فى أساليب الحرب الحديثة حيث تميز بتكوين حائط منيع من الصواريخ متفاوتة المدى والارتفاع ·
- ان جندى المشاة كان له دوره التقليدى كعصب لكل خطوات العملية ، ودور جديد بالصواريخ سهلة الحمل ·

- ان الحرب رغم كونها فوق رقعة محدودة وبين دول نامية فقد صلصلت فيها صنوف سلاح مختلفة ، بعضها أحدث ما عرف في التكنولوجيا العسكرية ، من صواريخ محدودة المدى ، ومعدات اليكترونية ٠
- ان كفاءة الرجال في ادارة الحرب ، كانت تحكمها عوامل غير منظورة تتأرجح بين كفاءة القيادة المصرية ، ودقة الاعداد ، واستغلال عامل المفاجأة ، وارتفاع الروح المعنوية ٠

نظرة الى النتائج

عقب كثير من المحللين العسكريين ، على نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ في مختلف الدول ، سواء أمريكا أو روسيا أو أوروبا أو اسرائيل أو الدول العربية ٠ وفي تحليلاتهم القوا الضوء على فكر جديد في الحرب ، وقواعد جديدة استحدث استخدامها ، ونظريات حديثة بعثت الى الوجود ٠ ولكن الذي لا شك فيه أن هذه التحليلات ، نعتمد في كثير من استنادها على نتائج معلنة ، أو وثائق صريحة أو احصائيات ثابتة ، وتعتمد كذلك على الاستقراء والتخمين والاستنتاج ٠

ولذلك فان ما توصلنا اليه من تحليلات ، يمكن أن نعتبره بعضا من كل ، ونتائج لها ما بعدها من نتائج أخرى ، قد تكون أكثر دلالة ، وأعمق أثرا ٠ ذلك أن الحرب لها اسرارها التي لم يعلن عنها بعد ، ولها دقائقها التي ما زالت تضمها الخزانات ، بل ولها نتائجها التي ما زالت طي الكتمان في صدور الرجال ، ممن أداروا رحاها ووضعوا خططها وأحصوا نتائجها ٠

وأهم من ذلك كله ، أن الصراع الذي اشتعلت بسببه هذه الحرب ، ما زال محتدا ، وما زال قائما ، وما تم ليس أكثر من مرحلة قد يعقبها مراحل أخرى ٠ ولذلك قد تتوالى النتائج ٠

وقد برز من المحللين العسكريين – غير العرب – الجنرال الفرنسي « أندريه بوفر » رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية في فرنسا ، والخبير العسكري الأمريكي « دور ميدلتون » ، والباحث السوفيتي « شرايبر » ٠ وأعلنوا آراءهم في تحول الفكر العسكري العالمي على ضوء نتائج حرب أكتوبر ٠

كما عكفت مراكز ومعاهد ولجان عسكرية عليا في مختلف الدول على دراسة هذه النتائج ووضع التقارير عنها ، ومنها :

- معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن ٠
- معهد الدراسات الاستراتيجية في استكهولم ٠

- مركز الدراسات الاستراتيجية فى باريس ·
- اللجنة العسكرية لحلف شمال الأطلنطى ·
- اكاديمية العلوم العسكرية الباكستانية ·
- أكاديمية ناصر العسكرية فى القاهرة ·
- كلية القادة والأركان فى دمشق ·

بل لقد حضرت الى القاهرة لجان عسكرية من عدة دول ، لاجراء دراسات واقعية عن حرب أكتوبر وأبرزها وفد عسكرى أمريكى ضم خمسة من كبار المتخصصين العسكريين ، ووفد آخر سوفيتى · ووفد عسكرى هندى يرأسه رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة · أضف الى ذلك مئات المراسلين العسكريين ، الذين تدفقوا الى جبهة القتال من شتى الدول . وتناول كل منهم الموضوع من وجهة نظره ·

ولعله من العجيب أن مئات الكتب قد طبعت عن حرب أكتوبر ، فأرخت لأحداثها وسجلت حوادثها ، وعلقت عليها ، خلال شهور قليلة ، كثير منها ظهر فى أوروبا وبعضها ظهر فى أمريكا · أغلبها انحاز لوجهة النظر الاسرائيلية ، وبعضها سجل الحقيقة مجردة ، وما زلنا فى مصر ، نقرأ كل عدة أيام عن كتاب جديد تدفع به المطابع الى المكتبات · وما زالت مطابع بيروت النشطة ، تخرج الى الأسواق يوما بعد يوم بكتاب أو كتيب جديد يدور حول نفس الموضوع ·

هذا السيل الجارف من الكلمات المقروءة ، يعالج بعضه الفكر العسكرى الجديد الذى ظهر الى الوجود مع أحداث حرب أكتوبر · وليس من باب الفخر القول بأن حرب أكتوبر لم تكن فقط ملحمة فى البطولات من جانب الجنود العرب ، بقدر ما هى درس للاجيال المقبلة ، يمكن أن تمدهم بنور الخبرة ·

غير أن هناك حقيقة لابد من الاشارة اليها فى معرض هذا الحديث ، وهى أن المحقق يجد نفسه غارقا بين صفحات هذه الكتب ، تشده الكلمات، وتشده الصور لأنها كلها عنيت بما كان وركزت على تسجيل الأحداث . أما ما سيكون فلم يعرض له الا القليل منها ·

لذلك كان همنا الأول هو أن نرتفع فوق تسجيل الأحداث ، فهذه مهمة المؤرخين وأن ننظر الى النتائج ، وهذا واجب المحللين · ومن ثم فان موضوعنا هنا يعالج بالدرجة الأولى ، ما أسفرت عنه حرب أكتوبر من تحولات فى منطقة الشرق العربى ، وفى الفكر العالمى وان كان هذا قد يقتضينا أحيانا أن نلقى بالأضواء على التاريخ نستخلص منه ملامح المقارنة

بين ما كان وما سيكون · وينفرد هذا الباب بمعالجة ما طرأ على الفكر العسكرى وما سيضطر العسكريون الى ادخاله على ترسانات الأسلحة من تعديلات ·

وسيقتضينا ذلك عقد مقارنات بين الاسلحة العربية ، والأسلحه الاسرائيلية وتفنيد مزايا كل منها · ولكن أخذا بأسلوب عدم التعرض لما يقع تحت طائلة السرية ، لن نعرض الى أعداد ، أو الى أسماء خلاف ما رفعت عنه السرية ، ونشر عنه فى الصحف الغربية أو العربية · وقبل الخوض فى أية تفاصيل ، والتطرف الى أية نتائج نجد لزاما القول بأن التحولات فى الفكر العسكرى التى أحدثتها حرب أكتوبر ، لم تقف عند نطاق التكتيكات المحددة التى لا تمتد خلف ميادين القتال ، بل تطرقت الى الاستراتيجيات التى تربط الجبهات · فقد كان أروع ما فى هذه الحرب التنسيق الكامل بين سوريا فى الشمال ومصر فى الجنوب ، ووراءهما دعم عربى منسق ، أحسن البعض فى وضعه وكأنه مارد من الامكانات المادية والاقتصادية والبترولية والمعنوية تساند المعركة مما تديرها ، وأعطتها بعدا تجاوز حدود التكتيك · ومن ثم وقف العالم يقدم احترامه للعرب حيث لا احترام الا للقوة ، وحيث لا احترام للحق اذا لم تسانده قوة ·

ولكى لا يتشعب بنا الحديث ، سنمس جوانب من العمليات العسكرية لابراز ما أسفرت عنه من تحولات فى الفكر العسكرى ، عامدين الى تقسيمها وفقا لنوعيتها وخصائصها · فلا يعقل أن يختلط القول عن المدرعات بالحديث عن الحرب الألكترونية ، أو أن ندخل الدروس المستفادة من الطيران مع ما طرأ على حرب المدرعات ·

الفصل الأول

التخطيط للمفاجأة

بين المفاجأة ‥ والخداع

وضع بعض أساطين الفكر العسكرى عدة مبادىء للحرب ، لاخضاع دراستها لقواعد العلم وقد اعتبرها بعضهم كنابليون كثيرة ومتعددة تفوق المائة مبدأ عدا ، واعتبرها بعضهم فى العصر الحديث مبادىء معدودة لا تزيد عن العشرة بينما تختصرها المدرسة الاستراتيجية الحديثة التى يقف على رأسها « كلاوز فيتز » الى خمسة مبادىء فقط ٠ غير أن هؤلاء وهؤلاء يضعون مبدأ المفاجأة ضمن المبادىء العامة التى يجب الارتكاز عليها لتحقيق النصر ، ومن خلاله يمكن تحقيق المبادأة للسيطرة على الخصم وذلك مصداقا لقول الرسول الكريم « **الحرب خدعة** » ٠ والحقيقة ان التكنولوجيا الحديثة فى ظل الصواريخ والطائرات السريعة وثورة الاتصالات الاليكترونية قد أعطت عنصر المفاجأة أبعادا جديدة ، حيث يمكن السيطرة على الميدان خلال دقائق معدودة ٠ ودفعت به الى مقدمة كل العناصر ، حيث يتوقف على تحقيقه كل ما يأتى بعده ٠ بل لقد بلغ الأمر ببعض قادة الحروب النووية ، القول بأن النصر لمن يملك زمام المبادأة فى الحرب خلال الدقائق الأولى ، وظلوا سنوات طويلة يحسبون كم دقيقة تحقق النصر ، لو تأخر الرد المعادى ٠ ومع تقدم التكنولوجيا هبط العدد من عشرين دقيقة الى ما لا يجاوز ثلاث دقائق ٠

ولذلك نجد هناك نظريات فى علم الحرب تقسم المفاجأة الى أنواع تبعا لحجم القوات المشتركة فيها بين مفاجأة تكتيكية على مستوى القوات المتحاربة فى ميدان ، وبين مفاجأة تعبوية على مستوى الجيش ، وبين مفاجأة استراتيجية على مستوى الدولة ٠

والحق يقال أن المفاجأة فى حرب أكتوبر أتت من جانب العرب على مستوى التنسيق بين سوريا ومصر لتشمل جبهتين متباعدتين ، لتوقع اسرائيل فى لجة من الارتباك والتخبط ٠

ولا بد من وقفة هنا لنسترجع أن هزيمة الأمة العربية عام ١٩٦٧ ، أتت على غرة ، وفى غفلة من الزمن بسبب المفاجأة الاسرائيلية التى أخذت بأسلوب الغدر والمباغتة ٠

وعلى حد تعبير الأستاذ أحمد بهاء الدين فى كتابه « وتحطمت الأسطورة عند الظهر » ٠ فان هناك فارقا بين المفاجأة الغادرة والمفاجأة

المشروعة التى مارسها جيش مصر وجيش سوريا • فهى من صميم العمل العسكرى ، ووسط حلقات الصراع المحتوم وتحت سمع وبصر عدو نجحنا فى أن نصم أذنيه للحظات ، وأن نحول أنظاره لكى نأخذه على غرة •

والحقيقة أن أساليب الخداع التى اتخذت فى مصر كانت على مستويات متعددة شملت المستوى الدولى ، والمسرح السياسى ، ووسائل الاعلام ، وجيشين منتشرين على مواجهة طولها ١٨٠ كيلو • لذلك كانت من الحبكة والدقة بحيث تعتبر ضربة صائبة للمخابرات الأمريكية المركزية ، التى لا تبذ فى دقة تجميع المعلومات فى الخفاء • ورغم أن أمريكا تقهر العالم بالعلم والتكنولوجيا • وتفضح أسرار كل القارات سلبا وايجابا ، لمن يشاء ولمن لا يشاء بواسطة أقمارها الصناعية ، ولديها من وسائل التجسس والتصنت الالكترونية ما كان مضرب الأمثال سواء فى حرب فيتنام أو خلال معارك سيناء عام ١٩٦٧ . كمثل السفينة « بيوبللو » ، والسفينة « ليبرتى » ، فان كل هذا لم يجمع من المعلومات ما كان يمكن أن ينبىء بأخبار الحرب • والحقيقة المرة ، أن أطرافا من المعلومات تناهت الى اسرائيل ، عن الحشود والتحركات المصرية والسورية ، ولكن هناك فارقا بين تجميع المعلومات . وتحليلها • فلا جدوى من المعلومات دون محاولة استشفاف ما يعنيه أمر ما يختفى وراءها من مدلولات • لذلك فهناك فى أجهزة مخابرات كل دولة من يكلف بتجميع المعلومات سواء بواسطة التصوير الجوى أو الأقمار الصناعية أو العملاء أو التصنت اللاسلكى • ولكن أهم من هؤلاء من يقومون على تحليل هذه المعلومات واستخدام القياس والمنطق للولوج الى مدلول هذه المعلومات • وهذا ما حدا ببعض المعلقين الاسرائيليين الى القول « بأنهم رأوا وسمعوا ولكنهم لم يفهموا » • والأمر الواضح آن الأمر لم يقتصر على عدم الفهم فقط بل لقد غرق القادة الاسرائيليون العسكريون والسياسيون على السواء فى الشعور بالاستهتار والاستهانة بقدرات العرب ، مما قوى لديهم الاحساس باستبعاد أى اقدام على العمل المسلح فى حرب شاملة • بعد أن ثبت فى روعهم أن العرب لا يتقنون غير التناحر بالخطب والكلمات وأنهم قد استناموا الى الهزيمة ، بلا أمل فى اليقظة • ولو شئنا أن نسترجع الماضى ونرى أبعاد الصورة التى أغرقتهم فى هذا الاستهتار ، فسنجد أن حالة الوفاق الدولى التى فرضت فلسفتها على العلاقات الدولية كانت نهاية المطاف فى دفع الاسرائيليين الى ذلك • فقد طالت مدة الركود العسكرى فى المنطقة ، واصطلحوا على تسميتها بحالة « **اللاسلم واللاحرب** » ، وبعد اللقاء الثانى بين قطبى أمريكا وروسيا ، طلعا على العالم بأن أنسب الحلول لقضية الشرق الأوسط هى حالة « **الاسترخاء العسكرى** » التى يغط فيها أطراف المشكلة آنذاك • وكأن قضية

الشرق الأوسط ، أو قضية الحق العربى أصبح مكانها اللائق نلاجة الأمر الواقع القائم على بوادر استسلام العرب لسياسة القهر ٠

ومن ثم أتت المفاجأة العربية كوقع الصاعقة على المخابرات المركزية الأمريكية ، وعلى الفكر الأمريكى كله بل وعلى الفكر الاوربى كذلك ٠ وقد ورد تقرير احدى لجان الكونجرس الأمريكى عن ذلك « ان عملية التمويه والخداع التى صاحبت الاستعداد المصرى للقتال ، والقدرة على كتمان هذه الاستعدادات لفترة طويلة ، واخفائها عن أعين الاسرائيليين ، أمر يجب أن يلقى اهتماما كبيرا » ٠

على مستوى الدولة

وتنعكس الأساليب فى الأخذ بأسباب الخداع الاستراتيجى على مستوى أجهزة الدولة العليا فى مصر ، خلال عدة صور منها :

- عدم صدور أى اشارة أو بادرة اعلامية من أجهزة الاعلام المصرية تشير الى المعركة ، أو تذكى الحماس ، أو تهيىء الأذهان ، رغم أن النائب الأول لرئيس الوزراء (الدكتور عبد القادر حاتم) كان الوزير المشرف على هذه الأجهزة ٠
- وجود عدد كبير من الوزراء فى الخارج بين ٤ أو ٥ وزراء ، منهم وزير الخارجية ، (الدكتور محمد حسن الزيات) الذى كان فى لقاء مع وزير خارجية أمريكا فى اليوم السابق لبدء القتال ٠
- تعمد رئيس الجمهورية فى خطابه قبيل أيام من المعركة وفى ذكرى وفاة الرئيس جمال عبد الناصر يوم ١٨ سبتمبر أن يمر فى خطابه على ذكر المعركة ، مر الكرام وفى ختام حديثه بقوله :

« أيها الاخوة والأخوات ٠٠٠ لعلكم لاحظتم أن هناك موضوعا لم أتعرض له ٠ ولكننا نعرف هدفنا ونحن مصممون على تحقيقه ٠ ولن ندخر فى هذا السبيل جهدا أو نبخل بتضحية ٠ ولن أتحدث اليوم عن هذا طويلا ٠ ولكننى فقط أقول أن تحرير الأرض كما قلت مرارا هو المهمة الأولى التى تواجهنا ٠ وسوف نحقق هذا الهدف باذن الله٠انها ارادة هذا الشعب ٠ بل انها ارادة الله » ٠

موحيا للعالم باهتمامه بالأمور الداخلية كاصدار العفو عن المبعدين من رجال الصحافة ، والطلبة المعتقلين رهن التحقيق فى المظاهرات ٠

● تعمد أجهزة الاعلام المصرية التركيز على تصريحات الوزراء المختصين عن جهود توفير الغذاء واغراق الأسواق به بمناسبة شهر رمضان ، ايحاء بالانصراف الى عادة الاهتمام بأنواع خاصة من الأغذية خلال هذا الشهر .

والحقيقة أن الظروف الدولية قد ساعدت على استقطاب اهتمام أجهزة المخابرات الاسرائيلية بموضوعات هجرة اليهود عبر أراضى النمسا . فتحولت الانظار الى تهديدات الفدائيين الفلسطينيين لقطارات اليهود ومعسكر تجمعهم فى قلعة شوناو . وأتت قمة هذا الاهتمام فى وجود مائير رئيسة وزراء اسرائيل فى فيينا لمباحثات مع المستشار النمساوى كرايسكى حول هذه القلعة .

على مستوى القيادة

عمدت قيادة القوات المسلحة الى أساليب عديدة للخداع التعبوى على مستوى القوات كلها . وقد أتت هذه الأساليب استكمالا لحلقات الحفاظ على سرية قرار بدء المعركة ، وتوقيتها .

وفى سبيل الحفاظ على هذه السرية ، عمدت القيادة العامة للقوات المسلحة الى ضغط أعداد الضباط التى تعمل فى اعداد الخطة ، بالاضافة الى الدقة فى انتقائهم . ولم يكن على علم بتوقيت المعركة ، الا عدد قليل منهم .

ومن الأساليب المجدية التى ثبتت جدواها ، تعمد عدم نسخ المكاتبات المتعلقة بالخطة على الآلة الكاتبة ، وقيام كل ضابط مسئول عن أى جزء منها بكتابتها بخط يده .

وكانت الخطة الشاملة طى دفتى مجلد يحتفظ فيه « **اللواء محمد عبد الغنى الجمسى** » رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة ــ آنذاك ــ والذى كان عمله بمثابة المحور الذى تدور حوله الرحى ، فى مختلف الأسلحة والقوات .

ومع قلة عدد الأشخاص الذين شاركوا فى وضع الخطط التفصيلية فى كل ادارة أو سلاح أو قوات متخصصة ، فقد أثبت رجال مصر أنهم على مستوى المسئولية فى حمل الأمانة . ولم تظهر حالة واحدة لتسرب المعلومات الى خارج القوات المسلحة ، أو الى أية أجهزة أخرى مدنية . فقد كانت التوجيهات المعنوية تعنى بتلقين الجميع أن نبقى الأسرار حبيسة فى الصدور ، عن الزوجات والأصدقاء وحتى عن الذين لا يتعلق عملهم بها .

ورغم أن قرار المعركة كان قد اتخذ ، والقيادة فى حالة تأهب أثناء

مرحلة العد التنازلى ، فان الأمر كان يستلزم وضع كثير من الامكانيات والطاقات المدنية فى حالة تأهب واستعداد ، كالمستشفيات والمرافق وأجهزة النقل · ولكن كانت هذه الأجهزة قد تعودت على مثل هذه الحالات فى السنوات السابقة عدة مرات · وكان هذا المطب يتكرر فى العام الواحد عدة مرات عند قيام القوات المسلحة ، بأى مشروع ، أو مناورات ·

وكان الشعور السائد لدى كثير من قادة القوات المسلحة الصغار الذين لا يعملون فى الجبهة ، ولدى كثير من الأجهزة الحكومية التى يتعلق عملها بها ، أن هناك مناورة عسكرية كبرى ·

ولعل هذا الظن · كان هو نفس الظن الذى ساور الأعداء ، أو الذى أوحت به الظروف للمخابرات الأمريكية · فقـــد كان من عادة القوات المسلحة ، أن تقوم بمناورة كبرى على مستوى القوات كلها عند حلول كل خريف ·

ولقد زاد من حبكة هذا الظن مظاهر خداع ذكية ، أميط اللثام عن بعضها ، وما زال بعضها الآخر طى السرية · ومن هذه المظاهر :

* تعمد تسريح عدد كبير من الجنود قبل توقيت المعركة بمدة ثمان وأربعين ساعة · وتفننت الأجهزة فى اعلان واشاعة هـذا النبأ على جموع الشعب · وفى الوقت نفسه كانت عملية استدعاء آلاف الجنود الفنيين من الاحتياط قائمة على قدم وساق ·

* أذيع على صفحات الجرائد ، فتح باب أداء العمرة للضباط ، على دفعات · وكان هذا الأمر غير متيسر من قبل ، بل كان الضابط لا ينال أجازة سنويةغير عدد قليل من الأيام قد لا تتجاوز أسبوعا ·

وعلى نفس المنوال ، سمح للضباط وضباط الصف ، بدفع رسوم أداء فريضة الحج ، على أساس تنظيم السفر لأدائها على دفعات تشرف عليها القوات المسلحة ·

على مستوى الجبهة

فاذا ما انتقلنا الى الجبهة ، حيث انتشرت مئات الوحدات التى تضم كل منها آلاف الرجال يمثلون فى مجموعهم جيشين كاملين ينتشران فوق جبهة يبلغ طول مواجهتها ١٨٠ كيلو مترا بحذاء قناة السويس بكاملها وأعماقها تنسحب حتى القاهرة حيث قاعدة الامداد الرئيسية ، وهناك كانت التعليمات قد نفذت بصرامة لتمثل فى مجموعها محصلة خطة الخداع

كاملا • وقد كان المؤدى المنشود أن يحس العدو أن الجيش يقوم بمناورة الحروب التدريبية مثل ما تكرر خمس مرات خلال العاملين السابقين •

※ وفى حديث للسيد وزير الحربية أدلى به لأحد محررى الصحف ، اوضح أن أسلوب حشد الوحدات وتزايدها ، كان يتم فى هدوء ووفق مخطط بدأ منذ عدة شهور قبل بدء المعركة حيث كان يدفع بوحدة كبرى كلواء الى الأمام يقوم بتدريباته ، ثم يسحب غير كامل الى الخلف بعد أيام موحيا بأنه أنهى تدريبه ولكن تتخلف منه فى الجبهة وحدة ككتيبة ، لذلك درج العدو على تعود مراقبة وحدات تتقدم نحو الجبهة ، وأخرى تتركها •

※ وبينما كانت مهمات العبور هى الدالة القوية التى يمكن أن يستشف منها العدو نوايا العبور ، فان الدفع بها الى الجبهة كان يتم فى هدوء كذلك ، حيث كان يدفع بها الى الجيوش تحت جنح الظلام ، وتتحرك قولاتها من مخازنها فى صناديق خاصة ، وتحت أغطية تصور لرائيها انها من مهمات المهندسين • وفى الجبهة تودع فى حفر شأنها شأن ما يكدس من تشوينات الجيوش تحت أغطية خاصة •

※ ولقد صدرت الأوامر للقوات التى ستعبر القنـاة بعد نفخ قوارب العبور بالهواء المضغوط الا فى اللحظات الأخيرة قبل ساعة الصفر ، حيث كان صوت الهـواء المضغوط يمكن أن يكتشف من الضـفة الأخرى للقناة •

※ لم تصدر الأوامر للضباط والجنود الصائمين ، أن يفطروا الا فى مرحلة الاعداد للعبور •

※ رغم أن الساتر الترابى على الضفة الغربية للقناة ، كان يخفى أغلب تحركات القوات خلفه ، فان قمة الخداع أتت فى دفع جماعات صغيرة من كل وحدة ، أمام هذا الساتر سميت جماعات الكسل • وكلفت بمهام ، تعتبر أغرب ما يمكن أن يكلف به جندى • فقد كانت الأوامر لهم أن يستحم بعضهم فى القناة على غرار ما يفعلون كل يوم ، وأن يجلس بعضهم على حافتها حاسرى الرؤوس بلا خوذات ، يمصون القصب أو يصطادون السمك أو يلقون بقشر البرتقال فوق المياه ، ويلعبون كرة القدم • بينما يقوم آخرون برى الحدائق التى تكسو مساحات كبيرة من المبانى أمام مدينة الاسماعيلية •

هكذا كان كل ركن فى الصورة يوحى بأن الأمور تمضى كما مضت آلاف الأيام السابقة ، فى هدوء •

التخطيط لساعة الصفر

يمثل اختيار توقيت بدء المعركة ، عملا اتخذ فيه الأسلوب العلمي بأجلى صورة . وعن هذا المعنى عبر المشير أحمد اسماعيل وزير الحربية بقوله « لقد كان تحديد يوم (ى) عملا علميا على مستوى رفيع . ان هذا العمل سوف يأخذ حقه من التقدير وسوف يدخل التاريخ العلمى للحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية والبحث الأمين » .

ولو شئنا تحليل هذا العمل فحسبنا أن نعرف أن توقيت مثل هذا العمل المصيرى يرتبط بعدة عوامل . تدخل فيها دراسة احصائيات عن الطقس ربما تمتد لعدة أعوام لاستخلاص نتيجة واحدة ، ويستلزم دراية بأحوال فلكية متعلقة بالقمر والنجوم وميول الشمس ، ويستوجب معرفة لمناسيب المياه فى المد والجزر عبر القناة .

ولعلنا نذكر أن عدوان عام ١٩٥٦ اختير له يوم ٢٩ من شهر أكتوبر لأن فصل الخريف فى مصر يتميز بجو مستقر أشبه بجو الربيع ، ويسوده طقس صحو وغير ممطر .

ومعروف أن القمر يكتمل بدرا فى اليوم الرابع عشر الهجرى ، ولكن الأيام الخمسة السابقة ليوم اكتمال البدر ، تعتبر ليالى مقمرة يغمرها بنوره حيث يكون القمر فى التربيع الأول ، وفى مثل هذا النور يمكن للقوات المتحاربة العمل فى ضوء كاف للقيام بمثل مد المعابر ، واقامة الكبارى ، ولتندفق المعدات فوقها لتحتل مواقعها .

ولقد ساعد على تحقيق المباغتة لاسرائيل — كما سبق القول — انشغال مخابراتها بقضية قلعة شوناو فى النمسا ، واستعداد حكومتها للانتخابات العامة فى الوقت الذى كان فيه قرار بدء المعركة قد تم .

ولاختيار الشهر واليوم والساعة ، تكمن الموازنة بين عدة عوامل لاختيار أنسبها .

* عن الشهر :

أختير شهر أكتوبر ، بسبب جو الخريف الصافى . ولطول فترة الليل به حيث يبلغ اثنتى عشرة ساعة بما يسمح بمواصلة العمل بعد العبور طوال الليل . ولموافقة حلول شهر رمضان به ، حيث يظن إنشغال المسلمين بالصيام عن العمل . كما أنه فى هذا الشهر يوافق حلول ثلاثة أعياد يهودية تعطل فيها الأعمال ، ويكاد العمل يصل فيها لدى غلاة المتدينين

من اليهود الى حد التحريم • وفي أغلب هذه الأعياد يقبع اليهودى فى منزله ، أو فى دور العبادة •

* وعن اليوم :

اختير يوم السادس من أكتوبر ليوافق العاشر من رمضان حيث يكون الليل مقمرا • وليوافق يوم السبت ، وهو يوم عيد الغفران لدى اليهود • وفي مثل هذا اليوم يكون الفرق بين منسوب مياه القناة أثناء المد والجزر غير كبير •

* وعن الساعة :

اختيرت الساعة الثانية لتكون قمة المفاجأة فى عدم تعود الجيوش على ذلك حيث شاع بدء المعارك فى أول ضوء أو آخر ضوء • ولعلنا نذكر أن العدو عندما قام بضرب مطاراتنا يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ فى الساعة التاسعة ، اعتبر ذلك مفاجأة لأن المتحاربين تعودوا على بدء الحرب فى أعقاب الفجر • ولكن كان اختيار الساعة الثانية ليتيح مدة تقرب من أربع ساعات قبل غروب الشمس ، تكون كافية لتحقيق ضربات الاحباط التى يقوم بها الطيران والمدفعية وأفواج العبور الأولى ، وتكون كافية لنقط المراقبة وطائرات الاستطلاع لتصوير نتائج هذه الضربات • وليبدأوا بعد حلول الظلام فى مد كبارى العبور •

وخلال هذه المدة الوجيزة يصعب على العدو الرد قبل حلول الظلام حيث تكون مطاراته معطلة ويلزمه على الأقل ست ساعات لاصلاح ممراتها • ولذلك فلن يستطيع القيام بهجوم مضاد ، كما لن تتمكن طائراته من العمل بحرية الا فى صباح اليوم التالى •

وفى مثل هذا الوقت تكون الشمس كما يقول العامة فى « عين العدو » مائلة عن السحب وتميل نحو المغرب ، حيث يصعب على العدو متابعة الحركة فى هذا الاتجاه •

محصلة المفاجآت

أتت محصلة خطط الخداع ، وأخذت الحكومة والقيادة المصرية بأساليب السرية والأمن ، باحداث المفاجأة فى كامل صورتها لدى قادة اسرائيل • ولم تتحرك القيادة الاسرائيلية لاعلان حالة التعبئة العامة الا صباح يوم السادس من أكتوبر • وعندما أخذت الاذاعة تردد نداء « قدر اللحم » • لم يكن هذا النداء يصل الا للقليلين الذين يسمعون الاذاعة فى هذا اليوم •

وحتى هؤلاء الذين تركوا ملابسهم المدنية وارتدوا على عجل سترة الميدان تجمعوا فى مناطق التجميع تمهيدا لترحيلهم الى الميدان · وأصابهم الملل قبل الظهر · عندما لم يجدوا أى بادرة تنذر ببدء الحرب ·

وفى تقرير لاحدى لجان الكونجرس الأمريكى عن الحرب وما يشير الى خطط المفاجأة المصرية الفقرة التالية :

« بالاضافة الى أن عملية العبور تعد فى ذاتها مظهرا مؤكدا لتحسن القدرة القتالية ، فان عملية التمويه والخداع التى صاحبت الاستعداد المصرى للقتال والقدرة على كتمان هذه الاستعدادات لفترة طويلة واخفائها عن أعين الاسرائيليين أمر يجب أن يلقى اهتماما كبيرا » ·

الفصل الثانى

«ملحمة العبور»

بين تمهيد المدفعية ، وتجهيز المهندسين
وجسارة المشاة ، وبطولات الصاعقة



« سوف نسلم أعلامنا مرتفعة هاماتها عزيزة صواريها .. »

محمد أنور السادات

الحرب عبر أوسع الموانع المائية

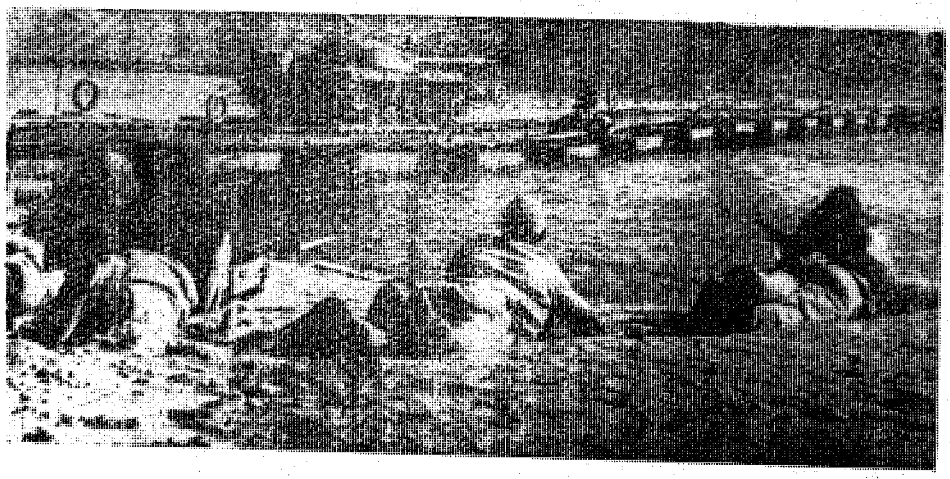
تمثلت أهمية خط بارليف كخط دفاعي ، في ارتكازه على قناة السويس كمانع مائي يوازيها ولا يبعد عنها الا قليلا . فأتت جهود الهندسة العسكرية التي بذلت في تصميم نقطه الحصينة مضاعفة لاعاقة أي تقدم لعبور القناة من الغرب الى الشرق . ذلك أن قناة السويس وحدها تعتبر في العرف العسكري مانعا فريدا وصعبا يختلف عن سائر الأنهار في كونها :

- تنحدر شواطئها من الجانبين انحدارا حادا بواسطة حواف تتكون من الأحجار المتماسكة ، للاحتفاظ بالقناة كخط ملاحي بحري . ومن ثم فان اجتياز القناة بأي وسائل للعبور ـ كالدبابات البرمائية ، أو القوارب يلزم له اعداد هندسي مسبق .

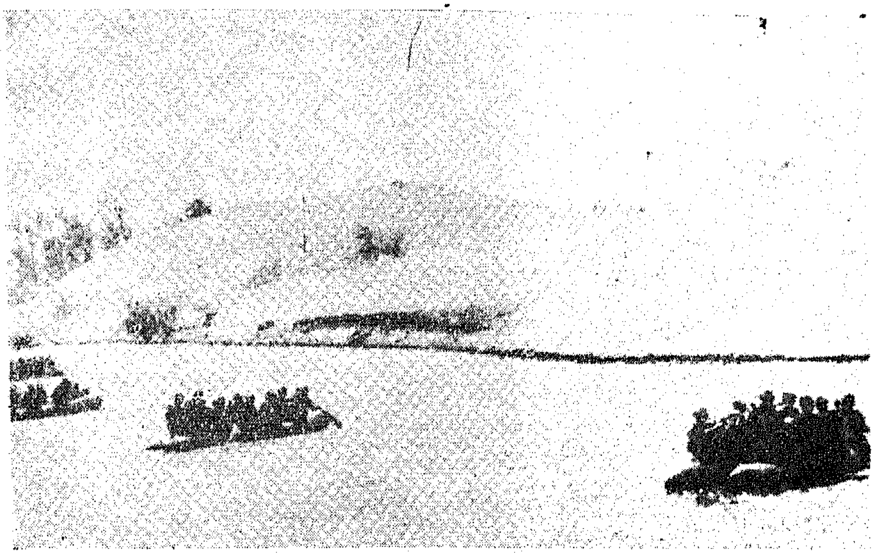
- ان القناة تمتد لمسافة ١٨٠ كيلو مترا لتفصل بين الجيشين الثاني والثالث المصريين غربا ، وجيوش اسرائيل المتوزعة في سيناء شرقا . وتتبدل سرعة اتجاه تيار الماء في القناة أربع مرات يوميا . ولذلك يتغير منسوب ارتفاع الماء بها وفقا للمد والجزر ، حيث يبلغ أقصى مداه ١½ متر في الجنوب . ولذلك كان لزاما اختيار أنسب الأوقات للعبور استغلالا لأنسب أوقات ارتفاع المد .

- يوجد بحذاء الجزء الشمالي من القناة جنوبي بور فؤاد وحتى جنوب رأس العش منطقة من الأراضي الطينية الرخوة المغمورة بالمياه الضحلة ، والتي تسمى « سبخة » ، حيث يصعب مرور المركبات والأفراد الا فوق مدقات سابقة التجهيز .

- يوجد بحذاء الجزء الجنوبي من القناة وشمالي بور توفيق تضاريس جبلية حادة ، بخلاف سائر المناطق ، تحد من مرونة حركة الآليات ، وتساعد على أخذ هيئات مرتفعات حاكمة .



كبارى العبور .. مدت خلال ساعات



قوارب العبـور

- يتراوح عرض القناة بين ١٠٠ ، ١٨٠ مترا وفي بعض الأحيان تصل الى ٢٢٠ مترا ، بينما يتفاوت عمقها بين ١٤ ، ١٨ مترا ، وتتسـع القناة اتساعا غير عادى عند بحيرتين أصغرهما بحيرة التمسـاح جنوبي مدينة الاسماعيلية ، والأخرى هي البحيرات المرة الأكثر اتساعا والتي تمتد لمسافة أطول قبيل السدس الجنوبي من القنـاة شمالي مدينة السويس .

وهذه البحيرات لاتصلح كمناطق للعبـور نظـرا لعرضـها البـالغ لامكان تعرض القوات العابرة خـلال وقت طويل للنيران المعـادية .

- وجود سد ترابي بحذاء الشاطيء الشرقي للقناة ، نتج عن عمليات تعميق القناة قبل اندلاع حرب ١٩٦٧ ، حيث ألقت به الكراكات المصرية عمدا على هذا الجانب غير الآهل بالسكان .

ولقد استغل الاسرائيليون وجود هذه الكميات الهائلة من الرمال وأكملوا الثغرات التي بينها ، وزادوا من ارتفاعها ، وجعلوا منها سـدا

متصلا لبنراوح ارتفاعه بين ١٢ ، ٢٠ مترا • ويصعد أحيانا في بعض المناطق الصالحة للعبور الى ٣٠ مترا وأزاحوها غربا لتلامس حافة القناة تماما وتنحدر نحوها بزاوية ميل حادة • ومن ثم أصبح هذا السد ضمن الموانع الطبيعية التي تجعل من العبور عملية صعبة لفرد المشاة وللدبابات البرمائية • ولابد من الاشارة الى أن بعض أجزاء هذا السد الترابي كانت من الرمال المفككة المنهالة فى أكوام فوق بعضها . ولكن بعضه الآخر كان من الطفلة الطينية الأكثر تماسكا ، والتى تتحول الى طينة لزجة عند سقوط الماء عليها • وفى جوف هذه الرمال أقام العدو نقط مراقبة حصينة •

ولابد من أن نضيف الى ذلك أن هذا السد ، لم يكن يشكل مانعا فحسب بل كان ستارا كثيفا أيضا يخفى وراءه كل تحركات العدو ، ولابد لكشفها من وجود كل نقط المراقبة فى مستوى أعلى من ارتفاع السد •

وقد قام المصريون على الشاطىء الغربى للقناة باقامة سد ترابى آخر لاخفاء تحركاتنا خلفه عن أعين الأعداء . ولكن كان من السهل فتح ثغرات فيه عند الرغبة • وكان لزاما أيضا أن نقيم مصاطب عالية فوق هذا السد الترابى لدباباتنا ، وهذا يعنى جمع رمال وأتربة قدرت بما يزيد على عشرة ملايين متر مكعب •

كل هذه الخصائص الطبيعية الفريدة فى نوعها جعلت من قناة السويس مانعا مائيا . صعب العبور أمام القوات المصرية ، ومن ثم فان الخبرات العسكرية لعبور الموانع المائية المعروفة فى العالم لم تكن تكفى لأن تحقق لمصر ما تريد • بل لم تكن عمليات العبور فى التاريخ العسكرى بالأمور المستحيلة ، وان كانت من العمليات الصعبة التى تتميز بكثرة خسائرها • والتاريخ يحكى لنا كم من ألوف الجنود لقوا حتفهم ولم يستطيعوا أن يحققوا شيئا عند محاولة عبور المستنقعات الصناعية التى اصطنعها الألمان فى شمال فرنسا لاعاقة غزو الحلفاء فى نورماندى فى الحرب العالمية الثانية • ومثل ما اصطنعته القوات الهولندية لاعاقة تقدم القوات الألمانية عبر أراضيها المنخفضة • وحدث نفس الأمر غرب الاسكندرية عام ١٩٤٢ لاعاقة تقدم الزحف الألمانى الذى كان يقوده روميل عبر الصحراء • بل أن فرقا كاملة لقيت مصرعها المروع وهى تحاول اجتياز هذه المستنقعات الضحلة •

ورغم أن التكنولوجيا العسكرية الحديثة قد ذللت ، كثيرا من مشاكل العبور ، وأصبحت هناك الدبابات البرمائية التى تستطيع الطفو فوق سطح الماء ، وأصبحت المعابر والكبارى العسكرية ، أكثر تطورا ، وأكثر سهولة فى تركيبها ، الا أن الموانع المائية مازالت عقبة كأداء فى طريق الجيوش • تقف الى جانب المدافع ، وتشكل صعوبة للمهاجم •

وتحتاج الى تجهيزات خاصة ، ونسب الخسائر فيها لكل الأطراف أعلى من نسب خسائر أى عمليات تتم فوق مناطق ذات طبيعة أخرى ٠

ولابد من الاشارة الى ان العدو الاسرائيلى ضاعف من مشاكل عبور القناة باقامة خزانات للمواد الملتهبة تحت سطح الأرض على جانب القناة يسع كل منها ٢٠٠ طن من النابالم ، أو الجازولين ولذلك كان يصعب تدميرها بالمدفعية ٠ وجعل هذه المستودعات على مسافات متقاربة ، وأوصلها بشبكة من الأنابيب تنتهى تحت سطح مياه القناة ٠ وهذه المواد الملتهبة لها خاصية الطفو فوق المياه ، واذا ما اشتعلت جعلت من سطح الماء أتونا طافيا يمكن أن تندلع منه ألسنة اللهب الى ارتفاع متر ، وترتفع درجة الحرارة الى ٧٠٠ درجة مئوية لتحرق أية قوارب أو عبارات أو دبابات برمائية ٠ كما يمكن ان يطيح بالكبارى التى نمتد ويجعلها هشيما تذروه الرياح بعد حين ٠ بل لقد تمادى الاسرائيليون فى وصف آثار هذه الخزانات ، بأن حرارة النيران الناجمة عن هذا السعير ، يمكن أن تشوى الأسماك التى فى قاع القناة ، وتلفح الأشخاص الذين يبعدون عنها الى مسافة ٢٠٠ متر ٠

ولم تكن هذه الخزانات ، معدة لتفرغ محتوياتها مرة واحدة ، بل كان يمكن تغذيتها وتجديد ما تفرغه فوق السطح ، عبر شبكة أنابيب ووحدات دفع يتم تشغيلها من النقط الحصينة فى خط بارليف ٠

كل هذه العقبات الطبيعية ، والصناعية ، شكلت من قناة السويس مانعا مائيا أسطورى الصعوبة ٠ وهذا ما جعل تركيز العسكريين المصريين بالدرجة الأولى على تدريب الجنود على عمليات عبور الموانع المائية ٠ ولم تفقد القيادة المصرية ايمانها بامكان اجتياز كل هذه العقبات ٠ فقد صرح مسئول عسكرى مصرى كبير عقب احدى المناورات « ان قناة السويس تعتبر أصعب مانع مائى فى العالم ومع ذلك فاننا سوف ننجح فى اقتحامه باذن الله » ٠

٭خط بارليف وبيت العنكبوت

أحيا خط بارليف الذى أقيم موازيا لشاطىء القناة الشرقى موات نظرية عسكرية قديمة ، عن الخطوط الدفاعية المحصنة تحت الأرض ٠ فقد كان آخر العهد بهذه الخطوط هو خط « ماجينو » الفرنسى الذى بلغ عمقه ثمانية أدوار وأقيم بحذاء الحدود الفرنسية الألمانية ٠ وازاء تحصيناته المنيعة ، لم يجد هتلر وسيلة للتغلب عليه الا تفاديه والالتفاف من حوله ، عبر أراضى بلجيكا ٠ وأمام خط ماجينو ، كان يرقد خط

« سيجفريد » الألمانى كذلك • وكلاهما لم يلعبا فى الحرب العالمية الثانية أى دور ، وبالتالى لم تكن الأموال الطائلة التى أنفقت عليهمـــا الا هباء ضائعا • وبعد الحرب العالميـــة الثانيـــة أقام الأمريكيون الخط الدفاعى «مينيسوتا» داخل الأراضى الكورية •

ولقد أتى خط بارليف ليعكس الفكر اليهودى الراسخ فى عقولهم منذ ما قبل الاسلام ، وليعيد الى الأذهان حصون خيبر التى وصفها القرآن الكريم « لايقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد • تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » • والحقيقة أن خط بارليف الذى عصفت به القوات المصرية فى أكتـــوبر ١٩٧٣ لم يكن الجهد الأول « لبارليف » بل كان المحاولة الثانية له • فقد سبق أن أطاحت المدفعية المصرية خـــلال حـــرب الاستنزاف بخطـــه الأول ، الذى لم يكن أكثر من حصون متناثرة على هيئة دشـــم محصنة يبرز أكثرها فوق سطح الأرض ، فدكتها المدفعية المصرية دكا وانتهت حرب الاستنزاف التى لعبت فيها مدفعية الميدان المصرية دورا تاريخيـــا خلال أعوام ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، وانتهى معها خط بارليف الأول • وعلى ضوء الدرس الذى تلقاه بارليف عن خطه الأول ، وضع تصميم خطه الثانى • وبكل المقاييس العسكرية ، وبكل موازين الهندسة العسكرية ، وبكل معايير التسليح ، يمكن القول ان خط بارليف الثانى كان أكثر خطوط الدفاع الثابتـــة مناعة فى التاريـــخ ، وكان أكثرها تحصـــينا وأحسنها تجهيزا • ومن ثم أغدق فى الانفاق عليه ، اذ بلغت جملة تكاليفه ما يقرب من ٢٣٨ مليون دولار وتطل الاستراتيجية الاسرائيلية من خلف المغالاة فى تحصين هذا الخط خلال تصريحـــات العســـكريين الاسرائيليين ، الذين اطمأنوا الى استحالة عبـــوره أو اجتيـــاز نقطه الحصينة • ففى أكثر من مناسبة صرح « ديان » وزير الدفاع الاسرائيلى « وبارليف » رئيس الأركان وصاحب فكرة الخط ، أن هذا الخط سيكون الصخرة التى يتحطم عليها عظام المصريين ، وسيكون مقبرة الجيش المصرى • وشط خيال الاسرائيليين فى تصور مدى مناعة الخط ، بالاضافة الى عائق السد الترابى ، وتجهيزات اتصال مياه قناة السويس ، فصرح قادتهم « ان المصريين لا يعرفون أى جحيم سوف ينصب عليهم عندما يضعون أقدامهم خارج الضفة الغربية للقناة » • وان الخط غير قابل للتدمير حتى بالقنبلة الذرية •

وفى غرور قالت مائير يوما « أن تصور عبـــور القوات المصرية الى الضفة الشرقية يعتبر اهانة للذكاء » •

ولعلنا لو استطلعنا خريطة الخط نفسه وطريقة تحصينه ، ترتسم أمامنا صورة واضحة عن مناعته •



في ست ساعات ، حطم المقاتل المصري خط « بارليف » الذى تكلف ٢٣٨ مليـــون دولار .

- لم يكن الخط نفسه متصلا ، بل تكون من عدة نقط حصينة بلغت (٢٢) موقعا ، تضم (٣١) نقطة حصينة • يكسو كل منها مساحة تتراوح بين ١٠٠٠ و ٤٠٠٠ متر مربع •

- تمتد النقط والمواقع من رأس العش جنوبى بور فؤاد شمالا حتى الشط شمالى بور توفيق جنوبا • وبفواصل فيما بينها متفاوتة تصل الى أربعة أو عشرة كيلو مترات أحيانا • وقد أختير موقع كل نقطة لتتحكم فيما حولها من هيئات وطرق وتركز عدد كبير من النقط فى القطاع الجنوبى من القناة الذى يؤدى الى ممر متلا •

- تتكون كل نقطة من عدة طوابق تغوص أغلبها تحت الأرض ، وتعلو حتى تصل الى ارتفاع الساتر الترابى الذى يصل الفراغات التى بينهـا •

وهكذا أتت هذه النقط كأنما هى قلاع حصينة بنيت وسط هذا الساتر • ولقد وضحت المغالاة فى تحصينها بالأسمنت المسلح ، والأحجار الصلبة ، التى تحتويها شباك تجعل من مجاميعها كتلة واحدة • بالاضافة الى قضبان السكك الحديدية المنتزعة من خط سكة حديد سيناء ، الى شكاير الرمال • وكلها طبقات بعضها فوق بعض لتتحمل القصف المباشر حتى قنابل عيار ١٠٠٠ رطل •

- يضم كل موقع ، ملاجىء للأفراد مزودة بمزاغل ، مراقبة بالمناظير البيروسكوبية ، والتلسكوبية ، ومواقع للأسلحة الخفيفة والثقيلة ، بالاضافة الى ملاجىء للنوم ، ومخازن للمؤن • ويكسو الموقع من أعلاه وجوانبه أسلاك شائكة ، تمتد عبر قضبان حديدية وتتوزع حوله حقول ألغام تعد بالآلاف ، لتعوق أى هجوم عليه •

- واذا ما هبطنا الى داخل الموقع وجدنا أجزاءه المختلفة ، تربط فيما بينها خنادق مواصلات محصنة الجوانب بألواح الصاج والعوارض الخشبية ، وشكاير الرمل • وأنه مزود بالأسلحة الخفيفة من رشاشات ومدافع مضادة للدبابات ومرابض للمدافع الهاون ، والمدافع المضادة للطائرات فى تنسيق للنيران بين المواقع المتقاربة • وأغلب مداخل الموقع مزودة بأبواب من الصلب السميك والواح الحديد • وفى المواقع التى كانت مجهزة لوجود دبابات ، كانت هناك تجهيزات تسمح لهذه الدبابات بالصعود فوق مزالق لتضرب منها ، ثم تعود لتهبط فوق منحدرات لتختفى •

- وتجهز كل نقطة دفاعية بمطبخ للطعام ومياه جارية وكهرباء



علم اسرائيل .. هبط من فوق مواقع بارليف

ومستودع أغذية . وكل موقع به طبيب مقيم ومركز اسعاف وبلدوزر لفتح الطريق عند انهيار الرمال دون طلب معونة من سلاح المهندسين . وليتحقق له استقلال شبه ذاتى .

- يتصل كل موقع بالمواقع الأخرى سلكيا ولاسلكيا بالاضافة الى اتصاله بالقيادات المحلية . مع ربط الخطوط التليفونية بشبكة الخطوط المدنية فى اسرائيل ليستطيع الجندى فى الخط أن يحادث منزله فى اسرائيل .

العبور واجتياح الخط

قبل أن تبدأ ملحمة العبور ، كانت أكثر من مائتى طائرة مصرية تدك أهداف العدو فى سيناء بضربتها المركزة المذهلة • وكان أكثر من ألفى مدفع يلهبون خط المواجهة بالنار • وكان ثمانية آلاف جندى يتحفزن على أهبة الاستعداد لركوب زوارق العبور •

وما كادوا يجتاحون خط بارليف بعد دقائق من ساعة الصفر ، التى حددتها القيادة المصرية يوم العاشر من رمضان ، حتى تهاوت نقط الخط كما يتهاوى بيت العنكبوت • وخلال الاثنتى عشرة دقيقة الأولى من بدء العبور تهاوت النقطة الحصينة الأولى ، لتثبت أنها على مناعتها كنمر من الورق ، يرعب ولا يخمش • وارتفع علم مصر فوق أغلب نقط الضفة الشرقية • وخلال اليوم الأول دمر ١٤ موقعا ، وخلال اليوم التالى تهاوت تسعة مواقع • وبعد أيام كان حلم اسرائيل قد أصبح حلما ، وتبخرت ملايين الدولارات التى تدفقت من يهود أمريكا ، مع رمال الصحراء ، عندما صدرت الأوامر بنسف كل الخط ، وترك بعض تحصيناته للذكرى لا غير •

ومع هذا النصر ، الذى أذهل العالم فى سرعته أنكر قادة اسرائيل ما كانوا قد قالوه عن مناعة الخط وحصانته ونيرانه ومناعته • وأصبح فى عرف ديان « شريحة من الجبن الجربير به من الثقوب أكثر مما به من الجبن » بينما تنصل بارليف صاحب فكرة الخط من زعمه عن مناعة الخط وقال « ان جيش الدفاع الاسرائيلى لم يستعمل اصطلاح « خط بارليف » اطلاقا ، والصحافة فقط هى التى تداولت هذا الاصطلاح • وأن أى شخص عادى ليدرك أن عشرين تحصينا لم تكن لتوقف وحدها هجوما شاملا » •

ولابد من الوقوف أمام حقيقة العبور ، وقفة تأمل ودراسة ، لأننا كما قلنا لا يعنينا تسجيل الأحداث ، بل يهمنا ما بعدها • ذلك أن الدراسة ستنتهى بنا الى التأكد من أن مشاكل عبور قناة السويس أكبر مانع مائى عرف فى تاريخ الحروب ومصاعب اجتياز السد الترابى ومخاطر نقط خط بارليف الحصينة كأنما كانت مسألة رياضية أمام القادة العسكريين ، لها افتراضاتها ، ولها أيضا حلولها • ولكل حل طريقة بل أكثر من طريقة ، وكان عليهم اختيار أنسبها •

ولم تكن هناك فرصة لنسيان فرض من الفروض ، أو تجاهل مشكلة من المشاكل والا أثر ذلك على بلوغ الحل • ومن ثم أتت حلول كل مشكلة على حدة ثم تجمعت الحلول ، لتنسج قرارا كان معلقا به مصير أمة ، وكرامة

القومية العربية كلها ، ومكانة جيش تدرب وأعد نفسه ستة أعوام كاملة ، لهذه اللحظة الحاسمة ٠

ومن حقنا ونحن ننظر الى النتائج أن نلقى الضوء على هذه الحلول ، لكى ندرك أن أغلبها كان ابتكارا فى الهندسة العسكرية يستحق من العسكريين وقفة لا للتأمل ولكن للدراسة ٠

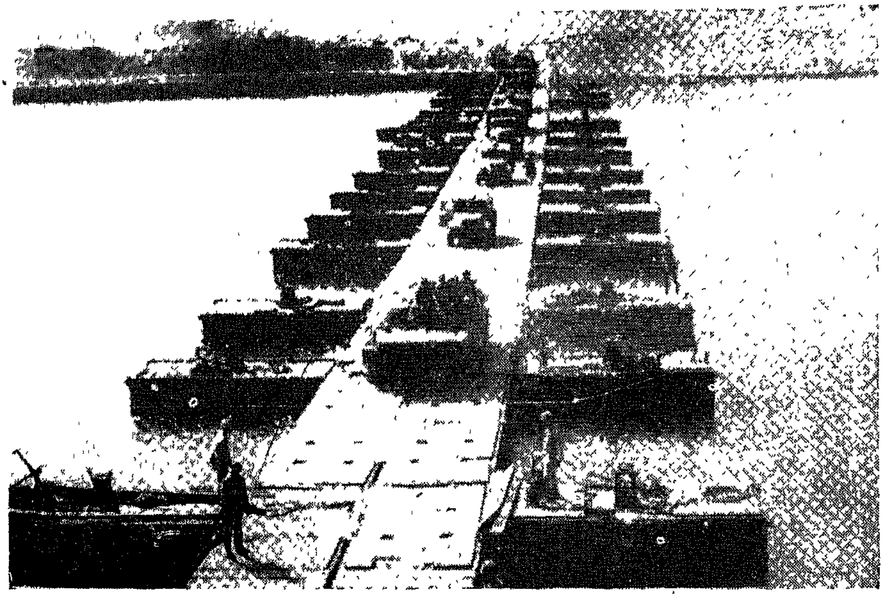
وهنا لابد من الاشادة بأن سلاح المهندسين المصرى ، قد لعب دورا تاريخيا فى ترجمة هذه الحلول للواقع ، والتدرب على سرعة العمل بها تحت نيران المعركة ٠ وفى الوقت الذى احتدم فيه سعير القتال ، كان مدير هذا السلاح « **اللواء مهندس جمال محمد على** » يشرف بنفسه على مد جسور العبور أمام الجيش الثالث ، وبينما كان نائبه « **اللواء مهندس أحمد حمدى** » يمد الجسور فى منطقة أخرى ، ولقى ربه كأنبل ما يمضى الرجال فى لحظات اداء الواجب ٠

❊ تسلل أفراد من جنودنا قبل بدء العبور وسدوا مواسير خزانات المواد الملتهبة المنتهية الى الماء ، بواسطة حقن من الأسمنت سريع الشك ٠ فأصبحت مئات الأطنان من هذه المواد حبيسة داخل خزاناتها ولم يفلح العدو فى اشعال حريق واحد ٠

❊ جرت دراسة دقيقة مسبقة لاتجاهات التيار فى القناة ، كان من نتيجتها أن مئات القوارب التى أخذ الجنود يعبرون بها القناة تبحر وهى فوق الريح ، ليبلغوا الجانب الآخر من القناة ، ويتسلقوا السد الترابى فوق سلالم ذات عوارض خشبية تربطها الحبال وزلاقات من الصاج بعد أن كانت آلاف المدافع قد دكت الحصون بمقذوفاتها ، ومهدت لمقدمهم ٠

❊ ابتكرت طريقة حديثة لفتح الثغرات فى السد الترابى ، هى طريقة مبتكرة اقترحها ضابط مهندس شاب ، وأثبتت فاعليتها ، فى فتح الثغرة الواحدة فى السد الترابى خلال ٣ ـ ٥ ساعات ٠ سميت هذه الطريقة باسم « التجريف » أو « مدافع الماء » وتعتمد على ضخ المياه من القناة نفسها بواسطة طلمبات تحت الضغط العالى ٠ وخلال ساعات كانت عشرات الثغرات قد فتحت فى السد الترابى ، وأزالت ٩٠ ألف متر مكعب من الأتربة التى كد العدو فى تكديسها خلال سنوات ٠ أزالها المهندسون بالمياه المضخوخة عبر ٦٠ ثغرة مختلفة وكأنما كانوا يستخدمون مدافع مائية ٠

❊ وبالتدريب المتوالى استطاع المهندسون خفض الزمن اللازم لاقامة الكبارى والمعابر عبر القناة من أيام الى مدد قصيرة هبطت الى



سيظل ما قام به المهندسون العسكريون المصريون ـ قبل واثناء حرب اكتوبر ـ بمثابة صفحة فخار مجيدة فى تاريخ الحروب • فقد قاموا ببناء المواقع الحصينة كوحدات الصواريخ وما يقابلها من المواقع الكاذبة ، شمل اقامتها ٥ر١٢ مليون متر مكعب فى أعمال الحفر والردم ، ونحو ٢ مليون متر مكعب من الخرسانة المسلحة ، واقامة آلوف الملاجىء تحت الأرض واقامة الطرق الداخلية بهذه المواقـــع ناهزت أطوالها ٤٠٠٠ كيلومتر (ما يعادل المسافة من القاهرة الى طرابلس الغرب) •

٦٫٥ ساعات • وخلال سنوات النكسة أمكن لهم تصنيع أجزاء كثيرة من معدات العبور محليا بواسطة شركات القطاع العام المدنية • وكانت شبكة طويلة من الطرق المرصوفة على الضفة الغربية بلغت أطول من ألف كيلو متر قد تشابكت خطوطها لتسهل تحركات قواتنا • كما كانت منازل خاصة للمعدات قد أقيمت بطول القناة على مسافات متقاربة لكى لايستطيع العدو تحديد اتجاه الهجوم •

* لذلك لم تكد جماعات الاقتحام تتدفق وتؤمن رؤوس الجسور فى الضفة الشرقية ، حتى بدأت وحدات المهندسين فى تمهيد الأرض اللازمة لرأس كل جسر ، وخلال ساعات اليوم الأول ، كان ١٢ جسرا عائما قد أقيموا •• وعليها تدفقت جموع الدبابات والمضخات والمدافع الثقيلة الى سيناء •

هكذا أتت الجهود المصرية من قبل المهندسين العسكريين لوضع الحلول لمصاعب العبور ابتكارات تتسم بالبساطة القائمة على ذكاء ووضوح الرؤية ، وليس استعراض العضلات • ولكن وراءها حقيقة مضنية عن تدريب قاس • وحسبنا أن نتصور كم مليون متر مكعب كان لزاما تجميعها على هيئة سد ترابى يمثل ارتفاع السد الحقيقى ، لكى تتدرب عليها جماعات الاقتحام والعبور • وكم مليون متر مكعب من الخرسانة المسلحة استخدمت ، ومن البازلت رصفت ، ولذلك اتيح للجندى المصرى، تنفيذ خطة مواجهة العدو فى حصونه من الأمام وليس من الخلف ، أو بالالتفاف حوله • وهذا ما عمدت القيادة اليه عند وضع الخطة ، رغم انه أصعب الحلول • وبدأت الملحمة بين الشجاعة والمناعة ليثبت للعالم أن الشجاعة أهم • وانقلبت فى غمضة عين حصون بارليف المنيعة مصايد كمصايد الجرذان ، يحتبس الاسرائيليون داخلها • وانتهت فكرة بالية الى العدم ، لتثبت أن بارليف لا يملك الا عقلية بالية ، عمدت الى فكرة بالية وتمسكت بها فى محاولة بلهاء للعودة الى حصون الأجداد فى خيبر وبنو قريظة •

والحقيقة التى لا يمكن اخفاؤها أن الابتكارات الهندسية المصرية المتغلب على ما خلقه الاسرائيليون من المصاعب ، اتسمت بالبساطة • فحفنة صغيرة من الأسمنت سريع الشك كانت قادرة على ايقاف اشتعال ٢٠٠ طن من النابالم • وسلم من الحبال والخشب ، كان قادرا على أن يصنع طريقا لشجاع ليعتلى السد الترابى • وطلمبات توربينية تضخ الماء كانت قادرة على تقويض السد نفسه • وهذه كلها وسائل ليست فى سجلات التكنولوجيا الحديثة ، ولا تحتاج عقولا ألكترونية لتشغيلها ولكن



كشفت معارك حرب العبور ، عن المعدن الحقيقى للمقاتل الاسرائيلى
.. واسفرت عن مئات الأسرى فى كل موقع .

كان الرجال المؤمنون بعدالة قضيتهم ذوى عقول أكثر قدرة من كل العقول الالكترونية على الحل فى بساطة ، وبهدوء ٠

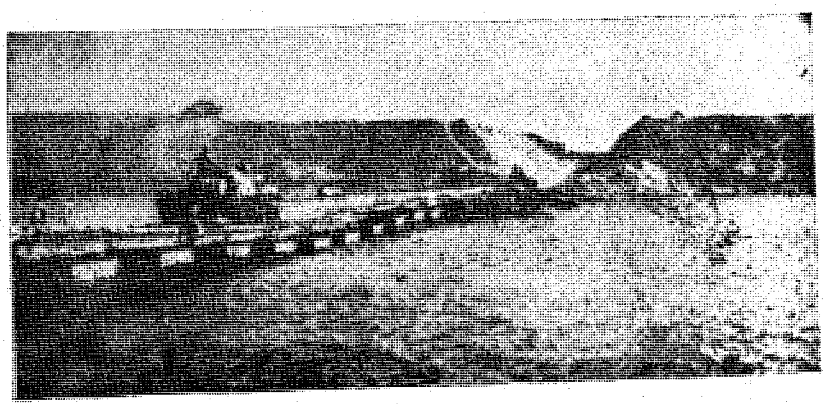
وهناك حقيقة أخرى لابد ألا تغيب عن البال ٠٠ أن الفضل كله فى نجاح خطة العبور ، وما توالى بعدها من انتصارات مرجعه الى استغلال عنصر هـــام من عناصر الحرب وهو عنصر المفاجـــأة ٠٠ وتدبير حســـن استخدام للوسائل ٠ وأتى الأنين الاسرائيلى أمام هذه المفاجأة على لسان الجنرال ديان بعد أن فقد العدو توازنه خلال أقل من ست ساعات :

« هنا حرب صعبة ٠٠ معارك المدرعات قاســـية ٠٠ ومعارك الجو فيها مريرة ٠٠٠ انها حرب ثقيلة بأيامها ٠٠٠ ثقيلة بدمائها » ٠

صناع التاريخ

ان ملحمة العبور ، عمـــل مشترك جهز له المهندســـون ، ومهدت له المدفعية وكان طليعته المشاه والصاعقة ٠

لقد شهدت الجبهة قبل المعركة حشدا لمدافع الميدان ، قل أن وجد فى التاريخ مثله ، اذ حشد (٢٠٠٠) ألفا مدفع بمواجهة طول القنـــاة ، وعندما بدأ القصف فى الساعة ١٤٠٥ أى فى ساعة الصفر ، بغرض تمهيد أرض المعركة ، ظن العدو هذا الزئير حرب استنزاف جديدة ٠ لقد كان



شقت مدافع الماء ثغرات فى السد الترابى خلال ساعات

معدل تساقط القنابل بمعدل ١٧٥ قنبلة كل ثانية · أخذت تتساقط فوق حصون العـدو فى عمليـة التمهيد اللازمة للعبـور · فاسـتهدفت تدمير تحصـينات خط بارليف ، وفتح ثغرات فى حقول الألغـام ودك مراكز المراقبة ، وتغطية عملية العبور ·

وبينما كانت المدفعية تقوم بأعمال « تمهيد النيران » ، كان ٨٠٠٠ ثمانية آلاف جندى من المشاه يستعدون لاقتحام القناة بقوارب المطاط ، وهم يمثلون موجة الاقتحام الأولى حاملة أسلحتها الخفيفة ، ميممة وجهها شطر الثغرات التى فتحتها المدفعية فى حقول الألغام · وفى الساعة ١٤٢٠ بدات هذه الموجة الأولى تتدفق عبر القناة ، وتتعالى هتافاتها المؤمنة « الله أكبر ··· الله أكبر » · وتخفق معها قلوب خمس فرق مشاة تتوزع على طول القناة على هيئة جيشين يحتلان المنطقة غرب القناة وبطولها ، وبأعماق متفاوتة · هما الجيش الثانى فى الشمال حتى الاسماعيلية ، والثالث فى الجنوب من الاسماعيلية حتى السويس · وما فتئت موجات الاقتحام الأولى تتوالى على الضفة الشرقية ، تحمل معها سـلالم الحبال لتتسلق الحاجز الترابى ، وتجر خلفها عربات خفيفة ، معبأة بالذخيرة ، حتى ارتفعت الأعلام المصرية فوق الروابى بعد دقائق من بدء العبور · لقد ارتفع أحدها بعد عشر دقائق وآخر بعد ١٧ دقيقة ، وآخر بعد ٢٢ دقيقة ·

كانت مدفعية العدو ، قد خرست تماما ، فقد أجهزت عليها مدفعيتنا، وأتى التمهيد النيرانى بثماره · وكانت مواسير المدافع ابان العبور ، مشرعة الى عمق أكبر فى سيناء ، لتصب نيرانها على العمق التكتيكى فتدك حصون الخط ، وتحيـــل قلاعه الى مقابر بلا مداخل ، ولا مخارج ، وتنزل به الشـــلل ·

ومن المدهش ألا يسجل التاريخ أن مدفعا اسرائيليا واحدا لم يستطع الرد على مدفعيتنا حتى مرور ساعة على بدء العبور ·

لقد ظلت المدفعية تمهد مسرح المعركة بالنيران أمام قواتنا · وكان من أعظم الآثار قيام بعض ضباط المدفعية بالعبور مع الافواج الأولى ليعملوا فى نقط توجيه النيران من الضفة الشرقية ، بالاضافة الى نقط المراقبة التى انتشرت خلف خطوط العدو وفى أعماقه ·

كما سيذكر التاريخ أن مصر قد استطاعت بهذه الحفنة من الجنود أن تستخلص الأرض من غاصبيها فى حرب تقليدية ، يخطط فيها السلاح الأرضى ، بالقنبلة اليدوية ، بالمدفع الرشاش وبمدفع الميدان والصاروخ ·

لقد كان الهدف تحرير الأرض ، ومن ثم فقد كان جل الاعتماد على جندى المشاه ، عصب الحرب ، يسانده التفكير العلمى • لقد تطورت رسالة المشاه بتطور التكنولوجيا العسكرية وأصبح جندى المشاه ، لا ينطلق على رجليه طوال الوقت ، بل يحمل على المجنزرات وفى المصفحات ، ويطوى الأرض بها • كما أصبح لا يحمل نفس السلاح الذى كان يحمله أسلافه ، بل تطورت أسلحته الى قاذفات اللهب والصواريخ • لقد استخدمت قوات المشاة فى الخطة المصرية بغزارة ، وبأسلوب لم يختلف كثيرا عن أساليب الحرب التقليدية • ولكنه اعتمد الى حد كبير على كفاءة الرجال ، وغزارة أعدادهم • ان جنديا واحدا يقود جماعة صغيرة هو الرقيب « **محمد عبد العاطى** » استطاع أن يصطاد ٢٣ دبابة معادية • ذلك بفضل عاملين أولهما ، رباطة الجأش التى تنطلق من روح معنوية عالية ، وبفضل سلاح مستحدث هو الصاروخ المضاد للدبابات الذى يستطيع حمله فرد ويعمل عليه بمفرده دون حاجة الى تجهيز هندسى خاص ، أكثر من حفرة يقبع فيها ، ويستطيع حفرها خلال دقائق ليحمى نفسه •

لقد لعبت هذه الصواريخ دورا بارزا فى الحرب ، جعل قوات المشاه تستطيع الوقوف وحدها فى الميدان قبل أن تتدفق مدرعاتنا الى الضفة الشرقية •

وبانطلاق موجات الاقتحام الأولى عبر القناة ، وتمركزها على الضفة الشرقية لها وبخاصة فى اقتحام حصون خط بارليف ، أصبحت المهمة المباشرة قد نفذت باقتدار وأهم ما فيها تأمين رؤوس الكبارى التى أخذت نيران المدفعية تزيد من اتساعها • وان مهام المشاه التالية كانت صد أى هجوم مضاد يحاول العدو القيام به للتقدم نحو هذه الرؤوس •

لقد بدأ عبور الموجات الأولى من المهندسين العسكريين الى الضفة الغربية بعد ٢٠ دقيقة من بدء العبور لتأمين عبور المترجلين فى حقول الألغام التى أجهزت على أغلبها المدفعية ، ثم تلا ذلك عبور أمواج أخرى من المهندسين لتجهيز الأرصفة للمعديات وتجهيز معدات الكبارى ، وتوسيع الفتحات فى الساتر الترابى ولم تمض ساعتان بعد ساعة الصفر حتى كان رجال سلاح المهندسين يعملون على الضفة الشرقية للقناة ، فى تخصصاتهم العلمية المتشعبة •

ولعل أهم هذه الأعمال كانت عملية تثبيت التربة فى الممرات لتستطيع المركبات والمدرعات السير فوق أرض غير زلقة ، وقد استخدمت

فى ذلك مواد متباينة بين أخشاب وأحجار وشكاير رمل وألواح من الصلب والشباك • وفى نفس الآونة كانت عمليات اسقاط مهمات كبارى العبور ، تمضى قدما وفق خطة محسوبة • وخلال ست ساعات استطاع المهندسون اقامة أول كوبرى للعبور أمام نطاق الجيش بينما أخذت عمليات انهاء الكبارى الأخرى تتوالى فيما لا يتجاوز تسع ساعات رغم حلول الظلام • ورغم أن ضوء القمر كان كافيا ، الا ان بعض العوامل الطبيعية وخاصة سرعة تيار المياه فى القناة عطلت انشاء بعض الكبارى أمام الجيش الثالث حتى أقيم خلال ١٦ ساعة •

ولم يبزغ نهار السابع من أكتوبر الا وكان عدد كبارى العبور الثقيل قد أصبح عشرة ، بالاضافة الى عشرة كبارى أخرى للمشاه وعدد كبير من المعديات ولكن بين هذه الكبارى والمعديات أقام المهندسون بعضها من خامات هيلكية صب على أغلبها العدو هجماته الجوية التى ضاعت سدى •

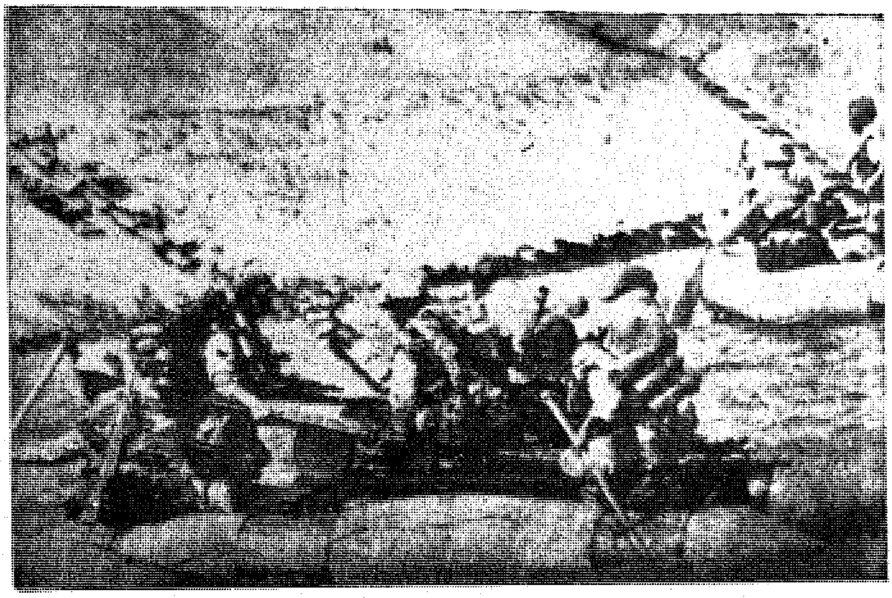
وكان أفراد المهندسين يقيمون الأجزاء التى تصاب من القصف المعادى خلال زمن قياسى ليستمر تدفق المعدات •

وخلال ساعات كانت رؤوس الكبارى على الضفة الشرقية قد عززت، وأمكن رص الألغام على أجنابها • وأصبح للمهندسين واجب آخر جديد ، هو التفرغ للتجهيز الهندسى للمعدات بعمل حفر لها ، واقامة السواتر ورص الألغام •

وأخذت القوات من كافة الأسلحة تتدفق فوق هذه المعابر التى ركز العدو هجماته عليها ، ولكن مقاتلات القوات الجوية والصواريخ تكفلت بصد هجماته الجوية بينما تكفلت المدرعات وقوات الصاعقة بصد هجماته الأرضية •

وخلال الأربع والعشرين ساعة الأولى من بدء القتال كان ثمانون ألف جندى مصرى يقفون فوق رمال سيناء ، ومع فجر السابع من أكتوبر كانوا قد طووا ثمانية كيلو مترات من رمالها الحبيبة • وخلال هجماتهم كانت خطوط بارليف الثلاثة التى يفصل بين كل منها ٣ ــ ٤ كيلومترات ، قد تقوض أغلبها وأصبحت بقاياها لا تمثل الا جيوبا أضعف من أن تقاوم •

واصبحت قواتنا فى وقفة تعبوية لتطوير الهجوم شرقا •





كانت قوة ايمان المقاتل المصرى ، وكفاءته القتالية ، فى معارك أكتوبر الساحقة ، ثمرة التدريب الشاق ، والاصرار على تحقيـــق النصر ٠

الفصل الثالث

ضربات الطيران

تحقيق السيطرة الجوية

ان خصائص السرعة التى تتميز بها عمليات أية قوات جوية فى العالم والقدرة التدميرية التى تتسلح بها الطائرات ، تجعل لهذه القوات دورها البارز فى ميدان القتـــال • وهناك فارق كبير بين جيش برى أو أسطول بحرى يعمل تحت غطاء جوى يحمى رأسه ويظلل سماءه ، وبين افتقاد مثل هذا الغطاء • ومن ثم فان احراز السيطرة الجوية ، مبدأ من مبادىء تحقيق النصر ، بالاضـــافة الى كونه باعثـــا معنـويا يشـــيع الثقة فى نفوس المقاتلين فى الميدان ، ويحقق الأمن لجموع المواطنين المدنيين البعيدين عن حلبة الصراع • والحق يقال ، أن تحقيق السيطرة الجوية كان السمة الرئيسية التى تفرق بين موقفينا فى معارك الأيام الستة عام ١٩٦٧ ، ومعارك الساعات الســت عام ١٩٧٣ ، ففى الأولى فقدنا هذه السيطرة فى ساعات ، وطائراتنا على الأرض ، وفى الثانية أحرزناها ، رغم أن العدو يمتلك قوة جوية لا يستهان بها ، ولديه أنواع من الطائرات هى أحدث ما وصلت اليه ترسانات الأسلحة فى العالم •

ورغم أن عمليات العاشر من رمضان قد دامت ما يقرب من سبعة عشر يوما ، فان الكثيرين يحلو لهم أن ينعتوها بأنهـــا حرب الساعات الست • لأن الساعات الأولى فى المعركة كانت حاسمة ، الى الدرجة التى أفقدت العدو توازنه خلال هذه الفترة المعدودة ، وانعكس ذلك على كل عملياته التالية •

ولا شك أن دور القوات الجوية ، خلال هذه الســـاعات ، كان حاسما ، الى الحد الذى حقق ترنح العدو ، وتخبطه •

وتوالت عمليات القوات الجوية ، مع ايقاعات سيمفونية النصر ، التى عرفتها قواتنا المسلحة مجتمعة ، حتى ايقاف اطلاق النار •

ومن أبلغ ما قيل فى وصـــف هـذا الدور قول الفريق **محمد عبد الغنى الجمسى رئيس أركان القوات المسلحة ، « أن القوات الجوية ، هى التى بدأت الحرب ، وهى التى أنهتها »** •

وهذا القول يعكس فى طياته الاعتماد على خصائص الطيران ، الذى جعل أول نيران عملية (الشرارة) ، وأول عمل لتحقيق المفاجأة والأخذ بزمام المبادأة ، هى الضربة المركزة التى جعلت من ساعة الصفر جحيما يستعر فوق كل أهداف سيناء فى لحظة واحدة •

نظرة الى الوراء

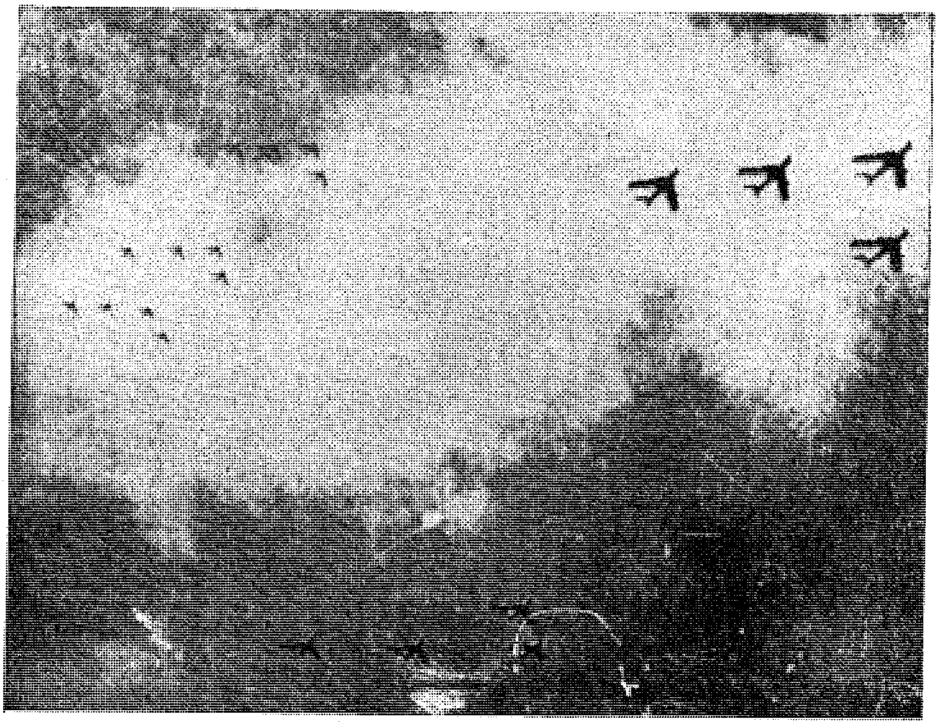
ان الدروس المستفادة من عمليات السادس من أكتوبر لا حصر لها ، وهي محل دراسة من قبل أجيال العسكريين المعاصرة ، والمقبلة . ولا شك أن هذه العمليات ، قد غيرت كثيرا من المفاهيم العسكرية ، ووضعت علماء الاستراتيجية والتكتيك أمام حقائق جديرة بالبحث والتمحيص . ولقد عبر الرئيس أنور السادات عن ذلك بقوله :

« ان التاريخ العسكرى سيتوقف طويلا بالفحص والدرس أمام عملية السادس من أكتوبر ١٩٧٣ » .

والحقيقة أن الدروس المستفادة من الحرب ، لا يمكن أن نستقيها من المعارك التى دارت وحدها ، ولا أن نستوحيها من ملاحم البطولة التى نضرب بها الأمثال فحسب ، ولكن لابد أن ننظر الى جذورها وأعماقها . لنرى كيف تم الاعداد وكيف كان التجيهز والتخطيط ، وكيف توالى التدريب ، وكيف تم التنسيق فى اعداد الخطة . ويأتى هذا سعيا وراء الحكمة التى تقول : النصر لا يكتسب خلال العمليات ولكن قبلها . والحقيقة التى لا تغرب عن بال ، أن النصر لا يأتى عفوا ولا يسوقه الله للكسالى والمتواكلين ، ولكن يؤيد به المجتهدين مصداقا لقوله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .. ولولا أننا قد غيرنا من أمرنا على ضوء الدروس البليغة التى استفدناها من نكسة عام ١٩٦٧ ، وسعينا الى تلافى كل نواحى القصور ، ما كانت الصورة قد تغيرت عام ١٩٧٣ .

لذلك لابد لنا من نظرة الى الخلف ، لنلقى الضوء على ما كان من قبل حتى تتضح لنا صورة ما تم ، على غرار ما يعمد اليه رجال السينما برجعيتهم الى الوراء (زووم باك) ترسم مبلغ الجهد ، وتوضح حجم العمل، وأبعاد التخطيط .

* لقد ضاعفت القوات الجوية من رجالها على مختلف تخصصاتهم ، بين طيار وملاح ومهندس وادارى وفنى . أن الطائرة الواحدة ، قد يستقلها طيار واحد ، ولكن تتضافر جهود لفيف من المتخصصين بين ٢٠ ، ٢٤ على الأرض لتحقيق أمن وسلامة مهمتها . ومن ثم فان تأهيل هذه الأعداد الكبيرة من الرجال ، استلزم فتح مئات من فصول التعليم ، فيها احترم العلم ، ومئات من المعامل فيها احترمت التجربة . وذلك لتترجم فى النهاية الى مئات من ساعات طيران ، يطيرها كل طيار خاض المعركة .



الى العلى فى سبيل المجد

استمرت القوات الجوية المصرية ـ بعد قيامها بالضربة الجوية المفاجئة ومنذ صباح ٧ أكتوبر ١٩٧٣ ، وعلى امتداد ٢٢ يوما ـ فى قتال نشط وتادية الحماية الجوية بكفاءة قتالية بالغة ، شملتها ٥٠ معركة جوية ، منها ٨ معارك تاريخية ، اسقطت فيها ما يقرب من ٩٠ طائرة للعدو ، فوق شمال الدلتا وبورسعيد وفايد والسويس • هذا بجانب قصف احتياطيات العدو ، بلا هوادة والحقت به أفدح الخسائر فى الدبابات والمعدات والأسلحة والأفراد ، وتدمير الأهداف المعادية ، فى نحو ١٠٠٠ طلعة جوية •

※ وفى الوقت الذى كان فيه اعـــداد الرجال يمضى على قدم وساق ، كانت الطائرات تتضاعف وتتزايد عددا ، ويتزايد معها اعـــداد المعدات الفنية المكملة لحلقات التعامل معها •

* وكان لابد أن يزيد عدد القـواعد الجوية والمطـــارات ، فوق رقعة الجمهورية ، لتستطيع الطائرات أن تنشر حمايتها على ربوع الدلتا والصعيد ، وأن تطاول قوات العدو من أماكن متفرقة • ولتنتشر الأعداد الكبيرة من الطائرات بلا تكديس فوق مواقع عمل عديدة •

* وقد صاحب جهد انشاء العديد من المطارات الجديدة ، هنا وهناك جهد التجهيز الهندسى ، الذى مهما حاولنا وصفه فلن نستطيع رسم أبعاد ما بذل فيه من فكر وعرق وتعب • وأقل ما يوصف به أنه أهرامات العصر الحديث أقيمت فى كل مطار ، متمثلة فى (دشمة) لكل طائرة ، وملجأ لكل معدة فنية ، وموقع محصن لـــكل مركز عمليات أو مجموعة قيادة ، وخندق لكل جندى أو عامل •

ولابد ألا نغفل أن هذا التجهيز لم يكن تصميما هندسيا نقل عن الدول الغربية بحذافيره بقدر ما كان فكرا مصريا أتى ابتكارا وتوالى تطوره على مر الزمن ، بل ليس من قبيل المغالاة القول بأن حلف الأطلنطى ، قد غير من تصميمات دشمه على ضوء ما أنجزه المهندسون المصريون فى دشمهم •

* كانت الأهداف الرئيسية للتدريب ، هى تحقيق الواجبـــات التى ستلزم فى العمليات ، ومن ثم أعطى التدريب التعبوى عناية قصوى على هيئة مشروعات مشتركة ، لتحقيق الدور الذى تلعبه القوات الجوية فى معاونة الجيوش والتشكيلات البحرية بالاضافة الى تنسيق جهود الدفاع الجوى بين المقاتلات والصواريخ •

* أوليت عناية خاصة لتدريب الطيارين على أنواع خاصة من الطيران ، كالطيران المنخفض للافلات من شبكات الرادار ، ولمباغتة بطاريات الصواريخ المعادية • وتركز التدريب على عمليات مهاجمة الأهداف الأرضية ، بنيران المدافع والصواريخ أثناء الطيران المنخفض • وقد اقتضى ذلك اقامة عديد من ميادين الرمى المزودة بأهداف هيكليـــة كالمعادية تماما ، يوجه اليها الطيـــارون مدافعهم وصواريخهم ، ويقذفونها بقنابلهم •

* درب طيارو كثير من أسراب المقاتلات على التخلى عن واجبهم التقليدى فى الحماية ، والاعتراض ودوريات الحراسة ، لكى يستطيعوا القيام بدور المقاتلات القاذفة اذا اقتضى الأمر ذلك •

* تم التركيز على تدريب الطيارين ــ وخاصة المكلفين بمناوبة حالة الاستعداد الأولى ــ على الاقلاع فى أزمان قياسية قصيرة ، هبطت الى أن بلغت دقيقتين .

* كان لزاما تنسيق تدريب أسراب المقاتلات على عمليات الاعتراض والتوجيه . وفى هذا المجال تم اعداد جيل من الطيارين والملاحين والمراقبين الجويين ذوى الخبرة ، كانوا قادرين على توجيه مقاتلاتنا لاعتراض الطائرات المعادية تحت مختلف الظروف بما فيها ظروف التداخل الالكترونى المعادى .

كما أوليت عناية كبرى لتدريب التخصصات الفنية المختلفة العاملة فى حقل الاتصالات والاصلاح الهندسى للطائرات والملاحة الجوية والاستطلاع والتصوير الجوى وتفسير الصور الجوية وتشغيل المعدات الفنية الخاصة التى تكمل عمل الطائرات كخزانات الوقود ، والمقومات الكهربية ، وضاغطات الأوكسجين ، وأعمال الورش والتسليح .

* اقتضت ضرورات تدريب كل طيار على العمل من مختلف المطارات ، اعادة تمركز الأسراب ، فى أدوار متلاحقة بين مطارات الجنوب والشمال . ومع هذه الحركة الدائمة فى تغيير مكان العمل ، اكتسب الطيارون والملاحون والمهندسون والفنيون خبرة العمل فوق مختلف الأراضى ، وفى مختلف الأجواء .

* أضيف الى ذلك سيل منهمر من أساليب الشحن المعنوى للأفراد فى كل المواقع ، بين الحديث بالكلمة والصورة وعبر الكتاب والكتيب ومن خلال الحديث والخطة والاجتماع . للاطلاع على حقائق الموقف واستجلاء كل مستغلق ، لتعميق دراسة القضايا المختلفة .

وكان من أثر ذلك وضوح هذه الشحنة فى مظاهر الايمان التى تحلى بها طيارونا وضباطنا خلال المعارك . فقد كان أغلبهم يتيمنون بلفظ « لا اله الا الله » على صدورهم أو فوق خوذاتهم . وعمد كثير منهم الى قص شعورهم قبل المعركة تشبها بصحابة الرسول الكريم فى غزوة بدر . ولم يكن نداء أى منهم خلال المعارك الجوية الا « الله أكبر » ترديدا لنداء اخوانهم على الأرض ، عند اقتحام خط بارليف وترديدا لنشيد ارتضته جموع شعبنا معبرا عما فى قلوبهم .

التطوير كان غاية

واستكمالا لجهود الاعداد ، لابد من الاشارة الى أن أساليب جديدة ، أخذ بها ، ليس لها نظير فى قوات جوية أخرى ، أوجدتها الممارسة فكانت وليدة شرعية للتجربة والحاجة ٠

وحسبنا فى نطاق ما تستلزمه السرية ، والحفـــاظ على الأسرار الاشارة الى :

* أنشىء فى أغلب المطارات أكثر من ممر واحد ، بعضـــها متواز ، ليسهل الاقلاع والهبوط فى مختلف الظروف الجوية لعدد كبير من الطائرات ، وليكون كل منها بديلا للآخر ٠
* موهت الدشم بذكاء ، باستغلال البيئة المحيطة بها ، كما موهت بعض الممرات بما يجعلها صعبة الرؤية من الجو ، على من لا يعرف اتجاهها ومعالم نقط الاقتراب اليها ٠
* ابتكر استخدام البالونات كوسيلة دفاع سلبية عن المطارات ضد الطيران المنخفض ٠ رغم أن فكرة البالونات قد توارت مع النسيان بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ٠
* استحدث استخدام طائرات اعادة الاذاعة ، لنقل المعلومات الى الطائرات أثناء الطيران المنخفض ، حيث يصعب بلوغ الموجات ذات الترددات العالية جدا الا للطائرات ذات الارتفاع العالى ٠
* اتخذت تدبيرات فنية تحقق الاستقلال الذاتى لكل مجموعة طائرات فى اعادة الملء للتزود بالوقود والتحميل بالقنابل والصواريخ فى زمن بلغ قصره أن الطلعات كانت تتوالى وكأنها بلا توقف ٠
* توصل مهندسو المطارات بالتنسيق مع أجهزة القطـــاع العام الى تركيب خلطة ساخنة يستطيعون بها سد الحفر التى تحدثها القنابل فى الممرات خلال ساعات معدودة بعد أن كان ذلك يقتضى وقتـــا طويلا ٠

فى البدء ٠٠ كانت الضربة المركزة

لو تتبعنا أعمال القوات الجوية خلال المعـــارك فيمكن ايجازها فى الأعمال التالية التى أنهت الى غير رجعة أسطورة التفوق الجوى الاسرائيلى والتى أثبتت أن التفوق التكنولوجى ، ليس هو وحده عنصر اكتساب النصر ، ولـــكن يجب أن تؤازره عزائم الرجال ٠ كما ثبت أن خطوات الاعداد والتجهيز فى السنوات الست قبل المعركة كانت خطة هادفة من أعمال القيادة العليا ، لها أعماقها ولها خطواتها ٠

* أتت الضربة الجوية المركزة كأول عمل لتنفيذ الخطة « بدر » بواسطة أكثر من ٢٠٠ طائرة ، عبرت كلها خطوط الكشف الرادارى فى ساعة الصفر متجهة الى أهداف سيناء المختلفة • وبعد دقائق كانت مراكز القيادات الاسرائيلية قد أصبحت فى خبر كان ، وتعطلت بطاريات الهوك وعطلت ممرات المطارات والقواعد الجوية ، وتقوضت مراكز الشوشرة ، ومراكز الارسال ، والورش الميدانية ، ومعسكرات تجمع الأفراد •

وهكذا سكت مركز قيادة « أم مرجم » ، وتعطل مركز شوشرة « أم خشيب » وانسحبت الفلول الناجية الى العريش ، وتعطل مطار « المليز » وظل معطلا مدة ثلاثة أيام ، وكمثله أصبح مطار تمادة •

وأتت الضربة الجوية ، بنتائج الاحباط المرجوة منها ، بل بأكثرها مما كان يتوقعه أحد ، وحققت مع نجاح اقتحام خط بارليف افقاد العدو توازنه • ومن ثم قررت القيادة عدم تكرار هذه الضربة ، بهذا العدد الهائل من الطائرات كما كان موضوعا فى الخطة •

* بعد تطوير الهجوم عبر قناة السويس ، قامت القوات الجوية بالتركيز على حماية رءوس الكبارى والمعابر ، بالاضافة الى تشكيل الغطاء الجوى فوق القوات التى عبرت الى الضفة الشرقية •
* شاركت المقاتلات القاذفة فى دك حصون خط بارليف التى لم تستسلم لقواتنا العابرة ، مثل نقطة شرق بورفؤاد الحصينة ، وكذلك أهداف العدو التى أقامها بعد الضربة المركزة ووحداته التى دفع بها من الخلف للأمام وخاصة القوات المدرعة •
* شكلت المقاتلات مع صواريخ الدفاع الجوى جدار الحماية حول المطارات والمنشآت الحيوية ، والمدن لصد الهجوم عليها •
* **وضعت نسبة من مجهود المقاتلات فى معاونة قيادات الجيوش البرية والقيادات البحرية ، تطلب مباشرة بواسطة جماعات معاونة جوية ألحقت على هذه القيادات ، وكانت هذه الجماعات على اتصال دائم بمطارات الجبهة لتنسيق التعاون المطلوب •**
* قامت القاذفات البعيدة المدى بدك الأهداف الاستراتيجية فى عمق سيناء شمالا وجنوبا كمطارات العريش وشرم الشيخ •
* نجحت تشكيلات الهليوكوبتر فى اسقاط رجال الصاعقة وعمليات الابرار فى عمق سيناء ، تحت جنح الظلام ، كما واصلت عمليات الامداد لهذه الوحدات خلال مراحل المعركة •

* استبسل الطيارون من كافة التشكيلات فى التعامل مع المدرعات والصواريخ المعادية التى تسربت الى الثغرة ، وأصلتها نارا حدت من توغلها وعددت من خسائرها ·
* حقق طيارو الهليوكبتر طلعات ناجحة لامداد الجيش الثالث بالطعام والماء والدواء ·
* وقفت كل الأجهزة الفنية والادارية من كافة التخصصات فى خدمة المعركة على قدم وساق ، ليل نهار ·

لغة الأرقام القياسية

من تقارير القتال ، ومن خلال تقريرى السيد وزير الحربية وقائد القوات الجوية أمام مجلس الشعب من تصريحات المسئولين تكشف للعالم مقاييس جديدة فى حروب القوات الجوية · ووقف العالم أمام ملحمة من حماس الرجال هزت كثيرا من معايير الحروب الجوية · وعلى سبيل المثال لا الحصر :

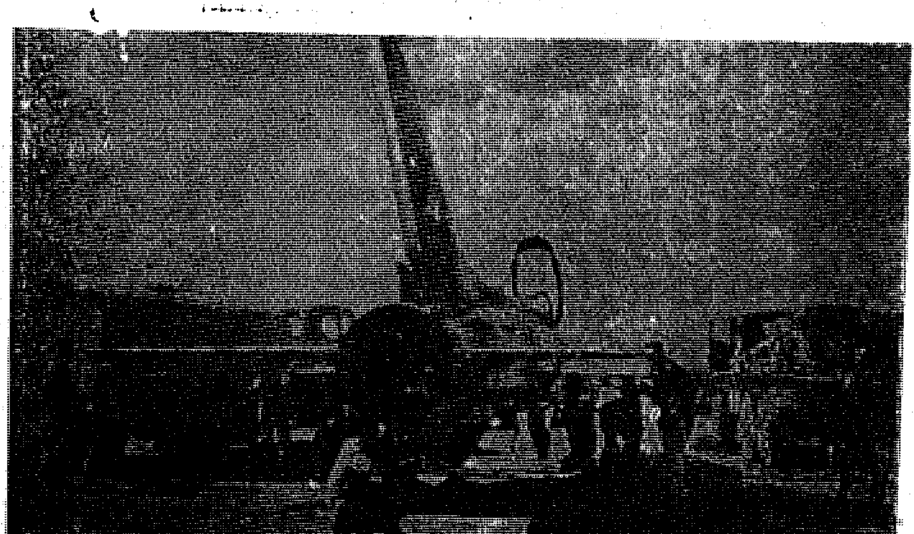
* حقق كثير من الطيارين بين (٦ ، ٧) طلعات فى اليوم ضاربين الرقم القياسى المعروف فى العالم وهو (٣ أو ٤) طلعة ·
* دامت بعض المعارك الجوية وخاصة تلك التى تركزت حول بورسعيد ما يقرب من ٥٠ دقيقة · رغم أن الزمن التقليدى لأى اشتباك لا يزيد عن (٧ ــ ١٠) دقائق · وكان السبب الرئيسى فى ذلك هو تعدد الطائرات المعادية بكثافة بلغت أحيانا (٦٠ ــ ٧٠) طائرة فى آونة واحدة فضلا عن توفر الوقود لدى طائراتنا لأن المعارك كانت تتم فوق مناطق غير بعيدة عن مطاراتها ·
* لم يتعطل مطار واحد أو قاعدة جوية واحدة خلال المعركة أكثر من (٦ ــ ٨) ساعات ، رغم تعدد مرات قصفه بالقنابل لمبادرة مهندسى المطارات الى سرعة اصلاح الممرات ·
* انخفضت المدة اللازمة لاعادة تزويد الطائرة الواحدة بالوقود والذخيرة الى ٦ دقائق ، وكان الرقم القياسى الذى تشدقت به اسرائيل عام ١٩٦٧ هو (٨) دقائق ·
* كان تدمير الدبابة الواحدة فى جداول التدمير النظرية يستلزم من (٢ ، ٣) هجمة/طائرة ، غير أن نسورنا حققوا امكان تدمير أكثر من دبابة واحدة فى هجمة واحدة ·
* حققت التشكيلات أرقاما خرافية فى عدد الطلعات خلال أيام قليلة ، فأحد الألوية الجوية قد أنجزت عدة آلاف من الطلعات خلال أيام المعركة التى لم تتعد سبعة عشر يوما ·

ملحمة البطولات

أعادت العمليات الجوية الناجحة ، الثقة الى نفوس نسورنا ، أمام وهم صقور اسرائيل • ومنذ اللحظات الأولى للمعركة كشف رجالنا عن أصالة فى المعدن ، نسجت ملحمة من البطولات النادرة فى الجو •

وفى كل تشكيل جوى ، كانت التضحية بالنفس غاية ، والشهادة قربى الى الله ، وفداء للوطن • ومن أجل ذلك توالت صور للبطولة يجل عن الحصر عدها ، ويجل عن الوصف شرحها • وفداء لمصر وللعروبة مضى رجال فى الجو وعلى الأرض ، للقاء ربهم شهداء كأنبل ما ينهى الرجال الحياة فى سبيل أداء الواجب • وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » •



حقق المهندسون والفنيون فى القواعد الجوية ، أعلى درجات الكفاءة ، فحافظوا على نسبة صلاحية الطائرات ، ونجحوا فى اعادة ملء الطائرات بالوقود ، وتزويدها بالقنابل والذخيرة ، فى وقت قياسى •

* أثبت طيارونا ما قاله **المشير أحمد اسماعيل « السلاح بالرجل ... وليس الرجل بالسلاح » ، فقد أفلحت طائرة (ميج ١٧) فى اسقاط طائرة فانتوم .**

وذهل الكثيرون عندما علموا أن طائرة هليكوبتر أسقطت طائرة فانتوم معادية . ولم يكن ذلك من قبيل المغالاة ، بل كان حقيقة تعكس صورة من صور الجسارة .

* عمد كثيرون من طيارينا الى تكرار عدد الهجمات فوق الأهداف الأرضية التى تعاملوا معها بنيران طائراتهم ، رغم أن عرف القتال الجوى يستلزم هجمة واحدة . لكن كان ذلك للاجهاز على الهدف كله .

* كثير من الطيارين أصيبت طائراتهم أثناء المعارك الجوية ، واضطروا للقفز منها بالمظلات ، لكنهم واصلوا الطيران فى نفس اليوم بلا عرض على الأطباء ، واكتفوا بوضع رباط ضاغط على ظهورهم .

* فى معركة جوية قوامها (٨٠) طائرة معادية تقريبا اسقط طيار مصرى واحد خمس طائرات فانتوم وهو يهتف باللاسلكى **«الله أكبر»**.

* **مهندس مصرى يعمل على تطهير ممر جوى من القنابل التى سقطت عليه ، فيلقى ربه ، فيخلفه التالى له فى الرتبة فيلقى نفس المصير ، ويتوالى الأمر حتى يقود الوحدة ملازم أكمل تطهير أجناب الممر من (٧٥) قنبلة وأصبح المطار صالحا مرة أخرى .**

* جندى سائق يرى قنبلة اهتزازية بجوار الممر ، ويعرف أنها ستنفجر اذا اقترب منها أحد لتتناثر منها كرات البلى لتصيب الأفراد ، فيتحرك بعربته ليصبح فوقها فيمتص جسده أغلب هذه الكرات .

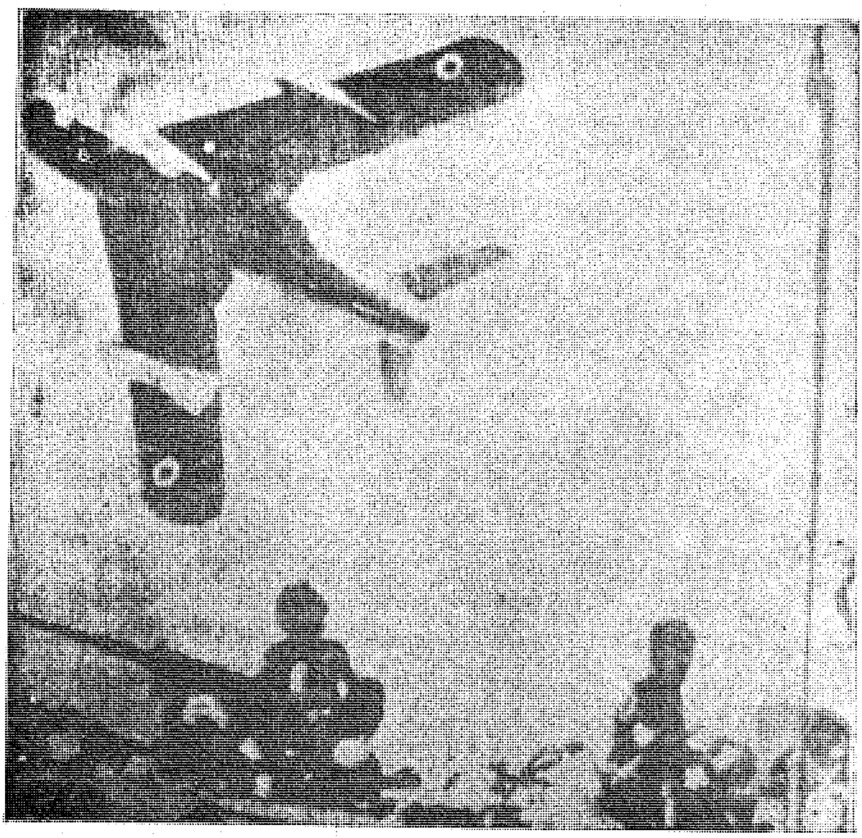
* مساعد ميكانيكى يلتقط قنبلة معادية بيديه وهى تتدحرج فوق منزلق يؤدى الى دشمة طائرة ويجرى ليلقى بها فى فضاء بعيد عن الدشمة ، وما يكاد يتركها حتى تنفجر خلفه .

* **ولعله ليس سرا القول بأن القوات الجوية اضطرت أن تدخل المعركة بعد حدوث ثغرة الدفرسوار بطائرات التدريب ، وبواسطة الطيارين مدرسى الكلية الجوية .**

انها طائرات بطيئة بالنسبة لطائرات القتال ، وتجهيزها بالأسلحة ليس على مستوى المقاتلات أو المقاتلات القاذفة . ولكن الحقيقة أن ادخال هذه الطائرات فى المعارك الجوية لقصف الأهداف المعادية فى الثغرة ، لم يكن بسبب قلة فى عدد الطائرات ، ولكن بسبب أجل وأهم .



قدمت أسراب الهليوكوبتر المصرية ، المعونة الكاملة للقوات الخاصة ، طوال مدة حرب أكتــوبر



احدى القاذفات المصرية (ميج ١٧) أثناء قصفها طابورا مدرعا اسرائيليا من أقصى ارتفــاع منخفض
(منعت الرقابة العسكرية الاسرائيلية نشر هذه الصورة) ٠

، وهذه روح التحدى ، التى ألمت بأغلب مدرسى الكلية الجوية من الضباط الطيارين ، أعرب أغلبهم عن رغبتهم فى الانضمام لأسراب القتال ، وابعادهم الوقوف من المعركة وقفة المتفرج .

وبسبب اتخاذ قرار هجوم هذه التشكيلات ، فوجىء العدو بأعداد كبيرة من هذه الطائرات ذات السرعات المحدودة ، ولعل أجهزة الانذار والاستكشاف لم تكن قد أثبتت وجودها فى المجال الجوى . غير أن النتائج الباهرة التى أحرزوها يمكن أن تكون مضرب المثل . وعلى قمتها نجاح أحد هؤلاء المدرسين فى اصابة المعبر الرئيسى للتسلل ، وقصفه بالقنابل، ثم استشهد .

ان هذه الملحمة من البطولات التى لا يتسع المقام لحصرها هى التى حدت بالسيد المشير وزير الحربية أمام ممثلى مجلس الشعب الى الكشف عن هذه البطولات بقوله :

« قامت القوات الجوية ، بقيادة اللواء محمد حسنى مبارك ، بأداء مهامها كأروع وأقوى ما يمكن الأداء . وانى لا أنسى ما قدمه طيارو مصر من تضحيات وجهد ، حتى بلغ عدد الطلعات اليومية ، لبعض الطيارين ، سبع طلعات فى اليوم الواحد ، محطمين بذلك الرقم القياسى الذى وصل اليه أكفأ وأقوى الطيارين فى جيوش العالم .

لقد كانوا — بحق — النسور الذين حموا أجواءنا ، وقصفوا مواقع العدو فى كل مكان فى جبهة القتال ، وفى الأعماق البعيدة .. فقضوا على اسطورة الطيران الاسرائيلى ، الذى طالما تغنت به اسرائيل » .

دروس لا تنسى

ان ملحمة البطولات التى نسجها الطيارون والفنيون المصريون فى قيادة الطائرات ، وتشغيلها ، لم تكن هى مفاجأة المعركة الجوية من جانب مصر . وكل الأرقام القياسية التى تمسك بها المصريون والتى اشرنا اليها سابقا لم تأت وليدة ساعة ، بل كانت حصيلة تدريب شاق ، وثمرة شحنة معنوية ضخمة ، جعلت الطيارين جسورين جسارة الأسود ، وجعلت الأطقم الأرضية من مهندسين وفنيين واداريين فى مثل دقة العلماء . وعلى أيدى هؤلاء تبدلت صورة المعارك الجوية التقليدية ، وأصبح العالم أمام مفاهيم جديدة فى تكنولوجيا ادارة الحروب الجوية ، تأكد منها :

* نجاح عنصر الحشد فى الطيران ، باستخدام أعداد غزيرة من الطائرات فى آن واحد لتوجيه ضربة جوية مركزة الى أهداف العدو . وان كان ذلك قد تم من قبل القوات الجوية بأكثر من ٢٠٠

طائرة فان كل طائرة من هــذه الطائرات قد أصابت هــدفا معينا • وكان من نتيجة ذلك أن كثيرا من المطارات الاسرائيلية ــ كالمليز ورأس نصرانى وتمادا والعريش ــ أخرجت من المعركة منذ لحظــاتها الأولى • وبذلك اكتسبنا السيطرة الجوية وحالة الشلل التى أصابت القيــادة الاسرائيلية فى الساعات الأولى للمعركة كان مرجعها اصــابة مراكز قيادته بواسطة الطائرات وخاصة تلك الأهداف التى كانت دون متناول المدفعية لكونها فى العمق •

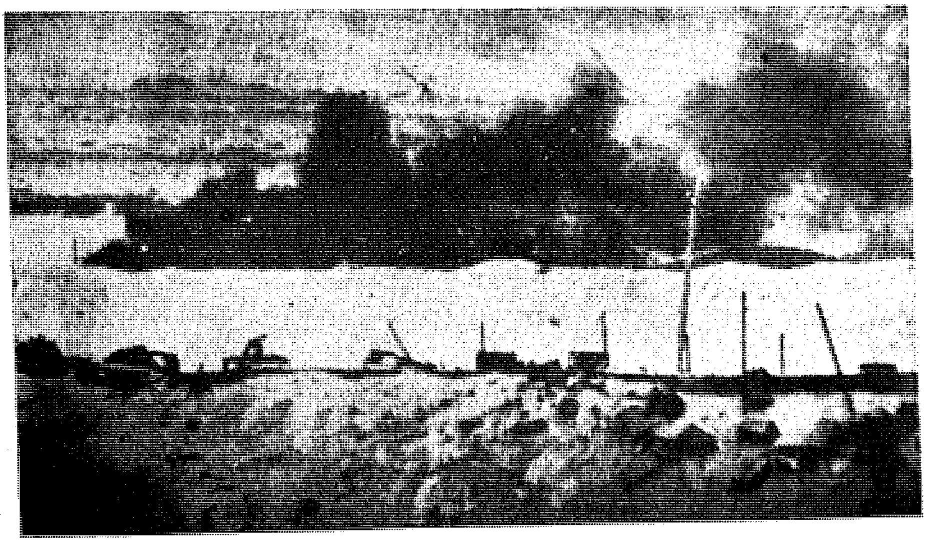


طيارو الهليكوبتر اقاموا جسور الأبرار والاسقاط والامداد

★ ثبتت أهميــة الروح المعنوية فى رفع الكفاءة القتالية سواء بين الطيارين أو غيرهم من الاطقم الأرضية وأكد ارتفاع هذه الروح أن الأطقم الأرضية التى تدير حركة العمــل فى تجهيز الطائرات واصلاحهــا واعــادة تزويدهــا بالوقــود والذخيرة ، تقــوم بواجب خطــير • وان عملها يجب أن يكــون منســقا الى الحــد الذى يضمن قيام الطلعات فى مواعيدها المقررة وبأسرع ما يمـكن • ومن ثم وجدنا أن دور المهندسين والفنيين الميكانيكيين والسائقين وعمال الاصلاح المدنيين ، ورجال الادارة برز فى استبسال وبايقاع منظم خدم جميع أهداف تحقيق السيطرة الجوية •

وسام شرف وفخار

ان القوات الجوية وقد تحررت من عقدة الذنب التى الصقت بها ظلما فى نكسة عام ١٩٦٧ ، تحس ازاء ما قدمته فى معارك رمضان بكثير من الفخر • فقد استطاع قادتها ورجالها أن يثبتــوا للعالم أن التجهيز



آثار القصف الجوى على أحد الأهداف الاسرائيلية فى سيناء

السليم والتخطيط الدقيق ، أهم لوازم المعارك . وان أوضاع الارتجال التى سبقت نكسة ١٩٦٧ لم يكن للقوات الجوية دور فيها ، ولكن كان قدرها أن تتحمل أوزارها .

ولذلك أفصح الفريق طيار محمد حسنى مبارك فى كلمة له أمام الرئيس محمد أنور السادات عن ذلك بقوله :

« ان قيادتك يا سيادة الرئيس هى التى جعلت الأمنية واقعا والبعيد قريبا . وقد رفعت شعار العلم والايمان وجعلت من هذا الشعار نبراسا لعملك . وبالعلم جعلت الحرب تخطيطا لا ارتجالا . وبالايمان جمعت المؤمنين تحت لوائك جيشا وشعبا فى معركة المصير ، فأكدت للعالم أجمع أن ايماننا عمل وليس تشدقا » .

ولعل أهم وسام شرف رد للقوات الجوية اعتبارها ، ثناء الرئيس « محمد أنور السادات » على بطولات القوات الجوية بقوله : —

« ان ما قمتم به وما أنجزتموه خلال معركة أكتوبر عمل من أروع ما قامت به أية قوة جوية عبر التاريخ منذ أن عرف العالم القوات الجوية وحروب القوات الجوية » .

ولقد فند الرئيس صورا فريدة ، للتخطيط الهادىء الذى اتسمت به أعمال القوات الجوية والتى يعتبر كل منها وساما بمفرده ، ويحق أن نبقى على الزمن فخرا للأجيال القادمة · ومن المعروف أن ذلك كان أثناء زيارة سيادته عام ١٩٧٤ لاحدى القواعد الجوية فى ذكرى يونيو · وحسبنا أن نحيط بهذه الصور :

* « كنت فى غرفة العمليات ·· وكنت مندهشا ·· قائد سلاح الطيران يعرض على الجيوش أن لديه احتياطيا من الطلعات ·· ومستعد جاهز ·· والجيوش بتقول لا ·· احنا مكتفين · والعادة اللى جرت فى تاريخ العالم كله ان الجيوش دائما تصرخ ·· تصرخ للقوات الجوية ·· وتصرخ تطلب النجدة من القوات الجوية ما بتلاقيهاش لا فى الوقت ولا بالكمية اللى هى عايزاها » ·

* « فى حرب أكتوبر اتغيرت الموازين بالكامل ·· قائد سلاح الطيران المصرى يعرض على قادة الجيوش ان لديه احتياطى من الطلعات ·· يقولوا له متشكرين » ·

* « ليوم وأنا أمر فى الجيش الثانى بيحكى لى قائد الجيش الثانى بعدما دخل وأخذ القنطرة وجاى عليه هجوم بلواء مدرع من الشمال ، يطلع ويطلب سلاح الطيران فيطلع سلاح الطيران · ويقول لى قائد الجيش الثانى ان أد كده وقفت مكانى مبهوز ونسيت لأنى قعدت أتفرج · الطيارين بينزلوا على الدبابات دبابة دبابة وواخدين راحتهم خالص · بياخد اللفة بتاعة التيرن (الدوران) مضبوطة وبييجى ويقرب ويطلع اللى وراه وهكذا وكل هجمة بعمود نار · بيحكى لى بيقول لى كنت واقف أتفرج عليه · عمود نار بيطلع بعد كل قصفة من طيار من طيارينا » ·

الفصل الرابع

حرب المدرعات

موجات الدبابات المصرية

تعول الجيوش فى تسليحها التقليدى على الدبابات أو المدرعات عامة باعتبارها القلاع المتحركة التى تحمى الرجال وتطوى الأرض وتدك التحصينات البسيطة ، وتصب النيران فى نفس الوقت من مدافعها . وصناعة المدرعات ليست فى مثل بساطة تصنيع الأسلحة الأخرى ، إذ تحتاج تدريبا خاصا لاجنابها ، ونوعية خاصة لجنازيرها . ومن عجب أن يكون أضعف ما فى الدبابة جنزيرها الذى يحتاج للتبديل بعد عمل عدة ساعات . ولقد أدرك الفدائيون ورجال العصابات نقط الضعف فى الدبابات وعملوا فى شتى الدول على اصطياد الدبابات من استغلال مواطن ضعفها . ولقد سمعنا كثيرا عن القنبلة التى تستطيع أن توقف الدبابة لو أحسن دسها بين وصلات جنزيرها ، وعن قنابل مولوتوف الزجاجية التى تستطيع أن تلهب سطح الدبابة بالنيران ، فتجبر طاقمها على الخروج منها .

وفى حروب الجيوش النظامية استخدمت منذ الحرب العالمية الثانية أنواع خاصة من المدافع المضادة للدبابات التى تستطيع داناتها اختراق الدروع ، وأصبحت مدافع م/د ضمن تسليح الوحدات الصغرى حتى مستوى الجماعة المشاه .

غير أن حرب أكتوبر بدلت كثيرا من هذه المفاهيم ، وأولتها الجيوش النظامية فى الدول الكبرى نظرة اهتمام الى الحشد الكبير من الدبابات الذى اندفع ليتطاحن فوق رمال سيناء . ان مثل هذا الحشد لم يعهده العالم منذ حروب رومل فوق رمال صحراء المغرب العربى ، وفوق رمال صحراء مصر الغربية ، ومنذ حروب ستالينجراد فى روسيا فى أواخر الحرب العالمية الثانية . لقد كانت المدرعات فى الحرب العالمية الثانية تعد بالمئات ، ولكن فى حربنا هذه أصبحت تعد بالآلاف . ولكن النظرة ليست نظرة مجردة الى تصارع أعداد غزيرة من الدبابات قدرها المعلقون بأنها أكثر من ٣٠٠٠ دبابة على كلا الجانبين ، فوق أرض صحراوية مكشوفة . والى مقارنة بين الأنواع حيث تستخدم مصر من الأنواع السوفيتية أنواعا ثقيلة مثل (ج س ــ ٣) ، ومتوسطة مثل (ت ــ ٥٤) ، (ت ــ ٥٥) ، (ت ــ ٦٢) ، (ت ــ ٣٤) وأنواعا برمائية مثل (ت ــ ٧٦) . بينما القوات الاسرائيلية تستخدم أنواعا أمريكية مثل (م ــ ٦٠ أ) ، (سنتوريون ــ ٥) ، (سنتوريون ــ ٧) ، و (باتون ــ م ٤٨ ــ أ ٢)

(باتون ــ م ٤٨ ــ أ ٣) ، (شيرمان م ــ ٤) ، (شــيرمان ــ ٥٠) و (سوبرشيرمان ــ ٥١) ٠

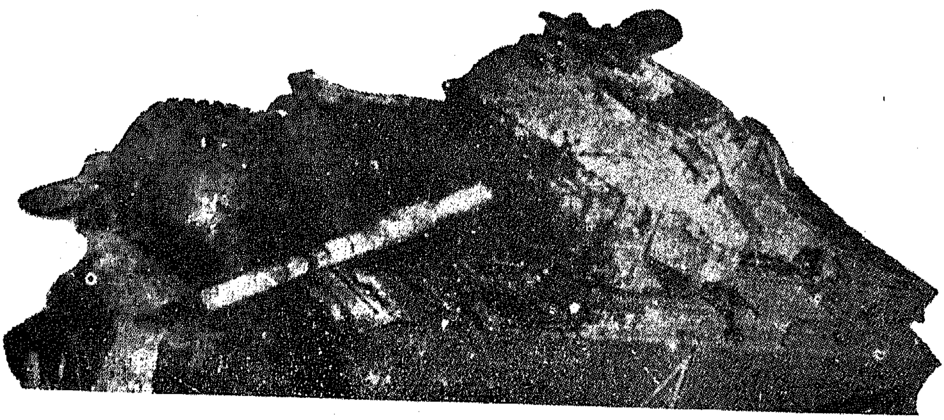
ولكن الحق يقال ان هذه النظرة الى الأعداد والنوع افتقدت أهم عناصرها وهو الرجل ٠ لقد استلفت الأنظار أن اسرائيل خسرت خلال الثلاثة أيام الأولى للمعركة ما يناهز ٦٠٠ دبابة فى محاولات يائسة للتقدم نحو رؤوس الكبارى المصرية ٠ وأعجب من ذلك أن أغلب هذه الدبابات لم يفقد فى حرب تصادمية بين دبابات معادية ، بل فقدت بجهد الجندى الفرد القابع فى حفرة خلف صواريخ فهد البسيطة المضادة للدبابات وببسالة جندى الصاعقة أو المشاة الذى يجسر على تعويق حركة الدبابة بالارتماء فى حفرة أثناء عبورهم فوقها ، ودس شحنة ناسفة فى جنزيرها ٠

لقد تمزقت الدبابات الاسرائيلية فوق الرمال كما يتمزق الورق ، وحفلت الصحف بصور الدبابات وقد التوت أجزاؤها وانفصلت أبراجها وتمزقت أجنابها وكأنها كانت من الكرتون المقوى ٠ والحقيقة أن تطور تكنولوجيا الصواريخ وضع العالم أمام حقيقة جديدة أن الصاروخ الصغير الذى لا يتجاوز مداه ٢ ــ ٣ كيلو متر ، يستطيع أن يمزق المدرعة ويجعلها حطاما ، ويحيل طاقمها الى كتلة من الكربون ٠ ولقد سبق الاشارة فى الفصل الثانى الى بطولات فردية تجل عن التصور ، كمثل الجندى المصرى (**محمد عبد العاطى**) الذى استطاع تعطيل ٢٣ دبابة بمفرده ٠ لقد كان كل صاروخ يطلق يدمر دبابة معادية ٠

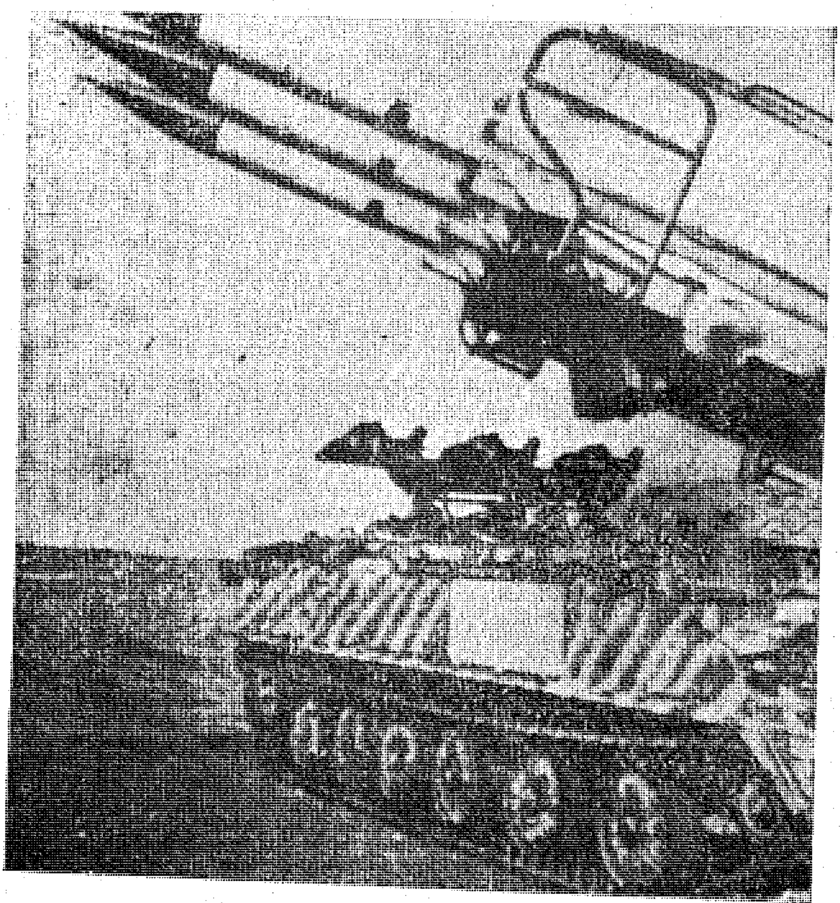
لقد كانت الدبابات الاسرائيلية تستهدف التقدم نحو رؤوس الكبارى المصرية ، وتحاول جاهدة تطويق اجنابها وكانت الخطة المصرية تمضى فى بطء محسوب لمقاومة كل محاولات جر القوات بعيدا نحو الشرق بغرض تعزيز هذه الرؤوس ، وتحقيق الحماية بالصواريخ فوقها ٠

وفى اليوم التاسع من أكتوبر أمكن تدمير اللواء المدرع ١٩٠ الاسرائيلى وأسر قائده (عساف باجورى) وهو يمضى فى هذه المحاولات اليائسة ، وكان ذلك بمثابة كسر ذراع اسرائيل التى كانت تهاجم بقوة لواءين مدرعين وكتيبتى دبابات ، ففقدت نصف هذه القوة تماما ٠

وظلت دبابات العدو خلال الأسبوع الأول للقتال تندفع ارتالها نحو رؤوس الكبارى وتكر عائدة من حيث أتت بعد أن يصاب عدد كبير منها ٠ لقد كان الجنود المصريون لها بالمرصاد ٠ وكأنما كانت اسرائيل تهدف الى جر الدبابات المصرية بعيدا عن قواعدها لتطيل خطوط امدادها ولكن هذه كانت أكثر التصاقا برؤوس الكبارى لتأمينها ، وكانت قواتنا أكثر ادراكا



وتمزقت الدبابات الاسرائيلية كما يتمزق الورق



دبابة مصرية من حاملات صواريخ « سام ٦ »
تقصف طائرات العـــدو

بأن الهدف هو تحويل المعركة الى بعيد نحو المضايق لكى تبعد القوات عن غطاء الصواريخ ·

والحقيقة ان معارك الدبابات أخذت تتطور بالتدريج ، حتى وصلت الى قمتها بعد الأسبوع الأول من المعركة · ويمكن القول ان المعركة التصادمية الكبرى بالدبابات تمت يومى ١٤ ، ١٥ أكتوبر عندما حاول العدو (تليين) جانب الجيش الثانى الجنوبى ، لفتح الثغرة نحو الدفرسوار ·

وهناك حقيقة يجب عدم اغفالها هى أن العدو كثف من استخدام سلاح الصواريخ المضادة للدبابات عندما أدرك فعاليتها ضده · فقد تدفقت الصواريخ الأمريكية على الجبهة مباشرة من العريش ، ونشطت طائرات الهليوكوبتر الاسرائيلية تقل هذه الصواريخ من حاملات الطائرات التى كانت تقف بحذاء العريش مباشرة الى ميدان القتال · كما نشطت طائرات الهليوكوبتر كذلك فى نقل أطقم اطلاق هذه الصواريخ من مكان لآخر بحذاء خط الجبهة الفاصل بين القوات ·

ولقد نشطت الاشاعات بأن العدو استخدم العديد من طائرات الهليوكوبتر المجهزة للعمل بصواريخ SS 11, TOW المضادة للدبابات · وبذلك دخلت حرب المدرعات فى طور جديد ، اذ أصبحت مقاومتها أسهل من الجو ·

ولقد دفع العدو فى اتجاه الدفرسوار بسرية من الدبابات البرمائية التى عبرت البحيرات المرة تحت جنح الظلام وتسللت الى مطار الدفرسوار المهجور ، وتوالت من بعدها وحدات مدرعات معادية أخرى أحدثت الثغرة التى تمركزت على الضفة الغربية للقناة حتى أوقف القتال ·

ولقد تسللت مدرعات معادية الى مدينة السويس وحاصرتها ، ولكن جنودنا يساندهم رجال الدفاع الشعبى ، لقنوا العدو درسا بليغا هو أن الرجل أكثر تدريعا من الدبابة ، فقد تحطمت على مشارف السويس عشرات الدبابات وأجبرتها على أن تقف خارجها ·

لقد انهت حرب الشرق الأوسط سيادة الدبابة على أرض المعركة . وانتقلت منها الى الصواريخ · والحقيقة الكبرى أن تكنولوجيا الصواريخ هى حرب المستقبل ·



التقى عساف ياجورى باليهود المصريين أثناء أسر وصلى معهم فى أحد معابد اليهود بالقاهرة

الفصل الخامس

جدار الصواريخ

غابة الصواريخ المصرية

منذ عام ١٩٦٧ اعتمدت اسرائيل اعتمادا كبيرا على سلاحها الجوى، وآسمته ذراعها الطويل الذى استطاعت به التسيد على سماء المنطقة · وبهذا السلاح أخذت تعربد فى المنطقة بلا رادع ، بل أخذت تزيد من قوة هذا السلاح باستخدام أنواع متقدمة من الطائرات كالفانتوم الأمريكية التى نسجت عنها الأساطير لتخويف العرب ·

وقبل عام ١٩٦٧ كان الدفاع الجوى عن مصر يعتمد على عدد محدود من المدافع المضادة للطائرات وعدد محدود من الصواريخ تخدمها شبكة عتيقة من محطات الرادار · وكانت قوات الدفاع الجوى تتبع عضويا للقوات الجوية · حتى أخذ قرار عام ١٩٦٩ بفصل هذه القوات وتكوين قوة مستقلة تتمثل فيها مناعة الدفاع · ومنذ ذلك التاريخ والعمل قائم على قدم وساق فى اقامة قواعد للصواريخ لحماية المنشآت الحيوية ، والقواعد الجوية والمطارات ، والمدن وخط الجبهة فوق القناة · ولكى تعمل الصواريخ لا بد من أن تخدمها شبكة من المحطات الرادارية لكى توجه الصواريخ الى أهدافها المعادية وتستطيع توجيه المقاتلات أيضا لاعتراض الطائرات المعادية · ذلك أن الدفاع الجوى يعتمد أساسا على الصواريخ والمقاتلات معا ،وينسق دفاعه على أساس استخدام أيهما فى الوقت الواحد · والحق يقال ان التاريخ لم يشهد حشدا فى اقامة قواعد للصواريخ ، كمثل غابة الصواريخ المصرية التى أقيمت فى منطقة القناة وعلى أنساق متفاوتة · لقد مثل هذا الحشد ، جدار حماية ظللت سماء المعركة الى عمق يقرب من ٢٠ كيلو مترا داخل سيناء · وبذلك كان اقتراب المقاتلات الاسرائيلية منه بمثابة نطح لصخرة عاتية · وكأن طيارى المقاتلات المعادية لم يكونوا يصدقون مناعة هذا الجدار ، فركزوا اغارتهم نحوه ، فأصابهم الدمار وحق عليهم قول الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ولقد وقف المعلقون العسكريون أمام مناعة هذا الجدار ، بالدراسة والتحليل للنتائج الباهرة التى أحرزها وجوده · ان الصواريخ (أرض — جو) التى استخدمت بالجدار صواريخ سوفيتية من طراز « سام — ٢ » للتغطية العالية ، « سام — ٣ » للتغطية المنخفضة ، « سام — ٦ » المتحرك على سيارات أو مجنزرات للتغطية الأكثر انخفاضا ، ومثل هذه الصواريخ

تعرفها ترسانات الأسلحة ، ولكنها لم تخض حربا أو تشترك فى معركة فعلية . فمنذ الحرب العالمية الثانية لم يتقارع سلاح الصـواريخ بمثل ما حدث فى حرب الشرق الأوسط .

وكتبت مجلة النيوزويك الأمريكية :

(لقد سقطت ثقة اسرائيل فى تفوقها التكنولوجى على العرب ، تماما مثلما تهاوت طائراتها بفضل شبكة الصواريخ المصرية العملاقة) .

والحقيقة السافرة ان اسرائيل لم تعط سلاح الصواريخ القدر الكافى من الاهتمام ، كمثل ما أولته مصر . ولكن الواضح أن التقارب بين انساق قواعد الصواريخ المصرية كان من الغزارة الى الحد الذى قلب تكتيكـات العدو ، فقد تهاوت طائراته كأوراق فى الأيام الأولى للمعركة وقيادته فى ذهول ، وكأنها لم تصدق أن الجدار من المناعة الى هذا الحد . ومع هذه المناعة تبخرت أسطورة الفانتوم التى لا تسقط ، والميراج التى لا تسبق . وبذلك أصبحت قواعدنا الجوية فى مأمن ، لا يستطيع أن يصل اليها الا نزر يسير من الطائرات المعادية ، يتسلل ضمن أسراب يهوى أغلبها الى رمال الصحراء . ومن ثم استطاعت مقاتلاتنا أن تكمل دور الصواريخ فى نسج شبكة الدفاع الجوى المتكامل ، وأصبحت السيادة الجوية لنا فوق سماء المعركة .

لذلك حاول العدو التسلل من منطقة شمال الدلتا حيث تقل كثافة الصواريخ ، اعتمادا على الاقتراب على ارتفاعات منخفضة فوق مياه البحر المتوسط . وخلال يومى ٩ و ١٠ أكتوبر أغارت ٢١٤ طائرة على بورسعيد وصبت فوقها ما يزيد على ١٥٠٠ طن وكان متوسط عدد الطائرات المغيرة عليها خلال الأسبوعين الأخيرين للمعركة بين ٦٠ و ٧٠ طائرة يوميا . ولقد فوجىء العدو فى المعركة بوجود صواريخ « سام ــ ٧ » التى تطلق من أكتاف الجنود ، وتتعامل مع الطائرات شديدة الانخفاض .

وأصبح الجنود من الحنكة بحيث كانوا يصيبون من الطائرات المعادية قدرا كبيرا بهذه الصواريخ ذات المدى المحدود ، ويجبرون ما يفر منها على الارتفاع لتصبح فى متناول صواريخ « سام ــ ٣ » ، « سام ٢ » .

وهكذا كسرت مصر ذراع اسرائيل الطويل المتمثل فى قواتها الجوية ، وأصبح لها ذراع أكثر طولا تلطم به هذا الوجه القبيح .

وعندما أدرك طيارو اسرائيل استماتة قواتنا فى الدفاع عن بورسعيد وامدادها أولا بأول بالصواريخ ، عمدوا الى قطع الطريق البرى ، الممتد اليها بالقصف بالقنابل . ولكن ذلك لم يجد فتيلا وظلت المدينة صامدة .



أحد الصواريخ المصرية المحمولة على الأكتاف

ولا يفوتنا أن ننوه بأن جدار الصواريخ لم يصمم ليظلل سماء قناة السويس وحدها ، بل امتد الى مسافة ٢٠ ــ ٢٥ كيلو مترا داخل سيناء • ولذلك عملت قواتنا التى تدفقت بعد العبــور الى سيناء ، تحت حمــاية هذا الغطاء الذى ظلل سماء المعركة بالتعاون مع المقاتلات • ولم تجـد محاولات العدو فى جر قواتنا بعيدا عن هذا الغطاء • ولقد لاحظ الكثيرون أن القوات لم تتدفق شرقا نحو المضايق فى الأيام الأولى للمعركة ، والحقيقة أنها كانت وقفة محسوبة ، لها أهدافها • فالتجهيز الهندسى لقواعــد الصواريخ يجب أن يتم ، وكان لزاما دفع انساق من الصواريخ الى شرق القناة فوق المعابر وتجهيزها للاطلاق • كل ذلك يقتضى وقتا ويستلزم اعدادا •

والحقيقة التى أدركها العدو أنه لا بد من سلاح جديد يتعامل به مع صواريخ هذا الجدار ، ومن ثم ظهرت فى الأفق الصواريخ الأمريكية جو ــ أرض من طراز **المافريك** والتى تعمل بالتوجيه التليفزيونى •

وتدفقت هذه الصواريخ باعداد غزيرة مع طائرات الفانتوم الجديدة التى ظهرت فى سماء المعركة لأول مرة بطلائها الفضى وبعضها ليس عليه علامة نجمة داود الاسرائيلية دليلا أنه أتى مع الامدادات الامريكية العاجلة لاسرائيل •

وكان رد جنود مصر بسيطا على هذه القنابل الدقيقة التوجيه ، ردا يعبر عن الذكاء والتصرف • لقد أطلقوا سحب الدخان حول قواعدهم عند اقتراب الطائرات ، فأصبح توجيه صواريخ « المافريك » مستحيلا ، بينما أصبحت الطائرات فى أيديهم •

كما أعمل العدو صواريخ « **شرايك** » الأمريكية ضد محطات رادار الصواريخ ، اذ يوجه اليها من الطائرات عند التقاطه نبضاتها • لكن تقدما الكترونيا استطاع مهندسونا الوصول اليه فى هذا المجال ، عطل أغلب الصواريخ من هذا النوع لاستطاعتهم المناورة بترددات هذه المحطات فى الوقت المناسب •

ان الدروس المصرية المستفادة من حرب أكتوبر فى حقــل الدفــاع الجوى تعتبر اثراء للعسكرية فى العالم ، لأن الفرصة لم تسنح من قبل لاستخدام الصواريخ بهذه الغزارة • ولم تكن اسرائيل تعتمد فى دفاعها الجوى الا على كفاءة مقاتلاتها الحديثة بجانب صواريخ الهوك أرض ــ جو •

لذلك ليس بدعا أن نجد أن خلاصات التجربة قد أصبحت من الغزارة الى الحد الذى دفع مصر الى انشاء كلية جديدة للدفاع الجوى ، تستطيع ن تعلم أبناء مصر تجربة لم يشهدها العالم من قبل •

الفصل السادس

معارك البحرية

رجال يفخر البحر بهم

تطل أراضينا على بحرين هما البحر الأبيض المتوسط ، والبحر الأحمر ، وسواحلنا تمتد الى ما يزيد على ١٦٠٠ كيلومتر ، وعلى الجانب الآخر لا يزيد طول سواحل اسرائيل عن ٤٠٠ كيلو متر ۰

ومن ثم كان الواجب المنوط بالقوات البحرية المصرية فى المعركة ، واجبا ثقيلا يتوزع بين مهام متشعبة ۰ تتمثل فى تدمير القطع البحرية المعادية ۰ ضرب الموانى الاسرائيلية وقطع خطوط المواصلات البحرية للعدو ۰ الى جانب الدفاع عن موانينا وخاصة ميناء بورسعيد الملاصق لخط الجبهة ، وحراسة الشاطىء الشمالى للميناء الذى يمثل جزءا هاما من مسرح العمليات ۰ وبالاضافة الى ذلك كله معاونة الجيوش الميدانية فى أعمالها فى المناطق الملاصقة للبحر ، مثل منطقة بورفؤاد ، والسويس ۰

وازاء هذه المهام نجد القطع البحرية المصرية ، تتنوع فى أنواعها وخواصها وتسليحها بين المدمرات والبوارج والغواصات ولنشات الطوربيد ولنشات الصواريخ الموجهة والحرة ۰ أضف الى ذلك نوعية خاصة للقوات التى تعمل معها مثل قوات الصاعقة البحرية ، وقوات الضفادع البشرية كل ذلك تسانده المدفعية الساحلية ۰

وخليق بنا أن نفخر بهذه القوات التى لها تاريخ مجيد فى الجولات المصرية الاسرائيلية السابقة ۰

ففى عام ١٩٥٦ سمع العالم عن جسارة شهيدنا المصرى ، « جلال دسوقى » وشهيدنا السورى « جول جمال » فى معركتهما مع البارجة الفرنسية « جان بارت » التى أغرقت أمام سواحل رشيد ۰ وفى عام ١٩٦٧ سمع العالم ، ولما يمض على حلول النكسة بالعرب أربعة شهور عن بطولات رجال لنشات الصواريخ المصرية الذين أغرقوا المدمرة الاسرائيلية « أيلات » أمام سواحل بورسعيد ۰

لقد فاخر الرئيس محمد أنور السادات بذلك ، وأعلن سرا خطيرا فى يونيو ١٩٧٤ ، بأن الصاروخ الذى دمرت به أيلات كان أول صاروخ من نوعه فى العالم بقوله فى حفل للقوات البحرية المصرية : « **ان التاريخ**

سيذكر لكم أن أول صاروخ أطلق فى تاريخ البحرية العالمية كان يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٦٧ حين أطلقت زوارقكم صواريخها على المدمرة ايلات بعد أربعة شهور فقط من الألم والمرارة فى يونيو ١٩٦٧ • ومنذ ذلك التاريخ تغيرت الاستراتيجية العالمية وسطر التاريخ ان أول صاروخ بحرى كان مصريا » •

وللبحرية المصرية أمجاد فى حرب الاستنزاف ، تشهد بها موقعة جزيرة شدوان في البحر الأحمر ، والتى كشفت للوجود عن نوعية الجندى البحرى المستبسلة •

وفى يونيو ١٩٧٤ أيضا ، كشف الرئيس محمد أنور السادات عن سر من أسرار الحرب لم يعلن من قبل ، هو أن ساعة الصفر فى المعركة كانت بالنسبة لكل القوات الساعة الثانية يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، بينما كانت بالنسبة للقوات البحرية وحدها قبل ذلك الموعد بعشرة أيام •

« ان القوات البحرية اتخذت فى صمت وفى سرية تامة وفى كفاءة وفى روعة أوضاعها القتالية قبل بدء المعركة بعشرة أيام » •

ذلك أن تحريك القطع البحرية الى مواقعهـا الـلازمة فى البحرين الأحمر والأبيض كان يستلزم وقتا • ويقتضى تحميلها بالألغام والصواريخ أعدادا •

ولقد كانت ضربة استراتيجية من الدرجة الأولى قيام القطع البحرية المصرية باغلاق خليج « باب المندب » فى أقصى جنوب البحر الأحمر منذ بدء المعـركة • لقد تحركت اليه القطـع البحرية المصرية من مـدمرات وغواصات قبل ساعة الصفر بعشرة أيام • ووفقا لاحكام خطة الخداع كان الاعلان بالقيام بمناورات الخريف السنوية ، وتوجه احدى الغواصات الى باكستان للاصلاح ، وقيام احدى المدمرات بزيارة ودية لليبيا •

لقد كان ذلك ضربة موجهة الى اسرائيل لخنق خطوط امدادها من أقصى جنوب البحر الأحمر ، وخاصة بترول ايران الذى يتدفق اليها عبر هذا البحـر الى ميناء ايلات • وبالتالى كان ردا عمليا على تبجح القـادة الاسرائيليين الذين ركبهم الغرور بامتلاك الفانتوم فأعلنوا أن البحر الأحمر أصبح بحيرة اسرائيلية • هكذا خنق البحر الأحمر من مدخله ، وأصبح بحيرة عربية • وتبخرت استراتيجية شرم الشيخ المغالى فيها من جانب العصابة الصهيونية ، بالنسبة للملاحة فى خليج العقبة وانتقلت الى أقصى الجنوب فى باب المندب •

وبهذه الحركة أيضا ، توقفت التجارة الاسرائيلية المتسللة الى افريقيا حيث سد أمامها المنفذ الوحيد اليها · وبذلك قضت مصر على حجة اسرائيل فى ان تسيطر على مضايق تيران وشرم الشيخ ، وهما يمثلان أمرا حيويا لتأمين ملاحتها البحرية عبر البحر الأحمر ·

وما بدأت المعركة حتى قام عمالقة البحرين الأبيض والأحمر بأروع أدوارهم والتى نوجز تسجيل أهمها فى النقاط التالية :

* عملت القوات البحرية فى معاونة الجيوش الميدانية ، ففى القطاع الشمالى قامت القطع البحرية بقصف النقطة الحصينة شرق بورفؤاد ·

* كما قامت بقصف التجمعات المعادية فى « رمانة » ، و « راس برون » ، بشمال سيناء ومناطق شرم الشيخ » و « رأس محمد » ، و « رأس سدر » ، « ورأس مسلة » ، بالبحر الأحمر ·

* ادارت البحرية المصرية معركة بحرية طاحنة بين البرلس ودمياط يومى ٨ ، ٩ أكتوبر ١٩٧٣ بقطع لنشات الصواريخ بحر - بحر تلاحمت فيها مع ثمانية زوارق اسرائيلية أغرقت منها أربعة ·

* فى ليلة ١٥/١٦ أكتوبر التحمت البحرية مع داورية مكونة من أربعة لنشات اسرائيلية حاولت التسلل الى ميناء الاسكندرية ، فاصطادتها بحذاء خليج أبى قير وأغرقت منها لنشين وأعطبت لنشا ثالثا تعطل أمام رشيد · وأمكن التقاط صاروخ جبرائيل كامل اسرائيلى الصنع من حطامه ·

* أغرقت سفينة تجارية اسرائيلية قرب مرفأ بورسودان بواسطة غواصة مصرية فى البحر الأحمر · وأعطبت سفينة انزال جنود أمام شاطىء بورسعيد ·

* قامت الضفادع البشرية باغراق حفار فى مرسى تلمت يعمل فى التنقيب عن البترول فى البحر الأحمر · وكذلك كان الشأن بالنسبة لآبار بلاعيم للبترول حيث تم تعطيل الحفار الذى يعمل به ·

* جنوبي مدخل خليج السويس ، كانت البحرية قد ثبتت أعدادا غزيرة من الألغـام البحرية ، تسببت في اغراق عـدد (٢) حاملة بترول أولاها السفينة « سيروس » الاسرائيلية وحمولتها ٤٦٫٠٠٠ طن ، والثانية قطعة صغيرة حمولتها ٢٠٠٠ طن . وهما تحاولان نهب بترول آبار بلاعيم .

* أغارت قوات الصاعقة البحرية على مناطق « أبو درية » في خليج السويس والشيخ « بيتان » جنوب مدينة الطور .

* لم تكن اللنشات الاسرائيلية تستطيع العمل الا تحت غطاء جوي يحميها وخلال معارك اللنشات تمكنت المدفعية البحرية من اسقاط ١٢ طائرة هليكوبتر معادية . بينما تمكنت مقاتلاتنا من طراز ميج ٢١ من الاجهاز على بعض طائرات الحماية الأخرى وأجبرت كثيرا منها على الفرار .

الباب الثالث

الجبهة فى الشرق

تخطيط مسبق

بدأت الحرب على الجبهة السورية فى نفس الوقت الذى بدأت فيه على جبهة قناة السويس ،تطبيقا لأمر القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية « **الفريق أول أحمد اسماعيل** » • وتنفيذا لأوامر القيادتين السياسيتين فى الدولتين سوريا ـ ومصر • وفى اطار التعاون داخل دول اتحاد الجمهوريات العربية •

ولقد كان الهدف الرئيسى بلا شك فى تنسيق العمل بين الجبهتين • هو حصر العدو بين شقى الرحى لتشتيت قواه ، وضغطه بين فكى الكماشة • واجباره على توزيع قواته ومجهوده الجوى بين جبهتين متباعدتين •

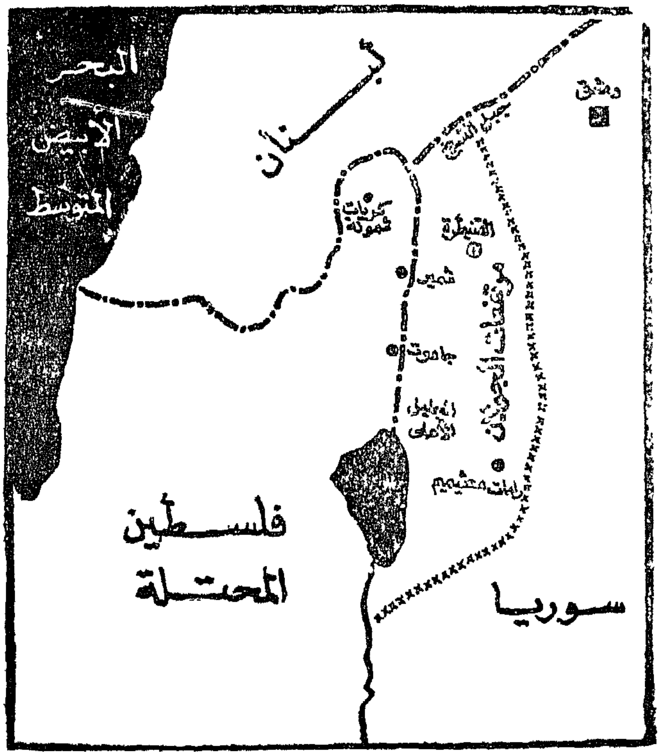
ولا شك أن تخطيطا مسبقا قد تم بين مصر وسوريا فى مجال تنسيق العمل لوضع الخطة ، واحكام عناصر المفاجأة ، فتحققت كاملة على كلا الجبهتين • والمتتبعون لمراحل العمليات يلحظون عناصر تشابه كثيرة بين هذه العوامل فى كلا الجبهتين • وان كانت العمليات فى سوريا قد انفردت بصور وخصائص مميزة •

عوامل معنوية

ويرجع القتال على هذه الجبهة الى عدة أسباب وعوامل • ذلك أن هضبة الجولان محتلة منذ نكسة يونيو ١٩٦٧ ، ومن قبل هذه النكسة لم تكن اسرائيل تخفى اطماعها فيها، نظرا لموقعها المرتفع المطل على المستعمرات الواقعة شمال الأرض المغتصبة ، ولكونها موقعا استراتيجيا هاما يطل على وادى الأردن •

وهى بالنسبة لسوريا فوق انها أرض سليبة ، تستوجب كل مقومات الكرامة استردادها مهما غلا الثمن فانها أرض خصبة لها خيراتها ، ولها زراعتها وبها مدن وقرى آهلة بالسكان •

وهي غنية بسهول صالحة للزراعة . يشقها فى الجنوب نهر اليرموك وينتهى بها فرع نهر بانياس فى الشمال · وتحف بها بحيرتا طبريا ، والحولة فى الغرب ، حيث يهدر نهر الاردن ، وتنحدر بعده الأرض نحو المستعمرات الاسرائيلية المتكاثفة فى شمال فلسطين المحتلة ·



الجبهة الشمالية فى المرتفعات السورية

أهمية هضبة الجولان

كما تتمثل أهمية الجولان بالنسبة لسوريا فى كونها خط الدفاع الأول عن العاصمة دمشق التى لا تبعد عنها غير ٤٠ كيلو مترا والتى لا يزيد بعدها عن خط الحدود الفاصلة مع الأرض المحتلة عن ٧٥ كيلومترا · وهى تضم واحدة من أهم المدن السورية القنيطرة ، التى عمل العدو على أحكام يده عليها امعانا فى الضغط معنويا على السوريين ·

وتتميز هضبة الجولان بشكل أقرب ما يكون الى كونه مستطيلا ذا طول يبلغ ٧٠ كيلو مترا ، وعرض ٢٥ كيلو مترا . وتنحدر من حافتها الغربية نحو فلسطين ومن جانبها الشرقي بسهول الاردن حتى دمشق . وهى مرتفعة فى الشمال حيث جبل الشيخ . ومنبسطة الى حد ما فى الجنوب حيث وادى نهر اليرموك . وتتخللها وديان غائرة يصل عمق بعضها حتى ١٥٤ مترا .

ونرجع الأهمية الاستراتيجية للهضبة الى سببين رئيسيين . أولهما أنها موقع حاكم تلتقى فيه حدود الأردن وجنوب لبنان بالاضافة الى الافضاء الى السهول المنتهية بدمشق . ومن ثم فهى تفضى الى حيث تمركز الفدائيون الفلسطينيون فى جنوب لبنان ، والى حيث يقف الجنود الاردنيون كاحتياطى لقوات المعركة فى حدود الاردن مع سوريا . وثانيهما أن الطبيعة الصخرية الوعرة للمنطقة ، تضم ذروة جبال مرتفعة شديدة التضاريس ، يشمخ فيها جبل الشيخ أو (حرمون) الى ارتفاع ٢٨٠٠ متر . بينما تمتد فى باقى الهضبة مرتفعات تتراوح بين ١٠٠٠ ، ٥٠٠٠ متر . لذلك فهى تطل على المستعمرات الاسرائيلية الشمالية بما لا يقل عن ٣٠٠ متر ، حيث يمكن أن تصليها بنيران المدافع ، وتدمرها بالصواريخ .

ولقد استغلت اسرائيل احتلالها لهضبة الجولان منذ حرب يونيو ١٩٦٧ وقامت بتجهيزات هندسية تزيد من مصاعب استرداد السوريين لها . فقد عمدت الى حفر خندق صناعى بحذاء الحدود الشرقية لخط وقف اطلاق النار وبطنته بالاسمنت المسلح ، يبلغ طوله ٣٠ كيلو مترا عرضه ستة أمتار بينما يغوص عمقه الى أربعة أمتار ، وذلك لاعاقة تقدم المدرعات .

كما أقامت اسرائيل مرصدا عاليا فوق جبل الشيخ ، بلغت قممه الظاهرة ثلاثة أدوار ، بينما يغوص بعمق ٤٠ مترا فى الصخر ، وحصنا على غرار دشم خط بارليف ليكون منيعا يقاوم القصف ويحوى الاسلحة الثقيلة . ولتطل منه أجهزة المراقبة فتكشف أية تحركات عبر سوريا وفى سهول لبنان .

ولقد كانت الهليكوبتر التى تعمل كخط مواصلات بين اسرائيل وهذه النقطة العالية للمراقبة ، تشاهد بوضوح من دمشق .

كما عمدت اسرائيل الى حفر بعض خنادق عميقة فى انساق الجبهة ، زودتها بخزانات النابالم كمثل تلك التى كانت مقامة على حافة قناة السويس ، لتنقلب هذه الخنادق الى أتون مشتعل يعوق كل تقدم .

ولقد أملت طبيعة الجولان الصخرية الوعرة ، على الجيشين السورى والاسرائيلى ، قيودا خاصة على الحركة ، جعلت الاعتماد الأول على المدرعات والمجنزرات تحت غطاء جوى ، حيث تصعب الحِركة ، ويعز وجود الأرض المفتوحة لذلك شهدت هذه الرقعة الضيقة والتى لا تتجاوز مساحتها ١٢٠٠ كيلو متر مربع نزالا بين آلاف الدبابات فاقت فى عددها ما استخدمه رومل ومونتجمرى فى حرب العلمين بكثير .

حيث دفعت سوريا بما يقرب من ١٤٠٠ دبابة فى أول أيام المعركة وزاد عددها بعدة مئات بوجود التعزيزات العراقية . وقابلتها اسرائيل بعدد يقرب أن يكون مماثلا .

وفى ميزان القوى تقدم سيل منهمر من الجنود السوريين ، يؤازرهم اخوة مغاربة وقوات جيش التحرير الفلسطينى فاكتسحوا خط الجبهة الفاصل ، ومضوا كالطوفان المندفع فى شتى الاتجاهات يخلصون الأرض من غاصبيها .

وبعد أيام من بدء المعركة لحقت قوات عراقية ، بالجبهة تقود الآليات وتوجه المدافع وتنقض بالطائرات .

المحاور الثلاثة

ويمكن القول بأن العمليات قد تمت على ثلاثة محاور رئيسية عبر الجبهة هى المحور الشمالى ذو المرتفعات والجبال العالية . والمحور الأوسط الأقل ارتفاعا ، وأهم المحاور عسكريا واستراتيجيا . والمحور الجنوبى المنبسط نحو سهول نهر اليرموك المنتهية فى الأراضى الاردنية .

وترجع أهمية المحور الأوسط الى كونه أقصر هذه المحاور بعدا عن دمشق . ولأنه يفضى الى مدينة القنيطرة التى استقطبت كثيرا من اهتمام السوريين لاستردادها ومن عناد الاسرائيليين امعانا فى التحطيم المعنوى لعدم استثمار السوريين للنصر . ولقد شهد القطاعان الأوسط والشمالى لعبة الدفع والجذب بين السوريين والاسرائيليين ، فى هجوم سورى مكتسح وهجوم اسرائيلى مضاد . بينما لم تكشف كثير من المعارك فى القطاع الجنوبى .

ولقد كان هدف اسرائيل الحقيقى ، فى التركيز على القطاع الأوسط من جبهة الجولان بالذات هو محاولة الاقتراب من دمشق ، أو الدخـــول اليهــا ٠

خصائص المعركة

ولقد أتت المعارك السورية ملحمة للبطولات ، وشاركت فيها كـــل أسلحة القوات المسلحة حيث هاجم السوريون بما يكاد يقرب من ربـــع مليون جندى بين سورى ومغربى ثم عراقى ٠

والمتتبعون للمعركة السورية ، يمكنهم تقسيمها الى ثلاث مراحــل مختلفة ، تدرجت من الهجوم السورى المكتسح ، الى الهجوم الاسرائيلى المضاد الى مرحلة التوازن بين القوتين التى انتهت بوقف اطلاق النار ٠

وتجدر الاشارة الى ملامح خاصة وضحت خلال مراحل المعركة فأضفت عليها طابعا خاصا هى :

- ان السوريين والمغاربة ناضلوا فى استبسال ، عبر عنه اكتســاحهم للجبهة فى الأيام الأولى للمعركة وقد احتفظوا بروح معنوية عالية ، أكسبت معاركهم ضراوة وشراسة بهرت جنود العدو وقادته ٠
- بينما على الجانب الآخر كان الاسرائيليون قد أخذوا بعنصر المفاجأة ، وفقدت القيادة الاسرائيلية توازنها ، وتوزعت قواها بين جبهة قنــاة السويس والجولان معا ٠ فأجبرت اسرائيل عددا من الطيارين المرتزقة لدخول المعركة قسرا ٠ ووضح ذلك عندما سقط بعض هؤلاء الطيارين ووجدت جثثهم مقيدة بالسلاسل الى مقاعد الطائرات حتى لا يتعجلوا القفز منها أمام جدار الصواريخ السورية ٠
- ان المعركة بلغت حدا كبيرا من الضراوة الى الحد الذى دفــع اسرائيل الى ضرب الأهداف المدنية فى محاولة لانهائها ، ولتحويل المعركة عن الجبهة الى الداخل ، مع شل الاقتصاد السورى ٠ وذلك حتى تفرغ من هذه الجبهة وتركز على العمل فى جبهة قناة السويس ٠

ومن ثم فقد عمدت الى ضرب أغلب الموانى السورية فى اللاذقية وطرطوس ومصافى البترول والاحياء السكنية فى دمشـــق وحمص وبانياس ٠



الدبابات العراقية كان لها دور بطولى خارق فى الجبهة السورية

وكان الرد السورى حاسما حيث قصفت المدفعية السورية المستعمرات الشمالية لاسرائيل ، والواقعة أسفل جبهة الجولان . كما عمدت سوريا الى توجيه بعض الصواريخ أرض ـ أرض الى بعض هذه المستعمرات فأصلتها وابلا من حممها واضطرت سكانها الى الرحيل عنها . كما قصفت الطائرات السورية مصافى البترول فى حيفا .

- ان الخسائر على الجانب الاسرائيلى فاقت كل تصور ، فقد خسرت إسرائيل خلال ثلاثة أسابيع ما يقرب من مائتى طائرة ، وستمائة دبابة وثلاثة آلاف رجل فضلا عن جرح ما يقرب من عشرة آلاف .

ولقد أوجع اسرائيل الخسارة الضخمة فى اعداد الطيارين ، فقد أبلت المقاتلات السورية بلاء حسنا فى صد الغارات الاسرائيلية ، كما كان جدار الصواريخ السورى فعالا ، بحيث تساقط الطيارون

الاسرائيليون بالعشرات كل يوم · ولقد تهكم أحد المراسلين الحربيين على ذلك بقوله « هذه أول مرة فى التاريخ ، يجد فيها الطيار الهابط بالمظلة ، احتفالات ضخمة لاستقباله » · فقد اعتاد شباب دمشق وضواحيها تتبع هؤلاء الطيارين وانتظارهم وهم هابطون فى الجو ·

— ان الوحدة العربية تجلت فى صورة طيبة أزاء المعركة السورية ، فقد شارك فيها منذ أولها جنود مغاربة الى جانب اخوانهم السوريين والفدائيين الفلسطينيين ثم ما لبثت القوات العراقية أن انضمت الى الصراع وشاركت فيه مشاركة فعالة بالمشاة والمدرعات والطيران بينما وقفت قوات من السعودية وقوات من الأردن الشقيق على أهبة الاستعداد على حدود الاردن مع سوريا ترقبا لتطورات الموقف ·



صاروخ سورى ينفجر بطائرة العدو

مراحل الصراع

واذا ما تتبعنا مراحل الصراع الثلاث فان المرحلة الأولى كانت كلها فى صالح الاخوة السوريين ، وانتهت باكتساحهم لعدة مواقع على المحاور الثلاثة · وقد بدأت هذه المرحلة فى الساعة الثانية من بعد ظهر السادس من أكتوبر المجيد ، وبدأت على غرار ما تم على جبهة القناة بضربة جوية مركزة قامت بها أكثر من مائة طائرة قاذفة ــ مقاتلة دكت الأهداف الاسرائيلية فى هضبة الجولان المحتلة ·

وعاونها ألف مدفع في توجيه وابل من النيران قلبت خط الجبهة الى جحيم مستعر ، وقامت بتمهيد النيران ، للقوات البرية وفي أثر ذلك

اندفعت جموع من المهندسين والمشاة والمغاوير (الصاعقة السورية) مهدت لوضع الكبارى الهيدرولكية فوق الخنادق الاسرائيلية ‥ فخاضوا معارك تميزت بالتلاحم بالسلاح الأبيض ، والقنابل الشديدة الانفجار . وأفلح هؤلاء فى اكتساح انساق الخنادق وتمهيد المعابر لعدد ١٢٠٠ ألف ومائتى دبابة تدفقت على المحاور الثلاثة للهجوم السورى .

بينما تم فى نفس الأونة اسقاط جوى فى عمق الجولان،وتركز حول المرصد المرتفع فوق جبل الشيخ ، فدهم القوات المعادية التى كانت تحتله وجعل المرصد مقبرة لهم واستولى عليه المغاوير السوريون بعد قتـــال وحشى ، تم شبرا بشبر .

واندفعت قوات المشاة المحمولة على المجنزرات الى شتى المواقــع الاسرائيلية فاكتسحتها وأصبحت القوات السورية على مشارف القنيطرة نطوقها . ومنيت القوات الاسرائيلية بخسائر كبيرة فى المدرعات والمشاة . ورغم تركز غطاء جوى اسرائيلى كثيف على الجبهة فان المقاتلات السورية حرمت العدو ميزة السيطرة الجوية ، وفقد العدو فى الأيام الأولى لهــذه المعركة الكاسحة عددا كبيرا من الطائرات .

أما المرحلة الثانية وهى مرحلة الهجوم الاسرائيلى المضاد فقد بدأت بعد خمسة أيام من بدء الحرب ، وقام فيها العدو بهجوم مضاد محموم . وركز هذا الهجوم على المحور الأوسط هادفا مع السوريين من التقــدم للاستيلاء على القنيطرة وفى نفس الوقت عامدا الى التهديد المعنوى باحتلال دمشق حيث لا تبعد أكثر من ٤٠ كيلو مترا من أقصر الطرق اليها .

ولقد عزز العدو سيل مدرعاته المتدفق ، مستغلا تكثيف الغــارات الجوية على المواقع التى احتلتها القوات السورية . ولقد وضح أن هــذه القوات لم تكن قد أخذت فرصة الوقت الكافية بعد النضال المرير الذى خاضته لكى تدعم تجهيز مواقعها ، كما أن تدفقها نحو الغــرب كان قد أبعدها عن غطاء الصواريخ أرض ـ جو التى لم تستطع ملاحقة الهجــوم بتغير مواقعها ، حيث يستلزم التجهيز الهندسى لها وقتا أطول .

ولقد لحقت القوات العراقية بالقوات السورية خلال هذه المرحلة . وجد السوريون والعراقيون معا فى ايقــاف حــدة الزحف الاسرائيلى ، وخسرت اسرائيل عديدا من الدبابات .

وما آتى يوم ١٤ أكتوبر حتى كان الزحف الاسرائيلى قد أجبر على التوقف .

غير أن السوريين عاجلوا في اليوم التالي بهجوم مرير نان استمر ثلاثة أيام ودارت رحى حرب طاحنة بين أكثر من ألفي دبابة تركز أغلبها في القطاع الشمالي وبعضها في القطاع الأوسط ·

أما المرحلة الثالثة فقد بدأت بعد أن ظل القتال مستعرا احد عشر يوما كاملة · فقد بدأ العدو في تكثيف امداداته من الدبابات بتعزيزات أتت اليه من أمريكا فأفلح في فتح « ثغرة » في الخطوط السورية · ودار قتال مرير حول جبل الشيخ استرد العدو فيه نقطة المراقبة ·

واستمر المد والجزر بين القوتين تحت مساجلات بالمدفعية والصواريخ وواضح ان اسرائيل ارهقت في هذه المرحلة بقدر كبير ، وكانت خسائرها في المدرعات والطائرات قد فاقت كل تصور ·

بينما كانت القوات السورية والعراقية تحرر المواقع شبرا شبرا -- وما أتى قرار وقف اطلاق النار الا وكانت الحدود الفاصلة بين القوات مختلطة الى الحد الذي دفع كيسنجر الى وصفها بأنها مائعة · ولكن النتيجة العامة أن خط وقف اطلاق النار عام ١٩٦٧ قد تغير في الشمال وفي الوسط والجنوب · حيث انبعج لمسافة عشرة كيلو مترات في القطاع الأوسط بحذاء القنيطرة ، بينما انحسر الى الداخل بتحرير السوريين في القطاع الجنوبي بشريط طويل يمتد أكثر من ٢٠ كيلو مترا وبعمق خمسة كيلو مترات ·

وبتعبيرات الدبلوماسية ، نعت المراقبون هذا الانبعاج والانحسار ، بأنه ضرب من التوازن · ووصف آخرون الموقف بأن سوريا كسبت المعركة ولكن بالنقط ·

ولقد دارت بعد ذلك معركة سياسية حامية الوطيس بين سوريا واسرائيل ، كان فرس الرهان فيها كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية لفك الارتباط بين قواتهما واضطر للانتقال بين عاصمتي الدولتين ما يقرب من ٣٤ مرة ·

القسم الثالث

الجَولات العربيَة الاقتصادية

ضرَبة البترول

رأس المال العربى

« الفائضات البترولية »

الأرصدة العربية

قناة السّويس

الباب الأول

ضربة البترول

كل نقطة من البترول
تساوى نقطة من الدم
« كليمانصو »

البترول والسياسة

بعد الحرب العالمية الأولى ، تمكنت بريطانيا وحلفاؤهـا من بسط نفوذهم على منطقة الشرق الأوسط ، حيث يوجد القسم الأكبر من منابع البترول العربى . وقد اتسمت سياسة الاستعمار فى هذه المنطقة من العالم ، بالمحافظة — أولا وقبل كل شيء — على الامتيازات البترولية . وذلك عن طريق تجزئة العالم العربى وتفتيت قواه وعرقلة نهضته الاقتصادية والسياسية .

فقد أثارت بريطانيا ، العرب ضد الأتراك ، فتمكنت بذلك من السيطرة على الدول العربية وتوصلت الى منابع البترول العربى . ولكى تؤمن استغلالها لهذه المنابع لجأت بريطانيا الى سياسة « فرق تسد » ، فعمدت الى خلق دويلات عربية مستقلة ارتبطت معها باتفاقيات امتياز طويلة الأمد . وتدخلت عسكريا تحت ستار حماية استقلال الدول المنتجة للبترول. وحرصت تماما على أن تبقى هذه الدول بعيدا عن تيارات الدولة العربية الموحدة .. كما وقفت بريطانيا والاستعمار الغربى ، فى وجه حركات التحرر العربى ، وقيام الوحدة العربية ، باعتبارها تهديدا لامدادات الغرب وتموينه بالبترول .

وأصبح واقعا ، بعد الحرب العالمية الأولى ، ارتباط التاريخ السياسى للوطن العربى ، بتسابق الشركات الكبرى ، والدول التى تساندها ، لأحكام السيطرة على مصادر النفط العربى واستغلالها .. بل ان خريطة الوطن العربى ، قد رسمت على ضوء تقسيم الدول العربية الى مناطق نفوذ تتبع المصالح البترولية الغربية .

وقد جاء قيام دولة اسرائيل فى قلب المنطقة ، نتيجة طبيعية لمصالح الاستعمار البترولية ، فقد ساعدت على قيامها الدول الغربية الكبرى المسيطرة على صناعة البترول فى الوطن العربى .. وهى نفسها التى أصدرت البيان الثلاثى (عام ١٩٥٠) لضمان وجود اسرائيل والتى كانت — وما تزال — تمد اسرائيل بالسلاح وبكافة وسائل الدعم السياسى والاقتصادى والعسكرى .. فأصبحت اسرائيل بذلك ، حليفا طبيعيا للنفوذ الغربى فى المنطقة ، وقاعدة عسكرية أجنبية ، يستعملها الغرب لضرب الحركات التحررية فى العالم العربى واضعاف قوته ، واحكام السيطرة عليه واستنزاف ثرواته البترولية .

كما ساعد قيام اسرائيل ، على استقطاب اهتمام الرأى العام العربى ، حول القضية الفلسطينية واستنزاف طاقاته فى النزاع العربى الاسرائيلى ، واطلاق يد الشركات البترولية ، لممارسة نشاطها وفق مصالحها ٠

وهكذا عزلت قضية البترول عن محور السياسة العربية ، على الرغم من أنها حجر الزاوية فى سياسة الدول الغربية فى الدول العربية ، ومن ارتباطها الوثيق بالقضية الفلسطينية ٠

وعليه ، فانه لا يمكن بأى حال ، تجاهل معالجة موقف اسرائيل بمعزل عن قضية البترول ، لارتباط السبب بالنتيجة ٠٠ وكل شىء عدا ذلك ، فانما قصد به اقصاء الرأى العام والمسئولين العرب ، عن الوضع الراهن لاستثمارات ثرواتهم البترولية والهائهم بالمهاترات السياسية العقيمة ٠

وبذلك ، أصبحت حياة وقوة العالم العربى ، مرتبطة بالبترول ٠

البترول يحدد مواقف الدول

ويختلف موقف الدول من النزاع العربى الاسرائيلى ، باختلاف نظرة كل دولة منها ، الى أساليب تأمين مصالحها البترولية ، فى الدول العربية ٠

وينعكس هذا الاختلاف ، على سياسة الدول الغربية تجاه العالم العربى ، وتبرز أهمية الدور الذى لعبه ويلعبه البترول العربى فى التأثير على السياسة الغربية ٠

وعلى الرغم من أن بريطانيا وأمريكا ، كانتا من الدول التى تمتعت حتى الآن بأوفى نصيب من امتيازات البترول ٠٠ الا أنه من المشاهد ، أنهما كانتا دوما من أشد الدول تحيزا مع اسرائيل ٠

على عكس ايطاليا وأسبانيا وألمانيا الغربية واليابان ٠٠ وكلها قد باشرت فى الماضى القريب ، نشاطها البترولى فى منطقة الشرق الأوسط ، وتحتاج باستمرار الى كميات متزايدة من البترول العربى لسد حاجتها الاستهلاكية ، فتتخذ هذه الدول مواقف ودية أو حيادية أو على الأقل أخف عداء من أمريكا وبريطانيا ٠

أما فرنسا فقد انتهجت سياسة مماثلة لسياسة بريطانيا ، واشتركت الى جانب اسرائيل وبريطانيا فى العدوان على مصر (عام ١٩٥٦) ٠٠ الا

آنها عقب عودة الجنرال « ديجول » الى الحكم (عام ١٩٥٨) تراجعت عن مواقفها ، بعد أن رأت أن سياسة القوة التى مارستها ضد مصر والجزائر ، لا يمكن أن تؤمن مصالحها البترولية ٠

البترول العربى والمصالح الأمريكية

أثناء انعقاد مؤتمر دول عدم الانحياز فى الجزائر (٥ سبتمبر ٧٣) ٠٠ أدلى الرئيس الأمريكى « نيكسون » بتصريحات ، قصد بها تخويف العرب ومجموعة الدول المصدرة للبترول المشتركة فى المؤتمر ٠ الا انه قد جانبه التوفيق ، فقد ازداد تمسك العرب بسياستهم ، ومعهم أصدقاؤهم من دول المعسكر الثالث ٠

وتحتاج أمريكا ، الى ما يعادل ٨ ملايين برميل من البترول يوميا من الحقول العربية ٠٠ اذ أنه لا يوجد مكان فى العالم ، يمكنه توفير هذه الكميات فى الوقت الحاضر ، غير الدول العربية ٠ وتبلغ نسبة استيراد أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية واليابان وبلاد الشرق الأقصى ، لبترول العرب والشرق الأوسط ، ما مقداره ٧٢٪ من صافى وارداتها من البترول ٠

وسوف يستمر الاعتماد الرئيسى للعالم ، فى مجال الطاقة ، على البترول ، خلال الفترة المتبقية من السبعينيات ٠٠ اذ أنه ليس من المنتظر ، دخول وسائل الطاقة النووية ، فى مجال التنافس لمصادر الطاقة الأخرى ، قبل الثمانينات بل ويحتمل ذلك فى التسعينات ٠ وذلك لأن الأمر سوف يحتاج الى أموال ضخمة لتغيير الأساس الكلى لجميع وسائل الامداد بالطاقة القديمة ٠٠ ومن ثم سيبقى بترول الشرق الأوسط هو المصدر الأساسى لاستهلاك العالم ٠

وتضم الدول العربية فى أراضيها ، النسبة العظمى من احتياطى البترول العالمى ، فى الوقت الذى يتزايد فيه اعتماد العالم ـ خاصة أوروبا الغربية واليابان ، بل وأمريكا نفسها على البترول العربى ٠

فمخزون البترول الموجود فى جوف الأرض العربية ، يمثل ٦٢٪ من مخزون البترول العالمى ، خارج دول المعسكر الشرقى ٠

وتعتمد دول غرب أوروبا على البترول العربى ، فى ٧٠٪ من استهلاكها ٠٠ كما أن اليابان تعتمد عليه فى أكثر من ٨٥٪ من استهلاكها ٠

وتتزايد أهمية البترول العربى مع السنين ولا تتناقص ٠٠ لأن المخزون فى أمريكا ذاتها يقل ، ولأن الاستهلاك العالمى للبترول ، يزيد

بمعدل اكبر من معدل الاكتشافات البترولية الجديدة ٠٠ يضاف الى ذلك ، أن تكاليف استثمار البترول العربى أقل بكثير من تكاليفه فى أى مكان آخر من العالم ٠

هذا بجانب ما نؤثر به العائدات البترولية ، على الاقتصاد الأمريكى ٠٠ اذ أن معظم الاحصائيات العالمية ، تشير الى أن أرباح أمريكا من البترول هى أهم من أرباحها فى جميع أنواع استثماراتها فى العالم الخارجى ٠٠ فهى تمثل ٣٣٪ من كل استثمارات أمريكا المباشرة فى العالم الخارجى ٠

ويشكل البترول العربى نسبة تتراوح ما بين ٢٠ ــ ٢٥٪ من مستوردات أمريكا البترولية ٠٠ أو ما يعادل مليون برميل فى اليوم من البترول الخام ٠ ومعنى الحظر الفعلى ، هو حرمان أمريكا من هذه النسبة ٠

وفى احصائية نسبية أمريكية ، نجد أن المستوردات البترولية الأمريكية حتى نهاية ١٩٧٣ تبلغ حوالى ١٣٠ مليون برميل شهريا ، توزيعها كالآتى :

المصادر	**مليون برميل**
كندا	٧١ر٠٠٠ر٠٠٠
فنزويلا	٢١ر٨٣٧ر٠٠٠
نيجيريا	١٨ر٧٧٩ر٠٠٠
أندونيسيا	٨ر٤٣٧ر٠٠٠
ايران	٧ر١٤٦ر٠٠٠
الدول العربية	
السعودية	١٩ر٧٩٤ر٠٠٠
الكويت	٢ر٢٨٩ر٠٠٠
مصر	١ر١٤٢ر٠٠٠
ليبيا	٦ر١٣٥ر٠٠٠
الجزائر	٥ر١٣٦ر٠٠٠
دولة الامارات	٣ر١٠٢ر٠٠٠
تونس	٩٩٣ر٠٠٠
عمان	٤٥٠ر٠٠٠
العراق	٣٤٣ر٠٠٠
قطر	١٦٣ر٠٠٠

هذا عدا المشتقات البترولية المتفرعة التى تستوردها أمريكا ، والتى تشكل ٣٠٪ من مجموع المستوردات ٠٠ والجزء الأكبر من هذه النسبة من مصادر عربية ٠

ونشير دراسة معهد « أنتربريز » الأمريكى لبحوث السياسة ، أن البترول العربى ، يؤثر فى حياة عدد لا يحصى من الأمريكيين :

« فهناك آلاف الأمريكيين العاملين فى شركات البترول ذاتها ، وفى معامل التكرير وشركات النقل جوا وبحرا ، والبنوك والخدمات التى قامت وتمارس نشاطها بسبب البترول ٠٠ ثم هناك ملايين الأمريكيين ، من حملة الأسهم فى هذه الشركات كلها ، وكلهم لهم مصالح هامة فى العالم العربى لا يعرفون قدرها » ٠

والمصالح الأمريكية فى البترول العربى ، تعتبر مصالح ضخمة ولها أبعاد عميقة اقتصادية وسياسية واستراتيجية ٠٠ هى وان كانت مصدر قوة فى الحياة الأمريكية ، الا أنها قد أثبتت فى ذات الوقت ، أنها أسلحة عربية للضغط على أمريكا ٠

وتتمثل المصالح الأمريكية فى الآتى على سبيل المثال :

- يشكل انتاج شركات البترول الأمريكية ، نسبة ٦٠٪ من اجمالى الانتاج العربى ٠
- تتركز المصالح الأمريكية البترولية ، أساسا ، فى الدول العربية الكبرى المنتجة للبترول (السعودية ، الكويت ، ليبيا) ٠٠ وتمثل تلك المصالح شركات بترول أمريكية أهمها خمس شركات (أسو ، موبيل ، جلفا ، تكساكو ، سوكال) ٠
- تحقق شركات البترول الأمريكية من البترول العربى ، أرباحا طائلة فى مرحلة انتاج الخام (قدرت بنحو ١٦٠٠ مليون دولار) ٠٠ وذلك نظرا لقلة رأس المال المستثمر فى البترول العربى ٠ علاوة على ما تحققه أمريكا من أرباح طائلة من البترول العربى ، فى المراحل المتعاقبة بعد مرحلة الانتاج فى أوروبا وغيرها ٠
- يعود جانب كبير من عائدات الحكومات العربية من البترول ومن دخول المواطنين العرب ، الى الدول الغربية وخاصة أمريكا ، على هيئة ودائع ومداخرات فى البنوك واستثمارات وأسهم وسندات وخلافه ٠ وتقدر قيمة الودائع العربية فى بنوك أمريكا بنحو ١٥ بليون دولار ٠٠ كما

تقدر قيمة الواردات العربيه من السلع الأمريكية بنحو ٨٠٠ مليون دولار سنويا ٠

- تحصل أوروبا الغربية على كامل احتياجاتهـا البترولية من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، ونحصل اليابان على ٩٠٪ من احتياجاتها من الخليج العربى ٠ وبالتالى فان صادرات أمريكا من البترول العربى تشكل نسبة كبيرة فى حركة تجارة البترول العـالمية وفى واردات أوروبا الغربية واليابان ٠

- يضع الفكر الأوروبى والأمريكى ــ منـذ زمن بعيـد ــ فى تخطيطه السياسى والاستراتيجى ، تأمين الاحتياجات البترولية والاعتماد المتزايد على البترول العربى ٠٠ ومن مظاهر ذلك فى أوروبا قيام « السوق الاوروبية المشتركة » فى عام ١٩٥٧ ٠

الوزن الاستراتيجى للمصالح الأمريكية

كانت اتفاقية « الخط الأحمر » فى يوليـــو ١٩٢٨ هى الطـــريق الذى دخلت منه المصالح الأمريكية الى العالم العربى ٠٠ وفى تلك الاتفاقية تحددت نسبة هذه المصالح فى بترول المنطقة بـ ٢٣٫٧٥٪ ٠

وتضم المنطقة المشمولة بالخط الأحمر ٠٠ العراق وشبه الجزيرة العربية (عدا الكويت) وفلسطين ولبنان وسوريا ٠

وحدث ــ بعدئذ ــ أن زادت نسبة المصالح الأمريكية ، بتغلغل شركات البترول الأمريكية فى عمليات البحث والتنقيب والانتاج فى أراضى باقى دول الشرق الأوســـط ٠٠ فاستحوذت الشركات الأمريكية على بترول السعودية ، كما حصلت على نصف بترول الكويت ، ونصيب فى البترول الايرانى ٠

وبعد حرب السويس (عام ١٩٥٦) ، حصلت المصالح الأمريكية على أكثر من ٩٠٪ من البترول الليبى ٠

هذا ونعتبر أى زيادات فى أســعار البترول الخـام العالمية ، دعما لصناعة البترول المحلية الأمريكية ذات التكاليف المرتفعة أيضا ٠

أما من الناحيتين السياسية والعسكرية ، فان أمريكا ، بتحكمها فى موارد البترول العربى ، انما تسيطر على أهم مصدر ، يستمد منه حلفاؤها

ودول العالم الثالث ، حاجتهم من الطاقة .. التى تعتمد عليهـــا حياتهم ويتوقف عليها تقدمهم .

وقد أصـــبحت الزاوية البترولية ، هى الدافع الرئيسى للسلوك الأمريكى ، فى تعامله مع العالم العربى .. اذ أن القوة الأعظم فى هـــذا الزمان ، قد بدأت تعانى من مجاعة ، بينما يملأ الخير رحاب أراضيها .

وهذا الجوع وسط الوفرة ، جاء كنتيجة منطقية ، لعديد من الأوضاع المصطنعة التى فرضتها السياسة الأمريكية ، وسخرت العالم لخدمتها .

ولمناقشة نقطة بداية ما وصل اليه موقف الطاقة فى أمريكا ، يتحتم استعراض هيكل مصادر الطاقة الأمريكية ، كما هو الآن والتغيير المتوقع حدوثه فى المستقبل المنظور ، وذلك من واقع التقارير الأمريكية نفسها .

وعلى ضوء المؤشرات الاحصائية (عام ١٩٧٠) ، بلغ معدل استهلاك أمريكا اليومى من الطاقة بأشكالها الخمسة الرئيسية .. كما يلى :

	معدل الاستهلاك	النسبة المئوية
الزيت الخام	١٤٧٠٩	٤٤ر٦
الغاز الطبيعى	١٠٤١٧	٣١ر٥
الفحم	٦٤٩٧	١٩ر٧
القوى المائية	١٢٤٧	٣ر٧
الطاقة النووية	١١٠	٠ر٥
	٣٢٩٨٠	١٠٠

ومن الواضح أن الزيت الخام والغاز الطبيعى ، يمـــدان الاقتصاد الأمريكى والحياة اليومية الأمريكية ، بأكثر من ثلاثة أرباع الطاقة اللازمة لها .. وأخذت الفجوة تتسع بين الانتاج المحلى لهذين الصنفين والطلب عليهما ، مما عرض شعار الأمن القومى الأمريكى للاهتزاز العنيف .

ولو أخذنا بآخر تقديرات تطوير الاستهلاك الأمريكى من الطاقة ، يتضح أن الســـنوات حتى عام ١٩٨٥ ، ســـوف تشـــهد تغييرا كبيرا فى الاستهلاك نسقا وحجما .. فعلى الرغم من التطوير السريع ، لمحطات الطاقة النووية ، فان استهلاك البترول ، سيتزايد بمعدلات تفوق معدلات السنوات العشر الأخيرة ، وسيزيد اسهام البترول فى سوق الطـــاقة الأمريكية من ٤٤ر٦٪ الى ٤٧ر٣٪ .

ويضيف هذا الموقف ، بعدا ثالثا الى أهمية المصالح الأمريكية في العالم العربي ، اذ يجعل وجهة النظر الرسمية الأمريكيـــة ، تتفتح على نقطتين : .

- ان اعتماد أمريكا على بترول الشرق الأوسط ، يضع أمنها في يد دول أخرى ، ويفقدها مكانة القوة الأعظم .. وهذا ما حدث بعد حرب ٦ أكتوبر ، بتكتل الجهد البترولي العربي .
- ان اعتماد أمريكا المطلق على الاستيراد البترولي ، يلحق أفدح الأضرار بميزان مدفوعاتها .

وعليه تكون نتائج الحرب الأمريكية الاسرائيلية على العالم العربي ، تحت رحمة سلاح البترول العربي .

وبعد حرب ٦ أكتوبر .. أدركت اسرائيل تماما ، أن التطورات الجارية في أوضاع سياسة الطاقة الأمريكية ، قد قلصت الزمن المتـــاح لاستمرار العنف الأمريكي ... ومن هنا يمكن تفسير موقف الســـلوك الاسرائيلي الحالي ، والذي يتميز بالعصبية والتشنج في مواجهة الصمود المصري ، اذ أن موجة المد في التأييد الأمريكي تقترب الآن من ذروتها ، ولابد أن تبدأ في الانحسار بعد حرب ٦ أكتوبر ، ومع موقف المقاطعـــة البترولية العربية .. وسيتطور الخطر مضاعفا ، عندما يدب اليأس في قلب ساسة اسرائيل من تحقيق أهدافهم ، مع مرور الأشهر القادمة .. خصوصا وتقدر الدوائر الأمريكية المختصة أن صادرات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الى أمريـــكا سترتفع من ٢٥٠٫٠٠٠ برميـــل في اليوم (١٢٫٥ مليون طن) عام ١٩٧٠ ، الى ما لا يقل عن ١٠ ملايين برميل في اليوم (٥٠٠ مليون طن) عام ١٩٨٥ . هذا وسينخفض الانتاج المحلي الأمريكي خلال هذه الفترة من ١١٫٣ مليون برميل في اليوم عام ١٩٧٠ الى ١١٫١ في اليوم عام ١٩٨٥ بما في ذلك انتاج « ألاسكا » .

هذا بجانب استيراد أمريكا المتزايد من الغاز الطبيعي ، اذ سترتفع حاجات أمريكا من هذه المادة بسرعة من (٦٤٥ مليار متر مكعب) عام ١٩٧٠ الى (١٫١٠٠ مليار متر مكعب) عام ١٩٨٥ .. أي أن هناك عجزا قدره (٤٩٠ مليار متر مكعب) .

وقد بدأت أمريكا بعقد صفقات طويلة الأجل لشراء الغاز الطبيعي العربي تم منها حتى الآن عدة صفقات ، مع الجزائر مجموعها (٢٧ مليار متر مكعب) في السنة ٠٠ ومن المنتظر عقد صفقات أخرى مع الجزائر وغيرها من الدول العربية لمواجهة العجز الأمريكي ٠

هذا وقد أعلن « جيمس آكينز » مدير دائرة الوقود والطاقة في وزارة الخارجية الأمريكية ، في محاضرة ألقاها (٢٩ يونيو ٧٢) بجامعة « جورج تاون » بواشنطن : « ان الطاقة الانتاجية غير المستعملة في حقول البترول الأمريكية ، قد أصبحت شبه معدومة الآن ٠٠ ولم يعد باستطاعة أمريكا أن تساعد حليفاتها الغربية ، وتمدها بالبترول ، في حال انقطاع البترول العربي عنها » ٠

لقد أخذت احتياجات أمريكا للطاقة تزداد بشدة ، ويعتقد كثير من الخبراء ، أن ذلك سوف يجعل أمريكا ـ للمرة الأولى في التاريخ ـ تعتمد الى حد كبير ، على البترول العربي لتأمين حاجات استهلاكها المحلي المتزايد ٠

وتثير هذه الاحتياجات المتزايدة من واردات البترول الى أمريكا ، الشكوك حول مدى قدرة هذه الدولة (أمريكا) ، على انتهاج سياسة خارجية مستقلة ٠ كما يشكل الاعتماد على الشرق الأوسط (الذي يمتلك نحو ثلاثة أرباع احتياطي البترول المعروف في العالم ، بينما يبلغ احتياطي أمريكا ١ر٦٪) ضرورة اعادة تخطيط علاقات أمريكا مع دول منطقة الشرق الأوسط ٠

أما اذا استغنت أمريكا (عام ١٩٨٠) عن استيراد كميات كبيرة من بترول الشرق الأوسط ، اعتمادا على ما لديها من مخزون احتياطي وعلى بترول ولاية آلاسكا الذي اكتشف أخيرا ٠٠ فان ذلك سيكون على حساب تكاليف كبيرة للاقتصاد القومي الأمريكي ٠

الأهمية الاستراتيجية للبترول العربي

للبترول العربي ميزاته وخصائصه الفريدة واقتصادياته النسبية ، وله قدرة عالمية في الانتاج ٠٠ اذ أن الدول العربية وحدها ، تنتج حوالي (١٠ ملايين برميل) يوميا ، بينما تنتج أمريكا (٩ ملايين برميل) يوميا ، وتنتج الكتلة الشرقية (٦ ملايين برميل) يوميا ٠٠ وهذا الانتاج العربي لا يمثل سوى ٥ر١٪ من مخزون البترول في الأراضي العربية ،

مما يجعل الدول العربية ، تستمر فى انتاجها للبترول ، اعتمادا على هذا المخزون الضخم ، الذى يمثل ثلاثة أرباع الاحتياطى العالمى لفترة ٧٠ سنة أخرى قادمة هذا عدا ما يستجد من اكتشافات بترولية عربية جديدة ٠

ويتميز البترول العربى ٠٠ بغزارة الانتاج ، اذ أن أضعف الآبار انتاجا فى العالم العربى ، تفوق فى المتوسط ، انتـــاج أحسن الآبار فى مختلف مناطق البترول فى العالم ٠٠ كما يتميز بانخفاض تكلفة الانتاج ، سواء بالنسبة لمقدار الاستثمارات اللازمة للانتاج ، أو بالنسبة لتكاليف التشغيل ٠

وبجانب غزارة الانتاج وانخفاض تكلفته ، تستهلك البلاد العربية المنتجة له ، كميات قليلة ٠٠ بمعنى أن الفائض منه للتصدير أصبح كبيرا جدا ، مما جعل البترول العربى ، من أكبر السلع المتداولة فى التجارة الدولية ٠

وفضلا عن القدرة العالمية لانتاج البترول العربى فان الموقف يتحول لصالح الدول العربية ٠٠ ذلك لأن دول غرب أوروبا قد زاد استهلاكها عن طاقاتها الانتاجية من البترول ٠٠ كما أن روسيا ، على الرغم من أن لديها احتياطيات هائلة من البترول ، الا أن أغلبها موجود فى مناطق بعيدة فى سيبيريا ، كما أن انتاجها من البترول لا يكفى احتياجات حلفائها فى حلف وارسو ، بل ان روسيا قد بدأت بالفعل منذ (عام ١٩٧٢) فى استيراد البترول العربى من سوريا والعراق ٠

وينتاب الخوف الدوائر الأوروبية والأمريكية المســتهلكة للبترول العربى ، والذى مبعثه المركز المتميز الذى يكتسبه بترول الشرق الأوسط والعالم العربى ٠٠ وكذلك الاعتماد المتزايد من جانب أمريكا والعالم الغربى على هذا البترول ٠

ويشكل البترول العربى ، موردا ماليا حيويا للاقتصاد الغربى ، وينشأ هذا المورد من مصادر مختلفة ٠٠ منها :

- أرباح الشركات العاملة فى الدول العربية ٠٠ وتقدر هذه الأرباح فى مرحلة الانتاج بـ (٤ مليارات دولار) عام ١٩٧١ ، مضافا اليهـا أرباح النقل والتكرير والتوزيع ٠

- الرسوم والضرائب التى تستوفيها حكومات الدول المستوردة ، على البترول العربى المستهلك عندها ٠٠ وتقدر هذه الضرائب والرسوم

في دول أوروبا الغربية بـ ٧ر٥ أضعاف عائدات الدول العربية من تصديرها للبترول الخام .

- يقدر حاليا مجموع رؤوس الأموال الحكومية العربية الموظفة في الدول الغربية بـ ٧ ـ ٨ مليارات دولار .

- ان زيادة استهلاك البترول العربي في الدول الصناعية ، يرافقها نمو سريع في صناعات التكرير والبتروكيماويات ، وغيرها من الصناعات والنشاطات الاقتصادية ، المرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بالقطاع البترولي .. لذلك فان دور البترول العربي في اقتصاد الدول الصناعية لا يقتصر على كونه مصدرا من أهم مصادر الطاقة ، بل يتعدى ذلك الى كونه عاملا رئيسيا من عوامل التقدم الصناعي والانماء الاقتصادي الغربي .

وعلى ضوء هذه الحقائق ، يتضح أن البترول سيظل الى أمد طويل ، محور العلاقات الاقتصادية والسياسية بين العرب والغرب .. وأصبح في امكان العرب ، أن يؤثروا بكل ثقلهم على العلاقات الدولية .. وأن يستفيدوا من وضعهم التفاوضي الممتاز ، الذي تمنحهم اياه سيطرتهم على هذه الثروة البترولية الضخمة ، في أن يفرضوا حقوقهم المشروعة في حوارهم مع الدول الغربية بشأن النزاع العربي الاسرائيلي .. وفي الضغط على الدول التي تساند اسرائيل ، خاصة أمريكا التي تحصل على أكثر من (٥ر٢ مليار دولار) أرباحا سنوية من استغلال البترول العربي ، وتقدم جزءا كبيرا من هذه الأرباح على شكل معونات عسكرية ومالية واقتصادية لاسرائيل .

الصهيونية والبترول العربي

يتجسم الخطر الصهيوني المباشر على البترول العربي ، في تغلغل الرأسمال الصهيوني في الشركات البترولية الأجنبية العاملة في الوطن العربي ، وفي افلات اسرائيل من شبكة المقاطعة العربية وامتداد سيطرتها الى منشآت البترول العربي .

ومن المعروف أن المؤسسات المالية اليهودية ، الموالية لاسرائيل ، تمكنت من شراء كثير من أسهم الشركات البترولية الغربية التي تعمل في قطاع البترول العربي . كما أن بعضها الآخر يساهم في تمويل هذه

الشركات بعروض بعيدة الأجل · وعلى رأس هذه المؤسسات اليهودية ، المصارف وشركات التمويل التى تسيطر عليها عائلة « روتشـــيلد » اليهودية الصهيونية (١) ·

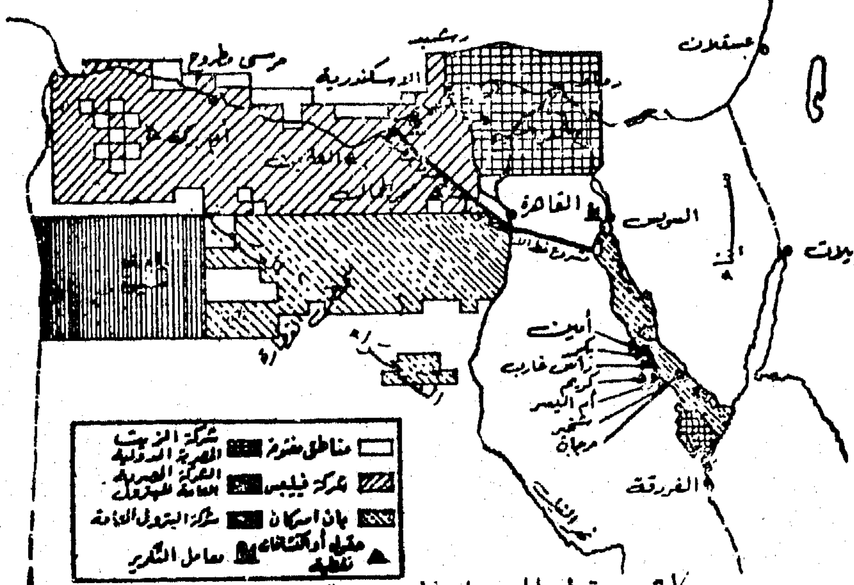
ويذكر « جان بوفيه » أستاذ التاريخ فى جامعة « ليل » الفرنسية فى كتابه عن « عائلة روتشيلد » ·· ان شراء هذه العائلة لأسهم الشركات البترولية العاملة فى البلاد العربية . يتم أحيانا بصورة مباشرة وأحيانا أخرى بصورة مستترة · عن طريق شركات التمويل التابعة لهذه العائلة وأهمها « الشركات الفرنسية للتمويلات البترولية » · كما ساهمت عائلة روتشيلد · فى تمويل خط الانابيب الاسرائيلى بين مينائى ايلات وحيفا ·

وثمة مؤسسات يهـودية أخرى وثيقة الصـــلة باسرائيل تملك مساهمات مالية فى استثمار البترول العربى ومنها « مؤسسة صموئيل » و « مؤسسة لازار اخوان » ·

وقد تمكنت اسرائيل من التغلب على مصاعب المقاطعة العربيـــة ، بوسائل لا يمكن للدول العربية أن تؤثر فيها ·· فاسرائيل تستورد خام البترول من فنزويلا وايران واندونيسيا (وهم أعضاء فى منظمة الدول المصـــــدرة للبترول التى تضم ٧ دول عربيـــة) ·· كمـــا أن بعض الشركات الأجنبية المستثمرة للبترول العربى ومنها شركة « شل » قـد وقعت عقودا طويلة المدى مع اسرائيل لتزويدها بالبترول الخام ·

(١) من دراسة أعدها الخبير البترولى « الدكتور نقولا سركيس » بعنوان البترول فى ميزان القوى بين العرب واسرائيل ·

البترول فى مصر نهر من « الذهب الأسود » يجرى تحت أراضيها



مواقع حقول البترول الجديدة فى مصر



أحد آبار البترول فى صحراء مصر الغربية

وبعد ٥ يونيو ١٩٦٧ ، استولت اسرائيل على آبار البترول فى شبه جزيرة سيناء ، واستغلتها بمعدل (٦ ملايين طن) فى السنة ٠

ولاسرائيل خط أنابيب سعة (٦٠ مليون طن) فى السنة ، لنقل البترول من ايلات الى ميناء عسقلان على البحر الأبيض المتوسط ٠٠ وقد حصلت اسرائيل على ضمانات الشركات الاجنبية لاستعمال هذا الخط ، ولو جزئيا ، محل قناة السويس ٠ وهذا يعنى أن اسرائيل ستجنى فوائد اقتصادية وسياســـة طائلة بالاضافة الى أرباح النقل التى حرمت منها الدول العربية ٠٠ هذا بجانب استفادة اسرائيل من البترول (الايرانى) لتطوير صناعة التكرير والبتروكيماويات ، التى سـجلت فى اسرائيل تقدما سريعا ، رغم أمكانيات اسرائيل الضيقة ٠

وتذكر مجلة « النيوزويك » الأمريكية (فبراير ١٩٧٣) أن « موشى ديان » وزير الدفاع الاسرائيلى السابق ، كان سباقا الى تقدير حجم تهديد البترول العربى ، على أمن اسرائيل ٠٠ فى اجتماع بالقدس ، مع مجموعة من اليهود الأمريكيين الرأسماليين البارزين ، سألوا « ديان » بصراحة ، عما اذا كان يخشى من أزمة الطاقة المنتشرة فى العـــالم وتعطش أمريكا المتزايد للبترول ، الذى قد يدفعها الى الارتماء بين أذرع أعداء اسرائيل الأغنياء بالبترول ٠٠فأجاب « ديان » بجفاء قائلا :

« انى أفكر كثيرا جدا فى أمريكا ، لاعتقادى أنها تضغط على سياستها الخارجية ، لامتلاك بعض الملوك العرب للبترول » ٠

وقد قلل هذا التهكم ــ بعض الشيء ــ من متانة العلاقات التقليدية الأمريكية الاسرائيلية ٠

فهل ستصبح أمريكا فى النهاية ، مجبرة على أسلوب أكثر ليونة مع العرب ، حتى ولو كان فى ذلك الاسراع فى تســـوية ، للنزاع العربى الاسرائيلى بشروط فى غير صالح اليهود ؟ ٠٠ لقد سلمت بعض الجهات الحكومية الاسرائيلية بهذا الاحتمال قائلة ٠٠ « انها وجهة نظر لا يمكن استبعادها » ٠

ويعلن أحـد خبراء اسرائيل قائلا ٠٠ « نحن حقيقة ننتظر لنرى ما الذى ينوى أن يفعله الرئيس نيكسون حيال المشكلة » ٠

حقائق عن البترول

ولابد من ابراز بعض الحقائق عن البترول (١) والتى سوف تسرى على مدى العشر السنوات القادمة ٠٠ وتشمل هذه الحقائق :

- تستهلك الدول الصناعية ٠٠ أمريكا وأوروبا الغربية واليابان معا ٠٠ حوالى (٨٠٪) من الطاقة فى العالم ٠٠ ومن المحتمل أن تتزايد هذه النسبة حتى عام ١٩٨٥ ٠ اذ سوف لا يقل اعتماد هذه الدول عن (٥٠٪) من مطالب طاقتها على البترول ، عدا اليابان اذ يتوقع أن تزيد النسبة الى (٨٥٪) ٠

- تستخدم الدول الصناعية ، حوالى (٨٠٪) من انتاج البترول اليومى العالمى ، والذى يبلغ (٤٣ مليون برميل) ٠٠ وسيزيد هذا الرقم ليصبح (١٠٠ مليون برميل) عام ١٩٨٥ ٠

- تعتمد هذه الاقتصاديات الصناعية ، على البترول المستورد لتحقيق مطالبها ٠٠ وتعتمد اليابان وأوروبا على واردات البترول ، بينما تكتفى أمريكا باستيراد (٢٥٪) فقط ، من احتياجاتها البترولية ٠

- بالنسبة لروسيا ٠٠ يقدر اجمالى رأس المال اللازم لمقابلة مطالب البترول حتى عام ١٩٨٥ ، بحوالى ٤٠٠ مليون دولار ٠

- فى عام ١٩٨٥ ، ستعتمد اليابان ودول أوروبا الغربية تماما على البترول المستورد ٠٠ وسيبلغ ما قد تستورده أمريكا حوالى (١٥ مليون برميل يوميا) ، وهو ما يعادل الانتاج الحالى لبترول الشرق الأوسط ٠

- تملك الدول الأعضاء فى منظمة الدول المصدرة للبترول « أوبيك » حاليا نحو (٨٥٪) من احتياجات العالم من البترول الخام (عدا روسيا) ٠ وحتى عام ١٩٨٥ ، سيبقى امتلاك هذه الدول لمعظم احتياطى البترول فى العالم ٠

- من كل الاحتياطى (المؤكد) العالمى الضخم من البترول (٥٥٠ بليون برميل) ، وجد (٩٪) فى أمريكا الشمالية – (٥٪) فى أمريكا اللاتينية (٩٪) فى أفريقيا – (١٢٪) فى دول الكتلة الشرقية –

---

(١) عن مجلة « سيرفايفال » يناير ١٩٧٣ ٠

(٦٢٪) من احتياطى بترول العالم المؤكد لدى دول الشرق الأوسط بمفردها ٠

- بالنسبة لروسيا ٠٠ كأحد أعضاء مجموعة الدول الصناعية الكبرى فان لديها اعتبارات تتعلق بنوع وسعر وصلاحية وامكانية الحصول على البترول من احتياطيات بترولها المحلى ٠٠ مما يجعل روسيا تستكمل احتياجاتها البترولية من المصادر الأجنبية ٠

  وقرب روسيا من احتياطى بترول الشرق الأوسط ، يعطيها مميزات جغرافية وسياسية خاصة ، تميزها عن باقى الدول الصناعية الأخرى ٠

- ان جميع دول العالم الصناعية ، سوف تعتمد باستمرار على الشرق الأوسط ومنطقة الخليج ، بصفتها من أهم وأكبر مصادر البترول ٠ وفى حالة فقد الثقة فى استمرار توفير البترول اللازم ، سوف تلجأ الدول الصناعية الى بدائل أخرى مفتوحة لديها ، لضمان حصولها على هذا الخام الحيوى ٠ وثمة منافسة بين ايران والعراق والكويت والسعودية ، قد تأخذ أبعادا جديدة عند اللزوم ٠

- حتى الآن لم تبدأ الدول الصناعية الكبرى ، فى تنفيذ برامج اكتشاف مصادر الطاقة الجديدة ، التى سيستغرق اكتشافها سنوات من الجهد المضنى ويحتاج الى مبالغ ضخمة ، قبل أن تظهر أية نتائج ، يتوقع الحصول عليها قبل من ١٠ الى ١٥ سنة ٠ وفى خلال هذه السنوات ، سيزداد الاعتماد الرئيسى على بترول الشرق الأوسط ٠

- من قبل كان اهتمام أمريكا الاستراتيجى ببترول منطقة الشرق الأوسط مبنيا على ضمان استمرار تدفقه الى أوروبا واليابان ٠٠ أما مستقبلا ، فان أمريكا ذاتها ، ستحتاج الى ضمان وصوله اليها هى الأخرى مباشرة ٠

- يحتمل أن تصبح روسيا ، فى خلال العشر السنوات القادمة ، منبعا رئيسيا للغاز الطبيعى ٠٠ وبذلك تصبح مصدرا هاما للطاقة بجانب أن روسيا ستحتاج الى بترول الشرق الأوسط لاستكمال احتياجاتها البترولية ٠٠ أى أنها ستدخل فى منافسة الامداد بالبترول مع أوروبا وأمريكا واليابان ٠

الاستنزاف الاستراتيجى للبترول العربى

فى صناعة البترول ، يقصد بالاستنزاف الاستراتيجى ، تطبيق سياسات انتاجية أو تصديرية أو استثمارية للعائدات ، قد لا يترتب عليها مضار فنية أو اقتصادية ، بل ربما تحقق مكاسب مؤكدة على المدى القريب ٠٠ الا أنها تضر بالأهداف القومية العليا ، أو بمصالح الأجيال المقبلة على المدى البعيد ٠

ويختلف ذلك عن الاستنزاف الاقتصادى ، الذى قد يتخذ شكل زيادة المعروض من مجموعة دول ، عن حاجة الاستهلاك فى أسواقها الرئيسية ٠٠ مما يؤدى الى تعرض الأسعار للهبوط ٠ وقد يلجأ المنتج الى تسويق البترول بأسعار منخفضة عن الأسعار السائدة ، بغية فتح أسواق جديدة ٠

هذا وقد وضعت منظمة الدول المصدرة للبترول « أوبيك » ٠ خططا لتقنين الانتاج وتنظيم الزيادة السنوية منه بين أعضائها ، كوسيلة لوقف تدهور أسعار التصدير ٠

ويتعلق الاستنزاف الاستراتيجى للبترول ، بالأهداف القومية العليا للدولة ٠٠ فقد تطبق الدولة ، سياسة انتاجية ، تستهدف زيادة الانتاج بمعدلات لا تحدث استنزافا فنيا للبترول المخزون فى باطن الأرض ، وتحقق بذلك عائدات بترولية أكبر ، وتتيح تدفقات نقدية أسرع ، مما لو أنتج البترول على عدد أطول من السنين ٠

ولكن كيف توجه هذه العائدات ؟ ٠٠ هل تستثمر فى التنمية القومية الشاملة لصالح الأجيال الحاضرة والمستقبلة ؟ ٠٠ أو نودعها فى بنوك غير عربية ندعم بها تقدم غيرنا مقابل فوائد تلك البنوك ؟ ٠٠ وبذلك يكون التصرف الأخير « استنزافا استراتيجيا » ٠

واذا كانت العائدات الزائدة ، تجد مجالا للاستثمار القومى ، أليس من الأفضل الابقاء على هذا البترول فى باطن الأرض ، حتى تتاح لعائداته فرصة الاستثمار فى الأجيال القادمة ؟ ٠٠

واذا كان الدخل القومى ، فى كثير من الدول العربية المصدرة للبترول ، يعتمد على البترول بنسبة تزيد عن (٧٥٪) ٠٠ واذا كان عمر الاحتياطى المخزون من البترول فى هذه الدول محدودا بسنوات قليلة ٠٠ فماذا يبقى للأجيال ؟ ٠٠

لقد تعرض البترول العربى للنهب سنوات طويلة ، ويعتبر ذلك خسارة استراتيجية ، يجب على العرب أن يعملوا على تلافيها ، بتنويع مصادر احتياجاتهم من السلع وتنويع أسواقهم ·· وبذلك يكون العرب قد حققوا هدفا استراتيجيا حيويا ·

وقد لجأت الدول العربية ، الى تنظيم انتاج البترول ، محافظة منها على الثروة البترولية ·· على أساس :

- أهداف قريبة ·· لتحقيق موازنة العرض فى الأسواق بالطلب وحاجة الاستهلاك ·

- أهداف بعيدة (استراتيجية) ·· تتضمن المحافظة على المواد بصورة فعالة ، لاتاحة الفرصة للأجيال القادمة ، للاستفادة بدورهم ، من موارد بلادهم الطبيعية ·

وقف الاستنزاف

ومن أهم أمثلة الاستنزاف الاستراتيجى الحاد ، الذى يتعرض له البترول العربى ·· ما يلى :

- تزايد الانتاج من بعض الدول العربية ، بمعدلات كبيرة على حساب عمر الاحتياطى وصالح الأجيال المقبلة ·

- تزايد حجم المخزون السلعى البترولى فى أوروبا وأمريكا لمدة تزيد عن ٩٠ يوما فى بعض الحالات وعن ستة أشهر فى حالات أخرى ·· لمواجهة احتمالات توقف الضخ من منطقة الشرق الأوسط · وكذلك المخططات التى تنفذها أمريكا ، لاعادة تخزين البترول المستورد فى باطن الأرض لديها كمخزون استراتيجى ·

- التلويح من جانب أمريكا واسرائيل بالسيطرة العسكرية المباشرة على منابع البترول العربى ·

- الترحيب الذى تبديه بعض الدوائر الغربية ، بسياسة منظمة «أوبيك» فى زيادة الأسعار ·

- الحديث عن أزمة الطاقة ، وتكتل الدول المستهلكة للبترول ، لتغطية الاستنزاف الاستراتيجى ·

ومن أجل القضاء على هذا الاستنزاف ، تطلب الأمر تحديد الأهداف الاستراتيجية البترولية العربية بوضوح ·· فانعقد بالجزائر مؤتمر البترول العربى الثامن (٢٨ مايو ـ ٣ يونيو ١٩٧٢) ·

وكان من أهم قراراته ، ما جاء بالتوصية الرابعة ، التى تدعو الدول العربية المنتجة للبترول ، لوقف جميع أنواع الاستنزاف ، التى يتعرض لها البترول العربى ·· وتنص هذه التوصية على :

« ان الاستنزاف السريع ، الذى مارسته شركات البترول الدولية لموارد البترول العربى على امتداد السنين ـ ولا سيما فى السنوات الأخيرة ـ بما يخالف الأصول الهندسية والفنية والعلمية ·· ودون مراعاة للأمانة الواجبة نحو البلاد العربية ، التى عهدت الى الشركات المذكورة باستغلال ثرواتها ، أصبح يشكل خطرا شديدا على مستقبل الشعوب العربية ومصلحة أجيالها المقبلة » ·

وفى مواجهة هذا الموقف الخطير ، أوصى المؤتمر بما يلى :

أولا : أن تبادر حكومات البلاد العربية ، لتقييم حالة مكامن البترول ، والتأكد من سلامة معدلات الانتاج ، تمشيا مع الطاقات الحقيقية لتلك المكامن ، ومع أفضل المعدلات المكملة ، حسبما تقدره الدول المنتجة المعنية ·

ثانيا : أن تبادر الدول العربية المنتجة ، الى اتخاذ كافة الوسائل الكفيلة بتحقيق الاستفادة القصوى من الغاز الطبيعى المرافق للبترول ·

أهمية البترول الصناعية

وتنبثق عن البترول أثناء مراحل تكريره ، أنواع من الزيوت الخفيفة ، التى استطاع العلماء ترويضها وتحويلها الى مركبات ذات جزئيات عملاقة ، منها تشتق الغازات المختلفة ·· ومن أهمها : ـ

ـ غاز الوقود ·· المستخدم فى الطهى ، وهو الغاز الطبيعى الخفيف الناتج عن عملية التكرير ·

ـ البترول ·· الذى كان من المنتجات الفرعية قبل عصر السيارة · أما الآن ، فهو يؤلف الجانب الرئيسى من مبيعات شركات البترول ·

- وقود الطائرات النفاثة .. فقد أخذ الكيروسين يسترد أهميته بوصفه العنصر القاعدى فى وقود النفاثات الحديثة .
- وقود الديزل .. خاصة عندما أصبحت محركات الديزل أهم وسائل حركة القطارات .. كما أن زيت الديزل يستخدم فى النقل البحرى والبرى .
- زيوت المواقد .. زاد استهلاكها المتدفئة المنزلية .. والخفيف من زيوت المواقد يماثل زيوت المحركات النفاثة .
- المزلقات والمترسبات .. اذ يتحول واحد فى المائة تقريبا من الخام الى زيت تزليق ثقيل ، كما تشمل المترسبات ، زيت الوقود الثقيل والأسفلت والقطران .. وغيرها .
- أصناف البنزين العالية الأوكتين .
- المنتجات البتروكيماوية الفرعية .. كاللدائن والأنسجة الصناعية .

وتعتبر الصناعة البتروكيماوية ، من أعظم ما حققه العلم لصالح البشرية فى العصر الحديث ، وأصبحت منتجاتها تمثل البدائل عن كثير من المنتجات الطبيعية .. فهناك المطاط الصناعى ، والألياف الصناعية ، ومواد البلاستيك المتنوعة ، والمنظفات الصناعية ، والنايلون وغيرها ، حيث قد ظهرت امكانيات هائلة فى انتاج العديد من الكيماويات التى يربو عددها الآن على ٥٠٠٠ منتج .

ويهدف العلماء الى أن تواصل الصناعة البتروكيماوية تقدمها بحيث تتفوق على الصناعتين البترولية والكيماوية .

وتتقدم أمريكا ، وغيرها من الدول ، فى مجال الصناعة البتروكيماوية اذ أنها تضم أكثر من (٥٨٠ مصنعا) بتروكيماويا . وتستهلك هذه الصناعة (٤٪) من اجمالى استهلاك أمريكا من البترول .

سلاح البترول

يعتبر البترول سلاحا هاما ومؤثرا فى ميزان القوى بين العرب واسرائيل وفى علاقاتنا الاقتصادية والسياسية مع الدول الغربية وشركاتها البترولية .

وخطة تصدير المواد الاستراتيجية ، والتى يعتبر البترول من

أهمها ، هى تدبير تلجأ اليه سائر دول العالم فى أوقات الحرب والسلم على السواء ‥ وثمة أمثلة لذلك ، تتضح فى :

- المقاطعة التى فرضتها أمريكا ـ فى الماضى ـ على التجارة مع كوبا والصين ٠
- الحظر الذى فرضته ألمانيا الغربية (عام ١٩٦٢) على تصدير أنابيب البترول الى روسيا ٠
- الحصار الذى فرض على تموين روديسيا بالبترول ٠

ومن البديهى ، أن الدول العربية لا تقل عن غيرها من الدول ، باستعمال مثل هذا السلاح ، الذى يسد طريق البترول العربى ، فى وجه الدول التى تساند اسرائيل وتحرضها على العدوان ، على الرغم من أن هذه الدول ، هى نفسها التى استنزفت الجزء الأكبر من ثروات البترول العربية وتستغل الارصدة العربيـــة وعائدات البترول العربية ، لدعم اقتصادها ، والمحافظة على ثبات وقوة عملاتها الوطنية ٠

المقاطعة البترولية العربية

وتعتبر المقاطعة احدى وسائل الردع ، التى تستخدم للضغط على الدول المعادية أو التى تساند الأعداء ‥ بشرط أن تنفذ المقاطعة بعزم وجدية وصمود ٠

هذا ولابد أن تقترن المقاطعة ، بسياسة عربية متماسكة ، مبنية على تكييف علاقاتنا البترولية بالغرب ، على ضوء الخطر الصهيونى ، وعلى أساس موقف الدول الغربية من النزاع العربى الاسرائيلى ، مع الاستفادة من القوة التفاوضية الهائلة التى يحتفظ بها العرب بالنسبة الى سيطرتهم على ثلثى احتياطى البترول العالمى ٠

وفى عام ١٩٤٨ ‥ قررت الحكومات العربية ، أن تحرم الدول ـ التى ساعدت على قيام الكيان الصهيونى ‥ من البترول العربى ٠ ولـــكن بسبب تراجع احدى الدول عن التنفيذ ، لم ينفذ القرار على الرغم من احتدام القتال على أرض فلسطين ٠

وفى عام ١٩٥٦ ‥ تم قطع البترول فعلا ، وعانت أوروبا شهورا من الحرمان البترولى العربى ، ولكن كان ذلك بقرار من العمـــال العرب وليس من الحكومات ٠



عودة عربات الخيل الى أوروبا

وفى عام ١٩٦٧ .. حاول العمال العرب قطع تدفق البترول . ولكن لم يدم ذلك طويلا ، بل تم اعدام بعض العمال فى احدى الدول .

وفى أكتوبر ١٩٧٣ .. وعلى مستوى الحكومات وجميع الشعوب العربية تنفذ قرار القطع بالاجماع العربى ، بدقة وشكل تعدى الشعارات والتصريحات الكلامية ، الى اتحاد الكلمة والتنفيذ الايجابى المحكم .

فقد قرر وزراء البترول العرب فى (١٧ أكتوبر ١٩٧٣) خفض الانتاج البترولى فورا بحد أدنى ٥٪ ، تزداد بنسبة ٥٪ أخرى كل شهر ، الى أن يتم الانسحاب من الأراضى العربية التى احتلتهـــا اسرائيل عام ١٩٦٧ ، واستعادة حقوق الشعب الفلسطينى . وتقرر أن يطبق هــذا الحظر فى المقام الأول على أمريكا (١) وعلى الدول التى تساند اسرائيل ،

(١) بدراسة بعض خبراء البترول ، ما نشر عن أساليب وقف الضخ ، اتضح أن هناك ثغرتين فى هذه الأساليب ، نفذ منهما البترول الى أمريكا .. (الأولى) عن طريق جزر « الباهاما » و « أمريكا الوسطى » . اذ أنهما لم ينقطع عنهما البترول . ومن المحتمل جدا أن يحولاه الى أمريكا لعلاقتهما بها . ومصدر البترول لهما ليبيا والسعودية . (الثانية) عن طريق شركاء بعض الشركات الكبرى ، الذين مازالوا يتسلمون حصصهم البترولية . فلعل الدول البترولية العربية ، تدقق فى أساليبها ، لاحكام الطوق على أى دولة ترعى اسرائيل وتدعم مخططاتها .

على أن تمنح الدول الصديقة للعرب معاملة خاصة ، تمكنها من الحصول على نصيبها من البترول العربى ٠

ثم تطورت المقاطعة ، بأن قرر المجلس الوزارى للدول العربية المصدرة للبترول ، تخفيض انتاج البترول بنسبة ٢٥٪ ، من أساس معدل الانتاج فى شهر سبتمبر ١٩٧٣ ٠ وكان المجلس قد قرر تصنيف الدول بالنسبة لتصدير البترول العربى ، الى ثلاثة أصناف :

- الدول الصديقة للعرب ٠
- الدول التى لها علاقات باسرائيل ٠
- الدول التى قطعت علاقاتها مع اسرائيل ٠

كما قرر المجلس ، الحرص على الا يتأثر حجم امدادات البترول العربى ، التى تصدر الى الدول الصديقة ، عما كان عليه قبل البدء بخفض الانتاج ٠

ثم قررت المملكة العربية السعودية وليبيا والكويت وأبو ظبى ، قطع البترول نهائيا عن أمريكا وهولندا ٠

وبذلك يكون العرب قد استخدموا ، سلاح البترول بأسلوب علمى فعال ٠٠ بل وأصبح من الضرورى ، استخدام أسلحة الحرب الاقتصادية العربية الأخرى بنفس الأسلوب الذى اتبع فى البترول ٠٠ وذلك لأن أمريكا :

- تصدر للدول العربية من مختلف السلع والبضائع ، ما قيمته ألف مليون دولار سنويا ٠٠ ولو قاطع العرب البضائع الأمريكية ، لسبب ذلك عجزا كبيرا فى ميزان المدفوعات الأمريكى ٠

- تحصل على (٢٢ ٪) من أجمالى دخلها ، من استثماراتها فى العالم العربى ٠٠ وأنهاء هذه الاستثمارات ، يعنى انهيارا جديدا فى قيمة الدولار بجانب انهيار آخر فى ميزان المدفوعات الأمريكى ٠

هذا وترى أمريكا ، أن ابقاء عائدات البترول لدى العرب ، كاف لايقاع الضرر بالاقتصاد الأمريكى ٠ وقد شنت جريدة « نيويورك تايمز » حملة على دول الشرق الأوسط المصدرة للبترول ، تدعو فيها الى ضرورة

استخدام هذه العائدات (بلغت ٩ بلايين دولار فى ١٩٧٣/٧٢ ، وستبلغ حوالى ٥٠ بليون دولار عام ١٩٨٠) لاصلاح مركز الدولار المتـدهور . الا أن الدول العربية المصدرة للبترول قد رفضت ذلك .

ولعل الخسائر المتتالية ، التى تعرضت لها مدخـرات الدول العربية (١) على أثر تخفيض سعر الدولار ، تدعوها الى اعادة النظر فى النظام النقدى ، الذى تتعامل به فى تجارتها الخارجية ، وتدفعها الى تبنى فكرة تحقيق وحدة نقدية عربية ، أى استخدام دينار عربى كوحدة نقدية عربية ودولية .

وعندما قطع العرب بترولهم عن أمريكا ، فقد أثروا على : ـ

ـ قوتها الدفاعية بالنسبة لأساطيلها (الأسطول السادس الذى كان يشترك فى المعركة ضد العرب مباشرة) وأحلافهـا (كحلف شـمال الأطلنطى) .

ـ أصبح الأمريكى يدفع ضعف ما كان يدفعه ثمنا للبترول .

ـ أصبح من المألوف أن ترى مئات من محطـات البترول فى أمريكا وقد أغلقت أبوابها .

ـ تقييد الاضاءة والاعلانات المضيئة .

ـ قامت شركات الطيران الأمريكية ، بتخفيض عدد رحلاتها بنسبة كبيرة ، لتخفيض أستهلاك البترول .

هـذا وقـد بدأت الاعـلانات تظهر فى التليفزيون والصـحف الأمريكية :

*** لا تسرع وأنت تقود سيارتك ولا تستعمل الآلات الكهربائيـة كثيرا .**

*** لا تأخذ حماما كل يوم ، لئـلا تسـتهلك مزيدا من القـوة الكهربائية .**

---

(١) قدرت خسائر الكويت بنحو ٢٠٠ ـ ٥٠٠ مليون دولار ، وليبيا بحوالى ١٥٠ مليون دولار . وقياسيا على ذلك يمكن تقدير قيمة الخسائر (غير المعلومة) التى لحقت بمداخرات باقى الدول العربية .

أما الموقف العربى تجاه هولندا

تستورد هولندا حوالى ١٣٠ مليون طن من البترول سنويا ، منها ٩٤٫١٪ من البترول العربى ، ومن هذه الكميات ، تقوم هولندا باعادة تصدير حوالى ٨٠٪ . لذلك فان قرار قطع البترول العربى عن هولندا ، كان ضروريا لتمكين العرب من التحكم فى تنفيذ القرارات الخاصة بدول أخرى ، بالاضافة الى موقف هولاندا المؤيد لاسرائيل .

وكانت أمريكا قد أخذت تؤلب دول أوربا واليابان (باعتبارهما من كبريات المناطق المستهلكة للبترول العربى) على المنطقة العربية التى يمكن أن تتحكم فى اقتصاديات الدول الغربية ، عن طريق التحكم فى ضخ البترول وتحديد الكميات المنتجة منه .

بل أن أمريكا قد دعت الى تكوين حلف « أمريكى ــ أوروبى ــ يابانى » ، لوضع سياسة مشتركة ، تهدف الى حماية مصالح الدول المستوردة للبترول والوقوف فى وجه أى اجراء تتخذه الدول المنتجة للبترول ، سواء بوقف ضخ البترول أو تخفيض الكميات المنتجة منه ، أو فى حالة رفض قبول الدفع بالدولار ثمنا للبترول ، أو أن تسحب الدول العربية أرصدتها من البنوك الأمريكية .

ولعل غرض أمريكا من هذا الحلف المقترح ، هى خوفها من أن يستمر تعامل الدول العربية من أوروبا واليابان .. فتصبح بذلك المقاطعة خاصة بأمريكا وحدها .

ومن المؤكد أن هناك شيئا واحدا ، هو أن شهية أمريكا للطاقة ، تتزايد بنسبة هائلة ، فى الوقت الذى لم يتمكن انتاجها المحلى من أن يفى باحتياجاتها .. وهذه هى أزمة أمريكا .

تحذير للسياسة الامريكية

أبلغ الدكتور « ماير » (المدير المساعد لمركز هارفارد لدراسات الشرق الأوسط) الكونجرس الأمريكى .. بالآتى :

- أن الكثيرين من الزعماء العرب ، وخاصة الذين يخططون منهم للسياسة البترولية ، يعتقدون أن تأييد أمريكا لاسرائيل ، سوف يهدد وصول أمريكا الى بترول وغاز الشرق الأوسط فى المستقبل .

- ان انقطاع تدفق البترول والغاز من الشرق الأوسط ، لأسباب سياسية وعسكرية ، هو عامل قد يؤدى الى أزمة طاقة فى أمريكا.

- ما لم تكن أمريكا مستعدة لدفع نفقات خيالية لحلول بديلة للطاقة ، فانها ستعتمد بصورة متزايدة على الدول العربية ، من أجل حاجتها من البترول والغاز الطبيعى .

- وبالنسبة الى ساسة العرب وواضعى السياسة البترولية العربية ، فانهم يعتبرون موقف أمريكا من أزمة الشرق الأوسط ذا جانب واحد وضد العرب .. والكثيرون منهم يعتبرون هذا الموقف محرجا لهم، بصفتهم أصدقاء لأمريكا منذ زمن بعيد .. ولكنهم يعتقدون أن موقف أمريكا فى هذه الحالة قد ينقلب بالدمار على أمريكا نفسها .

هذا وقد تكهن رئيس شركة « كونتيننتال » الأمريكية للبترول .. بالآتى :

- بأن ازدياد الاعتماد على بترول الشرق الأوسط ، سيكون ذات تأثير كبير فى اقتصاد أمريكا وسياستها الخارجية .

- ان أمريكا قد تضطر فى عام ١٩٨٥ ، الى استيراد بين (٤٠ - ٥٠ ٪) من حاجاتها البترولية من مصادر أجنبية ، (أى أربعة أضعاف ما استوردته فى عام ١٩٧٣) . وسيأتى الجزء الأكبر من الكميات الاضافية المستوردة من منطقة الشرق الأوسط .

- ان على أمريكا وبقية الدول الغربية ،، بذل المساعى الدولية لاقامة علاقة صحيحة طويلة الأمد ، مع منظمة الدول المصدرة للبترول أوبيك التى تتكون من احدى عشرة دولة ، أغلبها دول عربية ، ولذلك فهى تسيطر على (٨٥٪) من مخزن البترول الخام فى العالم غير الشيوعى خارج أمريكا وكندا .. كما أن بترولها يشكل (٩٠٪) من صادرات البترول التى تباع فى الأسواق العالمية .

ولعل كل ذلك ، يفرض على أمريكا والدول الأوروبية ، القاء نظرة جديدة على سياستها الخارجية ، تجاه منطقة الشرق الأوسط بما فيها من دول عربية .

تأثير سلاح البترول

كانت وقائع حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، موضع درس وتحليل فى معظم الأكاديميات العسكرية بالعالم ٠

وفى أوائل أكتوبر ١٩٧٤ ، كانت هذه الحرب ، الموضوع الرئيسى فى المؤتمر السنوى المغلق للمعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية بلندن (١) ٠٠ وتركزت الدراسات على تقييم نتائج الحرب من الوجهة الاستراتيجية ، وأزمة الشرق الأوسط ، وتأثير سلاح البترول ــ الذى استعمل فى هذه الحرب ــ على النظام الدولى ٠

وكانت اتجاهات الآراء خلال مناقشة تأثير سلاح البترول (٢) كالآتى :

١ ــ ابرز سلاح البترول أن العرب اصبحوا قوة على المسرح الدولى ، وأن أرادتهم المتميزة ، كفيلة بالتأثير على ظواهر تتعدى خطورتها الشرق الأوسط وحده ولها الآن أثر أكيد على استقرار وأمن وتماسك العالم الغربى ٠ من هنا برزت الحاجة الى رسم خريطة استراتيجية لعلاقة العالم الأول (الدول الصناعية فى الغرب) بالعالم الثالث بوجه عام ، والعالم العربى بوجه خاص ٠ والا كان العالم الثانى (الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية) هو وحده المستفيد من الشروخ التى قد تصيب التماسك الغربى من جراء تجاهل هذه الخريطة الجديدة ٠

٢ ــ كان الرأى السائد أن العرب قد أحسنوا استخدام سلاح البترول ـ دون الذهاب الى الحد الذى يهدد استقرار النظم العربية التى أخذت على عاتقها هذا القرار ، بل بما دعم مركزهم عربيا وعلى الصعيد الدولى ، ودون الوصول به الى الحد الذى قد يحفز على التفكير فى تدخل عسكرى قد يهدد السلام العالمى ٠ بل استخدم العرب سلاح البترول بالفعالية التى أشعرت دول الغرب (أوروبا واليابان بالذات) بتبعيتها للبترول العربى ، على الرغم من الجهود التى بذلتها شركات البترول لاعادة توزيع أنصبة الدول

---

(١) دامت جلسات هذا المؤتمر ثلاثة أيام فى جامعة « ساكس » قرب لندن ٠

(٢) ملحق جريدة « الانوار » اللبنانية العدد رقم ٤٩٩٨ فى أكتوبر ١٩٧٤ ٠

بما يخفف أثر الحظر ، وأثر الحد من ضـــخ البترول على الدول المستهلكة • ولقد استخدم العرب سلاح البترول كرادع لا كعقاب، وبمرونة الزمت أطرافا مستهلكة عديدة ، بانتهاج موقف من أزمة الشرق الأوسط أكثر تفهما لوجهة النظر العربية •

ولأول مرة ، خلافا للمحاولات السابقة ، أقدم العرب عـلى الحد من الضخ ، وهم يستندون الى أرصدة مالية تسمح لهم بخطوة لها هـذه الخطورة دون تهديد اقتصادياتهم بأضرار جسـيمة ، بل بما أتاح لهم فعلا مضاعفة أسعار البترول أربعة أضعاف • كمـا ربطوا الحد من الضخ بهدف سياسى محدد ، وهو تطبيق قـرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، مما اكسب الاجراء «قوة تصديق» وفعالية سياسية •

٣ ـ كان لاستخدام العرب ســلاح البترول دور كبير فى تنشـيط الدبلوماسية الأمريكية (١) للحد من مضاعفات استخدام هـذا السلاح ، والسيطرة عليها قبل استفحالها الى حد يتعذر ضبطه •

٤ ـ أوضح استخدام ســلاح البترول ، أن مصالح أمريكا ومصـالح حلفائها فى الغرب ، ليست متطابقة ، بل وصل التباين أحيانا الى حد التعارض •

وارتفعت أصوات أوربية لتؤكد بقوة ، أنهـا ترفض التذرع بحجة تضامن الغرب لالزام أوروبا بتقبل وجهة النظر الأمريكية ، أو أى تصرف أمريكى دون ابداء أى تحفـظ • بـل وأصـبح لأوروبا الحق فى السعى الى أقامة تضامن استراتيجى مع أمريكا ، دفاعا عن مصالح الغرب وكيانه السياسى •

٥ ـ أبرز استخدام سلاح البترول اهتزاز مركز اليابان بالذات ، مـن الوجهة الاستراتيجية ، رغم انتمائها الى الدول الصناعية المتطورة• ان معاهدة التحالف بين أمريكا واليابان ، تحملت بندا فريدا ينص على التعاون الاقتصادى لا مجرد التضامن العسكرى بين البلدين • ولو كان من شأن الانفراج الدولى تخفيف حـاجة اليابان الى المظلة

---

(١) تجسم هذا النشاط الدبلوماسى الامريكى الجديد ، فى انجاز عمليتى فك الاشتباك على الجبهتين المصرية والسورية ، وتعهد أمريكا بضرورة الاسراع عن تسوية للنزاع مرضية لشتى أطرافه •

النووية الأمريكية ، فأن حرب اكتوبر قد طرحت أمامها ، ضرورة الحصول على مصادر طاقتها من العالم العربى ، بغض النظر عن مصالح الحليف الأمريكى · ولم تجد اليابان مفرا من الانحياز أكثر الى العرب ، وأن تواصل جهودها مستقبلا لتوجد ارتباطات أكثر ايجابية مع العالم العربى ·

٦ ـ أثر استخدام سلاح البترول على دول العالم الثالث تأثيرا ملموسا، ليس فقط بسبب ارتفاع أسعار البترول ، بل لاحجام الدول الصناعية الكبرى وبباطئها فى تلبية حاجات هذه الدول الفقيرة اقتصاديا وفنيا ، بعد أن استبدت الازمة بها هى الأخرى ·

وعليه ، فان تقدم البنك الدولى بعروض للتخفيف من حدة هذه الفجوة ، التى أصبحت تفصل دول العالم الثالث بعضها عن بعض · كما أبديت آرؤه فى المؤتمر تؤكد ضرورة أن تضطلع هيئات دولية مماثلة (بما فى ذلك الأمم المتحدة ووكالاتها) بهذا الدور · ولكن وجد ممثلو العالم الثالث فى ذلك ، ما يزيد من تبعية الدول الفقيرة للدول الصناعية، فى وقت تتعرض فيه لازمات متفاقمة ·

وبوجه عام ، كان الرأى ، أن اعادة آستخدام سلاح البترول لن تأتى بنتائج ذات مضاعفات مماثلة ، لتلك التى آنتجها خلال حرب أكتوبر ·· فلن ينطوى فى المرة القادمة على عنصر المفاجأة ، اذ أن استخدامه مرة واحدة يعتبر تحذيرا كافيا لاتخاذ تدابير من أجل تخزين احتياطى وتنويع مصادر الحصول عليه ، لدرء خطر تأثيراته كرادع سياسى حالى ، فضلا ، عن تنشيط البحث جغرافيا وتكنولوجيا عن الطاقات البديلة ·

معدل الانتاج الشهرى والعربى والعالمى من البترول الخام والغاز الطبيعى

الوطن العـــربى

	البترول الخام (آلاف البراميل)		الغاز الطبيعى (ملايين الأقدام المكعبة)	
	مايو ١٩٧٣	يونيو ١٩٧٣	مايو ٧٣	يونيو ٧٣
أبو ظبى	١٣٨٤ر٠	١٢٩٨ر٠	...	..
البحرين	٦٨ر٤	٦٨ر٧	٣ر٠	٢ر١
دبى	٢٣٩ر٠	٢١٠ر٠	...	...
الكويت	٢٨٢٥ر٠	٢٨٥٥ر٠	٦ر١	٥ر١
العراق	٢٠٤٦ر٠	٢٠٢٠ر٠	١٦ر١	١٥ر١
مسقط وعمان	٢٨٨ر٠	٢٨٦ر٠	...	...
قطـر	٥٨٢ر٠	٥٦٠ر٠	١ر١	١ر٠
السعودية	٨٣١٨ر٠	٧٥٥٤ر٨	...	...
ســوريا	١٢٠ر٠	١٢٠ر٠	...	...
الجزائر	١١١٠ر٠	١١١٠ر٠	٨ر٧	٠ر٨
مصر	٣١٦ر٠	٣١٠ر٠	٢ر١	٢ر٠
ليبيا	٢٢٦٤ر٠	٢٢٨٩ر٠	٢ر٩	٢ر٤
المغرب	٠ر٣	٠ر٣	٢ر٤	٢ر٠
تونس	٨٥ر٠	٨٥ر٠	٠ر٣	٠ر٢
الأرض المحتلة	١١٠ر٠	١١٠ر٠	٠ر٤	٠ر٢
المجموع	١٩٦٥٩ر٧	١٨٧٧٦ر٨	٤٣ر١	٣٨ر٠

البلاد غير العربية فى الشرق الأوسط

ايران	٥٨٤٣ر٠	٥٨٢٧ر٠	١٤١ر٢	١٤٢ر٧
تركيا	٧٠ر٠	٧٠ر٠	....	....
المجموع	٥٩١٣ر٠	٥٨٩٧ر٠	١٤١ر٢	١٤٢ر٧

البلاد غير العربية فى أفريقيا

أنجولا	١٣ر٠	١٣ر٠	١ر٩	١ر٧
كابيندا	١٣٢ر٠	١٣٢ر٠	....	....
الكونغوبرازفيل	٤٧ر١	٤٨ر٠	٠ر٢	٠ر١
جابون	١٤٨ر٧	١٤٨ر٠	٠ر١	٠ر١
نيجيريا	١٩٤٧ر٤	١٩٩٨ر٠	٥ر٧	٥ر٦
المجموع	٢٢٨٨ر٢	٢٣٣٩ر٠	٧ر٩	١٧ر٥

نصف الكرة الغربى

الأرجنتين	٤٢٢ر٠	٤٢٢ر٠	١٩ر٢	٢٠ر٢
بوليفيا	٥٠ر٠	٥٠ر٠	١٢ر٤	١٣ر٦
البرازيل	١٦٥ر٠	١٦٥ر٠	٤ر١	٦ر٢
كندا	١٧٣١ر٠	١٩٠٠ر٣	٢٦٧ر٤	٢٥٢ر٧
شيلى	٣٥ر٠	٣٥ر٠	٢٠ر٧	٢٤ر٠
كولومبيا	٢٠٠ر٠	٢٠٠ر٠	١١ر٧	١٢ر٨
أكوادور	١٥٠ر٠	١٩٢ر٥	٠ر٥	٠ر٨
المكسيك	٤٧٥ر٠	٤٧٥ر٠	٥٤ر٤	٦٠ر١
بيرو	٧٠ر٠	٧٠ر٠	٤ر٠	٦ر١
ترينيداد	١٦٥ر٠	١٦٥ر٠	١٢ر١	١٣ر٦
فنزويلا	٣٤١٥ر٠	٣٣٧٣ر٠	١٣٨ر٧	١٤٠ر٠
المجموع	٦٨٧٨ر٠	٧٠٤٧ر٨	٥٤٤ر٦	٥٥٠ر١

الدول الأوروبية

النمسا	٤٧ر٠	٤٧ر٠	٧ر٨	٦ر٢
فرنسا	٣٠ر٠	٣٠ر٠	٢٠ر٠	١٨ر١
الدانمارك	٤ر٠	٤ر٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠
ألمانيا الاتحادية	١٢٩ر٧	١٣٠ر٠	٥٦ر٠	٥٠ر٢
ايطاليا	٢٠ر٠	٢٠ر٠	٤١ر٩	٤١ر٠
هولندا	٣٠ر٠	٣٠ر٠	٢٤٦ر١	٢٤٦ر٢
النرويج	٣٨ر١	٤٠ر٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠
أسبانيا	٢٣ر٠	٢٣ر٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠
المملكة المتحدة	٢ر٠	٢ر٠	١٠٠ر٧	١٠١ر٧
يوغوسلافيا	٧٠ر٠	٧٠ر٠	٧ر٩	٦ر٠
المجموع	٣٩٤ر٣	٣٩٦ر٠	٤٨٠ر٤	٤٦٨ر٤

جنوب شرق آسيا والمحيط الهادى

أفغانستان	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٧ر٥	٦ر٧
استراليا	٤٣١ر٠	٤٣٦ر٦	١١ر٤	١٢ر٥
بورما	٢٠ر٠	٢٠ر٠	٠ر٧	٠ر٦
بروني وماليزيا	٣٢٠ر٠	٣٢٠ر٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠
الهند	١٥٠ر٠	١٥٠ر٠	١ر١	١ر٠
أندونيسيا	١٣٢٥ر٠	١٣٥٠ر٠	١١ر٩	١١ر٠
اليابان	١٥ر٠	١٥ر٠	٧ر٨	٧ر٦
باكستان	٩ر٠	٩ر٠	١٢ر٤	١١ر٠
تايوان	٢ر٠	٢ر٠	٢ر٨	٢ر٠
تايلاند	٠ر٣	٠ر٣	٠٠٠٠	٠٠٠٠
المجموع	٢٢٧٢ر٣	٢٣٠٢ر٩	٥٥ر٦	٥٢ر٤

العالم غير الشيوعى

العالم غير الشيوعى	٣٧٤٠٥ر٥	٣٦٧٥٩ر٥	١٢٧٢ر٨	١٢٥٩ر١
الولايات المتحدة	٩٢١٦ر٠	٩٢٠٦ر٠	١٩١٠ر٤	١٨٨٩ر٣
المجموع	٤٦٦٢١ر٥	٤٥٩٦٥ر٥	٣١٨٣ر٢	٣١٤٨ر٤

الكتلة الاشتراكية

الصين الشعبية	٦٠٠ر٠	٦٠٠ر٠	١٢ر٩	١٢ر٠
رومانيا	٢٧٥ر٠	٢٧٥ر٠	١١١ر١	١١٠ر٩
روسيا	٨٢٨٩ر٠	٨٣٧١ر٠	٦٨٨ر٣	٦٨٨ر٤
بلاد أخرى	١٠٥ر٠	١٠٥ر٠	٥٩ر٨	٤٩ر٩
العالم	٩٢٦٩ر٠	٩٣٥١ر٠	٨٧٢ر١	٨٦١ر٢
المجموع	٥٥٨٩٠ر٥	٥٥٣١٦ر٥	٤٠٥٥ر٣	٤٠٠٩ر٦

الاحتياطى العربى
من البترول الخام والغاز الطبيعى

	البترول الخام (ألف برميل)	الغاز الطبيعى (بليون قدم مكعب)
أبو ظبى	١٨ر٠٠٠ر٠٠٠	٧ر٥٠٠
البحرين	١٧ر٠٠٠	١٠٠
دبى	١ر٠٠٠ر٠٠٠	٥٠٠
العراق	٢٨ر٠٠٠ر٠٠٠	٢٠ر٠٠٠
الكويت	٦٩ر٠٠٠ر٠٠٠	٣٩ر١٠٠
عمان	٢ر٥٠٠ر٠٠٠	١ر٥٠٠
المنطقة المحايدة	١٥ر٠٠٠ر٠٠٠	٤ر٠٠٠
قطر	٣ر٨٧٥ر٠٠٠	٧ر٣٠٠
السعودية	٧٧ر٠٠٠ر٠٠٠	٤٣ر٠٠٠
سوريا	١ر٥٠٠ر٠٠٠	٥٠٠
الجزائر	٧ر٠٠٠ر٠٠٠	١٣٥ر٠٠٠
مصر	٢ر١٠٠ر٠٠٠	٢ر٨٠٠
ليبيا	٣٠ر٠٠٠ر٠٠٠	٢٠ر٠٠٠
المغرب	٨ر٠٠٠	٢٠
تونس	٤٦٨ر٠٠٠	٥٠٠
المجموع (١)	٣٠٩ر٦٢١ر٠٠٠	٣٩١ر٨٢٠

(١) يفسر الاحتياطى ، على أنه حجم البترول الباقى فى باطن الأرض ، والذى تؤكد المعلومات الجيولوجية والهندسية ـ الى حد معتدل ـ امكانية الحصول عليه من الآبار المعروفة . تحت الظروف الاقتصادية والعملية القائمة .

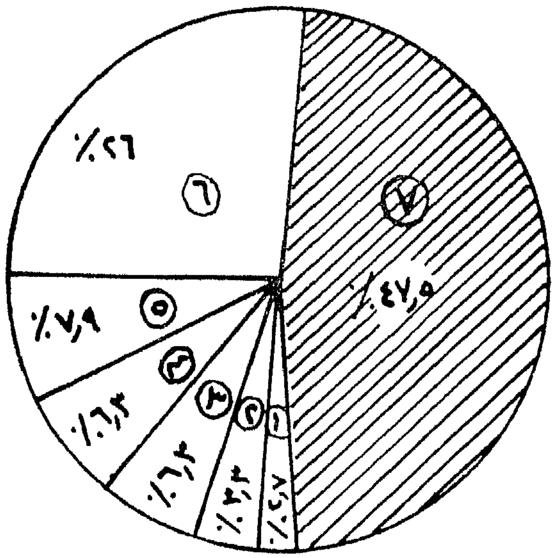
واردات أمريكا البترولية

معدل سبعة أشهر من يناير الى يوليو ١٩٧٤

(بآلاف البراميل يوميا)

الدولة	البترول الخام: المعدل اليومى	البترول الخام: النسبة المئوية	مشتقات البترول: المعدل اليومى	مشتقات البترول: النسبة المئوية
الجزائر	١٢٦	٣ر٥	١٣	٠ر٥
انجولا	٣٤	٠ر٩	—	—
الباهاما	٨٥	٢ر٤	١٥١	٦ر١
كندا	٩٦٦	٢٧ر٢	١٨٧	٨ر٠
اكوادور	٨١	٢ر٢	البحرين ١١	٠ر٤
مصر	١٠	٠ر٢	فرنسا ٥	٠ر٢
أندونيسيا	٢٢٨	٦ر٤	ايطاليا ١٠٢	٤ر٣
أيران	٤٣٩	١٢ر٤	هولندا ٥٥	٢ر٣
الكويت	١١	٠ر٣	آسبانيا ١٣	٠ر٥
جزر الانتيل	١٠١	٢ر٨	٤٦١	١٩ر٧
نيجيريا	٥٥١	١٥ر٥	٢١	٠ر٩
قطر	١٣	٠ر٣	روسيا ١٨	٠ر٧
السعودية	١٧٢	٤ر٨	١٨	٠ر٧
ترينيداد	١٠٥	٢ر٩	١٦٥	٧ر٠
تونس	٢٩	٠ر٨	—	—
فنزويلا	٤١٧	١١ر٧	٦١٧	٦ر٤
اتحاد الامارات	٣٠	٠ر٨	—	—
الجزر العذراء	٤٤	١ر٢	٣٢٩	١٤ر١
دول أخرى	١٠٤	٢ر٨	١٦٠	٦ر٩
المجموع العام	٣٥٤٦	١٠٠ر٠	٥٨٧٧	١٠٠ر٠

توزيع سعر بيع برميل البترول للمستهلك فى أوروبا الغربية
(على أساس متوسط السعر عام ١٩٦٧ (١))



	بالدولار	٪
١ ــ تكاليف الانتاج	ر٢٨٥	٢ر٧
٢ ــ تكاليف التكرير	٠ر٣٥٠	٣ر٣
٣ ــ سعر النقل البحرى	٠ر٦٨٠	٦ر٣
٤ ــ صافى ربح شركة البترول	٠ر٦٨١	٦ر٣
٥ ــ عائدات الدول المنتجة للبترول	٠ر٨٥٣	٧ر٩
٦ ــ تخزين ــ شحن وتفريغ ــ توزيع ــ مصروفات أخرى	٢ر٩٠	٢٦ر٠
٧ ــ ضرائب غير مباشرة على رقم المبيعات فى الدول المستهلكة	٥ر١٠٠	٤٧ر٥
	١٠ر٧٣٩	١٠٠ر٠

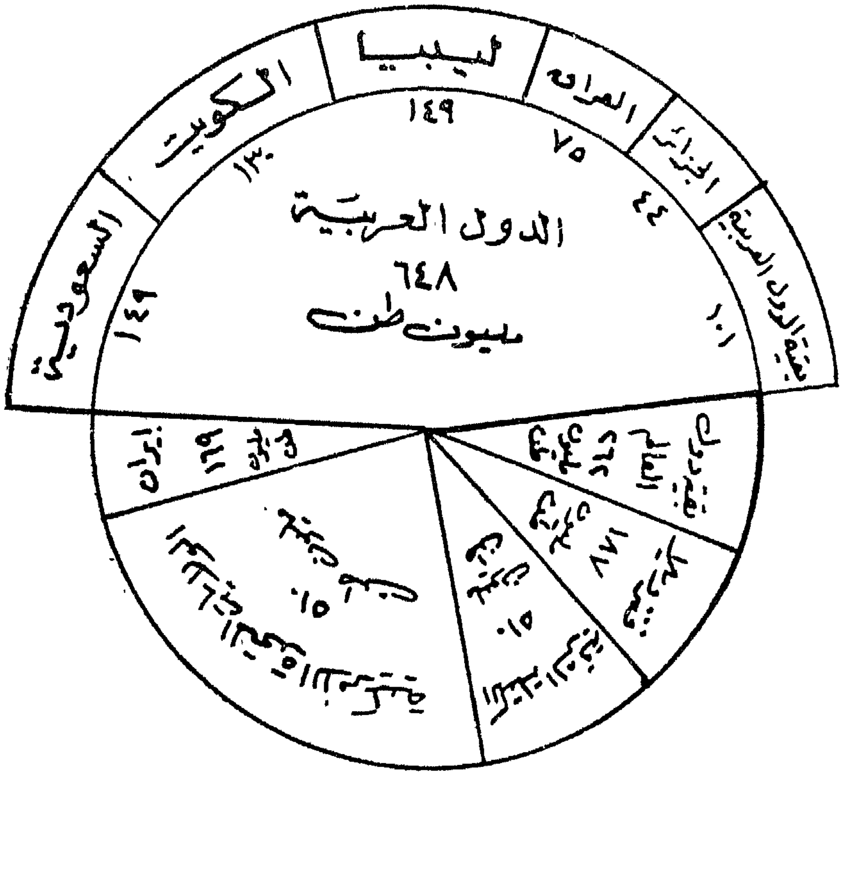
يتبين من أجمالى سعر برميل الزيت ١٠ر٧٣٩ دولار ، لا تحصل

(١) المصدر : نشرة « أوبيك » سبتمبر / أكتوبر ١٩٦٩ .

الدول المنتجة للبترول نفسها ، الا على عائدات لا تتعدى ٨٥٣ر٠ دولار اى ٩ر٧٪ من أجمالى السعر . بينما تحصل حكومات الدول المستهلكة فى غرب أوروبا على نصيب قدره ١٠٠ر٥ دولار أى بنسبة ٥ر٤٧٪ .

الانتـاج العـالمى للبترول

(بملايين الأطنان – بلغ ٢١٣٨ طنا فى عام ١٩٧٠ (١))



(١) المصدر « البترول واقتصاديات موارده » تاليف د. محمد أمين .

صافى دخل شركات البترول الأمريكية

(خلال الربع الأول من عامى ١٩٧٣ ، ١٩٧٤)

اسم الشركة	يناير – مارس ١٩٧٣ (مليون دولار)	١٩٧٤	نسبة الزيادة المئوية
اكسون	٥٠٨	٧٠٥	٣٨
جلف أويل	١٦٥	٢٩٠	٧٦
موبيل	١٥٥ر٨	٢٥٨ر٦	٦٦
سوكال	١٥٢ر٨	٢٩٣	٩٢
تكساكو	٢٦٤	٥٨٩ر٤	١٢٣
امراداهس	٣٦ر٦	٤٩ر٩	٣٦
اشلانداويل	١٥ر٩	١٩ر٤	٢٢
اتلانتك روتشفيلد	٥٠ر٢	٩٣ر٩	٨٧
سيتز سيرفس	٣٦ر٨	٨ر٨	٨٧
كزنتننتال أويل	٤٧ر٥	١٠٩ر٢	١٣٠
جتى أويل	٢٧	٧٣ر٦	١٧٣
كيرماك جى	١١ر٩	٢٣ر٦	٩٩
ماراثون	٢٠ر١	٣٠ر٦	٥٣
اكسدنتال	٨ر٣	٦٧ر٨	٧١٥
شل أويل	٨٠ر٢	١٢١ر٨	٥٢
فليبس	٤٣ر٤	١٠٨ر٦	١٥٠
ستاندارد انديانا	١٢١ر١	٢١٩	٨١
ستاندارد أهيو	١٧ر٥	٢٢ر٦	٢٩
صن أويل	٤٩ر١	٩٠ر٨	٨٥
يونيون أف كاليفورنيا	٣٨ر٣	٧٣	٩١
المجموع الكلى	١٨٤٩ر٦	٣٣٠٨ر٦	

— المصدر : « ذى يتروليوم ايكونوميست » (يونيو ١٩٧٤) .

الباب الثاني

رأس المال العربي

- الفائضات البترولية
- الأرصدة العربية

العائدات البترولية

تضاعفت ثروة البترول العربى نتيجة :

- اغلاق قناة السويس ، وأثره على رفع أسعار النقل ، وبالتالى رفع أسعار بيع البترول العربى ٠

- حرب أكتوبر وأثرها فى تغيير موازين القوى ، فأصبحت دول البترول العربى صاحبة الارادة والتحكم فى المنع والمنح ، مما ترتب عليه مضاعفة الطلب على البترول العربى ٠

ولعل من أكثر ما يخيف الدول الغربية عموما ، وأمريكا بوجه خاص ، هو احتمال تحول العالم العربى ، الى قوة مالية ضخمة ، بفضل عائداته البترولية المتزايدة ٠٠ وتمكنه نتيجة لذلك ، من التحكم فى النظام النقدى العالمى ، وبالتالى فى سياسات الغرب ٠

والدول المصدرة للبترول تجمعها منظمة « أوبيك » وهذه الدول الأعضاء هى :

الجزائر ـ العراق ـ ايران ـ الكويت ـ المملكة العربية السعودية ـ دولة الامارات العربية المتحدة ـ ليبيا ـ نيجيريا ـ فنزويلا ـ أندونيسيا ـ قطر ـ جابون (عضو منتسب) ٠

كما أن هناك أعضاء فى منظمة الدول العربية المصدرة للبترول وهم خارج منظمة « أوبيك » وهم :

مصر ـ سوريا ـ دبى ـ البحرين ٠

وقد طرأ تغيير فى المعادلة الاقتصادية العالمية ، بفعل البلدان المنتجة للبترول فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ٠٠ ففى أقل من سنة واحدة ، ارتفعت أسعار البترول الى أربعة أضعاف ما كانت عليه ، فزاد ذلك من الأرصدة المتجمعة فى خزائن الدول العربية وايران ، الى حد يفوق الخيال ٠

وفى سنة ١٩٧٤ وحدها ، سوف تبلغ ايرادات البترول فى الثمانى دول (٧٢ بليار دولار) مقابل (١٧ مليارا) فى سنة ١٩٧٣ . ومن المتوقع ان تصل عائداتها الى ١٥ بليون دولار فى سنة ١٩٧٥ .

ومن المحتمل أن تتضاعف هذه العائدات مرة أخرى فى عام ١٩٨٥ ، لأن الولايات المتحدة الأمريكية ، قد تنضم الى أوروبا الغربية واليابان ، كمستوردة كبرى لنفط الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، اذا تفاقمت أزمة الطاقة فيها .

وقد جاء فى التقرير السرى للبنك الدولى ، أن الأرصدة المتجمعة لدى جميع دول « اوبيك » قد ترتفع الى ٦٥٠٫٠٠٠ مليون دولار فى سنة ١٩٨٠ ، وحوالى ١٫٢٠٠٫٠٠٠ مليون دولار (١) فى سنة ١٩٨٥ .

وعلى هذا ، سوف تتدفق كميات كبيرة من هذه الأموال لتوظيفها فى استثمارات خارجية . حيث سيكون لديها من الأموال أكثر مما يمكن أن تمتصه اقتصادياتها المحلية فى المدى القصير .

وتقوم تلك الدول باستغلال ثرواتها البترولية ، بما يدر عليها دخلا سنويا يمكنها من أن تحقق :

- نموا عاليا جدا فى الدخل القومى .
- معدلات ادخار مرتفعة .
- الاستثمارات اللازمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وعلى الرغم من كل هذا الاستغلال ، فانه يكون لديها فائض سيبقى متزايدا باستمرار .

ولقد سمحت العائدات البترولية المرتفعة للدول المنتجة للبترول ، بتكوين احتياطى من النقد الأجنبى ، يقدر بحوالى من ١٢ ـ ١٥ بليارا من الدولارات وذلك فى خلال الستينيات . ومن المتوقع أن يزداد هذا الرقم ، خلال السنوات العشر القادمة ، نتيجة لارتفاع أسعار البترول ارتفاعا كبيرا وخاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

---

(١) وهذا يعادل عشرة أضعاف القيمة الدفترية للاستثمارات الامريكية فى الخارج كما تعادل أيضا ، ضعف قيمة الذهب الذى تملكه الآن الحكومة الامريكية .

ويمثل مجموع سكان دول « أوبيك » ٨ر٠٪ من مجموع سكان العالم وتمثل ٧٨٪ من مجموع مستودعات البترول المعروفة فى العالم ، و ٦٢٪ من الانتاج العالمى ، وحوالى ٨٥٪ من تجارة البترول العالمية · وهذا ما يعطيها قوة اقتصادية تفوق حجمها ·

ولذلك لزم أن تكون قرارات دول « أوبيك » فى غاية الدقة ، اذ أنها يمكن ان تؤثر على :

- معدل نمو الاقتصاد العالمى ·
- توزيع الدخول العالمية ·
- مستوى الاستثمارات وتوزيعها ·
- أسواق النقد ورؤوس الأموال وفى كيان نموها الاقتصادى ·

ويوضح البيان التالى ، توزيع عائدات البترول على دول الشرق الاوسط وشمال أفريقيا ، الأعضاء فى منظمة « أوبيك » ، من واقع تقديرات سنة ١٩٧٤ :

	بليون دولار
المملكة العربية السعودية	٢١ر٠٠
ايران	١٨ر٥
الكويت	٨ر٠٠
ليبيا	٧ر٩
العراق	٦ر٥
أبو ظبى	٤ر٨
الجزائر	٣ر٧
قطر	١ر٥

وقد أدى هذا التحول الكبير فى الثروات ، الى خلق مشكلات ضخمة ، لموازين المدفوعات للدول المستهلكة للبترول · ومن المتوقع أن تزداد هذه المشكلة فى المدى القريب ·· اذ تشير بعض التقديرات الى أن ايرادات البترول فى الشرق الأوسط ، قد تنمو خلال عشر سنوات الى ٥٠٠ مليار دولار كتقدير البنك الدولى (أو الى ألف مليار من مصدر آخر) ·

ومن الواضح ، أن الأموال التى تدفعها الدول المستهلكة للبترول ، تمثل عجزا فى ميزان مدفوعاتها الدولى ، ما لم يعد اليها على هيئة أثمان سلع وآلات ، قد تشتريها منها الدول المصدرة للبترول ·

وتوضح الأرقام الآتية قيمة المدفوعات ، من واقع تقديرات سنة ١٩٧٤ :

	بليون دولار
الولايات المتحدة الأمريكية	٢ر٠
بريطانيا	٨ر٥
فرنسا	٥ر٠
ألمانيا الغربية	٦ر٠
ايطاليا	٨ر٠
اليابان	٦ر٠

وفيما يلي بيان تطور عائدات الدول المنتجة للبترول وفقا لتقديرات البنك الدولي ومقدرة بملايين الدولارات :

	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤
السعودية	٦٥٥	١٢٠٠	٣١٠٧	٤٩٠٠	١٩٤٠٠
ايران	٥٢٢	١١٣٦	٢٣٨٠	٣٩٠٠	١٤٩٠٠
فنزويلا	١١٣٥	١٤٠٦	١٩٤٨	٢٨٠٠	١٠٠٠٠
ليبيا	٣٧١	١٢٩٥	١٥٩٨	٢٢٠٠	٨٠٠٠
الكويت	٦٧١	٨٩٥	١٦٥٧	٢١٠٠	٧٩٠٠
نيجيريا	غير معروف	٤١١	١١٧٤	٢٠٠٠	٧٠٠٠
العراق	٣٧٥	٥٢١	٥٧٥	١٥٠٠	٥٩٠٠
أبو ظبى	٣٣	٢٣٣	٥٥١	١٠٠٠	٤٨٠٠
الجزائر	غير معروف	٣٢٥	٧٠٠	١٠٠٠	٣٧٠٠
أندونيسيا	غير معروف	٢٣٩	٥٥٥	٨٠٠	٢١٠٠
قطر	٦٩	١٢٢	٢٥٥	٤٠٠	١٢٠٠
دول أخرى عدا دول أمريكا الشمالية والدول الشيوعية	١٦	١٥٠	٢٢٢	٥٥٠	١٧٠٠
	٣٨٤٧	٧٩٣٣	١٤٧٢٢	٢٣١٥٠	٨٦٦٠٠
معدل الدخل عن البرميل المصدر (بالدولار)	٧٧ر٠	٩٢ر٠	٤٧ر١	٠٥ر٢	٦٩ر٧

مخاوف أمريكا ..
من قوة العرب المالية

فى السنوات الماضية ، ظهرت تحذيرات عدة فى بريطانيا وأمريكا ، من أجل توفير مصادر جديدة للطاقة ، قبل سنة ١٩٨٠ ، وهو الموعد الذى يتوقع فيه جميع الخبراء ، أن تصبح فيه أمريكا مرغمة على استيراد أكبر جزء من بترولهـا ، من المصـادر الرئيسية للبترول الموجودة فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا .. اذ أن الانتاج المحلى الأمريكى ، قد بدأ يتعثر وأوشك أن يخف بشكل متزايد خطير .

وستبلغ قيمة واردات أمريكا من هذا البترول ، ما يوازى ألف مليون دولار سنويا .. وبدأ يتضاعف هذا المبلغ اذا ما واصلت الدول المنتجة للبترول رفع أسعارها كما بدأت تفعل .. وربما تصل قيمة مجموع واردات أمريكا من البترول فى سنة ١٩٨٠ الى ٢٠ بليون دولار سنويا .

ونخشى أمريكا على نظام مدفوعاتها المتداعى والمصاب بعجز دائم ، اذا وجدت نفسها معتمدة فى بترولها على دول أخرى .

ومن هنا يتحرك العلماء فى أمريكا لاستخراج البترول من مصادر أخرى كالزيت الحجرى ورمال القار والفحم ، وللاسراع بمد خط الأنابيب من آلاسكا ، والتنقيب السريع عن البترول فى الجرف القارى للولايات المتحدة الأمريكية .

هذا وتسعى أمريكا جديا ، للعثور على وسيلة ، تمكنها من المحافظة على تدفق البترول اليها ، دون أن يؤدى ذلك الى تفويض نظام النقد العالمى ، واشاعة الاضطراب وعدم الاستقرار فى الأسواق المالية .

فالولايات المتحدة الأمريكية ، يمكن أن تحرم من مصـــدر حيوى لبترولها ، ليس فقط نتيجة لفعل الدول المنتجة للبترول ، بل قد يكون نتيجة لقوة قادرة على التدخل فى عمليات التموين . وقد تواجه أوروبا اليابان تهديدا كهذا .. وقد تضطر الى الاختيار بين مســـاعدتها فى وقت تواجه فيه هى نفسها المتاعب (كما حدث أثناء حظر البترول الى أمريكا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣) .. أو خسارتهما كحليفتين .

الاستثمارات العربية

وقد أصبح من الحقائق المعروفة ، أن هناك أموالا عربية طائلة ، يمكن الاستفادة منها ، فى تحقيق التنمية العملية المشتركة .. الا أنه يجب أولا

كفالة الضمانات اللازمة لها ، مما يؤدى الى اتاحة الفرص أمام الأموال العربية لكى تستثمر فى المشروعات العربية ، وخصوصا وأن معظم وجهات النظر العالمية ، تجمع على ضرورة اعتماد الدول النامية على نفسها ، فى مجال التنمية الاقتصادية ، وأن تزيد من نسبة اكتفائها الذاتى فيما بينها ٠

ولذلك فان السبيل الوحيد للدول العربية ، لكى تحقق ذلك ، هو انشاء تكتلات اقتصادية اقليمية فيما بينها ٠

ويمكن تقسيم الدول العربية الى :

- دول لديها فائض كبير من الأموال ٠
- دول لا تمتلك كل ما تحتاج اليه من أموال ، وقد يكون لديها بعض عناصر الانتاج الأخرى ٠

ومن المفروض أن تستثمر دول المجموعة الأولى أموالها ، لدى دول المجموعة الأخرى ٠٠ اذ بغير ذلك ، فان الأموال العربية سوف تجد طريقها الى أسواق الدول الأجنبية ، حيث تجد دائما الاغراء الكافى ، على الرغم مما قد تتعرض له من خسائر كبيرة ، كما حدث ، من قبل ، نتيجة للازمات النقدية المتعاقبة التى مرت على العالم الغربى ٠

وقد تذهب الأموال العربية ، الى دول عربية أخرى ، عن طريق وسطاء أجانب ، يستفيدون على حساب الدول العربية المصدرة والمستوردة لرءوس الأموال ، فى الوقت الذى تعتبر فيه هذه الدول ، أحق بكل ربح يتولد عن استثماراتها الخاصة ٠

وقد خطت الدول العربية ، خطوة موفقة ، باقرارها مشروع « المؤسسة العربية لضمان الاستثمار » (برأسمال مبدئى قدره (١٠ ملايين دينار كويتى) ٠٠ وسوف تساعد هذه المؤسسة ، على بث مزيد من الثقة فى نفوس المستثمرين العرب ، عن طريق ضمان الاستثمارات بين الدول العربية ، ضد ما قد يهددها من مخاطر غير تجارية فى الدول المضيفة ٠ هذا بالاضافة الى المهام الأخرى المكملة التى ستنبثق عن هذه المؤسسة ، مثل ٠٠ القيام بالأبحاث الخاصة باعطاء أولويات الاستثمار فى الدول العربية ، والتعاون مع الهيئات المحلية والاقليمية والدولية العاملة فى حقل التنمية والتأمين ، والسعى نحو تحسين مناخ الاستثمار بعقد اتفاقيات تحدد قواعد معاملة الاستثمارات فى الدول المتعاقدة ٠

هذا ومن المعروف أن « اتفاقية استثمار رءوس الأموال العربية » قد أصبحت سارية المفعول منذ (فبراير ١٩٧٢) بعد أن صدقت عليها كل من مصر وسوريا والعراق والسودان وليبيا ٠

وتهدف هذه الاتفاقية ، الى أن تبذل كل دولة عربية ـ مصدرة لرأس المال ـ جهودها لتشجيع الاستثمارات فى الدول العربية الأخرى على سبيل التفضيل ، وتقدم ما قد تلتزم به فى هذا الشأن من خدمات وتسهيلات ٠

كما تبذل الدول العربية المستوردة لرأس المال ، كل جهد وتيسير استثمار رأس المال العربى على سبيل التفضيل ، وفقا لخطة التنمية الاقتصادية فيها ٠

وتعمل الدول الأعضاء ، على تشجيع استثمار رأس المال العربى ، فى المشروعات الاقتصادية المشتركة دعما للتكامل الاقتصادى بين الدول العربية ٠

وتلزم الاتفاقيات الدول الأعضاء ، بالمعاملة فيما بينها ، بما لا يقل عن معاملة أى استثمارات أجنبية ، قد تمنحها الدول مزايا خاصة ، على أن تتمتع الاستثمارات العربية تلقائيا بتلك المزايا نفسها فور منحها ٠

وتعطى الاتفاقية المستثمر العربى ، الحق فى تحويل صافى رأسماله المستثمر وصافى عوائده والتعويضات المستحقة ، وكذلك الحق فى الاقامة فى أراضى الدولة المضيفة لرأسماله ، لممارسة نشاطه الاستثمارى ٠

والوطن العربى ، الذى يأتى فى مرتبة جيدة بين دول العالم ، من حيث المساحة وعدد السكان ، تعادل مساحته مساحة القارة الأوروبية ، ويأتى بعدد سكانه فى المرتبة الخامسة بين دول العالم كثافة بالسكان ٠٠ أرض كبيرة ، وسكان كثيرون ، وموقع استراتيجى ممتاز ، فهو يطل على منافذ عدة لواجهة العالم ٠٠ ففيه قناة السويس المورد الاقتصادى والموقع الاستراتيجى الهام ، ومضيق جبل طارق صلة الوصل بين البحر الأبيض والمحيط الأطلسى ، وباب المندب الذى بات يضيق خناقا على اسرائيل (كما حدث فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى الحصار البحرى على اسرائيل الذى فرضه الأسطول البحرى المصرى) ٠

والاقتصاد بوجه عام متخلف تبعى فى الوطن العربى ، من جراء التخلف الفنى الذى أحله الاستعمار فى الدول العربية ٠

ومن هنا كان من الضرورى الالتزام بالاقتصاد المتكامل بين الدول العربية والسعى وراءه لتنميته ٠٠ فالوطن العربى يملك الموارد ورءوس الأموال الضخمة ، التى تمثلها الودائع الموجودة فى بنوك الدول الأجنبية ٠٠ والتى لا بد من استغلالها فى مشروعات التنمية فى الدول العربية ٠

ولا شك فى أن جهودا كبيرة تبذل ، لخلق المناخ المناسب للأموال العربية . لاستثمارها داخل الدول العربية نفسها ٠٠ ولا ينقص الا التحرك

الفعلى الواسع لرءوس الأموال العربية لخدمة الاقتصاد العربى وتنفيذ المشروعات المتفق عليها لتحقق المؤسسات المقامة أغراضها بين الدول العربية ٠

وبذلك ، لا بد من أن يكون لهذه التطورات ، انعكاسات مباشرة وغير مباشرة على اقتصاديات وماليات الدول العربية ، التى يلزمها خطوات معينة للتكيف معها ولتفادى أى آثار سلبية قد تنجم عن بعض هذه التطورات ٠

منافذ الاستثمار

ان معظم الدول المنتجة للبترول ، عاجزة عن امتصاص صادرات العالم الغربى اليها ، على مستوى مماثل لمستوى صادراتها البترولية ٠٠ وانها مهما فعلت ، فانها لا تستطيع أن تخلق قوة شرائية جماهيرية كبيرة ، نظرا لأن العائدات البترولية تصب فى الحكومات ، مع قلة عدد السكان فى معظم دول الشرق الأوسط ٠

واذا أصبحت الدول المنتجة للبترول قوة مالية ، فانها ستتمكن من الاشتراك فى المنافسات الدولية الكبرى ٠

واذا قامت بنقل أموال من دولة الى أخرى ، فانها ستؤثر على النظام النقدى الدولى ٠

تماما كما سيؤدى الاختناق فى ايجاد منافذ استثمارية لهذه الأموال ، الى حدوث انتكاسات اقتصادية ٠

ولكن ٠٠ أين وكيف سيعيد منتجو الشرق الأوسط استثمار ثرواتهم البترولية ؟!

والجواب الطبيعى ، أن تركز دول الشرق الأوسط ، على تعزيز اقتصادياتها النامية ، بالاستعانة بالتكنولوجيا والخبرة والمعدات الغربية ٠٠ ولكن اقتصاديات المنطقة ، لا يمكنها أن تستوعب الا جزءا من أموالها ٠

وحتى الدول القادرة على الاستيعاب ، أكثر من غيرها ، مثل :

ايران والجزائر ٠٠ وهما أكثر دول البترول سكانا ، سوف تحقق فائضا ، على الرغم من برامجها الواسعة للانماء الاجتماعى والعسكرى والصناعى ٠

أما الدول القليلة السكان ، والقليلة القدرة على استيعاب أموال الاستثمار ، فانه لا يمكنها الانفاق على مشروعاتها الداخلية ، الا نسبة صغيرة من ايراداتها البترولية ٠

ونعتبر المملكة العربية السعودية من أكبر الدول المنتجة للبترول في المنطقة وتفوق أمريكا واليابان فى أرصدتها النقدية ٠٠ الا أن عدد سكانها لا يتجاوز ٨ ملايين نسمة ، ومهما تجاوزت حدود الانفاق فى أى مشروعات طموحة ، فسوف لا تغطى الا ٢٥٪ على الأكثر من العائدات البترولية ٠

هذا وتقدر الأموال الزائدة عن حاجة الدول العربية المصدرة للبترول عام ١٩٧٤ كما يلى (١) :

	بليون دولار
المملكة العربية السعودية	١٩
ليبيـــا	٤
الـكويت	٦
أبو ظبى	٣
العــراق	٣
الدول العربية الأخرى المصدرة للبترول	٩
المجموع	٤٤

مصالح العرب الاقتصادية

وقد وافق وزراء الاقتصاد العرب ، فى المجلس الاقتصادى العربى ، الذى انعقد أخيرا بالقاهرة ، على اقتراحات هامة تضمنها التقرير الذى أعده المجلس ، عن المصالح الاقتصادية وعلاقتها بالدول الأجنبية ٠

وقد بلغت الأرصدة النقدية العربية من ١٢ ــ ١٥ مليار دولار حتى نهاية عام ١٩٧٣ ، وقد تمكن الغرب بفضلها ودون حساب خلال ربع قرن ، من اعادة بناء اقتصاده بعد الحرب العالمية الثانية ، وتحقيق أضخم ازدهار عرفه فى تاريخه ٠

هذا وقد تأثرت هذه الأرصدة تماما ، من جراء التخفيضات المتتالية لعملات الدول الغربية الرئيسية ، فبلغت خسائر الدول العربية ما يعادل ٣ مليارات دولار ٠

والوطن العربى ، يضم أقطارا تعانى من نقص كبير فى رأس المال اللازم لتنفيذ مشروعاتها الانمائية ٠

وعلى ذلك ، فقد طالب تقرير المجلس الاقتصادى العربى ، بضرورة تنسيق العمل العربى فى مجال استخدام المصالح المالية العربية والبترولية ،

(١) حديث السيد / عبد الله الطريقى ــ مجلة « نفط العرب » أكتوبر ١٩٧٤ ٠

لخدمة القضايا العربية ، من خلال خطة استراتيجية ، تتفق عليها الدول العربية ٠

ويتضمن التقرير الاقتراحات الآتية :

- انشاء مراكز مالية عربية فى الخارج ٠٠ سواء عن طريق فتح فروع لبنوك عربية فى الدول الأجنبية ، أو التعاون فى تأسيس شركات مصرفية عربية أجنبية مشتركة فى الخارج ٠
- انشاء سوق مالية عربية ٠
- توجيه جزء من الأرصدة العربية الخارجية نحو دول صديقة ٠
- انشاء صندوق الدعم المالى لمساعدة الدول العربية المتضررة ٠
- انشاء صندوق مالى خاص ، يقدم قروضا وتسهيلات مالية للبلدان العربية لتعويضها عن قروض تمنعها عنها دول أجنبية ٠٠ علاوة على منح قروض وتسهيلات مالية للدول النامية ٠
- المساهمة فى أكبر الشركات الأجنبية ذات المركز الاستراتيجى العالمى ٠

وقد طالب المجلس ، توجيه جزء كبير من الموارد المالية العربية فى الخارج ، لحاجة المتطلبات العسكرية والسياسية ٠

أما بالنسبة للأرصدة العربية الخارجية ، فانها يمكن أن تؤدى دورا هاما فى السيولة النقدية ٠٠ والفائض المالى العربى الذى يتراكم على شكل دائنية من الدول الغربية ، يستطيع أن يؤثر على مدفوعاتها واحتياجاتها من الذهب والعملات الحرة ٠

وقد جاء فى احصائيات صندوق النقد الدولى (آخر يونيو ١٩٧١) ٠ أن حصة الدول العربية من السيولة النقدية (باستثناء) قطر واتحاد الامارات) قدرت بنحو ٨ مليارات دولار ، وانها تمثل ١١٪ من سيولة الدول الصناعية ، و ٤١٪ من سيولة الدول النامية ٠

وتستغل معظم الدول المنتجة للبترول ، القسم الاكبر من عائدات بترولها ، والتى لا تستطيع استثمارها محليا فى دولهم ٠٠ فى استثمارات شديدة السيولة ، وعلى الأخص فى سوق الدولارات الأوربى القصير الأجل ٠ ولا تعرف بدقة أرقام هذه المبالغ ، ولكن يبلغ من ضخامتها ، أن المصارف الغربية أخذت تشعر بأنها مكشوفة ٠٠ فالمشكلة أن البنوك تقترض من العرب قروضا قصيرة الأجل ، ثم تقرض هذه البنوك عملاءها قروضا طويلة الأجل ٠ وعلى ذلك ، فاذا استرد العرب مالهم ، وقعت البنوك تحت ضغط السيولة ٠

وثمــــة تدابير تتخـذها البنوك الغربية ، لتخفيض حـــدة هذه المخاطرة · ومنها أن بعض البنوك خفضت ٢ أو ٣٪ من سعر الفائدة المعروض على ودائع الدولارات الأوروبيـــة قصـــيرة الأجل ·· واذا استمر هـــذا التخفيض ، فقد يكون على المستثمرين العرب أن يختاروا بين :

— اما أن يقبلوا سعر فائدة منخفضا على أموالهم السائلة المودعة لأجل قصير ·

— أو يجمدوا أموالهم فى استثمارات طويلة الأجل ذات فائدة مجزية ·

واجتذابا لاستثمار الأرصدة العربية فى الخارج ، تعمد وزارات المالية فى الحـكومات الغربية ، لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية ، الى ابتكار وسائل جديدة ، لتشجيع العرب على اعادة استثمار أموالهم فى استثمارات طويلة الأجل ·

فمن المنتظر أن تنشىء واشنطن ، اصدارا خاصا ــ خارج سوق الأوراق المالية ــ من سندات دين الحكومة الاتحادية ، يخصص لاستثمارات السلطات النقدية الأجنبية ·· أى حكومات دول البترول العربية · وفى هذه الحالة فان المشترين ــ فى الواقع ــ يقومون بسد العجز فى ميزانية أمريكا ·· كما يقلل ذلك ، من المبـالغ التى تحتاج وزارة المـالية الى اقتراضها من السوق المفتوحة ، مما يخفف الضغط على أسعار الفائدة فى الولايات المتحدة الأمريكية ·

وفى خارج العالم العربى ، أخذت بعض العائدات الايرانية والعربية تتجه الى الاستثمارات العقارية فى الخارج ، على الأخص فى أمريكا ·· فمثلا :

— يملك العرب ، جزيرة أمام شاطىء ولاية كارولينا الجنوبية كما يملكون بعض العمارات فى « الفيفث أفينيو » الشهير فى نيويورك ، وفى الحى التجـارى فى « لاس فيجاس » وفى ولايـات جيورجيـــا وكنتكى وكاليفورنيا ·

— اشترت ايران ربع أسهم مصانع كروب فى ألمانيا الغربية ·

— بدأ العرب ، وفى مقدمتهم الكويت ، الاستثمار خارج حدودهم · خصوصا فى الدول العربية المجاورة التى لا تملك بترولا ·· فالفنادق الجديدة تقام فى القاهرة وبيروت والسودان ·

أما الكويت التى تضم ٩٠٠ ألف نفس على رقعة من الأرض على الخليج فانها تتطلع الى أماكن بعيدة لاستثمار أموالها · ولديها مجموعة

من المستشارين الغربيين في شئون الاستثمار ، ومجموعة من شركات الاستثمار وعمليات المشاركة وأخذ هؤلاء يوظفون المال الكويتى فى :

- مشروعات الملاحة والتعدين فى أفريقيا ٠
- مصانع الأسمنت فى كندا ٠
- الأملاك العقارية فى أمريكا ٠
- شراء جزيرة « كياواه » أمام شاطىء كارولينا الجنوبية بمبلغ ١٧ مليون دولار ٠٠ وكلفت احدى الشركات الكبرى بتحويل الجزيرة الى منتجع رائع ٠
- وفى مدينة اتلانتا ، يجرى بناء مجموعة من الفنادق والمساكن . تبلغ تكاليفها ١٠٠ مليون دولار ، بتمويل من شركة الاستثمار الكويتية ٠

الهجوم على الدول المنتجة للبترول

يزداد هجوم الدول الصناعية ضد ، الدول المصدرة للبترول ، لما تبذله الأخيرة فى رفع أسعار البترول ٠

والواقع ، أن السنوات الثلاث الأخيرة ، شاهدت تحولات هامة فى تاريخ صناعة بترول الشرق الأوسط ٠ وتتمثل هذه التحولات فى قدرة ليبيا على رفع أسعار بترولها الخام (عام ١٩٧٠) ٠٠ وتآزر دول الخليج ونجاحها فى تحقيق مستويات جديدة للأسعار المعلنة (عام ١٩٧١) ٠٠ ثم توصلت دول الخليج الى اتفاق جنيف (عام ١٩٧٢) الذى عوض الدول المعنية آثار خفض سعر الدولار ٠ وأسس قواعد تعديل الأسعار المعلنة ، للتعويض عن أى خفض لاحق بسعر الدولار ٠٠ واقدام العراق على تأميم منشآت شركة نفط العراق وموجوداتها (عام ١٩٧٢) بعد تردد الشركة طوال عشر سنوات فى قبول مطالب العراق ٠٠ وتحقيق أبو ظبى وقطر والسعودية والكويت ، لطلب المشاركة (عام ١٩٧٢) ٠٠ وتأميم ليبيا ٥١٪ من الشركات المنتجة (عام ١٩٧٢) واعتبار نسبة الملكية هذه الحد الأدنى المقبول لمشاركة الدول فى ملكية البترول فوق أراضيها ٠

ثم تأتى مبادرة الجزائر ، بدعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة ، لعقد دورة استثنائية حول الموارد الأساسية والتنمية (ابريل ١٩٧٤) فكانت أفضل سبيل لوضع الحوار بين العالم الصناعى والدول المنتجة للبترول فى اطاره العربية ٠ وقد قدمت الجزائر فى مذكرة الى مؤتمر الجمعية العامة ، الحقائق الآتية :

- اعطاء الأولوية للتنمية ٠
- وضع نظام اقتصادى جديد ، لأن النظام الحالى هو العائق الاساسى أمام التنمية ٠
- ضرورة فهم منطق العالم الثالث فى مساعيه لاسترداد خيراته والجهود الكبيرة التى امتدت طيلة سنوات لاستعادة هذه الثروات ٠
- الايمان بأن تنمية العالم الثالث تخدم أيضا الدول الصناعية ، لأن تنمية العالم الثالث وتحريره اقتصاديا يخدم الانسانية جمعاء ٠

وتشكل المذكرة الجزائرية الى المؤتمر ، وثيقة للتنمية ، وبرنامج عمل لانفاق كل قرش من العائدات البترولية الضخمة ، التى يفتح العالم الصناعى عينيه ، للبحث عن سبل لاعادة حقنها اليه من أبواب خلفية ٠

شركات الاستثمارات والخدمات البترولية

أما وقد بدأت العائدات البترولية ، تتدفق الى أصحابها الشرعيين بعد مناقشتها على المستوى الدولى فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وبعد أن توفرت الخطط والدراسات لامتصاصها واستغلالها ، فقد بات الأمل كبيرا نحو مستقبل عربى أفضل ، مع الشعور القوى والترابط وتبادل المسئولية ففى اجتماع منظمة الدول العربية المصدرة للبترول « أوبيك »٠ الذى انعقد بالقاهرة (١٠ ــ ١١ يوليه ١٩٧٤) اتفق على مشروعين من أهم مشروعات المنظمة وهما :

١ ــ انشاء الشركة العربية للاستثمارات البترولية برأس مال قدره (١٠١٤ مليون دولار) دفع منه بصفة مبدئية (٣٣٨ مليون دولار) ٠ وهدف هذه الشركة ، المساعدة فى اعداد وتقويم وتنفيذ المشروعات الخاصة بالبترول والغاز ، مثل التكرير والأسمدة والبتروكيماويات وغيرها من الصناعات المتفرعة من البترول ٠٠ وذلك بأن تقوم الشركة بتمويل هذه المشروعات عن طريق تقديم القروض أو المساهمة فى رأس المال ٠

٢ ــ انشاء شركة عربية لبناء السفن وترميمها واقامة حوض جاف فى البحرين ٠ وقد اتفقت على انشائه كل من المملكة العربية السعودية والكويت والعراق وليبيا والبحرين وقطر ، وستنضم الى هذه الدول دولة اتحاد الامارات ٠ وتقرر لهذا المشروع رأس مال قدره (١٠٠ مليون دولار) ٠

هذا وقد كان بين موضوعات البحث فى مؤتمر (أوبيك) مشروع

(تأجل بحثه) يرمى الى انشاء شركة الخدمات البترولية .. وهو يرمى الى انشاء شركة مشتركة ذات فروع متخصصة فى كل من الخدمات البترولية المختلفة ، مثل .. عمليات دراسة طبيعة الأرض ، والحفر ومعالجة الآبار واختبارها ، وتحليل قلب التربة ، وهندسة الخزانات وخلافه . ومن المنتظر تذليل الصعوبات الفنية والقانونية فى الاجتماع القادم حتى يمكن التوقيع على انشاء هذه الشركة .

اتساع صناعة التكرير

وجدير بالملاحظة ، أن الزيادة الأخيرة فى أسعار البترول (عقب حرب اكتوبر ١٩٧٣) .. قد شجعت كثيرا من البلدان المنتجة ، على البحث فى انشاء مجمعات واسعة لمصانع البتروكيماويات فى الشرق الأوسط .

ويعتبر المراقبون الاقتصاديون الغربيون ، أنه لا مجال لاضافة مصاف جديدة للبترول فى أوروبا الغربية ، بل أن أوروبا نفسها سوف تعتمد أكثر فأكثر ، على الشرق الأوسط للحصول على منتجات البترول المصفاة .

وهناك مخططات لانشاء مصفاتين فى المملكة العربية السعودية واثنتين فى ايران ، وواحدة فى كل من مصر والعراق والجزائر .

ومن المعروف أنه توجد مصاف كبيرة للبترول فى الكويت والبحرين وقطر والمملكة العربية السعودية والامارات المتحدة ، تبلغ طاقتها جميعا حوالى نصف مليون برميل تقريبا .

ومن المشاهد ، الازدياد المستمر على الطلب المحلى للمنتجات البتروكيماوية ، فى الدول ذات الفائض البترولى .. ومن هنا كان المقصود بالانشاءات الجديدة فى هذه الصناعات ، هو التوسع فى انتاجها لغمر الأسواق الدولية . وفى هذه الحالة ، فهناك خطر كبير من ازدياد طاقة الانتاج عن حاجة الاستهلاك ، اذا ما اعتبرت بعض هذه الدول ، أن انشاء مجمعات الصناعات البتروكيماوية ، من قبيل الهيبة الوطنية .

الا أن صناعة البتروكيماويات — وهى امتداد طبيعى لصناعة ضخ البترول — تغرى بانمائها ، لأنها تساعد فعلا على زيادة القيمة الاضافية للبترول ، وتتيح فرصا واسعة لتحسين نوعية الموارد التكنولوجية المحلية .. وعلاوة على ذلك ، فان صناعة البتروكيماويات ، تتيح قوة دافعة ضخمة لمشروعات التصنيع الأخرى التى تتفرع من صناعة البترول ، مثل استغلال نفايات البترول وخصوصا الغاز الطبيعى الذى يستغل لانتاج الغاز السائل ، وكذلك الصناعات التى تعتمد على الهيدروكربونات ، كمصانع الأسمدة التى تنتج « الامونيا » و « الأوريا » . وتتجلى أهمية الرابطة بين

تنمية الصناعات البتروكيماويه وبين تنمية الصناعات الاخرى . فى المملكة العربية السعودية بوجه خاص .. فالمملكة العربية السعودية لا تتميز فقط بضخامة وارداتها البترولية ، التى تجعلها أكبر دولة بترولية فى الشرق الأوسط ، بل هى تتميز أيضا بعدد سكانها الكبير نسبيا — وبوجود مواد خام أخرى بها غير البترول .. وهذه العوامل مجتمعة ، تعنى أن التصنيع مشروع عملى وقابل للتنفيذ .

ولكن هناك بعض الجدل ، حول الشكل الذى ينبغى أن يتخذه هذا التصنيع .. وان كان لا يوجد هناك حد للتمويل (اذ تقدر ايرادات البترول فى السعودية بحوالى ٢٣ مليار دولار فى عام ١٩٧٤) الا أن هذا يساعد فى توسيع مجال اختيار مشروعات التصنيع ، والتى منها ، الرغبة فى المشاركة فى تطوير صناعة البترول التى تتضح فى اتفاقيات المشاركة التى عقدتها المملكة العربية السعودية مع شركات البترول ، وفى تحركاتها المستقلة فى ميدان البتروكيماويات .

وفيما يلى بيان تقديرى (١) بايرادات البترول للمملكة العربية السعودية والكويت والامارات المتحدة من عام ١٩٧٤ الى عام ١٩٨٠ بمليارات الدولارات ومليارات البراميل فى السنة :

	١٩٧٤	١٩٧٦	١٩٧٨	١٩٨٠
المملكة العربية السعودية				
الانتاج	٣ر٥	٤ر٤	٥ر٥	٦ر٩
العائد الحكومى	٦ر٠٤	٧ر٢	٧ر٨	٨ر٤
الدخل	٢٣ر٢٤	٣١ر٧	٤٢ر٩	٥٧ر٩
الكويت				
الانتاج	١ر٢٤	١ر٣٤	١ر٥	١ر٦٦
العائد الحكومى	٦ر٦٨	٧ر٢	٧ر٨	٨ر٤
الدخل	٨ر٢٨	١٠ر٠٠	١١ر٣	١٣ر٩
الامارات المتحدة				
الانتاج	٠٠ر٩٧	١ر٢	١ر٦	٢ر٠٠
العائد الحكومى	٧ر٢٦	٧ز٩	٨ر٥	٩ر٢
الدخل	٧ر٠٤	٨ر٧	١٣ر٦	١٨ر٤

(١) دراسة أعدتها جامعة « درهام » البريطانية نشرتها جريدة الأنوار اللبنانيه العدد ٤٩٥٤ يوم الجمعة ٢٣ اغسطس ١٩٧٤ .. ومصدر الاحصائية مجلة « الاقتصاد العربى » فبراير ١٩٧٤ .. وتمت الدراسة بالنسبة للثلاث دول المذكورة فقط .

حول استثمار الفائض

ومهما يكن من تفاؤل الخبراء الاقتصاديين بشأن التصنيع فى الدول ذات الفائض البترولى ، فليس هناك من يستطيع التنبؤ بأن التصنيع سوف يمتص كل الفائض من ايرادات البترول .

ولهذا فان الاستثمار فى الخارج . سيظل عاملا مهما فى السياسات الاقتصادية للدول البترولية . ومن المحتمل أن يتخذ هذا الاستثمار ثلاثة أشكال :

١ — شراء السندات بنوعيها الطويلة والقصيرة الأجل .

٢ — شراء عقارات ثابتة .

٣ — المساهمة فى تمويل مشروعات التنمية فى الدول العربية .

ومن المقدر أن يبلغ مجموع الفائض فى ايرادات البترول فى دول الخليج (فقط) ، أكثر من ٢٠٠ مليار دولار فى عام ١٩٨٤ ، أى ما يوازى مجموع ما يملكه العالم حاليا من أرصدة العملات الأجنبية .

ومن المتوقع توجيه جزء كبير من هذه الأموال ، الى أسواق العملات فى أوروبا وأمريكا . ويتوقف ذلك على نوعية ادارة الأموال .. فلو وجهتها ادارة جيدة لزادت من استثمارها بنجاح ، أما اذا وجهها سوء الادارة فمما لا شك فيه أن النتيجة ستميل نحو خفض انتاج البترول مما سيؤثر حتما على مشروعات التصنيع المحلية التى قد تشمل اتفاقيات مشاركة أجنبية ..

وكثير من الدول المنتجة للبترول ، ملتزمة بصناديق التنمية الاقليمية .. غير أن جملة الالتزام تعد صغيرة قياسا الى جملة الايرادات البترولية ، فمثلا .. زادت الكويت — حديثا — رأس مال صندوق الكويت للتنمية العربية الى مليار دينار كويتى ، ولكن هذا المبلغ لا يمثل الا ١٥٪ من مجموع الفائض السنوى فى ايرادات البترول .

ولعل الفقرة التالية ، الواردة فى خطة التنمية السعودية عام ١٩٧٠ ، تعبر بكل دقة عن أمانى جميع الدول ذات الفائض البترولى فى التصنيع :

« ان الهدف الأساسى للصناعة ، هو أن تحقق الطاقة العالية للانماء

الصناعى ، بالسرعة التى تسمح بها الاعتبارات التنظيمية والتكنولوجية والعمالية والمالية ٠٠ وبذلك تسهم اسهاما كبيرا فى الاقتصاد وتنويعه » ٠

ولكل من هذه الدول القدرة المالية على تنفيذ برامج التصنيع الكبيرة ٠٠ ولكن قليل منها من لديها الموارد الضرورية لتحقيق هذا التصنيع ٠

ان جميع هذه الدول غنية من حيث معدل دخل الفرد ، وسيبلغ هذا المعدل فى كل من المملكة العربية السعودية والكويت عام ١٩٨٠ أعلى المعدلات العالمية كما تبدو المفارقة فى معدل دخل الفرد ، بما يعادل الفرق فى حجم سكان كل من الدولتين وهذا عامل حيوى فى مجال التصنيع ٠ ولكن الكثير من هذه الدول ، تفتقر الى الموارد الاقتصادية الأخرى ٠

وفى اطار هذا التصنيع ، يبدو دور الاستثمار الأجنبى واضحا ٠ على ان الاستثمار الأجنبى المباشر فى الدول ذات الفائض البترولى قد لا يكون هاما ، لأنه حتى اذا كانت هذه الدول تملك موارد بترولية فائضة ، فان مجرد حجمها سوف يكون عقبة فى طريق الاستثمار الأجنبى الكبير ٠٠ فما تحتاج اليه هذه الدول ، هو خدمات فنية واسعة النطاق ، من المشورة الفنية فى استثمار الأموال ، الى المســـاعدة التكنولوجية فى المشروعات الصناعية ٠

٠٠٠ هذا ما لم تهبط موارد البترول (فى حالة تحول العالم العربى الى مصادر بديلة للطاقة) فعندئذ يلزم حتما الاستثمار الأجنبى المباشر ٠ الذى سيكون له الأهمية القصوى ، فى ربط اقتصاديات هذه الدول بالنسبة لمشاريع التصنيع ذات المشاركة الأجنبية ٠

ضرورة دراسة المشاريع

وقد أصبح العالم العربى ، أكثر من أى وقت مضى ، فى حاجة الى مؤسسات لدراسة المشاريع العربية الكثيرة دراسة فنية واقتصادية ، اذ أنه فى أغلب الأوقات ، تصطدم عملية تمويل المشاريع ، بنقص الدراسات الفنية لهذه المشاريع ، مما يحول دون تنفيذ تمويلها ٠

ونظرا لوفرة أموال البترول العربى ، فقد أخذ المغامرون والنصابون ، يحاولون الحصول على قطعة ـ ولو صغيرة ـ من كعكة المال العربى ٠ وأصبح من الصعب ، التمييز بين الأشخاص الصالحين وغير الصالحين ، عندما يفدون الى احدى الدول العربية لعرض الصفقات ٠ ويعلق على ذلك أحد

الوزراء السعوديين .. « ان شوارع جدة تعج بأصحاب المصارف واللصوص، ولا نستطيع أن نميز بعضهم عن بعض » .

وعلى هذا كان من الضرورى الاتجاه الى دراسة المشاريع ، على أساس التأكد من جدية مقدميها ، حتى ولو تطلب الأمر الحصول على ضمانات حكومية بالنسبة لقوة أصحاب المشاريع وطاقاتهم المادية وكفاءتهم الفنية وقدرتهم على تنفيذ ما يكلفون به .

وأصبح من الضرورى تدعيم « مركز التنمية الصناعية » فى القاهرة ، وتزويده بالخبراء والفنيين ، حتى يصبح عمله بالفعل متكاملا ومحققا للأهداف التى أنشىء من أجلها ، ولكى يستقبل أية مشاريع للتصنيع قد تقدم الى المركز لدراستها وتقديم التقارير الفنية بشأنها .

الأغنياء الجدد بين شعوب العالم

(الاحتياطى النقدى والذهبى وحقوق السحب الخاصة على صندوق النقد الدولى لعدد من دول العالم) .

	(بليون دولار أمريكى) الاحتياطى (يونيو ١٩٧٣)	(بليون دولار أمريكى) الاحتياطى (يونيو ١٩٧٤)	النسبة المئوية للتغيير
المانيا الغربية	٣٢ر٣	٣٤ر٢	٥ر٨
الولايات المتحدة	١٤ر٣	١٤ر٩	٣ر٥
اليـــابان	١٥ر٢	١٣ر٤	١١ر٨
سويسرا	٨ر٢	٨ر٤	٢ر٤
فرنســا	١١ر٦	٨ر٢	٣٩ر٣
السعودية	٣ر١	٧ر١	١٢٩ر٠
بريطانيـــا	٧ر٠	٦ر٧	٤ر٣
البرازيل	٦ر٠	٦ر٥	٨ر٣
أســبانيا	٥ر٨	٦ر٢	٦ر٩
كنـــدا	٦ر٠	٦ر١	١ر٦
اســتراليا	٦ر١	٥ر٦	٨ر٢
هولنـــدا	٥ر٩	٥ر٥	٦ر٨
ايــران	١ر٠	٥ر٤	٣٥٠ر٠
ايطاليـــا	٦ر٠	٥ر٣	١١ر٧
بلجيكـــا	٥ر١	٤ر٦	٩ر٨
فنزويلا	١ر٩	٤ر٦	١٤٢ر١
ليبيـــا	٢ر٧	٣ر٠	١١ر١
العـــراق	١ر٠	٢ر٩	١٤١ر٧
النمســا	٣ر١	٢ر٧	١٢ر٩
البرتغـــال	٢ر٦	٢ر٧	٣ر٨

لأول مرة بعد رفع أسعار البترول الخام الى مستواه الحالى ظهرت أسماء بعض الدول العربية ، ضمن الشعوب اغنية ذات الاحتياطات النقدية والذهبية ، مثل ليبيا والعراق .. أما المملكة العربية السعودية التى كان احتياطيها النقدى (عام ١٩٧٣) ١ر٣ بليون دولار نجد أن رقمه قد تضاعف فى سنة واحدة (عام ١٩٧٤) الى ١ر٧ بليون دولار .

المصـــدر :

احصائيات صندوق النقد الدولى ، نشرت بمجلة « برنس ويك »

الباب الثالث

قناة السويس

لمحة تاريخية

فى ٢٥ أبريل ١٨٥٩ ٠٠ وقف (فرديناند دى ليسبس) فى حفل أقيم بمدخل القناة الشمالى ، ليضرب أول معول فى الأرض ، ليشق بعده عمال السخرة من الأنفار الشداد الشباب المصريين ، بطن الصحراء ، لوصل البحرين الأبيض المتوسط بالأحمر ٠٠ بعد أن خطب قائلا :

« باسم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية ، نضرب أول معول فى الأرض التى ستفتح أبواب الشرق لتجارة الغرب وحضارته » ٠

وهكذا تحقق حلم « دى ليسبس » الفرنسى ، الذى استطاع أن يوقع الخديوى « سعيد الأول » فى براثنه ، ويحمله على توقيع امتياز قناة السويس ٠ وكان هذا الخديوى قد أضاف (عام ١٨٥٦) الى الامتياز ، نصا جديدا ، بأن يكون أربعة أخماس العمال من المصريين مع بذل المساعدات الحكومية للشركة ٠

وتم حشد أكثر من ٦٠ ألفا من عمال السخرة فى القناة ، كان ثلثهم فى محل العمل ، والثلث فى طريق العودة ، والثلث الأخير يربطون بالحبال ليساقوا الى مكان الحفر ٠٠ هذا عدا ما يزيد على ١٥ ألف من الرؤساء والحراس ٠ وكان عمال السخرة يعملون بلا أجر ٠

وخصص الخديوى (سعيد الأول ومن بعده اسماعيل) نصف الميزانية العامة للدولة ، للعمل فى القناة ، كما خصص ١٢٠٠ جنيه ذهبى مرتبا شهريا لـ « دى ليسبس » ٠٠ مما اضطر سعيد الأول ، الى تسريح ثلاثة أرباع الجيش المصرى لتغطية عجز الميزانية ، ولاستخدام الجنود المسرحين ، للعمل سخرة فى حفر القناة ٠

وفى ١٨ أغسطس ١٨٦٩ ٠٠ انتهت أعمال حفر القناة ، وتلاقت مياه البحرين ليتآلف منهما ذلك الشريان الحيوى للملاحة ٠ وذلك بعد أن استغرقت مذبحة شق قناة السويس عشرة أعوام ، نزفت فيها مصر ــ بلا

توقف ــ ماديا ومعنويا ، وحمل المصريون فيها ٧٤ مليون متر مكعب من الرمال والأتربة على أعنتهم وكواهلهم لحفر القناة ٠

وفى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ ٠٠ أفتتحت قناة السويس رسميا للملاحة ، بعبور السفينة « النسر » حاملة على ظهرها ملوك وعظماء العالم ، تتبعها ٧٧ سفينة (منها ٥٠ سفينة حربية) ٠ وأقيمت بهذه المناسبة احتفالات تفوق الوصف ، أنفق عليها الخديوى اسماعيل ببذخ وسعة نحو مليون ونصف مليون من الجنيهات ٠

وفى ٢٥ نوفمبر ١٨٧٥ ٠٠ باع الخديوى اسماعيل حصة مصر فى أسهم القناة (١٧٧٦٤٢ سهما تمثل سبعة الى ستة عشر من جملة الاسهم) الى بريطانيا بأربعة ملايين جنيه (١) ٠٠ وكان هدف بريطانيا ــ ممثلا فى « دزرائيلى » رئيس وزرائها ــ من وراء شراء هذه الصفقة الاشتراك فى ادارة القناة ٠

وفى مارس ١٨٨٠ ٠٠ تنازل الخديوى توفيق عن حصة مصر فى الأرباح السنوية للشركة وقدرها (١٥٪) (٢) لآحد بنوك فرنسا ، نظير حصوله على (٨٤٩ ألف جنيه) لسداد بعض ديونه ٠

الاحتلال عن طريق القناة

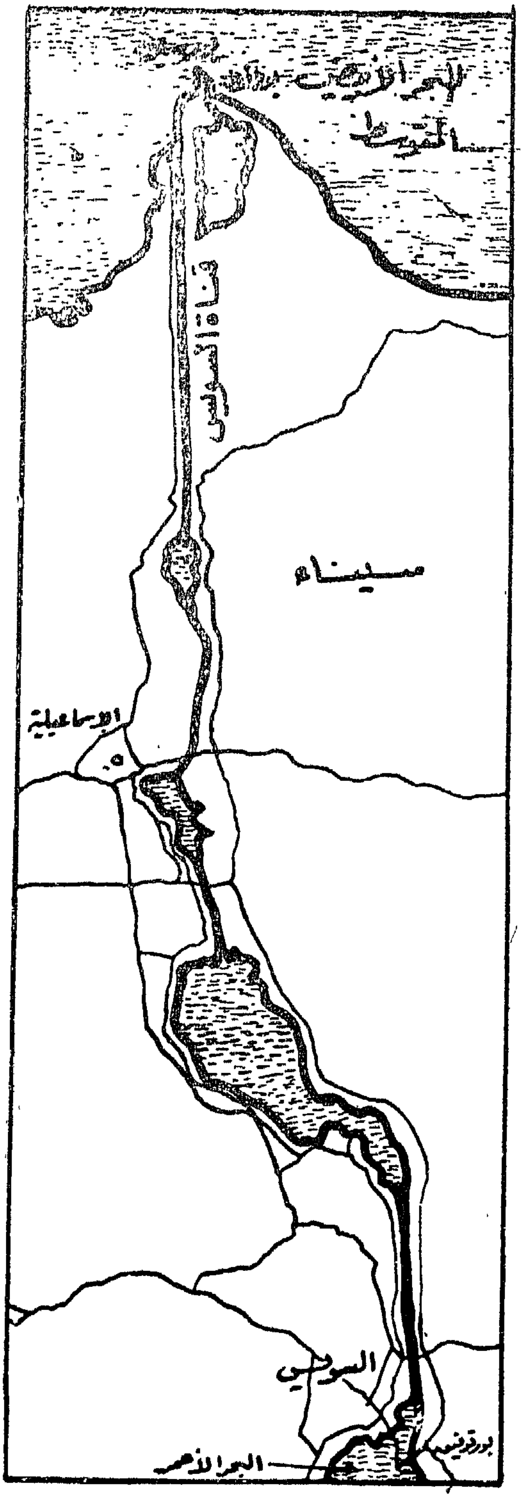
وفى ٢٠ أغسطس ١٨٨٢ ٠٠ احتلت الجيوش البريطانية مصر ، بعد أن تجاهلت حياد القناة ، وبمساعدة الخديوى الذى وقف مع الاحتلال ضد الجيش المصرى بقيادة أحمد عرابى ٠

ولعب « دى ليسبس » دورا فى هذا الاحتـــلال ، بأن خدع عرابى وقادته ، بضماناته وتعهداته ، مما جعلهم ينصرفون عن تحصين القناة ، بأن تعهد قائلا : « أقسم لكم بشرفى ، بأن القناة منطقة حياد وبقعة تحرم فيها العمليات الحربية ، ولن يجرؤ بريطانى واحد على النزول الى البر ، وأنا مسئول عن ذلك ٠٠ ان القناة فى عهدتى ، ولن تمر فيها أية سفينة حربية ، حسب نصوص المعاهدة الدولية » ٠

---

(١) قدرت قيمة هذه الأسهم (عام ١٩١٠) بمبلغ ٣٠ مليون و ٨٦٠ ألف جنيه ٠

(٢) بلغت هذه النسبة من الارباح السنوية (عام ١٩٢٨) ٤ ملايين و ٢٤٣ ألفا


البحر الأبيض المتوسط
قناة السويس
سيناء
الإسماعيلية
السويس
البحر الأحمر
بورتوفيق

ولما وصلت جيوش الاحتلال البريطانى الى بور سعيد ، لم يكن غريبا عندما استفسر « عرابى » (وكان سد القناة يراوده) من « دى ليسبس » عن الموقف أن يبرق اليه قائلا :

« لا تعمل عملا ما لسد قناتى (!!) .. فانى هنا ولا تخش شيئا من هذه الناحية .. اذ لا ينزل جندى انجليزى واحد الا ويصحبه جندى فرنسى . وأنا المسئول عن كل ذلك » .

غير أن هذه التصريحات والتعهدات ، لم تمنع « دى ليسبس » من تقديم المعونة والمساعدة لجيوش بريطانيا ، ووضع مهمات الشركة وادارتها تحت تصرفها بعد الاحتلال لمصر .

ولو أن عرابى ، قد سد القناة عند مدخليها الشمالى والجنوبى ، لتعذر على بريطانيا النفوذ الى الاسماعيلية التى اعتبرت قاعدة غزوهم . ويعلق الجنرال « ولسكى » القائد العام لجيوش الاحتلال البريطانى ، على ذلك قائلا : « لو أن عرابى سد القناة ، كما كان ينوى ، لكنا الآن لا نزال فى البحر نحاصر مصر . ان تأخر عرابى ٢٤ ساعة نجانا » .

فعندما تنبه عرابى أخيرا ، وأمر بقطع ترعة الاسماعيلية التى تنقل المياه العذبة ، وقبل أن ينفذ قراره ، وصل الانجليز الى الاسماعيلية ، ليعدوا أهبتهم فى الزحف على مصر .

حرية الملاحة الدولية فى القناة

فى ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ ، أبرم امتياز قنـــاة السويس وتجدد فى سنة ١٨٥٦ حيث أقره الباب العالى ، وتضمن حرية الملاحـــة الدوليـة فى القناة .

وفى (١٨٧٣) أصدرت تركيا ، بالاتفاق مع دول أوروبا ، تصريحا مشتركا ، فتحت بموجبه القناة للمرور الحر للسفن الحربية الأجنبية على قدم المساواة .

الا أن حوادث (عام ١٨٨٣) بين مصر وبريطانيا ، أدت الى تخوف الدول على حقوقها الملاحية فى قناة السويس ، فعقدت فى ٢٩ أكتوبر ١٨٨٨ اتفاقية القسطنطينية ، وكان أهم ما قررته من مبادىء :

— حرية الملاحة التجارية لجميع الدول فى زمنى السلم والحرب .

- حرية مرور البواخر الحربيه بشرط سيرها بدون توقف ودون أن يكون لها الحق فى انزال أى عتاد أو جنود ٠
- حياد القناة ٠٠ فلا يمكن فرض الحصار عليها أو مهاجمتها فى زمن الحـرب ٠
- تتخذ الحـكومة المصرية ، التدابير الضرورية لضـــمان تنفيذ هذه المعاهدة ٠

ولقد تعطلت هذه المبادىء ، أثناء الحرب العالمية الأولى ، اذ فرضت السلطات البريطانية (بالنيابة عن مصر) التفتيش على جميع السفن ، على بعد ثلاثة أميال من القناة ، وسدت القناة فى وجه سفن الأعداء ٠

ثم أعيد العمل بهذه المبادىء بموجب معاهدات فرســـاى ولوزان وعصبة الأمم ٠٠ حتى أن ايطاليـــا عبرت قناة السويس (عام ١٩٣٥) لتضرب الحبشة ٠

وفى ١٦ أكتوبر ١٩٥١ ، أنهت مصر المعاهدة وحررت القناة ٠ وفى اتفاقية الجلاء (١٩ أكتوبر ١٩٥٢) نص على الاعتراف بأن القناة جزء لا يتجزأ من مصر ، وطريق مائى له أهميته الدوليـــة الاستراتيجيـــة والاقتصادية ٠

وفى عام ١٩٥٦ ٠٠ أعلن الرئيس عبد الناصر باسم الشعب ، تأميم قناة السويس ٠

تأميم قناة السويس

خططت حكومة الثورة المصرية ، بعد الجلاء البريطانى عن مصر ، لانهاء الادارة الفرنسية لقناة السويس ٠٠ اذ لم يكن من الممكن طرد الشركة الأجنبية من مصر ، وهى تقيم فى أحضان ٨٠ ألف جندى بريطانى ٠

ويلقى الرئيس عبد الناصر خطبته فى مســاء الخميس ٢٦ يوليو ١٩٥٦ فى ميدان المنشية بالاسكندرية ٠ وكانت ساعة البدء ، لتضــع السلطة المصرية يدها ، على كل مرافق شركة قناة السويس ، جملة معينة فى خطاب الرئيس هى :

« **قرار من رئيس الجمهورية بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس** » وعند اذاعة هذه الجملة ، كانت الســـلطات المصرية ، قد ســـيطرت على جميع مكاتب ومنشـــآت الشركة فى مصر والاســـماعيلية والسويس وبور سعيد ٠

ويختتم الرئيس خطابه بقوله :

« الآن وأنا أتكلم معكم يقوم أخوة لكم من أبناء مصر ، ليديروا شركة القناة ·· شركة القناة المصرية لا شركة القناة الأجنبية ·· قاموا ليتسلموا شركة القناة ومرافقها ويديروا الملاحة فيها ·· فى القناة التى تقع فى أرض مصر ، والتى هى جزء من مصر وملك لها ·· نقوم الآن بهذا العمل لنعوض ما فات ولنبنى صروحا جديدة للعزة والكرامة » ·

وسار كل شيء على ما يرام ··

ومضت الملاحه في القناة (١) فى نظام وهدوء أكثر من ذى قبل · ورغم محاربة الشركة القديمة ومن يساعدونها فى الخارج ، ارتفع رأس الادارة المصرية عاليا حتى كاد يجاوز السماء ·

ويصرح « ايدن » رئيس الوزراء البريطانى ، فى مؤتمر لندن الذى انعقد مقترحا تدويل القناة :

« بعد تأميم قناة السويس بيوم واحد ، بدأت أصوات العالم العربى ·· هذه ليست قناة السويس ، وانما قناة العرب ·· وبدأت القومية العربية تتجلى فى أكمل صورها ·· وتدفقت على مصر التأييدات من ملوك وقادة العرب » ·

مشروع ناصر لتطوير القناة

وقد بلغ دخل شركة قناة السويس المصرية فى (عام ١٩٥٥) ، ٣٥ مليون جنيه (١٠٠ مليون دولار) ·· كانت مصر ، التى مات من أبنائها ١٢ ألفا فى حفر القناة ، تأخذ منها مليون جنيه فقط ·

هذا وقد وصل صافى دخل قناة السويس المصرية ، قبل حرب يونيو ١٩٦٧ حوالى ١١٠ ملايين جنيه بمختلف العملات الأجنبية ·

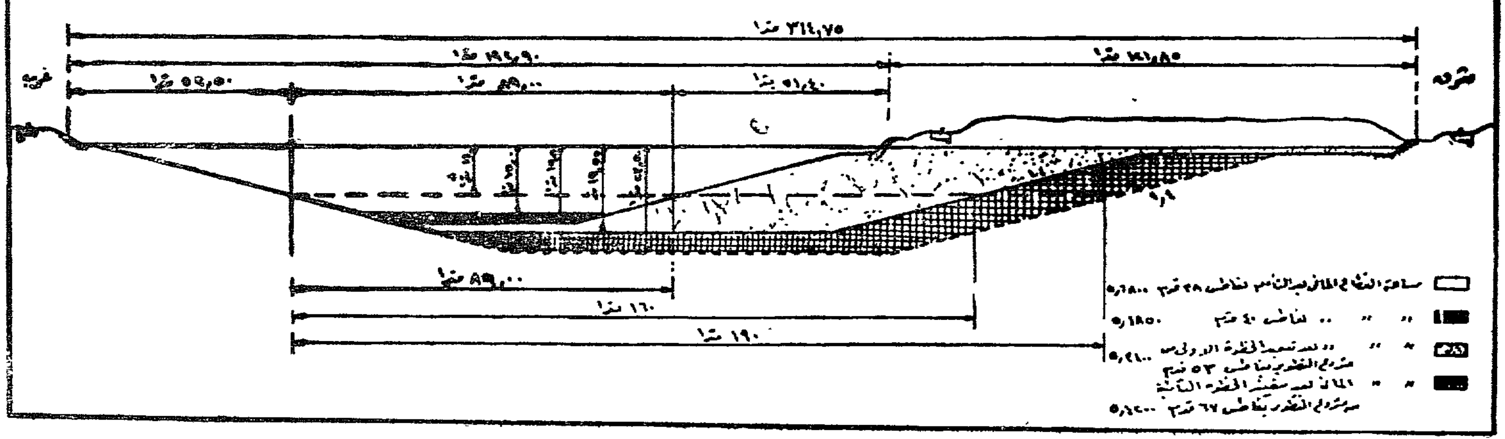
وقد قامت الادارة المصرية للقناة ، بتنفيذ برامج لتطوير القناة ، وفقا للاحتياجات المتزايدة فى مجالات النقل البحرى العالمى ··· وبالفعل بدأ تنفيذ أولى مراحل « مشروع ناصر » لتطوير القناة فى يناير ١٩٥٨ ،

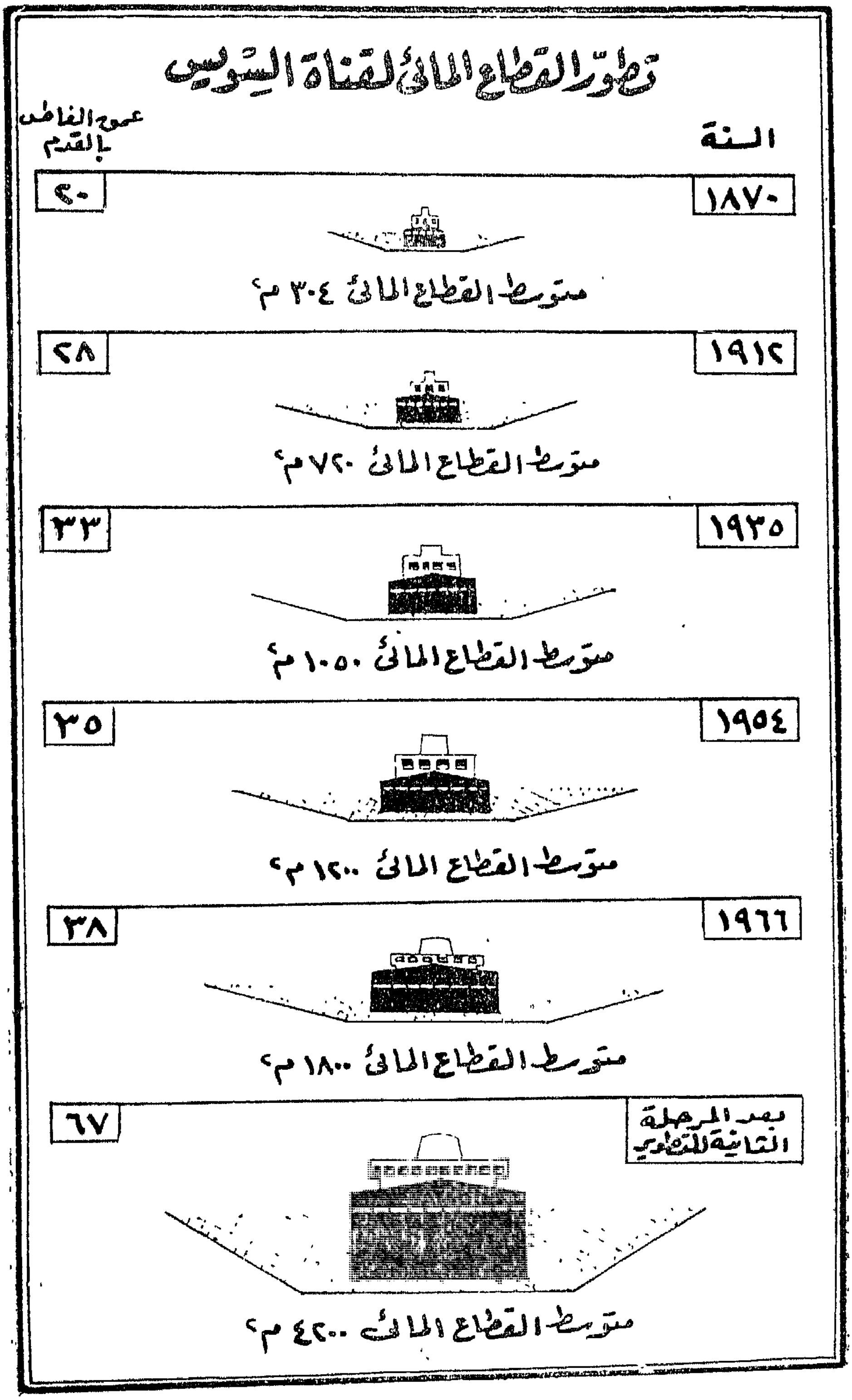
---

(١) عبرت القناة فى الأسبوعين التالين للتأميم ٧٦٦ سفينة ، ولم تتقدم أى دولة بأى شكوى ·

مشروع تطوير قناة السويس

قطاع عرضي نموذجي عند الكيلومتر رقم ٣٠




تطور القطاع المائي لقناة السويس
عمق الغاطس بالقدم
السنة
١٨٧٠
٣٠
متوسط القطاع المائي ٣٠٤ م٢
١٩١٢
٢٨
متوسط القطاع المائي ٧٢٠ م٢
١٩٣٥
٣٣
متوسط القطاع المائي ١٠٥٠ م٢
١٩٥٤
٣٥
متوسط القطاع المائي ١٢٠٠ م٢
١٩٦٦
٣٨
متوسط القطاع المائي ١٨٠٠ م٢
بعد المرحلة الثانية للتطوير
٦٧
متوسط القطاع المائي ٤٢٠٠ م٢

وذلك بعد أقل من ١٨ شهرا من التأميم وبعد ٩ اشهر فقط من اعاده فتح القناة للملاحة بعد عدوان ١٩٥٦ ·

ونتيجة لتنفيذ هذه المرحله . سمح للسفن التى يبلغ غاطسها ٣٧ قدما أن تمر اعتبارا من ٢ مايو ١٩٦٠ ، والتى غاطسها ٣٨ قدما اعتبارا من ٢٩ فبراير ١٩٦٤ · كما قامت الهيئه بتطوير قاطرات السحب لتساير متطلبات الصيانة السليمة للقناة ·

وأعلنت هيئة قناة السويس عن بدء المرحله الثانيــة من « مشروع ناصر » لتعميق القناة لتصل الحد الأقصى للعمق ٤٠ قدما لمرور السفن التى تصل حمولتها ٧٠ ألف طن · وبدأ العمل فى (عام ١٩٦٥) وقدر أن ينتهى تنفيذ زيادة الغاطس المسموح به الى ٣٩ قدما ، فى منتصف (عام ١٩٦٧) والى ٤٠ قدما فى نهاية العام نفسه ·

الا أن العدوان الاسرائيلى قد حال دون تنفيذ مراحل التطوير فى مواعيدها المقررة ·

وثمة مرحلة ثالثة « لمشروع ناصر » تهدف الى توسيع القناة بزيادة مجراها الملاحى ، على خطوتين ·· الأولى الى حوالى ٣٠٠٠ متر مربع بغاطس ٥٣ قدما لمرور الناقلات كاملة الحمولة حتى ١٥٠ ألف طن ·· أما الخطوة الثانية فتهدف الى تعميق القناة ليصل حجمها الملاحى الى ٤٢٠٠ متر مربع بغاطس ٦٧ لمرور الناقلات حتى ٢٦٠ ألف طن وهى كاملة الحمــولة وحتى ٢٩٠ ألف طن للناقلات بدون حمولة ·

الثقة فى القناة ··
كممر مائى عالمى

ويقول المهندس مشهور أحمد مشهور ، رجل قناة السويس الأول :

« اننا سنبدأ تطهير القناة لحظة نعطى اشارة بذلك · اننا درسنا خطتنا وأعددنا مشروعنا · لكى تعود القناة الى العمل فى أقرب وقت ، بعد عودة السلام الظافر · اننا نملك من الامكانيات الخاصة ، ما نستطيع أن نثير به دهشة العالم ، فى عملية التطهير وعودة الملاحة ، مثلما أثرنا دهشته بعد التأميم ، فى الادارة ومواجهة انسحاب المرشدين » ·

وكانت الصهيونية العالمية قد أشاعت على العالم ـ سواء فى عام ١٩٥٦ ، أو ١٩٦٧ ـ أن قنــــاة السويس منذ أغلقت فى وجــه السفن

والناقلات البترولية ، قد أطمت (أى ترسب الطمى فى قاعها وعلى جانبيها) وأصبحت غير صالحة للملاحة . كما نشرت الصهيونيـــة فى الصحف العالمية ، اقتراحا لها بأن تشق قنـــاة فى قلب سـيناء ، بدلا من قنـاة السويس ، تحيط بها مساحة من أرض حياد ، وذلك لمواجهة حاجة أوروبا وآسيا للنقل البحرى .

الا ان كل ذلك ، لم يخرج عن كونه افتراءات واقتراحات ، مقصودا بها اشاعة تقلقل أهمية قناة السويس كممر مائى دولى .

وتعتبر قناة السويس ، أقصر طريق بحرى بين الشرق والغرب ، ويحقق استخدامها فى النقل البحرى ، وفرا كبيرا فى الوقت والتكاليف ، بالقياس الى طريق راس الرجاء الصالح ، بل أن طريق قناة الســويس مفضل ومميز فى خدمة التجارة الدولية ، خاصة ما يتعلق بنقل البترول ، بما يوفره من وقت طبقا لوجهة السفن ..

ونسوق مثالا لذلك البيان التالى (١) :

من	الطريق	(المسافة ألف ميل بحرى)					
		الى مارسيليا	نسبة الوفر	الى هامبورج	نسبة الوفر	الى ليفربول	نسبة الوفر
بومباى	رأس الرجاء	١٠٤٢٤	٪٥٦	١١٢٦٨	٪٤٠	١٠٦٨٠	٪٤٢
	السويس	٤٥٦٣		٦٥٩٧		٦٣٢٣	
سنغافورة	رأس الرجاء	١١٤٥١	٪٤٣	١٢٠٥٥	٪٢٩	١١٧٠٧	٪٢١
	السويس	٦٥٤١		٨٥٥٥		٨٢١١	
يوكوهاما	رأس الرجاء	١٤١٨٠	٪٣٣	١٤٧٨٤	٪٢٣	١١٤٣٦	٪٢٣
	السويس	٩٤٤٣		١١٥٥٧		١١١١٣	
ملبورن	رأس الرجاء	١١٦٣٤	٪١٩	١٢٢٣٨	٪٧	١١٨٩٠	٪٧
	السويس	٩٣٤٨		١١٣٦٢		١١٠١٨	
الخليج العربى	رأس الرجاء	١٠٧٠٠	٪٥٧				
	السويس	٤٥٠٠					

(١) المصدر : هيئة قناة السويس (١٩٦٨) .

من ذلك يتضح ، أن قناة السويس ستبقى أقصر الطرق وأرخص الممرات المائية في العالم ، اذ أن رسوم قناة السويس أشد اغراء من أى تكاليف عداها ، مما تعتبرها الشركات العالمية — التى تعيش بعقلية تجارية محضة — أفضل وسيلة لضمان أعلى الأرباح عن طريقها .

الطين ..
على رءوس الأعداء

أثناء الحرب العالمية الثانية ،توقفت الملاحة فى قناة السويس حوالى خمس سنوات (١) ، لم يرتفع فيها الطمى فى قاع القناة أكثر من ٢٠ سم (أى بمعدل ٤ سم فى السنة) .

ومن الحقائق العلمية المعروفة ، أن الاطماء لا يحدث الا نتيجة للحركة النشيطة للسفينة ، التى تبعثها محركاتها ، فتسبب التيارات المائية ، التى تثير القاع والجوانب ، مما يساعد على ارتفاع نسبة تكدس الطمى . وبدون مرور السفينة فى القناة تكاد تتلاشى ظاهرة الاطماء الا بنسبة ضئيلة .

وتختلف تربة قناة السويس على طول قطاعاتها .. ففى الشمال تربة طينية رملية ذات تماسك ، وفى الوسط تربة رملية هى التى تحقق أعلى مستوى فى الاطماء ، أما فى الجنوب فالقاع صخرى لا اطماء فيه .

وعلى ذلك ، فان كميات الاطماء المتوقعة ، ستكون محدودة أو لا تذكر .. بل من المؤكد ، أنه عند فتح قناة السويس للملاحة ، بعد تطهيرها من آثار الحرب والسفن الغارقة ، فان السفن ستمر بنفس الغاطس (٣٨ قدما) الذى كانت تمر به قبل عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وهكذا تدحض هذه الحقائق والسوابق ، افتراءات اليهود والصهيونية والامبريالية العالمية .

---

(١) من حديث للمهندس مشهور احمد مشهور ، رئيس هيئة قناة السويس (نشر بمجلة « المصور » العدد ٢٣٥٤ فى ٢١ نوفمبر ١٩٦٩) .. وكان سير السفن فى القناة مستحوذا لمعظم عمله منذ تاميم القناة حتى تبوأ رئاسة هيئة قناة السويس .

اغلاق القناة ..

وأثره على العالم

يمثل استمرار اغلاق قناة السويس ، ضغطا اقتصاديا على الدول الآسيوية النامية ، ويعطل نمو التجارة الدولية بين أوروبا وآسيا وشرق أفريقيا .. فان قناة السويس تخفض المسافات بين جميع دول العالم .

كما تأثر اقتصاد أوروبا كثيرا ، من هذا الاغلاق ، بسبب الوقت الطويل الذى يقطعه وصول بترول الشرق الاوسط والخليج ، بدوران ناقلات البترول حول افريقيا .

وتضاعفت أجور النقل البحرى لزيادة المسافات البحرية فى النقل البحرى ، بالالتفاف حول أفريقيا .. كما زادت أسعار التأمين على السفن والبضائع ، لتعرضها لزيادة مخاطر الرحلة البحرية .. فمثلا : الناقلة التى كانت تقطع ٤٥٠٠ ميل بحرى فقط لتصل من الخليج العربى الى موانىء البحر الأبيض ، اضطرت لتسلك طريق رأس الرجاء الصالح ، قاطعة ١٠٧٠٠ ميل بحرى متعرضة لأخطار ومفاجئات المحيط الجوية ، بدلا من مياه البحرين الأحمر والأبيض الهادئة .

فبعد انحسار العدوان الثلاثى على مصر (عام ١٩٥٦) تم تطهير القناة وتطوير الخدمة بها ، فارتفع عدد السفن والناقلات التى عبرتها ، وفقا للبيان الآتى (١) :

بيـــان	١٩٥٦/٥٥	١٩٦١/٦٠	١٩٦٧/٦٦
عدد السفن العابرة	١٣٠٠٠	١٨٠٠٠	٢٠٠٠٠
الرسوم المحصلة (بالجنيه)	٢٧ مليونا	٥١ مليونا	٩٣ مليونا

ثم حدث عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ الغادر ، وأغلقت القناة .

ونشأ سباق عنيف ، بين هيئة قناة السويس وأنشطتها التطويرية المختلفة لتحسين القناة وزيادة كفاءتها لاستيعاب مرور أكبر أحجام الناقلات والسفن وبين ترسانات بناء السفن الضخمة العالمية .

(١) المصدر : « الأهرام الاقتصادى » ـ أول أغسطس ١٩٧١م .

وتمخضت هذه المنافســـة ، عن ارتبـاط شركات نقل البترول الشهيرة ـ على الأخص الأمريكية بشركات بناء السفن اليابانية ، لبناء الناقلات الضخمة لتعوض بأحجامها الكبيرة ـ بما تنقله من بترول ـ بعد المسافات البحرية ٠

وفى منافسة يهودية ، دعمتها الصهيونية والامبريالية العالمية ، أنجزت اسرائيل ـ عقب حرب يونيو وبعد اغلاق قناة السويس ـ مشروع خط أنابيب « ايلات » على البحر الأحمر و « عســقلان » على البحر الأبيض المتوسط ، مارا بصحراء النقب ٠٠ وذلك لتقصير مسافات نقل البترول ٠ وأشاعت الصهيونية ، أن بناء السفن وناقلات البترول الضخمة ، وكذا استعمال خط أنابيب « ايلات ـ عسقلان » الاسرائيلى سوف يقضيان تماما على قناة السويس ، بخلق بديل عنها ٠

وعرف العالم الزيف الصهيونى للحقائق ٠٠ فلا يمكن لدول العالم الاستغناء عن قناة السويس ٠٠ فهى الشريان التجارى الحيوى الى الآن ، والجسر الثابت المضمون ، بل أغنى مناطق البترول فى العالم ، وبين أكثر دول العالم المستهلكة لبترول الشرق الأوسط ودول الخليج ٠

وتنبىء التوقعات والاحتمالات البترولية العالمية ، بأن استهلاك الدول الأوروبية من بترول المنطقة العربية ، سيصل الى (٧٤٥ مليون طن) عام ١٩٧٥ والى (٩٩٥ مليون طن) عام ١٩٨٠ ٠

ولما كانت الطاقة القصوى لخط الأنابيب الاسرائيلى هى (٦٠ مليون طن) سنويا ٠٠ فان باقى كمية الاســـتهلاك الاوروبى للبترول العربى لابد وأن تمر حتما من قناة السويس ٠

ومن الواضـــح أن مصر ، قد أدركت الزيادات المتوقعة فى حجم استهلاك البترول العربى فى دول العالم ـ وعلى الأخص الولايات المتحدة الأمريكية التى من المتوقع استيعابها لكميات أكبر من البترول العربى بعد عـام ١٩٨٥ ـ فقـــررت انشـــاء خط أنابيب بترول ، بين السويس والاسكندرية ٠ وبالفعل انتهت جميع الخطوات التمهيدية ، ورسا عرض تنفيذ انشاء الخط على شركات أجنبية ، كلفت بالفعل ببدء التنفيذ ٠

ومن الطبيعى أن العرب ، لم يفتهم دور الاستراتيجية الاسرائيلية ، التى تهدف (بانشائها خط أنابيب بترول على أراضيها) الى وضع عملية نقل البترول العربى والايرانى الى الأسواق الغربية تحت سيطرة اسرائيل ٠٠ مما قد يؤدى الى خلق صدام بين الدول العربية المنتجة للبترول ٠ وعلى العرب أن يواجهوا تلك النوايا المبيتة ، بطريقة حاسمة ٠

المستقبل للقناة

تخضع توقعات مستقبل قناة السويس ، على الأسس الوطيدة التى تقوم عليها التجارة الدولية التى تمر بالقناة ، والتى سيزيد من أهميتها التطورات الحالية التى تدور فى العالم ·· بجانب أن مستقبل حركة نقل البترول ستكون بالتأكيد العامل المؤثر فى دخل القناة ، اذ أن الرسوم المحصلة من الناقلات نظير عبورها تمثل ٧٣٪ من اجمالى دخل قناة السويس ·· ويعود ذلك على مصر بالفائدة من العملات الصعبة المختلفة ·

ان مستقبل القناة لن يزدهر الا بالعلم ·

وكان قسم البحوث فى قناة السويس ، أحد مآثر التأميم·· اذ يجمع نخبة من العلماء المصريين ، وجعل أساتذة الجامعات ، أهل رأى فى كل قضية علمية تمر على مستقبل القناة ·

وقد سبق مشروع تطوير وتوسيع القناة ، بحوث ودراسات كثيرة تناولت كل ما يدور ويتعلق ويقترب من أمور القناة ·· فشملت الدراسة ، اقتصاديات ناقلات البترول وبناءها وتشغيلها والحجم المثالى لها ، ومستقبل البترول فى العالم ومستقبل البترول العربى بصفة خاصة ·· بل ودعت هيئة قناة السويس مندوبين عن شركات الملاحة العالمية ، لمناقشة المشروع ، لارتباط أى مشروع ينفذ فى قناة السويس بالأوضاع الدولية ·

ورغم توقف الملاحة واغلاق قناة السويس ، فان البحوث والدراسات، كانت تأخذ دورها فى هيئة قناة السويس ، لتساير مجريات الأمور الدولية ·· والآن وقد انفتحت القناة فقد استعدت لاستقبال السفن والناقلات ، وتلاقت مع مصر ، فى عبورها الاقتصادى العظيم ·

القسم الرابع

ثمار حَرب أكتوبَر

بعث العسكرية المصرية
القيم الروحية من منطلق جديد
التحول الأمريكى
التعاون العربى الأفريقى
العبور الاقتصادى
التعمير وتطهير القناة
ورقة أكتوبر

الباب الأول

بعث العسكرية المصرية

جولة النصر

الذين تتبعوا جولة الرئيس « محمد أنور السادات » فى مدن القناة. وفى الجيش الثانى والثالث بسيناء ، أدركوا أن الجولة لم تكن مظاهرة دعائية أو موكبا يضم القادة العسكريين والسياسيين . ذلك أن الجولة واكبت أول ذكرى تجىء بعد النصر لتاريخ ٥ يونيو المشئوم ، اذ بدأت فى يوم ٤ يونيو ١٩٧٤ وما حل صباح الخامس من يونيو حتى كان الرئيس فى سيناء بين جنوده يستعرضهم ويحدثهم ، ويقف بينهم معلنا :

« جاء يوم ٥ يونيو ونحن تحت راية النصر »

ان توقيت الجولة كان يحمل أبلغ تعبير للأمة العربية عن محو آثار هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، بما سجله جنود مصر فى أكتوبر ١٩٧٣ من انتصارات كانت بمثابة بعث للعسكرية المصرية .

لم يكن التوقيت وحده عقدة ما فى الأمر ، بل حملت الخطب التى ألقاها المشير أحمد اسماعيل القائد العام للقوات المسلحة ، وخطب قادة الجيوش ، وممثلى الاتحاد الاشتراكى والوزراء ، مشاعر جياشة تفيض بفرحة النصر ، وأمجاد ما قام به جنودنا ، والدرس البليغ الذى لقنوه للعدو .

غير أن الرئيس محمد أنور السادات أعلن فى موقعين مختلفين خلال هذه الجولة عن نظريتين جديدتين ، لابد لنا عندها من وقفة ، ولابد لنا أمامهما من نظرة تمحيص . هاتان النظريتان هما نظرية « **القوة السادسة** » ونظرية « **بعث العسكرية المصرية** » .

القوة السادسة

أشار الرئيس الى « أن العالم بعد ٦ أكتوبر غير العالم قبل ٦ أكتوبر . وأن معهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن قد أعلن أن العرب أصبحوا يشكلون القوة السادسة فى العالم ، بعد القوتين الكبيرتين أمريكا وروسيا . وبعد غرب أوروبا والصين واليابان . أصبح العرب القوة السادسه فى العالم لأن لديهم البترول وهو يمثل الطاقة ، ولديهم رأس المال ، ولديهم أهم من هذا كله وحدة الارادة فى استخدام هذه الأسلحة ، وقد استخدمت فعلا فى وقت الأزمة وفى وقت المعركة » .

أن قيام القوة السادسة لم يكن وليد يوم وليلة ، ولا ثمرة عفوية لتجمع مبعثه الحماس والانتصار لرابطة الدم ، بل سبقه تخطيط وتجميع دام شهورا ، وتنسيق استمر أعواما ، واتصالات استنفدت كثيرا من الجهد .

ولعلنا نذكر أن أجهزة الجامعة العربية ولجانها لم تكن فى وقفة سكون . فكم من مؤتمرات ولقاءات قمة محدودة وغير محدودة عقدت ، وكم من جولات خاطفة فى عواصم الدول العربية تمت ، وحسبنا الجولة الخاطفة التى قام بها الرئيس « محمد أنور السادات » قبل المعركة مرورا بدول الخليج والسعودية وسوريا شقيقة الكفاح والعمل المشترك .

ان قيام القوة العربية لتحتل مكانها السادس بين القوى العالمية ليس الا ترجمة للوحدة العربية .. التى ليس لزاما أن تكون مكتوبة أو معلنة ، فأن أهم ما يجمع العرب هو وحدة المشاعر ووحدة الأمانى ووحدة الغايات . وليس أسهل من استقطاب كل الطاقات العربية ، من كون عدوهم عدوا واحدا يتمتع بكراهيتهم جميعا ، ولا يجد بينهم نصيرا واحدا . يحس بغربة عضوية بين دول المنطقة التى فُرض وجوده فيها فى غفلة من الزمن .

وقيام هذه القوة السادسة ، تسانده امكانيات استراتيجيه ضخمة . أولها وجود منابع ثروة كبرى من مخزون البترول فى الرقعة العربية ، وثانيها ملايين بل بلايين من الجنيهات التى تمثل أرصدة سائلة مودعة فى بنوك أوروبا وأمريكا لو فكر العرب فى سحبها منها لاهتز الاقتصاد الأوروبى والأمريكى وأصبح معرضا للتقوض ، وثالثها طاقة بشرية عددية

تتمثل فى أكثر من مائة مليون عربى وعربية ، فى مقدورها أن تمتص مع الزمن عضوا غريبا ـ واسرائيل التى لا يزيد سكانها عن ثلاثة ملايين ـ أو أن تبقيه على الأقل معزولا محاصرا بينها ٠

ان قيام هذه القوة العالمية السادسة لم يكن الا بنداء الواجب أعلنه الأخوة المخلصون فتدفقت جموعهم الى ميادين القتال ، فأصبح الجندى المغربى والعراقى والأردنى يقاتل على جبهة واحدة الى جانب أخيه السورى٠ وغدا الطيار الجزائرى والسعودى والعراقى يقلع بطائرته من مطارات مصر ، وتحقق شعار طالما هفت النفوس اليه ألا وهو شعار « أمة عربية واحدة » ٠

ويوم امتزج السلاح العربى وأصبحت الدبابة العراقية يستخدمها جندى مصرى والطائرات الجزائرية يطير عليها طيار مصرى ، أدرك المحللون أن تجمع العرب قد خلق فيهم قوة لم تكن معهودة فيهم من قبل ٠

بعث العسكرية المصرية

أن القول ببعث العسكرية المصرية الحديثة يمثل صفحة جديدة فى أمجاد أمة عريقة لها ماض وتاريخ مشرف فى نفس المضمار ، ولها أصالتها وبطولاتها على نفس الدرب ٠ ويأتى اعلان البعث مرتكزا على انقشاع ضباب غمة النكسة التى جثمت على صدر الأمة العربية ستة أعوام ونصف، وأنبلاج فجر جديد تحت رايات النصر ٠

ومن موقف القوة انطلق نداء الرئيس « **محمد أنور السادات** » من فوق موافع حررتها سواعد جنود مصر بعد أن دنستها أقدام الصهاينة ومن فوق حصون خط بارليف الذى جعله التكتيك المصرى أضحوكة فى التاريخ العسكرى ، انطلقت صيحة الرئيس :

(ان الموقع الذى نقف عليه الآن ، وقد رأيتم اعداده والهجوم عليه والاستيلاء عليه بكامل وثائقه ؛ عمل عسكرى خارق ٠ وأقول : أروع الأعمال العسكرية كلها ٠ وأنا فخور بهذا لأن أولادى أنجزوا المهمة ٠ وأقول : ان العسكرية المصرية الحديثة ، بدأت من هنا) ٠

ان العسكرية المصرية لم تبدأ بهذا من فراغ ، ولم تولد فى مهد جديد وانما هى تبعث من رقدة عابرة ، وعثرة موقوتة ٠

وحسبنا أن ندلل على ذلك بوقفات على طريق طويل ، تعتبر معالم

على هذا الطريق لتؤكد أن العسكرية المصرية ليست عرضا أتى غفلة من الزمن ٠

وليس لنا من فخر نؤكد به هذا القول ، أبلغ من الحديث المنسوب الى رسول الله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فى وصف الجندى المصرى٠

« اذا فتح الله عليكم بمصر ، فاتخذوا بها جندا كثيفا فان هذا الجند خير أجناد الأرض » ٠ قيل « لماذا يا رسول الله ؟ » قال « أنهم فى رباط حتى تقوم الساعة » ٠

ولو تتبعنا الأعمال الحربية للجنود المصريين خلال عصور التاريخ فسنجد لصلابة عود الجندى المصرى وانتصاراته تسجيلات تجل عن الحصر ٠ وحسبنا تتبع هذه الانتصارات خلال القرن الماضى والقرن العشرين وحدهما للتدليل على ما نقول وليس القصد هنا طبعا تقصى أحداث التاريخ بتفاصيله ، ولا التأريخ لمواقع حربية بذاتها ، ولكن القصد الاشارة الى خلاصات نتائجها ٠

لذلك لسنا فى حاجة الى الغوص فى أعماق أحداث التاريخ ٠ اكتفاء بالرجوع قرنا واحدا الى الوراء ، لنعرج على أحداث العسكرية المصرية فى عهدها الحديث حتى يستطيع القارىء المعاصر أن يستخلص من وقائعها التى عاش أزمان بعضها ما نريد قوله ٠ ذلك أننا فى غنى عن الاشارة الى مواكب النصر على ضفاف النيل فى عهد رمسيس وأحمس وفى ظل الحكم الاسلامى ، كما أن العودة الى بطولات الحروب الصليبية ودور جنود مصر ، فيها ارتداد بعيد الى الوراء ٠

العسكرية المصرية فى الماضى

يمكن القول أن العسكرية المصرية لم تظهر فى صورة منظمة تعتمد على الفلاح المصرى ، ابن مصر الأصيل النابع من أعماق ريفها وصعيدها الا فى أعقاب اندحار الحملة الفرنسية ، وبدء عهد محمد على ٠

وعبر مختلف حقب التاريخ ، ومهما خالطت جنود مصر فى جيشهم شوائب من أمم أخرى ، كالمماليك والسلاجقة والأرناؤوط والأتراك ، فان روح العسكرية المصرية ظلت كامنة بجوهرها الأصيل فى أعماق الشعب المصرى ٠

وكانت محصلة ذلك كله ثبوت قدمه ، وذيوع شأنه ، والاعتراف

بقدرته حينما انطلق وغزا وعمل فقد انطلق الجندى المصرى لبرفع أعلامه فوق مواقع شتى فى قارة أفريقيا حتى أقصى جنوبها ، وفى كثير من روابيها فى السودان والصومال والحبشة • ولعلنا لاننسى أنه أتى يوم كان حاكم مصر يزهو بأطول لقب من نوعه ، فهو حاكم مصر والسودان ودارفور وكردفان وزيلع وهرر • ويخرج الجندى المصرى شمالا صوب ربوع الشام ، ليدير معاركه ، فى عكا وصيدا وحيفا وحمص وطرسوس وانطاكية والاسكندرونة ، حتى بسط نفوذه فوق الأناضول •

وخاضت أساطيله معارك بحرية فذة فى البحرين الأبيض والأسود حتى وصل جنوده القرم ، ليحاربوا فوق جبال الصرب وثلوج روسيا ومرتفعات اليونان ، وفوق روابى كريت وصقلية •

ويمم الجندى المصرى وجهه شطر الشرق ، فبسط سلطانه فوق صحارى شبه القارة العربية ، وتحت حمايته أمنت الأراضى المقدسة •

ولندلل على ذلك ، لنا فى التاريخ وقفات ، توضح لنا ديناميكية العسكرية المصرية فى نفوس أبناء مصر •

- دهمت الحملة الفرنسية مصر عام (١٧٩٨) ولم يكن بها قوات نظامية بالمعنى الذى نفهمه حاليا • فقد ظلت تتلظى بنيران الحكم العثمانى قرابة ثلاثة قرون منذ عام (١٥١٧) • ورغم ذلك فان الغزو الفرنسى لمصر لم يكن آمنا منها ، ولم يلق ذلة ولا استكانة من أهلها • فجابه فى القاهرة ثورتين متعاقبتين فى أكتوبر عام (١٧٩٩) ثم فى مارس عام (١٨٠٠) • لم يكن لهذه الثورات قادة ولا زعماء ، ولكن كان لها متطوعون كل منهم قائد وكل منهم جندى ، فانقلب أهالى القاهرة كلهم جنودا بلا زى عسكرى ولا تنظيم حربى ، انطلاقا من روح الجندية وشعور العزة الكامن فى أبناء مصر ، مما حسر العدوان الفرنسى وأقض مضجعه فلم يلبث الا ثلاث سنوات •

- كما باءت الحملة البريطانية عام (١٨٠٧) على الاسكندرية ورشيد بفشل ذريع ولقيت هزيمة منكرة فى رشيد ، فشدت الرحال عن المدينتين بعد احتلال لم يدم غير شهرين لقنت خلالهما درسا بليغا •

ومنذ أن انتظمت لمصر تنظيمات حربية مقاتلة ، عمادها جنود جلهم مصريون يقودهم بعض من الضباط المصريين كذلك ، أصبح للجندية المصرية أمجاد هيأها الحكام • ولعلنا نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

- معارك الحشود المصرية فى حرب المورة فى أرض اليونان الوعرة عام ١٨٢٢ ، وفوق أرض جزيرة كريت كذلك •

- معارك الاناضول ، اذ دق الجنود المصريون أبواب الآستانة عندما دفعهم محمد على عام ١٨٣٢ لتهديد مقر خلافة الحكم العثمانى ، وللاستيلاء على بلاد الشام ·

- انطلاق الجنود المصريين على ارتال بين عامى ١٨٢٠ ، ١٨٢٢ الى السودان وأعماق جنوب وادى النيل حيث استولوا على مديريات خط الاستواء ، وجاسوا خلال أحراش بحر الغزال وبحر العرب حتى بلغت حملتهم منابع النيل فى أقاصى الجنوب حتى بحيرة فكتوريا ·

- ولعل اعجب الحملات المصرية ، تلك التى بعثها سعيد باشا عام ١٨٦٣ الى المكسيك ، معاونة لصديقه حاكم فرنسا نابليون الثالث · ولقد اثبتت الأورطة المصرية التى كان بعض عناصرها أيضا من الجنود السودانيين القدرة على الأعمال البطولية الفذة وسط جنود فرنسا وانجلترا وأسبانيا ، وشهد بذلك كثير من القادة العسكريين الفرنسيين ازاء ما حققته من أعمال فذة فى صد الثوار المكسيكيين ·

ويوم استشهد قائد هذه الأورطة وهو يؤدى واجبه ، نعتته السلطات الفرنسية ووصفته بأنه كان ذا صفات عسكرية نادرة ، وأنه كان يقوم بواجبه على الوجه الأكمل ، ومقدرا المسئوليات الملقاة على عاتقه ·

وفى أحد تقارير قادة هذه الحملة من الضباط الفرنسيين وصف جنود الأورطة المصرية ـ السودانية بأنهم قاموا بأعباء القتال غير مبالين بالنيران المنصبة فوق رؤوسهم ، وأنهم استطاعوا صد قوة معادية تفوقهم فى العدد تسع مرات ·

وعادت البقية الباقية من صف وجنود هذه الأورطة ؛ وكانوا كلهم يحملون الرتب الاستثنائية التى رقوا اليها ، الى جانب الأوسمة والنياشين والمكافآت التى أنعم عليهم بها ، بعد أن خاضوا ٤٨ معركة لم يهزموا فى واحدة منها · واستقبلهم استقبال الأبطال فى باريس الامبراطور نابليون الثالث ، وأنعم عليهم عند عودتهم لأرض مصر عام ١٨٦٧ الخديو اسماعيل ·

- ثم تجلت روح العسكرية المصرية فى أروع صورها أثناء الثورة العرابية عام ١٨٨١ · التى كان مبعثها الحقيقى اباء الضباط المصريين لاستبداد اخلاط الشراكسة والأرناؤوط الأتراك بشئون الجيش وانفرادهم بالمناصب القيادية به ، وتعمدهم اضطهاد المصريين ·

ولقد تمثلت أروع صور العسكرية المصرية ابأؤها الضيم فى وقفة عرابى أمام الخديوى توفيق وسط ميدان عابدين ، ومن خلفه كل الجيش المصرى فى قوله التاريخى للخديوى بعد أن أعلن أمامه مطالب الأمة والجيش وبعد أن رفض الخديوى هذه المطالب :

« نحن لسنا عبيدا ولن نورث بعد اليوم » ٠

ومواقف عرابى العسكرية أبان الثورة التى سميت باسمه لا حصر لها ، ومنها بعث الوجود لمدرسة من ضباط مصر النابغين من طبقات شعبها ، برزوا فى وقفتهم لصد العدوان البريطانى يوم تصدى لدور الثورة العرابية واحتلال البلاد ٠٠ ومنهم :

« طلبة عصمت ـ محمد عبيد ـ على فهمى ـ عبد العال حلمى ـ حسن جاد ـ محمود فهمى ـ يعقوب سامى ـ خورشيد طاهر ـ اسماعيل صبرى ـ محمد رضا ـ خليل كامل ـ سليمان سامى ـ مصطفى عبد الرحيم ـ عيد محمد كامل ـ أحمد فرج ـ اسماعيل ذهنى ـ راشد حسنى ـ أحمد عبد الغفار ـ عبد الرحمن حسن ـ محمد بهجت ـ محمد أمين ـ على الروبى » ٠

وغيرهم ممن كانت لهم مواقف عسكرية فى مواقع حربية أقضت مضاجع الأسطولين البريطانى والفرنسى وجنودهما فى الاسكندرية وكفر الدوار والقصاصين والتل الكبير والسويس ٠

ورغم أن الثورة العرابية باءت بالفشل فى النهاية وأدت الى احتلال البريطانيين لمصر ، الا أنها كانت محكا حقيقيا للعسكرية المصرية بعثت فيها الروح وأظهرت فيها بواطن الجلد ٠ فأتت كمرحلة لوقفات مصرية قديمة مع نابليون وكليبر وفريزر ثم سيمور قائد الأسطول البريطانى الغازى ٠

العسكرية المصرية بعد عرابى

- مرت العسكرية المصرية بفترة سكون فى أعقاب ثورة عرابى ، وأجهز عليها الاحتلال البريطانى ، شأن كل منتقم • لذلك لم يظهر بعد نفى عرابى قائد عسكرى أو بطل من صفوف الجنود ، لأن الجنود أنفسهم لم يكونوا موجودين • ولذلك اقتصرت صور هذه البطولة خلال هذه الحقبة على الزعامات السياسية التى أخذت تناوىء الاستعمار وتنادى بجلاء المحتلين وحب الوطن وكره المستعمرين ، فبرز من الزعماء **مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول** •

ولعل اندلاع ثورة ١٩١٩ كان التعبير الحقيقى عن المشاعر الجياشة التى ثارت فى نفوس أبناء مصر • ولكن وقتها لم يكن لمصر درع من أبنائها يحميها ، فقد كان المحتلون أنفسهم قابعين فوق أرضها ، لذلك تلقى الطلبة والوطنيون من جماهير الشعب الثائر الرصاص بصدورهم ، وهم عزل الا من سلاح هزيل •

- وأبان الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ لم يكن قد تبلور لمصر جيش الا فى صورة بعض أورط المشاه وبطاريات المدفعية • ورغم ذلك فقد كلفت هذه القوات المحدودة بمهام لمؤازرة القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس ، وسيناء ، والدردنيل والسودان •

- وعام ١٩٣٦ عقدت معاهدة الصداقة بين مصر وبريطانيا ، تلك الصداقة التى ظلت صورية مدة طويلة • وكان من أولى ثمار هذه المعاهدة أنها أتاحت الفرصة للحكومة المصرية لزيادة قوة الجيش ، وتطوير سلاح الطيران (الملكى) المصرى ، والذى كانت قد بدأت نواته عام ١٩٣٢ ببضع طائرات صغيرة ليس لها غير مطار واحد تقلع وتهبط فيه هو مطار الماظة •

- ولم يأت عام ١٩٣٩ عند اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية ، الا وكان لمصر جيش قوامه بضعة آلاف من الجنود ، وبضع مئات من الضباط وقوام عتاده سلاح بريطانى يتألف من المدافع والدبابات والمصفحات والطائرات وبضع قطع بحرية صغيرة ، بالاضافة الى الأسلحة الصغيرة •

ورغم الحجم المحدود للقوات المصرية ، فقد انيطت بها مهام حربية ثانوية فى منطقة قناة السويس والصحراء الغربية وفوق أرض مصر نفسها، وشاركت قوانها مشاركة فعالة فى اكتساب خبرة القتال فى الدفاع والهجوم ، بالاضافة الى مهارات القتال الفنية فى أعمال الامداد البرى ، والاستطلاع البرى والجوى ، والدفاع الساحلى وحراسة الموانيء ، وبث الألغام البحرية ، واعداد غرف العمليات ، وتنظيم الدفاع الجوى السلبى، ومراقبة الطائرات ورفع البالونات والخدمات الطبية ، وتسجيل الأسرى ، وحماية القوافل البرية والبحرية ، وصد الاغارات الجوية المعادية بالمدفعية المضادة للطائرات ، وأعمال الأنوار الكاشفة لاكتشاف الطائرات ، وتسجيل الأرصاد الجوية فى طبقات الجو العليا ، وحراسة الحدود ٠

وما وضعت الحرب أوزارها الا وكان لفيف من الجنود والضباط المصريين ، الذين خلصت نوعياتهم من كل أخلاط الاجناس الأخرى من مماليك وأكراد وأتراك وأرناؤوط ، قد أصبحوا ذوى خبرة علمية فى فنون القتال ٠ ولا يفوتنا الاشارة – الى علم من أعلام العسكرية المصرية فى هذه الحقبة له تاريخ فريد فى نوعه وهو **الفريق « عزيز المصرى »** الذى تميز بوقفات نضالية وبطولية نادرة ، والذى يعتبر الأب الروحى لأبطال العسكرية المصرية المعاصرين ٠

- وفى محك التجربة الفعلية للقوى ، فى حرب فلسطين أو الجولة العربية – الاسرائيلية الاولى عام ١٩٤٨ ، ثبت أن العسكرية المصرية الكامنة فى جنود وضباط أبناء جيش مصر بخير ٠ فقد أتت ببطولات جعلت شراذم وعصابات الصهيونية فى مأزق رغم مساندة الدول الكبرى لها وكأنها فى مسابقة أو مباراة تأييد لهذه العصابات، فقد كان بعضها يعمل بتمويل من أمريكا والبعض برجال من روسيا والبعض الآخر بمتطوعين من دول وسط أوروبا ٠

ورغم افتقار الجيوش العربية التى تحركت جميعها نحو أرض فلسطين الى التنسيق والتخطيط فيما بينها ٠ وافتقار قيادات كل جيش منها الى حنكة القتال المدرب ، وخاصة أمام عصابات من المتطوعين ، فقد طفت فوق سطح الأحداث أعمال بطولات خارقة أتى بها متطوعون وضباط وجنود مصريون ، نخص بالذكر منهم :

« البطل أحمد عبد العزيز – أحمد المواوى – فؤاد صادق – سيد طه – معروف الحضرى – جمال عبد الناصر – زكريا محيى الدين – عبد الحكيم

عامر ـ كمال الدين حسين ـ صلاح سالم ـ عبد اللطيف بغدادى ـ حسن ابراهيم ـ جمال سالم » ٠

غير أن أهم ما تكشف أمام هؤلاء الأبطال كان قضية أخلاقية عمادها قيادات الحكم نفسه فى مصر ٠ اذ تبين أن أغلب أسلحة الجيش المصرى فاسدة ارتشى الذين اشتروها غير مبالين بأرواح زملائهم ، وان أهم ما ينقص الجيش بعد السلاح هو العلم العسكرى والتنظيم الحديث ٠

وعلى أضواء نيران الأسى من تجربة راح ضحيتها المئات من ارواح الشهداء ، بزغ فجر جديد على أيدى زمرة من الضباط المصريين ٠ تمثلت فيهم بقوة روح العسكرية المصرية بأسى تجربتها الأليمة فى فلسطين ، فاسموا تشكيلهم « الضباط الأحرار » ، وعلى أيديهم تفجرت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ . لتقود مصر الى عهد جديد ٠

العسكرية المصرية بعد ثورة يوليو ١٩٥٢

- أتت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كثمرة من ثمار العسكرية المصرية ، فأبطالها كلهم من نخبة الضباط الأحرار ، هب يساندهم بقية أفراد الجيش ، وشعب مصر بأسره ٠

وكان أحد الأهداف الستة لهذه الثورة التى أعلنت منذ الساعات الأولى لقيامها ، هدف يقرر « ضرورة بناء جيش وطنى قوى » ٠ وكان الاحساس الحقيقى لصانعى الثورة أن تسليح الجيش آنذاك كان أكذوبة صنعها الملك الذى طرد ، مع المستعمرين ، بما يكفى لحبك تمثيلية متقنة أمام شعب أعزل ٠ ولا عجب ، فقد كانت أولى مهام هذا الجيش التشريفات والاستعراضات وحماية نظام الحكم الملكى ، كما كان افتقاره الى السلاح الحديث المتطور ،والعتاد الثقيل الذى يجعله قادرا على خوض معارك حربية ، سببا فى اندحاره عائدا من فلسطين ، تاركا اياها لشراذم الصهاينة ٠

- ما حل عام ١٩٥٤ حتى كان البريطانيون قد اقتنعوا بأن استمرارهم فى احتلال قناة السويس مستحيل ، وبعد جلسات مفاوضات ناجحة أعلنت اتفاقية الجلاء فى أكتوبر ١٩٥٤ ٠

ثم ما حل عام ١٩٥٥ حتى أحدثت الثورة المصرية الوليدة انقلابا فى ميزان التسليح بين القوى العالمية ٠ فقد فتح جمال عبد الناصر باب الشرق

الأوسط الذى كان مغلقا أمام دول الكتلة الاشتراكية التى تزعمها روسيا ، على مصراعيه . وتدفق السلاح السوفيتى على مصر ومن بعدها سوريا . وأصبح للجيش المصرى سلاح شرقى وعقيدة تنظيمية عسكرية جديدة . اصطلح على تسميتها « العقيدة الشرقية » .

وسرعان ما أصبحت طائرات « ميج ــ ١٥ » تظلل بحمايتها سماء القاهرة وتدفقت مدافع ومركبات ودبابات ومجنزرات سوفيتية الى الوحدات المصرية فى الصحراء الشرقية والغربية . **وأخذت قطع بحرية سوفيتية مكانها قرب شواطىء مصر الشمالية . وغدت أجهزة الرادار والمعدات الفنية الشرقية تشكل عماد ترسانة الأسلحة المصرية ، تأتى اليها أحيانا من روسيا ذاتها وأحيانا أخرى من تشيكوسلوفاكيا الدائرة فى فلكها .**

ومع هذا التطوير فى التسليح ، تدفق سيل غزير من المعلومات الى عقول ضباط مصر على كافة المستويات ، بدءا بالقيادات العليا التى انتظم عدد كبير منها فى دورات عسكرية متقدمة لدراسة فنون الحرب والقيادة على المستويين التكتيكى والاستراتيجى . فأصبح لمصر فى سنوات معدودة جيش أخذ فى القوة ، وقيادة آخذة فى التبلور ، يقف وراءهما شعب له من الوعى رصيد كبير . ولقد هزت صفقة الأسلحة الشرقية لمصر ، أمريكا وأوروبا هزا عنيفا ، وجعلتهما يقفان فى تحفز لهذه الطفرة العسكرية ، التى لم يكن لها مثيل فى التاريخ منذ سنوات مضت قبل هذا العهد .

وآنذاك كانت الحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية قد استوت على أوجها فى أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية فلم يكن غريبا أن تذكى هذه الصفقة أوار هذه الحرب غير المعلنة ، وتزيد شقة التباعد الايديولوجى بينهما . لذلك لم يكن غريبا أن تفكر الدول الغربية فى طريقة فعالة لاجهاض هذا الجهد وافراغ العسكرية المصرية من شحنتها .

ولقد سنحت الفرصة كاملة فى اعلان تأميم قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦ ذلك المرفق الذى كان بمثابة البقرة الحلوب لأكثر من دولة أوروبية ، والتى لم يكن يصيب مصر من دخلها غير فتات مائدة السادة .

عندئذ تآمرت انجلترا وفرنسا مع مخلب القط اسرائيل لافتعال سبب يعطى هذه الدولة الصنيعة ذريعة الاعتداء على مصر . ولم تكن الحشود الاسرائيلية التى تكاثرت أمام الحدود السورية بأكثر من تمثيلية لكى تهدد

مصر بأن أى اعتداء على شقيقتها سورية يعتبر عدوانا عليها فتحول العدو بحشوده نحو سيناء ميمما وجهه شطر قناة السويس • وفى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وجهت انجلترا وفرنسا انذارهما الى مصر واسرائيل التى اجتاحت حشودها أرض سيناء بالابتعاد عن قناة السويس من كلا جانبيها •

وجابهت العسكرية المصرية امتحانا قاسيا فى صد العدوان ذى الثلاث شعب والمتعدد الاتجاهات،والذى تدير دفته دولتان كبيرتان وصنيعة لهما• وادراكا من الرئيس جمال عبد الناصر لاستراتيجية المعتدين ، صدر الأمر بانسحاب الجيش المصرى من سيناء الى غرب القناة ، ليتفرغ للدفاع عنها وحدها ، وليتفرغ لصد الهجمات الانجليزية والفرنسية على مدن القناة من الجو والبحر الأبيض شمالا نحو بورسعيد ، والبحر الأحمر جنوبا نحو السويس • وكان التصور قبل هذا يلوح فى امكان هبوط هؤلاء الغزاة غرب الاسكندريه لاجتياح شمال الدلتا والتقدم نحو بورسعيد •

ولقد أثبتت العسكرية المصرية الوليدة والتى لم يكن قد مضى على اعادة تسليحها بالأسلحة الشرقية غير عام تقريبا ، أنهـا قـد استوعبت ما لديها من سلاح •

وفوق مدن القناة وحولها ، وفى البحار القريبة منها ظهرت بطولات مصرية فى البر والبحر والجو ، سطرت للعسكرية المصرية صفحة فخار فى التاريخ • فقد احبط نفر قليل من ضباط المدفعية الساحلية المصرية تقدم عدة بوارج حربية بريطانية نحو السويس . وأغرق ضابط زوارق الطوربيد المصرية الصغيرة البارجة الفرنسية الضخمة (جان بارت) أمام شواطىء دمياط تحت أمره بطل من أبطال البحرية المصرية هو الشهيد « **جلال دسوقى** » يؤازره بطل سورى منخرط فى التدريب بها هو الشهيد البطل « **جول جمال** » •

وقامت وحدة مدفعية مضادة للطائرات فى جلد بطولى باحباط هبوط فرنسى بجنود المظلات على مدينة بورفؤاد فعطلت هجومه اثنتى عشرة ساعة كاملة ، واستبسلت كل الشكيلات المصرية فى بورسعيد فى صد العدوان الذى كان يوجه ضرباته من الجو والبحر • وفوق أرضها قام آلاف الشهداء من المدنيين والعسكريين على السواء بواجبهم المقدس فى الذود عن شرف الوطن • وكان أروع ما فى المعركة التحام تام بين الجيش والشعب أعطى للعالم أروع أمثلة الفداء •

وبعد أن أفلح العدو فى احتلال بورفؤاد وشطر من بورسعيد ، ووقف عاجزا عن احتلال شبر واحد من السويس ، أحس المعتدون أنهم فى مصيدة بعد أن أقضت مضجعهم وحدات الصاعقة التى تسللت الى صفوفهم • ولقد لعبت الاستراتيجية الدولية دورها فى لعبة الشد والجذب بين الكتلتين الشرقية والغربية فلم تكن أمريكا تبارك هذا العدوان وهددت روسيا باستخدام صواريخها اذ لم يقف عند حد وانتهت الغزوة الفاشلة فى ٢٣ ديسمبر من نفس العام •

العسكرية المصريه فى حجم جديد

رحل آخر جندى من الحملة الانجلو ـ فرنسية عن بورسعيد يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ وانسحبت شراذم العملاء الاسرائيليين من سيناء الى مواقعها فى ١٤ يناير ١٩٥٧ ، وأقر المجتمع الدولى وضع بوليس دولى ليفصل بين مصر واسرائيل ، وليؤمن الملاحة البحرية فى خليج العقبة وشرم الشيخ • وبذلك انسدل الستار على تمثيلية هزلية كان هدفها الرئيسى الارادة المصرية واجهاض وليدها العسكرى • لكن هذه التجربة أوقعت الغرب فى شر أعماله ، فقد تأكدت سيطرة المصريين على ادارة قناة السويس وتأكد تدفق السلاح السوفييتى فى المنطقة وتضاعف احساس العسكرية المصرية بكيانها • ومع طبول النصر التى أخذت تدقها أجهزة الاعلام المصرية ، وضعت خطط مضاعفة أحجام كل التشكيلات الحربية المصرية فى البحر والبر والجو ، وتدفق السلاح غزيرا من الاتحاد السوفييتى ومن حليفته تشيكوسلوفاكيا •

والحق يقال ان أجهزة الاعلام أعطت أبعادا لانتصارات مصرية لم تكن فى الحسبان ، وجعلت من فكرة انسحاب الجيش من سيناء أيديولوجية خارقة رسخت فى أذهان البعض أنها أسلوب الحرب الوحيد فى سيناء •

وفى غمار الفرحة بالنصر ، اذن مؤذن فى الشرق بنداء جديد ، بعث الحياة فى القومية العربية الكامنة فى أعماق شعوب المنطقة ، والتى لم تكن تمثل الا آمالا تتراقص فى أحلام المخلصين من أبنائها • فقد أعلنت الوحدة العربية بين سوريا ـ ومصر فى فبراير ١٩٥٨ • وكان ذلك فى حقيقته ثمرة لتعاون تلقائى بين البلدين بدا واضحا ابان العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ عندما عطلت سوريا خطوط ضخ البترول الى مصافيه على البحر الأبيض •

وأخذت العسكرية المصرية بعدا جديدا في الامتداد الى القطر الشمالى (سوريا) • وبين يوم وليلة أصبح السلاح السورى والمصرى صنوان • ورغم أن روسيا لم تكن تبارك هذه الوحدة ، ووقفت منها موقف الجمود لأنها لا ترحب بأى تجمع قومى أو اقليمى ، فقد أخذت عقود الأسلحة تترى على الاقليمين الشمالى والجنوبى • ومعها انخرط آلاف من الضباط المصريين في دورات دراسية تخصصية في الاتحاد السوفيتى لاتقان فنون القيادة والتكنيك والأعمال الفنية ، حيث أثبت الضباط والجنود المصريون أنهم على مقدرة ذهنية لاتقان استخدام أعقد معدات القتال • ورسخت أقدام العقيدة الشرقية فى مصر • ولم يأت عـــام ١٩٥٩ الا وأصبح للجمهورية العربية المتحدة غواصات بحرية كانت مصدر قلق لاسرائيل • ولم يأت عام ١٩٦٠ الا واستكملت تصميمات الطائرة العربية النفاثة المقاتلة « **القاهرة** » ورغم أن ركب الوحدة بين مصر وسوريا انفرط عقده عام ١٩٦١ وأصيبت القوميـــة العربية بنكسة • الا أن عام ١٩٦٢ جاء مبشرا بفتح جديد هو اطلاق الصاروخين « **الظــافر والقاهر** » من نوع أرض / أرض ، فدخلت العسكرية المصرية بذلك عالم التسليح الصاروخى وأصبحت قوة لا يستهان بها • ثم شهد نفس هذا العام (١٩٦٢) ، تحولا كان فى الواقع المنعطف فى ركب العسكرية العربية ، اذ اندلعت الثورة فى اليمن فى سبتمبر عام ١٩٦٢ ، وأطاحت بحكم الامام ، على يد الضابط « **عبد الله السلال** » الذى وجد نفسه وسط عالم عربى غير متماسك تبدد قواه المنازعات والتناقضات ، فاستنصر بمصر أو بالجمهورية العربية المتحدة التى ظلت تحتفظ بنفس الاسم استمساكا بفكرة الوحدة العربية •

العسكرية المصرية فى اليمن

وكان قرار نجدة اليمن بمثابة رى الصحراء بمياه النيل ، فقد بدا طلب المعونة فى صورة طائرة لنقل الرئيس الســـلال لتفقــد القبائل واستمالتها للوقوف بجانب ثورته ، ثم بطلب حماية قادة الثورة باعداد من رجال الصاعقة ، ثم بطلب حماية أراضى اليمن نفســها من الرجعية اليمنية التى هربت الى الجبال وأخذت تؤلب القبائل • لذلك تدفقت على اليمن أسراب من الطائرات المصرية المقاتلــة وأسراب أخــرى قاذفة مقاتلة ، وجنود وكتائب ومدافع ودبابات والحشــود التى أخذت تتدفق نحوها من السعودية ومن الربع الخالى • ولم يمض غير شهور قليلة حتى

أصبح ٪ الجيش المصرى وقواته فوق ربوع اليمن · وهنا لابد من وقفة نحلل فى ميزان المكاسب والخسائر ماذا أفادت العسكرية المصرية فى حرب اليمن ، التى ظلت تتصاعد باستمرار وتشكل استنزافا لطاقات مصر العسكرية والاقتصادية على السواء ·

والحق يقال أن حرب اليمن لم تكن صورة للحرب المنظمة ولا صورة من حرب العصابات ، بل كانت صورة فريدة فى نوعها ، فقد كانت حربا من طرف واحد تتمثل فى جيش يطارد حفنة من المتمردين ، كل سلاحهم عتاد عتيق ليس تجاوزا أن بعضه كان من سلاح القرن الماضى · وكل مؤونتهم حفنات من شعير ودقيق وزبيب ومأواهم رؤوس الجبال وجحورها وكهوفها · هم بعد ذلك منصرفون عن كل صور الحياة لا شأن لهم بها ·

وكان يحركهم المال وعصبية القبيلة ، بلا فهم أو وعى أو عقل · لذلك لم يكن غريبا أن يقف قبلى واحد يتخذ موقعا عاليا فوق ربوة أو يختفى فى تجويف من تجاويف الجبال ليعطل مسيرة رتل من العربات والمجنزرات والدبابات · هم يقصفونه بأحدث الأسلحة ، وهو يصطاد رجالهم واحدا اثر الآخر ، ويعطل مسيرتهم · ولم يكن غريبا أن يستطيع قناص يمنى واحد أن يصوب بندقيته نحو طائرة مصرية · فيصيبها فى غفلة من قائدها ·

وكانت الحلول أحيانا ، ان تقوم الطائرات بقصف الجبل ذاته ، لتتخلص من هذا التمرد · أو تركز المدفعية طلقاتها على الجبل ، لعلها تفلح فى اصابة الكهف المجهول الذى يقبع به المتمرد ·

ومضت حرب اليمن ، هكذا ·· بلا محاور للقتال ، فى جبهات لا حدود لها وفوق أرض طبيعتها جبلية ، وضد قوم تسود بينهم أحكام القبلية بآفاقها المحدودة ، يمكن أن يشتروا بالمال وأن يموتوا لأتفه الأسباب · ولعله من الحق القول بأن الريال لعب دورا فى حرب اليمن كما لعبت الطائرة والدبابة والمدفع · ذلك أن بعض القبائل كان ولاؤها مرهونا بتدفق الريالات على رجالها ، فاذا ما توقفت ، انقلبوا الى الطرف الآخر يبيعونه ولاءهم ويأخذون منه ليطلقوا رصاصهم نحو صدور جنود مصر · وأصبحت العسكرية المصرية متورطة فى عمل يصعب الانسحاب منه،ويمزق نفوس رجالها شعور دينى ، يتمثل فى استنكار محاربة مسلم لمسلم وعربى لعربى ، مهما كانت منازعتهما · فى حين مضى بعض الضباط يتهامسون مستنكرين البطش بالقرى الآمنة لمجرد أن بعض أنصار الامام مختبئون بها · وأولع بعضهم بالحساب ، فأحصى القنابل التى اسقطت فوق جبال

اليمن ، وخلص الى أنها لو كانت اسقطت فوق الجزيرة البريطانية لكانت قد دكتها . وتعرضت مصر للتشهير من بعض الدول العربية الأخرى ، التى وجدت الفرصة سانحة للقول بأنها طامعة فى بعث امبراطورية تمتد الى آفاق تبعد عن اراضيها بآلاف الكيلو مترات بينما كانت الدول الكبرى سعيدة بهذا التورط ، الذى كان بمثابة البئر التى تزداد عمقا يوما بعد يوم . فقد كان من مصلحة أمريكا فعلا أن تستمر مصر فى هذه المباراة التى تستنزف كل قواها . كما كانت روسيا سعيدة بالسلاح الذى تبيعه لمصر فتحوله بدورها الى جبهة لا أول لها ولا آخر .

وكانت النتيجة أن أصبح اقتصاد مصر كسكير يترنح .

ولكن وقفة العسكرية المصرية لم تذهب سدى ، ولم تكن أخطاء السياسة حائلا دون أن يمضى جيش مصر فى تحقيق رسالته وحمل أمانته فوق أرض تبعد عن الوطن ما يقرب من خمسة آلاف كيلو متر .

ففوق روابى اليمن وجباله استشهد مئات الأبطال من ضباط وجنود مصر ولم تؤرق ضمائرهم نزعات ولا أهواء ، وحركهم قول الله « وإن **طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله** » . وتخضبت رمال اليمن بدماء زكية ضربت أروع الأمثال فى الذود عن الحق ، ومحاولة ردع الظالمين . ومن أبطال العسكرية المصرية فى اليمن شهداء لقوا ربهم كأروع ما يمضى حملة المسئوليات ، استبسالا فى أداء الواجب :

« **الملازم / نبيل الوقاد** » أول شهداء القوات البرية .

« **الملازم طيار / راجى عز العرب** » أول شهداء القوات الجوية .

وغيرهم الآلاف ، من جنود وضباط . وتحت ظلال العسكرية المصرية دخلت صور حضارية الى ربوع اليمن السعيد الذى ظل رازحا تحت نير الجهل والظلم قرونا . وفى ركب العسكرية المصرية باليمن دبت المدنية الحديثة فى جسد أمة أنهكها الفقر والمرض والجهل بأبسط أصول الحياة . بيد أن كل الجهود العسكرية والمدنية كانت بمثابة قطرات ماء فوق أرض قاحلة أمتصتها وبقيت كما كانت ، فقد رجع اليمن بعد خمس سنوات من الكفاح والتضحية والعمل سعيدا كما كان ، ولم يتغير فيه غير لون الحكم وحده ، حتى دهمت الشرق العربى نكسة ١٩٦٧ .

أعباء على كاهل العسكرية المصرية

فيما بين يوليو عام ١٩٦١ ويونيو ١٩٦٧ ، ورغم الانخراط فى حرب اليمن ، لم تكن العسكرية المصرية لتكف عن النمو ، حجما وتسليحا وتدريبا • فكانت تشكيلاتها فى نمو مطرد وكان السلاح يأتى من الاتحاد السوفيتى وحده ، ويدفع ثمنا له من محاصيلنا الزراعية وصناعاتنا المحلية مثل القطن والأرز والبصل والأحذية والاقمشة • وكان استيعاب الجندى المصرى لسلاحه يمضى على قدم وساق ، ونوعية السلاح فى تحسن مع الزمن فالميج ــ ١٥ حلت محلها الميج ــ ١٧ الأكبر سرعة والأحسن تسليحا ثم أتت بعدها الميج ــ ١٩ ثم الميج ــ ٢١ وكذلك كان الشأن بالنسبة للدبابات والمدافع وأجهزة الرادار والصواريخ •

والحق يقال ان محاولات زيادة حجم القوات المسلحة المصرية كان يحكمها عاملان • العامل الأول سياسى تمليه المنافسة التى يجب أن يشعر بها العدو الاسرائيلى الذى ظل يهدد ويتوعد ، والعامل الثانى امكانيات محدودة من المال والعتاد لا تتمشى مع هذا الحجم المطلوب • ولذلك أتى تشكيل بعض الوحدات ، كمخلوق ممسخ مقضى عليه بالهلاك بعد حين • وكانت الأخيرة قضية كم لا كيف، وكان كل مايعنى المسئولين أسماء رنانة واعدادا مغلوطة ومبالغ فيها ، ولم يكن المستوى يأتى الا فى المرتبة الأخيرة من التفكير والتخطيط • ولنا أن نتصور كيف يمكن أن يكون مستوى تشكيل مقاتل برى أو جوى أو بحرى ونسبة استكمال الرجال فيه ٤٠٪ مثلا والعتاد لا يتجاوز ٥٠٪ • ولم يكن مهما كيف يمكن أن يكون عليه مستوى هؤلاء الرجال ، بهذا الاستكمال الشكلى الهزيل • كما لم يكن مهما كيف يمكن لهؤلاء الرجال أن يحققوا مهامهم وواجباتهم العسكرية •

ولا يفوتنا أن نذكر ان مصر شهدت فى يوليو ١٩٦١ الثورة الاشتراكية بغرض تحقيق العدالة الاجتماعية بين طبقات الشعب • وتمثلت هذه الثورة فى اعلان قوانين يوليو الاشتراكية التى خلقت فى مصر نظاما اقتصاديا جديدا فى طريق التحول الى الاشتراكية ، هو نظام مشاركة الدولة فى رأس مال المؤسسات العامة الانتاجية والاستهلاكية على السواء •

ولذلك استولت الحكومة على بعض المؤسسات بطريق التأميم وتعويض مؤسسيها ، ودخلت الحكومة كشريكة فى بعض المؤسسات الأخرى • وكان التأميم قد شمل البنوك ودور الصحف وعدة مرافق هامة

قبل ذلك بسنوات ، كما تحققت أحلام المخططين فى خلق نواة الصناعة الثقيلة ، ومسايرة ركب التطور العلمى الحديث ، اذ استكمل انشاء مصنع للحديد والصلب فى حلوان ، واقيم مفاعل ذرى فى انشاص ، وافتتحت عدة مصانع للذخيرة الحربية الثقيلة وتحددت الملكية الزراعية بمائة فدان للفرد الواحد ، وبدأ سكان الوجه البحرى والقاهرة ينعمون بلبال سعيدة وهم أمام شاشات التليفزيون • ولذلك أحست العسكرية المصرية أن عليها واجبات اجتماعية بجانب واجباتها العسكرية ، وكان ذلك التزاما بحماية الثورة لتأكيد حماية المكاسب التى حققتها للطبقات الكادحة ، ولمحو الظلم الاجتماعى الذى تبدى فى سيطرة الأجانب على الاقتصاد بكل شعبه ومرافقه ، وعلى أغلب الأراضى الزراعية ، الى جانب استئثار طبقة الرأسمالية المتحكمة التى لا تزيد عن ½٪ من تعداد الأمة بكل خيراتها • ولذلك لم يكن غريبا أن تمثل العسكرية المصرية دور الدرع لحماية الثورة ولم يكن غريبا كذلك أن يناط بها مهام أخرى ، تتعلق بمصالح الجماهير المباشرة كوضع حلول لأزمة المواصلات ، ووضع خطوط تنفيذ مشروع السد العالى ، ووضع نهاية لوجود الاقطاع فى الريف والمدن•

ولعله ليس تجاوزا القول بأن هذه الواجبات التى ألقيت على كاهل القوات المسلحة كانت بمثابة طريق تحول ببعض رجالاتها الى غير تخصصهم ، والى انصرافهم عن واجبهم الأساسى فى زيادة القوات المسلحة منعة •

لذلك أتت النتيجة الحتمية ، وهى زيادة ضعف التشكيلات العسكرية التى كانت تعنى بالكم دون الكيف ، ويستبد بها الحجم دون الامكانيات •

وأهم من ذلك كله ، أن ركب التطوير فى القوات المسلحة ، كان يسير فى اتجاه واحد لا ينثنى عنه ، هو اتجاه العقيدة الشرقية وحدها ، دون أن يشخص ببصره الى دول المعسكر الغربى • وكان الاحساس بارتباط الاشتراكية العربية بالاشتراكية السوفيتية ، احساس الوجود الذى لا ينفصم ، كالزواج الكاثوليكى••

ومضت العسكرية المصرية ترفل فى حللها الزاهية ، مزهوة بانتصارات اليمن ومزهوة بتضخم حجمها وكثرة عددها •

عدوان يونيو ١٩٦٧

فى مايو ١٩٦٧ تكررت اللعبة المعتادة من قبل اسرائيل ، لعبة الحشود تجاه سوريا . وبات وشيكا وقوع هجوم مدبر على الأراضى العربية . وتكرر العمل المضاد العربى تماما كما حدث عام ١٩٥٦ .

فقد تدفقت الجيوش المصرية على جبهة سيناء ، لتحول الضغط عن سوريا نحوها .

وتحقق القول فعلا ، اذ اندفعت الألوية الاسرائيلية نحو الجنوب وتخلت عن الجبهة السورية .

وكان الزحف العربى غزيرا بشكل لم يعهد من قبل ، وكان احساس رجل الشارع أن فرقعة فى المنطقة على وشك الوقوع . وكان احساس الكثيرين أن الأمر لا يعدو أن يكون مظاهرة عسكرية ، الغرض منها تخويف اسرائيل .

وكثر الجدل بين مرجح لوقوع الحرب ، ومستهين بوقوعها ، حتى فاجأت القيادة العربية العالم بقرار ابعاد قوة الطوارىء الدولية عن خليج العقبة وشرم الشيخ ، واغلاق الملاحة فى وجه السفن الاسرائيلية بخليج العقبة .

وتكهرب الجو ، وادرك العالم ان شيئا خطيرا على وشك الوقوع . فتحركت اجهزة هيئة الأمم المتحدة ، وكان « أوثانت » السكرتير العام لهذه الهيئة فى طريقه لمصر عندما صفعه القرار ، فواصل رحلته ، وكما حضر عاد ، بخفى حنين .

وتوترت العلاقات مع أمريكا ، بعد أن كانت الجفوة قد طالت لسنوات بينها وبين مصر .

ولعبت روسيا دور الناصح الأمين ، بالتوجيه بعدم البدء بالعدوان ، لأن البادىء سيكون أظلم ، وسيحيق به ما لا تحمد عقباه .

ووقع المحظور ، وبدأت اسرائيل بالعدوان يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ على ثلاث دول عربية هى سوريا والأردن ومصر . وارتكز عدوانها على قواتها الجوية أول الأمر ، فأغارات بمئات الطائرات على هذه الجبهات وأصلتها من نيرانها المفاجئة ما أصابها بالشلل .

ووجدت العسكرية العربية ، والعسكرية المصرية على الأخص نفسها أمام حقائق مؤسفة أولها تفكك القيادة ، وثانيها أن مستوى تدريب الأفراد والتشكيلات الصغرى كان مرضيا ، ولكن التنسيق مع التشكيلات الكبرى كان ضعيفا ، وثالثها عدم التنسيق بين الجبهات .

ورغم أن اسرائيل لم تفاجىء الجبهات الثلاث بهجومها ، ورغم ان « الفريق عبد المنعم رياض » كان يقود الجبهة الأردنية وأرسل انذاره الى مصر يتوقع الهجوم قبل حدوثه بثلاث ساعات ، فان هذه الفترة لم تكن كافية لأجهزة القيادة المفككة لتفيق من سباتها .

وأخذت القيادة العسكرية بعدما باغتتها المفاجأة تتخبط فى تيه من التصرفات الهستيرية ، بلا تعقل فأتت نتائجها فضائح فى عرف العسكرية التقليدية . وطفا على سطح الأحداث ضعف التشكيلات التى كان يكتفى بتسميتها وتطقيم هيكل مهتز لها ، دون النظر الى مستواها .

وكانت قاصمة الظهر فى المفاجأة الاسرائيلية ، تدمير الجزء الأكبر من القوات الجوية المصرية وهى رابضة على الأرض فى مطاراتها قبل أن تتمكن الطائرات من صد الهجوم . وتعطيل الغالبية العظمى من المطارات تعطيلا اقتضى اصلاحه عدة أيام .

وبذلك انتزعت اسرائيل عنصر السيطرة الجوية ، وأصبح زمام الموقف ملك يديها . ووجد الجيش البرى المنتشر فوق سيناء كلها ، فى ايديولوجية الانسحاب التى كانت ملاذه فى حرب ١٩٥٦ منفذا له بعد أن افتقر الى الغطاء الجوى ، وأحس أنه بلا قيادة ، فقد كانت القيادة العسكرية عاكفة على البكاء ، وهى تصدر أمر الانسحاب .

وأصيبت الأمة العربية بنكسة أصابت كيانها بهزة عنيفة ـ وتراقصت معه هيبتها أمام العالم . ولكن الحقيقة المرة أن العدو دخل الى سيناء واحتلها من عيوبنا نحن ، قبل أن يتسلل من حدودنا .

غير أن الشعب المصرى ، هب فى وقفة رجل واحد ، وأبى الهزيمة ورغم بوادر النكسة العسكرية أعلن تماسكه واستمساكه بقيادة جمال عبد الناصر ودعاه لعدم التخلى عن منصبه عندما لوح بهذه الرغبة .

وكانت هذه الوقفة نقطة انطلاق للقيادة السياسية لتجدد نفسها ، وتنفض عنها كثيرا من السلبيات والمعوقات ، ولتعيد تنظيم القوات المسلحة من جديد على أسس جديدة .

وشهدت مصر وهى فى وقفة منكسرة ، بارقة أمل فى العسكرية المصرية التى أثبتت أن معدنها أصيل وجوهرها لن ينطفىء . وبدأت القوات المسلحة تتصدى للعدو فى خطوطه الجديدة ، وهى تستخدم البقية الباقية من سلاحها أحسن استخدام . ويجل عن الحصر عمليات رجال الصاعقة الذين كبدوا العدو خسائر جسيمة ، ونسفوا كثيرا من أسلابه التى كان ينوى سحبها الى عمق سيناء .

ولم يمض على العدوان الا أقل من شهر حتى كانت وحدات صغرى تقوم بأعمال خارقة من أبرزها وحدة « **رأس العش** » التى ضربت أروع المثل فى الصمود والجلد ، وسط مستنقعات وأحراش وأرض رخوة جعلت من الوحدة المصرية كجزيرة وسط يم ، ولكنها ترفع علم سيادتها .

وشهد يوم ١٤ ، ١٥ يوليو ١٩٦٧ أروع قتال بطائرات القوات الجوية على ضفتى القناة وفى أعماق سيناء ، الأمر الذى جعل قوات العدو تظن أن مصر على وشك القيام بهجوم مضاد ، فانسحبت أغلب وحداتها الى قرب العريش .

وفى يوم ٢١ أكتوبر من نفس العام ، سجلت البحرية المصرية فى فخار أروع أعمالها ، باغراق البارجة الاسرائيلية « ايلات » امام شواطىء بورسعيد بوحدة صغيرة من زوارق الطوربيد . فكان عملا هز العدو من أعماقه وأثبت له ان عرين الأسود لن يفرغ من أشباله .

وباتت العسكرية المصرية تواصل ليلها بنهارها فى استعداد وتدريب وتحصيل واستيعاب للسلاح . ولا يفوتنا أن نذكر علما من أعلام العسكرية المصرية فى هذه الحقبة ، هو « **الفريق عبد المنعم رياض** » الذى أبى الا أن يلقى ربه مستشهدا من مواقع جنوده أثناء حرب الاستنزاف .

وأخذ السلاح يتدفق على مصر من الاتحاد السوفيتى ومعه خبراء للتدريب عليه . والحق يقال ان احساس أى مصرى بهؤلاء الخبراء لم يتعد النظرة الى صديق ولكنها نظرة يشوبها شىء من الحذر ولا تكتنفها مشاعر الانفتاح العربى السمح الذى لا يقيده قيود .

ولعله ليس سرا القول بأن قرار قيادة هؤلاء الخبراء والمستشارين ، بعد أن تدارسوا موقف القوات المسلحة المصرية عقب النكسة ، كان أن الأمر يستلزم ثلاث سنوات على الأقل لكى تستطيع مصر أن تنهض من كبوتها .

وأخذت عقود الاسلحة السوفيتية ، تترى واحدا أثر الآخر لتعويض ما ترك من سلاح فى سيناء ، وملء الفراغ العسكرى الذى أصاب المنطقة ٠

ورغم أن قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢) صدر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ بضرورة انسحاب اسرائيل الى خطوط ما قبل ٥ يونيو ، ورد فى كلمات بعض الأمور الى نصابها ، الا أن اسرائيل مضت فى غيها ، ولم تتخل عن صلفها ، لذلك حرصت العسكرية المصرية على تأكيد وجودها ، ففى الوقت الذى كانت تقوم فيه باعادة تنظيم القوات ، واستيعاب السلاح ، كانت تشارك فى عمليات فك المصانع فى منطقة قناة السويس واخلائها من سكانها وايوائهم فى الخلف استعدادا للمواجهة ٠

وحمل الشعب فى وقفته خلف قواته المسلحة شعارا جديدا هو « **يد تبنى ويد تحارب** » وبدأت فى المنطقة « **حرب الاستنزاف** » تديرها مصر بوسائل تقليدية على طول جبهة القناة بآلاف المدافع التى أخذت مواقعها فى اتساق بطول القناة كلها ٠ وأخذت حرب الاستنزاف صورها المتبادلة من الطرفين ، تتركز من جانب مصر على آلاف المدافع ، وتتركز من جانب اسرائيل على مئات الطائرات تغير على المواقع المصرية ٠

ووسط حرب الاستنزاف تدفق سيل من حملات التشكيك فى قدرات العسكرية المصرية على الصمود ، أو الهجوم ٠ وكان مصدر هذه الحرب النفسية بلا شك العدو نفسه بأجهزته المعنوية المنظمة ، ولكن كان يغذى هذه الحملة وجود أرض خصبة لدى بعض طبقات الشعب المصرى لتقبل الافتراءات وخاصة تلك التى تقدم اليه فى صورة نكت أو فكاهات يسرى بها عن نفسه ٠

وكانت العسكرية المصرية بين آن وآخر تسجل ضربة قاضية لاسرائيل تصيب منها موضع الشلل ، وتنبه العالم أجمع الى أن الذين يحاربون هم رجال مصر ، وليس السوفييت ٠ وقد كانت الحملات تهون من شأن الطيار والضابط المصرى ، وتلصق أى نصر يعتمد على الأجهزة التكنولوجية الحديثة الى السوفييت ٠ والحق يقال ان السوفييت لم يكونوا يحاربون ، ولا يقودون ولا يصدرون الأوامر بالحرب ، ولكن يشاركون القادة المصريين فى اعطاء المشورة فقط ٠ بل لقد كانوا فى معظم الأحيان يتحرجون صراحة من حدوث أى مواجهة عالمية لو شاركوا بأنفسهم فى الحرب ٠ ومضت السنوات الثلاث التى حددها السوفييت ، وكل جندى وضابط فى مصر شغله الشاغل الاستعداد الصامت وكأنه يقول متى سننتقم ٠ ومضت بعدها عدة شهور والمحللون ينظرون الى الأمر نظرة فيها ادراك بأن الأمر أعمق مما كانوا يتصورون ٠

لقد حرص السوفييت على أن يكون للسلاح نوعية خاصة ، هو أن يكون سلاحا دفاعيا لا هجوميا ٠

ووسط هذه اللجة من العمل والاستعداد والصراع ، شاءت ارادة الله أن تختار لجوارها ابنها الوفى الذى قادها وسط ظلمات النكسة ، الرئيس جمال عبد الناصر ، فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ٠

وانفجر بين طبقات الشعب ، وبين الضباط والجنود أتون من الحزن ، مبعثه أن الأمة فقدت رئيسها ٠ ويوم أعلنت وفاته هب كل الناس هبة واحدة حار فيها علماء النفس ، فأسموها ظاهرة « **الحزن الجماعى** » والحقيقة أنها كانت تقديرا من الشعب المخلص الذى قاده شبابه كله ٠

وتولى رئاسة الجمهورية ، النائب الأول للرئيس عبد الناصر ، وهو ابن من أخلص أبناء مصر ومن أكثرهم خبرة وشجاعة ووفاء وتفتحا واخلاصا ، هو « **محمد أنور السادات** » الذى أعاد « مصر » نورا مشعا ونارا على الأعداء ٠

العسكرية المصرية مع السادات

ليست العسكرية المصرية فى عهد السادات ثوبا جديدا ، يمكن أن نسميه ثوب الجدية والعمل فى صمت ، واتخاذ الأسلوب العلمى فى التخطيط للحرب ٠ ولم يكن غريبا على أول رئيس فى مصر ، يحترم العلم ومفعم بالايمان ورفع فى أول أيام حكمه شعار «**العلم والأيمان**»٠ومن منطلق العلم كأسلوب ، والأيمان كطريق ، أخذ التخطيط للمعركة يأخذ بعدا جديدا لا علاقة له بالخطب الرنانة ، وبعيدا عن حلزونات السياسة ، وبعيدا عن تأثير مراكز القوى التى لم تجد لها مكانا أليق من السجون ٠

وكان شغل السادات الشاغل منذ أول أيام حكمه هو التخطيط للمعركة بعد أن وضح له أن أساليب الحلول السلمية المائة فى المائة بعيدة مفاهيم العصر ، وأن الحل الوحيد لابد أن يكون عسكريا تعقبه سياسة رائدة ٠

وبصدد تطوير السلاح للاعداد للمعركة ، انتقل السادات بنفسه الى الاتحاد السوفيتى ثلاث مرات متعاقبة ليتعاقد على نوعية السلاح المطلوب٠

ولعل مقاييس السوفييت المادية ، غفلت عن الأتون المتأجج فى نفوس أبناء القوات المسلحة المصرية ، رغم العدد الضخم من مستشاريهم وخبرائهم ، الذين كان ظنهم أن الروح المعنوية لدى الشعب والجيش لن تسمح بقيام أية حرب أو حتى مناوشة ، وان الشعب قد استنام للهزيمة بعد ان طال أمدها .

ولعل اليأس من وقفة السوفييت المتطلعة ، لا الى الأمام ولا الى الخلف هى التى جعلت السادات يتخذ للاستراتيجية المصرية طريقا آخر ، كان بعيدا عن ظنون الغرب والشرق على السواء . فقد أتى قراره بالاستغناء عن المستشارين والخبراء السوفييت فى يوليو ١٩٧٢ فكان ضربة مفاجئة لم يكن يتوقعها أحد .

وكان للأمر صدى فى مصر .. خفف السادات من وقعه بالقول بأنه « **وقفة مع الصديق** » . فقد خلصت العسكرية المصرية ، وأصبحت القوات المسلحة مصرية بنفسها ولنفسها ، فلا يعقل أن يحارب السوفييت بدلا من رجالنا ولا مع رجالنا . ولذلك أتت محصلة أمرهم فى النهاية خيالا ، أصدق تعبير عنه قوله تعالى « **مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا** » ولعلهم أساءوا الظن ، عندما شط بعضهم فى تصور أن الأمر خلفه اتفاق سرى مع الغرب . وكان وقعها أعجب على الغرب نفسه الذى لم يفهم شيئا ، وظن أن مصر أصبحت فى وضع لن يمكنها من شىء الا الرضى بالأمر الواقع .

وغفل هؤلاء عن أن الرئيس السادات قد حرر ارادة مصر واستقطب الطاقات العربية ليجعل منها استراتيجية عالمية جديدة ، تستطيع أن تقول كلمتها للغرب والشرق على السواء . وان هؤلاء الذين لديهم ترسانات السلاح قد غفلوا عن ان العرب لديهم ما هو أهم من هذا السلاح ، بل وما يتحكم فى تصنيعه وتشغيله الا وهو البترول .

ومضى عامان فى عمر الزمان ، كقرنين فى عمر التاريخ ، كرس فيهما السادات كل الجهود من أجل المعركة ، وعبأ فيهما الطاقات لخدمتها ، وعن سياسة متطورة جديدة فى المجالات الدولية والعربية والافريقية اجتذب السادات الانظار لعدالة قضية مصر ، وقضية فلسطين ، وبطلان أسلوب اسرائيل . وصدرت القرارات تلو القرارات فى المحافل الدولية والمؤتمرات العالمية والاقليمية تشجب العدوان الاسرائيلى ، وتعريه من ثوب التضليل الذى اكتسى به .

ويوما بعد يوم أصبحت الدول العربية تستعيد ثقتها فى جدية مصر للاستعداد للمعركة ، وبكونها الوطن الأم لكل آمال العروبة ٠

ووضع السلاح العربى كله فى خدمة المعركة فى أغلب الدول العربية، ولم يصبح السلاح وحده هو العنصر الحاكم فى الحرب ، بل دخلت معه الى الميدان أسلحة أخرى ، أهمها الدهاء ، والبترول ، والكلمة الموحدة والأرصدة العربية فى البنوك الأوروبية والأمريكية ٠

ولزم الأمر ، تغييرا شاملا لبعض القيادات العسكرية خاصة وقد ولى الرئيس السادات أمر وزارة الحربية الى « **الفريق أول أحمد اسماعيل** » ٠

وانطلقت العسكرية المصرية بقيادتها العليا الحكيمة متحررة من كل عوامل القصور ، لتضع القرار ٠

وفى خط متواز مع الاعداد والتجهيز المحكم للمعركة سارت السياسة الخارجية لمصر فأخذت مسارا الى جميع الدول العربية ، على هيئة زيارات للرئيس السادات للملوك والرؤساء العرب ، تمخضت عن تعضيد وتآزر متكامل ووضع كافة الامكانيات العربية العسكرية والاقتصادية فى خدمة المعركة ٠٠ اذا ما أطلق الرئيس السادات شرارتها ٠ وفى سرية وحبكة اتخذ القرار التاريخى للمعركة قبل موعدها بعدة شهور ومضت مصر تستعد للتنفيذ ٠

بذلك أتى قرار المعركة مصريا مائة فى المائة ، لا الشرق راض عنه ولا الغرب يتوقعه واندلعت الشرارة يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ فى ساعة لم تخبرها من قبل حروب العالم ٠

لم تبدأ الحرب مع الشرارة ولكن كانت الحرب قد بدأت منذ وضع السادات قراره قبل ذلك بشهور ، ولكن مع الشرارة أتى انطلاق العسكرية المصرية لتكشف عن وجهها ، وتبهر العالم ببطولات تجل عن الوصف وتفوق كل تصور ٠

ومع بطولات ٦ أكتوبر التى سارت على الجبهة المصرية وعلى الجبهة السورية لقن الاسرائيليون درسا لن ينسوه ٠ فقد كانت المرة الأولى التى يتخلى فيها الجندى الاسرائيلى عن موقعه بقوة السلاح ، وذلك أن الجولات الثلاث السابقة بين اسرائيل والعرب لم تملأ العقلية الاسرائيلية الا بالغرور والصلف ، والجرى وراء وهم هو أن جيش اسرائيل لا يهزم ٠

ومع بطولات ٦ أكتوبر غسل العار الذى لحق بالعسكرية المصرية فى ١٩٦٧ وأثبت شباب مصر ورجالاتها من جيشها وشعبها أنهم حملوا

مسئولية القرار ذودا عن وطنهم فى اباء وكرامة الشرفاء الأحرار • وأتت بطولاتهم أغرب من الخيال • ولعل آلاف الصفحات لن تكفى لتسجيلها ومئات الكتب لن تستوعبها •

ومع هذا النصر ، أتى نداء السادات للعالم أجمع عن بعث العسكرية الحديثة •

ولعل مناسبة اعلان هذا البعث فى ذكرى ٥ يونيو المشئومة ، ومن فوق موقع من أعتى مواقع خط بارليف الذى استولت عليه قواتنا ، فيه تسجيل للتاريخ يشير الى عملاق جديد ، يعيد للأذهان أمجاد الآباء والأجداد وبطولات لا نعرفها الا فى بطون الكتب •

ان العسكرية المصرية الجديدة فى عهد السادات ، ليست وليدا جديدا بل هى بعث لعملاق ، كبا كبوة ، وعثر عثرة ، ثم نهض ليقول للتاريخ كلمات ستبقى على الزمن •

وقفة مع الأبطال

لا يكتمل الحديث عن العسكرية المصرية فى عصرها الحديث بدون التعرض لصانعيها ، ولا يمكن أن تؤرخ للعسكرية بأحداثها ، دون أن تبرز أبطال هذه الأحداث •

ولعل الدافع الذى حدا بالرئيس محمد أنور السادات ، ليعلن للعالم بعث العسكرية المصرية من سيناء ، هو ما بهره من انتصارات رجال الجيش الثانى والثالث أثناء تفقده ما استولوا عليه من مواقع خط بارليف ، وما سجلوه من انتصارات فى عبور القناة •

من منطلق الانتصارات يأتى صوت القائد ، ليردد حقيقة غابت فى زحام الأحداث ، وتاهت وسط أفراح النصر ، وكأنه يقول للعالم أن النصر لم يأتنا جزافا ، ولكننا بتوفيق من الله أخذناه ، وفى سبيله بذلنا الروح والدم • وليس هذا بجديد علينا فان لنا فى التاريخ ماضيا عريقا فى نفس المضمار ، وسيرى العالم للعسكرية المصرية بعثا جديدا ، على طريق جديد •

ان نماذج العسكرية المصرية الحديثة تتمثل فى القادة الذين عزفوا أروع لحن سمعته مصر فى تاريخها الحديث ، بعملهم المنسق ، الذى لعب

فيه « **المشير أحمد اسماعيل** » دور المايسترو القدير ، العارف بكل تفاصيل اللحن .

والذى عاونه فيه رئيس أركانه « **الفريق سعد الشاذلى** » أول الأمر الى أن حل محله « **الفريق محمد عبد الغنى الجمسى** » الذى كان يعمل رئيسا لهيئة العمليات .

وكان للجمسى دور يعتبر بمثابة المحرك للدراسات التفصيلية واعداد الخطط والذى لعب دورا مشهودا ودقيقا فى مفاوضات الكيلو ١٠١ .

وسيقف الدارسون لتاريخ العسكرية المصرية أمام شخصيات قادة الأسلحة التى حملت عبء المعركة تخطيطا وتنفيذا ، كل فى مجال اختصاصه وهم :

الفريق فؤاد ذكرى	قائد القوات البحرية
الفريق محمد على فهمى	قائد الدفاع الجوى
الفريق طيار محمد حسنى مبارك	قائد القوات الجوية

وأمام قادة الجيوش الميدانية التى حملت عبء المعركة فى سيناء ووضعتها موضع التنفيذ :

اللواء عبد المنعم خليل	قائد الجيش الثانى الميدانى
اللواء عبد المنعم واصل	قائد الجيش الثالث الميدانى

واللذين حل محلهما ابان المعركة :

اللواء فؤاد عزيز غالى	قائد الجيش الثانى الميدانى
اللواء أحمد بدوى	قائد الجيش الثالث الميدانى

ومع هذه الصيحة ، لا بد لنا من وقفات مع شخصيات من صناع الانتصارات ، الذين هم من معالم هذا التاريخ ٠

وقبل أن نشير الى أى منهم لا بد من القول أن البطل الحقيقى ، وأبا الأبطال ، هو الذى اتخذ القرار ، فأتى قراره عبورا لكل نوازع الخوف وهواجس الضعف ، وانطلاقا الى العزة ، وتحقيقا للكرامة العربية ٠

لقد دخل « أنور السادات » التاريخ من أوسع أبوابه لا كزعيم سياسى محنك ، ولا كقائد عسكرى شجاع ، ولكن كمصرى وكعربى تمثلت فى شخصيته كل معانى الكرامة ٠

ولقد كان قراره بانهاء الوجود السوفييتى فى مصر ، عملا لا يقل شجاعة عن أخذ قرار المعركة ٠ وسيبقى أنور السادات فى القلوب ، كصاحب اهم قرارين فى تاريخ العسكرية المصرية وفى تاريخ الأمة العربية حينما رد الكرامة الى العسكرية المصرية ، ووضعها فى خضم المعركة أمام العالم لتثبت وجودها ٠

ولعل أسلوب التخطيط العلمى ، والانفتاح على أساليب العلم الحديث كان الوسيلة الفعالة التى سلك بها السادات طريقه ٠ فكم سمعناه يردد أن قرار المعركه لا بد أن يأتى بعيدا عن التشنجات والانفعالات ٠ ولا بد أن يأتى محسوبا ، بموازين العلم والمقاييس لتحقيق النجاح ٠

ان وقفتنا مع القائد البطل ، ستقودنا حتما الى أبطال آخرين بعضهم أحياء وبعضهم جرحى أصابهم تشويه وبعضهم لقوا الله كأنبل ما يمضى الرجال من حملة المسئوليات الثقال ٠ هؤلاء وعوا أبعاد رسالتهم فى المعركة فبذلوا أثمن ما يملكون رخيصا فى سبيل تحقيق واجبهم ٠

من هؤلاء من كان دوره بسيطا كجندى ربض فى موقعه أو خلف موقعه أو تحت طائرته ، أو قرب جهازه ٠ ومن هؤلاء من كان دوره جسيما ، يتمثل فى التخطيط أو القيادة أو وضع الخطط ، أو تشغيل جهاز أو قيادة طائرة ولكن ليس بالضرورة أن يعلن انه بطل ، وكل من قام بواجبه بطل ٠

من هؤلاء من عاش ، ومن هؤلاء من لحق بالشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا ٠ لذلك فان الأبطال المجهولين ، أكثر من الأبطال ذائعى الصيت آلاف المرات ٠ ومن هنا فان وقفتنا أمام نصب الجندى المجهول فى أى مناسبة تأكيدا لهذا المعنى الدقيق ٠



الوزير وقادة القوات الرئيسية للقوات المسلحة

الفريق حسني مبارك ـ الفريق فؤاد ذكرى ـ الفريق محمد علي فهمي ـ الفريق محمد الجمسي ـ المشير أحمد اسماعيل

الباب الثانى

القيم الروحية

اهدى قائد الفرقة ١٨ مشاه التى حررت القنطرة شرق الى الرئيس محمد أنور السادات أثناء زيارته للمدينة فى شهر يونيو ١٩٧٤ أول علم مصرى رفع على ضفة القناة • وقد كتب عليه « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » • وتحت هذه العبارة كتبت خمس آيات من القرآن الكريم •

وعندما قدم العلم للرئيس قال «ما كتبت هذ الآيات البينات على علم ، الا ونصره الله يا سيادة الرئيس » •

القيم الروحية بين الأصالة والاجتهاد

من الخطأ الظن أن ما نعنيه بانطلاقة القيم الروحية بعد ٦ أكتوبر يمس شيئا من جوهرها أو يغير شيئا من أصولها • فلعله من البين أن رسالات السماء لا يمكن أن تغير منها الأحداث سواء أكانت نصرا أو هزيمة • ولكن ما نعنيه هو أن الاجتهادات فى تطبيق تعاليم السماء ، باب لم يغلق بعد • ولعله من مزايا الاسلام كرسالة سماوية أنه يفتح هذا الباب على مصراعيه ، ويحبذ تجديد فتحه كل يوم •

كما أن تطبيق تعليمات الرسالات السماوية ، وخاصة جانب العبادات منها ، تلك التى تعنى بالشق الذى بين العبد وربه ، قد يكون تطبيقا عاديا ، يضفى عليه التكرار نوعا من الرتابة • ولا تزكى فيه الحرارة الا الأحداث الجسام التى تهز كيان الانسان ، فتوقظ مشاعر الايمان فى نفسه ، وتزكى روحه لتلجأ فى خشوع لباريها •

لذلك فقولنا بان القيم الروحية أخذت منطلقا جديدا بعد ٦ أكتوبر ، لا يعنى أن جوهرها الالهى قد مس ، ولكن حرارة الأخذ بها كانت فى أوجها لدى الجندى المصرى قبل وأثناء المعركة • وبعد أن عمت عليه نعمة

الله بالنصر والتوفيق ، أصبحت مشاعر الشكر والعرفان بالجميل ، لازمة من لوازم المجتمع العربى • ولا شك أن ذلك لم يكن وليد صدفة ، ولا بعث فى يوم وليلة ، ولا كان هزة أو شطحة من شطحات الروحانيات ، بل كان عملا من أعمال البناء •

فبناء الأرواح فن له أصوله وقواعده ، كبناء الأجسام والبنيان •

ومن هذا المنطلق نتحدث ، محاولين القاء الضوء على ما كان ، وما نأمل أن يكون ، ولعل الأخذ بالأسباب مع توفيق الله ، يغير حالنا الى أحسن •

مهبط الرسالات

كانت منطقة الشرق العربى مهبط جميع الرسالات السماوية • التى حملها موسى وعيسى عليهما السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم ، بل ان رسالة التوحيد القديمة الضاربة فى أعماق التاريخ ، أيام اخناتون ، كان مستقرها مصر • لذلك ليس بعجيب أن نرى أصالة العقائد مستقرة فى أعماق نفوس أهل المنطقة ، وعلى هدى تعاليمها تقوم جل تصرفاتهم ، وحول رحاها تدور فلسفاتهم وأفكارهم •

ولكن جذوة الايمان ، تلتهب أحيانا ، وتخفت أحيانا أخرى • فهى بين شد وجذب ، وفقا لظروف الحكم ، وألوان الترف وصروف الحياة • ولعل تقلبات الدهر تمثل الناقوس الذى ينبه الأذهان كل حين ، ليذكر الانسان بأن فوقه خالقا قديرا •

لقد كانت مصر المهد الذى ترعرع فيه موسى ، وكان الموئل الذى لاذ به السيد المسيح رضيعا على ذراع مريم البتول ، وكانت الأرض الخصبة التى استقرت فيها تعاليم الاسلام ، والتى منها انطلقت شرارات النور الى المغرب العربى ثم منه الى أوروبا •

وفى مصر قام الأزهر الشريف منذ أكثر من ألف عام ، ليحتفظ للاسلام تراثه ، وللقيم الروحية جذوتها • ولقد ظلت هذه الجذوة متفاوتة فى اتقادها حتى كان الحدث الذى هز الشرق العربى ، وزلزل كيان المسلمين ، عندما وقعت نكسة الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، فرنت الأبصار الى السماء خاشعة تدعو « يارب رحماك » • فقد كانت الجذوة مهددة أن تقع تحت أقدام دنسة ، تحركها الصهيونية العالمية •

محنة

لم تكن نكســــة ١٩٦٧ الا الحلقة الأخيرة فى محنة أصـــابت القيم الروحية ، وكانت بمثابة ردة الى الخلف عطلت ركب المؤمنين ٠

وفى هذا العهــد ، كان القابض على دينه كالقابض على الجمر ، يتلظى به حتى يحترق ٠ وكان كل مناد بالتمسك بتعاليم الدين أو الرجوع اليه ينعت بأنه رجعى ومتخلف ٠

وأتى على مصر عهد ، أطاحت مراكز القوى فيه بشــيخ صغير المنصـــب ، وقف ليقول للحاكم قولا حقا يســتند الى الدين عن تصرفات لا تليق ، وعن زى غير محتشم تدخل به النساء المساجد ٠ لم يقل الرجل منكرا ولا شططا ، بل جهر برأيه عندما كان الجهر بالرأى جريمة لا تغتفر ، وعندما لم يكن مسموحا بغير الهمس أو الصمت ٠٠ أو الموت ٠

كان الحديث يدور عن موضة المينى جيب ، والميكروجيب ، وكانت موضة وليدة لم تنتشر فى الشرق العربى بعد ٠ ولم تجد مراكز القــوى للرجل مكانا الا خلف الشمس ، ليصبح فى مكان لا يســتطيع ان يتكلم منه ٠ فتحول بين يوم وليلة من شيخ يؤم المصلين ويعظهم ، الى (خادم) مسجد ينظف دورات المياه والمراحيض !٠ لأنه أتى بجريمة شنعاء عندما قدم النصـــح للحاكم ، من فــوق منصة المفروض فيها انهــا كانت منبرا للتعبير عن الرأى ٠

ولم تمض غير أسابيع قليلة ، حتى كانت هذه الموضة قد تسربت الى أغلب بيوت مصر ، وأصبحت كل سيدة أو فتاة لا تتبعها فى عداد المتخلفات ٠

وحقيقة الأمر كله تتجلى فى الحديث النبوى الشريف : «**ان الله يزع بالسلطان ، مالا يزع بالقرآن**» ٠ فقد غفل حكام هذه الآونة وقتذاك أن يكونوا قدوة للشعب ، ومضوا وكأنهم مع الدين فى حرب ، وناصبوا القيم الروحية العداء ٠

فى هذا الجو المكهرب البغيض ، عاش الناس قبيل أن تحيق بهم النكسة ٠ ولعل نظرة الى خارج مصر آنذاك ، تعطينا صورة لما أحاط بشباب العالم من موجات انحلال ما زالت سائدة بينهم الى اليوم ، أطاحوا

فيها بالقيم الروحية ، وغلبت عليهم مادتهم ، وفضلوا اللهث وراء غرائزهم . ثم لعل نظرة مدققة الى الأفكار التى كانت سائدة فى مصر خلال هـذه الأونة ، تصور لنا تيار الالحاد الذى استشرى .

لذلك عندما حلت ظلمات النكسة ، كانت قدرا منطقيا ، لانحلال وتمزق الشباب ، وانتيار الفكرى الملحد ، فحق على الأمة العربية قوله تعالى « **واذا أردنا أن نهلك قرية ، أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** » .

(سورة الاسراء آية ١٦)

ومع ضباب النكسة ، أفاق الغافلون الى حقائق لم تكن تخطر لهم على بال . وهب رجال مخلصون كانوا يتلظون بجمر التمسك بدينهم ، وانطلق رجال الفكر يقولون قول الحق .

« يا قومنا ، كفاكم غيا ، وأجيبوا داعى الله ، فما حاق بنا ، لم يكن الا ثمرة من ثمار عملنا » .

وكان منطقيا توجه الناس الى ربهم فى الشدائد : « **واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه ، واذا مسه الشر فذو دعاء عريض** » .

(سورة فصلت آية ٥١)

وتجددت فى مصر دعوة تنادى بالعودة الى الله ، والى العقيدة والايمان، لنطهر أنفسنا ونزكيها ونعود الى أمجاد سلفنا من الصالحين . وكانت عودة للحق ، والعودة للحق فضيلة ، لكنه كان درسا بليغا .

والعليمون ببواطن الأمور ، يتأملون فى الحكم الالهية ، كيف أتى هذا الدرس البليغ بعد محنة جعلت اليأس يدب الى النفوس . لم تكن النكسة الا غطاء كشف عن الادران التى علقت بالثوب ، كالامتحان الذى أبان للطلبة عن مستواهم ، فأفاق الغافلون واستيقظ المصلحون .

ولذلك ، لم يكن غريبا ان نجد آلاف اللوحات تذكر الناس « **وما النصر الا من عند الله** » و « **ان تنصروا الله ينصركم** » . وقديما كان الزعماء يخطبون فلا يذكرون اسم الله ولو مرة واحدة .

ولا عجب أن نجد أن القوات المسلحة قد رفعت لها شعارا « النصر أو الشهادة » فقد أدرك المفكرون فيها أن الايمان جذوة يمكن أن تثير الحماس ، وتزكى النفوس ٠٠ وان القيم الروحية ركيزة لا يمكن اغفال أمرها ، وان الشهادة غاية من غايات المؤمنين ، وقربى الى الله فى أداء الواجب ٠

الرجل بين الشعار والقدوة

وبنظرة فاحصة ، نظر الرئيس أنور السادات الى المجتمع المصرى بعد أن تولى قيادته ، فوجد أنه ينقصه أهم المقومات فنادى بين النـاس بالحرية وسيادة القانون ٠

وجعل لعهده شعارا ، رفعه ليتمسك به الجميع ، ويجعلوا منه أسلوبا للحياة ولأول مرة سمع الناس شعار « **العلم والايمان** » ٠٠ بعد أن كانوا قد ألفوا أن يسمعوا أن الايمان قرين للرجعية والتخلف ٠

وحسبنا أن نتأمل شعار « العلم والايمان » لنجد أن كل دروس النكسة الأليمة قد تبلورت فيه ٠ ولو تأملنا سر هزيمة العرب فى ثلاثة حروب متوالية ٠ لوجدنا أن ما كان ينقصهم هو الايمان بالمبدأ والعقيدة والوحدة ٠

وكانت تبدد قواهم الفرقة والتنازع لأنهم لم يكونوا مخلصين فى دعواهم ، وكانت تنقصهم الخبرة بالسلاح والعتاد والتكنولوجيا الحديثة والأخذ بأساليب الادارة العليا فى الحرب والاقتصاد ، فأتت أعمالهم سطحية لا عمق لها ولذا حاقت بهم الهزيمة كأمة لا تتقن شيئا ٠

حقيقة الأمر أن الشرق لو صح ايمانه بالله ، وأعطـاه أبعاد الصدق والعمق ، لانطلق الى غاياته فى حرارة كما انطلق السلف الأول ممن لم يكونوا يملكون من الدنيا الا حطامها ٠ ولكنهم كانوا قد باعوها فأقبلت عليهم ، وكانوا قد آثروا الموت فوهبت لهم الحياة الكريمة ٠

بهذا الايمان استطاعت حفنة صغيرة من أوائل العرب المسلمين أن تهز عرشى كسرى وقيصر ٠ واستطاعت خلال مدة وجيزة من عمر التاريخ أن تنشر دينها فوق رقعة شملت ما بين المحيط الأطلسى غربا الى الخليج العربى شرقا ٠

بهذا الايمان ، ظلت فلسفة الاسلام تفرض وجودها وتنشر نورها ، وتصدر علما الى كثير من دول العالم لمئات السنين • ويوم استنام المسلمون الى متاع الدنيا منه يعبون ، وانصرفوا عن العلم معرضين ، انصرف عنهم توفيق الله ، الذى لا يصيب الا المجتهدين •

ونحن اليوم غير أجدادنا بالأمس ، ايمانا وعلما • كما أن حالنا اليوم يختلف عن الدول المتقدمة فى أوروبا وأمريكا ، فى كل شئون الحياة لأنهم أخذوا بأساليب العلم ، ونبذناها نحن • ومضوا فى طريقهم على هديها واتسعت بيننا وبينهم الشقة ، فلا الايمان تمسكنا به ، ولا العلم سرنا فى ركابه ، فأنى أمرنا مسخا ليس له قوام •

وليس لزاما أن نقصر تفكيرنا عن العلم ، ونلصقه بالكراسة والقلم والكتاب أو بالصناعة والتكنولوجيا والأجهزة الحديثة • بل نعنى بالعلم أسلوبا يتسرب الى كل شىء مهما صغر أو كبر • ونعنى به أسلوبا فى الادارة ، سواء ادارة المصنع أو المدرسة أو مرفق المواصلات أو وزارة الرى • ونعنى به تخطيطا سواء كان تخطيط ميزانية الدولة ، أو تخطيط اصلاح الشوارع أو وضع حل لتزايد السكان •

كل هذه أو تلك أمثلة تضفى الشمول على الأخذ بأساليب العلم فى الحياة •

غير أن الحقيقة أن هذا الشعار وهذه المظاهر التى أشرت اليها ، ليست من تعاليم الاسلام ولا لازمة من لوازمه ، ولكن حسبنا أنها دلالات ، تحدد النفس المؤمنة التى خلفها •

وحسبنا عن صدق الايمان أن نتطلع الى عمق ما تنطوى عليه شجاعة اتخاذ قرار الحرب • ان ذلك بلا شك قمة من قمم الايمان • فقد كانت روح اليأس قد حلت بشباب الأمة قبل كهولها • وكانت حالة اللا سلم واللا حرب قد اسلمتنا الى حالة من الاستكانة والخوف • وكانت أبواق الحرب النفسية التى تفنن العدو فى توجيهها الى آذاننا ، قد فاقت كل الأصوات • وكانت الظروف الدولية قد انتهت الى حالة الوفاق التى جعلت الشرق على غير استعداد لمعاداة الغرب بسببنا •

وأتى قرار المعركة ، مفاجأة ، تحمل كل معانى الايمان • الايمان بالحق وبنصر الله الذى أخذ على نفسه العهد بنصرة المؤمنين « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » •

هنا ‥ تجب الصلاة

وثمة صورة من الصور الحية ، نستشف منها مدى عمق الايمان ٠

فأثناء زيارة الرئيس « محمد أنور السادات » للجبهة فى يونيو ١٩٧٤ ، مر على أحد المواقع الحصينة فى خط بارليف عند عيون موسى ، ووقف أمامه قائد الوحدة التى حررت الموقع الذى يعتبر حصنا منيعا ؛ أنفق عليه العدو وحده عشرة ملايين جنيه استرلينى ، وأخذ يشرح للرئيس قائلا ان العدو كان قد أحاط الموقع بثلاثين ألف لغم ، وانه كان يضم ستة مدافع أوتوماتيكية من عيار ١٥٥ مم ، وأمام كل منها باب من الحديد الذى يبلغ سمكه ١٧ سنتيمترا وكان بالموقع عشرة خطوط نيران ، كل خط منها عبارة عن ثمانى دانات لكل مدفع ٠ كما كان يطلق ٢ طن من الذخيرة فى الدقيقة ، دفاعا عن الموقع الذى كانت تكسوه طبقات من الخرسانة المسلحة والرمال والأحجار ٠

استطرد القائد يشرح للرئيس ، كيف هاجم الموقع ، وكيف طوقه ، وكيف اقتحمه ، وكيف هرب أفراد العدو منه ، وكيف أسرهم رجاله واستولوا على أسلحتهم ٠

كل ذلك عادى ، بالنسبة لرجال صنعتهم الحرب ولكنه ليس كذلك بالنسبة لرجل مؤمن ٠

وقد توجه أحد المراسلين الصحفيين الأجانب بسؤال الى الرئيس عن انطباعاته ، بعد أن لمس ضخامة العمل الذى أتى به جنوده ، فأتى رده معبرا عن عمق ايمانه :

« انى لا أستطيع أن أقول أكثر من انها كانت معجزة ولا أستطيع أن أتحدث أكثر من ذلك ٠ فالانسان يجب أن يصلى فى هذا الموقع » ٠

هذا القول البليغ على قصره ، يحمل بين طياته دلائل الايمان ، فأى شكر لله أعمق من الصلاة ؛ وأى حمد لله أجل من السجود له ، تسبيحا له وتبجيلا لنصره ؟

الايمان والبطولات فى المعركة

ليس من قبيل المغالاة القول بأن البطولات الخارقة التى أتاها جنودنا وضباطنا فى المعركة ، لم تكن الا صورة من صور الايمان ، ومحصلة من محصلات العمل المعنوى الذى أثمر فى القوات المسلحة • ولعل سنوات النكسة الست بظلها البغيض الذى جثم فوق النفوس ، لم تكن الا بمثابة الياى ، أحكمت القوى الروحية الضغط عليه ، لينطلق بكامل قوته وقت بدء المعركة • فجاء العمل العسكرى معجزة لم يكن يتوقع بعضها أحد •

ومن هنا أتى قول الرئيس بليغا ومعبرا :

« الشعب هو صانع الأسلحة التى حققت المعجزة ، وهى أسلحة لم تصنع من الفولاذ فقط ، ولكن صنعت بالايمان والاصرار » •

ولسنا فى حاجة الى الاشادة بالبطولات ، وتحليل صورها ، فقد شهد العالم أجمع بها ، ووعى أبعادها أعداؤنا قبل أصدقائنا • ولكنا فى حاجة الى وقفات مع بواعث الايمان التى صنعت هذه البطولات ، لندرك أبعاد الدور الذى لعبته الطاقات الروحية فى احياء النفوس ، واسترخاص الموت ، وضرب أروع الأمثلة فى التضحية بالنفس •

وقد يكون لزاما ، قبل الخوض فى الحديث عن أى من هذه البطولات، أن نقف فى خشوع أمام صورة باهرة سبقت كل أحداث المعركة ، وأتت قبيل ساعة الصفر بقليل • صورة تخلب كل الألباب وتهز جميع المشاعر ، وتحرك كل وجدان • لقد انتظم مئات الألوف من الجنود والضباط المسلمين فى مواقعهم على جبهة القناة فى صفوف متراصة ، يؤدون صلاة الحرب • نصفهم يصلى ونصفهم يحرس ثم يتبادلون مواقعهم عملا بسنن الحرب الاسلامية • ومضى معهم أخوانهم الأقباط يرتلون فى نفس اللحظات ، ترانيم من الانجيل • وفى نفس اللحظات كان كبار قادة القوات المسلحة ، يؤدون نفس الصلوات قبل ساعة الصفر فى غرف العمليات •

وما فرغوا من الصلاة حتى بدأوا العمل الذى ظلوا يتدربون على القيام به أكثر من ست سنوات ، والذى كانت نتائجه تراود أحلام كل منهم •

من هذه الصورة ، يمكن ان نستشف الدور الذى سيطرت به القيم الروحية على وجدان الذين أداروا المعركة تخطيطا وقيادة وتنفيذا • لقد كانوا فى رحاب الله متكلين عليه ، باسطين أرواحهم بلا خوف ، لا هم لهم.

الا أداء واجبهم • كل منهم قد سأله النصر والتوفيق • وكل منهم قد رفع يديه الى السماء فى دعوات • وحسبنا أن نتذكر قول الرسول الكريم « **الدعاء مخ العبادة** » •

وحسبنا كذلك أن نذكر قوله تعالى فى الحديث القدسى الذى يرويه الرسول عن ربه :

« **لئن تقرب الى عبدى شبرا تقربت اليه ذراعا ، ولئن تقرب ذراعا تقربت اليه باعا ، ولئن آتانى يمشى أتيته هرولة** » •

حسبنا ان نذكر ذلك لنقول ان الله تجلى على هؤلاء النفر من عباده المخلصين الذين لجأوا اليه بدعاء حار لينصرهم ، فاستجاب لهم وكان معهم فى المعركة • فقد كان دعاؤهم « حسبنا الله ونعم الوكيل » ، وكان الله وكيلا بعملهم ان يؤتى ثماره • لقد أوضح تقرب القيادة الى الله اسم الخطة نفسها « **بدر** » تيمنا بغزوة الرسول الأولى التى نصره الله فيها •

ولعل اختيار توقيت موعد المعركة خلال شهر رمضان المبارك كان اختيارا موفقا • فقد أجج ذلك فى النفوس المؤمنة ذكريات بدر أول غزوات المسلمين ، وأعاد أمام المحاربين انتصارات الرعيل الأول من أجدادهم • أضف الى ذلك تلك المسحة الروحية التى تكسو نفوسنا جميعا، فى الشرق العربى ، عندما يحل بنا هذا الشهر الكريم وتزكو نفوسنا بصيامه ، ونجد كل المتدينين وكثيرا من غير المتدينين ، يؤدون فريضة الصيام امتثالا لأمر الله وقربى اليه • وفى هذا الشهر الكريم ، يعم الناس جو روحانى ، وتلف أجواءهم مشاعر لها جلالها ، وتحوطهم من السماء رعاية ربانية • وحسبنا قول رجال الدين أن الشياطين تسلسل عند حلوله ، فتسمو أرواح المتعبدين مع قلة تناول الطعام • اذ كان هذا حالنا فى رمضان بلا حرب ، فما بالك أثناء القتال ، الذى آمن جنودنا بأنه قتال فى سبيل الله •

أضف الى ذلك أنه وقر فى نفوس الكثيرين أن المسلمين يتحولون فى رمضان الى كسالى صبرهم قليل ، وعملهم أقل ، وهم خلاله أكثر منهم فى أى وقت آخر ميلا للنوم بالنهار والسهر بالليل • وهم فى رمضان واهنين نتيجة الجوع ، لا يفعلون شيئا خلال يومهم الا الاستعداد للاقبال على وجبات دسمة فى أول الليل وفى آخره •

لذلك أتى توقيت المعركة خلال هذا الشهر ، الذى لا يندرج تحت تعاليم الاسلام شىء مما علق به من خبث العقول ، قمة فى عمليات المفاجأة مع العناصر الأخرى التى بوغت بها العدو •

من هذه الوقفة الخاشعة بين يدى الله ، يمكن أن نتصور مواقف أخرى أخذت تترى مع أحداث المعارك ، كل منها يمكن أن يكون صورة من صور الايمان التى سيحملها التاريخ لتكون قدوة لأبنائنا وأحفادنا ٠

- لقد قرأنا عن واقعة أول علم رفعه جنودنا على تباب الضفة الشرقية للقناة بعد أن عبروها ٠ لقد كان على العلم عبارة « **لا اله الا الله محمد رسول الله** » وتحتها خمس آيات من القرآن الكريم ٠

- ورأينا صور طيارينا وقد سجلوا نفس العبارة على أحزمة الأمان التى تطوق صدورهم أو على الخوذات التى تغطى رءوسهم ٠

وقد حرص كثير من هؤلاء الطيارين على حلاقة شعر رءوسهم قبل أول طلعات المعركة تشبها بأبطال بدر ، وأطلقوا على أنفسهم جند الله ٠

- وفوق مياه القناة ، وأثناء عبور آلاف قوارب المطاط ، لم يكن يعلو صوت الا نداء جنودنا « **الله أكبر ٠٠ الله أكبر** » ٠

- وكانت هذه الأنشودة الالهية هى ترنيمة الشعب بأسره ، وهو يتابع جنوده بقلبه وحسه ٠ وفى الوقت الذى كان فيه مهندسونا يقيمون الجسور عبر القناة كانت أرواح هؤلاء الجنود تعبر جسور الايمان الى السماء بالدعاء ٠

كل هذه وغيرها من عشرات المواقف المشابهة ان عبرت عن شىء ، فانما عن مسحة ايمان تلبست بكل جنودنا فى المعركة ، وليس أصدق من هذا تطبيقا لقوله تعالى :

« **يأيها الذين آمنوا ، اذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** » ٠ (سورة الأنفال آية ٤٥)

ومن خلف جنودنا وقف شعبنا بأسره ، يدعو الله فى ساعة العسرة طلبا لنصره ، وتقربا اليه ٠ ان هذه الصلاة على ما فيها من ضعف انسانى قد يتخيله البعض ، قد شملت كل معانى العبودية لله ، والتسليم له سبحانه وتعالى واللجوء اليه والتوكل عليه ٠



لا اله الا الله فوق رءوسهم وعلى قلوبهم

ولعل الشعور الديني الذي ساد جو المعركة ، بين شعبنا وجنودنا على السواء ، كان له ما يصاحب هذا الشعور عادة من مغالاة وتجاوز ، فقد حكى البعض عن كثير من خوارق الأحداث وما يعد من قبيل المعجزات · فقد سمعنا عن الاشباح البيضاء التي كانت تجثم فوق دبابات العدو ، حتى اذا اقترب منها جنودنا لم يجدوها · وسمعنا عن السحابة التي ظللت مطارا بكامله وقت اغارة طائرات العدو عليه ، ثم انقشعت بعد أن أعمت طياريه عن مكانه · وسمعنا عن المطر الذي انهمر فجأة وبدون مناسبة فوق النار التي اشعلتها قنبلة معادية · وعلمنا بأمر الماء الذي انبثق وسط صفوف الجيش الثالث ، وهو يعاني من نقص الماء والغذاء وقت حدوث الثغرة ·

هذه وتلك من خوارق الأمور ليست الا دليلا على حرارة الايمان ، واستجابة الرحمن ، لدعوات عباده على الأرض · وحسبنا ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام :

« **رب اشعث اغبر لو أقسم على الله لأبره** » · وان حدث بعضها فليس ذلك الا بتوفيق الله وبحلول عنايته · ولسنا نستكثر هبوط الملائكة على المؤمنين ، لتمدهم بأزر الله ومدده ، كما حدث في بدر :

« **اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين · وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم · وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم** » (سورة الأنفال آية ١٠)

« **اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين · بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين** » (سورة آل عمران الآية ١٢٤ : ١٢٥)

« **اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان** »
(سورة الأنفال آية ١٢)

وما حدث في بدر ليس مثارا للتهكم ، ولا أحجية من الاحجيات ، فالملائكة مخلوقات نورانية ، تستطيع بقدرة الله أن تتشكل ، ولو بعثها الله لتمد المؤمنين بالعون فليس ذلك خرافة ·

وقد تأتي المعونة الالهية على صورة التهيؤ ، والاحساس النفسي التي تعبر عنها آيات القرآن الكريم ·

« قد كان لكم آية فى فئتين التقتا . فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة . يرونهم مثليهم رأى العين . والله يؤيد بنصره من يشاء . ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » . (سورة آل عمران آية ١٣)

« اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر . ولكن الله سلم أنه عليم بذات الصدور . واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا . ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الأمور » (سورة الأنفال آية ٤٤)

« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا . وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا »
(سورة الأحزاب آية ٢٦)

ومن صور التوفيق الربانى ، التى لا جدال فيها نسبة أو معدلات الخسائر التى حدثت بين جنودنا عند عبور قناة السويس . ان كل فنون التكتيك العسكرى لها مقاييسها ومتوسطاتها الحسابية فى النجاح والخسارة بين الرجال والعتاد . ولقد كانت كل حسابات السوفييت مثلا عن الخسائر فى عبور مانع مائى عريض كقناة السويس تشير الى نسبة ٤٠ ، ٥٠٪ من الرجال والعتاد . بل لقد شط بهم الأمر فى بعض الأحيان الى القول بأنها نسبة قد تبلغ ٨٠٪ . وارتكزت اسرائيل فى دفاعها على هذا المانع الطبيعى ، فأقامت السد الترابى على حافة الضفة الشرقية للقناة . وأقامت خط بارليف وأنفقت عليه ٢٣٨ مليون دولار . وأقامت عليه نقطا حصينة استخدمت فى تحصينها كل فنون الهندسة العسكرية . فجعلت من التحصينات طبقات فوق أخرى ، من خرسانة مسلحة الى (شكائر) الرمل، الى أحجار تضمها الشباك ترتكز فوق قضبان السكك الحديدية . كل هذه التحصينات كانت كفيلة أن تبقى القابعين تحتها فى مأمن ، مطمئنين الى عدم نفاذ القنابل ودانات المدافع اليهم .

أضف الى ذلك أن اسرائيل أقامت مضخات لضخ النابالم والسوائل الملتهبة على حافة القناة ، لكى تجعل من سطحها أتونا ملتهبا يشوى العابرين لها .

لذلك كانت نسبة الخسائر فى تقديرات الحاسبين لها ، مرتفعة غاية الارتفاع . وكان كل قائد تخطر هذه النسبة بباله ، يقف مترددا أمام مشاعره الانسانية . كيف يمكن أن تحدث مذبحة فوق هذه المياه ؟ .

ولو كان أى من القادة العسكريين قد أدخل المقومات السائدة قبل المعركة فى عقل اليكترونى لكانت النسبة قد أتته أكثر ارتفاعا مما كان بقدر الخبراء ، سواء المصريون منهم أو الغربيون · ولكن العقل الاليكترونى والسوفييت ، وبعض المؤمنين أيضا ، ليست لديهم القدرة على قياس العناية الالهية بنسب أو بأرقام · فليست مقومات النصر فى كل الأحوال تقوم على المقارنات والحسابات والتقديرات ·

فهناك عنصر معنوى ، غير خاضع للقياس أو الحساب · ومن الخطأ الزعم بأنه عنصر مساعد غير أساسى ، فهو عنصر جذرى يلعب أهم الأدوار · فلمنتظر للحساب الربانى ، عندما يدلل على ما يصفه البلهاء بأنه من المعجزات ·

« ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين · وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون · الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين · وان يكن منكم ألف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين » ·

(سورة الأنفال آية ٦٦)

ان تقدير الموقف الالهى مرده الى الصبر ، وأقل نسبة فى القوى رجل مؤمن ، برجلين من الأعداء ، وعتاد فى يد مؤمنين بعتادين فى يد الأعداء ·

وأتت نسبة الخسائر فى العبور المصرى للقناة ، مذهلة ومحيرة لكل المحللين العسكريين مصريين وأجانب · فقد أتت أقل من واحد على عشرة مما كانوا يقدرون :

ان هذا التوفيق ، وغيره مما لم نذكره هنا لم يكن الا منحة من الله لعباده المؤمنين ، كما حدث مع سلفهم الأولين « **وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى** » ·

نوعية الحرب

انقضى زمن طويل منذ انتهت الحروب الصليبية ومنذ تكسرت حرابها على عتبات الشرق المقدسة · ودار ابن لقمان فى المنصورة قائمة لتشهد على حماقة الذين أثاروا هذه النعرة المنكرة فى القرون الماضية وأشعلوا هذه الحرب · ولم تعد عقول عامة الناس فى أغلب شعوب العالم تتقبل الجرى وراء نعرات عصبية ترتكز على الدين ، وتجعل من العقائد مادة تنازع وخصام مسلح فيما بينها ·

لقد وقف الى جانب العرب ما يقرب من ألف مليون مسلم تضمهم دول العالم ، ادراكا بأن الوجود الصهيونى نفسه ــ رغم أنه يرتكز على عصبية عقائدية ــ فهو يهدد الكيان العربى والمنطقة ٠

ومن هنا وجدنا الجندى المصرى مسلما كان أو مسيحيا ، والجندى السورى شيعيا كان أم درزيا ، والفدائى الفلسطينى كاثوليكيا كان أم مارونيا ، يعملون معا ، جميعا لتحقيق هدف واحد ، هو ايقاف الزحف الصهيونى ، وضربه حيثما احتل ٠

ولو بسطنا الحقائق لوجدنا أن اسرائيل ــ الطرف الآخر فى المعركة ــ هى قمة الوجود المرتكز على التعصب الدينى والتى تعتمد فى وجودها على بعث أفكار دينية قديمة ٠ وما اليهود والصهيونيون وبنو اسرائيل الا أسماء متعددة لقوم يدينون بدين واحد ، ويريدون أن يتجمعوا فى مكان واحد ٠ ليمارسوا تعصبهم له بدلا من تفرقهم وسط شعوب أخرى ٠

وترتكز أفكار الصهيونية العالمية ، فى تحريك الطليعة اليهودية التى تحتل فلسطين حاليا ، على تجميع يهود العالم فى هذه الرقعة بعثا لأمجاد دينية قديمة لبنى اسرائيل ٠ وجريا وراء أحلام قوم موسى فى « الوطن القومى » ٠

ومن المنطقى أن يقوم وطن كل سكانه من اليهود ، على العصبية الدينية ، فاليهود منذ وجدوا قلة فى العدد ، لأنهم بطبيعتهم الدينية المتعصبة ، أقل العقائد ميلا للذوبان فى العقائد الأخرى ، وبالتالى فهم أقلهم اندماجا فى الشعوب التى يعيشون بها ٠ وتعاليم دينهم فيها من الطقوس والتعاليم مما يجعل لبعضهم لا يفضون بها لغيرهم ، فهى ليست ديانة مطروحة على بساط التفاعل العقلى كالاسلام ، بل تسرى بطريق التناقل من جيل لجيل ٠ ولها خلفياتها وكتبها غير المعلنة ، أكثر مما لها أمام الناس فى المحافل ودور العبادة ٠

وحسبنا دليلا على قيام مجتمع للتعصب الدينى فى اسرائيل ، أن بها حزبا دينيا له خطره وكلمته هو حزب مزراحى ٠ ويلعب الحاخامات دورهم السياسى بجانب واجباتهم الدينية ، فى الحكومة ومجتمع المستعمرات وفى التشكيلات العسكرية أيضا ، اذ يرتدى رجل الدين اليهودى زيه فى صفوف المحاربين ٠ وتبدو سيطرة الأفكار الدينية على عقلية المحاربين

الاسرائيليين جلية فى حرصهم على جمع جثث قتلاهم فى المعارك بشتى الطرق ، وتحت كل المخاطر ، عملا بتعاليم الدين الذى يبشر بالبعث اليهودى ، وضرورة الدفن فوق أرض يملكها بنو اسرائيل .

ونحن لو حللنا أعمال العصابات الصهيونية منذ عهد الوصاية البريطانية على فلسطين وأعمال المؤسسات العسكرية لاسرائيل ومنذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٦٧ ، فسنجدها تتسم بميزة الافراط فى العنف ، وتوخى روح الارهاب والتخويف ، بطرق بشعة يأنف منها الضمير الانسانى وتشهد على ذلك مذابح دير ياسين فى أبريل ١٩٤٨ وقبية فى أكتوبر ١٩٥٣ ، وكفر قاسم فى أكتوبر ١٩٥٦ .

والحقيقة أن تصوير السلطة الالهية ، بغير حقيقتها تعتبر صورة قاصرة .

ولننظر الى القرآن الكريم كيف صور ذلك :

« ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش » .

(سورة الأعراف آية ٥٤) .

« ان ربكم الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش » .

(سورة يونس آية ٣) .

« وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء » .

(سورة هود آية ٧) .

«الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش » .

(سورة الفرقان آية ٥٩) .

« الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش » ·

(سورة السجدة آية ٤) ·

لذلك أتت جولات اليهود الأربعة مع العرب ، من خلفية دينية لدى الصهاينة · ومن واقع رد ظلم بين من قبل العرب ·

والحقيقة أن عدم حرص العرب على اعلانها حربا دينية فى أى من هذه الجولات ، ينبع من سماحة نفسية ، مصدرها انصهار الأديان السماوية ، الاسلام والمسيحية ، فى المنطقة عبر آلاف السنين بما أدى الى تعايشها تحت ظلال العدل فوق صعيد واحد · ولقد عبر القرآن الكريم عن ذلك ، أصدق تعبير :

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى · ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » ·

(سورة المائدة آية ٨٢) ·

أصوات ملحدة

فى أعقاب المعركة ، وبعد حدوث الثغرة ، تصاعدت أصوات منكرة بثت أفكارا خشى أصحابها انبعاث الروح الدينية الى منطلق جديد خلقه انتصار الأمة العربية التى جددت تمسكها بدينها ، وأملاه تمجيد الناس لبسالة وشجاعة أبطالنا ·

لقد نادى أصحاب هذه الأصوات بارجاع الأصل فى الانتصارات الى ماديات الاعداد والاستعداد للمعركة وحدهما ، وعدم القول بأن هذه الانتصارات كانت منحة وتأييدا من الله استنادا الى كون الحياة الحديثة ـ فى فكرهم ـ فعلا ورد فعل وحساب النصر فى أى حرب ، أساسه

المهارة فى نطبيق التكنولوجيا الحديثة على ترسانة الأسلحة وأن الفضل فى الانتصارات يجب أن نرجعه الى وفرة السلاح ونوع العتاد ٠

هذه الأصوات المنكرة نعتت كل نسمات الايمان التى تصاعدت مع الانتصارات التى حلقت مع أرواح الشهداء ، نعتتها بأنهـــا جرى وراء التخلف ورجعة الى الوراء مع الجهل والخرافات ٠

والحقيقة أن ولاء هذه الأصوات يتلفع بستار الالحاد وانكار وجود الاله ، زعما بأن العلم الحديث هو دين هذا العصر وديدنه ٠ ولسنا فى حاجة الى الجدل مع هذه العقول الخربة ، فليس هذا مجالنا هنـــا ٠٠ وحسبنا أن شعوب الشرق العربى قد لفظت موجة الالحاد خارج حدودها وأغلقت الباب أمامها الى غير رجعة ٠

ومن هذا الادراك ، أتت هذه الأصوات مفضوحة ، تعلن عن نفسها فالدين أيا كان ، اسلاما كان ، أو مسيحية هو مصدر رعب خطير ، وخطر مزلزل لدى هذه الموجات الالحادية الجوفاء ٠ وحقيقة الأمر ومرده جهـــل أصحاب هذه الأصوات وجهل فلاسفتهم وجهابذتهم عن حقائق يقوم عليها الاسلام الحنيف فى فكره عن الحرب ، واستخدام القوة المسلحة لرد الأعداء. اذ ترتكز هذه الحقائق أول ما ترتكز على أن الاسلام لا يوقر فى روع المسلم التمسك بالغيبيات وخوارق الأمور ، بل ينمى فيه التمســـك بناموس العقل ومنطق الأحداث ٠ وليس أدل على ذلك من تأكيد ومنطق القرآن من أنه لا نتائج بدون عمل :

« ان الله لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم » ٠

(سورة الرعد آية ١١)

والقيام بأى عمل لابد له من اعداد :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » ٠

(سورة الأنفال آية ٦٠)

ان هؤلاء لا يدركون أن الاسلام قد قرر للمسلم أن الله ليس نصير الكسالى ولا المتواكلين ، ولا الضعفاء ولا الخائفين ٠ وأنه دين يحث على

الأخذ بالأسباب وعدم الجرى وراء الحظ ونفحات السماء ، ويترجم أحداث الحياة الى عمل ، وخاصة تلك الأعمال التى لها علاقة بمصير الشـــعوب والحروب بين الأمم . وحسبنا هذه الآيات :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير . وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير » .

(سورة الأنفال آية ٣٩)

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » .

(سورة النساء آية ٧٥)

« واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء أن الله لا يحب الخائنين » .

(سورة الأنفال آية ٥٨)

« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم » .

(سورة النساء آية ٧١)

« يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » .

(سورة التوبة آية ١٢٣)

« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض » .

(سورة محمد آية ٤)

لذلك ندع هؤلاء لأوهامهم . ونقول لهم أن المعركة ســبقها اعداد وتدريب وتجهيز وحشد وتعبئة وجهد اتصال وربط ورباط وعمل متواصل دام أناء الليل وأطراف النهار . فاذا أتى نصر من الله جزاء على هــذا العمل وشئتم أن تحرفوه عندما نذكر الله فى فرحنا ، كشفتم بذلك عن

ولقد فوت الرئيس المؤمن « **محمد أنور السادات** » على أذناب الأعداء ، فرص خلق بذور الشقاق بين المسلمين والمسيحيين التى حاولوها قبيل المعركة . وكان الهمس الذى يدور فى الخفاء بين غلاة المتعصبين من هؤلاء وهؤلاء ، كضباب سرعان ما ينقشع أمام أى القاء وبمجرد بزوغ شمس الحقيقة .

ولم يكن هناك تعبير ابان المعركة ، عن وحدة عنصرى هذه الأمة أبلغ من تنصيب قبطى قائدا لأحد جيشى الأمة **هو اللواء** « **فؤاد عزيز غالى** » قائد الجيش الثانى ، الذى ظل يزاول أعماله بعد المعركة .

لم يكن ذلك مسرحية ، ولا افتعالا ، قصد به تخريص الألسنة وسد الأفواه ، بل كان ردا مفحما على هؤلاء الذين روجوا اشاعة كاذبة أن ضابطا قبطيا ، كان السبب فى حدوث الثغرة . وأتى هذا التقليد لمنصب قيادى ، تعبيرا عن تماسك عنصرى أمة تظلل ضميرها ديانتان سمحتان .

ولعل من أبلغ آثار المعركة ، أن محافظ الاسماعيلية ، وهو يعيد تعمير المدينة ، أبقى من المبانى التى عليها آثار العدوان ، مبنى كنيسة ومسجدا ليظلا مهدمين كما شاء لهما المعتدون .

ووراء ذلك كله أصالة تمتد جذورها فى القبطى والمسلم على السواء ، تجعل الهلال والصليب متعانقين فوق صعيد مصر على الدوام . يعبر عن ذلك تصدى الأقباط فى مصر لمحاولات اسرائيل — على المستوى الدولى — التبرؤ من دم المسيح ، حيث أعلن « **البابا شنودة الثالث** » ازاء هذه المحاولات : « **ان اليهودية كدين قد انتهت بوجود المسيحية** » .

وتصدى أبناء الكنيسة القبطية فى المجامع المسكونية ومحافل الفاتيكان لهذه المحاولات بشجاعة واصرار .



البابا شنودة فى الجبهة



اللواء فؤاد عزيز غالى
قائد الجيش الثـــانى

ان مصر ظلت منذ أكثر من ألف سنة بوتقة ينصهر فيها المسلم والمسيحى ، ليضيئا للبشرية معا ، دون تفرقة · يعبر عن ذلك الشاعر المسلم **فؤاد الخطيب** :

ان العروبة لا يفرق بينها بعد التآلف قبلة أو هيكل
أينا لهم ضيم وبين حقوقهم عيسى المخلص والنبى المرسل

بل لقد كان **أحمد شوقى** أمير الشعراء ، أبعد وضوحا فى التنويه بما بين القبطى والمسلم من رابطة ، فى قصيدته بعنوان (**يا شباب الديار**) التى قال فيها :

انما نحن مسلمين وقبطا أمة وجدت على الأجيال
نحن من طينة الكريم على الله ومن مائه اثقراح الزلال
والى الله من مشى بصليب فى يديه ، ومن مشى بهلال

أو فى قصيدته بعنوان (**الهلال والصليب**) التى قال فيها :

جبريل أنت هدى السماء وأنت برهان العناية
أبسط جناحيك اللذين هما الطهارة والهداية
وزد (الهلال) من الكرامة و (الصليب) من الرعاية

وستظل أبيات شوقى هذه وأمثاله ، على الدهر ، نواقيس تذكر المصريين فى كل محنة بأصالة المصرى ، مسلما كان أو قبطيا ·

وهذا ما أشارت اليه ورقة أكتوبر عن الوحدة الوطنية بقولها :

« وليس أدل على هذه الخصائص ذات الجذور العميقة من أن هذا الشعب كان يمر بالأحداث والتغيرات العميقة ، محتفظا بدرجة نادرة من الوحدة الوطنية والانسجام القومى ، مازالت مضرب الأمثال فى العالم »

ولقد كان قمة مظاهر هذا التعانق قيام البابا شنودة الثالث بطريك الكرازة المرقصية بزيارة الجبهة قبيل المعركة وفى أعقابها · وفى حديثه للضباط والجنود كان يكرر فخره بكونه ضابطا احتياطيا سابقا

وفى زيارته لمدينة (السويس) كرر فخره بكون كنيسة المدينة ظلت ابان المعركة مقرا لادارة العمليات · وخلف قداسته وهو يؤدى الصلاة كان أحد الشمامسة ضابطا قبطيا يحمل رتبة الرائد ·

ان دماء الشهداء التى زكت بها رمال سيناء ، لم تفرق بين مسلم ومسيحى ، وشرف وكرامة مصر ، كانا معلقين فى عنق هذا وذاك ٠

وليس هذا بدعة فى أهل مصر ، الذين مازالوا يفسحون صدورهم لمحافل اليهود فوق صعيد الوادى ٠ يؤدون فيها صلواتهم آمنين ٠ ورغم أن اليهود فى مصر بضعة آلاف ، فهم مازالوا يتمتعون بحقوقهم كمواطنين مصريين ٠

القيم الروحية فى ورقة أكتوبر

لم تغفل ورقة أكتوبر أهمية الطاقات الروحية فى حياة الانسان المصرى المقبل على مستقبل عريض بعد أن سادته روح أكتوبر العظيم ٠

وأشارت الى أن من أبرز صفات الشعب المصرى « تمسكه دائما بالايمان ، واعتزازه بالأصالة » ٠

ألم يكن هذا الايمان هو الذى جعله يتصدى لفريزر وغزوته ، ولنابليون وحملته ، ولسيمور ومدافع اسطوله ؟ وأنه بهذا الايمان صبر ، وتجلد حتى حطم أسطورة ديان وأضحوكة بارليف ٠

ولعل ورقة أكتوبر تشير الى مفهوم جديد للانسان اليوم ، بريقا عن التعصب متبرئا من الشوائب ، متطهرا من كل ما علق به فى عصور الاضمحلال من خرافات ٠ ولذلك يمكن أن نخرج بمعانى الايمان فى ضوء العقل الى آفاق أوسع ، اعتمادا على تجديد حببه فقهاء الاسلام للتصرف فى شئون الدنيا وفقا لظروف تغيرها ٠ وهذا لن يمس أصالة الدين فى جوهره ، ولن يطمس هوية حضارتنا الدينية فى شىء ، بل يمكن أن يثرى تجاربنا فى ضوء العقل ، وبنور اخضاع أمورنا للتجربة والنقد ٠ فيجعلنا أكثر قدرة على تجديد أنفسنا ، وأكثر تمسكا بأصالة منبعنا ٠

ومن ثم فقد ركزت ورقة أكتوبر على رفض اتهام كل تجديد بأنه رجعة للوراء ، أو كل نظرة الى الماضى بأنها خطوة رجعية الى الخلف ، فتوضح بذلك انعدام الحواجز بين التمسك بالأصالة والانطلاق الى التجديد ٠

« نحن نرفض أن تكون الأصالة نظرة الى الوراء تقوض الماضى لأنه انقضى ، ونرفض التجديد ٠ فليس كل ما كان فى الماضى مشرقا ، ولكن

فيه بعض التخلف • ونحن نرفض من جهة أخرى أن نمسخ شخصيتنا القومية باسم محاكاة المظاهر المادية أو السلوكية لمجتمعات أخرى » •

وتركز ورقة أكتوبر على عدم تعلق الانسان المصرى بمظاهر المادية الخادعة المنسلخة عن قيمها الروحية ، جريا وراء متع حياة زائفة • وتؤكد أن حياة بلا ايمان كجسد بلا روح • وحسبنا أن موجة القلق لدى الشباب الذى انفلت عيار القيم لديه مع نداء التحلل باسم « الهيبيز » لم تكن الا ثمرة الانفلات وراء سراب المتعة الخالصة من أى التزام • وكانت هذه الموجة تعبيرا عن القلق الذى يمكن أن يحيط بنفسية انسلخت من كل معايير الايمان •

لكنها أخيرا لم تجد لها مستقرا ، ولا مرفأ أمان الا أن تعود الى بر الأمان ، فانحسر تيارها الى ركب الايمان من جديد •

وعن التمسك بالقيم الروحية ورد فى الورقة :

« اننا لابد أن نتمسك بقيمنا الروحية والأخلاق فى مواجهة موجة الاستمتاع المادى التى تعرفها مجتمعات الاستهلاك الغنية لأن تلك القيم هى من السمات الأصيلة لحضارتنا • ولأن الحضارات التى تجاهلتها تعرف الشقاء النفسى وسط الوفرة المادية » •

ولعل أروع ما ورد فى ورقة أكتوبر « **وضع كسوة الايمان فوق كيان الاشتراكية تبرئة لها من شبهة التبعية للاشتراكية الملحدة** » •

ان الاشتراكية ليست حكرا على روسيا ، بل سبق بها الاسلام هؤلاء الذين يتشدقون بعدالتها اليوم ، وتخطئهم الوسيلة فى تطبيقهـــا على أنفسهم قبل غيرهم ، ويخطئهم النجاح فى وضعها موضع التنفيذ •

« اننا يجب أن نفهم الاشتراكية بالعقل وبالقـــلب معا • ولذلك لا يجب أن ننقطع عن التفكير فى جماهيرنا الأكثر حرمانا • وفى وسائل توفير أكرم سبل العيش والأمان والتقدم لها • فالأمم تقاس بمســتوى قاعدتها العريضة لا بمستوى قممها الضيقة » •

الباب الثالث

التحول الأمريكي ووقف اطلاق النار

وقفة الحياد المصرية

هل كان يمكن أن يتحقق أى نوع من التحول ، على أى مستوى ، فى سياسة الولايات المتحدة ازاء مصر بالذات ، كمركز للكفاح العربى فى أزمة الشرق الأوسط ؟

ان استرجاع ما كان بين مصر وأمريكا الى الذهن منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، خليق بالقاء ما يكفى من الضوء على صورة ما كان يسود العلاقات بين الدولتين ، منذ ذلك التاريخ ، من نزاع حاد وضع تحول أمريكا عنه فى مرتبة الاستحالة • ويكفى فى هذا الصدد استعراض أبرز معالم هذه الصورة ، مع التجاوز عما شابها من مؤامرات وتحريض وضغوط مباشرة أو غير مباشرة كانت تلطخ وجه الصورة بين الحين والحين •

فى الثامن والعشرين من ديسمبر ١٩٥٥ استقبل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر سفير أمريكا فى مصر ، المستر هنرى بايرود ، ليسمع منه قرار أمريكا بالمساهمة فى بناء السد العالى بشروط ترتب على رفض مصر لهـا بعد دراستها أن اكتشفت أمريكا ، فى يوليو ١٩٥٦ ، أن مصر بحصولها على صفقة الأسلحة التشيكية مقابل القطن المصرى يجعل من الوفاء بالتزاماتها ازاء المشروع أمرا مشكوكا فيه • ولم يكن هذا بمستغرب ، فقد كان معروفا ان سياسة الولايات المتحدة ازاء النظام الثورى فى مصر ، بصفة عامة ومنذ قيامه ، تتركز فى اسقاط هـذا النظام أو ارغامه على الركوع • وكان سحب العرض الأمريكى بالطريقة التى أعلن بها جون فوستردالاس ، وزير الخارجية الأمريكية فى ذلك الوقت ، قرار سحب العرض ، تطبيقا عمليا لهذه السياسة •

ولقد يقال أنه لم تكد تمضى أسابيع قليلة على هذا الاجراء العنيف حتى كان نفس جون فوستر دالاس ، فى أكتوبر ١٩٥٦ ، يقود بنفسه حملة ادانـة العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيـلى على مصر • ولكن الأسباب الكامنة وراء هذه الادانة كانت تمليها مصالح أمريكا وسياستها ازاء الشرق الأوسط ، وفى مقدمة هذه الأسباب أن حلفاء أمريكا أخفوا عنها خطتهم لغزو مصر ، وأنهم نسوا فيما أقدموا عليه أنهم يعتمدون فى حمايتهم على مظلة نووية أمريكية ، وأنهم اختاروا توقيتا (سخيفا) فى

رأى الرئيس الأمريكي ايزنهاور لأن الانتخابات الأمريكية كانت على الأبواب ، ولأنه كان قد رشح نفسه للبقاء فى البيت الأبيض ببرنامج انتخابى أساسه السلام ٠

فاذا أعوزنا البرهان على أن أمريكا لم تكن تجرى فى تصرفاتها الا وراءمصالحها الخاصة ، لكفى أن نذكر أن العدوان الثلاثى ما كاد ينقشع غباره حتى تقدمت أمريكا بمشروع ايزنهاور لملء الفراغ فى المنطقة بحجة صيانة أمنها واستقلالها وانقاذها من الشيوعية الدولية ، فى حين كان الواضح ان المشروع لا يعدو تدخلا مقنعا فى شئون الشرق الأوسط عامة والعالم العربى بوجه خاص ٠ حتى اذا ما تصدت مصر للمشروع جن جنون أمريكا ، ودفعهـا الغيظ والحقـد الى حبك سلسلة المؤامرات والضغوط والعدوان غير المباشر ، والتى شملت ما أطلق عليه دالاس اسم سياسة حافة الحرب ، والضغط على الدول لاغلاق أسواقها فى وجه المحاصيل المصرية ، ومحاولات تطويق مصر بحلف بغداد ، ووقف امداد مصر بمعونات القمح بأمل تجويع شعبها ، وغمر اسرائيل بالأسلحة التى أمدها بها جونسون بعد توليه الرئاسة الأمريكية ، ثم مساندة العدوان الاسرائيلى الغادر على مصر فى يونية ١٩٦٧ ، مما حدا بمصر الى قطع علاقاتها مع أمريكا ٠

ونعود الى سؤالنا السابق وهو (هل كان يمكن أن يتحقق أى نوع من التحول الأمريكى ، على أى مستوى ، فى سياسة الولايات المتحدة التى اتبعتها ازاء مصر ؟) ٠

والجواب ، رغم كل شيء ، هو (نعم) ٠ ولسوف نؤمن بهذا الرأى ، حتى قبل أن نستعرض فى هذا الفصل من الكتاب البرهان القاطع عليه ، لو أننا عدنا بالذاكرة الى ما أثبته تاريخ العلاقات الدولية من أن السياسة الخارجية لأية دولة ، ما هى الا تعبير عن استجابات واستغلال للظروف والملابسات الدولية ، الدائمة منها أو الطارئة على السواء ٠

ولقد يتبادر الى الذهن ، مسبقا وعلى أساس من التحول الأمريكى الذى نلمسه اليوم فى العلاقات بين أمريكا من جهة وبين كل من مصر واسرائيل من جهة أخرى ، أن هذا التحول الذى يجرى لصالح مصر لا يعدو تحولا خلقته ظروف طارئة لا تلبث أن تتبخر ، فتعود بتبخرها الأوضاع الى ما كانت عليه ٠ ولكن لا شك أنه من حقنا فى نفس الوقت أن ننظر الى المساندة الأمريكية السابقة والمطلقة لاسرائيل باعتبار أنها كانت بنت ظروف طارئة عفت عليها الأحداث ، وأن تيار التحول الأمريكى المتدفق حاليا هو عودة من ثم بالأوضـاع الى مجراها الصحيح الذى يتفق وطبائع الأشياء والذى يجب أن يستقر فيه ٠

ومهما يكن من أمر ، فالجواب الشافى هو بالقطع أنه لا يوجد فى السياسة الدولية ، ولا حتى فى غيرها من العلاقات الانسانية . ما يعتبر (مكتوبا أبديا) لا حول عنه · بمعنى أن كل شىء فى هذه العلاقات عبارة عن حركة وتحول لا يتوقعــان ، وأن التغيير يحدث اذا تغيرت المواقف والظروف فتغيرت بتغيرها العلاقات ·

لقد كان لأمريكا فى الشرق الأوسط مجموعة من الأهداف الدائمة قامت عليها العلاقات بينها وبين دول الشرق الأوسط ·

كانت هناك أولا حماية وضمان أمن اسرائيل بتأثير من قوى الضغط الصهيونى داخل اسرائيل وخارجها ، وثانيا ضمان الحصول على البترول العربى واستمرار تدفقه بسعر معقول الى أمريكا وحلفائها ، وثالثا عدم افساح موضع قدم للاتحاد السوفييتى داخل المنطقة العربية بأمل استكمال حلقات الحزام النووى الذى تسعى أمريكا لتطويق الكتلة الشرقية به ، ورابعا استعادة النفوذ الأمريكى فى المنطقة وجعله النفوذ الأوحد فيها دون منازع ، وخامسا الحيلولة دون قيام قوة عربية كبرى فى الشرق الأوسط بما فى ذلك حجب الدور المصرى الطبيعى فى تجميع هذه القوة ·

ولم يكن بالمستساغ ، ولا هو حتى بالمتيسر ، أن تصون أمريكا بنفسها أهدافها فى الشرق الأوسط ، وهى على بعد آلاف الأميال منه ، الا اذا أقدمت على احتلال المنطقة واستعمارها على نحو ما كان سائدا قبل صحوة الأمم الصغرى التى أيقظتها ثورة مصر فهبت تطلب استقلالها وتحصل عليه·

وفى نفس الوقت ، فشلت كل مساعى أمريكا فى تحقيق لون من الاستعمار المقنع باسم ملء الفراغ أو اقامة الأحلاف أو شراء الحرية أو تقديم المعونات المشروطة ، الا فى القليل النادر وعلى نحو لم يحقق آثارا يعتد بها ·

وكان الحل الوحيد ، ولعله واحد من أسباب قيام اسرائيل ، ان تقف أمريكا بكل ثقلها وراء اسرائيل ، ترعاها وتضمن أمنها وتمدها فى سخاء بقوام حياتها ، من المدفع الى رغيف الخبز ــ كما قال الرئيس محمد أنور السادات فى أكثر من مناسبة ــ كى تتخذ منها العصا الغليظة التى تحفظ بضرباتها المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط ، بعد أن برهنت اسرائيل على صلاحيتها لهذا الدور فى حروب ثلاثة لم تجد العسكرية المصرية خلالها فرصتها للقتال ·

وظل الوضع كذلك الى أن حدث التحول الأمريكى الذى نفرد له هذا الفصل . ونحن لن يجافينا التوفيق لو قررنا أن التحول الأمريكى ، من حيث النظرة الى قضية الشرق الأوسط عامة ، لم ينشأ من فراغ أو كان ابن نزوة طارئة لا يساندها واقع . اذ على العكس تماما ، كان التحول الأمريكى نتيجة منطقية لمقدمات يمكن ردها الى أزمات أربع أخذت برقبة الولايات المتحدة ، حكومة وشعبا ، وترتبت كلها على معطيات السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ . وتلك كانت :

- أزمة هزيمة اسرائيل عسكريا .
- أزمة الوفاق الأمريكى السوفييتى .
- أزمة الرأى العام الأمريكى .
- أزمة حلف الأطلنطى التى ترتب عليها تحول أوروبا عن أمريكا الى العرب .

ومع استبعاد الأزمة الأخيرة للتنويه عنها ضمن الحديث عن معركة البترول ، يمكن اجمال الأزمات الثلاث الأولى ، كأسباب للتحول الأمريكى ، على النحو التالى :

أولا :

أزمة هزيمة اسرائيل عسكريا

فى الساعة الثانية من بعد ظهر السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ انطلقت الشرارة ، وبدأت عجلة القتال دورانها اللاهث المظفر . ولعله من حقنا أن نستعيد أمجاد ما حدث وألا نمل استذكارها . فتحت ستار من نيران المدفعية ، وفى حماية مظلة من القوات الجوية الضاربة ، عبر المشاة المصريون فى زوارق المطاط قناتهم ليكتسحوا المراكز الاسرائيلية المسيطرة على النقاط التى اختيرت لاقامة جسور العبور .

ووراء المشاة اندفع المهندسون مزودين بآخر طراز من جسور الأطواف العائمة لمدها عبر القناة بمعدل خمسة عشر قدما فى الدقيقة ، وبما يكفل اقامة الجسر فى ربع ساعة أو أقل .

ثم تدفقت فرق مدافع الماء ، الابتكار المصرى والأول من نوعه فى تاريخ الحروب ، لفتح الثغرات فى استحكامات خط بارليف ، بما يتيح لدباباتنا شق طريقها الى قلب سيناء . وقبل أن تتمكن المدرعات الاسرائيلية من قطع

المسافة من تلال سيناء الى حيث يمكنها التدخل فى عملية العبور . كانت دباباتنا قد عبرت جسورها فعلا وانتشرت فى شرق القناة لاقامة رءوس الجسور .

وحاول من بقوا على قيد الحياة من حامية خط بارليف تنفيذ الاوامر التى صدرت بانسحابهم الى استحكامات الدفاع الاسرائيلية ، على مسافة ثلاثين ميلا الى الوراء ، ولكن الوقت لم يسعفهم قبل أن تسحقهم الدبابات المصرية .

وفى أوائل فترة ما بعد الظهر فى الشرق الأوسط ، التى توافق الفجر على الشاطىء الشرقى لأمريكا ، أو قظ هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية من نومه فى الجناح الذى كان يشغله بفندق بلازا فى نيويورك . وعندما تلقى أنباء العبور كان من الواضح أنه لا يملك معجزة دبلوماسية يواجه بها الموقف . وكان كل ما استطاعه هو الاتصال فى ذلك الصباح الباكر بكل من وزيرى خارجية مصر واسرائيل ، وباناتولى دوبرينين سفير الاتحاد السوفييتى فى واشنطن ، ثم الاتصال بالرئيس الأمريكى نيكسون لابلاغه النبأ الذى لم يكن أحد فى الولايات المتحدة ، بل ولا فى العالم بأسره على استعداد لمجرد الظن أنه قد يحدث يوما .

وكان أول قرار اتخذه نيكسون هو اصدار تعليماته الى وزير خارجيته بأن يطلب عقد اجتماع مجلس الأمن لمناقشة القتال الدائر واصدار قرار بوقف اطلاق النار . وفى نفس الوقت أصدر البيت الأبيض بيانا مؤداه (أن وزير الخارجية ، بناء على توجيهات الرئيس الأمريكى ، قد أجرى مشاورات دبلوماسية واسعة النطاق منذ لحظة بدء القتال لرفع الأمر الى الأمم المتحدة ولطلب عقد مجلس الأمن) .

كان ما يخشاه نيكسون هو أن تنضم دول عربية أخرى الى القتال وأن تنتشر العمليات الحربية على نحو يصعب بعده لم شعثها ، وأن تنتهى بتدمير اسرائيل وازالتها من فوق خريطة الشرق الأوسط .

وكان واضحا أن الولايات المتحدة تتحدث من مركز القوة الذى اعتادت اطلاق دعواتها الى العالم من فوق منبره ، ولكن عاملا جديدا لم يكن فى الحسبان انزل بمنبرها أولى الشروخ التى حاقت بـه ، والتى تصاعدت بتصاعد انتصارات القوات المصرية الباسلة وتقدمها الوطيد داخل سيناء ، وعلى كل الجبهات ، مكتسحة أمامها فلول جيش اسرائيل . وكان هذا الشرخ يتمثل فى البيان الذى أصدرته حكومة الاتحاد السوفييتى ،

والذى حمل اسرائيل نتائج عدوانها المتكرر على الدول العربية ، فى لهجة قاطعة كانت تساندها هذه المرة انتصارات مصر ٠

قال البيان (ان مسئولية تطور الأحداث الراهنة فى الشرق الأوسط وعواقبها تقع كلها على اسرائيل وعلى الدوائر الرجعية الخارجية التى تشجع اسرائيل دائما فى أطماعها العدوانية) ٠

وقال : (من المعروف أن الدول العربية قد أظهرت قدرا هائلا من ضبط النفس والاستعداد للسعى الى تسوية سياسية للنزاع على أسس عادلة ٠ ولكن جهود الدول العربية ، وجهود الأمم المتحدة وجميع القوة المحبة للسلام فى سبيل التوصل الى سلام دائم وعادل فى الشرق الأوسط ، قد اصطدمت بموقف العرقلة الذى أصرت اسرائيل على انتهاجه ٠ والأحداث الراهنة فىالشرق الأوسط هى نتيجة مباشرة لاستمرار العدوان الاسرائيلى) ٠

ثم أكد البيان (ان الاتحاد السوفييتى اخلاصا منه لسياسته القائمة على مبدأ تأييد الشعوب الساعية الى الحرية والاستقلال ، يلتزم بموقفه كصديق يوثق به للدول العربية ٠ وأن الاتحاد السوفييتى ، وهو يدين السياسة التوسعية الاسرائيلية ، يؤيد بكل تصميم المطالب الشرعية للدول العربية ، بانسحاب اسرائيل من جميع الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧) ٠

وكانت هذه الفقرة الاخيرة من البيان السوفيتى ، المطالبة بانسحاب اسرائيل من جميع الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧ ، بمثابة الضربة الأولى التى نزلت بالايديولوجية الأمريكية نحو الشرق الأوسط ، والتى جعلتها تبادر بجس النبض الدولى استطلاعا للنوايا ٠ وعلى طول ساعات السابع من أكتوبر ، لم تسفر الاتصالات التى أجرتها عن نتيجة مشجعة ليس فقط فى وجود من يؤازر اتجاهاتها من بين الدول بل وأيضا ، وهو ما أنزل بالعقلية الأمريكية صدمة أى صدمة ، فى وجود العدد الكافى من الدول التى ترى ضرورة فى مجرد عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن ٠

رفض الاتحاد السوفييتى ورفضت الصين الشعبية ، فى صراحة تامة ، أن يصدر المجلس نداء الى أطراف النزاع بوقف اطلاق النار ٠ ورفض كورت فالدهايم ، السكرتير العالم للأمم المتحدة ، أن يصدر نداء عاما واكتفى بدل ذلك بحث وفود الدول المتحاربة على أن تنصح حكوماتها بضبط النفس ٠

وساد الأمم المتحدة شعور بأن أغلبية أعضاء المجلس الدائمين وغير الدائمين ينتظرون معرفة ما سيكون عليه الموقف العسكرى والاستراتيجى على مسرح العمليات الحربية ٠

وجن جنون الولايات المتحدة . فقد كانت التقارير كلها تنص على أن جيش مصر يشق خطوط اسرائيل كما يشق سكين ساخن قطعة من الزبد ، وتوحى بأن الموقف العسكرى والاستراتيجى من ثم سوف يؤثر بشدة على مواقف هذه الدول بشأن دعوة مجلس الأمن الى الانعقاد .

ومضت أمريكا تهدد البعض وتتوسل الى البعض الآخر . واذا كانت الدول الأعضاء قد وافقت على أن ينعقد المجلس فى التاسعة والنصف (بتوقيت القاهرة) من مساء الثامن من أكتوبر ، فقد تأخرت الجلسة عن موعدها الى ما بعد منتصف الليل بدقائق بسبب المشاورات حول معالجة الموقف .

وبمنطق القوة الأمريكية الذى ألفته الولايات المتحدة ، والذى بدأت تهزه بشدة ضربات القوات المسلحة المصرية ، افتتح جون سكالى مندوب الولايات المتحدة الجلسة بمطالبة مصر واسرائيل (بوقف عملياتهما العسكرية ، وبالعودة الى مواقعهما قبل اندلاع العمليات العسكرية) .

ومن فوق منبر القوة المصرية الذى شيده قرار السادات بخوض القتال ، والذى بدأت تسانده بشدة نفس ضربات القوات المسلحة المصرية ، لم يرد الدكتور محمد حسن الزيات مندوب مصر على المندوب الأمريكى ، وعبر بدل ذلك عن وجهة نظره بقوله (ان الذى يجب أن تطالب به الولايات المتحدة هو العودة الى مواقع ما قبل اندلاع معارك يونيه ١٩٦٧ . أما اذا كانت أمريكا تعنى دعوتنا الى اعطاء جزء من بلادنا الى المحتل ، فاننى لا أستطيع أن أفهم ذلك ، ولن أرد عليه) .

ووقف جاكوب ماليك مندوب الاتحاد السوفييتى ليعلن (أن المجلس لا يستطيع اصدار قرار جديد فى الظروف الراهنة ما دامت اسرائيل لم تتعهد بوضوح بالجلاء عن الأراضى العربية المحتلة) .

ووقف هوانج هوا مندوب الصين الشعبية ليعلن (أن القرار الوحيد الذى يجب أن يتخذه المجلس هو قرار بادانة اسرائيل ، وأمرها بالجلاء عن كل الأراضى العربية المحتلة ، بعد أن كسر العرب حالة اللاحرب واللاسلم ، مما يعكس صحوة جديدة للدول العربية والشعب الفلسطينى) .

ويمثل هذه القرارات عبرت خمس دول أخرى عن وقوفها ضد آمال اسرائيل ومساعى الولايات المتحدة ، هى غينيا والهند وكينيا والسودان ويوغوسلافيا .

وبما يجرى هذا المجرى قررت فرنسا انها ستعمل على الاحتفاظ بموقف متوازن في كل المناقشات .

ثمان من دول مجلس الأمن الاحدى عشرة أدارت ظهورها للولايات المتحدة . وكانت النتيجة أن أرجأ مجلس الأمن جلسته الى أجل غير مسمى .

وذاقت الولايات المتحدة مرارة الفشل ، ولعل هذا الموقف العالمى كان الدافع الأول لما اتجهت اليه من اعادة حساباتها ، وان لم تتوقف طوال ما بقى من الأسبوع الأول من القتال عن سعيها عبثا لاستصدار قرار من مجلس الأمن بوقف القتال .

وفى خلال هذا الأسبوع الأول قدمت الانتصارات المصرية المتوالية الكثير من معطيات حسابات الولايات المتحدة .

رأت أمريكا أن استخدام مصر واسرائيل لمثل هذه الأعداد الكبيرة من الدبابات التى اشتبكت فى الصراع ، على جبهة صغيرة نسبيا ، ومن جانب دولتين صغيرتين ، يعتبر حدثا لم يسبق له مثيـــل فى التاريخ العسكرى ، بما فى ذلك القتال الذى خاضته الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى وبريطانيا وألمانيا فى الحرب العالمية الثانية .

ورأت أن طيران اسرائيل الذى طالما هددت به العالم العربى من أقصاه الى أدناه ، قد أصيب بضربة قاصمة على يد فتيان مصر البواسل الذين أقسموا أن لا يعود الواحد منهم الى قاعدته الا بعد نصر يثبت به وجوده ، أو استشهاد يسدد به بعض ما فى عنقه لوطنه .

ورأت أن معارك الدبابات التى أدارتها مصر فوق تراب سيناء قد فاقت أكبر معارك الدبابات فى الحرب العالمية الثانية ، وأن مصر قد خاضت باقتدار قتالا ضاريا لم تعرفه الحرب العالمية الثانيــة نفسهــا فى أخطر مراحلهــا .

ورأت أن الضربات التى نزلت باسرائيل لم تقتصر على جهد المدرعات والطيران . بعدما صرح به الجنرال كالمان الاسرائيلى فى ١٣ أكتوبر ٧٣ من (ان القوات المصرية الخاصة تدخل سيناء من كل مكان ومن كل اتجاه وبكل الوسائل ، بطائرات الهليكوبتر والقوارب وسيرا على الأقدام ، لتقاتل بشراسة وهى مسلحة بأحدث الأسلحة) .

ورأت أن وفاق القمة الذى اتجه الى تجميد الموقف عند حالة اللاسلم واللاحرب ، لم يعق مسيرة مصر صوب غايتها عندما قررت توجيه شئونها بارادتها الوطنية وحدها .

ورأت أن اسرائيل بجيشها الذى لا يقهر ، وطيرانها الذى دللته باسم الذراع الطويلة ، وخطها الحصين الذى أنفق عليه بارليف ٣٨٠ مليون دولار، لا تعدوجميعا سوى أساطير صنعتها الدعاية البارعة .

ورأت أن الجندى المصرى فى حقيقته عملاق بغير غرور ، صبور بغير استسلام ، عبقرى حرب بغير نزعة من أى نوع الى العدوان ، طالب سلام لا يفكر فى السلامة .

ومن هنا كانت معطيات الأسبوع الأول من القتال لا تبشر بخير . وتحولت جهود الولايات المتحدة الى مسعى واحد ، هو وقف القتال بأسرع ما يمكن والا ضاعت اسرائيل لو سارت مجريات الحرب على ما هى سائرة عليه . وبدأ هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة يعمل بمعدل عشرين ساعة يوميا فى البحث عن أية وسائل تنهى المذبحة الدائرة . وفى مقدمة نشاطه بالطبع يكفل تهبيط القتال والابطاء فى سرعة دوران عجلته اللاهثة .

ولكى يهىء لجو مفاوضاته مع السوفييت ، طلب من قيادات مجلس النواب تأجيل الاقتراع الذى كان المفروض أن يجرى على مشروع قانون التجارة الخارجية ، خشية ادخال تعديلات قد تثير الحكومة السوفييتية فتفسد محادثاته الدبلوماسية معها . ولقد تأجل الاقتراع فعلا من ١٧ الى ٢٥ أكتوبر .

جسر من الامداد العسكرى لاسرائيل

والى جانب جهود وزارة الخارجية الأمريكية لوقف القتال ، بدأت جهود وزارة الدفاع الأمريكية فى محاولة الابقاء على اسرائيل فوق قدميها الى أن يتم التوصل الى الحل المنشود لوقف القتال . فبعد أن قدرت مخابرات الولايات المتحدة أن ما تبقى فى يد اسرائيل من السلاح ، بعد هذا الأسبوع الأول من القتال ، لا يكفى لغير أسبوعين آخرين اذا استمر القتال البرى والجوى بنفس القوة التى جرى عليها ، أوصت فى الثانى عشر من أكتوبر بحتمية تعويض بعض الخسائر العالية التى تكبدتها اسرائيل وخصوصا فى الطائرات والدبابات ، بامدادات مما تحت يد الجيش الأمريكى سواء فى داخل الولايات المتحدة أو فى أوروبا أو مناطق أخرى من العالم .

وبدأت عجلة الامداد الموصى به دورانها الفورى عن طريق ما عرف باسم جسر الامداد العسكرى لاسرائيل · وأعلنت المصـــادر العسكرية الأمريكية فى صراحة أن الولايات المتحدة فى سباق مع الزمن لتعويض اسرائيل عن خسائرها الجسيمة والمتصاعدة على نحو مفزع ، وأن الأولوية فى هذه التعويضات تعطى بصفة خاصة لطائرات الفانتوم ، وصواريخ شرايك (جو / أرض) المضـادة لشـبكات الرادار بالذات ، والدبابات (م ـ ٦٠) التى تعتبر أحـدث وأثقل الدبابات فى ترسـانة الأسلحة الأمريكية ·

بيد أن ما حدث كان مذهلا من وجهة النظر الأمريكية ، فعلى الرغم من هذا الامداد لم يطرأ على الموقف تغيير يذكر · وحتى السابع عشر من أكتوبر ارتفعت خسائر اسرائيل الى مائة طائرة فانتوم و ٥٠ طائرة سكاى هوك مع عديد من أنواع الطائرات الأخرى · اما الجدير بالذكر ، فهو أن دوائر وزارة الدفاع الأمريكية امتنعت عن تحديد جنسية الطيارين الذين تولوا قيادة طائرات النجدات الجوية الى اسرائيل والذين ذهبوا ولم يعودوا · كما اكتفت بالتنويه بأن معدل ارسال شحنات الأسلحة والذخائر لاسرائيل تتراوح ما بين سبعمائة وثمانمائة طن يوميا ·

وفى مصر ، ابتداء من الساعة الثانية ظهر الثامن عشر من أكتوبر ، بدأت تظهر فى سماء المعركة طائرات من طراز فانتوم لم تجد اسرائيل الوقت الكافى لتمويهها وطلائها بلون سلاح الطيران الاسرائيلى ، وبدا جليا أن الطيارين الذين يعملون عليها يبلغون مستوى رفيعا فى الأداء · وفى نفس الوقت استولت قواتنا البرية على دبابات من طراز (م ـ ٦٠) ، تراوحت قراءات عداداتها جميعا بين ١٣٠ و ٦٥٠ كيلو مترا ، مما أثبت أنها كانت تصل الى ميناء ومطار العريش لتتجه منهما مباشرة الى ميدان القتال ·

حتى اذا ما لم تظهر أى بادرة تبشر بأن الامدادات الأمريكية ستلعب دورا مؤثرا ، تقدم نيكسون ، فى التاسع عشر من أكتوبر ، بطلب الى الكونجرس يناشده فيه الموافقة على اعتماد جديد لبرنامج ضـخم من المساعدات العسكرية لاسرائيل ، يصل فى مجموعه الى ٢٢٠٠ مليون دولار ·

قال نيكسون فى رسالته الى الكونجرس أن هذه الاعتمادات سوف تعطيه المرونة الكافية للوفاء بالتزامات أمريكا فى الشرق الأوسط والاحتفاظ بتوازن فى المنطقة ، ذلك التوازن الذى يعنى أن يفوق ما تملكه اسرائيل وحدها من السلاح كل ما تملكه الدول العربية مجتمعة ·

وقال أن نفقات تعويض اسرائيل فى السلاح والعتاد (عالية جدا) وأن الحكومة الأمريكية تكلفت ما قيمته ٨٢٥ مليون دولار من الأسلحة والعتاد لاسرائيل خلال الاثنى عشر يوما الأولى فقط من بدء القتال) .

وقال ان شحنات العتاد الأمريكى لاسرائيل تضمنت كميات كبيرة من الذخيرة ، والصواريخ (جو / جو) و (جو / أرض) ، والمدفعية الثقيلة والأجهزة الحربية للطائرات المقاتلة ، كما تضمنت امدادات لتعويض الخسائر فى الدبابات والطائرات وغيرها من المعدات .

وقال ان اسرائيل كانت تسدد ثمن الشحنات العسكرية السابقة نقدا أو قروضا طويلة الأجل ، ولكن حجم المعارك الأخيرة أرهق امكانيات اسرائيل المالية ، كما أن اتساع الصراع خلق احتياجات تتجاوز قدرة اسرائيل على تسوية مشترياتها من أمريكا وأصبح ضروريا تزويدها بالمعدات بالمجان .

وقال أن الحكومة الأمريكية تبذل كل جهد ممكن لانقاذ اسرائيل بوضع نهاية مشرفة وسريعة للقتال خلال أيام ، ولكن الأمر يحتاج الى تخطيط حكيم لاحتمال استمرار القتال لمدى أطول .

هذه البيانات التى ضمنها الرئيس الأمريكى رسالته الى الكونجرس ، تعتبر اعترافات صريحة أولا بمدى ما وصلت اليه اسرائيل وما هو فى انتظارها على أيدى فتيان مصر فى البر والبحر والجو ، وثانيا ببعض الحقائق عن جسر الامداد الجوى الى اسرائيل حتى التاسع عشر من أكتوبر .

وحتى التاسع عشر من أكتوبر أيضا كان التشريع الذى تقدم به نيكسون قد بلغ فى حجمه ضعف ما حصلت عليه اسرائيل من أمريكا خلال الربع قرن من تاريخها ، كما اعترف المتحدثون باسم وزارة الدفاع الأمريكية ، ضمن ما أدلوا به من اعترافات أخرى ، تثبت أن مصر كانت تحارب اسرائيل ومعها أمريكا اعتبارا من اليوم الثالث أو الرابع من بدء القتال .

وعلى سبيل المثال ، اعترف الجنرال دانيل جيمس بأن الحكومة الأمريكية سبق أن استدعت بعض قوات الاحتياطى من سلاح الطيران للاشتراك فى الجسر الجوى بين واشنطن واسرائيل وأن (عددا محددا) من القوات الجوية الأمريكية العاملة موجود حاليا فى اسرائيل ، كما توجد مجموعة من أطقم الخدمة الأرضية الأمريكية فى مطار تل أبيب للاسهام فى سرعة تفريغ شحنات المعدات العسكرية التى بلغت ٣٥٠٠ طن حتى ذلك التاريخ — واعترف بأنه من بين كل مائة طائرة فقدتها اسرائيل منذ

بداية المعارك رغم الدعم الأمريكى بالطيارين ، أسقطت على الأقل ٢٤ طائرة من طراز فانتوم ، وانه لهذا السبب كانت أمريكا ترسل الطائرات طراز فانتوم وسكاى هوك بمعدل ٢٠ طائرة يوميا ٠ وبأن عملاء اسرائيل فى أمريكا يدفعون للطيار الأمريكى خمسة آلاف دولار فى الشهر لقيادة المقاتلات ٠

وعن جسر الامداد العسكرى الأمريكى لاسرائيل ، تتب فوق رؤوس الأيام لنستمع الى كنيث كينيج ، سفير أمريكا فى اسرائيل ، وهو يقرر ضمن محاضراته التى ألقاها فى السادس عشر من نوفمبر ان السلاح الذى نقل الى اسرائيل عن طريق الجسر الجوى الأمريكى بلغ وزنه أكثر من ٢٧ ألف طن خلال ٥٦٠ رحلة بالطائرات الأمريكية الضخمة من طراز جالاكسى وغيرها ، خلال شهر كامل ، وذلك بالاضافة الى ما نقلته الطائرات الاسرائيلية وما نقل بطريق البحر ؛

مبادرة السادات للسلام

فى السادس عشر من أكتوبر وقف الرئيس السادات أمام مجلس الشعب ليقدم حساب الأيام العشرة الأولى من القتال ٠ ومن قاعة المجلس نقلت الاذاعات ونقل المراسلون العالميون ، ونقلت الأقمار الصناعية ، شيئا جديدا على العالم كل الجدة ، ان كان قد ترك فى الساحة السياسية العالمية شعورا فليس غير الاحترام العميق لابن مصر الذى كان بموقفه خير تعبير للمعدن المصرى ٠

لقد كانت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل تتحدث وأنفها فى السماء طوال أيام زهو ما قبل السادس من أكتوبر ، عن معاقبة الدول العربية بالحرب ٠ وفى مجلس الشعب تحدث رئيس مصر ببساطة ، بعد أن كسا أرض سيناء باشلاء جنود وعتاد وطيران اسرائيل ، عن أن هدفه تحرير الأراضى العربية من الاحتلال الاسرائيلى ٠

وفى اللحظات التى كانت القوات المسلحة المصرية تسجل فيها أروع ضروب البطولات والبسالة والتصميم على استرداد الشرف ، مد الرئيس المصرى من مركز القوة والنصر هذا يد السلام تحمل فوق باقة من الغار مشروعا للسلام ، فى صورة دعوة لعقد مؤتمر للأمم المتحدة لبحث اقرار سلام دائم وعادل فى الشرق الأوسط ٠

وبرزت صور ثلاث من ردود الفعل لما عرضه السادات . ففى الولايات المتحدة تنفست الحكومة الصعداء وهي تجفف عرق الخجل في ترحيبها بالمشروع المصرى . وفى اسرائيل مسحت الحكومة دموع التماسيح وهى تشكو من أن جو المشروع في حقيقته جو املاء مواقف ، بدليل ان الرئيس المصرى ربط مؤتمر السلام بالموافقة المسبقة على أن تجاب مصر الى مطالبها بمعدل مائة فى المائة . وفى بقية دول العالم احتارت الحكومات بين الاعجاب والتقدير لمصر الظافرة ورئيسها الحكيم ، وبين السخط والزراية بالحمق الأمريكى والغرور الاسرائيلى .

وبدأت واشنطن مرحلة جديدة من النشاط المحموم فى محاولة انقاذ اسرائيل من المزيد من الضربات ، مستندة فى هذه المرة الى سماحة مصر التى عبرت عنها بموافقتها المشروطة على وقف القتال . وكان طبيعيا أن تتجه واشنطن أول ما تتجه الى الاتحاد السوفيتى الذى كان بعد الوثوق من انتصار مصر يصر على أن تسير العمليات الحربية فى طريقها قدما .

ورغم التكتم الشديد الذى التزمته الدوائر الرسمية الأمريكية ، فان العمل الدبلوماسى الذى قام به هنرى كيسنجر وراء الكواليس ، فى اتصالاته التى كان يجريها كل يوم مع أناتولى دوبرينين سفير الاتحاد السوفيتى فى واشنطن كانت توحى بأنها تستهدف التوصل الى موافقة الاتحاد السوفيتى على وقف القتال ، أولا ، ثم التوصل بعد ذلك الى مشروع قرار تتقدم به الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى الى مجلس الأمن .

كان وجه الصعوبة يتبلور فى أن على أمريكا أن تتحول عن سياستها السابقة المؤيدة تماما لاسرائيل والمعارضة تماما لمصر .

كانت وجهة نظر الولايات المتحدة أن يعقب وقف القتال عودة الطرفين المتحاربين الى مواقف ما قبل السادس من أكتوبر ، وكانت مصر تسخر مع العالم من مثل هذه الفكرة .

وكانت اسرائيل تلوح بأنه لا يمكن الربط بين وقف اطلاق النار واجراء تسوية شاملة للقضية وكانت مصر تصر على أن يقوم وقف القتال على أساس عودة الأطراف الى مواقف ما قبل يونية ١٩٦٧ ، وبأن يكون نص مشروع القرار غاية فى الدقة والوضوح .

وكان وجه الصعوبة يتبلور فى أن على الولايات المتحدة أن تتحول عن سياستها السابقة المؤيدة تماما لاسرائيل والمعارضة على طول الخط لمصر .

ولقد بدأ هذا التحول ، فى تردد وعلى استحياء ، تحت ضغط النصر المصرى الساحق ·

اقتنعت الولايات المتحدة بأن نجاح العمليات العسكرية المصرية قد زج باسرائيل فى وضع سياسى مهلهل ، وأنه دمر رصيدا ضخما ليس فقط من نقة الرأى العام الأمريكى فى اسرائيل ، بل وأيضا من نقة الرأى العام الاسرائيلى فى تفوقه الدائم ، مما يعنى فى حـــد ذاته ان تل أبيب سوف تدرك ببطء ، ولكن حتما ، ان التوصل الى حل مع مصر هو الاختيار الوحيد المفتوح أمام اسرائيل وأنه لم يعد يمكنها الاعتماد على تحقيق انتصار عسكرى آخر ، فى الحرب القائمة أو فى المستقبل ·

واقتنعت الولايات المتحدة بأن خسائر اسرائيل التى بلغت خلال عشرة أيام فقط ما يزيد على ثلاثة آلاف رجل وحوالى ٧٠ دبابة ، وما يعادل ثلث سلاحها الجوى ، رغم ضآلة خسائر مصر نسبيا ، كانت تعرض اسرائيل لحرب استنزاف لا قبل لها بها ·

واقتنعت الولايات المتحدة بأن اقامة الجسر الجوى لامداد اسرائيـل بالذخيرة والسلاح ان كان قد منحها القدرة على اطلاق النار دفاعا عن نفسها (وكانت بعض الامدادات من هذاالجسر الجوى تصل الى الميـدان مباشرة وفى آخر أيام المعركة وصلت الطائرات دون أن تغير علاماتها نظرا لكبر الخسائر) فقد عجز عن ضمان نصر اسرائيلى منير فى اللحظة الأخيرة ·

واقتنعت الولايـات المتحدة بأن ما لـدى مصر من القـوى البشرية والمهارات الفطرية يكفل استخدام أعقد الأسلحة ، وأن أفضل الحلول أمام اسرائيل من ثم هو قبول حل وسط بدل مواجهة حرب استنزاف قد تنتهى بدمارها ·

وتحولت الولايات المتحدة ، للمرة الأولى ، من الضغط على مصر الى الضغط على اسرائيل ، لحملها على قبول الحل المنطقى الذى أصبح ابتلاعه بعد السادس من أكتوبر أكثر صعوبة بسبب فشل اسرائيل الواضح ووقوفها أمام العالم عارية · وبرزت صورة التحول الأمريكى فى اتفاق كل من الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتى على التقدم الى مجلس الأمن بمشروع حقق كل شروط مصر ، وأدار ظهره لكل مطلب اسرائيـلى · وهكذا ، فى صباح الثانى والعشرين من أكتوبر ، أصدر مجلس الأمن قرارا بوقف اطلاق النار فى مدى ١٢ ساعة من صدوره ، حتى اذا ما درسه الرئيس السادات ووافق عليه ، أصدر الفريق (**المرحوم المشير**) **أحمد**

اسماعيل فى الساعة السادسة و ٤٥ دقيقة من نفس اليوم أمره الى القوات المسلحة المصرية بوقف القتال ٠

كان القرار واضحا كل الوضوح فيما يتعلق بانسحاب اسرائيل من كل الأراضى المحتلة وفيما يتعلق بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين ٠ وكان هذا ما أراده الرئيس السادات وما كانت تماطل فيه اسرائيل ٠

الثغرة او « قصة غزاله »

ثم كانت قصة الثغرة ، وما أطيب أن يقدم كل مؤرخ لعمليات أكتوبر العظيم ، لأبناء اليوم والغد ، ما يعرفه عن حقيقة مغامرة التسلل الاسرائيلى المعروفة الى الشاطىء الغربى من القناة فى ظل وقف اطلاق النار ٠

لقد كانت اسرائيل تحاذر دائما من أى تورط أحمق فى عمليات غرب قناة السويس ٠ وفى حرب يونيو ١٩٦٧ مثلا ، حرب الأيام الستة كما أطلقت عليها اسرائيل ، كان الطريق مفتوحا أمامهـا عبر القناة حتى القاهرة ، ولكن هذا الطريق عبر القناة وحتى القاهرة كان فى نظر اسرائيل فما رهيبا لتنين لا يرحم ، ويعبر السير فيه فى اتجاه واحد حافلا بمخاطر أولها الامتداد البعيد بأكثر مما يتحمل الجيش الاسرائيلى ، وثانيها الذوبان فى مناطق الكثافة السكانية ٠ ولهذا توقفت اسرائيل فى عام ١٩٦٧ على الضفة الشرقية دون أن تجرؤ على العبور ولو بقارب واحد من المطاط ٠

تم بدأ التفكير عام ١٩٧٠ فى عملية محددة غرب القناة فى أعقاب حرب الاستنزاف الشهيرة ٠ وعندما نجحت مصر فى بناء حائط الصواريخ الذى أنزل بالطيران الاسرائيلى ــ وهو سلاح الردع الأساسى ــ العجز عن العمل فوق القوات المصرية ، ففى ذلك الوقت وجدت اسرائيل انها ستتعرض لمأزق أخطر اذا حدث واستؤنفت الحرب أو اذا حدث وفكرت مصر فى القيام بعملية أكبر لعبور القناة ٠ وهكذا بدأ التفكير فى عملية محددة فى الغرب ، تضطلع فيها مجموعة عمل خاصة بمهمة فتح ثغرة فى حائط الصواريخ المصرية يستغلها الطيران الاسرائيلى فى تدمير الحائـط كله ووضع قوات الجبهة المصرية تحت رحمته ٠

واستهوت الفكرة الجنرال شارون عندما عين قائدا للجبهة الجنوبية فشارك فى التخطيط لها ، واختار بنفسه مجموعات عناصرها ، كما اختار لها الاسم الكودى الذى عرفت به وهو (الغزالة) ، على أساس من التصور

للعملية وهى تعبر القناة بقفزة واحدة وتتواثب هنا وهناك بخفة ، ثم تفر عائدة من حيث أتت ، أو يلحق بها الصياد ولكن بعد أن تكون قد فتحت للطيران ثغرة فى السماء ٠

وفى السادس من أكتوبر فوجىء شارون بجندى المشاة المصرى يجد فرصته ويطارد دبابات اسرائيل بصواريخ مولتكا ، وبكتائب المدرعات الملحقة بفرق المشاة المصرية ، وبالقوات المصرية تحارب كما قال الجنرال اندريه بوفر وهو يزور ميادين القتال (بأكفأ مستوى يعرفه العصر) ٠ او كما عبر شارون نفسه لزميله الجنرال جونين من (أنهم يرقصون على أنغام مصرية ولا بد من وقف ذلك فورا) ٠ ولقد تجسمت فى ذهن شارون فكرة (الغزالة) ، ولكن جونين رفضها بشدة وبادر بالاتصال بتل أبيب مستنجدا ٠ وهرع حاييم بارليف الى الجبهة لتنسيق القيادة بين الجنرالين المتخاصمين ، فكان رأيه أن الموقف ما زال مبكرا للتفكير فى عملية انتحارية كعملية (الغزالة) ، وأن القتال قد يمتد أياما بعد صدور قرار بوقف اطلاق النار يحمى (الغزالة) فى الغرب ، وأن الخسائر العالية لا تسمح ببعثرة ألوية مدرعة قد تشتد الحاجة اليها اذا طورت مصر هجومها فى الشرق ، وان هناك فرقة مصرية كاحتياطى غرب القناة وتدخلها كفيل بقتل الغزالة فورا ، وانه لا بأس من الاستعداد للتنفيذ بشرط انتظار اشارة البدء لو تهيأت الظروف ٠

وفى العاشر من أكتوبر ، ونتيجة للالحاح الدائم من شارون ، وبتأييد من ديان الذى كان يقف أمام العالم عاريا يتحرق شوقا الى أية عملية براقة ، صدرت الاشارة الى شارون بأن يكون جاهزا للعمل فى ظرف ست ساعات بعد أن أصبح النجاح فى صدور قرار وقف اطلاق النار مؤكدا ، وبعد أن أصبح جسر المعونات الأمريكية سيلا دائم التدفق ، وبعد أن عبرت الفرقة المصرية الاحتياطية الى سيناء لتخفيف الضغط عن الميدان السورى ٠

ومسحت طائرات الاستطلاع الأمريكية التى تطير بلا قائد ما بين بورسعيد والسويس لتحديد أنسب مكان لخلق ثغرة تتيح التسلل بأدنى حجم من الخسائر ٠ وتحدد مكان الثغرة عند منطقة دفرسوار فيما بين طرفى انتشار الجيشين الثانى والثالث ٠ وفى الساعة الثالثة بعد ظهر الاثنين ١٥ أكتوبر قفزت (الغزالة) وبدأت بقفزتها أكثر المغامرات العسكرية فى التاريخ حمقا وأشدها تهورا وبعثا للرعب ، كما يشهد بذلك منطوق الاشارات التى كان يبعث بها شارون من عربة قيادته المحروسة بخمس مصفحات ٠

اشارات تسب قادة التشكيلات لترددهم فى اللحاق به أمام هجمات الجيش الثانى المضادة ـ واشارات تسب سلاح المهندسين لتأخره فى مد

الجسور للمدرعات التى ستعزز الطلائع الأولى ــ واشارات تسب الجنرال افراهام آدان قائد لوائى مدرعات التعزيز لتردده فى العبور ، وهكذا ٠

ولأيام سادت الفوضى الشاملة هذا القطاع الغربى من الجبهة ، وهى الفوضى التى جعلت الغزالة تظهر فى صورة (الأرنب) فلا يعيرها الصيد اهتمامه الكافى ، مما ساعد شارون من حيث لا يدرى ٠

وصدر قرار وقف اطلاق النار فى الثانى والعشرين من أكتوبر فالتزمت به مصر ولم يلتزم به شارون لسبب بسيط ، هو انه لم يكن من وجهة النظر العسكرية البحتة يجرؤ على الجمود بقواته فيبقيها معرضة ومكشوفة الى حد خطير ، وهكذا واصل تقدمه مكرها صوب الجنوب حتى السويس ٠ ثم ماذا ؟

أصبح وضع (الغزالة) فى نطاق مقدرة العمل المصرى ، بعد أن أمكن حشد قوات جديدة من المشاة والمدرعات والمدفعية لتطويقها واحكام الحصار من حولها ٠

وفى محادثات جنيف التى دارت تحت اشراف هيئة الأمم المتحدة للفصل بين القوات ، وعن ادراك تام لخطورة وضع القوات الاسرائيلية ، قال رئيس الوفد المصرى فى صراحة تامة (ان أحدا لا يستطيع أن يخيفنا بهذه الثغرة فنحن نعرف قيمتها العسكرية فهى معرضة تماما) وكان الجنرال جور رئيس الوفد الاسرائيلى يعرف هذا جيدا ، فكان رده المائع (أن قوادنا يرون أن هناك فوائد كثيرة تعود علينا من بقاء هذه الثغرة ويرون امكان استغلالها ٠ واما عن التعبئة فنحن نستطيع احتمالها سنة وسنتين) ٠

وقال رئيس الوفد العسكرى المصرى (ليكن ٠ فلتبق الثغرة وتعودوا الى خطوط ٢٢ أكتوبر) فكان رد جور بسرعة (ان هذا مستحيل عسكريا) ٠

وفى القاهرة ضحك الرئيس السادات وقال (نحن نعرف حدود الموقف فى ٢٢ أكتوبر ، وأنا أهدى المستر مائتير عشرة كيلو مترات زيادة عليه) ٠

وعلى طول مرحلة محاولات الفصل بين القوات ، كانت المناقشات تدور فى وزارة الدفاع الأمريكية حول قيمة الثغرة ٠

كان الجنرال شارون المغرم بالتعبيرات المبرقشة يقول (ان الثغرة مسدس مصوب الى قلب مصر ، ثم انها حبل حول عنق الجيش الثالث) وكان يتصور انه قد حصل لاسرائيل على ميزات عسكرية تساوم بها

للحصول على بعض المكاسب السياسية • ولكن أمريكا بخبراتها العسكرية والمامها بكل أطراف الموقفين العسكرى والسياسى ، كان لها أكثر من رأى فى الموقف •

فيما يختص بالثغرة رأت أمريكا ان الغزالة قد أدت ما يمكن اعتباره دورا نفسيا ، أما عسكريا فان استحالة اقدام القوات الاسرائيلية على الزحف فى اتجاه القاهرة ، كان يعنى أن على (الغزالة) أن تبقى حيث هى ، حيث باب الاحتمالات مفتوح على مصراعيه • وعلى سبيل المثال لا الحصر •

كان هناك احتمال سد الثغرة ، مهما كانت خسائر مصر فى تحقيق ذلك مما يضع طريق امداد وتموين القوات الاسرائيلية واستمرارها فى أى قتال موضع شك كبير •

وكان هناك احتمال اختراقها وهى مجمدة فى مكانها من أكثر من اتجاه ونطويقها وتصفيتها •

وكان هناك ما بدأ فعلا من بلوغ قوات الثغرة مناطق الكثافة السكانية وتعرضها بالتالى لحرب استنزاف يومية تخشاها اسرائيل ، حتى لو كان ضحاياها قتيلا واحدا فى اليوم الواحد • وهكذا رأت أمريكا فى (الغزالة) بعد أن أخذت مثل موقف البقرة داخل السلخانة ، أن شارون ليس بيده مسدس موجه الى قلب مصر ، ولا حبل حول رقبة جيش مصر الثالث ، وأن على مغامرته أن تنتهى • وقد انتهت كما نرى وانتهت معها خدمته العسكرية كلها •

وبعد نشوب الحرب ، راح الشعب الاسرائيلى يتساءل :

لماذا لم تتنبأ حكومته بالهجوم المصرى الكاسح ، وكانت تتفاخر دائما ببراعة أجهزة مخابراتها ؟

ولماذا لم تصل أوامر التأهب ، فى الوقت المناسب ، فى كل أنحاء جبهة القناة ؟

ولماذا تم التقهقر المزعور ، من خط بارليف حصنهم الحصين ، فى فوضى كلفت البلاد الكثير ؟

وقد عقد الجنرال اريك شارون نفسه ، عدة مؤتمرات صحفية ، ونشرت له جريدتى « الجارديان » و « النيوز تايمز » ، عدة اتهامات تشير الى الأخطاء التى وقع فيها القادة ورئاسة أركان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، فيصرح قائلا :

(ان الجنرال شمونيل جونين وحاييم بارليف ، قد منعانى من اختراق الصفوف المصرية ثم تركانى دون امدادات ، فلم أتمكن من احتلال الاسماعيلية • ان هذه العصابة من الأفاقين ، مسئولة عن كل الكوارث التى حلت بنا) •

ويرد عليه الجنرالات المتهمون :

(ان شارون ذاته لا يعتبر معصوما من الخطأ ، فان ثغرته التى يتغنى بها ، كانت عملية فاشلة عسكريا دفعت اسرائيل ثمنا باهظا لها فى القتلى والجرحى والمعدات ، مخالفا بذلك تعليمات رئاسته مرات عديدة) •

وفيما يختص بالموقف العسكرى عامة رأت أمريكا ان خرافة الجندى الاسرائيلى الذى لا يقهر قد تبخرت بعد أن كادت ترسخ فى الأذهان ، وان الجندى الاسرائيلى بدا عاديا ولا يمتاز بغير التدريب الجيد ، وان فى مقدور أى جندى آخر على نفس المستوى من التدريب ان يتصدى له وان يهزمه •

وفى نفس الوقت رأت أمريكا أن الجندى المصرى يعتبر من أشجع الجنود فى العالم وأكثرهم صلابة ، وانه لا يدانيه أحد فى الصبر وقوة الاحتمال ، وانه يستطيع أن يعيش على نصف التعيين المقرر لغذائه دون أن يتأثر استعداده للقتال •

وعلى الجانب الاسرائيلى رأت أمريكا أن مصر نجحت نهائيا فى كسر الجمود الذى كان يحيط بأزمة الشرق الأوسط ، وأن طريق العودة لم يعد مفتوحا أمام أية ردة ، بعد أن تغيرت صورة مصر أمام عالم كان يحسبها جثة هامدة فاذا هى بركان قادر على الثوران ، ورأت أن منطق اسرائيل فى الحدود الآمنة منطق مضروب ، وانه لا قناة السويس كمانع ، ولا خط بارليف كعائق حال بين مصر والحركة ، والقتال ، والانتصار •

كما رأت ان شرم الشيخ ليس لها الأهميـــة الكبرى التى كانت اسرائيل تبنى عليها مطامعها فى سيناء ، وانها ليست مفتاحا لميناء ايلات الاسرائيلى بعد أن سقط هذا المفتاح جنوبا لمئات ومئات من الأميال ، كى يستقر فى أقصى جنوب البحر الأحمر عند باب المندب ، وان استراتيجية عربية جديدة للبحر الأحمر قد وضعت هذا المفتاح فى يد العرب دون منـــازع •

وكانت محصلة تقديرات الولايات المتحدة وحساباتها تقطع بان على الموقف الأمريكى ازاء الشرق الأوسط ان يتحول الى مجرى جديد •• لقد أصبح واضحا أن اسرائيل لا تستطيع من الناحية الاقتصادية أن تصمد بمعدل العمليات الذى نصبت مصر ميزانه لأكثر من ثلاثين يوما ، وأن عجز

اسرائيل عن كسب معركة حاسمة خلال أسابيع ثلاثة من بدء القتال يعتبر في صالح مصر على طول الخط ، خصوصا بعد ما كشفت عنه طائرات الاستطلاع الأمريكية من ان مصر قد حرصت على أن تبقى قوتها الجوية الرئيسية بعيدا عن العيان وخارج نطاق المعارك .

وأصبح واضحا أن نجاح العمليات المصرية قد زج باسرائيل في وضع سياسي عالمي ضعيف ، ودمر رصيدا ضخما حتى من ثقة الاسرائيليين أنفسهم في تفوقهم الدائم على العرب ، وان هذا يعني أن على الولايات المتحدة أن تفهم مبكرا وسريعا ما سوف تفهمه اسرائيل ببطء ولكن حتما ، وهو أن التوصل الى حل مع مصر خصوصا والعرب عموما قد أصبح الاختيار الوحيد المتاح لاسرائيل ، بعد أن لم يعد في مقدورها تحقيق انتصار عسكري في هذه الحرب أو في المستقبل .

وأصبح واضحا أنه لا مفر من اقناع اسرائيل بأنها حتى لو كسبت معركة في سيناء فان الحرب قــد غـيرت تغييرا أســاسيا من المشـــكلة الاستراتيجية التي تواجهها ، وأن مصر تملك كما اتضح القوى البشرية والمهارات التي تكفل استخدام الأسلحة الحديثة ، وأن الأفضل لاسرائيل من ثم قبول الحل الوسط بدل مواجهة حرب استنزاف قد تنتهي بتدميرها تمــاما .

وعند هذا الرأي اتفقت الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتي على اتفاق وطيد على أنه لا بد من انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية المصرية والتخلي عن التراب المصري والعربي .

الفصل بين القوات ..

أول اختبار لنوايا أمريكا

فى نطاق عنوان هذا القسم من الكتاب يتعذر القول بأن سعى أمريكا الحثيث لوقف القتال كان واحدا من ظواهر التحول الأمريكى عن التأييد المطلق لاسرائيل . ولعل العكس أقرب الى الصحة ، بعد ما أثبتناه من أن ما بذلته أمريكا لوقف القتال كان دافعه ما اقتنعت به بعد الحساب الدقيق من أن اسرائيل لن تقوى ، رغم جسر الامداد الجوى ، على مواصلة القتال . أما الاختبار الحقيقى لاتجاهات أمريكا نحو التحول فكان فيما بذله هنرى كيسنجر ، وزير خارجية الولايات المتحدة ، من ضغوط سافرة ومستترة لارغام اسرائيل على الاستجابة لشروط مصر فيما عرف بأزمة الفصل بين القوات .

مباحثات الكيلو ١٠١

كانت قوات اسرائيل قد اتخذت من الكيلو ١٠١ على طريق (القاهرة ــ السويس) مربضا خيل لها انها تستطيع منه قطع الامدادات عن الجيش الثالث عبر السويس . ورأت قوات الطوارىء الدولية اتخاذ هذه النقطة مركزا للمباحثات العسكرية بين القوات المصرية والاسرائيلية ، لوضع خطة تنفيذ قرار مجلس الأمن بشأن العودة الى خطوط الثانى والعشرين من أكتوبر . وكان صاحب الدور الأول فى التعبير عن تحول أمريكا فى أزمة الفصل بين القوات ، وفيما أعقب ذلك من خطوات ، هو الدكتور هنرى كيسنجر ، وزير خارجية الولايات المتحدة .

كانت المرة الأولى التى وجد كيسنجر نفسه فيها منغمسا فى القضية الفلسطينية بوجه عام ، ترجع الى عام ١٩٦٧ حين زار اسرائيل ، ولم يكن قد شغل منصبا رسميا بعد ، ليقترح عليهم انتهاز فرصة النصر الزائف فى التقدم بعرض محدد للسلام . وفى تلك المناسبة ، أخذت الاسرائيليين العزة بالنصر الموهوم فلم يعبأوا برأى كيسنجر ، بل ولعلهم سخروا منه .

وكوزير لخارجيــة الولايات المتحدة ، كانت زيارة كيسنجر الأولى للقاهرة ، للعمل على تثبيت وقف اطلاق النار والعودة الى خطوط الثانى

والعشرين من أكتوبر ، وهى الخطوط التى اتخذت منها اسرائيـل تكأة للمماطلة بدعوى انها لا تعرف ولا غيرها يعرف أين تقع خطوط الثانى والعشرين من أكتوبر .

مباحثات جنيف العسكرية

واذا كانت الاضطرابات قد نشبت عند الكيلو ١٠١ بسبب رفض القوات الاسرائيلية التزحزح عنه لقوات الطوارىء الدولية ، فان المباحثات العسكرية التى تقرر عقدها فى جنيف تحت اشراف الأمم المتحدة لوضع خطة الفصل بين القوات تعثرت هى الأخرى بسبب مماطلات اسرائيلية من نوع جديد ، أضاعت الجلسات فى قضايا فرعية كالمطالبة بالبحث عن جثث ضائعة لبعض الاسرائيليين أو بالافراج عن جاسوس اسرائيلى قبض عليه فى مصر ، أو بوقف تقدم القوات المصرية على جميع الجبهات لاحتلال مواقع جديدة ، وما الى ذلك من المراوغات . وكان فى ذلك من الأسباب ما يكفى لاثارة ثائرة نيكسون وتكليفه كيسنجر بالانتقال الى الشرق الأوسط وعدم العودة الا بعد ارغام اسرائيل على تنفيذ قرار مجلس الأمن .

ولقد كانت هناك أسباب أربعة لها وزنها فى اختيار كيسنجر لوضع حد لهذه الأزمة . وكان أول هذه الأسباب أنه ممن يؤمنون بأن تحريك الأمور يكفى لايجاد المنافذ الى الحلول ، وقد برهن على صواب وجهة نظره هذه فى مناسبات ثلاث تنفست لها أمريكا الصعداء بعد نجاحه فى فيتنام وبكين وموسكو .

والسبب الثانى أن يهوديته بالنسبة لأزمة الشرق الأوسـط كانت خليقة باكسابه نوعا من المناعة ضد جماعات الضغط اليهودية فى المجتمع الأمريكى .

والسبب الثالث أنه يكره الفشل بعد ما حققه من نجاح دولى . أما السبب الرابع فهو توفر ما يشجعه على خوض معركة اقرار السلام فى الشرق الأوسط ، وهو بالذات السياسة الحكيمة التى عالج بها الرئيس أنور السادات الأمور ، وفى هذا الصدد بالذات يقول كيسنجر (فى عام ١٩٦٧ أثارت مصر الدنيا علينا ، وكانت النتيجة أن موجة عداء عارمة سادت المنطقة كلها فعطلت أية رغبة للولايات المتحدة فى أداء دورها .. أما فى عام ١٩٧٣ فقد تصرف الرئيس السادات بهدوء أكثر . وسواء أكانت أمريكا مخطئة أم غير مخطئة ، فقد فتحت مصر الباب أمام أمريكا لدور ترغب فى القيام به وتحس انها قادرة عليه) .

وبطائرته الخاصة ذات المحركات الأربعة ، مع أربعين من طاقم أعماله بين مساعدين وصحفيين ، حمل كيسنجر معه اختصاصات كل من وزارة الخارجية ومجلس الأمن القومى ، ليبدأ تنفيذ وجهة نظر أمريكا بعد هزيمة اسرائيل ، والتى عبر عنها بقوله عند افتتاح جلسات مباحثات جنيف العسكرية فى العشرين من ديسمبر : (ان الهدف النهائى يجب أن يكون تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل أجزائه ، وهو القرار الذى كان يستهدف اعادة السلام فى الشرق الأوسط بعد حرب يونيه ١٩٦٧) ، ثم ما أضافه فى نهاية كلمته من (أن اتفاق السلام يجب أن يتضمن الانسحاب ٠٠ الحدود المعترف بها ٠٠ تدابير أمن كانشاء مناطق منزوعة السلاح ٠٠ ضمانات ٠٠ اقرار المصالح المشروعة للفلسطينيين والاعتراف بأن القدس تضم أماكن تعد مقدسة بالنسبة للأديان الثلاثة الكبرى) ٠

وبدأ كيسنجر سلسلة تنقلاته اللاهثة بين مصر واسرائيل ، فى مسعاه للفصل بين القوات باصرار وجلد كانا حديث العالم بأسره ٠

فى ١١ يناير وصل كيسنجر أسوان ، حيث كان يقيم الرئيس أنور السادات ، قادما من واشنطن ٠ وبدأ محادثاته مع الرئيس فور وصوله حوالى التاسعة مساء ولأكثر من ساعة ، كى يستأنفها طويلة فى اليوم التالى — وفى هاتين الجلستين حدد الرئيس السادات بحزم موقف مصر ، مبينا أنه يرتكز على أن يرتبط الفصل بين القوات ارتباطا وثيقا بالانسحاب الاسرائيلى من جميع الأراضى العربية المحتلة ، وأن ترتبط حقوق شعب فلسطين ارتباطا وثيقا بالحل الشامل للقضية ، كما يرتكز على رفض أى خفض للقوات المصرية فى سيناء أو أى اقتراح بانسحابها من شرق القناة ٠

وفى ١٢ يناير ، بمجرد انتهاء الجلسة الثانية مع الرئيس السادات ، طار كيسنجر الى تل أبيب ٠ وهناك وضع الحكومة الاسرائيلية أمام الأمر الواقع ٠ فبعد أن نوه بأن اسرائيل قد حولت الموقف عند الكيلو ١٠١ الى فضية قائمة بذاتها ، والموقف فى جنيف الى ساحة للتقدم بالمطالب الجانبية وتلقى الردود بالرفض ، طالب الحكومة الاسرائيلية بابداء رأى واضح فى الموضوع دون مراوغات أو مداورات، منذرا بأن على هذا الرأى سيكون تصرف الولايات المتحدة فى المستقبل ، ومرددا — كما نوهت بذلك صحف اسرائيل — الكثير مما ورد على لسان الرئيس السادات فى خطبه وأحاديثه ، وفى مقدمته :

(ان على الاسرائيليين ، أن يختاروا بين تسوية سليمة تشمل انسحابا تاما وبين تصعيد جديد بعد أن أصبح من المستحيل استمرار الموقف الحالى لأطول من ذلك) ٠

واذا كانت الحكومة الاسرائيلية قد اضطرت الى الدخول جديا في الموضوع ، والتقدم بتحفظاتها فى حدود الفصل بين القوات ، فلا شك أن السبب كان مرجعه التحول الأمريكى الذى عبر عنه كيسنجر بضغطه الحازم ، والذى عبرت عنه صحيفة ها آرتس الاسرائيلية بقولها ، وكأنما هى تتلمس للاسرائيليين العزاء (ان اهتمامنا بأمن بلادنا لا يجب أن يذهب بنا الى حد قيام مواجهة بيننا وبين الولايات المتحدة ، تضاف الى مواجهتنا مع الدول العربية) ٠

وفى ١٣ يناير وبعد ساعات من مغادرته أسوان ، عاد كيسنجر اليها طائرا ليعرض على الرئيس السادات ما طرحته اسرائيل من تحفظات درسها الجانب المصرى ، ووضع فى مقابلها مشروعا مصريا للفصل بين القوات ، مصحوبا بخريطة تحدد مفهوم وحدود الانسحاب الاسرائيلى ، وبشروط أساسية هى أولا أن يتم الانسحاب للفصل بين القوات من طرف واحد هو الجانب الاسرائيلى ، وثانيا أن يكون الانسحاب مرتبطا بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بالانسحاب الكامل ، وثالثا أن يكون الانسحاب محكوما بجدول زمنى واضح ومحدد ٠

وفى ١٤ يناير ، قبيل الساعة التاسعة مساء ، طار كيسنجر من أسوان الى تل أبيب حاملا المشروع المصرى ، وهناك قضى معظم الليل فى محادثات خاصة مع أقطاب اسرائيل ، شهدتها الغرفة التى نزل بها فى فندق الملك داود ، واستطاع خلالها اقناع الجميع بأن شروط مصر لا راد لها ، وأن أمريكا ستقف بكل ثقلها وراءها اذا لزم الأمر ٠ ولذا ما أشرق نهار ١٥ يناير حتى كان مجلس وزراء اسرائيل قد بدأ اجتماعه القدرى ليحدد شروطه فى حدود الارادة المصرية ، مطالبا أولا بوجود قوات للأمم بتكوين دوريات مصرية اسرائيلية مشتركة على الضفة الشرقية للقناة المتحدة على الضفة الغربية للقناة عند انسحاب اسرائيل منها ، وثانيا للتفتيش على السلاح ، وثالثا بصدور اعلان من مصر بانهاء العمليات العسكرية ضد اسرائيل ، ورابعا بالاشارة الى مسألة تطهير القناة وعودة الملاحة فيها ، وخامسا بعدم ربط الفصل بين القوات بالحل النهائى للمشكلة ، وسادسا بأن يكون هناك مقابل للانسحاب الاسرائيلى من غرب القناة فى شكل تخفيف للوجود المصرى على الضفة الشرقية منها ٠

وفى ١٦ ينساير فى الصباح الباكر ، كان كيسنجر فى طريقه الى أسوان بطريق الجو ليعرض على الرئيس السادات مقترحات اسرائيل — وسخر الرئيس من المقترحات ككل ، وبين فى وضوح أن مشكلة الفصل بين القوات ، من وجهة النظر المصرية ، تقوم على أسس لن تتنازل مصر

عنها بأى حال من الأحوال ومهما ترتب على عدم استجابة اسرائيل لها من نتائج ، هى أولا أن الفصل مسألة عسكريه بحتة ولكنه جزء من قرار مجلس الأمن الذى يعتبر الفصل بين القوات مرحلة وليس هدفا ، وثانيا أن الفصل ليس ميزة تعطى لمصر ولكنه يمثل أول تحرك نحو تنفيذ قرار الانسحاب التام من جميع الأراضى العربيه ولا يمكن بالتالى منح اسرائيل مقابلا له من أى نوع ، وثالثا ان التحرك يجب أن يرتبط بالانسحاب الكامل وفقا لجدول زمنى لمراحل محددة ، ورابعا أن تطهير القناة مسألة تخص مصر وحدها وليس لأى طرف آخر أن يتدخل فى اقراره او عدم اقراره وخامسا ان الهدف النهائى يجب ان يكون الجلاء الكامل واسترداد حقوق شعب فلسطين ، وأخيرا ان الأمر لم يعد يحتمل المزيد من المراوغة عن طريق الأخذ والرد ٠٠ وهكذا ، فى الساعة التاسعة والنصف من مساء نفس اليوم (١٦ يناير ١٩٧٤) ٠ وبعد اجتماعات دامت سبع ساعات ونصف الساعة طار كيسنجر بقرار مصر الأخير الى تل أبيب فوصلها قبيل منتصف الليل ، ليبدأ على الفور سلسلة اجتماعاته التى استمرت ما بقى من الليل ، والتى أعقبها اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلى منذ الصباح الباكر ٠

وفى ١٧ يناير ، بعد أسبوع كامل قضاه كيسنجر متنقلا بطائرته بين أسوان وتل أبيب ، صدر فى الساعة التاسعة مساء ، فى كل من القاهرة وتل أبيب ، البيان الرسمى الذى ينص على انه : (طبقا لقرار مؤتمر جنيف ، فان حكومتى مصر واسرائيل ، بمساعدة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ، قد توصلتا الى اتفاق لفك الاشتباك والفصل بين قواتهما المسلحة ٠ وسيوقع على الاتفاق كل من رئيس أركان القوات المسلحة لمصر واسرائيل ظهر الجمعة ١٨ يناير بالكيلو ١٠١ على طريق القاهرة السويس٠ وقد طلبت الأطراف من الجنرال انزيو سيلاسفو قائد قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة ان يشهد التوقيع) ٠

وبنبرات الفرحة الغامرة ، طلب الرئيس نيكسون الاتصال بالرئيس السادات فى أسوان ، فى نفس المساء ، لينبئه باقرار اتفاقية الفصل بين القوات ٠ بل لقد ذهب الرئيس الأمريكى الى ما هو أبعد من هذا . بأن أذاع بنفسه القرار عن طريق الراديو والتليفزيون من البيت الأبيض ، وعلى الهواء مباشرة ، مختتما كلمته بأن العمل الرئيسى الذى يشغله فى الوقت الحاضر (هو تحسين العلاقات بين الولايات المتحدة ، والدول العربية كلها) ٠

ويبقى أن نسجل أن أبرز بنود اتفاق الفصل بين القوات كانت ، كما أرادتها مصر ، تقضى بأن تتوزع وتنتشر كل القوات المصرية على الجانب الشرقى من القناة ، وتتوزع وتنتشر القوات الاسرائيلية بما فيها القوات

التى غرب القناة عند منطقة الممرات بسفوح جبال الجدى ومتلا (حوالى ٣٨ كيلو مترا داخل سيناء) وبأن ترابط بين الطرفين قوات طوارىء تابعة للأمم المتحدة ٠

وهكذا برهنت أمريكا على اتجاهها نحو التحول بسبب ما نزل باسرائيل من هزيمة نكراء ٠

وهكذا تحركت القضية ولم يعد هناك سبيل للعودة بها الى حالة الجمود ٠٠ حالة اللاسلم واللاحرب ٠

ونعود الى التحول الأمريكى فى محاولاتنا لحصر ما حتمه من أزمات ٠

ثانيا :

أزمة الوفاق الأمريكى السوفييتى

كان لسياسة الوفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ـ كما أصبحت تعرف عامة ـ نقاد متشددون منذ أعلن عنها ٠ حتى اذا ما كان السادس من أكتوبر ، وما ترتب عليـــه من تعـارض فى موقفى القمتين ، ازداد النقد وسادت العالم الغربى بوجه خاص فكرة أن الوفاق قد مات ٠

وكانت عقدة العقد تكمن في أن أمريكا تريـد بأى ثمن وقف القتال منذ لحظة نشوبه خشية تدمير اسرائيل ، فى حين كان الاتحاد السوفييتى يرى أن مصر قد أحكمت الضربة ، وأن العجلة يجب أن تواصل دورانها ما دامت قد تحركت الى الأمام ٠ وأيا كان الأمر فقد مضت مصر قدما لتثبت بالقتال ، قرارا وتنفيذا ، أن وفاق القمة الأمريكى السوفييتى لا يعوق مسيرة الدول الصغرى التى تقرر تسيير دفة شئونها بارادتها الوطنية ٠

وطلعت شمس الثانى عشر من أكتوبر ، بعد أسبوع من بدء الحرب ، لترى الولايات المتحدة أن هناك كارثة حقيقيـة تلوح فى الأفق متربصة باسرائيل ٠ وهاج مجلس الشيوخ الأمريكى فانقسم على نفســه ٠ ففى هذا اليوم ، وقف السناتور هنرى جاكسون ، حامى حمى الصـــهيونية العالمية ، ليصرخ مناديا بأن الأزمة قد أثبتت أن الوفاق مع الروس مبنى فوق رمال متحركة وأن على أمريكا أن تقف بصلابة وراء اسرائيل بما يكفل عودة القوات الى موقف ما قبل السادس من أكتوبر ٠

وقد ألح السناتور وليم فولبرايت رئيس لجنة الشئون الخارجية ،

فى نفس الجلسة العاصفة ، على ضرورة السماح للقوات المصرية بالبقاء حيث هى بمجرد التوصل الى قرار بوقف اطلاق النار ، بامل ان يتيح الوضع الجديد للطرفين المتصارعين استخدام الموقف الجديد كمدخل الى تسويه ما .

وبدأ الوفاق يهتز من أساسه عندما استجابت الولايات المتحدة ، تحت ضغط أنصار هنرى جاكسون ، الى مطالبته أمريكا بالوقوف فى صلابة وراء اسرائيل فبدأ الجسر الجوى يمتد فيما بين اسرائيل ومختلف القواعد الحربية الأمريكية ، حاملا العتاد والذخيرة من كل نوع . وردا على هذا ، لم يتوان الاتحاد السوفييتى فى تزويد مصر ببعض ما كانت نطلبه من قبل من عتاد ، ولكن بعد أن دفعت الجزائر لموسكو مائة مليون دولار .

ورغم جسرى الامداد هذين ، بالسلاح الأمريكى لاسرائيل ، وبالسلاح السوفييتى ذى النوعية الخاصة لمصر ، فقد دفع الحرص على عدم انهيار الوفاق كلا من واشنطن وموسكو الى الابقاء على اتصالهما الوثيق ، فى نفس الوقت الذى كانتا ترسلان فيه الطائرات والدبابات والذخائر التى تقتل المصريين والاسرائيليين معا .

وترتب على هذا موقف شاذ ، ربما كان الأول من نوعه فى تاريخ الحروب . فباحتدام المعركة ، ازداد حجم الأسطولين الأمريكى والسوفييتى ونشطت مناوراتهما فى البحر الأبيض المتوسط ، مع الحرص كل الحرص على تجنب أى صدام بينهما . وبدأ وزيرا خارجيتى القمتين اتصالهما الوثيق . وتم انشاء خط ساخن بين الدولتين الكبيرتين على وجه السرعة . ومضى الاتحاد السوفييتى يرسل طائرات وسفن الشحن الى الموانىء المصرية تحت بصر الأسطول الأمريكى السادس فى البحر الأبيض المتوسط ، فى حين مضت الولايات المتحدة ترسل طائرات النقل الضخمة المحملة بالعتاد علانية وعلى مرأى من الأسطول السوفييتى فى نفس البحر . ومضت سفن كل من الطرفين تسبح مشحونة بالعتاد فوق غواصات الطرف الآخر لتمر بسلام .

وبمرور الأيام ، تحولت هزة الوفاق الى أزمة مفعمة بالانفعال .

كان الرأى العام فى الولايات المتحدة الأمريكية يرى فى حرب السادس من أكتوبر مثالا لطغيان الصراع المحلى على شخصية الدولتين الأعظم ، مما يعتبر واقعا خطيرا . وكان الرأى العام فى الاتحاد السوفييتى يرى أن هذه الحرب قد فجرت سؤالا كئيبا هو (هل تستطيع الولايات المتحدة حقا تحسين علاقاتها مع دولة تختلف معها تماما فى نظرتها الى الشئون الدولية ؟) .

وكان الرأى العام فى الولايات المتحدة يرى فى مساندة السوفييت لمصر ودعوتهم باقى العرب الى المشاركة فى القتال ، أن جهود تحسين

العلاقات بين القمتين قد أخفقت ، وأن الولايات المتحدة قد تعرضت للخداع عندما آمنت بهذه الجهود • وكان الرأى العام فى الاتحاد السوفييتى يرى أن الاعتدال الذى مارسته موسكو منذ بدأ القتال يكفى للبرهنه على ان موسكو مهتمة بالوفاق ، وأن الدور قد جاء على الولايات المتحدة لكى تثبت أنها تشاطره نفس الاهتمام بنفس القدر ، وأن الكثير يتوقف على استعداد واشنطن لممارسة نفوذها على اسرائيل • وبمعنى آخر ، أصبح السؤال الحقيقى كما تراه موسكو ، كحل لأزمة الوفاق ، هو ما اذا كانت واشنطن تملك القدرة على الضغط على اسرائيل وحملها على قبول حل أصبح ابتلاعه أكثر صعوبة بعد أن عرتها هزائمها تماما أمام المجتمع الدولى •

ومن مركز القوة أملت مصر شروطها لوقف القتال ، أثناء زيارة وزير الخارجية السوفييتى للقاهرة فى ١٩ أكتوبر ، بعد أسبوعين من بدء القتال ، وفى مقدمتها انسحاب اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ الصادر به قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ •

واستنادا الى مركز مصر دعا رئيس الحكومة السوفيتية وزير خارجية أمريكا ، الى موسكو لدراسة الشروط ، فهرع هنرى كيسنجر فورا الى هناك مع وفد من المستشارين • وفى الجلسات التى عقدت يومى ٢٠ و ٢١ أكتوبر توصل الطرفان الى انه لا مفر من قبول شروط مصر •

وفى طريق عودته الى واشنطن ، توقف كيسنجر فى اسرائيل ليخطر المسئولين بما استقر عليه رأى أمريكا ، وهو قبول شروط مصر • ولعل هذه كانت المرة الأولى التى شعرت اسرائيل فيها بمرارة التحول الأمريكى •

وفى بواكير الثانى والعشرين من أكتوبر أقــر مجلس الأمــن ، بالاجماع ، القرار المشترك الذى تقدمت به كل من موسكو وواشنطن ، والذى تمسكت به مصر كشرط لوقف القتال •

واعتمد مجلس الأمن ، قرار وقف اطلاق النار رقم ٣٣٨ ، فى الجلسة رقم ١٢٤٧ فى ليلة ٢١/٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، وأصدره فى نفس الوقت ، جاء فيه : (يدعو مجلس الأمن جميع الأطراف فى القتال الدائر ، الى وقف اطلاق النيران والانتهاء الفورى لكل نشاط عسكرى ، فى مدة لا تتجاوز ١٢ ساعة بعد لحظة اقرار المجلس لهذا القرار ، وذلك فى المواقع التى يحتلونها الآن •

ويدعو مجلس الأمن كل الأطراف المعنية الى البدء فورا بعد وقف اطلاق النار فى تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ بجميع أجزائه •

ويقرر مجلس الأمن ، أن تبدأ المفاوضات فورا وفى وقت واحد مع وقف اطلاق النار بين الأطراف المعنية ، تحت الاشراف الملائم ، بهدف اقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط) ٠

ثم أقر مجلس الأمن القرار رقم ٣٣٩ المعتمد من المجلس ، فى الجلسة رقم ١٢٤٨ بتاريخ أكتوبر ١٩٧٣ ، ونصه :

١ ـ يؤكد قراره بشأن الوقف الفورى لجميع أنواع اطلاق النار ، وكل الأعمال العسكرية ٠ ويدعو بالحاح الى اعادة قوات الجانبين الى المراكز التى كانت تحتلها لحظة سريان وقف اطلاق النار ٠

٢ ـ يطلب الى السكرتير العام اتخاذ التدابير لارسال مراقبى الأمم المتحدة فورا ، للاشراف على مراعاة وقف اطلاق النار بين قوات اسرائيل وجمهورية مصر العربية ، مستخدما لهذا الغرض أفراد الأمم المتحدة الموجودين الآن فى منطقة الشرق الأوسط ، وفى مقدمتهم الأفراد الموجودون بالقاهرة) ٠

وقبلت مصر القرار طبعا فنفذته فى ٢٢ أكتوبر بصدور أمر الرئيس السادات بوقف القتال ، فى حين انتهزت اسرائيل الفرصة لما حسبته كسبا ، وما أدركت أمريكا مع خبراء العالم العسكريين أنه مصيده ، وأن موقف اسرائيل بعد تسللها الى غرب القناة قد زاد من سوء موقفها فى الوقت الذى كانت الولايات المتحدة تحاول فيه انتشالها من الهوة التى تردت فيها ٠

وتكهرب الجو ، خصوصا فيما بين موسكو وواشنطن ٠ وبدأت سلسلة من الاخطارات الحازمة تنتقل بين الجانبين ، كانت فى الواقع اختبارا لارادات معقدة بشأن الأزمة ٠

وطلب الاتحاد السوفييتى عقد مجلس الأمن فورا ٠ وفاجأت روسيا العالم بما طالب به الرئيس السوفييتى يوم ٢٤ أكتوبر من ارسال قوة أمريكية سوفيتية مشتركة الى الشرق الأوسط ٠ ثم زاد من حدة الأزمة ما لاحظته واشنطن من تحول مماثل ومحير فى الأمم المتحدة ، فهناك بدأ مندوب السوفييت ، جاكوب مالك ، يتحول فجأة من المطالبة بمجرد تأكيد جديد لقرار وقف اطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر ، الى المطالبة باتخاذ قرار يقضى بارسال قوة مشتركة من أمريكا وروسيا الى قناة السويس ٠

ثم صاحب هذه الاتجاهات ما هو أدهى وأمر ٠ فقد لاحظت وكالة المخابرات الأمريكية التى تعتمد أساسا على عمليات رصد التحركات السوفيتية الكترونيا فى البر والبحر والجو ، أن سفن الانزال السبع

والسفينتين المحملتين بالطائرات الهليكوبتر لنقل الجنود ، والتى كانت كلها ترابط فى شرق البحر الأبيض المتوسط قبل ذلك بأسبوع ، قد بدأت تتحرك فى دائرة ٠

وسجل المرصد الالكترونى فى نفس الوقت اشارات بوضع سبع فرق من القوات المحمولة جوا (نحو ٤٩ ألف جندى) فى حالة تأهب واستعداد ، بينما تم وضع فرقة منها فى درجة من التأهب أعلى خلال النهار ، بحيث أصبحت مستعدة للتحرك بمجرد صدور الأوامر اليها بذلك ٠

وفى نحو الساعة الثالثة من مساء ذلك اليوم ، أرسل الرئيس السوفييتى نداءه الأول الى الرئيس الأمريكى ، فى شكل مذكرة بارسال قوة أمريكية سوفيتية مشتركة لاقرار السلام فى الشرق الأوسط ٠

ومرت الساعات دون رد فعل من جانب أمريكا ٠ حتى اذا ما كانت الساعة العاشرة تقريبا من نفس المساء ، وصلت أمريكا مذكرة ثانية تنذر بأن الاتحاد السوفييتى قد يضطر الى تدبر العمل منفردا ٠ وبمراجعة تقارير المخابرات عما تم رصده الكترونيا من الاستعدادات الرسمية ، كانت الصياغة الوحيدة للموقف فى رأى وزيرى الخارجية والدفاع الأمريكيين معا ، هى أن الاتحاد السوفييتى قد عقد العزم على وضع قوات فى الشرق الأوسط ٠

ودعى مجلس الحرب الأمريكى للاجتماع على عجل ٠ وتليت على أعضائه المذكرة السوفيتية الحازمة التى تقول ضمن ما تقول (اننا نلح بشدة فى أن يرسل كلانا قوات لتنفيذ وقف اطلاق النار ، واذا لم تفعلوا ذلك فقد نرى أنفسنا مضطرين لتدبر العمل منفردين) ٠ وفى حوالى الساعة الحادية عشر مساء ، تم اتفاق مجلس الحرب بسرعة على اتخاذ شكل معدل من أشكال التأهب كرد عسكرى من جانب الولايات المتحدة ، يستهدف أثناء الاتحاد السوفييتى عن العمل وحده ٠

ووقع الاختيار على (حالة الدفاع رقم ٣) ، وهى (أمر بالاستعداد لتلقى مزيدا من الأوامر التى قد تأتى) ٠ وبصدور هذا الأمر دخل الوفاق الأمريكى السوفييتى فى مرحلة النزع الأخير ٠

واذا كان الموقف قد تم نقله الى سائر الدول الأعضاء فى حلف الأطلنطى ، عن طريق أجهزة وزارة الدفاع الأمريكية ، حوالى الساعة الثانية صباحا ، مما آثار امتعاض تلك الدول رغم ادعاء وزارة الدفاع أن التأخير نجم عن عيوب فى أجهزة الاتصال ، فان الموقف أبلغ أيضا الى وزارة الخارجية ، حيث أثار امتعاضا ولكن فى الاتجاه الآخر ٠

وصفت الوزارة المذكرة السوفيتية فى بيانهـا على لســان هنرى جاكسون أحد أعضاء مجلس الشيوخ والعضـو البارز فى لجنـة القوات المسلحة ، بأنها (كانت وحشية وقاسية) وأن لهجتها تصل الى حد التهديد من جانب الاتحاد السوفييتى (بأنه ذاهب الى الشرق الأوسط) • وقال (اننا نقف على حافة الحرب مرة أخرى ، والموقف حرج للغاية) • وقال (ان المذكرة لا تتفق مع مبادلات الوفاق التى جرت بين كيسنجر وبين الزعماء السوفييت خلال زيارته الأخيرة لموسكو) • وقال (اذا ذهب الاتحاد السوفييتى الى الشرق الأوسط فلن يغادره ، ولقد أدت التحركات السوفيتية الى تعرية وهم الوفاق مع الولايات المتحدة بسبب مطامع الروس فى أن يكون لهم قدم فى الشرق الأوسط يهيمن على قناة السويس ويصل الى منطقة بترول الخليج ، واذا تحقق هذا الهدف فسيكون كارثة) •

ووصفت الحكومة السوفيتية اعلان حالة التأهب الأمريكى ، على لسان الرئيس السوفييتى فى حديثه الهادىء الى نحو ثلاثة آلاف مندوب فى مؤتمر السلام الذى كان منعقدا فى ذلك الوقت ، بأنها (ليست سوى طبل أجوف من نوع لم يشهد له العالم مثيلا من قبل) • وبأنها (باطلة وسخيفة ولا تعدو محاولة لارهاب الاتحاد السوفييتى) • وبأن (الذى حدث هو أن الاتحاد السوفيتى قد أرسل فعلا فريقا من المندوبين لمراقبة وقف اطلاق النار ، عددهم ٨٠ فردا ، وأنه قضى بذلك على آخر خطر من اتساع نطاق أزمة الشرق الأوسط ، بأن أرغم الأمريكيين على أن يفعلوا المثل رغم ترددهم ، وبذا تحقق الوجود المباشر للقوتين العظميين على مسرح الأحداث فى الشرق الأوسط ، مما تشعر ازاءه موسكو بأنها قد حققت انتصارا دبلوماسيا كبيرا من موقف بدا وكأنه يهدد بحدوث أزمة مماثلة لأزمة كوبا) •

أما البيان الرسمى السوفييتى فقد صـدر وهو أكثر تشددا فى مهاجمته بقسوة قرار أمريكا اذ قال (ان أية تفسيرات يقدمها نيكسون لهذا القرار ستكون باطلة وسخيفة ولا تساعد على المحافظة على الانفراج الدولى والوفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى) • وأن صانع القرار (قد أخطأ العنوان ولم يحسن اختيار من يوجه قراره اليه) •

ووجدت أمريكا نفسها ، للمرة الثانية ، بين أن تتسبب فى قيام حرب نووية تدمر العالم من أجل عيون اسرائيل ، وبين أن تتحول عن الخط الذى كان يدفعها فى عماء ودون تدبر وراء الرغبات الاسرائيلية •

واختارت الحل الأخير مرغمة • وهرع كيسنجر الى مجلس الأمن يدعوه الى الاجتماع ، ويتقدم بطلب الاقتراع على اقتراحـه بانشاء قوة للسلام ، تستبعد منها الدول الكبرى • وأجرى الاقتراع ، فوافق المجلس

مجتمعا على الاقتراع ، وعلى التنديد باسرائيل ، وعلى مطالبتها بوقف القتال والانسحاب ، ليس فقط من الضفة الغربية للقناة ، بل على أساس مباحثات تنتهى بالانسحاب الكامل من جميع الأراضى العربية .

وفى مناسبة هذا التحول الأمريكى الثانى لم تسكت اسرائيل ، فانفجرت تعترف على صفحات جريدة معاريف ، أوسع صحفها انتشارا ، بأن الولايات المتحدة (تمارس ضغطا قويا على اسرائيل لسحب قواتها) .

وان حكومة الولايات المتحدة (تطالب القيادة الاسرائيلية ، تحت ضغط من الحكومة السوفيتية بالانسحاب دون تردد) . وأن أمريكا تقول بصراحة لاسرائيل (ان من مصلحتها ومن مصلحة أمريكا أن تنسحب القوات الاسرائيلية) .

ثالثا :

أزمة الرأى العام الأمريكى

لقد يبدو غريبا القول بأن الرأى العام الأمريكى تسبب فى أزمة لا تقل آثارها عما سببته أزمة الهزيمة الاسرائيلية ، أو الوفاق الأمريكى السوفييتى ، أو أزمة حلف الأطلنطى التى خلقها سلاح البترول ، ولكن الرأى الأمريكى أثار أزمة — بعد انقياده الأعمى وراء الحكومة الأمريكية واسرائيل — كانت واحدة من أسباب التحول الأمريكى التى لعبت دورها البارز .

ويكاد لا يخطئنا البحث لو قلنا أن أزمة الرأى الأمريكى بدأت فى الحادى والعشرين من أكتوبر ، بعد أسبوعين من بدء القتال ، بالصيحة الجريئة التى أطلقها القس الأمريكى فيليب بريجان ، الذى سبق أن حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات بسبب معارضته السياسات الأمريكية فى فيتنام ، بعد أن قبض عليه لتهمة مزورة هى محاولة نسف البيت الأبيض وخطف كيسنجر .

أمام مؤتمر الأمريكيين من أصل عربى الذى عقـد فى واشنطن ، شن بريجان هجوما عنيفا على اسرائيل ، وأعلن تأييده القوى لمقترحات الرئيس السادات الخاصة باقرار السلام فى الشرق الأوسط .

قال (انى آمل — بتأييدى مقترحات الرئيس السادات — أن أحبب على أولئك الذين يحـاولون تصوير الحرب الدائرة على أنهـا الانتفاضة الأخيرة لبقاء اسرائيل على قيد الحياة ، والأمر ليس كذلك .. وعلى أولئك

الذين ينتقدون هذه الحرب فيصورونها على أنها تأييد لابادة اسرائيل من الوجود ، والأمر ليس كذلك أيضا ٠٠ وعلى أولئك الذين يعتبرون امداد سياسة الولايات المتحدة انحيازا الى جانب الاتحاد السوفييتى ، مع أن الأمر ليس كذلك) ٠

وقال (ان الأمر ليس كذلك ، لا لمجرد أن الحكومة الأمريكية التى تسببت فى كثير من مظاهر الشقاء فى العالم تؤيد اسرائيل ٠٠ ولا لمجرد أن اليهود الأمريكيين أو الاسرائيليين قد ربطوا تأييدهم أو خضوعهم بما يريده نيكسون ٠٠ أن الأمر ليس كذلك فى الواقع لأن اسرائيل تفعل ما تريده الولايات المتحدة أو المركب الصناعى العسكرى الأمريـكى أن يفعلوا ، بأسلوبه التقدمى العدوانى ، ولأن اسرائيل تقوم بدور العميل للسياسة الأمريكية) ٠

وقال بعد أن انتقد الرئيس نيكسون وحكومته بسبب التأييد المطلق لاسرائيل بدون شروط ، (لو أن العالم أخذ بخطة الرئيس السادات لأمكن انقاذ الشرق الأوسط من تلك الفوضى التى يعانيها ، والا فان كثيرا من أسباب الشقاء سوف تستمر ، وسوف يتحمل الرئيس نيكسون وموشى ديان وجولدا مائير ، وخليفتهم كيسنجر وزر ما يحـــدث فى هذا العصر من جرائم) ٠

وكأنما كان الرأى العام الأمريكى فى انتظار الشجاع الذى يجاهر برأيه ٠ اذ ما كادت تمر أربعة أيام على صيحة القس بيريجان ، حتى وقف جون بادو ، سفير أمريكا الأسبق فى القاهرة ، أمام لجنة الشئون الخارجية لمجلس النواب الأمريكى ، ليقول فى ٢٤ أكتوبر (ان امكان ايجاد تسوية واقعية لأزمة الشرق الأوسط ، أفضل الآن منها قبل نشوب الحرب ، وينبغى على الولايات المتحدة أن تمارس بعض الضغط على اسرائيل من أجل الوصول الى تسوية) ٠

وفى نفس الوقت الذى كان فيه جون بادو يدلى برأيه أمام مجلس النواب كان جيمس هلمز ، عضـــو مجلس الشيوخ عن ولاية كارولينا الشمالية ، يقدم مع ثلاثة من الأعضاء الى المجلس رأيه بأن أمريكا تواجه موقفا يتنازع فيه طرفان لا يعتبر أى منهما عدوا لأمريكا ، ثم يقدم اقتراحا يقضى أولا باعادة انشاء ادارة مدنية فى كل من سيناء والجولان والضفة الغربية تحت سيطرة كل من مصر وسوريا والأردن ، وثانيا انشاء مناطق واسعة منزوعة السلاح عند حدود الدول العربية واسرائيل ، وثالثا تسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، ورابعا تقديم معـونة الى الدول العربية لاستخدامها فى التنمية الاقتصادية ٠ حتى اذا ما قدم مقترحاته الأربعة ، اختتم حديثه بقوله (وأهم من كل هذا ، يتعين على اسرائيل أن تعترف

بوحدة الدول العربية ، كما يتعين عليها اعادة جميع الأراضى التى استولت عليها بالقوة فى عام ١٩٦٧ الى أصحابها) ٠

ومر شهر كامل على صيحة القس بيريجان الأولى ، باسم الرأى العام الأمريكى فى الحادى والعشرين من أكتوبر ٠ وجاء الشتاء الأمريكى القارس ليرغم المواطن الأمريكى على الشعور بأزمة الطاقة كما لم يشعر بها فى حياته المرفهة ٠ حتى اذا ما كان يوم العشرين من نوفمبر ، بدأت مصادر وزارة الخارجية الأمريكية نفسها تنوه بأن معاناة المواطن الأمريكى من شتاء قارس ، ومن زيادة أسعار البنزين ، ومن احتمال حظر استخدام السيارات الخاصة فى أيام الآحاد (ستكون المحك الحقيقى للسياسة الأمريكية التقليدية فى التأييد المطلق لاسرائيل) بعد أن أثرت قرارات دول البترول العربية بحظر ارسال البترول الى الولايات المتحدة فى طريقة الحياة التى اعتادها المواطن العادى ٠

قالت هذه المصادر أنه بعد ٢٥ عاما من الولاء الأمريكى الكامل لاسرائيل ، بدأ الرأى العام الأمريكى ، كما بدأت الكوادر المتوسطة من المسئولين الأمريكيين تحس بخيبة أمل (بسبب التكاليف الباهظة للسياسة الأمريكية تجاه اسرائيل ، والتى كلفت الولايات المتحدة عداء الدول العربية ، وهى دول لم تتسبب فى أية أضرار للشعب الأمريكى كما قال السيناتور وليم فونبرايت مرارا ٠

ومضت هذه المصادر تقول انه (بعد أن يرتجف الأمريكيون فى بيوتهم خلال هذا الشتاء فان الالتزام العاطفى تجاه اسرائيل قد يخف ، وقد يصبح فى الامكان اقامة علاقات أكثر اعتدالا مع اسرائيل وباقى دول العالم ، وخاصة اذا ما مضى حكام اسرائيل فى سياسة الرفض المتشددة للانسحاب من الأراضى العربية المحتلة) ٠

وظلت ظواهر التحول فى الرأى العام الأمريكى الرسمى تتناثر ، ولكن على أنها تصدر عن (مصادر وزارة الخارجية) ، طوال ما بقى من شهر نوفمبر وحتى منتصف ديسمبر ، كى يؤكدها نفس وزير الخارجية ، هنرى كيسنجر بتورياته التى تضمنها شرحه للمشكلة أمام أعضاء الكونجرس الأمريكى فى ١٣ ديسمبر ٠ ولعله مما يبرز مدى تحول الرأى العام فى الولايات المتحدة أن نعلم أن أول رجل رسمى جاهر به ، هو نفس كيسنجر اليهودى الذى فقد اثنى عشر من أفراد أسرته فى معسكرات الاعتقال النازية ، والذى كان عليه أن يقنع اسرائيل وأصدقاء اسرائيل بأن أى سلام دائم فى الشرق الأوسط يرتهن بحدوث تغييرات أساسية فى كلا السياستين الاسرائيلية والأمريكية ٠ ولقد أجاد كيسنجر ، تحت

ضغط الرأى العام الذى بدأ ينفجر فى أمريكا ، بشرح الموقف فى نقاط سبع هى ، كما قال :

أولا : ان المشكلة الآن تختلف تماما منذ حرب أكتوبر وحظر البترول ، ولا يمكن حلها باعادة الموقف الى ما كان عليه من قبل أو حتى عن طريق نظرية ميزان القوى .

ثانيا : ان العودة الى مواقف ٦ أكتوبر ليست فى صالح اسرائيل . فخسائرها وصلت الى واحد من كل ٤٩٤ من سكانها ، والعرب يحصلون على أسلحة حديثة أكثر تعقيدا ، ويتقنون استخدامها ويحرمون اسرائيل من فرصة القتال على جبهة واحدة فى الوقت الواحد .

ثالثا : ان عزلة اسرائيل الدبلوماسية بالرغم مما تبذله الولايات المتحدة ، ستزداد ما لم يتم التوصل الى تسوية عامة ، فأوروبا أكثر اهتماما باستقرارها الاقتصادى منها بأمن اسرائيل ، وأفريقيا السوداء قطعت علاقاتها مع تل أبيب ، واليابان ومعظم الدول الآسيوية ستقطع علاقاتها مع اسرائيل اذا استمرت فى الاتجاه الحالى ، وبغير حدوث تعديلات أساسية فان اسرائيل ستنتهى الى عزلة دبلوماسية دولية ، دون أن يبقى من صديق لها سوى الولايات المتحدة الأمريكية .

رابعا : ان مركز اسرائيل ، حتى فى الولايات المتحدة ، ان يكون آمنا مالم تغير من سياستها ، فواشنطن ملتزمة بتأييد قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى يدعو اسرائيل الى التخلى عن الأراضى التى احتلتها فى حرب عام ١٩٦٧ ، والولايات المتحدة الآن ترغب فى أن تضمن رسميا استقلال اسرائيل وسلامة أراضيها اذا أمكن الترتيب لعقد معاهدة سلام جديدة بين المتحاربين .

خامسا : أن الولايات المتحدة ليست على استعداد للمخاطرة بخوض حرب مع الاتحاد السوفييتى فى كل مرة يحدث فيها صدام بين العرب واسرائيل ، وهى ليست بالقطع على استعداد لتحمل مثل هذه المخاطرة اذا حدثت عودة للوضع الذى كان راهنا .

سادسا : ان موقف الكونجرس لا يوحى فى وضوح كاف بأنه سيظل مؤيدا لارسال مزيد ومزيد من شحنات السلاح الى اسرائيل دفاعا عن الترتيبات السياسية الهشة التى حدثت فى الماضى ، ولن يكون من السهل كذلك الحصول على ضمان أمريكى آخر حتى بالنسبة لاسرائيل ، ما لم يتم التوصل الى معاهدة سلام متفق عليها بين اسرائيل وبين الدول العربية .

سابعا : ان مثل هذه التسوية ، اذا قدر للتفـاوض أن يتوصـل اليها ، لابد أن تضمنها الولايات المتحدة وسـائر الدول الكبرى ، وقد تكون هذه آخر فرصة لاسرائيل تعقد فيها سلاما لا يفرض عليها ٠

وبعد هذا الشرح للمشكلة ، وافق كيسنجر على أن هذا كله له وقع الصدمة والألم على اسرائيل ، ولكنه يتدرع بنقطة أبرزها بقوله (تخيلوا ما سيحدث فى العالم اذا كان ثمة استياء عام وبطالة عامة يمكن ردهما الى تصلب اسرائيل وعنادها) ٠

هذه النقطة بالذات ، وبصدورها عن نفس وزارة الخارجية ، ظلت مثار نقاش فى المجالس الخاصة كمصدر للقلق ودعوة صريحة الى الامعان فى تدبر الأمر والنظر اليه من الزوايا الأخرى التى كانت تغفل من قبل ، عن عمد فى أغلب الأحيان ٠

حتى اذا ما احتدم هذا النقاش ، وجد قادة الرأى العام الأمريكى أن عليهم حسم الأمر ، ولذا تقرر عقد مؤتمر اعلامى عام للصحفيين ورجال الفكر والاعلام ، فى ليلة الثالث عشر من مايو عام ١٩٧٤ ، اشترك فيه ١٣٠٠ منهم لمناقشة ما اذا كان هناك انحياز يهودى تجاه قضية الشرق الأوسط ٠ وكانت النتيجة التى انتهى اليها المؤتمر هى الخروج باعتراف خطير هو أن تغطية الصحافة الأمريكية لأنباء الأزمة تميزت بالافتقار الى الواقعية ، وبالانحياز الى اسرائيل ٠

قال الكاتب الأمريكى الكبير بول جاكوبى (ان ما نحن بصدده الآن هو بالفعل انحياز أمريكى عام ، وفى اطار هذا المضمون يمكن أن نقول أيضا أنه انحياز غربى عام) ٠ وهو اعتراف ضمنى بأن أوروبا أيضا كان يجرفها بدورها تيار هذا الانحياز ٠

وقالت الكاتبة فيفيـان جورنك (لقد اقتنعت بعد زيارة لمصر استغرقت ستة شهور من عام ١٩٧١ بأن المراسلين الأجانب فى القاهرة انما يرسلون « الكليشيهات » المزروعة فى رؤوسهم مسبقا) ٠

وقال رتشارد سميث ، أكبر محررى مجلة نيوزويك (اننى أعتقد بأن هناك بالفعل انحيازا من جانب الصحافة فى معالجة هذه القضية ، واننى أوجه اللوم على ذلك الى المجموعة اليهودية فى أمريكا ، لمطالبتها بأنباء اسرائيـل وبخلق علاقات عامة أفضـل معهـا ، وبالتشكيك فى العرب) ٠

وقالت هيلين توماس ، مراسلة وكالة يونايتدبرس (اننا نملك قدرة وقوة البحث عن الحقيقة · ونحن لانريد أن نكون بالضرورة محبوبين ، بقدر ما نريد أن نكون على صواب) ·

وتوالت الكلمات وكلها تدور حول نفس المحور ، لتتبلور أخيرا فى غرض استقر عليه رأى المؤتمر ، هو (رؤية كيف يمكننا أن نؤدى عملنا بشكل أفضل) ·

ولقد بدأ قادة الرأى الأمريكى هؤلاء يؤدون عملهم بشكل أفضل ، ترتب عليه الاسراع بعجلة تحول الرأى العام الأمريكى الى طريق الصواب ، والاسراع بالتالى الى تطوير الفكر فى الولايات المتحدة على نحو كان كافيا ، الى جانب ما سببته أزمتا الهزيمة الاسرائيلية والوفاق الأمريكى السوفييتى ، فى التحول الأمريكى الذى نفرد له هذا الفصل من الكتاب ·

وكان طبيعيا أن تحس الأطراف المعنية ، بآثار هذا التحول ·

فأما رد الفعل بين يهود أمريكا فقد عبر عنه برترام جولد ، الرئيس التنفيذى للجنة اليهودية الأمريكية ، فى ١٧ مايو عام ١٩٧٤ ، بأن (هناك دلائل جديدة على وجود موجة عداء لليهود والحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة) وان كان قد حذر من عواقب وصم كل من يختلف مع اليهود بتهمة العداء للسامية ·

وأما فيما بين أمريكا والعرب ، فقد كشف عنه رونالد زيجلر ، المتحدث الأمريكى الصحفى باسم البيت الأبيض ، بما أعلنه من (أن الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون سيزور الشرق الأوسط فى وقت قريب ، ويأمل أن يزور فى جولته مصر وسوريا والسعودية والاردن والكويت) ، وبما قرره المتحدث الرسمى المصرى من (أن مصر ترحب بهذه الزيارة ترجو ان تسفر عن نتائج ايجابية فى اتجاه التغيير الذى طرأ على سياسة الولايات المتحدة بعد حرب أكتوبر) ·

وأما فى اسرائيل فقد بدأ الأسرائيليون ، حكومة وشعبا ، يشعرون بالكآبة والقنوط فى مواجهة تطورات أحسوا بأنه لم يعد فى وسعهم أن يسيطروا عليها ، وتنتابهم العصبية ازاء اعتمادهم شبه الكلى على الولايات المتحدة التى بدأت تفاجئهم بما يوحى بضغطها عليهم ، وتذهلهم الاتصالات السريعة الخطى بين واشنطن وموسكو والقاهرة ·

لقد أصبح التحول الأمريكي حقيقة واقعة . واذا كان قد ترتب عليه شيء ، فهو أولا انفجار من الداخل في اسرائيل بدأ بتبادل الاتهامات وانتهى بسقوط الحكومة الاسرائيلية ، وثانيا باعتدال الميزان الأمريكي في تعامله مع مصر مقارنة باسرائيل .

ويدل استقراء التطورات على أن الرأى الحكومى الأمريكي قد استقر على التحول تحت ضغط الهزيمة العسكرية التى نزلت باسرائيل خلال الاسبوع الأول من القتال ، وان هذا التحول أخذ فى الرسوخ حتى اكتسب صفة المبدأ بتوالى عوامل الضغط الأخرى التى سببتها أزمة الوقود فأزمة صحوة الرأى العام الأمريكي .

وفى اليوم الأول من نوفمبر ١٩٧٣ كانت جولدا مائير فى واشنطن لتوضيح وجهة النظر الاسرائيلية للرئيس نيكسون ، وصفوة ما يقال عن نتائج تلك الزيارة هو أنها أعادت اسرائيل الى حجمها الحقيقى . واذا كان ما دار خلال الزيارة مازال سرا من حيث التفاصيل ، فان النتائج توحى بها نتيجة زيارة اسماعيل فهمى ، مبعوث الرئيس السادات ، للرئيس الأمريكي ابتداء من نصف اليوم الأول من نوفمبر . فبعد أن سمع نيكسون وجهة النظر المصرية قال انه سيعود لزيارة مصر حتما ، وأن موقف مصر ايجابى ، وأن الزيارة جاءت فى مرحلة هامة من أجل تحقيق السلام فى الشرق الأوسط ، وأن الأمريكيين يصرون على أن الظروف التى أدت الى هذه الحرب يجب أن تنتهى . حتى اذا ما انتهت المحادثات ، رافق كل من الرئيس نيكسون ووزير خارجيته كسينجر المبعوث المصرى حتى سيارته فى حديقة البيت الأبيض ، حيث تصافح الجميع بحرارة .

وفى الثامن من نوفمبر ، بعد أن انتهت زيارة كسينجر للرئيس السادات للاتفاق على وسائل تطبيق القرار ٢٤٢ بعد وقف اطلاق النار ، صرح كيسنجر بأن مصر وأمريكا اتفقتا على مبدا عودة العلاقات الدبلوماسية كاملة بينهما فى وقت قريب يفترض أن تكون قد تمت فيه خطوات معينة فى طريق السلام على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

وفى الحادى والعشرين من نوفمبر حضر الى مصر ٢١ من أعضاء الكونجرس الأمريكي ، ومعهم سبعة من المستشارين ، لتقصى الحقائق فى الشرق الأوسط . وبعد أن سمعوا عشرات الاجابات من الرئيس السادات لعشرات الأسئلة التى توجهوا بها اليه ، صرحوا بأن الرأى

العام الأمريكى والحكومة الأمريكية كانت تنظر الى أزمة الشرق الأوسط من جانب واحد دون باقى الجوانب ، وانهم سعداء بالمامهم بأطراف القضية أخيرا ٠

وفى السادس من ديسمبر أكد نيكسون فى اجتماع له مع ٣٧ من أعضاء مجلس النواب الديمقراطيين أنه (يجب على اسرائيل أن تدرك أن واشنطن هى صديقها الوحيد بين الدول الكبرى ، وأن سياسة الاحتفاظ بالأراضى التى استولت عليها من الدول العربية ليست سياسة عملية) ٠

وفى الرابع من فبراير ١٩٧٤ حضر ديفيد روكفلر ، رئيس مجلس ادارة بنك تشيز مانهاتن الأمريكى ، ليعرض على الرئيس السادات : أولا تمويلا متوسط الأجل قدره ٨٠ مليون دولار لاستخدامه فى الأغراض الاقتصادية التى تحددها مصر ، وثانيا ، انشاء مكتب للبنك فى القاهرة لا يعتبر فرعا للبنك انما تقتصر مهمته على ايجاد الوسائل لدعم العلاقات المصرفية بينه وبين البنوك المصرية ٠

وفى السابع والعشرين من فبراير وصل الى القاهرة روبرت ماكنمارا رئيس البنك الدولى للانشاء والتعمير مع خمسة من كبار مستشاريه لا ليقول ، بايعاز من أمريكا ، ان مصر تعانى شبه جفاف مالى مما لا يشجع البنك على تقديم قروض لبناء السد العالى ، كما حدث ذات مرة من قبل ، بل ليقول بايعاز من نفس أمريكا ، ان مصر تعانى شبه جفاف مالى مما يلزم البنك بتقديم قروض للبناء والتعمير ، بما يعتبر أضخم عملية يقوم بها البنك بحماس بعد مساهمته فى تعمير أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية ، مع وضع قناة السويس واستصلاح الأراضى واستغلال كهرباء السد العالى فى المرتبة الأولى ٠

وفى اليوم الأول من شهر مارس ١٩٧٤ صرح كيسنجر ، وزير خارجية أمريكا ، بقوله فى أكبر مؤتمر صحفى من نوعه (يسرنى أن أؤكد اليوم أن عصرا جديدا قد بدأ بين بلادى ومصر ، والفضل الأول فى هذا يرجع الى الرئيس السادات) وبهذا التصريح وصلت القطيعة بين مصر وأمريكا الى خاتمتها ، بعد أزمة ثقة زاد عمرها دبلوماسيا على ثمانى سنوات ٠

وفى الثانى عشر من يونيو ١٩٧٤ ، كان الرئيس ريتشارد نيكسون بالقاهرة مع قرينته ، ليس فى أول زيارة تجىء فى أعقاب التغييرات العالمية الواسعة والعميقة التى فرضتها حرب أكتوبر فحسب ، بل وأيضا فى أول زيارة رسمية يقوم بها رئيس أمريكى لمصر ٠ وقد لا يكون فى

صفحات هذا الكتاب مجال لتفصيل ما عبرت عنه هذه الزيارة ، بيد أن بعض المؤشرات عن حقيقـة التحول الأمريكى ومداه خليقة بأن نجـد لنفسها مجالا هنا مع صدى وقعها بين مصر والمصريين ٠

سبقت الرئيس الأمريكى ثمانى طائرات خاصة نقلت من واشنطن بعض أفراد السكرتارية والحرس الخاص والمعدات الخاصة بهم ، وأوقفت حركة الطيران بميناء القاهرة الجوى ساعتين ونصف الساعة فى الموعد المحدد لوصول نيكسون ٠ وتم تركيب محطة لاسلكية حيثما تقرر أن يقيم لتتيح له الاتصال المستمر والمباشر مع البيت الأبيض ومختلف أنحاء العالم عن طريق الأقمار الصـناعية ٠ وقامت مؤسسة الكهرباء بتغذية قصور اقامته بثلاثة مصادر كهربائية مختلفة لضـمان استمرار التيار الكهربائى ٠ وأعدت سبعة مراكز صحفية لتغطية الزيارة باللاسلكى والتلكس من مطار القاهرة وقصور القبة ورأس التين والمنتزه وفنادق شيراتون وهيلتون وفلسطين ٠ وروعى أن يرافق سـائق القطار الذى سينقل الرئيس الأمريكى من القاهرة الى الاسكندرية خبير عالمى لضمان مواجهة أى عطل ميكانيكى ٠ كما روعى أن ترافق القطار طائرة هليكوبتر كحلقة وصل بين أجهزة القطار اللاسلكية وبين محطة اللاسلكى الأرضية الرئيسية ٠ وأن يتبع القطار ، وبنفس سرعته ، قطار خاص مجهز بغرفة عمليات ضمت مجموعة من الأطباء المصريين والأمريكيين ٠

وحيثما انتقـل الرئيس الأمريكى مع قرينتـه ، كانت الحفـاوة الرسمية والشعبية وكان الهتاف المصرى المنبعث من القلب ، يعبر عن مدى ما تعتمر به نفوس الشعب المصرى المنتصر من عشق للسلام وبغض حتى للحرب التى انتصر فيها والتى أثبت عن جدارة أنه قدير على الانتصار فى غيرها ٠ وفى هذا الصـدد قال نيكسون (لقد زرت الكثير من بلاد العالم ، ولكنى لم أر مثل الحفاوة التى تمس القلب مباشرة والتى قوبلت بهـا فى مصر) ٠ وقال (ان عدد من خرجوا لاسـتقبالى فى القـاهرة والاسكندرية وحدها يزيدون على ثلاثة أمثال تعداد اسرائيل) ٠ وقال (من اليسير جدا أن تجمع الجماهير لاستقبال زائر ، ولكنك لا تستطيع أبدا أن تتحكم فى مشاعرهم أو فيما تكنه قلوبهم من حرارة أو فتور) ٠

لقد تبودلت بين الرئيسين ، السادات ونيكسون ، الكلمات والخطب والمناقشات فى عديد من المناسبات سواء بحضور المئات من ممثلى الاعلام والصحافة فى العالم أو أثناء الجلسات الخاصة ، ولكن محور الحديث لم يخرج أساسا عن ضرورة تحقيق السـلام العادل والدائم فى الشرق الأوسط ، وضرورة انسحاب اسرائيل من جميع الأراضى العربية المحتلة ،

وضرورة استعادة الشعب الفلسطيني حقوقه السياسية · ضرورات ثلاث كانت محور الأحاديث في شرفة قصر القبة بمجرد وصول نيكسون ، وفي مأدبة العشاء التي أقامها الرئيس السادات في حديقة القصر في نفس اليوم ، وفي الليل بعد انتهاء المأدبة . وفي القطار الذي نقل الرئيسين في اليوم التالي الى الاسكندرية ، وفي قصر رأس التين الذي نزل به ضيف مصر ، وفي الطائرة الهليكوبتر التي نقلت الرئيسين في اليوم الثالث الى منطقة الأهرام ، وفي مكتب الرئيس السادات بقصر عابدين ، ثم في المؤتمر الصحفي الذي انعقد بقاعة المسرح بقصر عابدين والذي أعلن فيه الرئيسان ايمانهما معا بالضرورات الثلاث كأساس لحل أزمة الشرق الأوسط ، والذي حرص فيه نيكسون على التنويه بأن التحول الأمريكي تجاه الموقف بين العرب واسرائيل أصبح حقيقة واقعة ، وأن العلاقات بين مصر وأمريكا قد عادت الى طبيعتها سياسيا واقتصاديا وثقافيا و ··· ذريا ·

واذا كانت زيارة الرئيس الأمريكي لمصر لم تجاوز الثلاثة أيام فقد أمكن خلالها محو آثار العديد من سنوات الجفاء وسوء الفهم وسوء الظن ·

ما بعد نيكسون ··

ما كانت اسرائيل لترى التحول الأمريكي الذي ألمحنا في ايجاز اليه وتكتفي بمجرد متابعته · وما كانت جماعات الضغط الصهيوني في الولايات المتحدة عموما ، وداخل الكونجرس بوجه خاص ، لتتابع مراحل هذا التحول وهي مكتوفة اليدين · واذا كانت اسرائيل وكانت جماعات الضغط الصهيوني قد آثرت الانتظار قبل أن تضرب ضربتها ، فقد كان ذلك على مضض ولأسباب كانت تبرر التريث وتراه في صالح اسرائيل·

كانت جماعات الضغط قد أعدت عدتها للتخلص من نيكسون ·· بعد شهر وثلاثة أيام من بدء القتال · ففي الثاني من نوفمبر ١٩٧٣ ، بدأت الأنباء تتناثر عن أن مؤيدي اسرائيل داخل الكونجرس وخارجه

---

(١) جاء في الحولية اليهوديه الأمريكية ، الصادرة في مطلع عام ١٩٧٧ ، أحصاء لعدد يهود العالم حتى نهاية عام ١٩٧٦ هو ، ١٤مليون و١٤٥ ألف يهودي · وتبلغ نسبة الذين يعيشون منهم في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ٥ مليون و ٨٤٥ ألف يهودي ، وفي أوروبا ٤٠٠٥٠ر٣٤٥ يهودي موزعون كالآتي :
٤ر٦٨٠ر٠٠ بالاتحاد السوفيتي و ٥٠ر٠٠٠ بفرنسا و ٤١٠ر٠٠٠ بانجلترا ·

كانوا على وشك شن حملتهم ضد سياسة (نيكسون ــ كيسنجر) فى الشرق الأوسط ، وأن اسرائيل بادرت بحثهم على تجنب ذلك فى تلك المرحلة لأسباب كان لها ما يبررها ، منها أن الحكومة الأمريكية قدمت كميات ضخمة من الأسلحة لاسرائيل ، ومنها ضغط أمريكا على الاتحاد السوفييتى من أجل وقف اطلاق النار ، ومنها تجنب أغضاب نيكسون فى تلك المرحلة الدقيقة ، ومنها أن الولايات المتحدة هى المصدر الوحيد للسلاح وأنها كانت تسعى فعلا لرفع التسليح الاسرائيلى الى مستويات أعلى حتى مما كانت عليه قبل الحرب ، ومنها أن الموقف المالى فى اسرائيل قد بلغمن الخطورة حدا قاتلا وأن نيكســون طالب الكونجرس باعتماد ٢٢٠٠ مليون دولار كمخصصات دفاعية اضافية لاسرائيل ، ومنها أن أصدقاء اسرائيل كانوا يفلون يوما بعد يوم فى أفريقيا ، وينحون الى موقف الحياد فى أمريكا اللاتينية ، ويتخذون موقفــا أقرب الى العداء فى أوروبا ٠

ثم كان موقف (نيكسون ــ كيسنجر) من الفصل بين القوات فى الجبهة السورية ، وارغام أمريكا لاسرائيل على الاذعان لشروط سوريا مع المصارحة بأنها نسعى لتحقيق الأمن والسلام وليس لفرض وجهات نظر أحد الأطراف (تقصد اسرائيل) على أى طرف آخر ، وبأن (اتفاقية فصل القوات أهم وأخطر لاسرائيل من الاحتفاظ بمدينة القنيطرة والتلال الثلاثة التى تحيط بها) كما قال كيسنجر لجولدا مائير فى صراحة تامة ٠

وكانت فرصة الضغط التى يحتفظ بها مؤيدو اسرائيل ، تتمثل فيما عرف ولا زال باســـم (قضية ووترجيت) التى كانت منذ أثيرت تتراقص كالسيف المعلق فوق عنق نيكســـون ٠ ولقد ظلت جمــاعات الضغط عند رأى الحكومة الاسرائيلية فى التريث قبل العمل على الاطاحة بحكم نيكسون ، حتى اختتم الرئيس الأمريكى صـــور تحوله بزيارته لمصر ، ثم بايفاده مبعونيه لاسترضاء مصر على نحو ما ألمحنـــا اليه ٠ فعند هذا الحد نفد صبر اسرائيل ومؤيديها ، واستقر الرأى على التخلص من نيكسون ووزير خارجته كيسنجر معا ٠

وبدأ استغلال قضية ووترجيت كقضية قومية تستوجب محاكمة نيكسون ، عن طريق الضغط الصهيونى داخـل الكونجرس وخارجه ، ونشر استطلاعات الرأى المضللة لتوحى بأن رأى الأغلبية يتصاعد بطلب المحاكمة ٠

وضاقت بالرئيس نيكسون الأرض بما رحبت ، فلم يجد غير آن يلقى فى الخامس من أغسطس ١٩٧٤ بقنبلة مدمرة فى صورة اعتراف

بأنه حجب فعلا معلومات كان من شأنها الكشف عن هذه الفضيحة فى حينها . وأن تستره على الفضيحة وان لم يكن مقصودا فقد أضر بموقفه كرئيس للولايات المتحدة ٠

وفى فجر التاسع من أغسطس أعلن نيكسون استقالته ، وتسليمه السلطة الى نائبه جيرالد فورد ، وعن أمله فى أن تكون استقالته بداية لالتئام الجروح التى عانت منهـا أمريـكا لأمد طويل ٠ وضمن بيـان الاستقالة الذى لم يستغرق أكثر من سبع عشرة دقيقة ، حرص نيكسون على أن يؤكد بأن (هناك فى الشرق الأوسـط مائة مليون عربى كان معظمهم يعتبروننا عدوا لهم طوال أكثر من عشرين عاما ، ولكنهم الآن ينظرون الينا كأصدقاء) ٠ كما حرص على أن يوصى الشعب الأمريكى بقوله (لابد لنا أن نعمل على استمرار هذه الصداقة حتى يعود السلام أخيرا الى الشرق الأوسط ، وحتى لا يصبح مهد الحضارة لحدا لها) ٠

وتراقص السؤال فى كل من العالم العربى واسرائيل :

(وماذا بعد نيسكون ؟) ٠

وجاء الجواب سريعا ٠٠

فى العاشر من أغسطس ، بعد يوم واحد من استقالة نيكسون ، أكد الرئيس الأمريكى جيرالد فورد أثناء اجتماعه بالسفراء العرب فى واشنطن فى نفس ساعة دخوله البيت الأبيض تقريبـا (أن كيسنجر سوف يواصل جهوده فى المنطقة كما كان يفعل أيام الرئيس نيكسون)٠ ثم بادر فى نفس اليوم ببعث رسالة الى الرئيس السادات أكد فيها أنه (سيعمل على دعم العلاقات القائمة بين مصر والولايات المتحدة والتى أرسى مبادئها الرئيس الأمريكى السابق نيكسون) ٠ ولعل فى هذا ما حدا باسحق رابين الى اذاعة البيان الاسرائيلى المثبط للعزائم والذى نوه بأن (السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط تمليها المصـالح الأمريكية ، وليس هناك أى سبب يبعث الى الاعتقاد بأنها يمكن أن تتغير قريبا أو حتى على المدى البعيد) ٠

ولقد صدق حدس رئيس الحكومة الاسرائيلية ٠ فبعد يوم واحد آخر ، فى الحادى عشر من أغسطس اذيعت فحوى الرسائل التى أرسلها الرئيس الجديد جيرالد فورد الى كل من الرئيس الجزائرى هوارى بومدين ، والرئيس السورى حافظ الأسد ، والملك الحسن ملك المغرب ، والرئيس اللبنـانى سليمان فرنجيـه ، والتى أكدت التزام الرئيس

الأمريكى (بمواصلة الجهود السابقة من أجل اقامة سلام دائم وعادل فى الشرق الأوسط) ٠

أما فى رسالته الخاصة الى الرئيس السادات ، فقد حرص جيرالد فورد على أن يؤكد ، بكل ما فى الوضوح والاصرار من معنى ، أولا (أن الولايات المتحدة ملتزمة بقوة بمتابعة استراتيجيتها الدبلوماسية الساعية نحو سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ، بنفس القوة التى ميزت جهودها عبر الشهور التسعة الأخيرة ، أى منذ السادس من أكتوبر صانع العجائب ومحول المقادير ، وثانيا (ان الدكتور كيسنجر قد أحاطه تماما بالجهود التى بذلها خلال تلك الشهور ، وأنه يشعر بالسعادة لأن هنرى كيسنجر كوزير للخارجية سيواصل اداء دور مهم فى هذه القضية وفى غيرها من جوانب السياسة الأمريكية ، كما سيظل العمل على تحقيق السلام فى الشرق الأوسط فى قمة أهداف السياسة الخارجية للولايات المتحدة ، وثالثا (ان السلام فى الشرق الأوسط لم يعد بعيد المنال ، وهو ما يرجع الى حد بعيد لقدرة الرئيس السادات كرجل دولة) وأخيرا انه يتطلع الى تحقيق الزيارة التى كان الرئيس السادات يزمع القيام بها للولايات المتحدة قرب نهاية هذا العام) ٠

كانت الدلائل كلها تدل على أن التحول الأمريكى قد رسخت أقدامه وازداد عوده صلابة ٠ ففى السادس عشر من أغسطس ، بعد أقل من أسبوع من اضطلاع جيرالد فورد بالحكم الأمريكى ، اتخذت الولايات المتحدة قرارا بالقيام بتحرك سريع لحل أزمة الشرق الأوسط ٠ وفى نفس الوقت ، على صعيد ما بين مصر وأمريكا خاصة ، قررت أمريكا أن تستفيد مصر من قانون تصدير فائض المحاصيل الزراعية كمعونة ، ومدها بنصف مليون طن من القمح منها مائة ألف طن بصفة عاجلة رغم وجود عجز ضخم من محصول هذا العام ، وأن تزور القاهرة بعثة أمريكية فى ٩ سبتمبر لبحث مجالات التعاون الادارى والمالى ، وبعثة التعليم الطبى فى ٢٣ سبتمبر ، وبعثة عاجلة للتعاون الثقافى فى ٢٤ أكتوبر ٠ وأن يتم بصفة عاجلة فتح خمسة بنوك أمريكية فى مصر لتشجيع استثمار رءوس الأموال الأمريكية فيها ٠ وأن تتم الموافقة فورا على الطلبات التى تقدمت بها ٢٣ شركة أمريكية والتى عرضت فيها الاشتراك فى تخطيط مدن القناة ٠

حدث كل هذا خلال الأسبوع الأول من تنحى نيكسون عن الرئاسة ودخول جيرالد فورد البيت الأبيض ليحتل مكانه ٠

السوق الأوروبية المشتركة

برزت فى العالم ، بعد الحرب العالمية الثانيه ، قوتان رئيسيتان هما : الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى .. فى حين تراجعت بعدهما بريطانيا والدول الاوروبية الى مكانة أضعف مما كانت عليه قبل الحرب .

فبات من الضرورى ، أن تعمل تلك الدول (التى تدور فى فلك الولايات المتحدة وأطلق عليها الدول الغربيــة) على توثيق العلاقات السياسية فيما بينها وتوحد قراراتها الاقتصادية والسياسية لاستعادة مكانتها على خريطة المواقف الدوليــة ، بوحدة شاملة تجابه القوتين الرئيستين ، وعلى أن تكون عامل توازن بينهما ، مع التمســك بهما وبعلاقاتها ومصالحها مع الولايات المتحدة الأمريكية .

لذلك قامت السوق الاوروبية المشتركة ، بعد توقيع معاهدة روما فى ٢٥ مارس ١٩٥٧ بين كل من : ألمانيــا الغربيــة وفرنسا وايطاليا وبلجيكا وهولنــدا ولوكسمبرج .. وباشرت وجـودها الفعلى منذ أول يناير ١٩٥٨ ، كنواة للوحدة الأوروبية الشاملة ، كوحدة ذات شخصية اعتبارية متمتعة بالأهلية القانونية والقوى المعنوية بين الدول الأعضاء ، من خـلال تنظيم متناسـق لمباشرة الاختصـاصات فى مواجهـة الدول الأعضــاء .

وتنص معاهدة روما ، على تكوين أربع هيئات رئيسيه لمباشرة مهام وأعمال السوق ، وهى : اللجنة التنفيذية ــ مجلس الوزراء ــ محكمة العدل الأوروبية ــ البرلمان الأوروبى .

ثم انضمت الى عضوية السوق ، كل من : بريطانيا والدانمـارك وأيرلنـد، واليونان . وتم تشكيل البرلمان الأوروبى بالانتخاب الحر المباشر ، لاختيار ٤٣٤ عضـوا من الدول الأعضاء ليمثلوا حوالى ٢٠٠ مليون مواطن فى بريطانيا وأوروبا الغربية . وأسفرت نتيجة تشكيل البرلمان الأوروبى ، عن تمثيل جميع القوى والتيارات السـياسية .. لذلك كانت للسوق مواقف مؤثرة متباينة الاتجــاهات السياسية ، خاصة بالنسبة لتطورات مشكلة الشرق الأوسط ومساعى مصر من أجل تحقيق السلام العادل الدائم بالمنطقة .

وكان لنتائج حرب أكتوبر ، أثرها البالغ على أعضـاء السوق ، مما دفعهم الى تطوير علاقتهم بالدول العربيــة ، والمشاركة الجادة فى

ايجاد الحل السلمى فى الشرق الأوسط · ومرجع ذلك الى قوة تأثير الدبلوماسية المصرية فى استقطاب الرأى العام الأوروبى ، وتحويل مجرى قضية السلام التى تسعى اليه مصر ، لتخرجها من اطارها الاقليمى ، لتشغل اهتمامات المجتمع الدولى ·

مواقف السوق

- فى ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ ، أصدرت لجنة السياسة الخارجية للسوق ، بيانا ناشدت فيه موافقة الأطراف المتحاربة على وقف القتال والتمهيد لاجراء مفاوضات لحل النزاع ، وفقا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ · الذى يدعو الى انسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة ·
- فى ١٥ أكتوبر ، وجه وزراء خارجية السوق رسالة الى السكرتير العام للأمم المتحدة ، برغبتهم فى أن يتحقق وقف اطلاق النار بأسرع ما يمكن · وأيد البرلمان الأوروبى تلك المطالب ما عدا هولندا ·· وقد جاء هذا التحرك وفقا لاتجاه مصر ·
- بعد وقف اطلاق النار (٢٢ أكتوبر) ، طلب الرئيس الفرنسى جورج بومبيدو ، عقد مؤتمر قمة أوروبى قبل نهاية عام ١٩٧٣ ، لتنسيق المواقف ازاء مشكلة الشرق الأوسط ·
- فى ٦ نوفمبر ١٩٧٣ ، أصدر وزراء خارجية السوق بيانا عن ضرورة انسحاب القوات المتحاربة ، الى المواقع التى كانت عندها يوم ٢٢ أكتوبر (وهو مما كانت تطالب به مصر) ، وأوضحوا فى بيانهم الأسس الرئيسية التى يجب أن تستند اليها التسوية ، على النحو التالى :

١ ـ عدم الاستيلاء على الأراضى بالقوة ، وضرورة قيام اسرائيل بانهاء احتلالها للأراضى التى استولت عليها منذ حرب يونيو ١٩٦٧ ·

٢ ـ احترام السيادة والتكامل الاقليمى واستقلال كل دولة فى المنطقة وحقها فى الحياة بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ·

٣ ـ يجب أن تؤخذ فى الاعتبار ـ عند اقامة سلام عادل ودائم ـ الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ·

ـ كانت السوق الأوروبية المشتركة ، بمثابة عامل ضغط ايجابى على اسرائيل ، للانصياع لارادة المجتمع الدولى ، فى اقرار الحقوق العادلة لجميع شعوب منطقة الشرق الأوسط وتأييد الحقوق العربية والفلسطينية ٠

أمام الحقيقة

وأمام الحقيقة ، يجب أن نقف متأملين ، ولا ندع الضباب يجرفنا ويصرفنا عن جوهر الأحداث ، حتى لايتركنا نهبا للزيف بعيدا عن الواقع ، الذى قد يكون مرا أحيانا ٠

ولو تركنا مشاعر المغالاة التى اشتهر بها الشرقيون ، وجردنا الأحداث من شوائبها ، لتقف الحقائق عارية ، فسنجد أننا ضخمنا من النصر السياسى الذى أحرزناه عام ١٩٥٦ ٠٠ وأخفينا من العيوب ما أسلمنا الى مصيرنا المظلم الذى حاق بنا فى نكسة عام ١٩٦٧ ٠

ولعل تضخيمنا لقرع الطبول لما أسميناه نصرا عام ١٩٥٦ ، هو الذى صرفنا عن سماع صوت الحق ، وظلت أسماعنا صماء حتى عام ١٩٦٧ ، ومن ثم لم نفق من غفلتنا الا على آلام النكسة المريرة ٠ ورغم الكبوة التى أرقدت الأمة العربية فى عثرة من عثرات التاريخ عام ١٩٦٧ ، فان الحقائق لم تختف وراء الستار طويلا ٠ وسرعان ما ظهرت على السطح بثور النقائص والعيوب والمثالب ونواحى الضعف ٠٠ وكان لزاما الوقوف أمام هذه الحقائق بشجاعة ٠

وكان من المؤكد ، أن الأرض التى ضاعت منا ، لن يتركها العدو لنا الا اذا خلعناه منها خلعا ، وأقصيناه عنها مرغما ٠ فليس فى عرف المحتل أخلاقيات المتصوفين ، وليس فى طباع المستعمرين تساهل المحبين ٠

وقد تأكد ذلك فى بيان ٣٠ مارس ، وفى جميع خطب الرئيس السادات حتى ما قبل ٦ أكتوبر بأيام قليلة ٠

وهنا تجب الاشارة الى موقفين يجب التفرقة بينهما ، لنستخلص منهما محصلة للقول الذى نريده ٠٠ وهما : موقفنا نحن الأمة العربية وعلى رأسها مصر ، وموقف اسرائيل عام ١٩٥٦ ٠

خلاصة موقفنا أننا هزمنا ، وأجبرنا على الانسحاب من سيناء ·
وتعرضنا لغزو مشترك من قوات فرنسا وانجلترا واحتلت بورسعيد · وبجهد من قواتنا المسلحة ، وبفضل موقف دولى موحد ، التقت فيه وجهتا نظر كل من روسيا وأمريكا ، وأجبرت الدول المعتدية على الانسحاب ·

وخلاصة موقف اسرائيل ، أنها أجبرت على الانسحاب أمام الموقف السياسى الدولى ·

غير أن ما أعقب عام ١٩٥٦ ، كان عجبا ·· فقد انصرفنا نحن الى التغنى بالانتصارات ، وظللنا نرددها بلا وعى ، ونضخمها حتى اقتنع شعبنا أننا أتينا بما لم يأت به الأوائل ·· بينما انصرف عدونا الى طريق آخر ، طريق التخطيط بالأسلوب العلمى · وكان مبعث ذلك أنه وضع لنفسه خطة ، ومن ثم عكف على تركيز كل الجهد فى تطوير قواته الجوية بالدرجة الأولى ، وتطوير جميع الأسلحة الأخرى خلال فترة زمنية محددة ·

وحسبنا أن نتذكر أقوال قادة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية آنذاك ، لنرى أنهم اتخذوا لهم دينا جديدا أسموه الخطة ، التى جعلوها نصب أعينهم · وعلى حد قول بعضهم :

(كنا نصبح بالخطة ونمسى بالخطة ، وننام بالخطة ، حتى أصبحت الخطة لنا دينا لا نحيد عنه) ·

وقد نشر على العالم فى أوائل الستينات ، كتاب « خنجر اسرائيل » الذى كتبه الصحفى الهندى « كارنجيا » ، والذى لم يكن الا ترجمة لخطة اسرائيل الاستراتيجية ، والتى تسربت الى أيد غير اسرائيلية بطريقة غير معلومة الى الآن ·

وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية فى بيروت ، وتداولته الايدى العربية ، ولكنها لم تستوعب منه الا كونه ضمن سلسلة التهديدات الاسرائيلية حتى وقع عدوان ١٩٦٧ ·· ففاجأتهم الحقيقة المرة ، هى أن الوثيقة التى ترجمت كانت الوثيقة التى تحوى حقيقة خطط اسرائيل الاستراتيجية ·

وعندما سئل « موشى ديان » عن ذلك وكيف لم يحرك ساكنا أو يغير الخطة بعدما تكشفت أبعادها ·· فقال فى استهتار بالغ :

(فليل من العرب من يقرؤون ، واذا قرأوا لا يفهمون ، واذا فهموا لايعملون) ٠

ان أى قارىء لكتاب « خنجر اسرائيل » ، يعجب اذ يجده صورة طبق الأصل من الأحداث التى توالت علينا عام ١٩٦٧ ، رغم أنه نشر قبل وقوعها بسنوات ٠

خلاصة القول ، أن اسرائيل انصرفت الى كثير من العمل وقليل من الكلام ، وانصرفنا نحن الى كثير من الدعاية وقليل من العمل ٠ ورغم أنه كان بين أيدينا خطـــة اسرائيــــل فى تطوير استراتيجيتها ، فقـد استحوذت علينا عمليات المقارنة بين اعداد السلاح ، دون أن نركز الجهد على من خلف السلاح ٠

والأمم أمام الأحداث الجسام ثلاثة أنواع : نوع يخطط ويعمـل لتحقيق هدف بعيد ٠٠ ونوع تسوقه الأحداث ليضـع خططـا مرتجلة يساندها عمل هزيل ٠٠ ونوع لايخطط ولا يعمل ولكن يكتفى بالمشاهدة أو الكلام ٠

ونحن بعد ٦ أكتوبر ، قد تكشف لنا أن قادتنا أصبحوا مخططين أكثر منهم خطباء ، وذوى حنكة فى الادارة أكثر منهم مرتجلين للأعمال العشوائية ٠ ومن ثم أتت انتصـارات أكتوبر ، قمة للتخطيط وليس للارتجال ٠ وتبين لنا أن القرارات الحربية ذات الطابع المصيرى فى حياة الشعوب ، لاينفرد بتخطيطها رجل واحد أو حفنة رجـال ، بل يضع خيوطهـــا هيئـات من الأركانات ذوى التخصصات المختلفة وعلمـاء ومستشارون وقادة وسياسيون ٠

الجديد فى الأمر

وانتصرنا فى حرب أكتوبر ، وكان النصر مبينا ٠٠ لأننـا حركنا قضيتنا من ثلاجة اللا سلم واللا حرب ، الى مسرح الأحداث ٠

واهتزت اسرائيل أمام الهزيمة ، فأعقب العمليات العسكرية حرب أخرى بين جنرالاتها ، وراح كل منهم يلقى بلوم الفشل على الآخر ، والى جانب آلاف القتلى والجرحى من جنودها ، ضاع من عتادها الكثير ، فوق رمال سيناء ٠ واهتز جهاز الحكم السياسى بها ، وأسند قياده الى طاقم جديد ٠ ولكن الدروس المستفادة من المعركة لم تضع هباء ، بل وضعت

محل دراسة وتمحيص ، وعكفت على تحليلها لجان متخصصه لتلافى أوجه التقصير فى المستقبل ٠

وكانت بين انتصارنا وهزيمة اسرائيل ، حقائق يجب ألا تغيب عن البال ٠٠ ومنها : أن ما تحقق فى الجولة العربية الاسرائيلية الرابعة ، ليس الا مرحلة واحدة ، استطعنا فيها مع كسر جمود القضية ، تحرير جزء من أراضى سيناء ، وانهاء أسطورة الجيش الذى لا يقهر ٠

ولكن الجزء الذى حررناه من أراضينا ، لا يمثلها كلها بل هو بعض من كل ٠ بل نكون غير مسرفين ان قلنا أنه قياسا على ما بقى ، فهو بعض قليل بالنسبة الى كبير ٠٠ وهذا ما عبر عنه الرئيس السادات، بقوله فى ٢٦ يونيو ١٩٧٤ :

(ان انتصار أكتوبر هو مجرد خطوة على طريق النصر ، ويعتبر خطوة جبارة والحمد لله ٠ وبقى أن نواصل المسيرة بالروح نفسها لتذليل ما بقى من صعاب) ٠

نعم ٠٠ بل عديد من الصعاب ٠٠

فالسعى وراء السلام فى منطقه الشرق الأوسط ، واسترداد حقوق شعب فلسطين ، يتطلب اجتياز السدود والتغلب على عقبات لها جذور صراع تاريخية بين مصر واسرائيل ٠

الباب الرابع

التعاون العربى الأفريقى

أفريقيا ٠٠ القارة السوداء

فى مؤتمر برلين الاستعمارى ، قامت بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا ، بتقسيم أفريقيا فيما بينهم ، فأقاموا الحدود السياسية المصطنعة ، وفرقوا الشعوب والقبائل ومزقوا وحدتهم ودفعوا الأفارقة الى الحروب كالعبيد لتحقيق أطماعهم وسياساتهم ٠

وظلت أفريقيا ، عبر هذه القرون ، تحت وطأة الاستعمار الذى جثم على أرضها ، فسلبها حريتها وخيراتها وثروتها ٠٠ وبقيت على هذا الحال ، تعانى من التخلف الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، الى أن بدأت الشعوب الافريقية تهفو الى حياة الأحرار ، فقامت بثوراتها ضد المستعمرين ، الذين سرعان ما انسحبوا من أفريقيا دولة تلو الأخرى ٠

وبنجاح الثورات الافريقية ، خرجت الشعوب المنتصرة الى الحرية والحياة تزفر التخلف الذى فرضه عليها الاستعمار ، وقد جمع الهدف الواحد شعوب تلك الدول ، فركز آمالها وأهدافها فى الحرية والاستقلال والرخاء ٠

وعلى أثر هذه الثورات التحررية الافريقية ، ابتدأ العمل الفعلى من أجل وحدة أفريقيا ، للدفاع عن كيان دول القارة واستقلالها ٠

السلام وأفريقيا

وتحقيقا للسلام ٠٠ واحترام حقوق الانسان وميثاق الأمم المتحدة ، واحترام سيادة جميع الدول والعدالة والالتزامات الدولية والاعتراف بحق المساواة بين جميع الأجناس وحق تقرير المصير ، والقضاء على جميع صور الاستعمار وتصفيته فى قارة أفريقيا ، والقضاء على سياسة التمييز والتفرقة العنصرية ٠٠

وتشجيعا لوحدة وتضامن الدول الافريقية ، برزت سياسة الزعيم جمال عبد الناصر فى مختلف المجالات الدولية بالنسبة لأفريقيا ، وخصها

بكثير من المباحثات والمؤتمرات ، حتى برزت مصر فى دفاعها عن شعوب أفريقيا وقد انسمت سياستها بالصراحة ووضوح الحق ٠٠ ومن أجل افريقيا . كانت هذه المؤتمرات :

- فى ابريل ١٩٥٥ ٠٠ انعقد مؤتمر الشعوب الأفريقية والآسيوية فى باندونج ٠

- فى ديسمبر ١٩٥٧ ٠٠ مؤتمر التضامن الآسيوى الأفريقى وساعدت قراراته الحركات التحررية الأفريقية ، وعبأت مشاعر شعوب القارة ضد الاستعمار ٠

- فى ابريل ١٩٥٨ ٠٠ مؤتمر آكرا ٠ الذى دعا اليه « قوامى نكروما » بعد استقلال غانا ٠

- وفى ١١ ــ ١٥ أبريل ١٩٦٠ ٠٠ انعقد المؤتمر الثانى ، لتضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية فى مدينة « كوناكرى » لتعزيز حركات النضال ضد الاستعمار ، وتحقيق التعاون الاقتصادى والثقافى والاجتماعى ، وتأكيد قضية فلسطين ، واعتبار اسرائيل قاعدة استعمارية تهدد الأمن والتقدم فى الشرق الأوسط ٠

- فى ٤ ــ ٧ يناير ١٩٦١ ٠٠ انعقد مؤتمر الدار البيضاء ، بدعوة من ملك المغرب ، لتخطيط أسس أفريقيا وتشكيل ملامح التضامن الأفريقى ، بين دول أفريقيا المستقلة التى تلاقت ارادتها مع الارادة العربية الحرة ٠٠ وقرر المؤتمر « الميثاق الافريقى » وانشاء قيادة افريقية عليا مشتركة لضمان الدفاع الجماعى عن أفريقيا وعن كل دولة على حدة ٠

- فى الشهور الأولى من عام ١٩٦١ ، انعقدت مؤتمرات :

* مجموعة الدول الناطقة بالفرنسية فى برازافيل والمكونة من ١٢ دولة منها : الكاميرون وجمهورية أفريقيا الوسطى وتشاد ، والكنغو برازافيل ، موريتانيا والنيجر والسنجال وفولتا العليا ٠

* مجموعة دول منروفيا (فى شهر مايو) ، والمكونة من ٢٠ دولة أفريقية اجتمعت فى منروفيا عاصمة ليبريا وكانت تضم مجموعة دول برازافيل بالاضافة الى ليبريا ونيجيريا وسيراليون

والصومال وتوجو ·· ومثل هؤلاء جميعا رؤساء دولهم ، كما مثلت أثيوبيا وليبيا وتونس بوفود على مستوى عال ·

وكانت هدف هذه المؤتمرات ، الرغبة الاكيدة الشاملة لدول أفريقيا فى تحقيق الوحدة السياسية والاقتصادية ·

- وفى يوليو ١٩٦٢ ·· انعقد مؤتمر أقطاب أفريقيا ··

- وفى ديسمبر ١٩٦٢ ·· انعقد مؤتمر لاجوس ··

- وفى ٢٢ - ٢٥ مايو ١٩٦٣ ·· انعقد مؤتمر القمة الافريقى فى أديس أبابا (من ٣٢ دولة تشمل ٢٠٠ مليون أفريقى) ·· وكانت قرارات المؤتمر تدعيما للخط الثورى التحررى · واتفق المؤتمرون على اقامة « منظمة الوحدة الأفريقية » وتضم دول القارة الأفريقية ومدغشقر والجزر المجاورة للقارة ، وتنحصر أهداف هذه المنظمة فى:

* تقوية وحدة دول أفريقيا وتضامنها ·
* تنسيق وتقوية تعاونها وجهودها ، لتحقيق حياة أفضل لشعوب أفريقيا ·
* الدفاع عن سيادتها وسلامة أراضيها واستقلالها ·
* القضاء على الاستعمار بجميع أشكاله فى أفريقيا ·
* تشجيع التعاون الدولى ، مع الأخذ فى الاعتبار بميثاق الأمم المتحدة والاعلان العالمى لحقوق الانسان ·
* انشاء صندوق خاص لتقديم المعونة العربية والمالية لحركات التحرير الوطنية المختلفة ·
* تحدد يوم ٢٥ مايو « ليكون يوم تحرير أفريقيا » ·

- وفى ١٧ - ٢١ يوليو ١٩٦٤ · انعقد بالقاهرة ، مؤتمر القمة الأفريقى ، من ملوك ورؤساء الدول الافريقية ·· وكان فى مقدمة ما بحثه من موضوعات أن تكون أديس أبابا مقرا لمنظمة الوحدة الافريقية وتصفية الاستعمار فى القارة الافريقية · كما قرر المجلس الآتى بالنسبة لموضوع التفرقة العنصرية :

* مطالبة الدول ، وخاصة التى تقوم بينها وبين حكومة جنوب أفريقيا علاقات ، بالتعاون فى مجال مقاطعة جنوب أفريقيا ·

* مناشدة جميع الدول المنتجة للبترول بالكف عن تزويد جنوب أفريقيا بالبترول ومنتجاته ·

- وفى ٥ ــ ١٠ أكتوبر ١٩٦٤ انعقد مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز بالقاهرة وحضره ملوك ورؤساء دول أفريقيا ، وكان من ضمن قراراته ، تأييد الجهود التى تبذلها منظمة الوحدة الافريقية من أجل اقرار السلام فى جمهورية الكونجو · وتوقيع عقوبات على البرتغال بمساعدة ثوار أنجولا والاعتراف بحكومتها الثورية ومحاربة الاستعمار القديم والجديد · وعزل الدول التى تتبع سياسة التمييز والتفرقة العنصرية ·

- هذا ولم يهدأ زعماء القارة الافريقية ، فى سبيل هدفهم الأسمى وهو التحرر الكامل لجميع دول أفريقيا من ربقة كل مستعمر مسيطر ·· وتعددت الزيارات والمباحثات والمؤتمرات الثنائيـة والتصريحات بضرورة تقريب وجهات النظر بين الدول الافريقية المختلفة ، حتى يمكنها الصمود فى وجه الاستعمار والعمل بقوة لتحقيق أهداف شعوبها فى هذه المرحلة الحاسمة من مراحل النضال الافريقى ·

أفريقيا ·· والتنظيم الدولى

ولم يكن اعلان استقلال الدول الافريقية ، يعنى الا الوقوف على أول عتبات الحرية ·· وكان من الضرورى العمل المستمر لنمو الحرية بالطريق الكامل الصحيح القادر على الصمود والمؤكد لصلاحية البقاء ·

كما أن المحاولات المتعددة التى بذلت ــ وما زالت تبذل ــ من أجل الوحدة الافريقية ، تمثل عاملين من أهم عوامل التطور فى تاريخ ما بعد الاستقلال القصير · ولقد جلبت الحرية معها فى أفريقيا ، احساسا فى كثير من الأوساط الافريقية ، بالتكافل بين الدول والحاجة الى مواجهة المشاكل بمجهودات موحدة ·

ومن هنا كانت ، المواجهات الصريحة والاندفاع للدول الافريقية ذات السيادة لتدعيم أواصر التعاون والوحدة ، من أهم العوامل التى بعثت الحياة فى أفريقيا ·

ولم يكن هناك ، عقب اقرار ميثاق الأمم المتحدة (عام ١٩٤٥) واتفاقية لندن عام ١٩٤٦ غير ثلاث دول افريقية مستقلة وذات سيادة ، ممثلة كاعضاء فى هذه المنظمة الدولية (٥١ عضوا) ·· الا ان هذا الوضع

قد تغير تماما ، فأصبحت أفريقيا (عام ١٩٦٣) بمثابة ٣٢ دوله وزاد عددها (عام ١٩٦٥) ليصبح ٣٦ دوله ٠

وتمكنت دول افريقيا ، كمجموعه جغرافية واحده ، من ان تحصل على تمثيل متكافىء فى أفرع هيئة الامم المتحدة ، وخاصه مجلس الأمن ٠

اللقاء الافريقى العاشر

وفى لقاء القمه الافريقى العاشر (٢٥ مايو ١٩٧٣) ، والذى انعقد فى اديس ابابا ، احرزت القضية العربيه حظها من التأييد والنجاح ٠

وقد أرسلت ليبيا ، بمذكرة خاصة الى رؤســـاء الدول الافريقيه المشتركه فى هذا المؤتمر ، ضمنتها مواقف بعض الدول الافريقيه من الكيان الصهيونى جاء فيها :

« ٠٠ أن الكيـان الصهيونى ، يشكل اســـتعمارا عنصريا يداهم افريقيا والشرق الأوسط ، وأنه قاعدة للاستعمار والرأسمالية ، ويشكل خطرا يفوق خطر الانظمة العنصريه فى أفريقيا والمتمثلة فى البرتغـال وجنوب أفريقيا وروديسيا ، لأنه يقوم على الاستيطان والتدمير ٠

هذا علاوة على كونه يحتـل جزءا من أراضى أكبر دولة أفريقيـة هى مصر » ٠

وطلبت المذكرة أن تحدد الدول الافريقية مواقفها من اسرائيـل العدو الصهيونى للعرب والأفريقيين ٠

وقد ظفرت قضية الشرق الأوسط ، فى اللقاء الافريقى العاشر . بالنجاح والتأييد الكاملين وبمكاسب لم تظفر بها من قبل ٠ ولم تكن هذه المكاسب ، مجرد تصعيد فى الموقف الافريقى ، على اثر فشل لجنه العشرة الأفريقيين ، الذين تولوا الحوار مع مصر واسرائيل حول القضية، فى محاولة لاحياء مهمة الوسيط الدولى « يارنج » الراميـــة الى الحل السلمى ٠٠ وانما كانت طبيعية للتحرك الدبلوماسى البـــارع السريع وللجهود البارزة الواسعة التى بذلها الرئيس محمد أنور الســادات ، خلال اليومين اللذين قضاهما فى أديس أبابا ، والتى التقى فيها بأكثر من ٢٠ رئيسا أفريقيا فى لقاءات ثنائية ، أوضح فيها حقائق كثيرة كانت خافية على بعض الدول الافريقية ، واستطاع أن يزيل آثارا عميقة تركها التحرك الاسرائيلى فى أفريقيا ، كما شرح لهم تطورات الموقف فى قضية الشرق الأوسط ، وجهود مصر من أجل السلام ٠

ولم تسمح ظروف الرئيس السادات ، بحضور جلسات العمل فى المؤتمر ، وألقى خطابا هادئا ، اعتبر وثيقة دولية فى ادانة اسرائيل ، والربط بين عنصريتها وعنصرية جنوب أفريقيا ، ومصالح الاستعمار فى القارة الافريقية • وعاد الرئيس السادات الى القاهرة ، وبقى السيد « حسين الشافعى » نائب رئيس الجمهورية السابق ، ليكمل المهمة على طريقين :

- اللقاءات الثنائية التى تكمل التحرك الدبلوماسى السريع بين رؤساء أفريقيا •
- العمل فى جلسات المؤتمر ، بعد أن أصبح الطريق معبدا بدبلوماسية الرئيس السادات •

ويصدر المؤتمر قرارا افريقيا جماعيا ، على هيئة اعلان سياسى خاص بقضية الشرق الأوسط جاء فيه :

« نظرا لقلقنا البالغ ، ازاء الموقف المؤسف الذى يسود الشرق الأوسط •• وهو موقف يشكل تهديدا خطيرا لاستقلال وأمن ووحدة أراضى القارة الأفريقية ، فقد ساندنا مصر والدول العربية الأخرى التى تحتل اسرائيل أراضيها ، فى نضالها المشروع من أجل استعادة جميع هذه الأراضى ، وفقا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ • ولهذا الغرض شكلنا عام ١٩٧١ ، لجنة تضم ١٠ من رؤساء الدول ، بهدف المساعدة على التوصل الى حل للمشكلة ، والمساهمة بالتالى فى الحفاظ على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، وسنواصل مساعداتنا الفعالة والايجابية لمصر وسائر الدول العربية ، الى أن تتحرر جميع أراضيها ، التى احتلت أثر العدوان الاسرائيلى فى يونيو عام ١٩٦٧ ، وفقا للمسئوليات التى ترتبها المبادىء الأساسية لمنظمة الوحدة الافريقية على أن تتخذ على المستوى الافريقى بصفة فردية أو بصفة جماعية ، عقوبات سياسية واقتصادية ضدها ، تمشيا مع المبادىء الواردة فى ميثاق كل من منظمة الوحدة الافريقية والأمم المتحدة » •

وهكذا أيقن رؤساء الدول الأفريقية — بعد لقاءات الرئيس السادات معهم — بعدالة القضية •• وباتت اسرائيل بعد هذا المؤتمر معزولة تماما ، ولا تملك جيوبا خطرة فى افريقيا •

وهكذا كان مؤتمر مايو ١٩٧٣ بأديس أبابا ، تمهيدا سلسا ورائعا لمؤتمر دول عدم الانحياز الذى انعقد فى سبتمبر ١٩٧٣ بالجزائر والذى كان واقعا معبرا ، يثبت باصرار كل ما صدر من قرارات وسياسات افريقية •

مشاركة مصر
فى حركات التحرر الأفريقية

وعلى مدى السنين الماضية ، كانت مصر تمثل حقيقة الانطلاقة الثورية التحريرية ٠٠ واستطاعت أن تدعم بفاعلية وايجابية ، الحركات الثورية الافريقية ، لضمان القضاء على الاستعمار والتخلص منه فى كل مكان ٠

وبدأت حكومة الثورة المصرية ، فى مضمار سحق الاستعمار ، تمديدها لمساندة الحركات التحررية فى قارة أفريقيا ٠٠ منها :

- الاعتراف بحق تقرير المصير للسودان ٠
- مساندة قضايا تونس والجزائر ومراكش ٠
- فتحت أبوابها لزعماء أفريقيا الأحرار ٠
- نفذت الى قلب القارة الافريقية ، عن طريق اذاعتها الموجهة بجميع اللغات واللهجات الافريقية ، لتغذية المد التحررى بمزيد من النشاط الثورى ٠
- أيدت غانا فى نضالها ، ووقفت بجانب قضايا الكاميرون وتوجولاند ونيجيريا وغيرها ٠
- ساعدت بالمعاونة العسكرية السودان وليبيا وتونس بجانب معاونتها الكبرى للجزائر ٠
- فتحت كلياتها العسكرية لأبناء أفريقيا ، وفتحت لهم معاهدها وجامعاتها وشجعتهم بالمنح والبعثات ٠
- وقفت مع الصومال فى قضية استقلالها ، وقدمت لجيش الصومال الوطنى الجديد بعد الاستقلال (منتصف ديسمبر ١٩٦٠) هدية من الأسلحة والمعدات العسكرية ، تكفى لتسليح ٥٠٠٠ جندى ٠٠ علاوة على المعونات الاقتصادية والمادية والتى منها قرض بخمسة ملايين من الجنيهات ٠
- وقفت مع الكونجو من أجل وحدته وحريته ، أثناء الصراع الاستعمارى لتمزيق استقلاله (٢٤ يونيو ١٩٦٠) ٠٠ وتزعمت فى مجلس الأمن قضية انسحاب القوات البلجيكية المستعمرة من جمهورية الكونجو ٠٠ وساهمت مصر فى انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الافريقية المستقلة فى لبوبولدفيل (٢٥ أغسطس ١٩٦٠) للاحتفاظ بوحدة الكونجو والتنديد بمناورات الاستعمار

الهادفة الى تقسيم أراضى جمهورية الكونجو ·· وقطعت مصر علاقاتها الدبلوماسية مع بلجيكا وأممت شركاتها ·

- قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع حكومة جنوب أفريقيا ، التى تتبع سياسة التمييز والتفرقة العنصرية ·
- كشفت النوايا التسللية الاسرائيلية فى غينيا ونيجيريا ومالى وغانا·· وقدمت لهم المعونات الاقتصادية اللازمة ·
- قطع العلاقات مع البرتغال لموقفها العدوانى من شعب انجولا ·
- أصبحت القاهرة تموج بالنشاط الأفريقى ، واستقبلت وفودا كثيرة من دول أفريقيا المستقلة وعديدا من الزعماء الوطنيين لدول أفريقيا المناضلة من أجل التحرر ·· فزار مصر زعماء من أنجولا ومن المحميات البريطانية وسوازيلاند وباسوتولاند وبتشولاند ، ومن النيجر وساحل العاج والسنجال وموريتانيا ·· وغيرها ·

التسلل الصهيونى فى أفريقيا

جعلت الصهيونية العالمية ، كل همها ـ منذ نشأتها ـ فى أن تسيطر كلية على الاستعمار العالمى ، وتحركه لتحقيق مصالحها وأهدافها التوسعية ·· وقد نجحت تماما ، اذ ثبت فعلا أن الاستعمار قد أصبح ألعوبة فى يد الصهيونية ·

ويهدف المخطط الصهيونى الاستعمارى ، الى توغل اسرائيل داخل دول آسيا وأفريقيا ، حتى تتخلص من الحصار القوى الذى فرضه من حولها ، جميع الدول العربية ·

وقد برز هنا دور مصر ، فقد وقفت فى وجه الصهيونية والاستعمار والقضاء على التسلل الاسرائيلى فى آسيا وأفريقيا ، قبل أن يصل الى أعماق القارتين ·· كما نجحت مصر فى أن تكشف الى دول الوطن العربى وللعالم أجمع ، المخطط الاسرائيلى الاستعمارى وأبرزت الخطر الصهيونى على حركات التحرر الافريقى وتمكنت من صد التوغل الاسرائيلى ·

ومصر مرتبطة تماما بأفريقيا ، بحكم موقعها فى شمال شرق القارة ·· وثمة تقارب مطلق بين المصالح العربية والمصالح الافريقية ، نظرا لأن (٧٣٪) من مساحة الوطن العربى (يعيش عليها ٪ ثلثا تعداد الشعب العربى) تقع فى قارة أفريقيا ·· كما كان لنجاح ثورة مصر (يوليو ١٩٥٢) مفهوم عملى ، لما يجب أن يكون عليه النضال الثورى من أجل التحرر ، فأخذت شعوب القارة الافريقية ، تزداد تطلعا نحو مصر وتترسم خطاها الثورية ·



الرئيس السادات
يلقى خطابه فى مؤتمر القمة الافريقى فى أديس أبابا

ويعتبر التسلل الاسرائيلى ، أسلوبا جديدا للاستعمار ، لجأ اليه عندما أحس بتقلص نفوذه ·· ولذا فقد مهد لاسرائيل ـ وجه الاستعمار الجديد ـ لتنشر نفوذها الاقتصادى والسياسى ، فى الدول التى يريد الاستعمار ابقاء سطوته ونفوذه عليها ·

فمع بداية الحركات التحررية لشعوب أفريقيا ، ومع تطلعات الدول الحديثة الاستقلال ، نجد التسلل الاسرائيلى يأخذ أشكالا مختلفة من أهمها ما كان على هيئة قروض واعانات فنية وشركات احتكارية ·· وغالبا ما كان يعقب كل ذلك ، فتح باب البعثات والزيارات الرسمية والرحلات السياحية الدعائية الى اسرائيل · ومن ضمن ما يهدف اليه المخطط الاستعمارى الاسرائيلى :

- قيام اسرائيل بدورها فى تحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية للدول الاستعمارية مع الدول التى لا ترغب فى التعامل مباشرة مع الاستعمار ·
- تعمل اسرائيل على تدعيم علاقاتها السياسية ، مع الدول الافريقية ، عن طريق علاقاتها الاقتصادية ، لتضمن اعتراف هذه الدول بها عقب استقلالها مباشرة ·
- ايجاد أسواق لتجارة اسرائيل ·
- كان للخطوط البحرية الاسرائيلية ، دور خطير فى شرق وغرب أفريقيا ، كما أتاحت لها اقامة علاقات تجارية مع كثير من الدول الافريقية ·

ـ نشر الدعاية الصهيونية ومحاربة القومية العربية ، وحصر مصر بصفة خاصة والدول العربية الأخرى بصفة عامة عن الدول الافريقية ٠

امكانيات
القارة الأفريقية

تعتبر دول القارة الأفريقية ، من الدول الصغيرة الفقيرة الناميه ، ويعتمد الانتاج فيها على انتـــاج المواد الخام ٠ ومع قدم استغلال ثروات دول القارة ، الا أنها ما زالت تحتفظ فى أرضهـــا ، بكميات هائلة من الثروات الطبيعية ٠

وتمتلك أفريقيا ، من مجموع ما يملكه العالم :

٩٦ ٪	الماس
٦٩ ٪	الكوبالت
٦٣ ٪	الذهب
٤٨ ٪	الانتيمون
٣٧ ٪	المنجنيز
٣٤ ٪	الكروميت
٣٢ ٪	الفوسفات
٢٤ ٪	النحاس

كما بلغ مخزون الحديد ، المتأكد وجوده فى باطن القارة ٥٧٢٢١ مليون طن ، ومن الفحم ٤٥٠٠ مليون طن ٠٠ علاوة على كميات ضخمة من المعـــادن الأخـرى كاليورانيوم والنيكل والبترول وغيرهـــا ، كما أن مساحة غاباتها تمثل ٢٧٪ من مجموع غابات العالم ٠

وبتحليل امكانيات أفريقيا الحالية ، فأن مكونات التجارة الخارجية توضح المدى الذى تصلح له هذه المنتجات للتبادل ٠

اسرائيل
فى أفريقيا ٠٠

اســـتطاعت اسرائيل ، أن تحقـق وجودها مع الدول الأفريقية الحديثة الاستقلال ، باعتبارها دولا صغيرة نامية ، تحتاج الى مساعدات ومعونات ، تقيم وجودها فى المجتمع الدولى ٠

وقد عرفت اسرائيل احتياجات الدول الافريقية ، فتقدمت بعروضها وقامت بتنفيذها ٠٠ وقبلت الدول الافريقية المساعدات الاسرائيلية ، ليس لأنها على خلاف مع العرب ولكن لأن العرب لم يعرضوا عليهم شيئا ايجابيا ..

وكان نشاط اسرائيل فعالا فى تثبيت ارتباطها بالدول الافريقية، حتى أن مصر ، لم تستطع اقناع الدول الأفريقية ، بادانة اسرائيل ، فى مؤتمر الدول الافريقية المستقلة الأول فى « اكرا » (ابريل ١٩٥٨) ، ومؤتمر الشعوب الافريقية فى « أكرا » أيضا (ديسمبر ١٩٥٨) .. وكل ما أمكن لمصر الوصول اليه ، هو قرار بضرورة حل الخلاف بين العرب واسرائيل .

وأسرعت اسرائيل ، فى تلبية احتياجات الدول الأفريقية ، من الخبرات البشرية والتمويلية ، وفى امتصاص انتاجها من المواد الخام .. دون أن تقدم — أى اسرائيل — أدنى مساعدات لاقامة صناعات انتاجية فى أى دولة افريقية ، فلم تخرج مساعداتها عن عمليات بناء الفنادق والمنازل (وليس المصانع) وعن مساعدات زراعية ، دون أى أسهام حقيقى منها ، فى تنمية موارد واقتصاديات تلك الدول ، حتى تستطيع أن تأخذ مكانها بمفردها فى الاقتصاد العالمى .

وتعتبر أول تجربة لاسرائيل مع أفريقيا (١) ، يوم استقلال دولة « غانا » (٦ مارس ١٩٥٧) ، وأرسلت اسرائيل ممثلا عنها فى احتفالات الاستقلال . وبقى الوزير الاسرائيلى فى «اكرا» حيث قدم لحكومة غانا مشروع اتفاق تبادل تجارى وتقديم المساعدات الفنية للدولة الجديدة .. وكانت أول شحنة أرسلتها اسرائيل الى غانا لتدعيم الاتفاق التجارى بينهما فى (مايو ١٩٥٧) ، وكان أهم ما تضمنته الشحنة ألف طن أسمنت ومواد لازمة لمشروعات البناء واستجابت غانا لهذا النشاط ، فكانت أول بعثة تجارية رسمية ترشحها غانا — لهذا الغرض — الى دولة أجنبية بعد الاستقلال ، كانت من ثلاثة وزراء زارت اسرائيل فى (أغسطس ١٩٥٧) .

ثم كانت أول معاهدة صداقة لاسرائيل مع دولة أفريقية ..أبرمت مع ليبيريا فى (١٩٥٩) ، ومن هنا كانت بداية تسلل اسرائيل الى أفريقيا ، التى كانت تقوم به من خلال السلطات الاستعمارية ، مع الدول الأفريقية حديثة الاستعمار .

وفيما يلى بيان لأهم ما أبرمته اسرائيل من معاهدات مع الدول الأفريقية :

---

(١) « فى مواجهة اسرائيل » تاليف سامى منصور .

الدولة	تاريخ استقلالها		تاريخ توقيعها المعاهدة	
أثيوبيا	— —	—	٨ فبراير	١٩٦١
توجو	٢٧ ابريل	١٩٦٠	١ يوليـو	١٩٦١
مدغشقر	٢٦ يونيـو	١٩٦٠	٣١ اغسطس	١٩٦١
داهومى	١ أغسطس	١٩٦٠	٢٨ سبتمبر	١٩٦١
النيجر	٣ أغسطس	١٩٦٠	٣ فبراير	١٩٦٢
فولتا العليا	٥ أغسطس	١٩٦٠	١١ يونيـو	١٩٦١
ساحل العاج	٧ أغسطس	١٩٦٠	٣ مايو	١٩٦٢
جمهورية وسط أفريقيا	١٣ أغسطس	١٩٦٠	١٢ يونيـو	١٩٦٢
جابون	١٧ أغسطس	١٩٦٠	١٥ مايو	١٩٦٢
مالى	٢٢ سبتمبر	١٩٦٠	٢٤ نوفمبر	١٩٦٠
تنجانيقا	٩ ديسمبر	١٩٦١	٢٣ ابريل	١٩٦٢

أما فى مجال التجارة الخارجية الدولية ٠٠ فقد استطاعت اسرائيل عقد (٨٠٠) اتفاقية للتجارة والدفع مع دول أفريقية (من سنة ١٩٥٨ الى سنة ١٩٦٦) ، بل أمتد نطاقها الى التعاون الفنى وانشاء الغرف التجارية المشتركة ، بالاضافة الى نشاط الملحقين التجاريين الاسرائيليين فى العواصم الأفريقية ٠

وكانت اسرائيل ، توفر ما كان ينقصها من خبرات ، من الدول الصناعية المتقدمة ، لكى تقدمها للدول الافريقية ٠٠ بل لقد استفادت اسرائيل لنفسها كثيرا ، خاصة تدريب اعـــداد من قواها البشرية ، الذين اعدتهم للقيام بهذا الدور فى أفريقيا ، نيابة عن الدول المتقدمة صناعيا ، تحت قناع جديد ٠

وقد تحقق لاسرائيل ، ارتفاع نمو معدل تجارتها مـع أفريقيا ٠٠ لقد ارتفعت بنسبة ٦ر١٣٪ فى سنة ١٩٦٦ ، وبنسبة ١٧٪ فى سنة ١٩٦٧ التى شهدت زيادة الصـــادرات على الواردات مع أفريقيا لأول مرة ٠

ويبين الجدول التالى ، حجم تجـــارة اسرائيل مع دول افريقيا (احصائيات عن عامى ١٩٦٠ ، ١٩٦١) ٠٠ كدليل على توسع تجارة اسرائيل الخارجية مع الدول الافريقية . وامتداد ذراعها الاقتصـادى الى أعماق القارة السوداء :

تجارة اسرائيل مع أفريقيا

الدولة	الصادرات (بالجنيهات) ١٩٦٠	الصادرات (بالجنيهات) ١٩٦١	الواردات (بالجنيهات) ١٩٦٠	الواردات (بالجنيهات) ١٩٦١
أوغندا	٢٣ر٠٠٠	١٣ر٠٠٠	١٢٢ر٠٠٠	٢٦٩ر٠٠٠
تنجانيقا	—	٨٠ر٠٠٠	—	١٢٩ر٠٠٠
انجولا	—	٢ر٠٠٠	—	—
جابون	—	—	—	٣٥٧ر٠٠٠
غـانا	٨٦٣ر٠٠٠	١ر٠٢٨ر٠٠٠	٥٦٣ر٠٠٠	٧٧١ر٠٠٠
غينيا	—	—	٢٦٣ر٠٠٠	١ر٢٠٤ر٠٠٠
اتحاد جنوب أفريقيا	٧٧٩ر٠٠٠	١ر١٩١ر٠٠٠	٤ر٠١٣ر٠٠٠	٣ر٨٧٩ر٠٠٠
اتحاد روديسيا ونياسلاند	١٨٨ر٠٠٠	٢٨٣ر٠٠٠	١٤٦ر٠٠٠	١٥٦ر٠٠٠
مدغشقر	٦٠١ر٠٠٠	١١٨ر٠٠٠	١٨٠ر٠٠٠	—
أثيوبيا	٣٩٩ر٠٠٠	٥٣٧ر٠٠٠	١ر٣٧٤ر٠٠٠	١ر٢٠٤ر٠٠٠
ساحل العاج	—	—	—	٩٤٢ر٠٠٠
ليبريا	٢٢٧ر٠٠٠	٢٣٣ر٠٠٠	—	٦٠ر٠٠٠
مالى	—	١٢ر٠٠٠	—	—
موزمبيق	٤١ر٠٠٠	٢٦ر٠٠٠	٤١٣ر٠٠٠	٧٢٥ر٠٠٠
نيجيريا	٧١٤ر٠٠٠	١ر٠٧٨ر٠٠٠	٤٧ر٠٠٠	١٤١ر٠٠٠
الصومال الفرنسي	—	٢٦ر٠٠٠	—	
السنغال		٦٧ر٠٠٠	—	—
الكونغو البلجيكى	٥٢ر٠٠٠	٤٠ر٠٠٠	١٣ر٠٠٠	
الكونغو الفرنسى	—	—	—	٧ر٠٠٠
الكاميرون	٣٧ر٠٠٠	٣ر٠٠٠	—	٢٢ر٠٠٠
كينيا	٣٧٣ر٠٠٠	١٥٨ر٠٠٠	—	—
دول أخرى	٢٦٥ر٠٠٠	٣٢٤ر٠٠٠	١ر٦٥٧ر٠٠٠	٦٠٣ر٠٠٠
الاجمـــالى	**٤ر٧٠٧ر٠٠٠**	**٥ر٣٢٠ر٠٠٠**	**٩ر٨٣٢ر٠٠٠**	**١٠ر٩٤٧ر٠٠٠**

وقد تغيرت معدلات ونسب التبادل بين اسرائيل وأفريقيا ، بعد عام ١٩٦١ ، لكنها لم تستمر كثيرا بعد ذلك وظلت نسب التجارة شبه ثابتة • ثم شهدت الفترة التالية هبوطا مع دول القارة حتى وصلت الى أدنى مستوى وذلك وفقا للمؤشرات التالية :

صادرات اسرائيل الى دول أفريقيا

السنة	(مليون دولار)
١٩٦٦	١٧ر
١٩٦٧	٣ ر٢٠
١٩٦٨	٨ ر٢٢
١٩٦٩	٢٦ر٥٨
١٩٧٠	٢٣ر٩٣

أما واردات اسرائيل من أفريقيا ، فقد شاهدت السنوات من ١٩٦٥ الى ١٩٧٠ هبوطا ملحوظا ، بلغت نسبته ٢ر٣٪ من مجموع الواردات الاسرائيلية •

هذا وقد بلغ عدد الافريقيين الذين تلقوا تدريبهم على أيدى الاسرائيليين (سواء فى دولهم أو بارسالهم فى منح أو بعثات الى اسرائيل) وذلك عن الفترة من سنة ١٩٥٨ حتى سنة ١٩٧٢ :

- ٩٠٠٠ متدرب (من ٣٨ دولة افريقية) •
- ٤٠٠٠ منحة اسرائيلية •

كما تروج اسرائيل دعايتها من خلال ٣٨ ساعة اذاعية توجهها د ١١ لغة أفريقية ، كما استخدمت عشرات الصحف ، حيث توجد ٣٢ صحيفة ومجلة أفريقية تخدم اغراض اسرائيل الدعائية ، هذا بجانب جهود القنصليات والبعثات الاسرائيلية والمعارض الرسمية والمؤتمرات، وذلك عدا ٤٠ شركة تجارية على نظام المشاركة بين اسرائيل وبين الدول الافريقية مع احتفاظ اسرائيل بسيطرتها الادارية على هذه الشركات والتى توجهها لخدمة الأهداف الاقتصادية الاسرائيلية •

أفريقيا •• وحرب أكتوبر

كان موقف أفريقيا ، يتحرك الى الأمام ، فى وعى مطلق وتفهم تام لما كان يحدث فى المنطقة العربية بعد العدوان الاسرائيلى (٥ يونيو ١٩٦٧ » وقد ساعد على تفتح أبعاد قضية الشرق الأوسط ،

الدبلوماسية الهادئة التى يتمتع بهـــا الرئيس السادات والتى نشرها فوق سماء المؤتمرات واللقاءات الثنائية التى جمعت الرؤساء الافريقيين .. والتى كان من أبرزها مؤتمر القمة الافريقى (مايو ١٩٧٣) باديس ابابا ، ومؤتمر دول عدم الانحياز (سبتمبر ١٩٧٣) . بالجزائر .

ولقد استطاع الرئيس السادات أن يبرز للرؤســاء والشـــعوب الافريقية ماهية الخطر الاسرائيلى فى القارة ، مركزا على ما تضمنه الموقف الافريقى الشـــامل من اجراءات تســتهدف التوصل الى موافف دولية تنصاع اليها اسرائيل وتستجيب لتنفيذ قرارات الأمم المتحــدة المختلفــة فيما يخص مسألة الشرق الأوسط .

هذا وقد تم تنسيق العلاقات المتبادلة بين منظمة الوحدة الافريقية وجامعة الدول العربية ، من خلال لجنة سباعية من الدول الافريقية ، بهدف التنسيق والعمل المشترك فى مختلف مجالات التعاون الاقتصادى والسياسى والمواقف المشتركة ودعم وحـــدة العمل من أجل الأهــداف الموحدة .

ويعتبر وجود اسرائيل فى المنطقة العربية ، من أهم المسائل التى واجهتها الدول الافريقية المستقلة ، منذ (عام ١٩٦٠) ، حينما اجتاحت القارة موجة الاســـتقلال ، وأخذت الدول الافريقية تحتل مكانها فى المجتمع الدولى ، منذ بدأ انعقاد مؤتمرات القمة الافريقية واقرار الميثاق الافريقى وانشاء منظمة الوحدة الافريقية .

واخذ الموقف الافريقى طريقا موحدا ، يتسع وينمو بازدياد عــدد الدول الافريقية التى راحت تقطع علاقاتها مع اسرائيل ، ادانة لعدوانها واحتلالها بالقوة الأراضى العربيـــة .. فكان قرار قطـــع العـــلاقات الدبلوماسية بين الدول الافريقية واسرائيل ، هو أول خطوة على طريق الالتزام والتضامن الافريقى .

وهناك دول أفريقية لم تعترف أصلا باسرائيل وهى :

مصر ـ السودان ـ ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب ـ موريتانيا ـ الصومال ـ غينيا بيساو .

وبعدئذ ، كان شكل قطع العلاقات الافريقية مع اسرائيل على هيئة موجات مرحلية ..

أولها : قبل نشوب حرب أكتوبر ١٩٧٣ :

فقد قطعت الدول الافريقية الآتية علاقاتهـــا الدبلوماســـية مع اسرائيل :

- غينيا (٥ يونيو ١٩٦٧) .
- أوغندا (٣٠ مارس ١٩٧٢) .
- تشاد (٢٧ نوفمبر ١٩٧٢) .
- الكونغو الشعبية (٢١ ديسمبر ١٩٧٢) .
- النيجر (أول يناير ١٩٧٣) .
- مالى (٥ يناير ١٩٧٣) .
- بوروندى (١٦ مايو ١٩٧٣) .
- توجو (٢١ سبتمبر ١٩٧٣) .
- زائير (٤ أكتوبر ١٩٧٣) .

الثانية : خلال حرب أكتوبر المجيدة :

- داهومى (٩ أكتوبر ١٩٧٣) .
- رواندا (٩ أكتوبر ١٩٧٣) .
- فولتا العليا (١٠ أكتوبر ١٩٧٣) .
- الكاميرون (١٣ أكتوبر ١٩٧٣) .
- غينيا الاستوائية (١٥ أكتوبر ١٩٧٣) .
- تانزانيا (١٩ أكتوبر ١٩٧٣) .
- مالاجاش (٢٠ أكتوبر ١٩٧٣) .
- أفريقيا الوسطى (٢١ أكتوبر ١٩٧٣) .
- أثيوبيا (٢٣ أكتوبر ١٩٧٣) .
- نيجيريا (٢٥ أكتوبر ١٩٧٣) .
- جامبيـا (٢٦ أكتوبر ١٩٧٣) .
- زامبيـا (٢٦ أكتوبر ١٩٧٣) .
- غانا (٢٨ أكتوبر ١٩٧٣) .
- سيراليون (٢٩ أكتوبر ١٩٧٣) .
- السنغال (٢٩ أكتوبر ١٩٧٣) .
- ليبريا (٢ نوفمبر ١٩٧٣) .
- ساحل العاج (٣ نوفمبر ١٩٧٣) .
- بتسوانا (٨ نوفمبر ١٩٧٣) .

وقد جمدت علاقاتها مع اسرائيل ، الدول الافريقية الآتية :

- جابون (٢٩ أكتوبر ١٩٧٣) ٠
- كينيا (أول نوفمبر ١٩٧٣) ٠

أما الدول الافريقية التى ما زالت علاقاتها مع اسرائيل ٠٠ فهى :

مالاوى - موريشيوس - ليسوتو - سوازيلاند ٠

وهى ما يطلق عليها فى أفريقيا « دول الحوار » مع النظم العنصرية البيضاء فى أفريقيا الجنوبية وروديسيا ٠

التعاون العربى الأفريقى

وقد طلبت مصر من مجلس جامعة الدول العربية (أول سبتمبر ١٩٧٤) ضرورة القاء الضوء على المخططات الصهيونية التى راحت تظهر نذرها فى اجواء الدول الافريقية ، بهدف اعادة العلاقات الدبلوماسية المقطوعة بين اسرائيل ودول القارة الافريقية ، والتى ظهرت دلائلها على هيئة حملات دعائية صهيونية مضادة تهدف الى خلق ثغرة فى التضامن العربى الافريقى ، أدت الى ظهور ردود فعل عكسية فى بعض الدول الأفريقية ٠

ولعل ذلك من المظاهر التى تتبعها حكومة اسرائيل ، لاسترجاع الثقة التى فقدتها بحرب أكتوبر ٠

وقد ناقش مجلس الجامعة العربية ، موضوع التعاون العربى الافريقى ، على ضوء توصيات المؤتمر الافريقى الذى عقد فى (٢٣ يناير ١٩٧٤) وكان من أهم هذه التوصيات : -

- انشاء المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى أفريقيا ، وزيادة رأسماله الذى يبلغ ٢٣١ مليون دولار ٠٠ وقد جاء فى مذكرة أمانة الجامعة ، أن وثائق التصديق على اتفاقية انشاء المصرف ، قد تم ايداعها بالفعل ، من قبل الأردن والبحرين والمملكة العربية السعودية وقطر (مجموع اكتتابها جميعا ٧٢ مليون دولار) ٠ الا أن قيام المصرف ، يستلزم أن تودع وثائق التصديق ، باقى الدول (مجموع مساهمتها ١٥٫٥ مليون دولار على الأقل) ، أى بنسبة ٥٠٪ من رأسمال المصرف ٠
- انشاء صندوق برأسمال (٢٠٠ مليون دولار) ، لتقديم القروض اللازمة للدول الافريقية ، بفائدة رمزية ولمدد معقولة ، على أن تحدد منظمة الوحدة الافريقية الدول المحتاجة ومبالغ القروض ٠ وقد

ابلغت الدول المصدرة للبترول الأمانة العامة للجامعة العربية ، بمساهماتها فى الصندوق على النحو التالى ٠٠ دولة الامارات العربية المتحدة (٢٠ مليون دولار) ، المملكة العربية السعودية (٤٠ مليون دولار) ، الجزائر (٢٠ مليونا) ، سلطنه عمان (٥ ملايين) ، العراق (٣٠ مليونا) ، قطر (١٠ ملايين) ، الكويت (٣٠ مليونا) ، ليبيا (٢٣ مليونا) ٠٠ وبذلك يكون مجموع المساهمات (١٧٨ مليون دولار) ، سدد منها حتى (سبتمبر ١٩٧٤) ٦٠ مليونا فقط هى مجموع مساهمات المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة ٠

ولابد من الاسراع فى تأسيس تلك المؤسسات الضرورية للتنمية الافريقية لأن الدوائر الصهيونية ، بدأت فى الفترة الأخيرة ، وبصورة دائمة . الاساءة الى التعاون العربى الافريقى ، فأوعزت الى بعض الصحف الاوربية والافريقية للتشكيك فى أهداف هذا التعاون وأسلوبه ٠

وفى مجال التصدى الى هذه الحملات الصهيونية وابطال مفعولها، طلبت مصر ، من مجلس الجامعة ، مواجهة المخطط الصهيونى الرامى لاعادة العلاقات المقطوعة بين اسرائيل والقارة الأفريقية ، والتى تهدف الى خلق ثغرة فى التضامن العربى الأفريقى ٠

ومن هنا كان على مكاتب الجامعة العربية والسفارات العربية فى العواصم الافريقية ، أن تتحرك اعلاميا ونقوم بتوضيح المجهود العربى للتعاون مع أفريقيا ، وان يصدر بيان سياسى (من الجامعة العربية) يؤكد تضامن الشعوب العربية مع الشعوب الافريقية ، وتقديم الدعم المالى لحركات التحرير الأفريقية ٠

وكل هذه المسائل تحتاج الى الاسراع فى التنفيذ ، لا تقديرا لموقف القارة الأفريقية ودورها السياسى الفعال ، خلال معارك اكتوبر المجيدة فحسب ٠٠ بل بسبب ما تحملته الدول الأفريقية من زيادة أسعار البترول ٠

ان عامل الوقت مهم جدا ، بالنسبة الى التعاون مع أفريقيا ٠٠ وعلى الدول العربية أن تدرك أهمية عامل الزمن ، ولا سيما وقد بدأت تظهر فى الصحف الأفريقية ، دعوات صريحة لاعادة العلاقات مع اسرائيل ، وتحريضها على اعادة الخبراء الاسرائيليين ، بحجة أن العرب لم يفعلوا بعد شيئا ٠

ودلك حتى لا تفقد الدول العربية ماكسبته . ويتحول النجاح الى النقيض ·· فالدول الافريقية ، دول نامية وفقيرة ، وتتطلع الى تحقيق معدلات من التقدم والنمو فيها ·· والمغريات الاقتصادية كثيرة ومتنوعة، ومطمع كبير لاسرائيل والصهيونية العالمية ·

العرب ··
وكسب السوق الأفريقية

يعتبر التجمع العربى أساسا ضروريـا لكسب السوق الأفريقية ، بعد طرد اسرائيل منها ، نتيجة للتعاون الأفريقى العربى فى أعقاب حرب أكتوبر المجيدة ·

ومن الطبيعى أن السلع التى تستوردها الدول العربية ، تقـع مجموعة كبيرة منها ضمن مجموعة الصادرات الأفريقية ، كما أن مجموعة كبيرة من السلع التى تصدرها الدول العربية ، تقع ضمن بنود الاستيراد الأفريقى ·

وقد بلغت الصادرات العربية الى مجموع الدول الأفريقية (سنة ١٩٦٨) حوالى ٩٢ مليون دولار ، وهو ما يقابل نسبة ٩ر١١٪ تقريبـا من حجم التجـارة الخارجية للدول العربية (عـدا الجـزائر واليمن الشمالية) ·

ويمـكن مضاعفة أرقام التجـارة الخارجية بين الدول العربيـة وأفريقيا اذا قامت الدول العربية بتوجيه تجارتها الى القارة ، أو أقيمت المشروعات المشتركة على الخامات المتوافرة فى أفريقيا ، والتوسع فى المال العربى ، والخبرة المصرية بوجه خاص ·

كما يجب أن تنشط الدول العربيـة المنتجة للبترول وتوجـه اهتماماتها ، لخلق أنشطة اقتصادية جديدة فى الدول الأفريقية ذات الامكانيات الطبيعية الضخمة ·· فكل ما ساهم به رجال المال العربى ، قاصر على دور رأس المال فى بعض مؤسسات التمويل الاقليمية كالبنك العربى الأفريقى وبنك التنمية الأفريقى ، وصناديق التنمية العربيـة (فى الكويت وأبو ظبى) ·

ويمكن أن ينطلق التعاون العربى من الواقع الحاضر الذى أثمرته حرب أكتوبر المجيدة ، بقيام المشروعات الاقتصادية المشتركة بين الدول العربية والأفريقية ، على أوسع مدى وبأقصى سرعة ٠

خاصة وأن الأسواق الأفريقية ، تحتاج – فى الوقت الحاضر وبعد طرد اسرائيل منها – الى الانتاج العربى والى التخطيط العربى ٠٠ لاستغلال الثروات الأفريقية ، بما يعود بالفائدة الاجتماعية والتنمية الاقتصادية على الشعوب الأفريقية ٠

الباب الخامس

العبور الاقتصادى

من أهداف أكتوبر العشرة :

لقد بدأنا بحرب أكتوبر ، مرحلة جديدة من حياة هذا الشعب العريق ، أعيد تلخيص مهامها على النحو الآتى :

٣ ـ الانفتاح الاقتصادى فى الداخل والخارج ، الذى وفر كل الضمانات للأموال التى تستثمر فى التنمية .

٩ ـ المجتمع المفتوح الذى ينعم برياح الحرية .

الرئيس السادات

« ورقة أكتوبر »

الاقتصاد المصرى المجهد

وصف « روبرت ماكنمارا » رئيس البنك الدولى للانشاء والتعمير، الاقتصاد المصرى بأنه اقتصاد مجهد ومنهك ·· ولم يكن السبب المباشر لهذا الاجهاد أو الانهاك ، عملية الاعداد للحرب (١) ، خلال السنوات الست التى انقضت بين نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ حتى معارك ٦ أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة ، وانما تمتد جذور هذا الاجهاد الواضح ، الى تراكمات عديدة ·· وكان من ضمن ما تخلف عنها : ـ

- ارتفاع الأسعار ·
- اختلال الهيكل الانتاجى ، وقصوره عن الوفاء بالاحتياجات المحلية·
- مشكلة المديونية تجاه العالم الخارجى (٢) ·
- عجز الميزان التجارى ، والخلل الظاهر فى ميزان المدفوعات وسوء توزيع التجارة الخارجية ·
- ظهور أزمة الطاقات العاطلة ·
- هروب رؤوس الأموال الاستثمارية ·
- ضيق الموارد المتاحة من العملات الحرة ·

ويتأثر الاقتصاد المصرى (تمثلا باقتصاد الدول النامية) ، بالتغيرات التى تعرض ـ ويتعرض ـ لها الاقتصاد الدولى ·· وتتمثل أهم مجالات التأثير فى :

---

(١) ذكر الرئيس السادات فى ورقة أكتوبر أن « عبء الانفاق العسكرى ، قد هبط بمعدل التنمية فى مصر من ٦ر٧٪ ، وهى النسبة التى سادت الفترة من ١٩٥٦ الى ١٩٦٥) الى أقل من ٥٪ سنويا ·

(٢) أوضح الاستاذ مصطفى كامل مراد عضو مجلس الشعب ، فى ندوة عقدت بمقر الجمعية المصرية للاقتصاد والتشريع (مايو ١٩٧٤) ·· أن القروض المستحقة على مصر ، تصل الى ٢٠٠ مليون جنيه استرلينى للدول الغربية ، وألف مليون للدول الشرقية ، وتتحمل مصر من ١٦٠ ـ ١٧٠ مليون جنيه فوائد وأقساط لها · ويلاحظ أن جزءا كبيرا « حوالى الثلث » من حصيلة الصادرات يذهب لخدمة هذه الديون · ولا يستخدم فى تمويل الواردات مما يؤدى الى زيادة التضخم ·

- ارتفاع أسعار الواردات الخارجية الحيويه ·

- زيادة تكاليف الائتمان والتسهيلات المصرفية المرتبطة بالتضخم فى معدلات أسعار الفائدة فى بنوك أوروبا الغربية ·

- ارتفاع تكاليف الخدمات غير المنظورة ، خاصة أسعار النقل البحرى·

- تغير أنماط الانتاج العالمى ومعدلاته ، فى معظم الدول الصـــناعية الرئيسية خضوعا للانكماش الاقتصادى الذى فرضـــته المتغيرات الدولية أخيرا ·

- اضطراب اسواق النقد الدولية ، والانخفاض المستمر فى أســعار غالبية العملات الحرة ، وعدم استقرار أسعار الصرف ·

الا أن الاقتصاد المصرى ، قد تمكن من مواجهة الظروف والضغوط المحلية ، بجانب التغيرات الاقتصادية الدولية ، بقدر كبير من الواقعيـة والمرونة ، بل أنه ظل صامدا ـ على مدى تلك السنوات ـ بصورة مشرفة أذهلت أعداء التقدم المصرى ، فى نفس الوقت الذى سجلت فيه ، أكبر رصيد من الثقة فى مصر والأمة العربية كلها ·

وظل الاقتصاد المصرى ، يمتص أى أعباء اضافية ، بشتى الوسائل وبجهد خارق ، حتى لا تزيد الأعباء على الشعب المصرى ·· فمثلا : اذا كانت أسعار بعض السلع قد ارتفعت ، فان ذلك يدخل فى نطاق الحدود التى لم يكن من الممكن السيطرة عليها ، بحكم موجة الغلاء الكبيرة التى تجتاح العالم كله ·· بل وبقى ، على الرغم من كل ذلك ، مســـتوى الأسعار فى مصر أقل بكثير ، عما يماثله فى دول العالم المختلفة ·

السير ·· نحو الانفتاح

حتى عام ١٩٥٢ ، كان معظم المشروعات الاقتصـــاديه فى أيدى الاجانب ، مما جعل الاقتصاد المصرى تابعا للخارج وفاقدا لاستقلاله ·

ومن عام ١٩٥٢ الى عام تأميم قنـــاة الســويس ١٩٥٦ ، توقف انسياب رؤوس الأموال الأجنبية الى مصر ·

ومن عام ١٩٥٧ حتى ١٩٧٠ ، اتبعت مصر ســـياسة الانغلاق الاقتصادى بسبب :

- حصار الدول الغربية للاقتصاد المصرى ·
- صدور قوانين التأميم الاشتراكية عام ١٩٦١ ·
- توجيه معظم تجارة مصر الخارجية نحو الدول الشرقية وبعض الدول النامية ·

وفى أوائل السبعينات ، طفر الاقتصاد فى دول العالم متطورا الى الانفتاح الاقتصادى العالمى ·

وفى الفترة ما بين عام ١٩٧١ والربع الأخير من عام ١٩٧٣ ، كان على الاقتصاد المصرى أن يساير السياسة الاقتصادية العالمية . فطرأت عليه بعض التغيرات ، بفتح باب الاقتصاد المصرى قليلا على العالم · وشاهدت السياسة الاقتصادية المصرية فى هذه الفترة :

- اصدار قانون استثمار رأس المال العربى والأجنبى والمناطق الحرة (القانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٧١) ·
- انشاء البنك المصرى الدولى ، كبنك مصرى له الحرية المطلقة فى التعامل بالعملات الحرة داخل البلاد وخارجها ·
- توقيع اتفاق التجارة التفضيلى بين مصر والسوق الأوربية المشتركة ·
- تسوية مستحقات عدد من الدول الأجنبية ، التى تجمد سدادها لفترة طويلة ، ومنها ايطاليا والمانيا الغربية وأمريكا ·

وبعد انتصارات حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة ، وبصدور ورقة أكتوبر التى قدمها الرئيس المؤمن محمد أنور السادات والتى بايعه عليها الشعب المصرى بالاجماع ·· دخل الاقتصاد المصرى الى مرحلة الانفتاح العالمى ·

العبور الاقتصادى

والانفتاح الاقتصادى ، هو السياسة الجديدة التى يسلكها الاقتصاد المصرى لاجتذاب الاستثمارات والخبرات الأجنبية دون أى خوف ·· **ويعنى ذلك** ، الانفتاح على العالم شرقه وغربه ، فان تنويع العلاقات الاقتصادية الدولية ، يعنى الحرية السياسية ·

وتقول ورقة أكتوبر :

« ان لدينا قطاعات الاقتصاد القومى الثلاثة : القطـاع العـــام والقطاع الخاص والقطاع التعاونى • وبسياسة الانفتاح الاقتصادى ، يتسع المجال أمام الاستثمارات العربية والأجنبية • وهذا كله فى اطار من التخطيط الذى يرسم أهدافا استراتيجية لتغيير صورة البلاد تغييرا جذريا ، ويضع الخطط التفصيلية ، التى تكفل تحقيق هذه الاهداف » •

وفى تقديم قانون استثمار المال العربى والأجنبى والمناطق الحرة (الصادر برقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤) ، المعدل فى اطار ورقة اكتوبر ، وفى ظل سياسة الانفتاح الاقتصادى ، يقول الدكتور عبد العزيز حجـــازى رئيس الوزراء (١) :

« ليس الانفتاح الاقتصادى ، أيديولوجية جديدة ، تعبر عن تغيير مسار السياسة الاقتصادية ، عن الخط الذى هدانا فى السنوات الماضية •• بل هو استمرار فى المسار ، يؤيده واقع التجربة الوطنية والممارسة الفعلية ، لادارة الاقتصاد القومى خلال سنوات عديدة ، خضنا خلالها معارك اقتصادية واجتماعية وسياسية وحربية •• وتزودنا خلالها بنتائج التجارب ، وزادت أثرها ثقتنا بالنفس وبالأرض التى نخطو عليهـا ، وتفتح وعينا لما يدور حولنا داخل المجتمع المصرى ، وفى محيطنا العربى ، وعلى الصعيد العالمى •

••• أن الانطلاق نحو أعلى مراحل التنمية الشاملة ، يتطلب جهودا ضخمة ، وتمويلا يتعدى حجم مدخراتنا الوطنية •

وعليه ، فان الانفتاح •• دعوة الى تعبئة رؤوس الأموال المحلية غير المستغلة ،والأجنبية غير المشروطة كى تتكاتف دون قيد أو حرج ، دون تشكك أو تردد ، من أجل الاسراع بتنفيذ مشروعات التنمية فى كافـة القطاعات ، وذلك فى اطار شركات القطاع العام والقطاع الخاص والمشروعات المشتركة •• دعوة الى الأجهزة المسئولة ، كى تطبق روح القانون ونصه فى تشجيع استثمار المال العربى والأجنبى » •

وتتجه ورقة أكتوبر الى موضوع الاستثمارات الخارجية ، بتشجيع رؤوس الأموال العربية •• فتقول :

---

(١) ملحق الأهرام الاقتصادى (١٥ مايو ١٩٧٤) •

« اننا نريد للتعاون الاقتصادى العربى ، أن يدخل مرحلة نشطة قوية » ٠

« اننا نوفر للمستثمر العربى ، كل الضمانات التشريعية . ونوفر له ما هو أهم من ذلك ، وهو القدرة الاستيعابية للاقتصاد المصرى ، فى ظل استقرار سياسى واجتماعى وتنمية اقتصادية مطردة » ٠

فقد كانت الأمة العربية كلها « خط مواجهة » منذ اللحظات الأولى لقتال أكتوبر المجيد ، وتميزت مشاركتها بالفاعلية والتنسيق ٠ وحدد الملوك والرؤساء العرب ، موقفهم من المعركة ، وبدأت مرحلة جديدة ومجدية فى العمل الموحد ، لتبرز التضامن وحشد الطاقات وتعزيزها من أجل المعركة ٠

وتنبه العرب ، الى ضرورة استثمار قدراتهم وامكانياتهم فى كل مجال ممكن ، والى ضرورة خلق المناخ الاقتصادى المناسب لاستثمار الفوائض العربية فى الوطن العربى ، وتسهيل انتقال رؤوس الأموال العربية داخل الوطن العربى ٠

واعتبر الاستثمار فى أى قطر عربى استثمارا وطنيا ، ومن ثم وجب ضرورة توفير الضمانات الكافية له داخل هذه الدول ٠ وتشير ورقة أكتوبر الى أهمية ذلك عندما تقول :

« اننا نعتقد أن هذه الاستثمارات ، سوف تجد لدينا بيئة مستقرة آمنة » ٠

ذلك لان ثبات الأوضاع واستقرار الأنظمة الاقتصادية ، سيظل مطلبا ضروريا ، اذا ما أريد لرأس المال العربى والأجنبى أن يسهم فى تنمية مصر ورخائها ٠

وثمة خطوات ايجابية عربية ، عرفت طريقها الى التعامل مع سائر الدول الأجنبية ، محطمة جدران الخوف والعزلة الاقتصادية ، موجهة دفتها ــ بلا رهبة ــ نحو اقتصاد متفتح ، يطل بكل ثقة وثبات وجرأة ، على العالم الحر ٠

وهبت على مصر نسمات التحرر الاقتصادى ٠ وبما لا يؤثر على البصمات الأساسية للاشتراكية المصرية ، انفتحت الأبواب على مصراعيها ، لتستقبل موجات جديدة من رؤوس الأموال العربيــة والأجنبيــة ، التى استلهمت روح أكتوبر ، فمضت على خطاها ٠

ومع سياسة الانفتاح الاقتصادى ، أصدرت مصر عدة قوانين وقرارات اقتصادية ، تستهدف تحقيق التقدم ، الذى بات على مصر ، أن تلحق به بعد نصر أكتوبر العظيم ·· ومن أهمها :

١ ـ قانون استثمار رأس المال العربى والأجنبى وانشاء المناطق الحرة ·· لزيادة الضمانات والحوافز والتيسيرات ، للمستثمرين العرب والاجانب ، بكافة وسائل التدعيم والثقة · كما تقرر تطوير هيئة استثمار المال العربى والمناطق الحرة ، بما يكفل سرعة البت فى المشروعات التى يقدمها المستثمرون ودعمها بالكفاءات المدربة على مواجهة طلبات واستفسارات المستثمرين ·

٢ ـ انشاء جهاز التعاون الاقتصادى العربى والدولى ، ويتمتع بشخصية قانونية مستقلة ، ومن أهم اختصاصاته :

(أ) اقتراح السياسة العامة الخاصة بالتعاون الاقتصادى مع الدول العربية والأفريقية والدول الأخرى بصفة عامة · ووضع الخطط والبرامج لتنفيذ ما تم اقراره من سياسات ومتابعة تنفيذها وتقييم نتائجها ·

(ب) التنسيق بين مشروعات خطط وبرامج التعاون الاقتصادى والفنى ، التى تقترحها القطاعات المختلفة ، على ضوء الأهداف والأولويات التى تحدد ضمن السياسة العامة للدولة ·

(جـ) دعم وتشجيع الاستثمارات العربية والأجنبية فى مصر والمناطق الحرة بها ، طبقا للسياسة والاطار العام لخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والقوانين والقرارات الصادرة ·

(د) الاعداد والاشراف على عقد الاتفاقات الثنائية والاقليمية والدولية المتعلقة بالاستثمارات العربية والأجنبية ·

(هـ) اقتراح مشروعات القوانين والقرارات المنظمة والمشجعة للاستثمارات العربية والأجنبية فى مصر ومتابعة تنفيذها ·

(و) الاشراف والتوجيه والمتابعة ، فيما يتعلق بالدراسات الخاصة بالمشروعات العربية المشتركة والمشروعات العربية الأجنبية المشتركة ، التى تساهم فيها مصر ·

(ز) الاشراف والتوجيه والمتابعة ، بالنسبة لعلاقات مصر مع هيئات التمويل الدولية والاقليمية وهيئات ضمان الاستثمار (البنك

الدولى للانشاء والتعمير والمنظمات التابعة له ــ صندوق النقد الدولى ــ بنك التنمية الافريقى ــ الصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى ــ المؤسسة العربية لضمان الاستثمار ــ صناديق الانماء الوطنية فى الدول العربية) .

(ح) الاعداد والاشراف على عقد اتفاقات التعاون الفنى والاقتصادى مع حكومات الدول العربية والافريقية ودول العالم بصفة عامة .

(ط) الاشراف على علاقة مصر مع المنظمات الاقليمية والدولية المختصة بتقديم المعونات الفنية والاقتصادية ، ومع المجلس الاقتصادى لجامعة الدول العربية ومجلس الوحدة الاقتصادية العربية ومع مجلس الوحدة الأفريقية .

(ى) الاعداد والاشراف على عقد اتفاقات قروض التعاون الاقتصادى مع حكومات الدول الأجنبية ، وعلى عقد اتفاقات جدولة هذه الديون ، وعلى عقد اتفاقات التعويضات ، ومتابعة تنفيذ هذه الاتفاقات .

(ك) الاشراف على الهيئة العامة لاستثمار المال العربى والمناطق الحرة .

٣ ــ تشكيل لجنة عليا للتعاون الاقتصادى العربى والدولى .

٤ ــ انشاء السوق الموازية .. وهى سوق شبه حرة ومستقلة عن السوق الرسمية ، وتتولى شراء وبيع العملات الحرة ، بأسعار وبشروط مختلفة عن مثيلتها فى السوق الرسمية . وقد تحددت الأسعار التشجيعية التى يتم التعامل بها فى السوق ، على أساس السعر الرسمى للعملة الحرة ، مضافا اليها علاوة ٥٠ فى المائة بالنسبة لسعر الشراء ، ٥٥٪ بالنسبة لسعر البيع . وتتكون موارد السوق الموازية من الحصيلة المحققة عن :

(أ) مدخرات وتحويلات المصريين والسياحة الفردية أو الجماعية .

(ب) تحويلات مواطنى الدول العربية لغير أغراض الاستثمار .

(جـ) الصادرات السلعية ، (ما عدا السلع التقليدية كالقطن والأرز والبصل والبطاطس والبترول والأسمنت) .

(د) ٥٠٪ من الزيادة عن الهدف المقرر للتصدير السنوى فى الموازنة النقدية بالعملات الحرة بالنسبة للغزل والمنسوجات القطنية .

هذا سواء كانت المتحصلات الواردة للسوق الموازية على هيئة بنكنوت أو تحويلات من الخارج أو أية وسيلة من وسائل الدفع المصرية المقبولة ، وسواء كانت مدفوعة من مصريين أو أجانب ، وذلك باستثناء ما يحول الى البلاد كاستثمارات غير مقيمة ·

وتقوم السوق الموازية ، بتمويل المدفوعات غير المنظورة للأفراد والقطاع الخاص ، والمبالغ المسموح بها عند السفر للخارج ، وكذلك واردات القطاع الخاص وقطاع السياحة ، وواردات شركات التجارة الخارجية اللازمة للقطاع الخاص والسياحة ، التى تستوردها الشركات لمقابلة احتياجات الأسواق العامة ·

هذا وقد شكل الرئيس السادات ، لجنة عليا لمحاربة أعداء الانفتاح ، الذين يتربصون به داخل مكامنهم البيروقراطية ·· أما بتحويل المساعدات الاقتصادية الى منافع شخصية لا تعود بفائدة على المجتمع ، أو بعرقلة تنفيذ المشاريع الاقتصادية الجديدة ·

مصالح الاقتصاد القومى

ومن الطبيعى أن الاستقرار المطلوب للاستثمارات العربية والأجنبية ، لا بد له ، كى يتحقق ، ان يلمس المستثمر وضوحا فى الخط الاقتصادى وضمانات تكفل له الحماية وحرية الحركة ·

ومن المسلم به ـ أيضا ـ أن يتم ذلك بالشكل الذى لا يضر بمصالح الاقتصاد القومى ·

ولذلك فقد أقرت التعديلات ، التى أدخلت على قانون الاستثمار العربى والأجنبى ، بما يكفل تحديد المجالات التى يسمح فيها بالاستثمار ، وايضاح وتحديد الأولويات التى تمنح لطلبات الاستثمار على ضوء مجالات استخدامها ، وتحددها قوائم تعدها هيئة الاستثمار ويعتمدها مجلس الوزراء ، فى مجالات الصناعة والتعدين والقوى المحركة والسياحة والنقل·

أما بالنسبة لمشروعات الامتداد العمرانى ، المقصود بها الاستثمارات فى مبان جديدة ، فلا يعتبر شراء العقار أو أى أرض خلاء فعلا ، كمشروع استثمارى ، الا اذا كان ذلك بقصد البناء ، وليس بقصد اعادة بيعها ، للاستفادة من الزيادة فى قيمتها العرضية ، بشرط أن يتم البناء فعلا خلال المدة التى يحددها مجلس ادارة هيئة الاستثمار ·

وقد أوجبت التعديلات الجديدة :

١ — أن يكون الاستثمار فى مصر ، على هيئة مشاركة مع رأس المال المصرى العام أو الخاص ، وذلك لاتاحة الفرصة لرأس المال المصرى لكسب خبرات جديدة ·

٢ — بالنسبة للاسكان (الادارى وفوق المتوسط) بغرض الاستغلال التجارى فقد سمح بها فقط للعرب والمصريين دون الأجانب ·

٣ — انشاء شركات استثمار ·

٤ — السماح بانشاء بنوك الاستثمار وبنوك الأعمال وشركات التأمين ، التى يقتصر نشاطها على العمليات التى تتم بالعملات الحرة · ولا تقوم بالعمليات التى تتم بالعملة المحلية ، الا اذا كانت على هيئة مشروعات مشتركة مع رأس مال مصرى محلى ·

٥ — يجوز أن ينفرد رأس المال العربى أو الأجنبى فى مجالات بنوك الاستثمار وبنوك الأعمال ، متى كانت فروعا تابعة لمؤسسات مركزها الرئيسى فى الخارج ·

٦ — يتمتع المال المستثمر فى مصر (ولو كان المالك مصرى الجنسية وأيا كان محل اقامته) بعدم جواز التأميم أو المصادرة أو الحراسة أو تجميد الأموال أو الحجز عن غير الطريق القضائى ·

٧ — لا يخضع العاملون بهذه المشروعات ، للقواعد المنظمة للسفر بالنسبة لنشاط المشروع ·

٨ — تعفى الآلات والمعدات ووسائل النقل اللازمة ، لبعض المشروعات الموافق عليها ، من الضرائب والرسوم الجمركية · ويصدر هذا الاعفاء بقرار من وزير المالية بناء على طلب هيئة الاستثمار · ويجوز منح هذه المزايا للمال المستثمر ولو كان مصريا ، لتحقيق المساواة بين المال الأجنبى المملوك لغير مصرى ، والأجنبى المملوك لمصرى ·

٩ — يسمح للخبراء والأجانب القادمين للعمل فى مشروعات هذا القانون ، بتحويل حصة لا تتجاوز ٥٠٪ من مجموع ما تقاضوه الى الخارج ·

وكان لا بد من قانون الاستثمار ، في اطار الانفتاح الاقتصادي ، لتعميق التقارب مع دول العالم عامة ، ومع الدول العربية بوجه خاص . اذ يعتبر القانون دعوة صريحة للاستثمارات العربية والاجنبية ، ويحاطها بضمانات من المزايا والاعفاءات الضريبية وضد الحراسة والتأميم وخلافه .

وقد قام مجلس الوحدة الاقتصادية العربية بدراسة المشاكل التي تحد من التكامل الاقتصادي العربي ، وبحث الجوانب المتعددة للمشاكل التجارية والاقتصادية ، التي يتعرض لها الوطن العربي . واسفرت الدراسة عن التوصيات الآتية :

١ ــ تعبئة فوائض الاموال العربية وتوجيهها للاستثمارات داخل المنطقة العربية .

٢ ــ على الدول المضيفة للاستثمارات ، ان تقدم التسهيلات والضمانات اللازمة للدول المستثمرة ، من أجل خلق المناخ المناسب لتشجيع الاستثمارات . ولذلك فان الدول العربية التي لم توقع او تصدق بعد ، على اتفاقية تشجيع استثمار الاموال العربية ، مدعوة الى التوقيع عليها .

٣ ــ دعوة صناديق التنمية العربية ، الى تخصيص جزء أكبر من مواردها ، لتمويل المشروعات ذات الاهمية أو المشروعات التي تشترك فيها عدة دول .

٤ ــ توسيع مجال نشاط المؤسسات التمويلية ، وان تستخدم أساليب جديدة للاقراض ، مثل الاقراض البرنامجي ، وتقديم التسهيلات الائتمانية اللازمة للمصدرين ، وتوحيد وإعادة جدولة الديون الخارجية .

٥ ــ دعوة الدول العربية التي لم توقع اتفاقية الوحدة الاقتصادية ، الى أن تبادر الى ذلك .

٦ ــ العمل على تنسيق الاستثمارات والتجارة بين الدول العربية ، على أساس التوزيع العادل والتكامل الاقتصادي .

٧ ــ الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة ، مع الاهتمام بالدراسات الاقتصادية ، وتوفير الموارد المالية اللازمة لها .

الرخاء .. مستقبل الأجيال

كان تطوير الاقتصاد المصرى ، أحد المطالب الأساسية قبل ٦ أكتوبر .. ثم أصبح من أهم الضرورات الحتمية ، بعد نصر ٦ أكتوبر المجيد .

ولذلك كانت الخطوة الأولى فى طريق التطوير ، هو دفع عجلة الانفتاح الاقتصادى المصرى ، وتسييره بالحكمة التى نادى بها الرئيس السادات .. بقوله :

« ان العمل الداخلى ، يجب أن يكون على مستوى كفاءة ومقدرة يوم ٦ أكتوبر » .

ان الارادة المصرية ، التى حققت العبور العظيم ، قادرة — بغير شك — على أن تعبر مصر ، حاجز التخلف الاقتصادى الذى فرض عليها من قبل ، الى حياة الرخاء والرفاهية الاقتصادية .

الباب السادس

التعمير .. وتطهير القناة

مدن القناة ودورها التاريخى

كانت منطقة قناة السويس دائما محورا من أبرز محاور النهضة المصرية ، والحركة التحررية المصرية ، منذ شق القناة فى عام ١٨٦٩ الى معركة النصر عام ١٩٧٣ ٠

وكان الدور الذى شاء القدر أن يسنده الى تلك المنطقة فى قصة النهضة المصرية والحركة التحررية ، بحكم موقعها الجغرافى بالدرجة الأولى ، هو امتصاص صدمات العدوان المتتالية بالصمود والتضحية والبذل والفـداء ٠

ويشهد التاريخ المعاصر أن المنطقة الباسلة لعبت دورها هذا على نحو مثالى منذ حفرتها أظافر المصريين ، مرورا بأحداث المقاومة الكبرى للغزو البريطانى على يد عرابى عام ١٨٨٢ ، الى المقاومة المسلحة للاحتلال البريطانى عام ١٩٥١ ، فالى صد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، ثم الى النكسة الكبرى فى يونيو عام ١٩٦٧ مع ما تبعها من حرب الاستنزاف حتى انجاز العبور فى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ٠

وحتى بعد العبور ، كان هناك التسلل الاسرائيلى خلال الثغرة ، وانتشار العدو جنوبا فى محاولة يائسة لاحتلال مدينة السويس ، رد فيها على أعقابه المرة تلو المرة بعد العدوان الوحشى المركز الذى وجهه الى المدينة الصامدة من الجو والبر ، رغم وقوفها عزلاء الا من المقاومة الشعبية ٠ حتى اذا ما اقتنع العدو بأن المدينة أمنع من عقاب الجو ، فترت همته ولم يجد غير الاستسلام لقرار الانسحاب قانعا من الغنيمة بالسلامة ٠

وهكذا ، عند ظهر الثامن والعشرين من يناير ١٩٧٤ ، بعد مائة يوم من محاصرة المدينة الباسلة ومحاولة دخولها أكثر من مرة انتهت جميعـا بالفشل الذريع ، انسحبت القوات الاسرائيلية من حيث كانت تربض فى الأدبية وجبل عتاقة وعلى تخوم السويس ٠ حتى اذا ما كانت السادسة من مساء نفس اليوم تسلمت مصر المنطقة من قوات الطوارىء وبدأت قواتنا المسلحة فى ازالة الالغام ثم دخلت المدينة ٠

وادراكا من القيادة السياسية فى مصر للدور الطليعى والتضحيات التى بذلها أهالى منطقة القناة وخاصة سكان مدنها الثلاث ، استحدث فى مصر تشكيل وزارة جديدة باسم وزارة التعمير · اسند قيادها الى المهندس المعمارى الكفء عثمان أحمد عثمان ليضطلع برد الجميل لأهله باعادة الحياة الى مدن القناة وأعادة تخطيطها على أساس علمى جديد ·

وفى ٧٤/٧/٢٦ صدر أول قانون للتعمير فى مصر · وقد أعطى هذا القانون لوزير الاسكان والتعمير سلطة التصرف فى النقد الأجنبى المخصص للوزارة فى الميزانية النقدية للدولة أو الناتج عن القروض ، وعدم التقيد بأية قواعد متبعة فى هذا المجال ، كما أعطاه سلطة الاعتمادات والحق فى اصدار لائحة مالية لأعمال التعمير ، دون التقيد بالقواعد المطبقة فى الحكومة أو القطاع العام بشأن أعمال الشراء والمناقصات والمقاولات والتعاقد مع بيوت الخبرة فى الداخل والخارج ·

السويس ··

المدخل الجنوبى للقناة

كانت معظم مبانى السويس التى أصبحت أطلالا ، تحكى فى صمت رهيب قصة من أبشع قصص التدمير اللاانسانى ، بعد أن تعاملت مع كل أسلحة الدمار الحديثة ، وكأنما أبت ألا أن تشارك شعب المدينة فى صياغة الملحمة التى دحرت كل محاولات العدو لدخولها والسيطرة عليها · وعندما يقال أن معركة كبرى للتعمير قد بدأت فى أعقاب انتصارات أكتوبر ، فلعل فيما انتهت اليه مدينة السويس من تدمير ما يعبر عن صدق هذا الرأى ، وعن أن التعمير المنشود يتطلب معركة فعلا ·

كانت فى السويس (٥٢٥) ألف وحدة سكنية ، لم يتبق منها غير (٩٥٠٠) وحدة معظمها حطام وأطلال · وبلغة الأرقام بلغت خسائر المبانى فى السويس قرابة أربعين مليونا من الجنيهات ·

وبلغة الأرقام أيضا بلغت الخسائر فى المرافق أكثر من ٢٠ مليون جنيه ، وفى الشوارع والطرق بعد أن دمرت أكثر من ٤ ملايين جنيه ، وفى المبانى التعليمية حوالى ٣ مليون جنيه ، وفى المساجد والكنائس حوالى مليون جنيه ، وفى ميناء السويس أكثر من ٦ مليون جنيه ، وفى ميناء الأدبية حوالى ٢ مليون جنيه ، وفى ميناء البترول مالا يقل عن مليون جنيه ، وفى مرافق النقل والمواصلات بما فيها السكك الحديدية حوالى

جنيه ، وفى مرافق النقل والمواصلات بما فيها السكك الحديدية حوالى مليونين من الجنيهات • واذا كانت هذه الأرقام تمثل بعض متطلبات التعمير ، فهى تقدم صورة لمدى مالحق بمدينة السويس من تدمير •

ولقد بدأت معركة التعمير بالنسبة للسويس ، كاستهلاك لتعمير منطقة القناة كلها ، بمجرد توقيع اتفاقية انسحاب العدو • فقد تقرر فتح طريق القاهرة ــ السويس للتحركات المدنية ابتداء من صباح الثلاثاء ٢٩ يناير ١٩٨٤ ، وصدرت التعليمات الى كل المسئولين فى قطاعات الخدمات بأجهزة الدولة لسرعة تزويد المدينة العملاقة بكل احتياجاتها من الخدمات العاجلة ابتداء من نفس الصباح ، كما صدرت التعليمات بأن يتم استبدال جميع من كانوا بها طوال مرحلة الصمود من رجال الأمن والكهرباء والتليفونات والصحة ، بعد أن ظلوا طوال الأيام المائة صامدين داخل المدينة رافضين الخروج منها •

وكان الدمار الذريع يقتضى تخطيطا محكما وشاملا • ولذا انتقل الى السويس بعد ٣٦ ساعة فقط من الانسحاب ، أثنا عشر وزيرا يرافقهم كبار المسئولين لدراسة الأوضاع على الطبيعة ، توطئة لوضع خطة تنفيذية لاعادة الحياة الطبيعية الى المدينة يشترك فى تحديدها أعضاء المجلسين الشعبى والتنفيذى وكبار المواطنين من أهل السويس • ومع قافلة الوزراء وصلت قافلة أخرى من خمس وثلاثين سيارة كبيرة تحمل الأطباء والممرضين والفنيين المزودين بالأدوية والمعدات الطبية والأجهزة الجراحية ، وقافلة ثالثة من ست سيارات محملة بالوقود والمؤن والغذاء •

وقضى الوزراء الاثنا عشر طوال يوم ٣٠ يناير ١٩٧٤ فى المدينة يتجولون فى مناطقها لحصر الاحتياجات التى تتطلبها معركة التعمير ، كما عقدوا مؤتمرا شعبيا حضره جميع أهالى السويس للادلاء بآرائهم ، حتى اذا ما عادوا الى القاهرة فى مساء نفس اليوم أصدر الرئيس أنور السادات بعد الاستماع الى ملاحظتهم توجيهاته بأن تعطى الأولوية الأولى ، بدءا بمدينة السويس • وبناء على ذلك اجتمع مجلس الوزراء فى صباح اليوم التالى ، ٣١ يناير ١٩٧٤ ، واستمع الى تقارير الوزراء الاثنى عشر كل فى حدود اختصاصه ، كى يصدر فى نهاية الاجتماع قرارين يقضى أولهما بتشكيل لجنة عليا برئاسة رئيس الوزراء وعضوية نواب رئيس الوزراء والوزراء ومحافظى مدن القناة لاعداد خطة شاملة لتعمير منطقة القناة ، ويقضى الثانى بأن ينتقل مجلس الوزراء الى مدينة السويس كاملا لمتابعة مناقشاته الواسعة على الطبيعة حول تعمير السويس ولاصدار القرارات الفورية التى تتطلبها خطة العمل •

وبدأت المعركة . فقررت القوات المسلحة أن تتعاون مع الأجهزة المدنية فى تنفيذ خطة العمل العاجلة التى تم اقرارها ، والتى شملت تطهير نرعة السويس واصلاح شبكات المياه والانارة والتليفونات والسكك الحديدية فى المدينة ، واجراء حصر شامل للمبانى التى تهدمت أو أصيبت .

وبروح أكتوبر العظيم ، بدأت الخطوات التنفيذية لتشغيل موانىء السويس والأدبية وبور توفيق ، مع تطهير مداخلها لاعادة الحياة الى هذه المرافق فى أسرع وقت ممكن .

وسرت نغمات النصر التى ألهبت دماء البلاد كلها الى الاسكندرية ، فأعلنت عروس البحر الأبيض المتوسط أن مجموعة عمل قد تقرر تشكيلها برئاسة وزير النقل البحرى وعضوية مجموعة من الخبراء ، وانتقالها الى منطقة السويس للمساهمة فى تشغيل موانيها .

وتوالت الاجتماعات الوزارية ، ومطالب شعب المدينة التى شاءت حرب أكتوبر أن تجعل منها رمزا لبسالة الشعب المصرى وصموده ، وقرارات وتوجيهات الرئيس أنور السادات ، حتى تبلورت الخطة بالنسبة لمدينة السويس فى أربع مراحل يستغرق تنفيذها حوالى ثمانى سنوات يتغير فى نهايتها وجه المدينة شكلا وموضوعا ، تغييرا جذريا .

تقرر أن تستغرق المرحلة الأولى سنة واحدة ، وهى المرحلة العاجلة لاعادة الحياة الطبيعية الى المدينة ، وتتضمن تعميرا سريعا للمرافق والاسكان بالمدينة ، ووضع تخطيط اقليمى عام لها يبدأ تنفيذه ببدء العام التالى .

وتقرر أن تشمل المرحلة الثانية بناء المدينة الحالية على الشاطىء الغربى وفقا للتخطيط الاقليمى العام المقترح ، واعادة الصناعات التى دمرت بسبب الحرب ، والمرافق التى تخدم المدينة الحالية ، مع ربطها بالشاطىء الشرقى .

وتقرر أن تستغرق المرحلة الثالثة عامين ، وان تشمل التوسعات التى يتطلبها أنشاء المدينة الجديدة ، والتخطيط السكنى اللازم للشاطىء الشرقى فوق أرض سيناء فى مواجهة مدينة السويس الحالية ، مع تطوير الخدمات والمرافق بحيث تناسب الحجم الجديد للمدينة واستيعاب الهجرة والعمالة المنتظرة ، وانشاء (ميناء السويس العالمى) .

وتقرر أن يستغرق تنفيذ المرحلة الرابعة النهائية ثلاث سنوات ، تتم فيها اقامة المناطق الصناعية التى سيستقر الرأى على اقامتها ، ومناطق للتجارة العالمية يكتمل بها الميناء العالمى ، وانشاء (مطار السويس الدولى) .

وتضمان تنفيذ مراحل الخطة الأربع فى ظل متابعة دقيقة ، وكما هو الحال فى المعارك الحربية ، تقرر انشاء غرفة عمليات رئيسية للتعمير تضم مندوبين عن الوزارات المشتركة فى معركة التعمير ، وتتبعها غرف عمليات فرعية بمواقع العمل جميعا لمتابعة العمليات ميدانيا وعلى الطبيعة ٠

حدث كل هذا النشاط المتعدد الصور ، بين مؤتمرات وقرارات وتخطيط ، خلال فترة لم تجاوز اسبوعين منذ بدء نزوح العدو الاسرائيلى عن منطقة السويس فى العشرين من يناير ٠ وفى الحادى عشر من فبراير عقد وزير التعمير أول مؤتمر صحفى بغرفة عمليات التعمير المركزية لمنطقه السويس ، ليعلن أن خطة تعمير المنطقه سيبدا تنفيذها اعتبارا من نفس اليوم ، لانجاز المرحلة الأولى خلال العام المقرر لها ، وعلى أساس بلوغ السويس فى نهاية المرحلة الرابعة شكلها الجديد بعد تطويرها لتصبح مساحتها عشرة أمثال المساحة الحالية ٠

وفى نفس المؤتمر الصحفى أعلن وزير التربية والتعليم أن الدراسة ستبدأ بالمدينة فورا ، وأن مبلغ ثلاثة ملايين و ١٥٦ ألفا من الجنيهات قد اعتمدت لانشاء ٤٧ مدرسة ابتدائية بها ألف فصل ، وأعادة بناء ١١ مدرسة اعدادية وثلاث مدارس ثانوية ومدرسة صناعية ٠

ثم توالت بيانات مندوبى سبع عشرة وزارة ، لتحدد مشروعات العام الأول التى اختصت بها المنطقة الباسلة ، وليتوجها أولا بيان مندوب وزارة النقل البحرى باعتماد خطة عاجلة بناء على توجيهات الرئيس السادات ، لتشغيل موانى الأدبية وبور توفيق وبور ابراهيم خلال أربعة أشهر ، تعود بعدها الموانى الثلاث للعمل بمعدل ٧٥٪ من طاقتها ، وثانيا بيان مندوب وزارة الزراعة باتخاذ الاجراءات الفورية التى تكفل اعادة ٢٥ ألف فلاح الى سبع قرى لزراعة ٣٠ ألف فدان ٠

واذا كانت خطة أعادة الحياة الزراعية الى منطقة السويس قد تمت ، وقبل الوقت المحدد لها ، فقد تمت بالمثل ، وفى مدد قياسية بدافع من الروح المعنوية التى كانت السمة البارزة فى معركة التعمير ، انجازات تشغيل الموانىء الثلاث طبقا لما حددته الخطة ٠ ففى خلال ثلاثين يوما فقط تم تطهير المسطحات المائية وعمل الجسات اللازمة للتأكد من صلاحية الأرصفة ، وفى خلال شهرين أمكن انتشال الوحدات الغارقة واعداد الورش لاصلاح السفن وتزويد الموانىء الثلاث بالمنشات القاطرة ، وبذا أمكن التمهيد للمرحلة الأخيرة من الخطة والتى تخصص لها مبلغ خمسة عشر مليونا من الجنيهات ، والتى عادت بها الموانى الى حالتها الأولى قبل ١٩٦٧ ، مع اعداد ميناء بور ابراهيم للصناعات البحرية واعداد ميناء الأدبية ليكون ميناء عالميا ٠

وعلى طول خطوات التنفيذ ، كان الرئيس السادات يتابع مراحل الانجاز أولا بأول · حتى اذا ما قيل له أن الخطه قد قطعت اولى مراحلها بنجاح ، اصدر توجيهاته فى الثانى من مارس ١٩٤٧ بمنح تصاريح العودة الى السويس فورا لأربع فئات من المواطنين هم الذين يتطلبهم دفع عجلة التعمير قدما ، على أن تتكون الفئة الأولى من التجار المكلفين واى تاجر يرغب فى العودة الى بلده ، والفئة الثانية من الموظفين والعاملين سواء فى القطاع العام والشركات أو مصالح الدولة ، والفئة الثالثة من المهنيين المتخصصين فى أعمال المرافق ، والفئة الرابعة من عمال الهدم والبناء ·

ويرفع الستار عن الهدف الأخير الكبير الذى لم تكن هذه الخطط الابتدائية غير الخطوة الأولى فى الطريق اليه · ففى ٢٨ مارس ١٩٧٤ ، زارت اللجنة الاستشارية للتخطيط مدينة السويس لتراجع على الطبيعة امكانات التواصل الى ذلك الهدف الأخير · حتى اذا ما اطمأنت الى أن لا عائق هناك يحول دون تحقيق الهدف ، أعلنت أن المدينة سيتم تقسيمها الى خمسة أقسام ، يحوى كل منها ما يكفيه ذاتيا من مرافق الخدمات ، على أساس الوصول بسكان المدينة الى ٧٥٠ ألف مواطن فى عام ١٩٩٠ ثم الى مليون مواطن فى عام ٢٠٠٠ ، وعلى أساس رفع خطوط السكك الحديدية من وسط المدينة ومن قلب القطاع العريض ·

بور سعيد ·· المدخل الشمالى للقناة

لم تسلم بورسعيد من العدوان ، سواء فى عام ١٩٦٧ أو عام ١٩٧٣ أو ما بينهما خلال عمليات الاستنزاف · وفى الواقع ، تحملت هذه المدينة الباسلة مالم تتحمله مدينة أخرى فى العالم ، بما تعرضت له من ضرب خسيس خلال عدوان ١٩٥٦ و ١٩٦٧ وأخيرا حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ·

وعلى غير الحال مع مدينة السويس ، خرجت بورسعيد من المعركة ، بفضل انتصارات السادس من أكتوبر التى حطمت من معنويات طيران اسرائيل بقدر ما حطمت من طائراته ، دون مساس جدى بمبانيها ومرافقها· ولما كانت نسبة الدمار الشامل قد اقتصرت على ٣٠٪ ، فقد كان يكفى المدينة من اللمسات السريعة ما يعيدها الى حياتها الطبيعية ·

وكما حدث فى السويس ، انتقل الى بورسعيد فى ٢٤ فبراير ١٩٧٤ عشرة من الوزراء فى دراسة ميدانية لاحتياجات المدينة الباسلة ومراجعة

خطة التعمير التى وضعت من أجلها . وكان فى مقدمة ما تقرر . وبدأ تنفيذه على الفور ، أعادة تشغيل الميناء بعد شهر واحد لاستقبال السفن التى تحمل امدادات قوات الطوارئ الدولية ، وغيرها من السفن التى لا يزيد غاطسها على ٢٨ قدما ، بشرط أن تخطر الجهات المسئولة قبل وصولها بأربع وعشرين ساعة .

وفى المؤتمر الصحفى الذى عقده الوزراء العشرة ، أذيعت القرارات التى أصدرها الرئيس السادات بصفة عاجلة ، وفى مقدمتها أن يعاد تعمير بورسعيد على أساس أن تكون مدينة حرة من جهة ، وخط دفاع أول حصين من جهة أخرى ، وأن يكون مفهوم التعمير شاملا لكل تغيير اجتماعى واقتصادى .

وفى نفس المؤتمر ، بعد أن أدلى شعب بورسعيد بمطالبه ، تقرر ان نبدأ الدراسة فى بورسعيد من سبتمبر ١٩٧٤ وأن تعد ٤٠ مدرسة لاستقبال أبناء مائة ألف من المهجرين كدفعة أولى ، ورفع قوة محطة الكهرباء لمواجهة التوسعات القادمة ، واصلاح المستشفيات والمجارى . وتجفيف جزء من بحيرة المنزلة لمد طريق فوقه بدلا من طريق بورسعيد القنطرة القديم . وكخطوة أولى اعتمد مبلغ مليون و ٨٠٠ ألف جنيه للاصلاحات التى تقرر أن تتم قبل أكتوبر ١٩٧٤ .

ومن بين ما تقرر فى الخطة ، كان تطهير الميناء يحتل رأس قائمة المشروعات العاجلة . ولذا ماحل منتصف فبراير حتى كانت الجهود المصرية الخالصة قد أتمت انتشال ٢٥ وحدة بحرية صغيرة من قاع الميناء ، تضم قاطرات ولنشات وناقلات مياه وأوناشا عائمة بدأ العمل فى اصلاح ستة عشرة وحدة منها ، كما بدأ مسح قاع الميناء بجهاز الجسات الصوتية للتأكد من تطهيره ، وتجهيز أحدى الكراكات الكبيرة لبدء تطهير البوغاز .

حتى اذا ما كان يوم العشرين من مارس ، بعد شهرين فقط من بدء الانسحاب الاسرائيلى ، عقد مؤتمر لأصحاب الخبرات من أبناء بورسعيد لاستعراض صورة المدينة التى ستكون عليها فى المستقبل بعد تنفيذ خطة التعمير الموضوعة لها . وعلى طول يومين كاملين فى دراسة الخطة ، تعددت الآراء موصية بالتعديلات التى انتهت بالخطة الى ما بدأ تنفيذه فورا .

فى صدد التوسع العمرانى ، تقرر أن تمتد رقعة المدينة غربا الى دمياط بمساحة ٤٥ ألف فدان تجفف من بحيرة المنزلة ، وجنوبا الى القنطرة بمساحة ٤٢ ألف فدان ، وشرقا حتى اتجاه بورفؤاد بمدى ٢٠ كيلو مترا .

وبالنسبه للميناء ، تقرر زيادة عدد الأرصفة بما يكفل استقبال ٥٠ باخره كبيره فى وقت واحد ٠

وحول تحويل بورسعيد الى مدينة حرة ، تقرر تطوير الميناء ليكون تجاريا صناعيا حرا مع البدء بما بين بورفؤاد ومنطقة الشط ، مع ازالة ثلاثة ارباع مساكن المدينة ليعاد تخطيطها من جديد ٠

وفى مجال الصناعة ، تقرر اعادة الصناعات التى كانت قائمة من قبل ٠ واضافة مئات الصناعات الجديدة التى يقتضيها تطوير المدينة ٠

وفى محيط السياحة ، تقرر انشاء مطار دولى فى منطقة بورسعيد ، ومطار آخر عالمى شرق بورفؤاد ، وفنادق من الدرجة الاولى ، وبركة للصيد ، وبلاج جديد بطول عشر كيلو مترات ، وحى كامل للبنوك العالمية ٠

وكلون جديد من الحياة الانتاجية ، تقرر ادخال الزراعة الى بورسعيد لأول مرة فى تاريخها ، بضم مساحة قدرها مائة ألف فدان اليها تخصص لزراعة احتياجات المدينة وتقام عليها قرى نموذجية ٠

ولتوفير الاكتفاء الذاتى لمنطقة بورسعيد الحديثة فى مجال التعليم ، تقرر انشاء جامعة بورسعيد ، على أن تبدأ بكليات للهندسة ، والهندسة البحرية ، وبناء السفن ، والتجارة ، والزراعة ، مع اتخاذ اللغات الأجنبية أساسا فى جميع مراحل التعليم ٠

هذه الخطة المتكاملة ، مع خطة تطوير السويس ، والى جانب تعمير مدينة الاسماعيلية ، كانت تشكل المعنى الكامن وراء اعتبار ما جرى فى منطقة القناة (معركة تعمير) لا تقل فى ضراوتها وحيويتها عن معركة التحرير ٠

الشعب ٠٠ ومعركة التعمير

أدرك الشعب المصرى بحسه الصادق أن أزاله آثار العدوان الاسرائيلى عن منطقة القناة ، لون من ألوان التحدى عليه أن يتقبله ، وان يقبل علبه بنفس الروح التى سادت كل معارك التحدى التى فرضت عليه ، والتى اختتمت بمعارك السادس من أكتوبر ٠

أدرك الشعب المعطاء ان تعمير منطقة القناة معركة لا تخص الحكومة وحدها ، بل هى أيضا مسئولية التنظيم السياسى والجماهيرى بكل فئاته ومهنه ، وأن على كل قادر على المساهمة أن يشارك بخبرته ، فان لم يكن من ذوى الخبرة فبجهده وساعده ٠

ولمست الحكومة رغبة الشعب فعملت على تنظيمها ، وأصدرت لذلك في الاول من نوفمبر ١٩٧٣ تعليمات بمنع سفر جميع فئات العمال الفنيين ، وبخاصة عمال التشييد والبناء والانشطة الاقتصادية ، حتى لا يقتصر جهد المشاركة في التعمير على البعض • وكان من الطبيعي ان ستثنى التعليمات العاملين في فروع شركات القطاع العام المصرى فى الخارج ، الذين كان يجب أن يعودوا الى عملهم بعد انتهاء المأموريات المكلفين بها أو الاجازات الممنوحة لهم •

وكما أتاحت معركة التحرير الفرصة أمام الشباب المصرى ، بالقوات المسلحة من جهة وعلى أتساع الجبهة الداخلية من جهة أخرى ، للمشاركة بالدم والجهد والروح لاسترداد الأرض ، قرر التنظيم الشبابى تنفيذ رغبته في خوض معركة التعمير عن طريق تجربة جديدة ، هى تشكيل كتائب تعمير تخوض معركتها فى مدن القناة وغيرها من المناطق المحررة في سيناء •

ولم يضع الشباب وقتا ، فتم تدريب الفوج الأول من طلاب الجامعات والمدارس الثانوية الذين تطوعوا للالتحاق بكتائب التعمير لمدة عشرة أيام ، على أعمال النجارة والسباكة والبناء والتوصيلات ورفع الأنقاض واصلاح المرافق • وفى السابع من نوفمبر ، كان أول فوج من طلائع التعمير ، مكونا من شباب تسع محافظات ، يخوض معركته في بورسعيد برفع الأنقاض واصلاح الطرق ، كي يستبدل بغيره بعد عشرة أيام من العمل الشاق •

ولقد نجحت التجربة أيما نجاح ، بعد أن مضت سواعد الشباب المصرى تزيل الأنقاض وتمهد الأرض للبناء • وكان فى نجاحها ما أوحى بالتوسع فى الانتقال بالجهود الشبابية فى ضروب أخرى من التعمير المستهدف للنهضة المصرية اقتصاديا واجتماعيا ، فصدر قانون الخدمة العامة الذى يقضى بتكليف خريجى الجامعات والمعاهد العليا في أداء ضريبة العرق من أجل الوطن قبل التحاقهم بوظائفهم • وفى المؤتمر الصحفى الذى عقدته وزيرة الشئون الاجتماعية في الرابع والعشرين من يناير ١٩٧٤ ، أعلنت الوزيرة أن جميع تعيينات الخريجين من الشباب تعتبر باطلة إبتداء من ذلك اليوم بعد موافقة مجلس الوزراء على قانون الخدمة العامة ، وأن على ادارات المستخدمين عدم تسليم العمل لأى خريج يخضع لأحكامه الا بعد حصوله على شهادة اتمام الخدمة الاجتماعية ، وأن على النقابات المهنية عدم قبول انضمام أى خريج لعضويتها ما لم يكن قد حصل على هذه الشهادة ، وان الأولوية لتنفيذ القانون ستعطى لمدن السويس والاسماعيلية وبورسعيد •

وبمقتضى هذا القانون قضى من تنطبق عليهم شروطه من الخريجين شهرا فى التدريب ، ثم تسلموا تكليفهم رسميا بمدن القناة اعتبارا من السادس عشر من مارس ولمدة أحد عشر شهرا ·

وعلت الصيحات : (لماذا يقتصر هذا التشريف على الطلبة وحدهم ، ثانويين وجامعيين ؟) وجاء الجواب سريعا ، فتقرر انشاء لجان للتعمير على مستوى الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى ولجان المحافظات والمراكز والقرى ، لتعبئة الجماهير وحشدها باعتبار أن تعمير مدن القناة مهمة رئيسية ترتبط بمعركة السادس من أكتوبر وما حققته من انتصارات ·

وكان طبيعيا بعد توفر هذا الحشد الكبير من الأيدى العاملة تطوعا ، والذى جمع بين الحقل والمصنع والجامعة فى صف واحد ، أن تتسع الآمال فى مجال الانشاء والتعمير فتشمل آفاقا جديدة ، وأن تعيد الوزارات النظر فى خططها وتصوراتها لما يجب أن تكون عليه منطقة القناة ·

فى وزارة الرى ، تقرر انشاء شبكات ضخمة للرى والصرف ، وعدد من محطات الطلمبات للتوسع الزراعى فى ٢٣٠ ألف فدان من أراضى سيناء بين القناة وبحيرة البردويل ، وانشاء جسور واقية من طغيان البحر الأبيض المتوسط بطول ٣٠ كيلو مترا تبدأ من بورفؤاد وتنتهى عند رمانة ، وتغذية سيناء من ترعة الاسماعيلية بعد توسيعها لتستوعب ٣٠ مليون متر مكعب من المياه بدل ١١ مليون متر كانت تستوعبها من قبل ، واقامة ثلاث قناطر جديدة على ترعة الاسماعيلية وشق ترعة من أمامها تمر فى صحراء الصالحية ثم عبر نفق تحت القناة لتغذية شبكة سيناء ، وانشاء شبكات أخرى من الترع والمصارف غرب القناة لمشروعات التوسع فى ٦٠٠ ألف فدان تدخل ضمنها أراضى سهل بورسعيد ومساحات شاسعة على ضفتى القناة ، وشق قناة من بورسعيد الى دمياط لتربط مدن القناة بكل محافظات الدلتا بعد أن تخترق ٥٦ ألف فدان تجفف من بحيرة المنزلة ·

وفى وزارة استصلاح الأراضى تقرر استصلاح وزراعة ٩٠٠ ألف فدان فى سيناء بالموالح والخضروات ومحاصيل الاعلاف ·

وفى وزارة الكهرباء تقرر مضاعفة قوة خط الكهرباء بين التبين ومدينة السويس لمواجهة الاحمال الجديدة التى ستتطلبها التوسعات العمرانية والزراعية والصناعية ·

وعلى هذا النحو من التطلعات عدلت باقى الوزارات من خططها ، لدرجة التفنن والابتكار أحيانا ، بعد أن تحولت معركة التعمير الى مباراة فى ايفاء منطقة القناة بعض حقها فى تعويضها عما عانته من دمار صمدت له صمود الأبطال ·

ثم حدث التطور التاريخي الذي انتقل بمنطقة القناة ، لأول مرة في تاريخها ، الى الوضع الذي لا نيسر لها اسباب الصمود فحسب ، بل ويعاونـها أيضا على أن تكيل للعدو بمثل كيله ذاتيا · ففي الثالث من فبراير ١٩٧٤ ، طلب الرئيس أنور السادات أن تتم أعادة تعمير منطقة القناة وفق استراتيجية تراعى فيها الأسس العسكرية الى جانب الأسس الاقتصادية والاجتماعية ·

رأى الرئيس عن حكمة أن عملية التعمير ليس معناها مجرد اقامة عدد من الوحدات الجديدة من المباني لسكنى المواطنين ومباشرة أعمالهم ، وأن الوضع الخاص للمنطقة يقتضى أن توضع في المقام الأول الاعتبارات المميزة لها ،وفي مقدمتها أنها تطل على مجرى ملاحى عالمى ، وأن مصر تعرضت في تاريخها الحديث لأكثر من هجوم عسكرى من ناحية القناة ، وأن الأمر يقتضى من ثم أن تكون للمبانى السكنية الجديدة طبيعة عسكرية خاصة ، وأن تقام المصانع على نحو يكفل لها الدفاع في المرتبة الأولى · ولقد اقتضى هذا التوجيه السديد مراجعة خطط ودراسات التعمير من جديد · وفي نفس الوقت ، قرر مجلس الوزراء في اجتماعه يوم السادس من فبراير أن تقوم مختلف الوزارات بنقل أجهزتها التنفيذية الى مـدن القناة لكي تباشر عملها من هناك فورا ، وان يراعى في كافة مشروعات التعمير ما طلبه الرئيس ، وان احتمالات تجدد القتال قائمة دائما وفي أية لحظة ، وأن تتم دراسة المشروعات في هذا الاطار وتنفيذها بالتنسيق الكامل مع القوات المسلحة ·

ولم تقتصر مراجعة الخطط والدراسات على الاسـكان والتعميـر ومقتضياتهما فقط ، بل شملت أيضا الجانب الاقتصادى على أسس صناعية تخلع على منطقة القناة من السمات ما يكفى لرد الدين الذى طوقت به عنق الوطن كله بصمودها البطولى وامتصاصها صدمات العدوان المتكرر الذى تعرضت له ·

ففي الصناعات العامة تقرر أن تتضمن الخطط تشغيل مصنع السماد الذى تم تدميره في السويس بطاقة انتاجية قدرها ٢٥٠ الف طن ، ومصنع ورق الكرافت بطاقة انتاجية ١٨ ألف طن ، واقامة مصنع للاسمنت بطاقة انتاجية مليون طن ، ومصنع المجبر قوته ١٠٠ ألف طن ·

وفي الصناعات البحرية تقرر انشاء ترسانات وأحواض عائمة في كل من بورسعيد والاسماعيلية والسويس لسفن حمولة ١٢٠ ألف طن ·

وفي الصناعات الغذائية تقرر اقامة ثلاثة مشروعات لتبريد الأغذية بالمدن الثلاث بقوة ١٠ آلاف طن لكل مشروع ، ومصنع للزيوت ينتج ١٢

ألف طن زيت و ٢٠ ألف طن كسب ، ومحطة لفرز الموالح بالاسماعيلية طاقتها الانتاجية ١٠ آلاف طن ، ومحطات لصناعة الزيوت بسيناء والاسماعيلية بطاقة ٦٠٠ طن ومصانع لتجفيف الخضر واللحوم والأسماك وتعليبها بطاقة ١٠ آلاف طن ومصانع لتعبئة الفاكهة وأخرى لصناعة البيرة بطاقة ٢ مليون لتر .

وفى صناعات الغزل والنسيج تقرر انشاء وحدة غزل لانتاج ٥ آلاف طن غزل فى السنة ، ووحدة نسيج لانتاج الأقمشة الثقيلة بطاقة ٣ ملايين متر ، ووحدة لانتاج شباك الصيد النايلون .

وفى الصناعات البترولية تقرر انشاء مصنع لتكرير البترول فى السويس ، ومصنع للبتروكيماويات ، ومصانع للغازات الصناعية فى كل من السويس وبورسعيد .

وفى صناعات المناجم تقرر انشاء صناعات للنحاس والمنجنيز والقصدير والتنجستين والرخام ورمل الزجاج والطفلة الكربونية والفوسفات والحديد والفحم والرملة السوداء والجبس والكبريت .

وفى الصناعات الكهربائية والالكترونية تقرر انشاء مصنع لانتاج الأجهزة اللاسلكية والالكترونية والراديو والتليفزيون .

وكان معنى هذه القرارات الجديدة أن النية كانت تتجه ليس الى مجرد تعويض منطقة القناة عن سنوات العناء فقط ، بل والى أن تصبح سيناء مع مدن القناة اقليما واحدا ، متكاملا اقتصاديا واجتماعيا ، حصينة من الوجهة العسكرية ، ترتبط بدلتا النيل .

حول التمويل والمساهمات الخارجية

كانت خطط التعمير تدرس منذ اليوم الأول لانسحاب القوات الاسرائيلية ابتداء من منطقة الكيلو ١٠١ بطريق السويس . وكانت نتائج الدراسات تبحث ولم يمر أكثر من أسبوع من بدء الانسحاب ، وفى اجتماع مشترك بين وزارتى الاسكان والتعمير شارك فيه رؤساء مؤسسات وشركات المقاولات وهيئات المياه والمجارى وغيرها من الأجهزة ، فأسفرت المناقشات عن أن الطاقة التنفيذية التى كانت متاحة فى ذلك الوقت لدى الشركات والمؤسسات تمكنها من البدء فورا فى تنفيذ مشروعات بنحو ستة ملايين جنيه شهريا ، وان هذه الطاقة يمكن مضاعفتها الى ١٢ مليون جنيه

شهريا فى حالة تزويد جهاز المقاولات بمعدات اضافية لأغراض التعمير ، ثم الى أربعة أمثالها فى حالة تقرير الاعتمادات الاضافية اللازمة للتوسع فى ميكنة شركات المقاولات ، مع توفير الامكانات اللازمة من مواد البناء المنتجة محليا أو المستوردة من الخارج ٠ وعلى هذا الأســاس قرر مجلس الوزراء بجلسته فى ٣١ يناير ١٩٧٤ اعتماد ٢٠ مليون جنيه كدفعة أولى للبدء فورا فى التنفيذ ، على أساس تدبير نصف هذا المبلغ باعادة النظر فى مشروعات قطاعات الصحة والتعليم والتشييد والصناعــات والمواصــلات بالنسبة للجمهورية ، واعتماد النصف الآخر ضمن ميزانية ١٩٧٤ ٠

ووضعت خطة عاجلة لتحديد أوجه انفاق المبلغ المعتمد ، على أساس البدء بالأهم فالمهم ، فكان على رأس قائمة الانفاق الاسراع بالاجراءات التنفيذية لصرف التعويضات لمن أضيروا من أهل المنطقة الباسلة بسبب الحرب ؛ وفى مجال الرى والانتاج الزراعى تطهير مجرى ترعة السويس وترميم الجسور لتوصيل مياه الشرب للمدينة خلال شهر واحد ؛ واقامة كبارى مؤقتة على ترعة الاسماعيلية ، وتطهير المصارف ليشرع الفلاحون فى زراعة أراضيهم ٠

واعتمدت وجوه أخرى للانفاق العاجل ٠ ففى مجال الكهرباء قررت الخطة تدعيم وحدات الديزل القائمة بوحدات متنقلة ، وسرعة اصلاح خطوط الضغط العالى ومحطات المحولات ٠

وفى قطاع النقل قدرت تلفيات خط سكة حديد الاسماعيلية بورسعيد بنحو ١١ مليون جنيه ، فتم اعتماد مليون جنيه لعمليات الترميم الأولى ، كما تقرر أن يسند لشركة المقاولين العرب ترميم مينائى بور ابراهيم والأدبية فى حدود مليونين من الجنيهات ٠

وتضمنت الخطة بالنسبة للصناعة البدء بتشغيل مصنع السمــاد بطاقة ربع مليون طن سنويا باستثمارات ٦ ملايين جنيه ٠

وتقرر اعتماد ٧٠٥ آلاف جنيه لترميم المساجد والكنائس مع ترك مسجد وكنيسة بدون ترميم فى كل مدينة من المدن الثلاث رمزا للعدوان ، كما تقرر ترميم مبانى وزارات العدل والداخلية والتربية والتعليم وتزويد كل مدينة بمركز لتدريب عمال المبانى بما تبقى من المبلغ المعتمد ٠

ثم حدث الانقلاب الكبير فى التخطيط عندما طالب الرئيس السادات بأن يجرى التعمير وفق استراتيجية اقتصادية وعسكرية كما سبق القول ٠ فبعد اعادة النظر فى متطلبات تنفيذ هذا التوجيه الجديد السديد ، أعلن وزير التعمير ان الدراسات الشاملة أسفرت عن أن تعمير القناة وسيناء

سوف يتكلف (٣٦٠٠) مليون جنيه خلال السنوات الخمس ١٩٧٨/٧٤ ، وان موارد مصر تكفي للوفاء بثلث هذا المبلغ على أساس توجيه جانب كبير من اعتمادات المجهود الحربي الى مشروعات التعمير · وقد وزعت هذه المبالغ على النحو التالى :

٤٥٠ مليون جنيه لتعمير مدينة بورسعيد ·

٢٨٠ « « لتعمير مدينة الاسماعيلية ·

٦٤٠ « « لتعمير مدينة السويس ·

١٥٠ « « لانشاء خمسة أنفاق على طول القناة ·

٢٢٠ « « لانشاء الموانيء بمدن القناة الثلاث ·

٣٥٠ « « لانشاء المناطق الحرة ببورسعيد والسويس ·

٣٥٠ « « للمصانع ·

٢٨٣ « « للطاقة الكهربائية ·

٢٧٠ « « للزراعة واستصلاح الأراضى ·

٣٤ « « للرى والصرف ·

٣٥ « « لمشروعات الثروة الحيوانية والسمكية ·

١٠٦ « « للمواصلات والطرق ·

٣١٠ « « للمشروعات السياحية ·

وعلى ضوء ضخامة هذا المبلغ وما سوف يلقيه من عبء كبير على كاهل الاقتصاد الوطنى ، بدأ يتراقص فى سماء الفكر المصرى سؤال عادل وملح : (هل نحن مسئولون عما أصاب منطقة القناة من الدمار ؟) · وكانت الاجابة واضحة ولا تحتاج الى تفكير أو تردد ، فنحن لم نسع الى الحرب وانما غيرنا هو الذى اعتدى علينا واحتل أراضينا ودمر مدننا ، وهذه حقيقة يدركها العالم كله ، بقدر ما يدرك أن المسئولية تقع أساسا على هذا الغير المعتدى وعلى من وقف معه وعاونه فعلا أو قولا · ومن جهة أخرى فان فتح قناة السويس ، وتعمير منطقة هذه بالتبعية ، لا يخدم مصر بقدر ما يخدم العالم كله ، وبالتالى فان مسئولية اعادة الملاحة الى القناة وتعمير منطقة القناة تمتد الى العالم كله · واستنادا الى هاتين الحقيقتين ، وتطبيقا للقانون الدولى فى نفس الوقت ، فان من حقنا أن نحصل على تعويضات حرب من الذين تسببوا ظاهرا أو باطنا فى اغلاق القناة وتدمير منطقتها ·

واجتمع مجلس الوزراء ليصدر قراره ، بعد ست ساعات من المناقشات بدعوة بلاد العالم للاسهام في مشروعات تطهير القناة وتعمير مدنها • واذا كانت عقدة الذنب قد أخذت بتلابيب الدول التي ظاهرت اسرائيل ايجابيا أو سلبيا منذ قيامها ، فقد كان لانتصارات السادس من أكتوبر فضل احيائها في نفوس تلك الدول ، خصوصا بعد أن فتحت الدول العربية القادرة خزائنها للمشاركة في تضميد جراح مصر •

وانهالت العروض ، بعضها هبات وبعضها قروض وبعضها في صورة مساهمة بالخبرات • وقبلت مصر بعضها واعتذرت شاكرة عن قبول البعض الآخر •

تقدمت فرنسا بعرض للاسهام بالخبرة الفنية والتمويل في مشروعات التعمير بمحافظات القناة وسيناء ، وتقدمت ألمانيا الاتحادية في نفس اليوم بمشروعات صناعية متكاملة في سيناء ، من بينها اقامة مصانع ومناجم لاستغلال الموارد الطبيعية والمواد الأولية • ومن حيث التصنيع ، تضمن العرض الفرنسي مشروعا من شركة رينو ، كما تضمن العرض الالماني مشروعا من شركة مرسيدس ، لاقامة مصنعين لانتاج السيارات بالمنطقة الحرة التي ستقام في بورسعيد •

وبدعوة من الحكومة الايرانية ، سافر نائب رئيس وزراء مصر الى ايران في العشرين من مايو ، ليعود بعد ستة أيام بتقرير مفصل عن اتفاقات بلغ حجمها ألف مليون دولار ، تضمنت بالنسبة لمنطقة القناة أولا المساهمة في تعمير مدينة بورسعيد بمبلغ ٢٥٠ مليون دولار لتمويل عمليات بناء المدارس والمستشفيات والتعمير والاسكان والمياه والمجاري والطرق كقرض بشروط ائتمانية سهلة وبسعر فائدة منخفض ، وثانيا المساهمة في مد خط جديد لأنابيب البترول بين السويس وبورسعيد لنقل البترول الى أوروبا على أساس انه مشروع متعدد الأطراف يمكن أن تساهم فيه الدول المعنية ، مع امكانية اقامة عمليات تصنيع بترولية الى جانب الخط • وكان توجيه الرئيس السادات هو أن تعطى ايران أسبقية أولى في المناطق الحرة ببورسعيد بعد ان قبل شاه ايران فكرة أن يكون لبلاده منفذ على البحر الأبيض المتوسط ، وأن لا تكون علاقات مصر بايران محصورة في النواحي التجارية والاقتصادية بل تمتد لتشمل آفاقا أخرى أكثر اتساعا بما فيها المجال الثقافي أيضا •

وما كان للنخوة العربية أن تسمع بعروض ايران دون أن تدخل الحلبة ، فلم تمض أيام ثلاثة حتى أعلنت الكويت استعدادها للمساهمة في تعمير منطقة القناة باعادة بناء مدينة بورسعيد كلها ، مهما بلغت التكاليف •

واستمر التقدم بالعروض • ففي الثاني من يونيو ١٩٧٤ وصل وزير خارجية الدنمارك ليوقع مع مصر اتفاقيتين ، نصت احداهما على أن تقدم الدنمارك لمصر قرضا قيمته تسعة ملايين من الدولارات بدون فوائد ، على أن يبدأ سداده بعد ٢٥ سنة •

وفي اليوم التالى مباشرة وصل ممثل لعدد من البنوك الأجنبية ، هو المالى الكبير زاميتاكس ، ليقرر أن البنوك التى يمثلها قررت تقديم قرض مقداره ٣٠٠ مليون دولار للبنك المركزى المصرى ، وأن سندات هذا القرض ستطرح على بنوك العالم فى منتصف أغسطس • ولم يفت المالى الكبير أن ينوه بأن هذا المبلغ هو مجرد (فتح نفس) ، وبأنه يتوقع أن يرتفع القرض بعد فترة الى ٣٠٠٠ مليون دولار •

وعندما تحركت أمريكا ، فى اطار التحول الأمريكى الذى سبق أن فصلنا أسبابه فى فصل آخر من هذا الكتاب ، رأت ايفاد وزير خزانتها للتعرف على مطالب مصر بالنسبة للاستثمارات الأمريكية ، مع الحرص على دراسة المشروعات التى أعدتها مصر لتعمير منطقة القناة وبخاصة المشروعات الصناعية والبترولية والزراعية والمناطق الحرة والموانىء ومشروعات السياحة والخدمات • وضمن بيانه الذى أذاعه بالقاهرة فى السادس عشر من يولية ١٩٧٤ ، قرر أن أمريكا ستراعى أفساح المجال لاستثمار رءوس الأموال الأمريكية فى منطقة القناة وأنه استطاع أن يتفهم مشروعات التعمير وسيوفد عددا من خبراء أمريكا الى القاهرة لاجراء دراسات تفصيلية عن هذه المشروعات ، كما طلب اتاحة الفرصة أمام الصحفيين الأمريكيين للتعرف على ما عرفه هو ونقله الى الشعب الأمريكى ليدرك مدى وقيمة هذه المشروعات •

وبعد أسبوع واحد من زيارة وزير الخزانة الأمريكى لمصر ، تقدم ستون مكتبا هندسيا من تسع دول كبرى بمشروعات ، بعضها بعطاءات ، لاعادة تخطيط بورسعيد التى كان معظم الاهتمام الخارجى موجها اليها ، بعد أن اطمأنت تلك المكاتب الى أقبال العالم بأمواله للمساهمة فى تعميرها •

وازاء العروض الأمريكية السخية ، هبت النخوة العربية من جديد تتحدى على نحو أذهل العالم • ففى الأول من أغسطس قرر الملك فيصل أن يقدم الى شعب مصر هدية مقدارها ألف مليون دولار تسلم الى الحكومة المصرية على دفعتين ، الى جانب قرض بلا فوائد قيمته خمسمائة مليون دولار تسدده مصر على أقساط طويلة الأجل • ووفاء من مصر تقرر أن يكون أحدى أحياء مدينة السويس باسم « حى الملك فيصل » وسيكون الحى بمدخل المدينة حيث يجرى انشاء :

٣٠٠٠ وحدة سكنية اقتصادية ٠

١٠٠ وحدة سكنية حرفية ٠

٤٠٠ وحدة سكنية ريفية ٠

كما تقرر أن يبنى حى جديد فى الاسماعيلية يحمل اسم الشيخ خليفة بن حمد آل ثان حاكم قطر الذى تبرع بمبلغ ٥٠ مليون دولار لهذا الغرض على أن يقوم الشباب بانشائه وتكون الآولوية للسكن فيه للشباب أنفسهم ٠

كما تبرع حاكم أبو ظبى بمبلغ ١٠٠ مليون دولار لأغراض التعمير ٠

ورغم هذه العروض بالمال أو المساهمة،لم تصدر من مصر كلمة واحدة تستدر ثقة العالم باقتصادها استمطارا للمزيد من العروض ، بل التزمت كما هى عادتها الصمت تاركة الواقع يحدث عن نفسه ٠ ولقد تحدث الواقع على لسان وزارة التجارة الأمريكية ، فى تقرير هام أصدرته بعد الدراسة العميقة الواعية ٠

أكد هذا التقرير الذى صدر فى السابع والعشرين من سبتمبر ١٩٧٤ ان الاقتصاد المصرى يتحسن باستمرار نتيجة السياسة المصرية بعد السادس من أكتوبر ، وأن الظروف الاقتصادية فى مصر تتحسن بسبب الاستثمارات الضخمة والمساعدات التى حصلت عليها مصر بعد أن أصبحت محل ثقة دول العالم أجمع ٠

وذكر التقرير أن عددا كبيرا من الشركات الأمريكية يعمل بالفعل على الاستفادة من المناخ المتحسن ، وأن كثيرا من المنشئات والمؤسسات أعربت عن رغبتها فى المشاركة فى تعمير منطقة قنـــاة الســويس التى تتطلب استثمارات بآلاف الملايين من الدولارات ، وأن المناقشات تجرى على قدم وساق حول مشروعات استثمارية تزيد قيمتهـا على ثلاثة آلاف مليون دولار ، وتتراوح بين مجمعات صناعية ضخمة للبتروكيماويات وتكريــر البترول واقامة المناطق الحرة على طول قناة السويس ٠

بهذا الاقتصاد المتين ، والمساهمات العربية وغير العربية فى شتى صورها ، أمكن الاستقرار على مشروعات ثابتة لتعمير المنطقة حسب خطط واضحة تجعل منها اقليما جديدا تماما عمرانيا واقتصــاديا وصــناعيا وسياحيا واجتماعيا ٠

واعتبرت خطط عام ١٩٧٤ مرحلة أولية فى معركة التعمير ، وبلغ حجم الاستثمارات التى خصصت لها مائة مليون جنيه ٠

ووضعت خطط معدلة لعام ١٩٧٥ لتكون بمثابة مرحلة انتقالية ، وتحدد حجم استثماراتها بمبلغ ٢٨٠ مليون جنيه ٠

واعتبرت خطط العامين معا منطلقا لخطة خمسية كبيرة يبدأ تنفيذها من عام ١٩٧٦ حتى عام ١٩٨٠ ، بتكاليف حجمها ١٢٠٠ مليون جنيه ٠

وهكذا يمكن القول بأن المنطقة الباسلة لم نضح هباء بطولاتها التى عانت بسببها ما عانت من تدمير وتشريد ، وأن الوطن لا ينسى تضحيات أبنائه في سبيل الاستمساك بما عرف عن مصر من اصرار واباء ٠

تطهير القناة

فى السنوات التى سبقت الستينيات كانت قناة السويس تتحكم فى بناء ناقلات البترول بالذات ، فكانت كل ترسانات العالم البحرية تسأل ، ومشروعاتها لا تزال رسوما على الورق ، عن المواصفات التى تتيح لناقلاتها الجديدة عبور قناة السويس ٠ وبذا كان بناء الناقلات وتطـــوير القناة يسيران جنبا الى جنب بما يشبه الرتابة ، فكان غاطس القناة يزيد قدما كل عام ، فيزيد معه غاطس كل ناقلة جديدة بنفس المقدار ٠ وعندمـــا أنفقت مصر بعد تأميم القناة ٩٢ مليون جنيه ليزيد عمق القناة من ٣٥ قدما الى ٣٨ قدما مرة واحدة ، بدأ يومها ان القناة قد أحرزت على صناعة الناقلات تفوقا يصعب اللحاق به قبل عشرين عاما ٠

ثم حدث في منتصـــف الستينات أن تمـــكنت الترســـانة البحرية اليابانية لأول مرة من بناء ناقلات بترول حمولتها ٢٥٠ ألف طن ، ومنذ ذلك الحين بدأ النقاش حول مستقبل قناة السويس ، وتصـــورت بعض الآراء أن قصب السبق قد أفلت منها تماما ، وأن عليها أن تتخلى عن دورها كأنبوب الزيت الى العالم الغربى وأن تقنع بوظيفة متواضعة كمعبر ملاحى لسفن البضائع ٠ وكان على رأس ما قدمته تلك الآراء المتشائمة من أسانيد ، ان اقتصاديات التشغيل أكدت أنه حتى الناقلات فوق المتوسطة حمولة ١٥ ألف طن تأخذ طريقها عبر القناة ، وأنه لم يعد هناك من ثم مبرر لارتباط حجم سفن وناقلات المستقبل بمستقبل القناة ٠ وفى نفس الوقت ، كانت أكثر الآراء تفاؤلا ترى أن أهمية القناة كأنبوب للزيت لن تمتد أكثر من عشرة أو خمسة عشر عاما أخرى على أكثر تقدير ، هى السنوات الباقية من عمر وحدات الأسطول العالمى لناقلات البترول المتوسطة والصغيرة التى بنيت فيما بين عامى ١٩٥٧ و ١٩٦٠ ، خصوصا وأن ما يتم (تخريده)

من هذه الوحدات يجرى استبداله ، كاتجاه شامل فى ترسانات العالم ، بوحدات من فوق ١٥٠ ألف طن ٠

وفى مواجهة الموقف ، أعلنت هيئة القناة قبل عام ١٩٦٧ عن عزمها على تعميق القناة الى ٤٠ قدما عام ١٩٦٨ ، ثم اضافة عشرة أقدام ، أخرى خلال السنوات الأربع التالية حتى يتاح للناقلات حمولة ١٠٠ ألف طـن استخدام القناة ٠ ولكن اغلاق القناة أفسد هذه المشروعات ، مما أدخل على النفوس القلق من جديد ، خصوصا بعد أن أعلنت هيئة القناة فى عام ١٩٧١ ، بعد أربع سنوات من وقف الملاحة فى القناة ، أن تطهيرها يقتضى ستة أشهر ليصل عمقها الى مجرد ٣٤ قدما ، تزداد الى ٣٨ قدما ثم الى ٤٠ قدما بعد ستة أشهر أخرى ، وأن نفقات التطهير حسب تقديرها فى ذلك العام سوف تتجاوز المائة مليون دولار ٠

ثم كان أكتوبر العظيم ٠ وانسحب العـدو الاسرائيلى بعد التلكؤ المفتعل الى مسافة تكفل للقناة الأمن عند الشروع فورا فى تطهيرها ٠ واذا كان الرئيس السادات قد أعلن عن استعداده لفتح القناة للملاحة الدولية بمجرد انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضى المحتلة ، فقد أردف اعلانه ، والعدو ما زال يتعثر منسحبا بفلوله من حيث أتى ، بقرار لا يقل شجاعة عن قرار المعركة ، هو أن تطوير القناة لن يتوقف عند حد ، وانها سوف تتطور مع مشروعات بناء الناقلات العملاقة أيا كانت الأحجام التى تصل اليها ، حتى تظل القناة أرخص وأقصر الطرق بين الشرق والغرب ، خصوصا وأن جغرافية القناة تقبل التوسع تجاه الشرق توسعا غير محدود ٠

وكما هى العادة ، لم يصدر الرئيس السادات قراره هذا عفوا أو لمجرد التحدى ، بل بعد حسابات دقيقة أكدت أن استسلام مصر للحذر أزاء مشروعات تطوير الناقلات العملاقة لن يؤدى فقط الى فقدان القناة لمركزها السياسى ، بل وسيفقدها أيضا عائدها الذى يشكل مرور البترول ٧٥٪ منه ٠ والى جانب هذه الحقيقة ، أسفرت الحسابات والدراسات عن عوامل أخرى ٠

لقد بدا واضحا منـــذ اللحظة الأولى أن كلا من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى يتهافتـــان على السعى للاسراع بتطهيـــر القناة ٠ واذا كان دافع الروس هو ادراكهم لمزايا القدرة على ارســـال أساطيلهم عن أقصر طريق الى المحيط الهندى ، فقد كان دافع الأمريكيين رغم قلة مكاسبهم من الناحية الاستراتيجية ، هو ما يرونه فى اعادة فتح القناة أولا من تحقيق خطوة أولى مجدية فى سبيل اقرار تسوية سياسية دائمة فى الشرق الأوسط ، وثانيا من عائد كبير على مصالح العالم الغربى

الذى تصر أمريكا على أن تنتزعه ، بعدما نزل بهذا العالم من أضرار ثبت أن مرجعها اغلاق قناة السويس فى وجه الملاحة الدولية ٠

ثبت أن اغلاق القناة ، فضلا عما ترتب عليه من زيادة المسافة بين الشرق والغرب عن طريق رأس الرجاء الصالح بنسبة ٧٠٪ ، قد أدى الى زيادة هائلة فى تكاليف النقل حاق أثرها بكل الدول المستهلكة للبترول دون استثناء ٠

وثبت من آخر تقرير لبنك انجلترا عن أثر القناة على اقتصاديات أوروبا ، أن اغلاق القناة قد أثر على ميزان المدفوعات البريطانى بما يعادل ٢٥٠ مليون دولار سنويا ، وأن الحكومة الفرنسية تحملت فى برنامج تعويض شركات الزيت عن الزيادة فى تكاليف النقل ما يعادل ١٣٥ مليون دولار كل عام ، وان المانيا تكبدت نتيجة هذه الزيادة ما يعادل ١١٠ ملايين دولار سنويا ، وأن نصيب ايطاليا من هذه الزيادة بلغ ٢٥ مليون دولار ٠ وعندما يجمل تقرير بنك انجلترا آثار اغلاق القناة على أوروبا فهو يضع فى اعتباره أن استهلاك هذه الدول الأربع يعادل ثلثى استهلاك أوروبا من الزيت ، وأن خسارة أوروبا من ثم تصل الى بليون دولار سنويا ٠

وثبت من آخر تقرير اقتصادى للأمم المتحدة ، أعدته مجموعة من الخبراء العالميين الاقتصاديين بتكليف من سكرتارية مؤتمر التجارة والتنمية فى جنيف ، أن اغلاق قناة السويس منذ عام ١٩٦٧ قد كلف العالم خسائر اقتصادية تصل الى سبعة آلاف مليون دولار حتى نهاية عام ١٩٧١ ، بالاضافة الى ١٧٠٠ مليون دولار سنويا خلال عامى ٧٢ ، ١٩٧٣ ، وأن اعادة فتح القناة سوف يخفض تكاليف شحن البترول من الخليج العربى والبحر الأحمر الى دول أوروبا بنسبة كبيرة ، وأن النظرية التى ترددت حول امكان الاستعاضة عن القناة باستخدام ناقلات البترول العملاقة قد ثبت فشلها خاصة بعد ارتفاع تكاليف بناء وتشغيل هذه الناقلات منذ عام ١٩٧٠ ، وأن أسعار الشحن البحرى قد ارتفعت دون مبرر بسبب اغلاق القناة التى ستظل أكثر الطرق البحرية اقتصادا لسنوات بعيدة قادمة خاصة بعد تعميقها ، دون أن ينال من ذلك أن خط الأنابيب بين السويس والاسكندرية سيكون أقل تكلفة من القناة نفسها فى نقل البترول الخام الى أوروبا ٠

وثبت من تقارير الخبراء التى انهالت على الصحف العالمية بمجرد بدء انسحاب العدو ، أن موجة من الحذر قد بدأت تسود رأس المال العامل فى نقل الزيت ، تجاه بناء الناقلات العملاقة ، مصدرها أن الغاطس فى معظم الموانى بما فيها غاطس ميناء لندن الذى يعتبر أعمق موانى العالم (٥٢ قدما)

ستعجز عن استقبال هذه الناقلات ، كما أن خزانات الزيت فى هـذه الموانىء لن تقدر أبدا على استيعاب حمولة ناقلة واحدة من هذه الناقلات العملاقة ·

وثبت من هذه التقارير أن الانقلاب الذى أحدثته الناقلات العملاقة ترك أسوأ الآثار على أسعار النقل وسوقها العالمية بعد أن أصبح فى مقدور هذه الناقلات قبول أسعار أقل من جداول أسعار النقل العالمى ، وان سوق النقل الدولية تحولت بذلك الى مضاربات لم يصمد فيها سوى الاحتكارات الضخمة ، مما هدد بطرد رؤوس الأموال المتوسطة من السوق العالمية وانزل الخراب بأكثر من بيت بحرى فى العالم ·

كما ثبت من هذه التقارير أن أبسط اشارة لقرب حدوث تسوية سياسية فى الشرق الأوسط ، كانت تكفى دائما لايقاظ الاهتمام من جانب صناعة الملاحة البحرية ، وأن شركات الناقلات البترولية منذ اليوم التالى للسادس من أكتوبر قد بدأت فى اخراج الخرائط والرسوم من أضابيرها ، وبدء عملية تقويم جديدة لبناء الناقلات (وفى الذهن القناة) ، كما كان الحال قبل عدوان ١٩٦٧ ·

وبعد ، فتلك كانت بعض نوانج الحسابات التى خامرت الذهن المصرى فى صدد اعادة فتح القناة ، ولذا لم نتردد وزارة التخطيط فى ادراج ١١ مليون جنيه للبدء فورا فى تطهير القناة ضمن مشروع خطة التنمية لعام ١٩٧٤ التى قدمتها لمجلس الشعب فى العشرين من ديسمبر ١٩٧٣ ·

ولم يكن من اليسير الاستجابة فورا لما يخامر النفوس من شوق الى فتح القناة ، اذ كان يجب قبل هذا أن يتم تنفيذ خطة التعمير العاجلة التى تحدد لانتهائها شهر فبراير ١٩٧٤ ، والتى كانت تتضمن انشاء المساكن والمرافق والطرق اللازمة لاستقبال من سـيعملون فى مشروعات تطهير القناة · وفى هذه الأثناء لم يضع الوقت هباء ، اذا توالت الاتصالات بين كل من المهندس عثمان أحمد عثمان وزير التعمير ، والمهندس مشهور أحمد مشهور رئيس هيئة القناة ، للتنسيق بين مشروعات التطهير ومشروعات التعمير على الضفتين الشرقية والغربية للقناة ، ولايجاد صيغة من التكامل بين الاثنين وخاصة فيما يتعلق بانشاء الانفاق الخمسة التى ستمر تحت القناة للربط بين ضفتيها ·

وبحلول الأول من فبراير كانت خطة التعمير العاجلة على وشـك الانتهاء ، كما كان المبلغ المعتمد للتطهير قد تعدل بجلسة مجلس الوزارة يوم ٣١ يناير ليصبح ١٥ مليون جنيه ، منها عشرة مـلايين بالعمـلات الأجنبية ، لبدء المرحلة الأولى من عملية تطهير القناة التى قدرت تكاليفها

الاجمالية بحوالى ٩٠ مليون جنيه ، والمتوقع أن تحقق دخلا سنويا قدره ٢٥٠ مليون جنيه • فأما خطة مرحلة التطهير هذه فكانت تستهدف رفع العوائق وتطهير المجرى الملاحى بحيث يكون صالحا خلال ستة شهور على أكثر تقدير لمرور الناقلات حمولة ٧٠ ألف طن ، وهي ذات الحمولة التى كانت تمر بها قبل اغلاق القناة اثر عدوان ١٩٦٧ ، وأما خطة التطوير التى وضعت لتعقب خطة التطهير ، فقد تقرر ان تبدأ مع بدء الخطوات الأولى لاعادة الملاحة الى القناة وتنتهى مع الضغط خلال ستة الى سبعة أعوام ، على مرحلتين تقرر ضمنا أن تستهدف أولاها زيادة القطاع المائى من ١٨٠٠ الى ٣٢٠٠ متر مربع بغاطس ٥٣ قدما ، وأن تستهدف المرحلة التالية لذلك زيادة القطاع الى ٤٢٠٠ متر مربع بغاطس يصل الى ٦٧ قدما • واذا كانت مرحلة التطوير الأولى ستسمح بمرور السفن حمولة ١٥٠ ألف طن ، فسوف تسمح المرحلة الثانية بمرور الناقلات العملاقة حمولة ٢٦٠ ألف طن • أما من حيث التكاليف ، فقد كان التقدير الأول لمشروع التطوير حوالى ٥٠٠ مليون جنيه ، منها ٢٨٠ مليونا بالعملة الأجنبية •

وعن ثقة تامة بمستقبل القناة ، انهالت العروض على مصر تطلب المساهمة فى المشروع الضخم • عروض من الدول العربية وبنك التنمية الكويتى والبنك الدولى ومختلف الدول صاحبة المصلحة فى اعادة فتح القناة وتطويرها ، وفي مقدمتها دول أوروبا واليابان . كما لم تعد تكاليف التطوير تشكل أية متاعب بعد هذه العروض ، فان مشكلة الأيدى العاملة لم يكن لها أى اعتبار بالنسبة للمشروع ، نظرا لما تملكه هيئة القناة من ثروة بشرية لا تقدر بمال • واذا كان عدد من الدول الأفريقية والعربية والصديقة قد استعان ببعض الخبراء والفنيين من الهيئة لمعاونتها فى فترة توقف الملاحة . فقد عادوا فور الاشارة باستئناف العمل •

وافتتح سلاح المهندسين المصرى ميدان العمل فى الحادى عشر من فبراير ، برفع الألغام والقنابل من مجرى القناة فى القطاع الممتد من القنطرة حتى مدينة بورسعيد شمالا ، كمرحلة أولى لتمكين هيئة قناة السويس من بدء عملها فى التطهير ، كما استقر الرأى على أن يتم العمل فى تلاحق مستمر فى كل منطقة تنتهى القوات المسلحة من تطهيرها من القنابل والمفرقعات والألغام فى المجرى الملاحى وعلى جانبى القناة ، على أن يكون الهدف الذى يسعى اليه الطرفان هو اخراج ١٤ سفينة محتجزة بمنطقة جنوب البحيرات وسفينة واحدة ببحيرة التمساح ، حتى يتسنى فتح القناة بأسرع ما يمكن وفى أقل وقت لخدمة الملاحة العالمية •

ومضت خمسة أيام على بدء العمل الجاد الشاق ، ولمس العالم كذا الجهد المصرى المبذول فبدأ يتحرك جديا لوضع عروضه التمويلية موضع

التنفيذ . وكانت اليابان في مقدمة الصف ، ففي التاسع عشر من فبراير وقعت مع مصر اتفاقا تحصل مصر بمقتضاه على قرض قيمته ١٤٠ مليون دولار كمساهمة في أعمال تطهير وتطوير القناة .

وفي الامم المتحدة ، بدأ يسود اتجاه قوى نحو انشاء مجموعة اقتصادية دولية تساعد في اعادة فتح وتوسيع قناة السويس ، كما أظهرت المجموعة الأمريكية استعدادها للقيام بهذا العمل والتعاون مع البنك الدولي .

وضاعفت الأموال التي بدأت تتجه الى مشروعات القناة من سرعة ايقاع تنفيذ الخطة العاجلة ، لدرجة أنه بحلول السابع والعشرين من فبراير كانت هيئة القناة قد تمكنت من تطهير ميناء بورسعيد من العوائق التي كانت غارقة فيه ، بانتشال ٢٥ وحدة بحرية تابعة لها وبدأت في ترميمها واصلاحها ، كما كان سلاح المهندسين قد قام برفع الألغام والقنابل والمواد الناسفة من الميناء . وعند هذه الحدود الأولى من تطهير القناة ، تتالت طلبات عنصر جديد ، هو المرشدون الأجانب الذين كانوا يعملون بالهيئة قبل عدوان ١٩٦٧ ، والذين رحبوا بالعودة للعمل في القناة بمجرد استئناف الملاحة فرحبت الهيئة بطلباتهم .

كانت الدلائل كلها تدل على أن مشروعات اعادة فتح القناة ستجعل من مشروع فردیناند دیلسبس الأصلي لحفر القناة مجرد مشروع قزم ، وان القناة في صورتها الجديدة ، بعد سنوات التطوير ، ستكون ممرا مائيا يليق باحتياجات العصر ، ويلبي حاجة قارات العالم لا الى معبر للنفط فحسب ، بل كملتقى تتصل عنده القارات لتتبادل المنافع ، وتتقارب الثقافات في عالم اختزلت فيه المسافات ولم يعد له مركز واحد فقط .

هذه الحقائق وغيرها أدركتها الدول الكبرى ، ولم يكن غريبا بعدها أن تتقدم كل من انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية عارضة المساهمة في مشروعات تطهير المجرى الملاحي عمليا بكاسحات الألغام . ولم تتردد مصر في القبول ، فالمجرى عالمي انتفاعا وأن كان مصريا امتلاكا ، ومن حق الدول المنتفعة به أن تساهم في اعداده لخدمة البشرية من جديد .

وكانت أجهزة هيئة القناة قد بدأت في الخامس والعشرين من مارس في ازالة السد الحجرى الذى أقامه العدو عند منطقة الدفرسوار خلال وجوده بها لسد مجرى القناة ، والذى كان مكونا من كتل خرسانية واحجار تزن الواحدة منها ما بين خمسة وعشرة أطنان جعلت منه جسرا ضخما ، حجمه ٣٠٠ ألف متر مكعب وطوله بين الضفتين حوالى ٢٥٠ مترا وعرضه عند المسطح ٢٠ مترا وعند القاع مائة متر . حتى اذا ما تقرر قبول مساهمة كل من انجلترا وأمريكا في تطهير القناة بأسطوليهما ، وما اقتضاه ذلك

من دفع عجلة الاعداد لعملية تطهير المجرى ، تقرر الاستعانة بجهود شركه المقاولين العرب للاشتراك مع هيئة قناة السويس فى ازالة السد .

وبدأت الجهود لرفع الأحجار فى مسافة ٦٠ مترا وسط السد لتيسير حركة المعدات البحرية الصغيرة أولا داخل القناة . كما بدأت الكراكــه خوفو التى كانت محجوزة فى البحيرات المرة ، بعد أن تم اصلاح عنابرها التى كان العدو قد اشعل النار فيها عملها فى ازالة الجزء المغمور من السد تحت الماء . وفى نفس الوقت ، بدأ رفع أحجار جسم السد بالأوناش وجرها بالجرارات الى خارج المجرى ، وانتشال عشرة عوائق كبيرة و ٥٥ عائقا كانت تعترض مجرى القناة .

وفى السابع من ابريل ١٩٤٧ وصلت ميناء بورسعيد أول مجموعة من القطع البحرية الأجنبية التى اشتركت فى عملية التطهير ، وكانت عبارة عن أربع كاسحات ألغام بريطانية ، لتجد الميناء معدا من كل الوجــوه لاستقبالها ، بأعداد المرابط وتوفير الوقود والمياه والمواد التموينية اللازمة لتشغيل قاطرات التطهير والقطع البحرية والأطقم العاملة عليها .

ثم وصلت باقى القطع البحرية البريطانية والامريكية تباعا . وبدأت سلسلة من الاجتماعات بين خبراء هيئة القنــاة والخبراء البريطــانيين والأمريكيين لاعداد الترتيبات النهائية للبدء فى عملية التطهير ، تقرر بعدها تقسيم العملية الى قسمين ، يتعلق الأول بتطهير شواطىء القناة من الالغام الغارقة فيها أو المدفونة على جانبيها بمعرفة سلاح المهندسين ، ويقضى القسم الثانى بتطهير المجرى الملاحى وقاع القناة من القنابل والألغام والقطع البحرية وغيرها من العوائق الغارقة فيه ، وذلك بمعرفة الوحدات البحرية البريطانية والأمريكية بالمشاركة مع هيئة قناة السويس .

وبدأ سلاح المهندسين فى انجاز مهمته فى زمن مثالى . وكانت خطته تتلخص فى تحديد مواقع الألغام والقنابل باستخدام مجسات خاصة ثــم نسفها فى مواقعها خشية انفجارها أثناء نقلها ، وقد تخصصت لهذه العملية مجموعات من الأفراد على مســتوى عال من الخبرة فى نســـف المتفجرات ، المدفونة على جانبى القناة فى القطاعات الشمالى والأوسط والجنوبى من القناة .

والجدير بالذكر ان الطائرات بعد أن مسحت ميناء بورسعيد انحدرت على طول القناة صوب الجنوب فى نطاق ممر جوى فوق القناة عرضــه أربعة أميال ، يحدده هوائى ضخم شرقى بورسعيد وآخــر غــربها على الساحل ، وتوجهها خمس محطات رادارية أيضا على جانبى القناة ، منها ثلاث محطات متنقلة .

وتأتي بعد ذلك عملية تفجيز اللغم بواحدة من طرق ثلاث ، أولاها خداع الألغام المغنطة بقضيب تجره الطائرة فوق سطح الماء فينجذب اللغم اليه مغناطيسيا وينفجر ، والثانية خداع الألغام الصوتية بمحرك تجره الطائرة أيضا فوق سطح الماء فيجذب صوت دورانه اللغم الى المحرك وينفجر، أما الثالثة فلم يكن لها غير المغامرة البشرية • فهى تختص بألغام الضغط ، أشد أنواع الألغام فتكا والتى لم تبتكر وسيلة للنجاة منها حتى اليوم ، فهى ترقد فوق القاع وتنجذب لناحية القوة الضاغطة عليها والناجمة عن ضغط أية سفينة أو لنش على الأمواج تحته ، فيتأثر بها اللغم الحساس ، ويندفع من القاع الى السطح حيث ينفجر فى مسبب القوة الضاغطة •

هذا النوع الفتاك من الألغام كان يجب أولا تحديد موقعه ، وقد تصدت لهذه العملية ثلاث من صائدات الألغام البريطانية هي (يوسنجتون) ، و (ويلتون) و (ماكستون) • وكان بكل صائدة ستة من أجهزة البحث ، سونار ورادار وراديو ، لبعضها شاشات فى حجم شاشة التليفزيون مقاس ١٩ بوصة ، ومهمتها جميعا الاشتراك فى تفتيش القاع عاملة بالأشـــعة الصوتية التى ترتد حاملة نتيجة البحث ومحددة مكان اللغم الراقد فوق القاع ، كى يبدأ العنصر البشرى أخطر عملية فوق سطح الأرض ، هـى التخلص من اللغم •

هذه العملية انفردت بها مصر ، واسندتها الى قواتنا من الضفادع البشرية •

كانت غرفة العمليات فوق سطح صائدة الألغام ، بمجرد اكتشافها اللغم وتحديد موقعه ، توجه اليه قاربا من المطاط يحمل مجموعة من الضفادع البشرية كان يظهر بدوره كنقطة مضيئة فوق شاشات الأجهزة الستة ، بعد أن تحدد للقارب العمق والاتجاه والموقع الذى يكمن عنده اللغم ، تماما كما توجه الطائرات المقاتلة الى طائرة العدو بتحديد الارتفاع والاتجاه والمسافة•

ويوجه الضفادع البشرية جهاز سونار يحملونه معهم الى حيث أرشدت غرفة عمليات السفينة الصائدة ، حتى اذا ما ظهر اللغم فوق شاشة الجهاز، وتم بذلك تحديد مرقده فوق القاع ، هبط أحد الضفادع الى القاع ومعه الجهاز ، وحبل اتصال يربط ما بينه وبين القارب • حتى اذا ما وصل الى مكان اللغم دفن الى جانبه شحنة متفجرة عليها مفجر زمنى ، لتفجير الجسم القاتل بعد الوقت الكافى لابتعاد الضفدع والقارب عن منطقة الخطر •

وأقبلت أعياد يوليو ١٩٧٤ ، وأقبل معها عرضان جديدان ، الأول موافقة من البنك الدولى للانشاء والتعمير على تقديم قرض قيمته ٥٠ مليون دولار لهيئة قناة السويس للمساهمة فى مشروعات اعادة فتح القناة ،

.ح وعد بتقديم قرض آخر لتوسيع القناة وتعميقها ، والثانى مجموعة من كاسحات الألغام والسفن السوفينية للقيام بعمليات تطهير القناة فى القطاع الجنوبى بمنطقة خليج السويس بالتعاون مع القوات المصرية • وقبلت مصر العرضين ، وقد وجدت فيهما دفعا جديدا للاسراع فى تنفيذ الخطة •

وتم تطهير القطاع الشمالى من القناة بين بورسعيد والاسماعيلية • وكان يجب بعد هذه المرحلة أن تنتقل السفينة (أبديل) ، سفينة قيادة صائدات الألغام البريطانية ، الى البحيرات المرة لتباشر عملها من هناك فى تطهير القطاع الجنوبى بين الاسماعيلية والسويس • وخفقت القلوب ، فهاهى أول سفينة تعبر القناة من بابها الشمالى حتى الاسماعيلية ، لأول مرة منذ ١٩٦٧ •

وتعين أحد المرشدين المصريين لتوجيه السفينة كما هى العادة ، هو المرشد سامى عثمان • وعندما صعد الى السفينة استقبله ربانها قائلا (لقد سمعنا عنك قبل أن نراك ، وعرفنا انك من أكفأ المرشدين المصريين الذين نعتبرهم أكفأ المرشدين العالميين) • وعندما لاحت بوادر الخجل على وجه المرشد المصرى ، قال الربان البريطانى : (هذه هى الحقيقة التى عرفتها من كل الموانى العالمية) •

وتحركت (أبديل) من عرض البحر لتدخل المجرى المائى • وعند مرورها بميناء بورسعيد ودعها من حضروا عملية العبور بالهتاف ، والدموع تكاد تطفر من عيونهم فرحا بتطهير هذه المسافة من القناة ، وانطلقت القاطرات تحيى السفينة الرائدة بصفاراتها حتى غابت عن الأنظار ، لتصل الى الاسماعيلية فى سلام ودون حادث من أى نوع •

وبعد ما استعرضناه عن عملية تطهير القطاع الشمالى من قناة السويس من الألغام المبثوثة فيه ، لن يتعذر علينا تصور ما رسمته خطة المرحلة الأولى الموضوعة لاعادة القناة الى ما كانت عليه عام ١٩٦٧ ، تمهيدا لتوسيعها وتعميقها لخير العالم كله •

لن يتعذر علينا تصور عملية تطهير القطاع الجنوبى ، بين الاسماعيلية والسويس ، مما به من ألغام •• بالطائرات الهليكوبتر الأمريكية ، فصائدات الألغام البريطانية ، ثم الضفادع البشرية المصرية •

أو تصور عملية انتشال العوائق الغارقة والتى تسد المجرى بأحجامها وأوزانها التى تشمل ما بين علبة البولوبيف الفارغة والسفينة الكبيرة •• فلقد كشف الفحص الدقيق ، الى جانب ما لا يكاد يدخل تحت حصر من علب الصفيح والمواسير وأجزاء الطائرات وسيارات النقل والدبابات والقاطرات والمعديات والكراكات ، أن هناك عشر سفن و ٣٠ دبابة •

أو تصور عملية اخراج السفن التى ظلت محتجزة فى القناة منذ ٦ يونيو ١٩٦٧ ‏٠٠ فقد كانت هناك خمس عشرة سفينة سد عليها الطريق وهى تعبر من السويس الى بورسعيد ، منها أربع بريطانية ، اثنتـــان لكل من أمريكا والسويد وبولندا وألمانيا الغربية ، وسفينة واحدة لكل من فرنسا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ٠

أو تصور ما كان يملؤ قلوب أبناء منطقة قناة السويس ، رجالا ونساء ، شيوخا وأطفالا ، وهم يعودون الى مدنهم الباسلة بعد تعميرها وقناتهم بعد تطهيرها ‏٠٠ لقد شاركوا في معارك تاريخنا المعاصر بأروع ما تكون المشاركة بالنفس والنفيس ، في سخاء ودون تردد ، وحق لهم ما بذله ويبذله الوطن كله من أجل النهوض بمستوى مدنهم واعادة الحياة الى قناتهم ٠

الباب السابع

ورقة أكتوبر

بين الميثاق وبيان ٣٠ مارس

لم يتقدم الرئيس « أنور السادات » الى الشعب بورقة أكتوبر فى شهر أكتوبر ، بل بعده بشهور • واذا كان الرئيس قد اختار للورقة هذا الاسم فلأن ما جاء بها — بعد الانتصار العسكرى — على رأس معطيات أكتوبر العظيم •

وعندما طرحت ورقة أكتوبر للاستفتاء فى ١٥ مايو ١٩٧٤ ، أكدت النتائج التى أذيعت رسميا بعد ٢٤ ساعة من طرحها اجماع جماهير الشعب عليها ، كما أكدت اقبال الجماهير غير العادى على الاستفتاء بعد دراسة الورقة مليا ، اذ لم يرد عدد المتخلفين عن ١٨٦ر٥٦٨ مواطن فقط من بين كل الناخبين ، وهى أعلى نسبة للتصويت والمشاركة عرفتها مصر فى تاريخها • وللتاريخ ، نسجل هنا أن النتائج كانت كما يلى :

عدد الناخبين المقيدين بجداول الانتخاب	٨ر٤٤٢ر١٢٢
عدد الناخبين الذين أدلوا بأصواتهم	٨ر٢٥٥ر٥٥٤
عدد الأصوات الصحيحة	٨ر٢٥٠ر٦٥١
عدد الأصوات غير الصحيحة	٤ر٩٠٣
عدد الأصوات التى وافقت	٨ر٢٤٦ر٩٣٧
عدد الأصوات غير الموافقة	٣ر٧١٤

واذا كان معنى هذه النتيجة هو أن جماهير الشعب قد أيدت ورقة أكتوبر بنسبة ٩٩ر٩٥٪ من الأصوات ، فان ثمة دلالات أخرى عدة ، من الناحية الموضوعية ، توحى بها هذه النتيجة وتمتد الى آفاق بعيدة وعميقة التأثير فى حياة مصر ومستقبلها •

من هذه الدلالات أن جماهير الشعب تجدد البيعة مؤيدة للرئيس السادات •

ومنها أن نفس النتيجة ، وباعتبار أن منجزات حركة التصحيح هى الأساس الثانى الذى تستند اليه ورقة أكتوبر ، توضح أن الشعب يؤيد بحماس الخط السياسى فى دولة المؤسسات » الأمر الذى يقطع بأن ثورة ٢٣ يوليو قد وصلت الى مرحلة نجاحها الأخير ، مرحلة الاستقرار والنظام وتقنين مبادىء الثورة •

ومنها أن انتصارات السادس من أكتوبر كانت دافعا الى انطلاقة شعبية عارمة ، لما في المعدلات العالية للاقبال على الاستفتاء من اشارات واضحة الى أن الشعب قد نفض عن نفسه السلبية نهائيا ، وأنه بدأ يشارك بحماس فى العمل القومى ٠

ومنها أن انتهاء الاستفتاء الى هذا التأييد الساحق يجعل من ورقة أكتوبر من حيث الشكل ، وثيقة ملزمة للشعب أفرادا وفئات ، ومواطنين ومسئولين ، كما يجعل منها اختيارا شعبيا ـ بالديموقراطية المباشرة ـ لمفاهيم وحلول قضايا المصير والمبادىء ووسائل التطبيق ٠

ورقة أكتوبر والمواثيق الأساسية

بورقة أكتوبر تصبح بين أيدينا ثلاثة مواثيق أساسية ، هى ميثاق العمل الوطنى ، وبيان ٣٠ مارس ، ثم ورقة أكتوبر ٠ ولعله من المفيد ، قبل أن نبدأ باستعراض ورقة أكتوبر من حيث المضمون ، أن نلقى بعض الضوء على موقعها الحقيقى من الميثاقين اللذين سبقاها ، لنرى هل هى اضافة أو تعديل أم امتداد لهما ٠ وأول ما سوف يطالعنا فى هذا الصدد هو أن المواثيق الثلاثة لا تتفق فى طبيعتها ٠ فالى جانب أوجه المقارنة التى قد يقتضيها الحديث عن هذه الورقة بالذات ، يحسن أن نلم مسبقا بالفوارق الرئيسية التالية بين المواثيق الثلاثة ٠

ومع الايجاز الكلى ، يمكن القول بأن ميثاق العمل الوطنى يعتبر الوثيقة السياسية الأساسية التى تبين أهداف النضال العربى فى الحرية والاشتراكية والوحدة ٠ كما يمكن تقسيم محتويات الميثاق الى جانبين رئيسيين ، تناول أحدهما (المبادىء) وقدم الثانى وسائل (التطبيق) ٠

فمن بين المبادىء مثلا (حتمية الحل الاشتراكى) كعنصر يستهدف خلق مجتمع الكفاية والعدل عن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات وازالة التناقضات بين القوى الاجتماعية سلميا وبالحوار الديمقراطى ٠ ومن المبادىء أيضا (تحالف قوى الشعب العاملة) وضمان خمسين فى المائة للفلاحين والعمال فى المجالس السياسية والشعبية المنتخبة ٠ كما أن من بين هذه المبادىء (الوحدة العربية) كهدف أسمى لنضالنا ٠

ومن التطبيقات التى قدمها الميثاق ، كل ما يتعلق بالتطبيق الاشتراكى من مضاعفة للدخل القومى ، ومشاكل الزراعة والتصنيع

بالريف ، ودور رأس المال الوطنى والأجنبى • كما أن من بين التطبيقات طرق وأساليب بلوغ الهدف الأسمى وهو الوحدة الوطنية •

ثم أن الميثاق ، من جهة أخرى ، يعتبر فى جانبه الفكرى الوثيقة الأساسية السياسية التى تحكم بمبادئها كل ما أتى بعدها ، أو ما قد يأتى بعدها ، من وثائق ، بل وتحكم بمبادئها أيضا ما يجب أن يتضمنه الدستور • ومن هنا نرى أن مبادىء الميثاق لا تتغير ، حتى لو غـيرت الظروف الطارئة من التطبيق كما حدث عندما حتمت الظـروف المتغيرة خروج بيان ٣٠ مارس وورقة أكتوبر • ولقد عبرت هذه الورقة عن هذه الحقيقة بقولها (ان المبادىء الأساسية لا تتغير بتغير الظروف والا لما كانت ترقى الى مرتبة المبادىء ، وانما الذى يتغير هو التطبيق) •

أما عن بيان ٣٠ مارس ، فيمكن القول بأنه صدر تعبيرا عن مرحلة خاصة من مراحل نضالنا الوطنى • فعندما حلت نكسة الخامس من يونية ١٩٦٧ ، وخرجت جماهير (٩ و ١٠ يونيه) تطالب بالتغيير ، جاء بيان ٣٠ مارس ليعبر عن طبيعة هذه المرحلة الجديدة من حيث اعطاء الأولوية للمعركة ، بحيث لا يعلو صوت فوق صوت الاعداد لها فى مرحلة الصمود ورفض الهزيمة ، فى شكل برنامج عمل هـدفه حشد القوى الوطنية والعربية ، ووسائل اقامة الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب ، وتحديد المهام الرئيسية لدعم بناء الدولة الحديثة ، واتاحة دفعة أكبر للتنمية الشاملة ، ورسم آمال الغد فى خطوط عريضة رشحها البيان للدستور الجديد ، والعمل على تحقيق سيادة القانون •

ونحن لو أمعنا النظر لوجدنا أن بيـان ٣٠ مارس قـد استـنفذ أغراضه • فانتخابات الاتحاد الاشتراكى تحققت ، والمبادىء المقترحة للدستور نقل الشعب أهمها الى الدستور الدائم يوم أعلن ارادته ، ومبدأ سيادة القانون وجد طريقه الى التطبيق وأصبح شعارا • ومن هنا فان بيان ٣٠ مارس لم يعد صالحا بذاته اليوم ، وان كان علينا أن ننظر اليه كوثيقة أساسية تعبر عن مرحلة تاريخيـة معينة على طريق نضـالنا ، وكحلقة النجاة التى تعلقت بها الارادة الوطنية فى مجابهة مراكز القوى وكفالة شرعية الثورة حينما عهد الشعب الى الرئيس محمد أنور السادات بمسئولية الحكم •

الطبيعة العامة لورقة أكتوبر

ولعل طبيعة ورقة أكتوبر تبدو لنا أكثر وضوحا بعد هذا التصوير الخاطف لطبيعتي الميثاق وبيان ٣٠ مارس · وعلى وجه التعميم ، يمكن القول بأن ورقة أكتوبر قد جاءت بدورها تسجيلا للدروس المستفادة من ظرف معين هو ما ترتب على انتصارات أكتوبر العظيمة ، وتصورا لاستثمار هذا الظرف بتطبيقات لاحقة للمبادىء السابقة ·

وثمة ما يخلق بنا التنويه عنه دفعا لما قد يتسلل الى الذهن من لبس · ذلك أن أبرز ما تتسم به طبيعة ورقة أكتوبر هو أنها تقوم أول ما تقوم على تنقية تجربتنا مما علق بها من سلبيات وقصور ، فى حكمة بالغة بين تيار العمل الوطنى وبين الظروف الجديدة التى أصبحنا نعيشها ويعيشها العالم من حولنا عموما ، والتى غيرت وجه التاريخ فى مصر والعالم ولآجال طويلة بعد أكتوبر بوجه خاص ، مما قد يوحى عن تعثر فى الفهم بأن ما أرسى قواعده ما سبقها من مواثيق قد عفا عليه الدهر · وليس الأمر كذلك ·

ان ورقة أكتوبر ان كانت بطبيعتها تسعى الى انتشال الجماهير ماديا ومعنويا من عثرات الماضى ، فان من أكبر حسناتها اصرارها على ربط هذه الجماهير فكريا بما سبق الورقة من مبادىء ، ونظرتها الى مواثيق الثورة على أنها لا تنسخ بل تكمل بعضها البعض ، لدرجة استشهادها بما جاء بالميثاق فى أكثر من موضع ، وتفسيرها ذلك بأن (تاريخ الأمم التى تتقدم هو التاريخ المفصل وليس المقطع الأوصال) · واذا كان هناك ما يجب أن نؤمن به بعد هذا ، فهو أن عجلة التطور ، ما كان منه بالأمس وما نتطلع اليه اليوم ، تجرى بتداخل مواثيق الثورة الثلاث ، الميثاق وبيان ٣٠ مارس وورقة أكتوبر ، وأن التطورات ترتبط تبعا لتغير الظروف ببعضها البعض عضويا فى تواصل وبلا ثغرات ، وأن الذين يجرحون الميثاق من ثم لا يخدمون ورقة أكتوبر ، والذين لا يحسنون فهم ورقة الميثاق ثم لا يخدمون ورقة أكتوبر والذين لا يحسنون فهم ورقة أكتوبر لا يؤمنون بالميثاق ·

وحتى ثورة ٢٣ يوليو لم تشجبها ورقة أكتوبر كما كان يتبادر الى الذهن القاصر ، ولم تجحدها أو تمسها بتجريح · واذا كانت الورقة قد وقفت من الثورة موقف التأييد والتمجيد ، فلعل مبعث ذلك حرصها على تقديم اجابة شافية ومسبقة لكل جدل أثير قبلها أو قد يثار بعدها

حول الأهداف الحقيقية لحركة التصحيح التى أمسك بزمامها الرئيس أنور السادات ، أو تصوير هذه الحركة على أنها حركة مستقلة جذريا عما قبلهـا .

ان ورقة أكتوبر عندما تعرض منجزات ثورة ٢٣ يوليو ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا ، بمثل الحرارة والوضوح اللذين يلمسهما المواطن وهو يستعرض الورقة بعمق وتفهم منزه عن الهـوى ، وعندما تطالب (أن يكون هذا العرض موضوع دراســة ولا سيما من الشباب الذين لم يعيشوا فترة ما قبل الثورة حتى يقدروا الأبعـاد الحقيقية لما أنجزته ، فهى انما ترقى بثورة ٢٣ يوليو ، بعد الايمان بجوهر الرسالات السماوية ، الى مرتبة الدعوة لسلطة تحالف قوى الشعب العاملة لبناء الحرية والاشتراكية والوحدة ، وتهبط بمن يحاول الفصل بين ثورة مصر ومستقبل مصر الى مرتبة الافلاس الفكرى ، لسبب بسيط هو أن استقراء الخلفية النضالية للرئيس السادات ، يكشف عن ايمان هـذا الانسان العربى الأصيل بالثورة التى شارك فى تفجيرها ، وفى تحمل مسئولية أعظم القرارات خطورة قبل أن يمسك بيده زمام الأمر كله .

لقد كان للثورة فضل ارساء قواعد الحرية والاشتراكية ، ولكن ضمان استمرار واستقرار هذه القواعد يستلزم تطوير تطبيقها كى تسمو من مرحلة ثورة الى نظام مستقر وطيد الأركان . واذا كان فى هذا ما ينفى تماما فكرة أن ورقة أكتوبر بطبيعتها قد هونت من شأن الثورة بطرحها سلبيات الماضى على الجماهير ، فان الورقة لم يفتها التنويه بما ترمى اليه من التنديد بهذه السلبيات ، بما قررته من أن هدفها هو (أن تصبح الثورة نظاما للحياة ومجموعة سائدة من القيم والمبادىء تستمد استقرارها من هندستها الداخلية وتناسقها الذاتى واتساعها لآمال الجماهير وحركتها وليس من اجراءات استثنائية تحميها) .

لقد تحدثت ورقة أكتوبر فى الباب الثالث عن مهام شتى ، بعضها ضخم يرتب لمستقبل مصر سنة ٢٠٠٠ ، وبعضها يتناول المشاكل العاجلة للجماهير . واستقراء سطور هذا الباب يبين أن أهم الأسس التى سترتكز عليها استراتيجية العمل فى الجبهة الداخلية هى تحقيق هدفين ، أولهما العمل على تحرير الأرض وتأكيد الحق العربى ، وهما أعز أهداف ثورة ٢٣ يوليو ، والثانى بناء مصر الثورة على الأسس الاقتصادية بكل أبعادها أملا فى اللحاق بالعصر وتأكيدا لحق المواطن فى حياة كريمة تليق بشعب تأكدت أصالته ، مما يعتبر بدوره دعما لمبادىء الثورة وأخذا بمبادئها .

وتتخذ ورقة أكتوبر من انتصاراتنا برهانا على أن تحركنا الثورى قد وصل الى قمته ، والى أننا قد استفدنا من أخطائنا فتعلمنا الدرس ، وعرفنا كيف نحسب الحساب ونرسم الخطط ، ونمسك بزمام المبادرة سياسيا وعسكريا لأول مرة منذ قامت اسرائيل • وهذا صحيح ، فبعد التصميم طوال السنوات الست الحالكة على تصحيح أخطائنا ، ويوم أدركنا بعد الحسابات الدقيقة أننا قادرون على استثمار هذا التصحيح ، أطلقنا فى الوقت المناسب الشرارة لتؤتى ضوءها ، ولتقنعنا بأننا عندما نقرر أن نحقق شيئا فاننا قادرون على تحقيقه • وعلى هذا الأساس رسمت ورقة أكتوبر للأجهزة التنفيذية أسلوب التحرك ، وحساب الحساب ورسم الخطة ، والامساك بزمام المبادرة ، حتى تتحرك كل هذه الأجهزة لتعوض للوطن وللجماهير ما فات خلال سنوات الكفاح والنضال •

لقد أتاحت لنا حرب أكتوبر فرصة لا تعوض لتحقيق تطوير حقيقى وفعـال فى موقفنا من عالم يحلق بسرعة هائلة الى القمر ويطوف بين الكواكب والنجوم ، دون لفتة الى الوراء للأخذ بيد من يفوته الركب •

ونحن لو أضفنا الى ذلك أن عناصر الاقتصاد العالمى تتغير بدورها بنفس السرعة وفى أكثر من اتجاه ، وأن الجمود فى موقف حاضر أو الرضاء بواقع اليوم معناه التخلف عن عالم الغد ، لاتضح أنه لا مفر من تطوير عمليات (التطبيق) بالنسبة لكافة (المبادىء) التى اعتنقناها ورسخت فى نفوسنا ، ليس فقط بالقدر الكافى للتغلب على السلبيات ، بل وأيضا بما يفسح لنا مكانا بين ركب الحضارة العالمية •

وورقة أكتوبر تعتبر بطبيعتها هـــذه ، ليس فقط الثمرة الأولى والأساسية للنصر العظيم ، بل هى تجسيد أيضـــا لروح السادس من أكتوبر ، يستهدف بالدرجة الأولى بث هذه الروح فى كافة نواحى الحياة المصرية بما توجه الورقة الأنظار اليه ، عن صـدق وعن حق ، من أننا (ما دمنا قد استطعنا فى ساحة القتال ، فانه يجب أن نستطيع بنفس المستوى فى كل مجال) •

بهذه الروح تتألق ورقة أكتوبر بالجدية التامة فى انبثاقها من بؤرة الثقة الكاملة بالنفس ، لتجدد معالم الطريق الى استراتيجية دقيقة وشاملة لكافة الأجهزة تقوم على التخطيط السليم بعد الظرف الجديد • ولعلنا لاحظنا أن هذه العناصر الثلاثة ، الجدية والثقة بالنفس والاستراتيجية الشاملة ، كانت نفس العناصر التى حققت لنا النصر فى المجال العسكرى•

ويبقى ما تجدر الاشارة اليه فى صدد ورقة أكتوبر من حيث طبيعة بنائها • ذلك أنها لم تحاول أن تقسم موضوعاتها على نحو جامد اصطناعى يقيم بين هذه الموضوعات خطوطا جامدة ينتقل القارىء عبرها من فصل الى فصل ، بل هى تركت نفسها على سجيتها • ولذا فما لم يستعرض قارئها ما جاء بها ككل متماسك مترابط ، فسيتعذر دراستها ومن ثم تقييمها عن قصور فى استيعابهـا • مثال ذلك أن من يعنى بالفلسفة الاجتماعية سيظلم الورقة لو اقتصر على استعراض ما جاء بها تحت عنوان (التنمية الاجتماعية) ، وسيفوته الكثير مما تضمنته الأقسام الأخرى من كل ما يتصل أوثق الاتصال بالجانب الاجتماعى •

لقد أشارت ورقة أكتوبر بوضوح الى أنها (استراتيجية حضارية شاملة لبناء الدولة العصرية والمجتمع الحديث) • وهى بهذا الوصف وبسببه جاءت المشاكل متشابكة متداخلة ، نعرض الوضع أو تدلى بالرأى حيثما يجب أن يعرض طالما اقتضى السياق الفكرى الاشارة اليهما ، وبغض النظر عن العنوان الذى اختير لمادة القسم من الباب ، أو حتى الباب من الكل • ولعل فى هذا واحدا من الأسباب ، الى جانب السبب الرئيسى وهو أن الورقة فى حد ذاتها تعتبر احدى ثمرات حرب أكتوبر ، التى تحتم علينا القاء الضوء على الورقة على وجه الشمول فى هذا الفصل من الكتاب •

ورقة أكتوبر والتنمية الاقتصادية

تقول ورقة أكتوبر أن (التنمية بالنسبة لنا هى قضية حياة أو موت ، ونجاحنا فى معركة التنمية هو الذى سيحدد كل أوضاعنا المحلية والدولية) • ولا شك أن أولى دعائم هذه التنمية هى التنمية الاقتصادية بالذات ، كما لا شك أن إعتبار التنمية هدفا حيويا يعتبر فى حد ذاته تجسيدا للجدية فى معالجتها •

لقد كانت الحجة الأساسية التى ترددها الدول المتقدمة فى المؤتمرات الدولية الخاصة بالتنمية الاقتصـادية للدول المتخلفة ، هى أن الدول النامية لا تعطى التنمية الاقتصادية أولوية أساسية بين أهدافها ، وبالتالى فانها لا تستحق أن تنال أولوية قصوى من حيث الدعم الاقتصادى • ومن هنا كان أعلى ما يبعثه رنين ورقة أكتوبر من دقات أجراسها هو أن المهمة التى ينبغى أن تلى المعركة مباشرة ، بنفس قوة وحسابات وتصميم المعركة ، هى مهمة التنمية الاقتصادية ، باعتبارها (قضية حياة) تتبع

لنا أن نلج أبواب سنة ٢٠٠٠ ونحن فى وضع أفضل ، أو (قضية موت) يتركنا مترامين على أعتاب هذه السنة وما زلنا راسفين فى أغلال التخلف ٠

لقد كنا فى حاجة حقيقية الى التنمية الاقتصادية دائما ، ثم زادت الحاجة الى هذه التنمية بسبب المعركة ضد العدوان ٠ ويكفى أن نعلم أن الاقتصاد المصرى تحمل منذ ١٩٦٧ ما يزيد على ٥٠٠٠ مليون جنيه انفاقا عسكريا مباشرة ، وما يقارب هذا المبلغ من الخسائر ومن فرص الربح التى ضاعت بسبب العدوان ، كى ندرك معنى ما أفصحت عنه ورقة أكتوبر من أن (التنمية بالنسبة لنا هى قضية حياة أو موت) ٠

ولقد كان يمكن التخفيف من وقع الآثار التى ترتبت على الانفاق العسكرى والخسائر وفرص الربح المضيعة ، وكلها عوامل طارئة على مجرى التنمية الاقتصادية فى الوطن ، لولا ما اقترن بهذه العوامل من عوامل أخرى جانبية فادحة ، هى التخلف فى عمليات الاحلال والتجديد فى المرافق الأساسية والوحدات الانتاجية والخدمات ، مما يضاعف من العبء الضخم الذى يتعين على اقتصادنا حمله فى المرحلة المقبلة فى هذا المجال وحده ٠ فاذا أضيف الى ذلك أن التقديرات لحتميات تعمير المناطق التى أصابها العدوان بشكل مباشر قد تجاوزت ٣٠٠٠ مليون جنيه ، لأدركنا الحكمة فيما ذهبت اليه ورقة أكتوبر عن بعد نظر من (أن الرخاء يحتاج منا الى عمل كثير طويل وشاق ! ، وعن دقة موفقة فى الحسبان من أن (السبيل الأساسى لمواجهة هذا كله هو الارتفاع السريع بمعدلات التنمية ، فما نحققه من تنمية فى عام يزيد من قدراتنا فى العام التالى) وعن اصرار وترشيد من أن (هدف الارتفاع بمعدل التنمية الى أعلى مما كانت عليه قبل ١٩٦٥ هو الهدف الأول والحيوى والضرورى فى مرحلة التقدم والبناء) ٠

وفى القائها الأضواء على مقومات التنمية الاقتصادية ، تشير ورقة أكتوبر فى أكثر من موضع من أقسامها الى التنمية الزراعية ، ولعل فى هذا ما يدخل الحيرة على نفس المواطن المصرى الذى كادت تختم على سمعه صيحات الدعم الصناعى طوال مرحلة ما قبل المعركة ، وضرورة التركيز على انهاك الجهد وبذل النفس والنفيس لانتاج ما بين الابرة والصاروخ ، مما يقتضينا التطرق الى الوضع الزراعى فى البلاد بنفس الايجاز ٠

لقد كادت تضيع فى زحمة التصنيع الحقيقية الكبرى ، وهى أن العبء الأكبر فى قضية التنمية الاقتصادية عامة يقع على كاهل القطاع الزراعى ، وأن على ما ينتجه هذا القطاع من فائض غلاته يتوقف الى حد كبير تمويل القطاعات الأخرى وفى مقدمتها الصناعة ٠

لقد أصبحت مشكلة المشاكل التى نواجه الزراعة بعد التهالك بالدرجة الأولى على حركة التصنيع ، هى التفاوت الكبير بين معدل نمو الموارد الأرضية ومعدل نمو الموارد البشرية ، ففى بداية هذا القرن كانت مساحة الأرض الزراعية نحو خمسة ملايين فدان ، وكان عدد السكان وقتذاك نحو عشرة ملايين نسمة • وفى عام ١٩٥٢ زادت مساحة الأراضى المنزرعة الى ٥ر٨ مليون فدان ، فى حين زاد عدد السكان الى ٥ر٢١ مليون نسمة • أما اليوم فاذا كانت المساحة المنزرعة قد ارتفعت الى ٦ ملايين من الأفدنة ، فقد ارتفع عدد السكان فى نفس الوقت الى حوالى ٣٦ مليون نسمة • وبالحسابات التى آمن بنظريتها الرئيس أنور السادات وطبقها فى كل خطواته ، يمكن أن نرى كيف تهاوى نصيب الفرد من الأرض الزراعية عبر المراحل الثلاث من نصف فدان ، الى أقل من ثلث فدان ، فالى سدس فدان •

لقد تناثرت فى أبواب ورقة أكتوبر الآراء المعبرة عما يعتبره الرئيس أنور السادات من أمنيات النهوض بمستوى التنمية الاقتصادية مباشرة والانسان المصرى بالتبعية • على أننا لن يعيينا حصر هذه الأمنيات أولا فى توفير المزيد من الغذاء والكساء كما وكيفا بما يناسب المواطنين الذين يتزايد عددهم ويتزايد فى نفس الوقت معدل استهلاكهم ، وثانيا فى زيادة الصادرات حجما وهيكلا مع خفض الـواردات بمـا يدعم الميزان التجارى ، وثالثا فى تدعيم القدرة الشرائية للقطاع الزراعى باعتباره أكبر مستهلك للانتاج الصناعى مما يدفع عجلة التصنيع ويوفر بالتالى أكبر قدر ممكن من مستلزماته وخاماته ، ورابعا فى توفير المزيد من فائض الدخل والمدخرات اللازمة لتمويل الانتاج والخدمات باعتبارهما عناصر أساسية فى التنمية •

واذا كان هناك ما تمليه هذه الأمنيات فليس غير حتمية التنمية الزراعية لصالح التنمية الاقتصادية •

ولقد كانت هناك محاولات سابقة لدعم التنمية الاقتصادية عن طريق دعم التنمية الزراعية ، ولكنها كانت مبتورة وواهنة بدليل نظرة ورقة أكتوبر اليها على أنها من أوجه القصور الماضية ، وفى هذا الصدد يكفى أن نشير الى أن التنمية الزراعية الحقة فى تصور ورقة أكتوبر ينبغى أن تشمل مجالين رئيسيين ، هما التنمية الرأسية ، والتنمية الأفقية معا •

فأما التنمية الرأسية فيقصد بها زيادة الكفاية الانتاجية واستخلاص أقصى انتاج ممكن من الموارد الزراعية المتاحة ، مما يقتضى التخطيط والتنفيذ

على أساس واضح المعالم والحدود بعد الحساب الدقيق الذى أوصت به ورقة أكتوبر ، وباعتبار ان الزراعة هى أولا السبيل الى حياة أكثر رخاء وصناعة أرقى مستوى ، وثانيا القوام لحياة سته من كل عشرة من السكان • وأما التنمية الأفقية فيقصد بها زيادة مساحة الرقعة المنزرعة عن طريق استصلاح الأراضى ، بعد أن عجزت المحاولات فى مواجهة التناقص المستمر فى الأراضى القديمة ، وتدهور متوسط نصيب الفرد منها نتيجة للعمران وزيادة السكان ، لافتقارها الى دراسة المشروعات على أسس سليمة من الدقة والواقعية ، وتحديد الأهداف ووضوحها ، والمتابعة والتقويم السليم ، وترشيد العمليات وفق الأساليب العصرية •

وفى الحديث عن التنمية الاقتصادية نادت ورقة أكتوبر بما عرف باسم (الانفتاح) ، وهو الاصطلاح الذى أثار من التساؤلات بعدد ما أثار من آراء متضاربة •

لقد تقاعسنا بعد هزيمة ١٩٦٧ عن التركيز على السلع الاستهلاكية ، وتحولنا بجهودنا الكاملة تقريبا الى المشروعات الطويلة الأجل والتى قد تجىء بعائد كبير ولكن بعد وقت طويل • ولقد كان فى ذهننا ونحن نضع هذا التصور أن نبدأ فى جنى ثمار هذه المشروعات بعد تحرير الارض ونجد القدرة بذلك على مواجهة أعباء ما بعد التحرير بعائد هذه المشروعات ، بما فيها مجمع الحديد والصلب ومصنع الألومنيوم وغيرها •

ثم جاءت ورقة أكتوبر لترسم للجماهير خطة العمل حتى سنة ٢٠٠٠ ، ونوهت بالانفتاح الاقتصادى كمشارك فى تحمل أعباء مرحلة ما بعد الحرب وحتى نهاية القرن العشرين • واذا كان هذا الانفتاح لا يعتبر وليد اليوم ، اذ بدأ التفكير فيه والاعداد له منذ أوائل ١٩٧٢ فى تردد شبه معوق ، فان الثقة بالنفس التى أحيتها استراتيجية حرب أكتوبر فانتهت بنا الى الانتصار ، جعلت من الانفتاح الاقتصادى استراتيجية للتنمية الاقتصادية لا يعتورها الخوف الباعث على التردد •

لقد ثبت واقعيا أنه ما من دولة ، كبيرة كانت أم صغيرة ، تستطيع فى هذا العصر أن تعيش بمعزل عن المجتمع العالمى • وثبت أنه حتى لو استطاعت أية دولة أن تكفى نفسها بنفسها ذاتيا من الناحية الاقتصادية ، فان مثل هذه الدولة لو انعزلت عن العالم فسوف يقضى عليها بالتخلف أو على الأقل بالعرج المعوق • واذا كان هذا صحيحا ، بدليل السوق

الأوروبية المشتركة ، والتبادل الاقتصادى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، فهو أكثر من صحيح بالنسبة للدول النامية باعتبارها أشد حاجة الى التعاون مع المجتمع العالمى فى كافة نواحى الحياة عامة ، وفى مجال التنمية الاقتصادية بوجه خاص ، حتى تلحق بالركب الحضارى كخطوة أولى ثم تسايره كخطوة أخيرة ٠

وورقة أكتوبر لا ترسى مبدأ جديدا على حياة الشعب الاقتصادية بهذا الذى تقرره من حتمية الانفتاح الاقتصادى ، بل هى تقرع الجرس لتنبيه الجماهير الى واحد من مبادىء الميثاق التى آمنت بها الجماهير ظل شبه معطل ، هو (أننا نقبل المساعدات غير المشروطة والقروض ، كما نقبل الاستثمار المباشر فى النواحى التى تتطلب خبرات عالمية فى مجالات التطوير الحديثة ونقول : هذا بالدقة هو خطنا) ٠

واذا كانت ورقة أكتوبر فى هذه الناحية من تعاليمها قد نوهت بأن الانفتاح على العالم الخارجى لن يتأتى بعصا سحرية تحرر الاقتصاد والتجارة الخارجية من القيود ، ونقيم نظام التصدير والاستيراد على أساس تبادل دولى حر يراعى فيه نظام المدفوعات وسعر الصرف مع توافر الثقة فى الاسواق الخارجية باعتبارها المرآة العاكسة للمركز الاقتصادى وللقيمة الحقيقية للنقد فى المبادلات الدولية ، واذا كانت قيمة الجنيه المصرى قد ارتفعت بعض الشىء بعد السادس من أكتوبر ، فقد حرصت الورقة على أن تربط ، وأن يكن تنويها ، بين الانفتاح الاقتصادى وبين عوامل عدة فى مقدمتها ما قيل ، كطريق لتحقيق أهداف الورقة ، عن تعويم الجنيه المصرى ، فان مثل هذا التعويم لا يجب أن يترك فيه الجنيه دون طوق نجاة ٠

وطوق النجاة هذا ألمحت اليه ورقة أكتوبر أيضا وان يكون بطريق غير مباشر ، عندما نوهت بأن صادراتنا محدودة ، وأن حاجتنا شديدة الى الواردات الأجنبية التى تشمل ما بين رغيف الخبز والآلات وقطع الغيار ، ثم عندما نوهت الى ضرورة تحسين اقتصادياتنا وخفض مديونياتنا وزيادة انتاجنا ٠ ولا شك أنه الى أن يكتمل البناء الجديد للهيكل الاقتصادى ، وتتوافر تماما الثقة التى نادت بها ورقة أكتوبر ، فلن يتأتى لنا ترك الجنيه المصرى حرا فى المبادلة وقابلا للتحويل كعملة قوية يساندها الاقتصاد الذى اتخذت منه الورقة أساسا للتنمية ٠

وورقة أكتوبر تصم بالسخرية عقدة الخوف من الاستثمارات الأجنبية كطريق الى الانفتاح الاقتصادى ، وتزدرى المتشككين فى جدوى

المساعدات الأجنبية • واذا كان الميثاق قد نوه بأنه (بسيادة الشعب على أرضه واستعادته لمقدرات أموره ، يمكنه أن يضع الحدود التى يستطيع من خلالها أن يسمح لرأس المال الأجنبى بالعمل فى بلاده) ، أو اذا كان قد قرر عن ادراك (أن شعبنا فى نظرته الواعية يعتبر أن المساعدات الأجنبية واجب على الدول السابقة فى التقدم نحو تلك التى ما زالت تناضل للوصول) ، فقد حسمت ورقة أكتوبر الأمر بأننا (نرحب بالاستثمار الأجنبى لما يحمله معه من معركة تكنولوجية متقدمة تحتاج اليها • وظروف عالم اليوم بعد اعادة تشكيل العلاقات الدولية ، وظهور اقطاب دولية متعددة . والمكانة التى أصبحت لمصر والعرب بعد حرب أكتوبر . كلها أمور تتيح لنا فرصا للاستفادة من الاستثمار الأجنبى لا يمكن بأمانة الوطنية أن نضيعها) • ودفعا لأى شك أو تشكيك فيما تتجه اليه ورقة أكتوبر ، طرحت الورقة الحقيقة التى تمخضت عنها ، ضمن ما تمخضت عنه ، انتصارات أكتوبر العظيم ، وهى (اننا قادرون على معرفة ما هو فى مصلحتنا • ولا ينبغى أن تركبنا عقدة الخوف على أنفسنا) • كما أنها استدركت فصارحت العالم شرقه وغربه بحقيقة سياستنا الشجاعة المتحررة ، وهى (أن الانفتاح الذى أعلناه هو انفتاح على العالم كله ، شرقه وغربه ، لأننا ندرك تماما أن تنوع علاقاتنا الاقتصادية الدولية هو الأساس لحرية حركتنا السياسية) •

وثمة ما هو جدير بالوقوف عنده قليلا فى صدد الانفتاح الاقتصادى عن طريق استثمار رأس المال الأجنبى ، وذلك هو ما قد يخامر الأذهان ، عن حسن أو سوء ظن ، من أن هذا الانفتاح يجب أن يرتبط بقوانين . هو أن عبرته ليست بالقوانين ، بل بالثقة بنا فى أسواق المال الدولية ، أولا لجلبه وثانيا لحكمه • والجواب فيما يختص بجلب رأس المال الأجنبى وهى ثقة تتوافر بتحقيق السلام فى ربوعنا والاستقرار السياسى فى علاقاتنا والتحرر التام لاقتصادنا • واذا كانت فنادقنا قد غصت بعد انتصارنا بممثلى رجال الأعمال وأصحاب رؤوس الأموال من الأجانب ، فقد قبعوا فى فنادقهم متريثين ينتظرون ، ويدرسون الأمور عن كثب ، ويكملون على الطبيعة ما ستنتهى اليه أمور مصر من حيث السلام والاستقرار والتحرر الاقتصادى •

كما أن الجواب فيما يختص بحكم رأس المال هذا وتطويعه لمصالحنا لا ترتبط عبرته بدورها باصدار القوانين ، فهو سيدخل الى البلاد أما فى صورة اعتمادات ائتمانية أو فى شكل معونات • والقاعدة فى مثل هذه الأمور أنها لن تعمر ، تلقائيا ، لغير الأمد القصير الذى نعتمد بعده على

أنفسنا ومواردنا ، لسبب بسيط هو أننا بتنفيذنا لتعاليم ورقة أكتوبر بالحساب الدقيق والتخطيط السليم ، سيصبح اقتصادنا قويا . فنحن لا نقبل أن نظل ، شعبا من السائلة عالة على الغير كما هو الحال بين اسرائيل والولايات المتحدة مثلا . ثم انه لا غضاضة فى تقبل أى اعتماد ائتمانى أو معونة بعد ظروف قهرية كظروف الحرب وما سبقها من اعداد ، فاذا كانت أمريكا قد وقفت نفس الموقف مع أوروبا الغربية ، بما عرف باسم مشروع مارشال عقب الحرب العالمية الثانية ، فلقد كان ذلك لأمد قصير لم تجد دول أوروبا طواله غضاضة من أى نوع ، بل هى ظلت راضية عنه سعيدة به حتى وقفت بامكانياتها الخاصة عملاقا اقتصاديا وسياسيا بين العملاقين الأمريكى والسوفيتى .

وتبقى بعد هذا الدعامة الأساسية الثالثة التى حددتها ورقة أكتوبر كعنصر جوهرى من عناصر التنمية الاقتصادية ، وهى القطاعان العام والخاص .

وفى صدد القطاع العام ، تستشهد الورقة أيضا بمواثيق الثورة ونرى أنها واضحة من حيث دعوتها الى التأميم الشامل والى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج الأساسية . بل هى تشير أيضا الى بعض المبادىء الدستورية التى نقلهـا الدستور عن الميثاق ، والتى تؤكد أن الأساس الاقتصادى هو النظام الاشتراكى القائم على الكفاية والعدل بما يحول دون الاستغلال ويهدف الى تذويب الفوارق بين الطبقات .

والورقة لم تنزه القطاع العام عن سلبيات الماضى ، فهى تطالب القطاع العام بالمزيد من الترشيد ، والمزيد من الانطلاق ، والمزيد من التخلص من المعوقات والأساليب التى قللت من كفاءته ، حتى يقوى على أداء دوره فيما رسمته الورقة لمستقبل مصر خلال ما بقى من القرن العشرين ، وهو دورلا يختلف اثنان فى مدى أهميته .

فى ظل سياسة الانفتاح وتشجيع القطاع الخاص والقطاع التعاونى، سيكون القطاع العام بحكم تكوينه الأداة الأساسية لتنفيذ أية خطة للتنمية ، وفى تولى المشروعات الأساسية التى لا يقوى على مثلها غيره بحكم التزامه المباشر .

ومن حيث التحرر الاقتصادى ، يعتبر القطاع العام الأداة الرئيسية للتعبير عن ارادتنا الوطنية فى تشكيل اقتصادنا القومى ، وليس هناك غيره ضمانا رئيسيا لأن تظل القرارات الاقتصادية الهامة قرارات مصرية . وتجسيدا لاستقلالنا الاقتصادى فى اطار القوانين الثابتة التى تكفل

الاستقرار بسائر القطاعات دون اللجوء الى اجراءات استثنائية بغيضة كتلك التى كادت تودى بمصر والتى تم العدول عنها ٠

وارتكازا على قاعدة ثابتة خير ما يمثلها هو القطاع العام ، سيقوم ضلعا التنمية الاقتصادية ، القطاع الخاص والاستثمارات الأجنبية ، بتشكيل المثلث الاقتصادى الذى لا غنى عنه لدولة نامية ٠

وأما فى صدد القطاع الخاص ، فقد حرصت الورقة على ايتائه ما هو جدير به من أهمية وما يجب أن يحظى به من اهتمام ، بما وجهت الأنظار اليه من أن كل عمل جاد يستهدف التنمية يجب أن يدخل فى حسابه استثمار كل الموارد البشرية ، بالاستفادة من كل مبادرة فردية خلاقة وقادرة على العطاء ، وبتشجيع المدخرات على دخول ساحة الاقتصاد الوطنى ، بعد أن طرحت مبادىء الميثاق من حسابها نظرية التأميم الشامل وقصر الساحة على القطاع العام وحده ٠

واذا كانت ورقة أكتوبر قد ركزت على القطاع العام كقاعدة أساسية للتنمية ، فقد أبرزت أهمية القطاع الخاص بما نادت به من ضرورة الوفاء باحتياجاته وتوفير كل الظروف التى تشجعه على مضاعفة نشاطه الانتاجى ، بعد أن تعاقبت عليه القرارات المتناقضة فصرفته الى الاستثمارات الطفيلية ودفعت أصحابه الى أنماط استهلاكية مسرفة ٠

ورقة أكتوبر والتنمية الاجتماعية

نعتبر ورقة أكتوبر ، من حيث مادتها فى جملتها ، (فلسفة للتنمية ذات وجه انسانى) ٠ واذا كان هذا هو الاصطلاح العالمى الذى يطلق على الجهود التى تعتبر الانسان غايتها الأولى ، فان ورقة أكتوبر لم تتردد فى النظر الى الانسان (رصيدها الأساسى) على حد تعبيرها ، وتعتبره الممثل للمستوى الحضارى من جهة ومستوى التقدم الوطنى من جهة أخرى ٠

وعندما تؤكد ورقة أكتوبر أنه (لا بد أن تلقى التنمية الاجتماعية نصيبها الحق فى استراتيجية الحضارة الشاملة) ، وأن (الحضارة الشاملة لا يمكن أن تكون فنية اقتصادية خالصة ، بل لابد أن تكون اجتماعية فى نفس الوقت) ، فان استيعاب أوجه الحكمة فى هذا الاصرار ، وفيما طرحته الورقة كأهداف للتنمية الاجتماعية ، يقتضينا استعراض بعض جوانب الخلفية التى كانت تفترش ذهن صاحب الورقة وهو يصوغ ويقنن أركانها ٠

ونحن في هذا لن نعود الى بعيد ، اذ يكفى أن نلاحظ أننا فى خلال العشرين عاما الأخيرة كنا منهمكين فى عمليتين أساسيتين ، أولاهما التحرر من السيطرة الأجنبية ، وثانيتهما التمصير سواء من ناحية رأس المال أو الادارة أو العمل • ولقد كانت هاتان العمليتان فى مقدمة ما ركز عليه الميثاق من مبادىء ، كما أنه من الانصاف أن نعترف بأنه كان هناك تطوير دون ريب فى هذين الاتجاهين ، أتاح تكوين قاعدة السيطرة على دعائمهما الفكر المصرى والارادة المصرية •

وعلى طول الطريق الى تكوين هذه القاعدة كان هناك التزام واضح ، اعتنقته القاعدة نفسها بعد تكوينها فى محاولتها تطبيق مبادىء الميثاق ، هو تحقيق عملية جديدة بالغة الأهمية اتخذت لنفسها بدورها اتجاهين أساسيين هدفهما الموازنة بين حاجتين ، أولاهما اشباع مباشر لحاجات الجماهير ، والثانية ارساء القواعد لمستقبل أفضل • وبمعنى آخر ، كان الجيل الحاضر يعمل لنفسه بمشروعات قصيرة الأجل سريعة العائد من جهة ، ويرسم خطط النمو للجيل التالى بمشروعات طويلة الأجل تؤتى أكلها بعد حين من جهة أخرى •

فأما من حيث اشباع حاجات الجيل الحاضر مباشرة وبالمشروعات قصيرة الأجل ، فيمكن القول بأننا قطعنا شوطا لا بأس به على طريق النجاح •

فالعامل والفلاح أصبحا يأكلان ويلبسان ويعيشان بوجه عام على نحو أفضل ، وأفراد الفئات الأخرى أصبح طريقهم الى تحقيق تطلعاتهم أكثر وضوحا مما كان من قبل ، الجميع بين عمال وفلاحين وفئات أخرى أصبحوا يحسون بأن لهم الحق فى العمل والكسب والمشاركة وزيادة الدخل وأداء دور فى المجتمع •

وأما من حيث تحقيق آمال المستقبل بالمشروعات طويلة الأجل ، فصفوة ما يقال هو أنه كانت هناك جهود وتضحيات قابلتها الجماهير بأمل فلسفى وصبر جميل ، ولكنها لم تؤت أكلها أو هى آتت به ولكن على غير ما كانت الجماهير ترجو وتأمل •

كانت هناك مشروعات الحديد والصلب ، والسد العالى ، واستكشاف البترول ، واستصلاح الأراضى ، ومجمعات الصناعات الثقيلة ، ومراكز ومؤسسات الانتاج الغذائى والكسائى والترفيهى • وكانت أهداف هذه المشروعات ليس فقط التنمية الاقتصادية ، بل التنمية الاجتماعية بالدرجة

الأولى ، ولكن ، الى جانب هذه المشروعات الضخمة وغيرها ، كانت هناك في نفس الوقت خسائر ، وانحرافات ، وحاجة ماسة الى الترشيد لوقف التسيب والسلبيات من جهة ، وتحسين السلوكيات من جهة أخرى .

وبدأت تتراقص علامات الاستفهام فوق رؤوس الجماهير . هل نحقق ما كنا نحلم بـه للمستقبل .. ؟ وما الذى لم يتحقق .. ؟ ولمـاذا لم ينحقق .. ؟ وكيف السبيل الى تحقيقه ؟

وتتابعت التجارب لايجاد الحلول . وتتابعت بتتابعها القرارات تلغى أو تعدل أو تضيف الجديد ، حتى أصبحت كشبكة أحاطت بالمواطن من كل صوب ، فراح يدق أبواب وزارات الخدمات حائرا بحثا عن المرفق المسئول . أهى وزارة العمل .. ؟ أم وزارة الصـحة .. ؟ أم وزارة الثقافة .. ؟

وفى حمى تساؤلات المواطنين لأنفسهم (أين نحن) ، اسـتقرت الآراء كلها عند جواب واحد ، هو أن عناصر التطبيق لمبادىء الميثاق لم تكن بالواضحة ولا بالمتكاملة ولا بالمتناسقة ، وأن كل ما صدر من قرارات كان مبعثه اجتهادات فردية متناثرة لا رابط بينها ، وأن كل شىء فى حاجة الى اعادة التقييم ... تقييم للصناعات ودورها فى الانتاج ، تقييم للتعليم ، للخدمات الاجتماعية ، للثقافة ... الخ .

تقييم لكل السياسات التى كانت تستخدم بين كل حين وآخر فى مجال التنمية الاجتماعية للانسان المصرى ، وتقييم للمتغيرات التى شملت العالم ولم نعرها نحن التفاتا ، ولوسائل التطبيق للمبادىء التى رسم خطوطها الميثاق فجمع وأوعى .

وكان السؤال الجديد الذى أصبح يخامر الأذهان فى غلالة من الشك واليأس هو (هل نستطيع ؟) .

وجاءت ورقة أكتوبر لتحيى الآمال بما بشرت به من أننا (ما دمنا قد استطعنا فى ساحة القتال ، فانه يجب أن نستطيع فى كل مجال) .

ولم تقل الورقة (اننـا نسـتطيع) ، بل هى قالت (يجب أن نستطيع) . وبمعنى آخر ، لم نقدم الورقة هـذه (الاستطاعة) أملا مجردا ، بل هى قدمتها فرضا واجبا .

لقد اتخذت ورقة أكتوبر ما بين الريف والمدينة من فوارق اجتماعية مثالا لنواتج سواء التطبيق لأعز مبادىء المبثاق ، الا وهو رفع مستوى

القرية اجتماعيا الى مستوى المدينة ، مما لا يتأتى عن غير طريق رسم استراتيجية شاملة ومحكمة للتنمية الاجتماعية ٠

فى هذا الشأن قالت المادة السابعة من نصوص وثيقة التنمية الدولية (أن الهدف النهائى للتنمية يجب أن يحقق تحسينا مطردا لرفاهية الفرد وأن يعود بالنفع على الناس جميعا ، اذ أنه لو دامت الفوارق فى الامتيازات ، والتباين بين الثروات ، والظلم الاجتماعى ، فسوف تفشل التنمية فى تحقيق غايتها الأساسية) ٠

وبناء على هذا الذى حذرت منه وثيقة التنمية الدولية ، وكبرهان على أن التنمية أيا كانت معدلاتها وأيا كان نصيبها من النجاح لا تعتبر غاية فى حد ذاتها بل وسيلة لهدف أسمى ، نصت المادة الرابعة من دستورنا بتوجيه من مبادىء الميثاق ، على أن الأساس الاقتصادى (لجمهورية مصر العربية) هو النظام الاشتراكى القائم على الكفاية والعدل ، بما يحول دون الاستغلال ويهدف الى تذويب الفوارق بين الطبقات) ٠

وانطلاقا من هذه النصوص السامية أكدت ورقة أكتوبر فى صراحة تامة (أن من حق الأقاليم علينا ، وهى التى ما زالت مصدر ثرائنا القومى الرئيسى ، ومنبع ذخيرتنا البشرية ، الا نتركها تقاسى من آثار ذلك الفاقد المستمر لحساب العاصمة لمجرد أن العواصم بطبيعتها أعلى صوتا وأقرب الى عيون وآذان الحكام ٠

وبهذا النقد المهذب ألقت ورقة أكتوبر الضوء على التباين الفاضح بين القرية والمدينة وبين الريف والحضر ٠

هذا التباين يعتبر ظاهرة عاصرتها كل المجتمعات فى العالم النامى ، حيث تقوم المدينة كمجتمع استقطاب تشتد الحيوية فيه ، وتتسع الفرص لأوفى جزاء فى ظروف أشد راحة وأكثر رخاء ٠ ولكن الظروف تغيرت فى العالم كله ، بحيث أصبحت الهجرة من الريف مصدر قلق تخشى الدول تفاقم خطورته لما يخلق من مشاكل نبهت ورقة أكتوبر اليها بقوة ووضوح ، واقترحت لها حلولا تركت للمخططين تنفيذها وهم يرسمون الخريطة الجديدة لمصر ٠

لقد بذلت فيما مضى ، وعلى نحو جدى منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو باعادة توزيع الأرض على الفلاحين ، محاولات للنهوض بمجتمعنا الريفى وتطويره اجتماعيا ، ولكن تلك المحاولات لم تحقق ما كان مرجوا من الآمال ٠ وليس سرا أن السبب الأول كان مرجعه الى نسيان شاغلى مراكز

القوى وأصحاب السلطة وأولى النفوذ لمساقط رؤوسهم ، وتنكرهم لأهليهم وذويهم ، وتركهم الريف مهملا لا يكاد يحصل على معشار ما كان يخصص لمرافق العمران فى الدولة كلها من أوجه الانفاق ·

وهكذا حدث أنه فى حين كان قانون الاصلاح الزراعى أول ما حققته الثورة تقريبا فى سعيها لرفع مستوى التنمية الاجتماعية فى البلاد ، بردها للفلاح شيئا من اعتباره ، وتحريره من الكثير مما رزح تحته عبر قرون طويلة ، فقد أبت الانحرافات والسلبيات التى سادت البلاد طوال فترة من أقسى فترات ما بعد الثورة الا أن تحول ، ان عفوا وان عمدا ، دون التطبيق المثمر لأحد أهداف الثورة الستة وأحد مبادىء الميثاق فى نفس الوقت ، الى أن جاءت ورقة أكتوبر لتضع للأمور حدا ، ولتوصى عن اصرار مبعثه الايمان بافساح مكان للريف فى خريطة مصر المستقبل ·

ونحن اذا كنا قد اخترنا من ريفنا المنهار صورة تبرز مدى الحاجة الى التنمية الاجتماعية الحقة ، فعلى أساس المبدأ الذى نادت بتطبيقه ورقة أكتوبر من أن استراتيجية العمل التى تنادى بها تهدف أساسا الى تضييق الفوارق بين الطبقات ، ولأن النجاح فى تطبيق هذا المبدأ على النحو المرجو يهيىء للبلاد ، ريفا وحضرا ، فرصة متكافئة للانتفاع بما نوهت به الورقة من سبل النهوض بالتنمية الاجتماعية ·

ولعل أهم ما نوهت عنه ورقة أكتوبر من السبل المشار اليهما ، فى صراحة ووضوح ، « مشكلة التعليم والتثقيف » · ولا مفر من الاعتراف بأننا بقدر ما أسرفنا كثيرا فى مجالات معينة ، بقدر ما قترنا على التعليم والثقافة اللذين كان المفروض أن يعطيانا المحصلة الحقيقية للتنمية المنشودة فى النهاية ·

واذا كانت ورقة أكتوبر قد نصت بحق على أن العلم والثقافة هدفان متلازمان ، ويتطلبان فهما أكثر عمقا مما تعودناه ، كما يستوجبان اعادة النظر فى استراتيجتهما وفلسفتهما ، فلأنهما فى العالم كله على وجه التعميم ، وفى الدول النامية بوجه خاص ، يمران اليوم بأزمة خطيرة مردها ما بدأ ينبثق من تساؤلات مستمرة حول تبرير الأموال الطائلة التى تنفق فيهما ، بالقياس الى العائد منهما ، وما بدأ يثيره الخريجون أنفسهم من شكوك عندما يجدون أنفسهم ضائعين فى سوق العمل ، ويلمسون على الطبيعة الفارق الشاسع بين حقائق الأمر الواقع وبين تطلعات الشباب العريضة · كما تتزايد هذه الشكوك من جهة أخرى ،

عند تقييم اسهام التعليم فى عملية التنمية ، أو دور المتعلمين فى بناء حضارة المجتمعات ٠

أن ما نلمسه اليوم يبرز بقوة انعزال معاهد التعليم عن حاجات البيئة ، وانفصام المناهج والبرامج عن متطلبات التنمية ، والاندفاع المقلق نحو اغراق ساعات العمل المكتبى بفيضان من الزاهدين فى العمل اليدوى٠ واذا كان هناك من سبب فهو اندفاع المجتمع ، تحت ضغط عقد النقص التى أورثتنا اياها عهود الاستعمار الوافد من الخارج والاستعباد الذى كان منتشرا فى الداخــل ، نحو لون من التعليم النظرى خصصت له الحكومات المتعاقبة نسبة عالية من ميزانياتها المحدودة للتوسع فى اقامة المدارس والمعاهد والجامعات التقليدية ٠

ثم ترتب على التهام هذه المدارس والمعاهد والجامعات للجانب الأوفر من ميزانياتنا المحدودة ، أن أصبحنا اليوم أمام متناقضات تعارض ما نص عليه الميثاق والدستور من أن التعليم حق لكل مواطن ، بعد أن انقلب الهرم التعليمى رأسا على عقب بشكل ضيق من قاعدته وأوسع من قمته ، بسبب حرمان الغالبية العظمى من أبناء الشعب من حقهم المشروع فى حد أوفى من التعليم ، وارتفاع الأمية تبعا لذلك الى نسبة مخيفة لمجرد ارضاء رغبات قلة محدودة دون مبرر عادل أو سبب معقول ٠

هكذا استحالت شعارات مجانية التعليم وديمقراطيته الى مجرد لافتات زائفة ٠ ولعلنا نلمس أننا بذلك كنا نمضى بالفوارق بين الطبقات صعدا بدل أن نقضى عليها اذابة أو حتى تضييقا ٠

وصحيح أنه كانت هناك محاولات لاعادة الهرم التعليمى الى وضعه الصحيح ، بقرارات لمحو الأمية تحددت لها أكثر من مدة زمنية ، ولكنها كانت مشروعات على الورق ولا تحقق غرضا ولا توصل الى حل مجد ، فى نفس الوقت الذى واجهت فيه الحكومات الجيش تلو الجيش من خريجين لا يحتاج الى أكثرهم المجتمع ، لتجد نفسها مضطرة الى فرضهم بقرارات رسمية على مختلف الوزارات والمؤسسات ، فحملت الميزانيات أعباء ثقالا ، وأنزلت بأداة العمل أضرارا معوقة ، وتسببت فى رفع تكاليف الانتاج ٠

لهذه الأسباب وما ماثلها حرصت ورقة أكتوبر على سرد عناصر استراتيجية التعليم والتثقيف ، كاستجابة صريحة للشعور العام بالحاجة الماسة الى ثورة اصلاحية جريئة ، بعد أن فشلت كل الوسائل الارتجالية

المؤقتة فى الماضى ، وبعد أن انتهت تلك الوسائل الى تجريح مبادىء الميثاق والدستور ، وعرقلة مجرى التنمية وشل حركة التفكير العام ، وابعاد السواد الأعظم من أبناء الشعب عن الاسهام الواعى المستنير فى مجريات الأمور ، وتمكين الأقلية من التحكيم فى مصائر الأكثرية دون حق أو تفويض .

ولهذه الأسباب أيضا عنيت ورقة أكتوبر بأكثر ما عنيت ، بطرح ما يكفى لاقالة العثرة القائمة حاليا من مبادىء سامية فى تعبيرات صريحة ، مثل (زوال المسافة بين الفكر والعمل ، لايجاد الفرد المتعلم المستنير) ، (عدم صب التعليم فى قوالب واحدة) ، (ربط أنواع معينة من التعليم بالبيئة) ، (توثيق الصلة بين الجامعات والمعاهد على اختلافهـا وبين مواقع العمل) ، (القضاء على فكرة الفارق الاجتماعى بين تعليم وتعليم) . (الأخذ بما أصطلح على تسميته بنظرية التعليم المستمر) ، وهكذا .

بل لقد ذهبت ورقة أكتوبر فى عرضها لمبادىء التنمية الاجتماعية عن طريق التعليم والتثقيف الى ما هو أبعد ، بطرحها مبدأين أساسيين . فالورقة أولا تعتبر أن (الانفاق على البحث العلمى التكنولوجى بمثابة الاستثمار فى صناعة ثقيلة ، لأنه استثمار لا يساعد فقط على التنمية فى المستقبل القريب ، ولكنه يضمن استمرارها وتصاعد معدلاتها فى المدى الطويل) . وهى ثانيا تطلب (أن يستهدف البحث العلمى والتكنولوجى تطويع التكنولوجيا المستوردة للواقع المصرى وأن يكتشف حلولا لمشكلاتنا المحدودة) . وبتلك العبارات المقتضبة بلورت الورقة خلاصة أحدث ما انتهت اليه بحوث المتخصصين من رجال العلم والاجتماع والاقتصاد ، كما لم يفتها التحذير من أن يجعل منا التطبيق عبيدا للآلة ، أو أن نغفل عن تفادى التطبيق العفوى أو الجزافى للتكنولوجيا على نحو يحرمنا من أن نكون سادة أنفسنا .

وورقة أكتوبر لا تخلع هذه الأهمية الكبيرة على التعليم والتثقيف لغاية مجردة ، بل لغرض أسمى هو ايجاد رصيد من القوى البشرية ذات القدرة على تحقيق مطالب البلاد فى التنمية ، بدليل اعتبارها الانفاق فى هذا السبيل (بمثابة الاستثمار فى صناعة ثقيلة) ، مما يجرنا الى القاء نظرة على نوع استخدامنا للقوى البشرية التى قدمها لنا التعليم والتثقيف حتى الآن . ولسوف ترتسم أمامنا صورة مفزعة حقا .

سوف نرى دون حاجة الى حسابات أو تقييم أننا قد أسأنا استخدام هذه القوى • فعندما نلاحظ أن هناك حشدا كبيرا من مهندسى البترول وخريجى كليات الزراعة مثلا لا مكان لهم فى ساحة العمل ، فى نفس الوقت الذى تلح حاجاتنا فيه الى عمال البناء والخبرات الفنية والادارية ، فان ما سوف نستخلصه من هذا لن يكون الا آن هناك خللا فى استخدام الطاقة البشرية التى هى فى الأصل عماد الدولة الأساسى • كما أننا عندما نلاحظ أن الدول العربية فى حاجة ماسة الى مدرسين للغة العربية ، وأننا عاجزون عن سد هذه الحاجة لدرجة المساومة فى عددهم وتوزيعهم مما يعنى أننا لا نملك منهم العدد الكافى ، واننا فى نفس الوقت نقرر أن يعود المعار منهم بعد ثلاث أو أربع سنوات كى يعطى الفرصة لزميل له مما يعنى أن هناك فائضا من المدرسين ، فان معنى هذا بدوره أن هناك خللا فى البناء وفى التخطيط • والخلاصة أن النوعيات التى يجب توافرها غير موجودة ، وأن هناك سوء توزيع للعمالة •

هذه الحقيقة لمستها ورقة أكتوبر • ولم يكن اعتباطا أو رمية بغير رام أن تقول الورقة فى موضع منها أن (لا بد أن تستهدف سياسة التنمية الاجتماعية توفير أكبر قدر ممكن من فرص العمل) ، أو أن تقول فى موضع ثان أن (القوى العاملة التى تزيد عن فرص العمل المتاحة لا بد أن تنظم الدولة ظروف عملها فى الخارج على النحو الذى يحفظ كرامة المواطن ويصون قيمة عملهم ، أو أن تلح فى موضع ثالث فى (أن تتفرغ لجنة عليا لاعادة توزيع العمالة فى كل أجهزة الدولة بحيث لا تبقى أماكن تشكو اكتظاظ العمل وأماكن يشكو المواطنون من تأخير مصالحهم فيها لقلة العاملين) •

وتفاقم أوضـاع العمالة عندنا يجعل من تنفيذ ما تطالب به ورقة أكتوبر مهمة شاقة وخطيرة ، خصـوصا بعد أن عولج الأمر حتى اليوم معالجة أشبه بالهواية ، أن كان قد عولج حقا • والمشكلة أن كانت تبرز كأحد أركان استراتيجية التنمية عندنا فسيكون لها انعكاس واضح على كثير من أركان الاستراتيجية الشاملة التى توصى ورقة أكتوبر بأن تكون الموجه لسياستنا فى التصنيع والزراعة والتعليم والتدريب ، بدل الحلول الأشبه بالمسكنات التى سادت الموقف طوال ما قبـل أكتوبر فـلا هى استأصلت الداء ولا هى قضت على جرثومة التخلف ، بل اكتفت بشعارات خادعة مؤداها أن ميادين العمالة خارج حدودنا كفيلة بامتصاص الزائد عن حاجتنا من الخريجين الى أمد غير محدود ، أو أن سياستنا فى فرض العمـالة الزائدة على وزاراتنـا ستحقق الفرص وترضى طموح المتعلمين وتطلعاتهم •

ورقة أكتوبر والديمقراطية السياسية

من ثنايا ما استعرضناه حتى الآن مما رسمته ورقة أكتوبر لاستراتيجية الغد ، نستطيع أن نرى أن الهدف الذى لا خلاف عليه هو الانسان المصرى الآمن على يومه وغده ، المتمتع بالفرصة المتكافئة ، صاحب الحق السياسى فى بلده دون رادع الا القانون • واذا كانت ورقة أكتوبر قد اتخذت من الانسان المصرى محورا للرجاء والأمل ، فلأنه صاحب الحق فى الاضطلاع بالمهام الأساسية ، وصاحب الحاجة بالتالى الى الظروف المواتية التى تتيح له بالفعل أن يخلق عالمه الأفضل •

وهذه الظروف لن تتاح له ما لم تتح له قبل ذلك حياة ديمقراطية سليمة • واذا كانت ورقة أكتوبر قد طالبت ضمن ما طالبت به أن تتوفر للمواطن المصرى تلك الحياة الديموقراطية ، فلأنها فى الواقع لم تتوفر له بالدرجة الكافية من قبل ، رغم ما نص عليه الميثاق ونص عليه الدستور من كل ما يجعل من الديموقراطية أمرا حتميا •

أن الحقائق العلمية المسلم بهـا فى علـم السياسـة وعالمهـا أن الديموقراطية لا تتحقق بمجرد وجود دستور مكتوب أو وثيقة عليا مهما أطلق عليها من تسميات • ومن المسلم به أيضا فى هذا المقام أن وجود مؤسسات سياسية أو دستورية لا يشكل وحده الضمـان الكافى لقيام واستمرار النظام الديموقراطى • ولذا لم يحظ الانسان المصرى بالحياة الديموقراطية السليمة التى تتيح له صوغ عالمه الأفضل •

لقد هيأت لنا التجربة المصرية عناصر القوة الموصلة الى الديموقراطية السياسية فى مجموعة من القيم والعلاقات كان المفروض أن تكون ضمير المستقبل وحكمه • فمن هذه العناصر أولا الادارك العميق واليقظ لأهمية التنمية الشاملة كقضية حياة أو موت ، وثانيا الادراك بأن هدف التنمية النهائى يجب أن يكون خدمة القاعدة الاجتماعية الأوسع ، وثالثا الرؤيه الواضحة لدور القاعدة الشعبية باعتبارها أداة صنع المستقبل التنفيذية ، ورابعا الوعى الكامل بأننا جزء من العالم ولسنا فيه مجرد موقع أو مكان •

ولكن عناصر القوة هذه سارت الى جانبها عناصر قصور حالت عن حسن أو سوء نية دون بلوغ الهدف ، منها أولا المفارقة ما بين الديموقراطية الاجتماعية والديموقراطية السياسية التى لم يتحقق لها الكثير ، وثانيا المفارقة بين حق الفرد أو الصفوة فى الاختيار السياسى نيابة عن الأمة وحق

الأمة فى الزام الفرد أو الصفوة باختياراتها ، وثالثنا المفارقة ما بين القدرة الهائلة لمؤسسات السلطة التنفيذية ، والحرمان من ثقل مناسب تنـاله مؤسسات التمثيل الشعبى والسياسى ·

وفيما بين عناصر القوة وعناصر القصور ، وبعد ما انتهت اليه التجربة المصرية من الافتقار الى الديموقراطية السياسية الحقة التى تطالب بها اليوم ورقة أكتوبر ، يثبت لنا بالقطع أنه (لا ديموقرطية بدون ديموقراطيين ··) وأن الديموقراطيـة تتطلب كشرط مسبق وأسـاسى أن تكون السلطة السياسية وديعة بين أيدى من يؤمنون بها ويدافعون عنهـا ، وأن يكون مسند السلطة فى الأمة هو ارادتها ومشيئتها النابعة عن الأمة بأسرها وليس عن قطاع خاص تحتكره مجموعة معينة عن اعتقاد باطل بأن كراسى السلطة حق مكتسب لها ·

كل هذا آمنت به ورقة أكتوبر كما يمكن ان نستشف من بين سطورها فى أكثر من موضع · وكل هذا رسمت له الورقة العلاج الحق فى أهداف عشرة تعطى لقوى المجتمع متحالفة حقها السياسى دون خوف من انقضاض قوة على أخرى · فالورقة تلزمنا بالحفاظ على الاتحاد الاشتراكى اطارا لحوار قوى المجتمع السياسية ، ولا تحول دون أن يكون للرأسمالية الوطنية منبرها وبرنامجها داخل التحالف ، بل هى لا ترى بأسا فى أن يكون لقوى الشعب الأوسع منابرها وبرامجها أيضا على أن يكون ذلك بالحوار وليس بالانابة ·

وفى نفس الوقت ، توصى ورقة أكتوبر بأن يتهيأ لمؤسسات التمثيل الشعبى ، وهى الاتحاد الاشتراكى ومجلس الشعب ، دور أكثر توازنا مع مؤسسات السلطة التنفيذية . وأن يتحقق للمثقف المصرى دور المشاركة عن طريق المجالس القومية ، ليس فقط كمجرد خبرات مجمعة وانما أيضا كأجهزة استقبال لتطلعات مختلف طوائف الشعب التى تنظمها النقابات ، حتى تكون بمثابة لجان مركزية لمؤتمرات المهنيين كل فى تخصصه ، وحتى يتحقق ما هو مرجو من التواصل بين التخطيط وحقائق الواقع ·

ورقة أكتوبر وسيادة القانون

لقد فطر الانسان على عشق الحرية ·· تسكره رياحها ، ويشعر فى ظلها بمثل تباشير دفء الربيع ، وتقوى فى نفسه بفضلها عوامل الأمل ·

ولقد تتطلب الحرية خيالا لارتياد آفاقها ، ولكنها لا تقوم بالقطع على

الأوهام · فلكي يحلق المجتمع على جناح الحرية في السماء ، لا بد أن ترتكز حريته الى قاعدة راسخة فوق الأرض ·

واذا كان من المؤكد أن انتهاك حرية الانسان لا يحتمل التبرير في أى ظرف وبأية دعوى ، فانه في نفس الوقت يتعارض مع كل المثل المعصرة ، ومع كل نظريات وفلسفات التحرر على اختلاف محتواها الاجتماعى ، ولعل هذا وأمثاله كان السبب في واحد من الفلسفات الست التى قامت عليها ثورة ٢٣ يوليو وهو اقامة مجتمع حرصت الثورة على أن تقرن فيه الكفاية بالعدل · وبهذا جعلت الثورة من العدل ركيزة للحرية فوق الأرض أودعت ميزانها ، كما هو الحال في كافة المجتمعات قديمها وحديثها وأيا كانت مبادئها ، بدا واحدة هى يد القانون · ولعلنا نلاحظ بذلك مدى الرابطة التى لا انفصام لها ، والتى توثق ما بين الحرية وسيادة هذا القانون · فهل حظى القانون دائما بسيادته هذه ؟ ·

أن ما من واحد فينا الا ويكتنز في ذهنه صورة أو أكثر من صور انتهاك القانون ، أو الشرعية ، أو حرية الانسان · وما من واحد فينا الا ويعلم أن سجون أجهزة القمع ومعتقلات السياسيين وغرف الاستجواب لم تخل من جرائم اكتشف بعضها ولم تكتشف خبايا بعضها الآخر بعد · وأن حينا من الدهر غير بعيد أتى على مصر لم يكن المواطن المصرى فيه يشعر بأمن من أى نوع على نفسه وماله بدعاوى ظاهرها الحفاظ على مسار مبادىء الثورة وباطنهـا التشبث بمراكز القوى · ظاهرها الايجابيـة وباطنها السلبية · وهي حقيقة دفعت الرئيس أنـور السادات الى اجراء حركة التصحيح على أسس جوهرها ازاحة مراكز القوى (حفاظا على ايجابيات الماضى وتصحيحا لسلبياته) واذا كانت سنوات الهزيمة قد حالت دون السير في الأمر قدما لسبب أو لآخر ، فقد جاءت ورقة أكتوبر بعد النصر ، وبعد أن عرف الشعب نفســه ، لتلقى بزمام الأمور جميعا في يد هــذا الشعب ، دون أن تضن عليه بالأضواء التى تمكنه من التخطيط لاستراتيجية شاملة ينهض عن طريقها بشأن نفسه الى حيث يجب أن يكون ·

ترفض ورقة أكتوبر رفضا قاطعا الوقوف عند حد تنحية مراكز القوى عن الطريق ، وتنادى بانطلاق حركة التصـــحيح (الى تحقيق جوهرها الأهم ، بالعمل على ارساء سيادة القانون ، واعزاز كلمة القضاء) ·

وقصة شجب سيادة القانون ودحر كلمة القضاء تقدم صورة من أكثر صور الانحراف ودوس الحريات شناعة في العهد الأخير ، كانت ولا شك في ضمير صاحب الورقة بتفاصيلها المزرية ، كما كانت الدافع

الى اعتباره سيادة القانون واعزاز كلمة القضاء جوهرا لحركه التصحيح هدفه اقالة عثرات قضاء الحريات ٠

ونحن اذا تحدثنا عن قضاء الحريات فانما نعنى بذلك القضاء الادارى لمجلس الدولة ، فقد كانت المحاكم العادية منذ قيام القضاء عام ١٨٧٥ والقضاء الأهلى عام ١٨٨٢ ممنوعة بموجب قوانين انشائهـا من تأويل قرارات جهات الادارة ومن وقف تنفيذها أو الغائها ، ولم تكن نملك ازاءها غير الحكم للمضرور بتعويض لم يكن مهما بلغ مقداره بالوسيلة المثلى لكفالة الحرية الشخصية أو الحريات عموما ٠

كان يكفل هذه الحريات ويصونها تخويل القضاء ولاية الغاء القرار الادارى اذا كان فيه انتهاك أو تهديد لهذه الحريات ٠ وكان مجلس الدولة قد اضطلع بممارسة هذه الصلاحية منـذ انشائه عام ١٩٤٦ الى جانب صلاحياته الأخرى فى الافتاء والتشريع ٠ وكان لأحكامه التى استهل بها عهده فى حماية حقوق الموظفين والهيئات صدى بث الطمأنينة والارتياح فى نفوس جميع فئات الشعب ، بما جعل منه ملاذا لكل لاجيء وحصنا حصينا للحريات ٠ بل لقد بلغ سلطان مجلس الدولة الى حد بسط رقابته على القوانين الصادرة عن البرلمان والسلطة الشرعية ، فقضى فى أحكام متتالية خالدة ترجع الى عام ١٩٤٨ باختصاصه بفحص القوانين من ناحية ومطابقتها لأحكام الدستور شـكلا وموضوعا من ناحية آخرى ، نصـا وروحا ٠ حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو لتفتح بقيامها الثغرة التى حسمت فتحها المتغيرات والتى تسللت خلالها مراكز القوى تنشر بين الناس أوبئتها ٠

ولسنوات عدة كانت هناك شرعيتان متناقضان ٠ شرعية كانت وظلت فى ظل الدستور الملكى قائمة ، وشرعية الثورة التى تحولت الى حركة تغيير شاملة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ٠ ولقد أدرك مجلس الدولة ذلك من أول الأمر ، فحاول جاهدا التوفيق بين الشرعية القائمة ومتطلبات الحركة الجديدة ٠ ولم يكن التوفيق سهلا وسط سلسلة المتناقضات ، وفى ضرورة التقيد بمواد الدستور الملكى بما كان له من شرعيته وقدسيته ، فى مواجهة ثورة تبغى الابقاء على نفسها وترفض بطبيعتها القيود والحدود ٠

ووجد مجلس الدولة حلا مؤقتا لذلك فى ازدواجية التشريع ٠٠ تشريع عادى يصدره مجلس الوزراء فى شكل مراسيم وقوانين منسوبة خطأ أو صوابا الى ما نص عليه الدستور الملكى فى صدد التشريع فى غياب البرلمان ، ثم استنادا الى نظرية الضرورة بعد اعلان سقوط ذلك الدستور ،

وتشريع آخر ثورى فى صورة (أوامر) أو (بيانات) كانت تصدر عن مجلس الثورة أو من القائد العام للقوات المسلحة وتعتبر بطبيعتها ومن حيث مصدرها بمنأى عن الرقابة القضائية فلا سيادة للقانون عليها ·

ونستدرك فنقول ان ما كان يصدر عن الثورة كان أمرا محتوما · فالثورة كان يجب أن تحمى نفسها أولا ، وتطبق المبادىء التى قامت عليها ومن اجلها ثانيا · ولذا لم يكن هناك مفر من تغاضى القانون عن أوامر وبيانات الثورة رغم ما كان لها من أثر بالغ الخطورة فى حياة البلاد ، كاعلان سقوط دستور ١٩٢٣ فى ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ ، واعلان حل الأحزاب والهيئات السياسية فى ١٧ يناير ١٩٥٣ ، واعلان الدستور المؤقت لفترة الانتقال فى ١٠ فبراير ١٩٥٣ ، واعلان النظام الجمهورى وسقوط حقوق أسرة محمد على فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ ، واعلان مصادرة أموال الملك السابق فى سبتمبر ١٩٥٣ ، واعلان مصادرة أموال أفراد الأسرة المالكة السابقة وممتلكاتهم فى ٨ نوفمبر ١٩٥٣ ، وغير ذلك من اعلانات حتمت الثورة صدورها كى تشق بها الطريق الى غاياتها ، الى أن جاء أخيرا اعلان الدستور المؤقت فى ١٠ فبراير ١٩٥٣ ليقرر (أن يتولى قائد الثورة فى مجلس قيادة الثورة أعمال السيادة العليا ، وبصفة خاصة التدابير التى يراها ضرورية لحماية الثورة والنظام القائم عليها لتحقيق أهدافها) ·

واتسعت الثغرة التى أتاحت لبعض القوى وسائل الانحراف ، فقد كان معنى هذا بلغة القانون أن تلك التدابير لا تخضع لرقابة القضاء من حيث امكان طلب الغائها أو حتى استحقاق التعويض عنها ، رغم ما كان القضاء قد استقر عليه سابقا من أن الحرمان من الالغاء والتعويض معا أمر لا تملك السلطة التنفيذية فرضه حتى ولا بقانون ، والا كان ذلك القانون باطلا لمخالفته للحق الطبيعى الذى كفلته جميع الدساتير ، وهو حق الانتصاف باللجوء الى القضاء

وهكذا أقر المجلس مستسلما صحة العديد من القوانين المانعة من حق التقاضى ، أو التى أخرجت من ولايته القضائية رد الحقوق المهدرة الى أصحابها واسندت التظلم فيها الى جهات لا يتوافر لها ما يتوافر للتقاضى أمام جهات القضاء فضلا عن أنها نفس الجهات التى أهدرت الحق مما يجعل منها خصما وحكما ·

وهكذا ، وسط تغول السلطة الادارية وتصاعد نفوذها وجبروتها ، وانكماش الحماية القضائية وضمورها ، ضاعت الشرعية وتبخرت سيادة القانون ، وتحكمت النزوات والاهواء ، وانتهكت الكرامات والحريات ،

وحرست أو صودرت الأموال ، وضربت القيود على الحقوق بل وتم تسليم قدسية القضاء ذاته من الاعتداء لدرجة أنه أمكن بجرة قلم احالة العديد من خيرة رجاله الى التقاعد وعلى نحو لم يسبق له بدوره مثيل .

وعندما تنصح ورقة أكتوبر بأنه (لا بد أن يزول الخوف ، وأن نخمد بذور الشك ، وأن تتراجع الحزازات والأحقاد ، وأن يحس كل فرد أنه آمن على يومه وغده ، وعلى نفسه وأهله ورأيه وماله) . عندما تنصح الورقة بهذا فانما تقصد بذلك دون شك ما عرف باسم (الحراسات) التى أنزلت أفدح الضرر بالفرد وأهله وماله . وأفقدته الشعور بالأمن على يومه وغده ، بعد أن ابتدعتها مراكز القوى اضطرارا فى أول الأمر ثم تنفيذا لمخططها فى العمل على تقويض وحدة الأمة بدافع من الحزازات والاحقاد .

ويبرز فداحة شأن الحراسة هذا ، منذ فرض فى أكتوبر ١٩٦١ وما تلاه من حراســات على الأموال والممتلكات ، لو علمنا أنه طبق على ١٥٥٨ر١٥ حالة تأثر بها ما يربو على عشرين ألف نفس بين رجال ونساء وشيوخ وأطفال . ثم يبرز مدى مخالفة هذا النظام لروح العدالة والانصاف لو علمنا أنه حتى الدول المعادية لنا وجدت من العدالة والانصاف رادعا عن فرضه علينا .

فالتاريخ يروى أن الجنرال مكسويل ، عقب اعلان الحماية على مصر أثناء الحرب العالمية الأولى وبصفته حاكما عسكريا ، فكر فى فرض الحراسة على أموال وممتلكات أسر بعض من شايعوا الخديو السابق عباس من المصريين فنفوا الى خارج البلاد ، مستندا فى ذلك الى ما أتبع أزاء رعايا دولتى ألمانيا والنمسا ، ولكن حسين رشدى باشا ، رئيس الوزراء وقتذاك ، اعترض أستنادا الى أن الحراسة بمفهومها فى القانون العام لا تفرض الا على رعايا دول الاعداء وفى حالة الحرب ، وأن المصريين لا يعتبرون أعداء لبلادهم .

والتاريخ يروى أن الجنرال اللنبى طلب فى عام ١٩٢٢ فرض هذه الحراسة على أموال وممتلكات سعد زغلول وأصحابه الذين نفوا الى جزيرة سيشل . ولكن لويد جورج ، رئيس الحكومة البريطانية فى ذلك الوقت ، رفض ذلك استنادا الى نفس المبدأ مما دعا السلطة العسكرية الى الاكتفاء بالتحفظ على حسابات البعض فى المصارف والبنوك لفترة انتهت بالافراج عن المنفيين فى سبتمبر ١٩٢٣ .

ولهذين السببين على الأقل كانت الحراسة التى فرضت عام ١٩٦١ لا تعدو بدعة سياسية ما أنزل القانون بها من سلطان ، لسبب واضح

ومنطقي هو أنه لأول مرة فى تاريخنا يفرض المصرى الصميم هذا النظام المقيت على ابن جلدته المصرى الصميم ، وكأنه عدو ، كى يجد من فرضت عليه الحراسة نفسه مع زوجته وأبنائه محروما بين عشية وضحاها من كافة وسائل العيش وأسباب الحياة ٠

وحتى السادس من أكتوبر ، رغم محاولات التصفية لأكثر من مرة ، ظلت الحراسات على الأموال والممتلكات قائمة بمآسيها ومخازيها التى كشفت عنها لجنة الاقتراحات البرلمانية فى تقريرها الخطير بمجلس الشعب ، ورغم أن ما انتهت اليه هذه اللجنة كان يدين فى صراحة تامة نظام الحراسة على الأموال والممتلكات ٠

قالت اللجنة فى تقريرها أنه (حينما صدر دستور ١٩٦٤ كان من المعين تصفية نظام الحراسات ورد الأموال والممتلكات الى أصحابها فى حدود ما نص عليه الميثاق ، غير أن مراكز القوى فى ذلك الوقت والتى كان تتبوأ برئاسة الوزارة ، رأت أن خير تصفية الحراسات هى مصادرة الأموال بالقانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٦٤ الذى انعقد قبل انعقاد مجلس الأمة مباشرة ٠ وترى اللجنة ان هذا القانون قد جاء مخالفا للدستور ، بل لجميع المبادىء الدستورية التى أجمعت على حماية الملكية الخاصة) ٠

ثم قررت اللجنة أنه (اذ ينص دستور مصر الدائم على حماية الملكية الخاصة مسترشدا فى ذلك بالميثاق الذى سبق صدور هذا القانون ، فان اللجنة ترى أن هذا القانون باطل ويتعين الغاؤه والغاء كل ما ترتب عليه من آثار وأوامر وقرارات) ٠

ويجرنا ما نبين من بطلان القانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٦٤ الى التنويه بما كان عليه الكثير من القوانين من فوضى أساءت الى سمعة التشريع فى البلاد ، مما دفع ورقة أكتوبر الى الحث على (وضع الضوابط التى يعرف المواطن من خلالها حقوقه وواجباته بوضوح ، ويمارسها فى طمأنينة) ٠

استجابة لأهواء مراكز القوى ، لم يكن التشريع يتفق فى الشكل ولا فى المضمون مع سمو رسالته وجسامة مسئوليته ، أو يصدر بهدف تحقيق مصلحة عامة عن طريق تنظيم أحوال المجتمع الذى يخاطبه وتسوده أحكامه ٠ والى جانب العبث الفاضح الشائن الذى قضى على مستقبل مواطن ضابط ، والبطلان الواضح فى القانون ١٥٠ لسنة ١٩٦٤ سالف الذكر ، حفلت تشريعات ما قبل السادس من أكتوبر بالكثير من الحالات حلا فيها لأصحاب الأمر والنهى أن يعفوا أنفسهم من رقابة القضاء ، وحرمان أفراد

الشعب بالتالى من ضمانة أساسية يدافعون بها عن حق مسلوب أو ظلم نزل بهم ، كما فيما تضمنته بعض القوانين من تحصين قرارات فصل الموظفين بغير الطريق التأديبى من رقابة القضاء على مشروعيتها ، وما جرى من هذا القبيل فى شأن قوانين وقرارات الحراسات التى سبق أن أشرنا اليهـا ٠

وزاد من الأمر سوءا على سوء ، صدور التشريعات بتوجيه من فئة بعيدة عن روح العدالة والقوانين هى التى كانت تحتل مراكز القوى ، وبأسراف تمشى مع تقلب نزواتهم وتصاعد مطامعهم وتشعب أهوائهم ، حتى لقد بلغت التشريعات التى صدرت فى عام ١٩٥٥ ستمائة وخمسين قانونا بخلاف مائة وواحد وثلاثين أمرا عسكريا ٠ ونحن لو عرفنا أن ما صدر من التشريعات بعد ذلك بخمس سنوات ، وفى عام ١٩٦٠ ، بلغ مائتين وثمانية وأربعين قانونا بالاضافة الى ألفين ومائة واثنين وثلاثين قرارا جمهوريا ، للمسنا كيف أن الاسراف فى اصدار التشريعات كان متصلا على نحو تاه فى تلافيفه المواطن وضاعت بين ثناياه حقيقة المقصود من التشريع بسبب ما كان يعقبه من الغاء أو تعديل بالحذف أو الاضافة ٠

بل تعدى العبث بالتشريعات ، الى الجانب السياسى من حياة الفرد ، واحدا من أعز أركان الحرية هو حرية الرأى ، الأمر الذى ندد به الرئيس أنور السادات فى ورقة أكتوبر بقوله (اننى أؤمن بأنه لا معنى للحرية السياسية بالنسبة للجائع الذى يضطر الى بيع صوته فى الانتخابات ، ولكنى أؤمن أيضا بأنه لا جدوى للقمة العيش اذا فقد الانسان أهم ما يميزه وهو الحرية السياسية) ٠

لقد صدر الميثاق ليكون بمثابة عهد أو اتفاق بين مختلف قوى الشعب على أن تعيش معا فى سلام ، داخل اطار حوار ديموقراطى هدفه الوصول الى تذويب الفوارق بين الطبقات ، وقد اتفقت هذه القوى على أن الحل الاشتراكى هو الحـل الحتمى المحقق للهدف ٠ ومن هنا يختلف الاتحاد الاشتراكى عن التنظيمات السياسية الأخرى فى أنه تنظيم ديموقراطى يقوم على الانتخاب ، وأنه منبر لآراء مختلف قوى التحالف وليس رأى طبقة بعينها من مختلف طبقات الشعب ٠ فهل تركت مراكز القوى لتحالف قوى الشعب حريته السياسية فى ممارسـة حرية رأيه داخـل الاتحاد الاشتراكى ؟ ٠

لقد تحولت عضوية هذا الاتحاد السامى الغرض ، وهى اختيارية أصلا ، الى نوع من العضوية الاجبارية نتيجة ادخال صيغة تكاد تكون

واحدة على كل قوانين النقابات المهنية ، هى أن العضوية العاملة شرط للترشيح لمجالسها • بل لقد تطرف القانون الخاص بنقابة المهن الزراعية مثلا فاعتبر العضوية العاملة شرطا لحضور جلسات الجمعية العمومية ، وللترشيح لمجالس التشكيلات النقابية العمالية والجمعيات التعاونية الزراعية •

وقانون تنظيم الصحافة ، الصادر فى ظل الاتحاد القومى ، وهو تنظيم سياسى يختلف مفهومه عن الاتحاد الاشتراكى ، ظل حتى السادس من أكتوبر يتطلب الحصول على ترخيص من الاتحاد الاشتراكى لمزاولة مهنة الصحافة دون الاكتفاء بالقيد فى نقابة الصحفيين ، كما ظل فى حاجة الى الحصول على ترخيص باصدار جريدة دون الاكتفاء بالشروط التى يفرضها قانون المطبوعات •

وحتى قانون مجلس الأمة السابق لم يكتف بالعضوية العاملة فى الاتحاد الاشتراكى كشرط للترشيح ، بل ذهب الى المطالبة بتقديم شهادة بذلك دون اكتفاء ببطاقة العضوية •

والتطلعات الشعبية لا يخمد أوارها فى النفوس عن رغبة فى الانتماء أن لم يكن الى مجلس الأمة فالى الصحافة أو مجالس النقابات • واذا كان الطريق الى أى منها بابه العضوية العاملة فى الاتحاد الاشتراكى ، فلا مفر من العضوية الجبرية فى الاتحاد الاشتراكى ، والاتحاد تحت سيطرة مراكز القوى ، وقبول العضوية مشروط بقبول ما تقبله مراكز القوى ورفض ما ترفضه • والنتيجة أن تنطلق الأفواه فى مجلس النواب ومجالس النقابات ، والأقلام فى الصحافة ، مرددة ما تريد مراكز القوى ترديده عن مشايعة تكسب منها الأفواه والأقلام أو على الأقل لا تضار ، فالمضرة لن تقع الا فى حالة واحدة هى ابداء صاحب الرأى لرأيه الحقيقى •

ولا نقول أن هذا كان شأن كل أعضاء مجلس الأمة أو مجالس النقابات أو ساحة الصحافة ، ولكن على هذا النحو كان عدد كبير من الأعضاء فى الميادين الثلاثة • وعلى هذا النحو بالتالى انفتح الباب على مصراعيه للنفاق السياسى ، وأصبح من المألوف أن يكون لنفس الشخص رأيان ، أحدهما معلن فى الاجتماعات العامة يتشدق بالاشتراكية وحقوق الجماهير وبأنه ليس فى الامكان أبدع مما كان ، والآخر وقف على المجالس الخاصة لا يكف عن الانتقاد • كما أنه على هذا النحو أصبح اصطلاح حرية الجماعة شعارا زائفا اختاره الطغاة لخنق حرية الفرد ••

وبسبب هذه السلبيات فى نظام الاتحاد الاشتراكى والتى مس تنظيمه ، بل ومفهومه • فقد شفع الرئيس محمد أنور السادات ورقة أكتوبر بورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى وقدمها الى الأمة فى أغسطس ١٩٧٤ •

وعلى ضوء ما ورد بهذه الورقه بزغت ظاهرة صحية تعبر عن حرية الرأى وحرية الفكر ، بين الفئات التى تناولتها بالمناقشة والاستماع والنقد • وفى هذا المجال ترددت فى مصر نغمة لم يسمع بها شباب الثورة وتوارت تحت الانقاض منذ زمن ، تلك هى نغمة احياء تشكيل الأحزاب ، وتحويل الاتحاد الاشتراكى الى حزب اشتراكى • سواء باطلاق حرية تكوين الأحزاب السياسية ، على العموم ، أو بالتمسك بتكوين حزبين فقط بغرض وجود الرأى المعارض دائما ، لترشيد المجتمع الى أخطائه •

ورقة أكتوبر وتطبيق المواثيق الأساسية

بورقة أكتوبر ، بعد أن أدلى الشعب برأيه فيها على نحو الذى افتتحنا به هذا الفصل من كتابنا ، تخرج الى حيز وجودنا وثيقة تحكم سياستنا المستقبلة ، وعهد بالانجاز والممارسة يلتزم به المواطنون كما تلتزم به أجهزة الدولة •

لقد كانت مواثيق الثورة التى صدرت قبل ورقة أكتوبر تخضع لظروف العمل الوطنى ، ماضيه وحاضره ومستقبله ، وترسم الطريق أمامه • أما ورقة أكتوبر فتتميز بأنها تنظر الى ظروف العمل الوطنى نظرة أعم وأشمل ، وتعتبر أن كل عمل وطنى داخل أية دولة من الدول ، والظروف الدولية المحيطة بالدولة ، لم يعد قادرا على أن يتجاهل ما يجرى حوله من متغيرات ، بعد أن أصبح للقوى الخارجية عسكريا وسياسيا واقتصاديا دورها الأساسى فى العلاقات الدولية المباشرة وغير المباشرة ، وبعد أن لم تعد أية دولة تملك العيش بمعزل عن هذه الظروف ، أو أن تتغاضى عن المواءمة بين حركتها فى كافة المجالات وبين حركة الدول الأخرى القريبة والبعيدة على السواء •

ومن هنا تبرز الميزة الكبرى لورقة أكتوبر • فهى ان كانت قد عرضت على وجه الدقة ظروفنا وامكانياتنا ، وأكدت أن مصر تعتبر (قوة اقتصادية وسياسية وعسكرية لها وزنها ويعمل حسابها) ، فهى لم يفتها شرح المتغيرات كما لم يفتها رسم الطريق لها فى اطار الحفاظ الكامل على مبادئنا النابعة من وحى اخلاقياتنا •

ومن جهة أخرى ، اتسم عرض المسائل الشائكة المعقدة التى حوتها ورقة أكتوبر ، كورقة عمل ، بالصراحة والشجاعة والنقاء التام من الحساسيات ، دون محاولة للتحلل من المسئولية عن أخطاء الماضى ، أو تردد فى تأكيد العزم على تصحيح ما فسد وتقويم ما أعوج منذ بدء التجربة الثورية عام ١٩٥٢ ٠

وبنفس الصراحة والشجاعة مضى الأفراد ومضت أجهزة الدولة فى تطبيق مبادىء ورقة أكتوبر ، فسقطت قرارات فرض الحراسة على الأفراد ، والغيت الرقابة على الصحف ، وفتح باب القصر الجمهورى لكل تظلم ، وبدأت اعادة النظر فى وضع الاتحاد الاشتراكى ، وباختصار ، بدأ (التطبيق) السليم لمبادىء الميثاق وبيان ٣٠ مارس فى ضوء المتغيرات الجديدة ، بعد أن عبثت مراكز القوى بكل مبدأ تقريبا ٠

تقول الورقة على لسان الرئيس محمد أنور السادات (ان شعبنا بالغ رشيد لا يحتاج لوصاية أحد) ٠ ولقد بادر الشعب بالبرهنة على صحة رأى الرئيس ، بمبادرته الى ارساء القواعد ، والتخطيط للاستراتيجية الشاملة التى رسمت صورتها فى الأذهان ورقة أكتوبر ٠

القسم الخامس

على أبواب الجَولة الخامسَة

الفصل الأول

النضال السلمي

حى على السـلام

السلام كالحرية ٠٠ يؤخذ ولا يعطى ٠

والسلام هو الحق ، سبحانه وتعالى ٠٠ والانسـان من روح الله ، فيها أيتها الحروب ، كم من الأرواح زهقت بسببك ؟!

« والاستراتيجية » هى الأهداف العليا ٠٠ أما « التكتيك » فهو الوسائل اللازمة للوصـول الى هذه الأهداف والتى يلزم لتحقيقهـا الايمان بها مع سرعة الحركة ومواكبة الظروف والمرونة المطلقة ، لمجابهة المواقف بجرأة وشجاعة ومقدرة ٠٠ هذا بجانب سرعة المناورة والصبر على تحمل مشاق الطرق الوعرة ٠ ولايمكن أن تتحقق الأهداف دفعـة واحدة ، بل يلزم لتحقيقها التمسك بعنصرين أساسيين هما : الوقت والصبر ٠

ولم تخرج هذه المبادىء ، عن بعض الصفات التى كان يتسم بها الرئيس السادات المخطط لاستراتيجية السلام المصرية ، والذى اختار طريق الحرب لفتح السبيل نحو السلام العـادل الدائم لمصر وشعوب المنطقة ، واسترداد حقوق شعب فلسطين ، والقضاء التـام على مشاكل الشرق الأوسط ٠

استراتيجية السلام المصرية

تقول الحكمة الصينية القديمة :

« رحلة الألف ميل ، تبدأ بخطوة واحدة » ٠

وكما يقول المثل التركى :

« طالما أنت تمشى فالطريق لاينتهى » ٠

أما اذا توقفنا عن السير وانتابنا الخوف أو أجبرنا على الخوف ، فان التوقف فى منتصف الطريق ، أشبه بمن يسير وهو واقف ويدور حول نفسه ٠

ولذلك ، بدأ الرئيس السادات التحرك ، باسم الشعب المصرى الذى يؤيد ويدعم موقفه ــ للخروج على السلبية السياسية ، التى يدور

حولها كثير من أصدقاء مصر ، الذين ينادون بشعارات براقة ، ويتسترون بغباء الماضى ويدورون حول أنفسهم دون أن يحققوا هدفا يخرجهم من مشاكلهم ·

فقد ظلوا سادرين فى حوارات جوفاء بلا طائل ، ولم يفكروا أبدا فى تخطى حواجز التخلف التى انكسرت منها زوايا الرؤية الصحيحة حتى نسوا ــ أو تناسوا ــ فضائل مصر ·

وكان على مصر ؛ أن تتحرك بحرية ومرونة دون أى معوقات أو خوف ·

ووضعت مصر خطة العمل السياسى المكثف الشاق ، بكل صراحة رئيسها السادات وصدقه ووضوحه وقوة ايمانه بالحق والعدل ·

وتتلخص عناصر الموقف المصرى لتحقيق الأهداف العربية فى :

١ ــ أن تكون التسوية شاملة ·

٢ ــ أن تستعيد الشعوب العربية ، جميع أراضيها المحتلة منذ عام ٦٧ ·

٣ ــ أن تضمن حقوق الشعب الفلسطينى ، باعتبار أن المشكلة الفلسطينية هى جوهر النزاع ·

٤ ــ أن تتيح لجميع دول وشعوب المنطقة ، أن تنعم بالأمن والأمان داخل حدودها ·

وانطلاقا من نصر أكتوبر المبين ، ارتكزت استراتيجية السلام المصرية ، على أسس وخطوط واضحة هى :

١ ــ دعم القوة الذاتية المصرية ماديا ومعنويا ·

٢ ــ كسب الرأى العام العالمى الى جانب مصر ·

٣ ــ تشجيع الاتجاهات التى تتمشى مع الجهود المصرية الصادقة من أجل السلام العادل والشامل ·

٤ ــ تحقيق المشاركة الكاملة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية ، الذى كان طابع مواقفها الدولية ، التحيز الكامل للمواقف الاسرائيلية ·

٥ ــ تجاوز الخلافات الناشبة فى العالم العربى التى تعوق مسيرة السلام ·· تلك المسيرة التى تؤدى بالأمة العربية الى كل ماتصبوا اليه من أهداف ·

استقطاب القوة المؤثرة

من المسلم به ، أن الولايات المتحدة الأمريكية ، تساند اسرائيل فى جميع عناصر بقائها ، حيث شاءت الصهيونية العالمية أن تكون .. لأنها الحليفة المفضلة التى ترتبط بها بقران أبدى لا انفصام فيه ..

ومن نافلة القول ، أن يتخيل أى سياسى محنك ، أنه من الممكن أن تتخلى الولايات المتحدة الأمريكية عن اسرائيل ، أو حتى تدير ظهرها اليها ، لأن الاعتراف الدولى بدولة اسرائيل ، قد أوجدها على خريطة منطقة الشرق الأوسط .

وذلك ما تعلنه دائما وتجاهر به الولايات المتحدة الامريكية فى كل وقت ومكان . وهو ما صرح به الرئيس الأمريكى الراحل جون كيندى فى كتاب استراتيجية السلام (عام ١٩٦٠) ، فجـاء رأيه فى موقف دول الشرق الأوسط ، كالآتى :

(ان طبيعة الشرق الأوسط فى الأجيال القادمة سيحددها عامل لم يكن موجودا منذ قرن مضى ، وهو دولة اسرائيل . ولقد حان الوقت الذى ينبغى فيه أن تدرك المنطقة ودول العالم ، أن اسرائيل قد وجدت لتبقى . ويجب أن تشمل كل المفاوضات بين الولايات المتحدة والعرب هذه الحقيقة) .

ويقول الرئيس السادات :

(فى حرب أكتوبر وضحت الحقيقة وهى أن القوتين العظميين فى هذا العالم لن يسمحا بأن يتغير الوضع قبل اسرائيل) .

وعليه ، ومن نفس هذا المنطلق ، تأسست رؤية الرئيس المصرى محمد أنور السادات عند شق الطريق نحو السلام الشامل الراسخ . واستند التحرك المصرى الدولى ، على هذا العامل ، الذى يمثل واقعـا لايمكن تجاهله أو اسقاطه ، لتحقيق استراتيجية السلام المصرية .

مسيرة مبادرات السلام

وتوالت المبادرات السلمية السيسية ، على مدى احدى عشرة سنة ، انطلاقا من وقت قبول القرار ٢٤٢ (سنة ١٩٦٧) ، الى التعاون مع جونار يارنج فى جهوده لتنفيذ هذا القرار ، الى قبول مبادرة روجرز ، الى حرب رمضان / أكتوبر المجيدة ، الى مبادرات السادات للسـلام العادل الدائم الشامل ، الذى حققته اتفاقيتى كامب ديفيد (سنة ١٩٧٨) .

وكانت مصر تواصل العمل من أجل تحقيق السـلام فى منطقة الشرق الأوسط ايمانا منها :

- بالمبادىء التى قامت على أساسها هيئة الأمم المتحدة ٠
- ومبادىء مجموعة عدم الانحياز ، وقد أسهمت مصر فى ارسائها ، والتى تنادى بعلاقات دوليـة عادلة ، فى اطار تحرير الشعوب واستقلالها ، وفى مواجهة تقلب العلاقات بين القوى العظمى ٠

  وتعتبر حركة عدم الانحياز ، الطريق الوحيد لضمان أمن وسلامة دول العـالم الثالث فى مواجهـة سـياسات التكتل والأخلاف والاستقطاب ٠
- مبادىء منظمة الوحدة الأفريقية ٠
- قرارات مؤتمرات القمة العربية ٠

ان حرب رمضان / أكتوبر لم تنشب فقط من أجل حل القضية المصرية الاسرائيلية ، بل أيضا لحل الصراع العربى الاسرائيلى ، واستخلاص الحقوق العربية المشروعة بما فيها الحق الفلسطينى ٠

ولاتقل معركة السلام ضراوة عن معركة القتال وكذلك كانت ادارة معركة السلام ، تحتاج الى نفس المقومات التى تحتاجها معركة الحرب ، كالقوة والشجاعة والمرونة وغيرها من العناصر التى تتكون منها مبادىء الحرب ٠

وولت مصر السادات جهدها ، نحو قبلة السلام ٠ ونورد فيما يلى أبرز الخطوات التى مهدت لتحقيق السلام الشامل ، القائم على العدل ، والذى يكفل له الدوام والاستقرار ٠

١ ـ مبادرة السلام الأولى (٤ فبراير ١٩٧١) :

قال الرئيس السادات بعد تسلمه مهام الرئاسة بأربعة أشهر ، أن جمهورية مصر العربية تعتبر نفسها ملزمة بمسئولية واحدة لابديل لها ، وهى تحـرير جميع الأراضى المحتلة فى عدوان ١٩٦٧ ٠٠٠ وأن الالتزام المقدس لكل أمة ، هو التزامها تجـاه حريتها فى اطار مبادىء القانون الدولى ، وعلى أساسه فان عليها أن تحتفظ لنفسها بحرية وحق التصرف فيما تواجهه ٠

كما أعلن قائلا :

(اننا نضيف الى كل الجهود الرامية الى حل الأزمة ، مبادرة مصرية جديدة ، نعتبر العمل بمقتضاها ، مقياسا حقيقيا للرغبة فى تنفيذ قرار مجلس الأمن ٠

اننا نطلب أن يتحقق فى هذه الفترة التى نمتنع فيها عن اطلاق النار ، وقد حددها الرئيس بألا تزيد عن ثلاثين يوما من انسحاب جزئى للقوات الاسرائيلية على الشاطىء الشرقى لقناة السويس ، وذلك كمرحلة أولى من خلال جدول زمنى وضعه بعد ذلك ، لتنفيذ بنود القرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ٠ واذا تحقق ذلك فى هذه الفترة ، فاننا على استعداد للبدء فورا فى مباشرة تطهير مجرى قناة السويس ، واعادة فتحها للملاحة الدولية ولخدمة الاقتصاد العالمى ٠

ونحن نعتقد أننا بهذه المبادرة ننقل جهود السفير جونار يارنج ، ومن الألفاظ الغامضة الى الاجراءات المحددة لتنفيذ قرار مجلس الأمن)٠

(٠٠ لقد أدينا واجبنا تجاه العالم وتجاه السلام ، بأقصى مانستطيع ٠ ولقد حان الوقت الذى يجب أن يؤدى فيه غيرنا ، واجبه تجاه العالم والسلام) ٠

وكان السادات يوجه كلمته عبر حدود مصر ، مخاطبا الضمير العالمى بتقديم هذا العمل الذى يعود بالنفع العميم على كل الدول التى تأثر اقتصادها باغلاق قناة السويس بسبب العدوان ٠

وفى أول مايو ١٩٧١ ٠٠ حدد الرئيس السادات مفهوم الانسحاب الجزئى المقترح فى مبادرته ، بأنه تحرك اجرائى مرتبط بالحل الكامل على أساس تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ بكل بنوده وأدلها الانسحاب من جميع الأراضى التى احتلت أثر العدوان وفى ٥ مايو ١٩٧١ ٠٠ طلبت مصر أن يتم الانسحاب على مرحلتين :

- الأولى : انسحاب القوات الاسرائيلية ، الى خط يمتد من العريش الى رأس محمد ٠٠ ثم يبدأ العمل فى تطهير قناة السويس ٠
- الثانية : انسحاب اسرائيل ، الى الحدود الدولية ومن غزة ٠ على أن يتم تحديد موعد للانتهاء من كل مرحلة ٠

وفى يوم ١١ نوفمبر ١٩٧١ ، وأمام مجلس الشعب ، حدد السادات بأن الانسحاب يشمل الأرض المصرية وكل الأراضى العربية المحتلة ٠٠ وأنه لابد من عبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية لقناة

السويس ، تحقيقا للسيادة المصرية على أرضها ٠٠ وأن وقف اطلاق النار المقصود في هذه المبادرة يجب أن يكون محددا بما لايزيد على ستة أشهر والا فان غير ذلك معناه القبول بوقف اطلاق نار دائم ٠

٢ ـ المبادرة الثانية (١٥ فبراير ١٩٧١) :

وفيها اعلنت مصر ـ مرة أخرى ـ عن استعدادها لعقد معاهدة سلام مع اسرائيل ، اذا أوفت بالتزاماتها في قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ٠

ووجه ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة ، الى المندوبين الدائمين لمصر واسرائيل ، مذكرة بشأن الخطوات اللازمة لتحقيق تسوية سلمية يقبلها الجانبان ، وفقا للقرار رقم ٢٤٢ ، طلب فيها أن تتعهد اسرائيل بالانسحاب إلى الحدود الدولية ، مقابل نعهد مصر بعقد اتفاقية سلم مع اسرائيل ٠

ووافقت مصر على ما جاء بالمذكرة ، بينما رفضت اسرائيل ٠ وفى ١٣ ديسمبر ١٩٧١ ، صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ، باستنكار عدم امتثال اسرائيل لمبادرة السلام ، التى قام بها المبعوث الخاص للسكرتير العام ، لاقرار سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط بينما عبرت عن تقديرها لرد مصر الايجابى ٠

وعلى ذلك ، كان على مصر مواصلة استعدادتها لتجهيز قواتها المسلحة فى سرية مطلقة ، على أعلى مستوى من الاعداد للحرب ، وخوض معركة المصير ٠ وكانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وعبرت القوات المصرية قناة السويس وحطمت خط بارليف ، وأحرزت النصر لمصر والعرب ٠

٣ ـ المبادرة الثالثة (١٦ أكتوبر ١٩٧٣)

بينما كان القتال مستمرا ، فى معارك شرسة ، كفلت النصر المحقق للقوات المسلحة المصرية ، أعلن السادات فى مجلس الشعب ، يوم ١٦ أكتوبر ، مبادرته الثالثة للسلام والذى قال فيها :

١ ـ اننا قاتلنا وسوف نقاتل لتحرير أراضينا التى أمسك بها الاسرائيلى سنة ١٩٦٧ ، ولايجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ٠ ونحن فى هذا نقبل التزامنا بقرارات الأمم المتحدة فى الجمعية العامة ومجلس الأمن ٠

٢ ـ اننا على استعداد لقبول وقف اطلاق النار على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الأراضى المحتلة فورا وتحت اشراف دولى ، الى خطوط ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ .

٣ ـ اننا على استعداد فور اتمام الانسحاب من كل الأراضى ، أن نحضر مؤتمر سلام دولى فى الأمم المتحدة . وسوف أحاول جهدى أن أقنع به رفاقى من القادة العرب المسئولين مباشرة عن ادارة الصراع مع العدو ، كما اننى سأحاول جهدى أن أقنع به ممثلى الشعب الفلسطينى ، وذلك لكى يشارك معنا ومع مجتمع الدول ، فى وضع قواعد وضوابط السلام فى المنطقة ، يقوم على احترام الحقوق المشروعة لكل شعوب المنطقة .

٤ ـ اننا على استعداد (هذه الساعة بل هذه الدقيقة) أن نبدأ فى تطهير قناة السويس ونفتحها أمام الملاحة الدولية ، لكى تعود الى أداء دورها فى رخاء العالم وازدهاره . ولقد أصدرت الأمر بالفعل الى رئيس هيئة قناة السويس ، بالبدء فى هذه العملية غداة اتمام تحرير الضفة الشرقية للقناة . وقد بدأت بالفعل ، مقدمات للاستعداد لهذه المهمة .

★ ★ ★

وفى ليلة ٢٢/٢١ أكتوبر ١٩٧٣ ، صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ ، الداعى الى وقف اطلاق النيران ، فى مدة لاتتجاوز ١٢ ساعة ، وذلك فى المواقع التى احتلها كل طرف .. على أن تبدأ المفاوضات فورا ، بهدف اقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط .

وقبلت مصر القرار فى نفس يوم اقراره .

وفى ١٥ ديسمبر ١٩٧٣ ، صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٤٤ ، أعرب فيه عن أمله فى أن تحرز مباحثات السلام فى جنيف . تقدما سريعا نحو اقرار السلام المنشود .

واتفقت الأطراف على أن يرأس هذه المباحثات ، كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ، بجانب الموافقة على مناقشة اشتراك دول أخرى من الشرق الأوسط فى المرحلة الأولى للمؤتمر .

وفى ١٨ يناير ١٩٧٤ ، تم توقيع الاتفاقية المصرية الاسرائيلية الأولى بشأن فك الاشتباك فى منطقتى سيناء والجولان .

وفى أول سبتمبر ١٩٧٥ ، وافقت مصر واسرائيل على اتفاقية فك الاشتباك الثانية فى سيناء ·

وقد نص فى كل اتفاقيـة ، على أن كلا منهما تشكل ، فى اطـار مؤتمر السلام خطوة نحو سلام نهائى عادل ودائم وفقا للقرار رقم ٣٣٨ ·

وقد ترتب على هاتين الاتفاقيتين : اعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية ·· واسترداد بعض حقول البترول فى سيناء ·· وتحول الموقف الأمريكى بالنسبة للفلسطينيين ·

٤ ـ البيان الأمريكى ـ السوفيتى

لعقد مؤتمر جنيف للسلام

(٢ أكتوبر ١٩٧٧)

كان سيروس فانس وزير الخارجية الأمريكية ، وأندرية جروميكو وزير الخارجية السوفيتى ، يرأسـان مؤتمر جنيف الخاص بالشرق الأوسـط ·

وعندما تبادلا وجهات النظر بشـأن الموقف غير الآمن فى منطقة الشرق الأوسط ، أصدرا بيانا باسـم دولتيهما ، بأن كلا منهما مقتنع بأن المصالح الحيوية لشعوب هـذه المنطقة ، تحتاج بصـفة عاجلة الى تقوية السلام ، وتحقيق تسوية عادلة ودائمة ، للصراع العربى الاسرائيلى، ومشكلة الشرق الأوسط ·

على أن تضم التسوية جميع الأطراف المعنية لحل كل المسـائل المعلقة مثل : انسحاب القوات الاسرائيليـة من الأراضى المحتلة سـنة ١٩٦٧ ·· وحـل المشـكلة الفلسطينية وضـمان الحقوق المشروعة للفلسطينيين ·· وانهاء حالة الحرب وانشاء علاقات سلام طبيعية على أساس الاعتراف المتبادل ، وذلك من خـلال المفاوضات فى اطار مؤتمر جنيف للسلام ، على أن تبدأ أعمال المؤتمر فى وقت لايتجاوز ديسمبر ١٩٧٧ ·

كما أوضح البيـان بأن الولايات المتحدة والاتحـاد السوفيتى مستعدان للمساهمة فى ضمان القرارات النهائية للمؤتمر ·

وقد باءت محادثات السلام فى جنيف بالفشل ، لما تعرضت له من مناورات وتعويق وتسويف من الطرف الاسرائيلى ، مما أدى الى أن

يعلن السادات عن عدم استعداد مصر ، لتكرار مؤتمر نزع السلاح الذى استمر خمسة وعشرين عاما ، وأن مصر تريد أن تذهب الى مؤتمر جنيف للاتفاق الكامل على مضـــمون الحل ، بعد التخلص من اثارة التفاهات المعوقة ٠

ولم تسفر المباحثات عن أى شىء يذكر ٠

وفى ٩ نوفمبر ١٩٧٧ ، أعلن الرئيس الســادات ، أمام مجلس الشعب أنه مستعد للسفر الى آخر هــذا العــالم ، ومستعد للسفر الى اسرائيل لمناقشتهم فى الكنيست بشأن السلام العادل الدائم ٠

وأصدر مجلس الشعب بيانا جاء فيه :

(ان مصر التى تقدم هذه المبادرة ، لتثبت لهذا الجيل والأجيال القادمة ، أننــا فى ســبيل السلام ، لم نجد بابا موصدا الا وطرقناه ، ولا طريقا مسدودا الا حاولنا فتحه ، ولا فرصة سانحة الا سعينا اليها ٠ فقد واجهت مصر أربع حروب تلقت فيها طلقات الرصـــاص بصدرها خوضا لتحدى الحرب ٠٠ ومصر الآن تواجه الطعنات وحملات التشهير من بعض الأصدقاء ، وتتلقاها أيضا بصبرها خوضا لتحدى السلام ٠ واذا كانت بعض الاعتراضات العربية ، هى من باب العودة الى الاسفاف واذا كانت من باب فرض الوصاية ، فان مصر ترفض هذه الوصاية ٠

ان مصر قد سددت أكثر من نصيبها فى القضية العربية بالعملة الوحيدة التى لاتقبل المزايدة ، ودفعته بدماء أبنائها) ٠

٥ ـ المبادرة الخامسة

القدس (١٩ ـ ٢١ نوفمبر ١٩٧٧)

كان السادات يفكر فيما لايمـكن التفكير فيه أبدا ٠ فقد قرر ـ فعلا ـ الذهاب الى اسرائيل ، لمواجهة شعبها بالحقائق كاملة ٠

حقا ، كان القرار مذهلا ، وبدى كالغير مصـدق من كل العــالم دولا وشعوبا ٠٠ فقد فاق كل تصور ، أن يتوجه رئيس أكبر دولة عربية الى أرض الخصم ، ومازالت حالة الحرب قائمة بينهما ٠

وفى يوم ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ ، فوجىء العالم بوصول السادات الى اسرائيل ، بقدمين ثابتتين وبايمان راسخ بالسلام الشامل ، التى تستفيد منه جميع الشعوب ٠

وكان من الطبيعى عدم تصديق قيام الرئيس المصرى بمخاطرة التوجه الى خصمه فى عقر داره · واعتبر العالم أجمع ، أن هذا الكلام لا يخرج عن كونه مناورة سياسية من السادات ·· الا أنه فى يوم ٢٠ نوفمبر ، شاهد العالم بأسره الرئيس السادات وهو يقف أمام الكنيست الاسرائيلى ، يوجه خطابه الى الشعب ·· بكل شموخ العزة والكبرياء المصرى ·· وأخذت حقيقة هذا الموقف التاريخى تسبق أحلام الناس ·

وأعلن الرئيس السادات فى خطابه ، أن مصر لا تسعى الى سلام جزئى أو عقد اتفاق منفرد ·· وقال :

(لقد جئت اليكم لكى نبنى معا ، السلام الدائم العادل ، حتى لا تراق نقطة دم واحدة من جسد عربى أو اسرائيلى) ·

وكان هدف هذه المبادرة : تأكيد النية فى السعى الى السلام ·· وازالة حواجز الشك القائمة فى منطقة الشرق الأوسط ·· وتخطى عقبة الاجراءات والدخول مباشرة الى جوهر المشكلة ·· والتركيز على تأكيد وجهة النظر العربية ·· والتمسك بالقدس العربية وعدم الاعتراف بضمها الى اسرائيل · وفى ٢٦ نوفمبر ١٩٧٧ ، أعلن الرئيس السادات أمام مجلس الشعب ، أنه قد اتفق مع المسئولين الاسرائيليين على :

- الاتجاه داخل المؤتمر الى بحث المسائل الموضوعية بجدية دون تعويق بسبب الاجراءات الشكلية ·

- استبعاد فكرة الاستيلاء على الأرض من أجل الأمن ، والبحث عن توفير الأمن للجميع فى ظل أوضاع عادلة ·

ويعلق الرئيس كارتر ، على تلك المبادرة ، فى خطابه أمام الجلسة المشتركة لمجلس الكونجرس (١٨ سبتمبر ١٩٧٨) ·· فيقول :

(ونحن جميعا نتذكر أمام توفير السلام التى أوحت بها مبادرة السادات ·· تلك الزيارة العظيمة والتاريخية التى أثارت العالم ، الى القدس فى نوفمبر الماضى ·· والتجاوب الحار لرئيس الوزراء بيجين والشعب الاسرائيلى والوعد المشترك بينهما علنا ، بأنه لن تكون هناك حرب جديدة · وقد تعززت هذه الآمال عندما رد بيجين الزيارة للاسماعيلية فى يوم عيد الميلاد) ·

٦ ـ عقد مؤتمر القاهرة التحضيرى لمباحثات جنيف (٣ ديسمبر ١٩٧٧)

وجهت مصر الدعوة لهذا المؤتمر ، الى أطراف النزاع ٠٠ وهم :

سوريا والأردن ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى واسرائيل والسكرتير العام للأمم المتحدة ٠

وكان الهدف من هذا المؤتمر ، هو الاعداد الجيد لمؤتمر جنيف لضمان نجاحه ، والوصول الى تسوية شاملة لنزاع الشرق الأوسط ، باحلال السلام العادل والدائم فى المنطقة ، وحل المشكلة الفلسطينية ٠

ورفعت أعلام المدعوين فى المؤتمر أمام فندق ميناهاوس ، وفوجئت مصر برفض سوريا والأردن ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية والاتحاد السوفيتى حضور المؤتمر ٠

★ ★ ★

ومن المؤسف أن نذكر موقفا أثناء القاء السادات لخطابه فى البرلمان الأوروبى بلوكسمبرج (فى ١٠ نوفمبر ١٩٨١) ٠ فقد رفع العضو الراديكالى الايطالى ماريو كابانا ، لافتة كتب عليها « يجب الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ولا لكامب ديفيد » ٠

وعندئذ خرج الرئيس المصرى عن نص خطابه ، وقال لأعضاء البرلمان :

— اننى لم آت الى هنا لكى أبيع لكم كامب ديفيد ٠

فطوى العضو اللافتة ، ورفع بدلا منها علم فلسطين ، فنظر اليه السادات قائلا :

— كنت أتمنى أن تكون معنا عندما رفعنا هذا العلم فى مينا هاوس جنبا الى جنب مع علم اسرائيل ، لكن أحدا لم يحضر هذا المؤتمر ٠

وصفق الجميع لرد الرئيس المفحم بما فيهم العضو الايطالى نفسه ٠

★ ★ ★

وكالمعتاد ، كان على مصر أن تتحمل المسئولية بمفردها وتواصل المسيرة ٠

٧ ــ مباحثات السادات ــ بيجن

الاسماعيلية (٢٦ ديسمبر ١٩٧٧)

وتم فيها الاتفاق على تشكيل لجنتين : لجنة سياسية تعقد فى القاهرة ولجنة سياسية تعقد فى القدس ، ويرأسهما وزراء الخارجية والدفاع ٠

وقد أعلن السادات فى المؤتمر الصحفى فى الاسماعيلية :

(٠٠ أننا لانسعى الى اتفاق للفصل أو اتفاقية مؤقتة ، انما نحن هنا من آجل السلام ، السلام الحقيقى والتسوية الشاملة) ٠

كما أعلن بيجين :

(ان اسرائيل تود أن يكون السلام شاملا مع كل جيرانها فى الشمال والجنوب والشرق) ٠

وفى ١٧ يناير ١٩٧٨ ، اجتمعت اللجنة السياسية فى القدس ٠

وفى ١٩ يناير ١٩٧٨ ، اضطر السادات الى اصدار تعليماته الى وفد مصر بالعودة الى القاهرة ، بعدما تبين من متابعة المواقف الاسرائيلية ومن تصريحات رئيس الوزراء الاسرائيلى ووزير الخارجية ، أنها تعمد الى تمييع الموقف ، وطرح حلول جزئية لايمكن أن تؤدى الى اقرار سلام عادل ودائم وشامل فى منطقة الشرق الأوسط ٠

٨ ــ اجتماع كارتر والسادات

واشنطن (٢ ــ ٨ فبراير ١٩٧٨)

وتوجه السادات الى واشنطن للاجتماع بالرئيس الأمريكى كارتر للتشاور فى مجريات الموقف الذى توقف بسبب المراوغات الاسرائيلية ٠

وفى ٦ فبراير ١٩٧٨ ، ألقى السادات خطابا أمام نادى الصحافة القومى بواشنطن قال فيه :

(٠٠ يتعين أن أخبركم بكل اخلاص ، أن أحداث الأسابيع القلائل الماضية ، قد سببت لنا بعض القلق ٠ فقد اختارت الحكومة الاسرائيلية ، العودة الى الدوائر المفرغة للجدل جول كل كلمة وفضلة ، لقد عادوا مرة أخرى الى التكتيكات القديمة والأفكار البالية) ٠

(·· وما هو مطلوب هو تنفيذ قرار ٢٤٢ بكل أجزائه ، ولقد أعلنا أننا على استعداد لقبول الآتى :

١ ـ انهاء حالة الحرب وما يترتب عليها ·

٢ ـ اقامة العلاقات السلمية ·

٣ ـ توفير كل الضمانات الأساسية لأمن كل دولة ·

٤ ـ السماح بالمرور البرىء خلال مضيق تيران ·

٥ ـ احترام حق كل دولة فى المنطقة فى الحفاظ على سيادتها ، وتكامل أراضيها واستقلالها السياسى ·

وأنه يظل على الطرف الآخر ، اظهار رغبته بتحمل التزاماته داخل اطار التسوية الشاملة · وبطريقة أكثر تحديدا ، فهو مطالب بقبول الآتى :

١ ـ الانسحاب من كل الأراضى العربية المحتلة منذ يونيو ١٩٦٧ وفقا لمبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأرض عن طريق الحرب ·

٢ ـ تمكين الشعب الفلسطينى من ممارسة حقه الطبيعى فى تقرير مصيره ·

٣ ـ توفير الضمانات اللازمة لأمن الدول العربية ·

وفى ٨ فبراير ١٩٧٨ ، أذاع البيت الأبيض البيان الأمريكى المصرى حول أسس التسوية ، فى أعقاب الاجتماع الختامى بين الرئيسين كارتر / السادات ·

وجاء فى البيان المبادىء العريضة ، التى تحدد مشاركة الولايات المتحدة فى السعى نحو السلام ·· وهى :

ـ سوف تظل الولايات المتحدة ، أمينة على التزاماتها التاريخية بأمن اسرائيل ، وحق كل دول المنطقة فى العيش فى سلام ، داخل حدود آمنة ومعترف بها ·

ـ مساعدة الأطراف على تحقيق تسوية شاملة عن طريق التفاوض ، سوف يظل أمرا له أهميته القصوى فى السياسة الأمريكية · ولن يدخر الرئيس كارتر جهدا فى السعى نحو الطريق التى تكفل دفع عملية السلام الى الامام ·

- ان اقرار السلام ، يجب أن يتجاوز مجرد انهاء حالة الحرب ، وينبغي أن يكفل علاقات طبيعية وسامية بين اسرائيل وجيرانها ٠

- ان قرار السلام ، يجب أن يكون شاملا ، ويجب أن ينص عليه في معاهدات سلام بين اسرائيل وجيرانها ٠

- ينبغي أن تبنى التسوية ، على أساس جميع مبادىء قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، بما في ذلك انسحاب القوات الاسرائيلية من أراض محتلة عام ١٩٦٧ ، وحق كل دولة في المنطقة في العيش في سلام ، داخل حدود آمنة ، ومعترف بها ٠ وينطبق القرار رقم ٢٤٢ على كافة جبهات الصراع ٠

- لايمكن أن يكون هناك سلام دائم وعادل ، بدون حل المشكلة الفلسطينية ٠

وقد أكد الرئيس السادات ، أن الباب لايزال مفتوحا للتفاوض ، وأن مصر ستستمر في القيام بدورها لتأكيد استمرار عملية التفاوض في جو بناء من أجل السلام ٠

وقد التزم كارتر والسادات ، بأن يظلا على اتصال شخصي ، خلال القنوات الدبلوماسية والاتصالات المباشرة ، لضمان استقرار التفاهم الكامل بينهما لتحقيق السلام الشامل والدائم في منطقة الشرق الأوسط ٠

٩ ـ اجتماع ليدز ببريطانيا

(يوليو ١٩٧٨)

وأثناء عقد جلسات اللجنة السياسية ، اتضح لمصر أن اسرائيل تعمل على كسب الوقت ، بتمسكها بمبدأ التوسع والاستيطان ، واصرارها على الاحتفاظ بما احتلته سنة ١٩٦٧ من أراض عربية ٠ وحصلت الدبلوماسية المصرية ، على تأييد واسع لموقف مصر بانسحابها من تلك اللجان ٠ الا أن مصر رفضت استئناف أي مباحثات ، وطلبت أن تقوم الولايات المتحدة بدور الشريك الكامل ، حتى يمكن بدء المباحثات مع اسرائيل ٠

وفي يوليو ١٩٧٨ ، اجتمع وزراء خارجية مصر واسرائيل والولايات المتحدة في ليدز ، بشأن ايجاد حلول للمشكلة ٠

١٠ ـ مفاوضات كامب ديفيد

(من ٥ الى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨)

وفى ٥ سبتمبر ١٩٧٨ ، تدخل الرئيس كارتر شخصيا بدعوة مصر واسرائيل للتفاوض بشأن حل النزاع القائم بينهما بشأن تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ بكل بنوده والوصول الى سلام دائم وشامل ٠

وقبل الدعوة ، الرئيس السادات رئيس جمهورية مصر العربية ومناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل ، وكل منهما يمثل شعبه ٠

وبدأت اجتماعات كامب ديفيد ، بحضـــور جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية كشريك كامل ، للسعى وراء اقامة الســلام الدائم الشامل المستقر فى منطقة الشرق الأوسط ٠

وتحول الحلم المستحيل الى حقيقة واقعة ٠

فخلال الثلاثين ســـنة الأخيرة ، من حرب فلسطين ١٩٤٨ حتى مفاوضات كامب ديفيد ١٩٧٨ ، خاضت مصر أربعة حروب قاســـية ، وتم العدوان عليها أكثر من مرة ، من أجـــل حقوق شعب فلسطين ، وموقف مصر بالنسبة للمشكلة الفلسطينية مبدئى وثابت ٠ وفقدت مصر الكثير عزيزا وغاليا ، من الطاقات البشرية والمادية ٠ كمـا دفعت شعوب منطقة الشرق الأوسط ثمنا من الآلام والكراهية واراقة الدماء ٠

وقد مارست مصر ، الكفاح حربا وسلما ٠٠ وكلهـا كانت على مراحل من النضال الشاق المضنى ، كل مرحلة تمهد لمرحلة تاليـــة ، يتعين على مصر الاتجاه اليها ، حتى وصلت الى مفاوضات السلام الدائم فى كامب ديفيد بالمشاركة مع الولايات المتحدة الأمريكية ٠

وبذلك تكون مصر قد وصلت أخيرا ــ وليس آخرا ــ الى هدفها المنشود وهو السلام العادل الشامل ، بعد بذل الجهد والتعب والعرق ٠٠ فكان هذا النجاح الرائع ، الذى لابد أن تعلم أنه ليس هناك ما هو أصعب ، الا الاحتفاظ به ٠

الفصل الثانى

اتفاقيات كامب ديفيد

سلام الاتفاق

كان من قدر مصر ، أن تتكبد بنفسها مسئولية السير بمفردها على طريق السلام العادل الدائم فى منطقة الشرق الأوسط · مع تجاوزها عن العراقيل والعقبات ، التى كان يثيرها السلبيين الأصــــقار ، لاعاقة المسيرة ·· وكأنه قد عز عليهم أن تنجح مصر دونهـم ، فى مساعيها لتحقيق السلام الراسخ ، الذى سيعيد اليهم النفع والخير ، غير أنهم لايتفهمون !!

وتحركت مصر السادات بخطى واثقة نحو الهدف ، بعد التغطية الدولية اللازمة التى قامت بها الدبلوماسية المصرية واللقاءات الشخصية الثنائية مع الدول ذات الثقل الدولى · وبذلك استطاع السادات أن يضم الى جانب مصر ، الرأى العام العالمى ـ الذى يقدر موافقته وشجاعته ـ بعد أن تجسدت أمام بصره وسمعه ، حقيقة وعدل المطالب العربية ·

لقد كان نصر رمضان / أكتوبر ١٩٧٣ والعبور العظيم ، عبورا الى العالم أجمع بمفاهيم جديدة · فكان من اليسير ان يعترف المجتمع الدولى، بسلامة الخط الذى بدأته مصر ، وأن يدرك باحساسه ووعيه ، ضرورة مساندة هذا الاتجاه الصحيح ، الهادف الى الســلام واسترداد جميع الحقوق العربية وكل ما ينص عليه قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ · ومن هذا المنطلق ، أرسل الرئيس الأمريكى كارتر ، دعوته الى السادات رئيس مصر ، والى مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيـــــل ، للاجتماع بهما فى كامب ديفيد ، للوصول الى نهاية جذرية لحل مشكلة الشرق الأوسط ، والنزاع العربى الاسرائيلى ·

واجتمع الطرفان على مائدة المفاوضات ، بحضور الرئيس كارتر بصفة الولايات المتحدة الأمريكية شريكا كاملا فى هذه المفاوضات · وبهمة المقدمين على عمل جدى ، وفى ظل التفرغ المطلق للوصول الى القــرار السليم ، بدأت المفاوضات يوم ٥ سبتمبر ١٩٧٨ واستغرقت حتى يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ ·

ودارت الحوارات والمباحثات خلال الثلاثة عشر يــوما ، فى جو متوتر من هذا الموقف الصعب ، المشحون برواسب أحداث الماضى التى مرت بها شعوب المنطقة · فكان كل جانب مصرا متوصدا ، يتلقف كل

كلمة – بل وأى نقطة أو فصلة بين كلمات كل جملة بتوجس وتشكك حتى غلب على ظن كارتر ، احتمال عدم نجاح هذه المفاوضات .

التوقيع النهائى على السلام

واستطاع السادات وبيجين ومستشاروهما المجتهدون ، التغلب على كل الصعاب ، حتى تم الوصول الى الصيغ النهائية لاتفاقيتين ، وقعا عليهما وعلى وثائقهما ، كما وقع الرئيس كارتر كشاهد على التوقيع .

وكان عنوان وثيقة الاتفاقية الأولى : « اطار عمل للسلام فى الشرق الأوسط » .. وهى تتعلق بتسوية شاملة بين اسرائيل وجميع جيرانها ، بالاضافة الى قضية الشعب الفلسطينى ومستقبل الضفة الغربية وغزة .

أما وثيقة الاتفاقية الثانية فعنوانها : « اطار عمل لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل » .. التى تعيد الى مصر الممارسة التامة لسيادتها على سيناء ، وتخصيص بعض مناطق أمنية لحماية جميع الأطراف ، كما تنص على أن تعترف مصر باسرائيل اعترافا دبلوماسيا تاما ، حالما تتم اسرائيل انسحابا مؤقتا لقواتها المسلحة ، من غالبية مناطق سيناء ، خلال فترة تتراوح بين ثلاثة وتسعة أشهر ، بعد عقد معاهدة السلام التى سيتم التفاوض بشأنها بصورة شاملة وذلك فى موعد أقصاه ثلاثة أشهر من يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ . واتفق على أن يتم انسحاب جميع القوات الاسرائيلية من سيناء فى موعد أقصاه ثلاث سنوات بعد توقيع المعاهدة .

ونجحت قمة كامب ديفيد لتحديد الأسلوب العملى لتطبيق قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ورقم ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣ ، وفقا للتفسير العربى والدولى ... فجاءت الاتفاقيتان لتحقق تماما الأهداف العربية ، التى اتفقت عليها جميع الدول العربية فى مؤتمرات القمم العربية .

ونجحت مصر فى تحقيق المشاركة الفعلية للولايات المتحدة الأمريكية فى جهود السلام ، بعد أن كانت – قبل ذلك – فى موقف المتحيز الكامل لاسرائيل .

ووافق مجلس الشعب بالأغلبية المطلقة على الاتفاقيتين ، مما يدل على رغبة الشعب المصرى الأكيدة ، فى تحقيق سلام شامل بالمنطقة .

ما حققته الاتفاقيتان

وأثمرت قمة كامب ديفيد ، اتفاقيتان تعطيان التفاؤل بامكانيه الوصول الى نقطة تحول في الشرق الأوسط وخاصة الدول العربية وذلك بعد التغلب على المسائل الصعبة المعقدة ، التى كانت كامنة في صميم الثلاثين عاما من العداء العربى الاسرائيلى .

وأصبح السلام حقيقة لا مجرد حلم .

وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية ، ملتزمة بسلام شامل وعادل ودائم في منطقة الشرق الأوسط .

ويوفر اطار العمل من أجل السلام ، فرصة لم يسبق لها مثيل لشعوب الشرق الأوسط ، للتحرر من شبح الضغوط والتهديدات الخارجية .. وللتحول بعيدا عن النزاع ، الذى يخلق جوا من القلق والتوتر والرعب الذى انتاب العرب والاسرائيليين زمنا طويلا .

فقد أرست الاتفاقية المبادىء والأسس التى يمكن أن يستخدمها جميع جيران اسرائيل الراغبين فى التفاوض بشأن السلام والأمن ، على أساس التطبيق الكامل للقرار ٢٤٢ .

كما نصت الاتفاقيتان على اعتراف اسرائيل ، بالحقوق الشرعية للفلسطينيين ، كما التزمت اسرائيل خطيا باشتراك الشعب الفلسطينى فى جميع جوانب المشكلة الفلسطينية بجانب استعادة مصر لسيادتها على سيناء حتى الحدود المعترف بها دوليا ، دون أى التزام من جانب مصر بالدخول فى أى أحلاف مع أية دولة سواء مع الولايات المتحدة أو غيرها ، فستظل مصر دولة من دول عدم الانحياز ، لايربطها الا التزامها الوحيد وهو اتفاقية الدفاع العربى المشترك .. ودون أن يكون فوق الأراضى المصرية أى وجود أجنبى أو أية قواعد عسكرية أمريكية .

وقد جاءت مواد ونصوص الاتفاقيتين واضحة تماما . كما تدل كل كلمة على معناها الحقيقى فقط ، لتلافى أى التباس أو غموض أو تداع للمعانى أثناء التنفيذ .. ولا ينسى أحد ، أن كلمة « أراض » فى القرار ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، التى جاءت فى مبدأ :

« انسحاب القوات الاسرائيلية من أراض احتلت فى النزاع الأخير » بعيدة عن التحديد اللازم الذى توضحه كلمة « الأراضى » اذا حلت محلها .. وكأن صائغ القرار قد وضع مجلس الأمن فى مظنة

التحيز لاسرائيل ، التى قد تنجه نواياها للاحتفاظ بأجزاء من الأرض المحتلة تحت ظل ما تعنيه كلمة « أراضى » ٠

الا أن المفاوض المصرى فى كامب ديفيد ، أصر على تصحيح الكلمة ، ونجح فيما أراده ، فأصبحت كلمة الأراضى هى المتبادلة بعد ذلك فى جميع الانفاقيات والوثائق ٠

الموقف العربى

يقول الرئيس السادات فى خطابه يوم ٢٨ ينساير ١٩٨٠ أمام مجلس الشعب :

« وقبل أن يجف مداد هذه الاتفاقيات ، وقبل أن يقرأها أئمة الشرك والجهالة ، بدأوا فى الهجوم على مصر ، وبدأوا فى شجب مالم يقرأوه بعد ٠٠ »

فقد شنت الأنظمة الرافضة فى بعض الدول العربية ، وبمعنى أصح ، افتعلوا حملات عنيفة ضد مصر دون تعقل وتبصر فأصبحوا أدوات صماء فى أيدى الهادفين الى هدم العلاقات العربية وتفتيت وحدة العرب ٠

وحسب أى قارىء ، أن يمر بعينيه على نصوص اتفاقيتى كامب ديفيد ، ليتأكد من أنها تطابق تماما ، قرارات بيانات القمم العربية فى مؤتمراتهم من حيث اجماعهم على :

- الحل السلمى للمشكلة ٠
- استرداد الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ٠
- اقرار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ٠

وقد حققت اتفاقية كامب ديفيد الأولى ، جميع هذه المتطلبات فيما جاء فى مقدمة الوثيقة ٠

« ان الأساس المتفق عليه ، لتسوية سلمية للنزاع بين اسرائيل وجيرانها ، هو قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه » ٠

« من أجل تحقيق اقامة سلام ، بروح المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة ، فان اجراء مفاوضات مقبلة بين اسرائيل وأى جار لها على استعداد للتفاوض معها بشأن السلام والأمن ، هو أمر ضرورى لهدف تنفيذ جميع نصوص ومبادىء القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ » ٠

وقد أعلن السادات فى خطابه أمام مجلس الشعب يوم ٢ أكتوبر ١٩٧٨، بأن :

« هذا هو ما استطاعت مصر من أن نحققه فى هذه المرحلة ، وان استطاعت اللاءات بتحالفها مع الاتحاد السوفينى ، أن نحقق المزيد ، فنحن لها مؤيدون ومصفقون وشاكرون • واذا استطاعت أية قيادة عربية أن تصل بنا الى كل آمالنا ، فنحن أول من يقول لهـــا نعم بكل الاخلاص والنقاء والتأييد الصادق » •

كما يعلق السادات ـ لاحقا ـ أمام مجلس الشعب يوم ٢٨ يناير ١٩٨٠ ، موجها كلامه الى الرافضين :

« اذا كانت كامب ديفيد غير مناسبة ، فأين البديل المناسب الذى يقترحونه ونحن أول من ينفذه » •

وعرضت اتفاقيتى كامب ديفيد ووثائقهما ، على مجلس الشعب مع تقرير اللجنة الخاصة التى شكلت لدراستها ، ووافق عليها المجلس •

وأرسل التقرير الى الجانب المصرى للاسترشاد بما جاء فيه خلال مراحل المفاوضات ، خاصة وقد تضمنت وثائق كامب ديفيد أســاس التفاوض •

ويقول الرئيس كارتر ، فى خطابه أمام الجلسة المشتركة لمجلس الكونجرس يوم ١٨ سبتمبر (اليوم التالى لتوقيع الاتفاقيتين) :

« ونود أن نتشاور فى هاتين الوثيقتين وما تعنيـــانه ، مع جميع الزعماء ، وخاصة الزعماء العرب • ويسعدنى أن أقول لكم الليلة ، أن الملك حسين ملك الأردن ، والملك خالد ملك العربيـــة السعودية ، قد وافقا الآن على استقبال وزير الخارجية (سيروس فانس) الذى سيسافر غدا ليشرح لهما شروط اتفاقية كامب ديفيد ، وليضمن دعمهما لتحقيق الآمال والأحلام الجديدة لشعوب الشرق الأوسط » •

غير أن الحملات المعاكســـة ، قد ازدادت شدة وضراوة على مصر قلب الأمة العربية ، وتجسدت فى :

- قطع العلاقات السياسية مع مصر •
- نقل جامعة الدول العربية من مقرها فى القاهرة الى تونس •
- تعليق عضوية مصر فى المؤتمر الاسلامى •
- قطع المعونات والمساعدات الاقتصادية عن الشعب المصرى •

- أصدروا قرارهم بسحب ودائعهم وأرصدتهم من البنوك المصرية ، بهدف تخريب الاقتصاد المصرى ·
- محاولة تشويه صورة مصر ، بمحاولات الضغط على المجتمع الدولى لتعليق عضوية مصر فى بعض الهيئات والمنظمات الدولية ·

ولم يصدر عن مصر ، أى رد فعل تجاه تلك الحملات فهى تعلم تماما الخواء الذى يحيط بالرافضين ، وتدرك بيقينها أن مسيرة التاريخ عامة ، ومسيرة مصر خاصة ، سـوف تلفظ كل عبث رافض ، تنفثه سموم الحاقدين ·

ويكفى مصر ، أنها الدولة الوحيدة التى ناضلت وتناضـل عمليا من خلال خطة عمل للوصول الى تحقيق السلام العادل الشامل الدائم فى منطقة الشرق الأوسط مع تركيزها على مصـير الشعب الفلسطينى ، وحقوقه المشروعة ، حتى كلل الله مسعاها باتفاقيات السلام ، محققة بها كل ما كانت تبغيه الدول العربية ·

ولكم تعثرت المفاوضات بسبب مشكلة فلسطين ، الا أن السادات قد اسـتطاع أن يستخلص للشعب الفلسطينى اعترافا مكتوبـا من اسرائيل ، بحقه فى الحكم الذاتى وبحقه فى تقرير مصيره ·· وكان ذلك واجبا والتزاما مفضلا على عاتق السادات ، فكان كثيرا ما يعلن — حتى فى الكنيست الاسرائيلى — أن مصر لاتقبل حلا منفردا لأرضها المحتلة فى سيناء ، فبغير حل المشكلة الفلسطينية فلن يكون هناك سلام حقيقى فى الشرق الأوسط ·· ومواد وثائق السلام فى كامب ديفيد ، تشـير بما لا يقبل أى شك ، ليس فقط الى حق تقرير المصير ، بل تجاوز ذلك الى اقامة كيان فلسطينى يمثل دولتهم القائمة بذاتها ·

وعلى الرغم من كل ذلك ، فقد أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية ، رفضها للجهود التى تبذلها مصر من أجلهم · الأمر الذى حدا باسرائيل أن ترفض الاعتراف بتلك المنظمة ، ورفضت التعامل معها ، ووصفتها للمجتمع الدولى ، أنها منظمة لاتريد السلام ·

وتمادت المنظمة فى غيها وحملاتها الفارغة ·· وكأنها قد نسيت — بل تناست — أن مصر كانت وراءها تساندها وتدعمها بل وهيأت لهـا التمركز فى القاهرة عند تأسيسها عام ١٩٦٤ ، بـل كانت مصر هى التى خططت لتعبئة الشعب الفلسطينى واقامة أجنحته العسكرية ، فى بداية الستينات ، لتثبت للمجتمع الدولى أن هذا الشعب مفترى عليه ولايزال متواجدا ، بعد أن أشاع الاسرائيليون أنه انتهى أو سوف ينتهى، لأن الكبار يموتون والصغار سوف ينسون ·

كما أبرزت مصر حركة تحرير فلسطين على المستوى العالمى بل قدمتها للمجتمعات الدولية ، ووضعت بذرتها لعضويتهـا كمستمع فى هيئة الأمم المتحدة ٠٠ وغير ذلك من مساندات ومواقف عديدة ٠

ولم تعر مصر أدنى اهتمام لتلك الصغائر التى تصدر عن الاقزام ٠٠ واندفعت الى الأمام لتواصل تحقيق أهدافها المصيرية ، دون نظرة أو رجعة الى الوراء ٠

القدس ٠٠ ومشاعرنا الدينية والتاريخية

يرتبط المواطن بأرضه بوشائج عاطفية كبيرة ، لأنهـا المكان الذى نبت فيه تاريخه ، والنبع الذى استقى منه شخصيته الدينية ، وذكريات آبائه وأجداده ٠٠ فالأرض قطعة من روح الانسان ، فتصبح رمزا لحبه وتعلقه بالحياة فوق أديمها ٠

ولا يعلو أى شىء على حب المواطن العربى ، للمقدسات الدينيـة التى تزخر بها الأرض المقدسة فى الضفة الغربيـــة ، لأنه حب قدسى مفعم بالمشاعر الدينية ٠٠ ذلك الحب الذى يؤكد أن حاضرنا امتداد لذلك الماضى البعيد الذى عاشته الأمة العربية فى حضارتها المجيدة ٠

فيوجد بالقدس :

- الحرم الابراهيمى الشريف ، على جبل حوريا ، ويضم المســجد الأقصى (بدأ فى بنائه الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، وأتمه ابنه الوليد) ويوجد بالقرب من المسجد الأقصى ، جدار « البراق » الذى يقدسه المسلمون لعلاقته باسراء النبى الكريم من مكة الى بيت المقدس ٠٠ ومسجد الصخرة ، وعدد من المنشآت الدينية ، من بينها أربعة مساجد أخرى ٠ وكانت رقعة الحرم مهملة مهجورة منذ القرن الخامس الميلادى ، الى أن جاء الخليفة عمر بن الخطاب فأمر باظهار الصخرة وتنظيفها ، وبنى فى ناحية منها مسجدا ٠

  وفى جبل الزيتون مدافن شهداء المسلمين وأوليائهم مثــل : رابعة العدوية وسلمان الفارسى ٠

- كنيسة القيامة ٠٠ وهى من أهم الأماكن الدينية للمسيحيين على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم فى جميع أنحاء العــالم ٠ وقد أنشئت على المكان الذى يعتقد أن السيد المسيح صلب فيه ٠ وبدأ انشــاء هذه الكنيسة سنة ٣٣٥ م ، عندما جاءت الملكة هيلانه الرومانيـة لزيارة بيت المقدس ، بعد أن اعتنقت هى وابنها الديانة المسيحية ٠

- كنيسة المهد .. ولد السيد المسيح فى مغارة أصبحت تعرف فيما بعد باسم مغارة المهد . وقد أنشأت الملكة هيلانة ، كنيسة فوق تلك المغارة . ويوجد فى آخر المغارة باب يؤدى الى مصلى القديس يوسف . وهى بمدينة بيت لحم .

- طريق الآلام .. وهى الطريق التى سلكها السيد المسيح بعد أن حكم عليه بالصلب . ويقع الطريق فى القدس القديمة . وهى تبدأ من مبنى الروضة وتنتهى بالجلجلة فى كنيسة القيامة .

- جبل الزيتون .. المحيط بالقدس . وكان السيد المسيح يتردد كثيرا على هذا الجبل ، حيث توجد ثمان شجرات زيتون ، يعتقد أنها من أيام السيد المسيح . بالاضافة الى مغارة الجسمانية التى كان يأوى اليها السيد المسيح للراحة .

وهذا الجبل ممتلىء بالكنائس ، ومنها كنيسة مريم المجدلية . وكنيسة مريم البتول ، وكنيسة الابانا .

- الحرم الابراهيمى .. بمدينة الخليل حيث دفن أبو الأنبياء ابراهيم الملقب بخليل الرحمن .

- جبل التجربة .. فى أريحا ، ويعتقد أن السيد المسيح صعد اليه وآوى فى أحد مغاوره .

وكان المفاوض المصرى دائم التمسك ببقاء القدس عربية ، والتأكيد بما يفيد ذلك وبكل وضوح ، فى جميع المفاوضات والمباحثات .. لأن القدس قد تجمعت فيها أهم وأعز مقدسات الديانات السماوية : اليهودية والمسيحية والاسلام .

وقد توصلت مصر الى النص المباشر بذلك ، فى اتفاقيتى كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ، كما تم تدعيم ذلك الاصرار ، فى خطاب متبادل أتفق عليه بين الجانب المصرى والاسرائيلى والولايات المتحدة الأمريكية .

وثائق مؤتمر قمة كامب ديفيد

الوثيقة الأولى

اطار السلام فى الشرق الأوسط

اجتمع محمد أنور السادات ، رئيس جمهورية مصر العربية ، ومناحيم بيجين ، رئيس وزراء اسرائيل ، بجيمى كارتر ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، فى كامب ديفيد ، من الخامس من سبتمبر (ايلول) حتى السابع عشر من سبتمبر (ايلول) عام ١٩٧٨ ، واتفقا على اطار العمل التالى ، للسلام فى الشرق الأوسط · وهما يدعوان الأطراف الاخرى فى النزاع العربى الاسرائيلى للتقيد به ·

مقدمة

ان السعى نحو السلام فى الشرق الأوسط يجب ان يسترشد بما يلى ، ان الأساس المتفق عليه لتسوية سلمية للنزاع بين اسرائيل وجيرانها · هو قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه ·

بعد أربع حروب وقعت خلال ثلاثين سنة ، وبالرغم من الجهود البشرية المكثفة ، فان الشرق الأوسط ، مهد الحضارة ، ومكان ولادة ثلاث ديانات عظيمة ، لم يستمتع حتى الآن ببركات السلام · ان شعوب الشرق الأوسط تتوق الى السلام ، حتى يمكن تحويل موارد المنطقة البشرية والطبيعية الهائلة الى نشدان السلام ، ومن أجل ان تتمكن هذه المنطقة من ان تصبح نموذجا للتعايش والتعاون بين الأمم ·

ان مبادرة الرئيس السادات التاريخية ، المتمثلة بزيارته للقدس ، والاستقبال الذى قابله به برلمان وحكومة وشعب اسرائيل ، والزيارة المقابلة التى قام بها رئيس الوزراء بيجين الى الاسماعيلية ، وعروض السلام التى قدمها الزعيمان ، بالاضافة الى الترحيب الحار الذى قابل به شعبا الدولتين ، هاتين المهمتين ، قد أوجدتا فرصة للسلام لا سابق لها ، يجب ان لا تضيع ، اذا كان لهذا الجيل والأجيال المقبلة ان يتجنب مآسى الحرب ·

ان نصوص ميناق الأمم المتحدة ، والقواعد الأخرى المقبولة فى القانون الدولى والشرعية الدولية ، توفر الآن مقاييس مقبولة لسير العلاقات بين جميع الدول ٠٠

من أجل تحقيق اقامة علاقة سلام بموجب روح المادة التانية من ميناق الأمم المتحدة ، فان اجراء مفاوضات مقبلة بين اسرائيل وأى جار لها على استعداد للتفاوض معها بشأن السلام والأمن ، هو أمر ضرورى لهدف تنفيذ جمبع نصوص ومبادىء القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ ٠

ان السلام يتطلب احتراما للسيادة ، وسلامة اقليمية واستقلالا سياسيا لكل دولة فى المنطقة ، وحقها فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، خالية من التهديدات أو أعمال العنف ٠ وان التقدم نحو ذلك الهدف يمكنه ان يسرع التحرك نحو عهد جديد من المصالحة فى الشرق الأوسط يتسم بالتعاون فى تعزيز النمو الاقتصادى وفى المحافظة على الاستقرار وفى ضمان الأمن ٠

ان الأمن يتعزز بعلاقات سلمية ، ويتعاون بين الدول التى نتمتع بعلاقات طبيعية ٠ وبالاضافة الى ذلك ، وبموجب شروط معاهدات السلام ، تستطيع الأطراف على أساس التبادل ، ان تتفق على ترتيبات أمنية خاصة ، مثل مناطق منزوعة السلاح ، ومناطق محدودة التسلح ، ومحطات انذار مبكر ، وتواجد قوات دولية ، واقامة اتصال متبادل ، وتدابير مراقبة متفق عليها ، وترتيبات أخرى يوافقون على انها مفيدة ٠

اطار العمل

مع أخذ هذه العوامل فى الاعتبار ، فان الطرفين مصممان على التوصل الى تسوية عادلة شاملة ودائمة لنزاع الشرق الأوسط ٠ من خلال عقد معاهدات سلام ، تستند الى قرارى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ، رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ ، بجميع أجزائهما ٠ ان هدف الطرفين هو تحقيق سلام وعلاقات جوار حسنة ٠ وهما يعترفان بانه اذا كان للسلام ان يدوم ، فانه يجب ان يتناول جميع الذين تاثروا بصورة عميقة بالنزاع ٠ ولهذا فانهما يتفقان على ان اطار العمل هذا باعتباره ملائما ، قد قصدا به ان يشكل أساسا للسلام ٠ ليس فقط بين مصر واسرائيل ، بل أيضا بين اسرائيل وكل من جيرانها ٠ الذين هم على استعداد للتفاوض بشأن السلام مع اسرائيل على هذا الأساس ٠ ومع وجود هذا الهدف ماثلا فى الذهن ، فقد اتفقا على المتابعة كما يلى :

(أ) الضفة الغربية وغزة :

١ – على مصر واسرائيل والاردن ، وممثلى الشعب الفلسطينى • ان يشتركوا فى مفاوضات لحل المشكلة الفلسطينية بجميع وجوهها • ولتحقيق ذلك الهدف ، يجب ان تتم المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة على ثلاث مراحل :

(أ) ان مصر واسرائيل تتفقان على انه من أجل ضمان انتقال سلمى ومنظم للسلطة ، ومع الأخذ بالحسبان الاهتمامات الأمنية لجميع الأطراف ، يجب ان تكون هناك ترتيبات انتقالية للضفة الغربية وغزة ، لمدة لا تتجاوز خمس سنوات • ومن أجل توفير حكم ذاتى تام للسكان ، فان الحكومة العسكرية الاسرائيلية وادارتها المدنية ، سوف تنسحب حالما يجرى انتخاب سلطة حكم ذاتى انتخابا حرا ، من قبل سكان هذه المناطق ، لتحل محل الحكومة العسكرية القائمة • ومن أجل التفاوض حول تفاصيل الترتيبات الانتقالية ، ستدعى حكومة الاردن الى الاشتراك فى المفاوضات على أساس اطار العمل هذا • ويجب ان تولى هذه الترتيبات الجديدة اعتبارا مناسبا لمبدأ الحكم الذاتى من قبل سكان هاتين المنطقتين وللاهتمامات الأمنية الشرعية للأطراف المعنية فى آن معا •

(ب) ستتفق مصر واسرائيل والاردن على كيفية انشاء سلطة الحكم الذاتى المنتخبة فى الضفة الغربية وغزة • وقد يتضمن وفدا مصر والاردن فلسطينيين من الضفة الغربية وغزة ، أو فلسطينيين آخرين ، كما يتفق على هذا الأمر بصورة متبادلة •

وستتفاوض الأطراف بشأن اتفاقية تحدد سلطات ومسئوليات سلطة الحكم الذاتى التى ستمارس فى الضفة الغربية وغزة • وسيجرى سحب القوات الاسرائيلية المسلحة ، وستتم اعادة تمركز القوات الاسرائيلية المتبقية فى مواقع أمنية معينة •

وستتضمن الاتفاقية أيضا ترتيبات لضمان الأمن الداخلى والخارجى والنظام العام • وسيتم انشاء قوة بوليس محلية قوية ، قد تشتمل على مواطنين أردنيين اضافة الى ذلك ستشترك القوات الاسرائيلية والقوات الاردنية فى دوريات مشتركة ، وفى تزويد مراكز المراقبة بالرجال من أجل ضمان أمن الحدود •

(ج) وعندما يتم انشاء سلطة الحكم الذاتى (وهى المجلس الادارى) فى الضفة الغربية وغزة ، وتباشر هذه السلطة أعمالها ، ستبدأ

فترة الخمس سنوات الانتقالية • وفى أسرع وقت ممكن ، ولكن في وقت لايتجاوز السنة الثالثة من بداية الفترة الانتقاليـــة ، ستجرى مفاوضات لتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقاتهما بجيرانهما ، ولعقد معاهدة بين اسرائيـل والاردن فى نهاية الفترة الانتقالية •

وستجرى هذه المفاوضـات بين مصر واسرائيـل والاردن وممثلى سكان الضفة الغربيـة وغزة المنتخبين • وسـيعقد اجتمـاع للجنتين مستقلتين ولكن مرتبطتين • احداهما تتألف من ممثلين للأطراف الأربعة التى ستتفاوض وتتفق بشـأن الوضـع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقتها مع جيرانها وتتألف اللجنـة الثانيـة من ممثلين عن اسرائيـل وممثلين عن الاردن يشترك معهم ممثلون منتخبون من قبل سكان الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشأن معاهدة سـلام بين اسرائيل والاردن ، آخذين فى الاعتبار الاتفاقية التى يتم التوصل اليها بشأن الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة •

ان المفاوضات سترتكز على جميع نصوص ومبادىء قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وستسوى المفاوضات بين أمور أخرى : موقع الحدود ، وطبيعة ترتيبـات الأمن ، ويجب أيضـا ان يعترف الحل الناتـج عن المفاوضات بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى ومتطلباته العادلة • وبهذه الطريقة سيشترك الفلسطينيون فى تقرير مستقبلهم عن طريق •

١ ـ المفاوضات بين مصر واسرائيـل والاردن وممثلى سـكان الضفة الغربية وغزة وغير ذلك من القضايا المعلقة ، فى موعد أقصـاه نهاية الفترة الانتقالية •

٢ ـ عرض اتفاقهم للتصويت من قبل الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة •

٣ ـ تمكين الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة من ان يقرروا كيف سيحكمون أنفسهم فى صورة تتمشى مع بنود اتفاقهم •

٤ ـ المشاركة حسبما ذكر أعلاه ، فى عمل اللجنة التى تجرى المفاوضة حول معاهدة السلام بين اسرائيل والاردن •

(د) جميع الاجراءات اللازمة ستتخذ وجميع النصوص ستوضع لضمان أمن اسرائيل وجيرانها أثناء الفترة الانتقالية وما وراءها •

وللمساعدة فى توفير مثل هذا الأمن ، سيجرى تشكيل قوة بوليس محلية قوية من قبل سلطة الحكم الذاتى • وستتألف هذه القوة من سكان الضفة الغربية وغزة وسيبقى البوليس على اتصال متواصل حول شئون الأمن الداخلى مع الضباط الاسرائيليين والاردنيين والمصريين المعتمدين •

(هـ) أثناء الفترة الانتقالية ، سيشكل ممثلو مصر واسرائيل والاردن وسلطة الحكم الذاتى ، لجنة مستمرة لتبت بالاتفاق فى كيفية معالجة ادخال أشخاص شردوا من الضفة الغربية وغزة عام ١٩٦٧ ، مع الاجراءات اللازمة لمنع الفوضى والاضطراب • كذلك يمكن لهذه اللجنة معالجة مسائل أخرى ذات اهتمام مشترك •

(و) ستعمل مصر واسرائيل مع بعضهما ، ومع الأطراف الأخرى المعنية ، على وضع اجراءات متفق عليها لتنفيذ فورى وعادل ودائم لحل مشكلة اللاجئين •

(ب) مصر واسرائيل

١ ــ تتعهد مصر واسرائيل بالا تلجأ الى التهديد بالقوة أو استعمالها لتسوية النزاعات وان أية نزاعات ستسوى بوسائل سلمية وفق نصوص المادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة •

٢ ــ لكى يتم تحقيق السلام بينهما ، يوافق الفريقان على التفاوض بنية حسنة بهدف عقد معاهدة سلام بينهما فى غضون ثلاثة أشهر من توقيع اطار العمل هذا ، بينما تدعى أطراف النزاع الأخرى للمضى فى نفس الوقت فى التفاوض وعقد معاهدات سلام مماثلة بقصد تحقيق سلام شامل فى المنطقة ، وسيحكم اطار العمل لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل ، مفاوضات السلام بينهما • وسيوافق الفريقان على كيفية المعالجة وجدول زمنى لتنفيذ تعهدهما بموجب المعاهدة •

مبادىء مرافقة

١ ــ تعلن مصر واسرائيل ان المبادىء والنصوص المشروحة أدناه يجب ان تنطبق على معاهدات السلام بين اسرائيل وكل واحدة من جاراتها : مصر والأردن وسوريا ولبنان •

٢ ـ ان الموقعين أدناه سينشئان فيما بينهما علاقات طبيعية كتلك القائمة بين دول فى سلام مع بعضها • ومن أجل هذه الغاية يجب ان يتعهدا بالالتزام بجميع نصوص ميثاق الأمم المتحدة • وتشمل الخطوات التى ستتخذ فى هذا الصدد •

(أ) الاعتراف الكامل •

(ب) ازالة المقاطعة الاقتصادية •

(جـ) الضمان بأن مواطنى الأطراف الأخرى الذين تحت سلطتهما القضائية سيتمتعون بحماية عملية القانون المناسبة •

٣ ـ يجب أن يتقصى الموقعان الامكانيات من أجل تطور اقتصادى فى اطار معاهدات سلام نهائية بهدف المساهمة فى جو السلام والتعاون والصداقة الذى هو هدفهما المشترك •

٤ ـ يمكن انشاء لجان مطالبة من أجل التسوية المتبادلة لجميع المطالب المالية •

٥ ـ ستدعى الولايات المتحدة للاشتراك فى المحادثات حول مسائل تتصل بكيفية معالجة تنفيذ الاتفاقات ووضع جدول زمنى لتطبيق تعهدات الطرفين •

٦ ـ سيطلب من مجلس الأمن الدولى بأن يصادق على معاهدات السلام ويضمن بالا تخرق نصوصها • وسيطلب من أعضاء مجلس الأمن الدائمين بأن يكفلوا معاهدات السلام ويضمنوا الاحترام لنصوصها • وسيطلب منهم أيضا بأن يجعلوا سياساتهم وتصرفاتهم متمشية مع التعهدات الواردة فى اطار العمل هذا •

عن حكومة جمهورية مصر العربية **عن حكومة اسرائيل**

شاهد التوقيع

جيمى كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

الوثيقة الثانية

اطار عمل لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل

اجتمع الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية ومناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل مع جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى كامب ديفيد من ٥ الى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ واتفقوا على الاطار التالى للسلام فى الشرق الأوسط ، وهم يدعون أطراف النزاع العربى ـ الاسرائيلى الأخرى الى الانضمام اليه ٠

ان البحث عن السلام فى الشرق الأوسط يجب أن يسترشد بالآتى :

ان القاعدة المتفق عليها للتسوية السلمية للنزاع بين اسرائيل وجيرانها هو قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل أجزائه ٠٠ وسيرفق القراران رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨ بهذه الوثيقة ٠

بعد أربعة حروب خلال ثلاثين عاما ورغم الجهود الانسانية المكثفة فان الشرق الأوسط مهد الحضارة ومهبط الأديان العظيمة الثلاثة لم يستمتع بعد بنعم السلام ، ان شعوب الشرق الأوسط تتشوق الى السلام حتى يمكن تحويل موارد الاقليم البشرية والطبيعية الشاسعة لمتابعة أهداف السلام وحتى تصبح هذه المنطقة نموذجا للتعايش والتعاون بين الأمم ٠

ان المبادرة التاريخية للرئيس السادات بزيارته للقدس والاستقبال الذى لقيه من برلمان اسرائيل وحكومتها وشعبها وزيارة رئيس الوزراء بيجين للاسماعيلية ردا على زيارة الرئيس السادات ومقترحات السلام التى تقدم بها كل من الزعيمين ، وما لقيته هذه المهام من استقبال حار من شعبى البلدين كل ذلك خلق فرصة للسلام لم يسبق لها مثيل وهى فرصة لا يجب اهدارها ان كان يراد انقاذ هذا الجيل والأجيال المقبلة من مآسى الحرب ٠

وان مواد ميثاق الأمم المتحدة والقواعد الأخرى المقبولة للقانون الدولى والشرعية توفر الآن مستويات مقبولة لسير العلاقات بين جميع الدول ٠

وأن تحقيق علاقة سلام وفقا لروح المادة ٢ من ميثاق الأمم المتحدة واجراء مفاوضات فى المستقبل بين اسرائيل وأى دولة مجاورة مستعدة للتفاوض بشأن السلام والأمن معها هى أمر ضرورى لتنفيذ جميع البنود والمبادىء فى قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ ٠

ان السلام يتطلب احترام السيادة والوحدة الاقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة وحقها فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها غير متعرضة لتهديدات أو أعمال عنف ٠ وأن التقدم تجاه هذا الهدف من الممكن أن يسرع بالتحرك نحو عصر جديد من التصالح فى الشرق الأوسط يتسم بالتعاون على تنمية التطور الاقتصادى وفى الحفاظ على الاستقرار وتأكيد الأمن ٠

وان السلام يتعزز بعلاقة السلام وبالتعاون بين الدول التى تتمتع بعلاقات طيبة ٠٠ وبالاضافة الى ذلك فى ظل معاهدات السلام ويمكن للأطراف ـ على أساس التبادل ـ الموافقة على ترتيبات أمن خاصة مثل مناطق منزوعة السلاح ومناطق ذات تسليح محدود ومحطات انذار مبكر ووجود قوات دولية وقوات اتصال واجراءات يتفق عليها للمراقبة والترتيبات الأخرى التى يتفقون على أنها ذات فائدة ٠

ان الأطراف اذ تضع هذه العوامل فى الاعتبار مصممة على التوصل الى تسوية عادلة شاملة ومعمرة لصراع الشرق الأوسط عن طريق عقد معاهدات سلام تقوم على قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ بكل فقراتها ٠

وهدفهم من ذلك هو تحقيق السلام وعلاقات حسن الجوار وهم يدركون أن السلام لكى يصبح معمرا يجب أن يشمل جميع هؤلاء الذين تأثروا بالصراع أعمق تأثير ٠

لذا فانهم يتفقون على أن هذا الاطار مناسب فى رأيهم ليشكل أساسا للسلام لا بين مصر واسرائيل فحسب بل وكذلك بين اسرائيل وكل من جيرانها الآخرين ممن يبدون استعدادا للتفاوض على السلام مع اسرائيل على هذا الأساس ٠

ان الأطراف اذ تضع هذا الهدف فى الاعتبار ، قد اتفقت على المضى قدما على النحو التالى :

١ ـ ينبغى أن تشترك مصر واسرائيل والاردن وممثلو الشعب الفلسطينى فى المفاوضات الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية بكل

جوانبها ، ولتحقيق هذا الهدف فان المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية ينبغي أن تتم على ثلاث مراحل :

(أ) الضفة الغربية وغزة :

(أ) تتفق مصر واسرائيل على أنه من أجل ضمان نقل منظم وسلمى للسلطة مع الأخذ فى الاعتبار الاهتمامات بالأمن من جانب كل الأطراف يجب أن تكون هناك ترتيبات انتقالية بالنسبة للضفة الغربية وغزة لفترة لاتتجاوز خمس سنوات ولتوفير حكم ذاتى كامل لسكان الضفة الغربية وغزة فان الحكومة الاسرائيلية العسكرية وادارتها المدنية منهما ستنسحبان بمجرد أن يتم انتخاب سلطة حكم ذاتى من قبل السكان فى هذه المنطقة عن طريق الانتخاب الحر لتحل محل الحكومة العسكرية الحالية ولمناقشة تفاصيل الترتيبات الانتقالية فان حكومة الاردن ستكون مدعوة للانضمام للمباحثات على أساس هذا الاطار ويجب أن تعطى هذه الترتيبات الجديدة الاعتبار اللازم لكل من مبدأ حكم الذات لسكان هذه الأراضي واهتمامات الأمن الشرعية لكل من الأطراف التى يشملها النزاع .

(ب) أن تتفق مصر واسرائيل والاردن على وسائل اقامة سلطة الحكم الذاتى المنتخبة فى الضفة الغربية وقطاع غزة .. وقد يضم وفدا يضم مصر والاردن وممثلى الضفة الغربية وقطاع غزة أو فلسطينيين آخرين طبقا لما يتفق عليه .

وستتفاوض الأطراف بشأن اتفاقية تحدد مسئوليات سلطة الحكم الذاتى التى ستمارس فى الضفة الغربية وغزة وسيتم انسحاب للقوات المسلحة الاسرائيلية وسيكون هناك اعادة توزيع للقوات الاسرائيلية التى ستبقى فى مواقع أمن معينة وستضمن الاتفاقية أيضا ترتيبات لتأكيد الأمن الداخلى والخارجي والنظام العام .

وسيتم تشكيل قوة بوليس محلية قوية قد تضم مواطنين أردنيين .. بالاضافة الى ذلك ستشترك القوات الاسرائيلية والاردنية فى دوريات مشتركة وفى تقديم الأفراد لتشكيل مراكز مراقبة لضمان أمن الحدود .

(ج) وستبدأ الفترة الانتقالية ذات السنوات الخمس عندما تقوم سلطة حكم ذاتى « مجلس ادارى » فى الضفة الغربية وغزة فى أسرع وقت ممكن دون أن تتأخر عن العام الثالث بعد بداية

الفترة الانتقالية ٠٠ وستجرى المفاوضات لتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقتها مع جيرانها ولابرام معاهدة سلام بين اسرائيل والأردن بحلول نهاية الفترة الانتقاليــة ، وستدور هذه المفاوضات بين مصر واسرائيل والأردن والممثلين المنتمين لســكان الضفة الغربية وغزة ٠

وسيجرى انعقاد لجنتين منفصلتين ولكنهما مترابطتان ٠٠ احدى هاتين اللجنتين تتــكون من ممثلى الأطراف التى ستتفاوض وتوافق على الوضع النهائى للضفة وغزة وعلاقاتها مع جيرانها ٠ وتتكون اللجنـــة الثانية من ممثلى اسرائيل وممثلى الأردن والتى سيشترك معهـــا ممثلو السكان فى الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشـــأن معاهدة السلام بين اسرائيل والأردن واضعة فى تقديرها الاتفاق الذى تم التوصـــل اليه بشأن الضفة الغربية وغزة ٠

وسترتكز المفاوضات على أساس جميع النصوص والمبادىء لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ٠

وستقرر هذه المفاوضات ضمن أشياء أخرى موضع الحدود وطبيعة ترتيبات الأمن ٠٠ ويجب أن يعترف الحل الناتج عن المفاوضات بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ومتطلباتهـــم العـادلة وبهذا الاســلوب سيشارك الفلسطينيون فى تقرير مستقبلهم من خلال :

١ ـ أن يتم الاتفاق فى المفاوضات بين مصر واسرائيل والأردن وممثلى السكان فى الضفة الغربية وغزة على الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة والمسائل البارزة الأخرى بحلول نهاية الفترة الانتقالية ٠

٢ ـ أن يعرضوا اتفاقهم للتصويت من جانب الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة ٠

٣ ـ اتاحة الفرصة للممثلين المنتخبين عن السكان فى الضفة الغربيه وغزة لتحديد الكيفية التى سيحكمون بها أنفســهم تمشــيا مع نصوص الاتفاق ٠

٤ ـ المشاركة ـ كما ذكر أعلاه ـ فى عمل اللجنة التى تتفاوض بشأن معاهدة السلام بين اسرائيل والأردن ٠

(د) سيتم اتخاذ كل الاجراءات والتدابير الضرورية لضمان أمن اسرائيل وجيرانها خلال الفترة الانتقالية وما بعدها ٠٠ وللمساعدة على توفير مثل هذا الأمن ستقوم سلطة الحكم الذاتى بتشكيل قوة قوية من الشرطة المحلية ٠

وتشكل هذه القوة من سكان الضفة الغربية وغزة٠٠وستكون قوة الشرطة على اتصال مستمر بالضباط الاسرائيليين والأردنيين والمصريين المعينين لبحث الأمور المتعلقة بالامن الداخلى ٠

(هـ) خلال الفترة الانتقالية يشكل ممثلو مصر واسرائيل والأردن وسلطة الحكم الذاتى لجنة تعقد جلساتها باستمرار وتقرر باتفاق الأطراف صلاحيات السماح بعودة الأفراد الذين طردوا من الضفة الغربية وغزة فى ١٩٦٧ مع اتخاذ الاجراءات الضرورية لمنع الاضطراب وأوجه النمزق ويجوز أيضا لهذه اللجنة أن تعالج الأمور الأخرى ذات الاهتمام المشترك ٠

(و) ستعمل مصر واسرائيل مع بعضهما البعض ومع الأطراف الأخرى المهتمة لوضع اجراءات متفق عليها للتنفيذ العاجل والعادل والشامل لحل مشكلة اللاجئين ٠

(ب) مصر واسرائيل :

١ ـ تتعهد مصر واسرائيل بعدم الالتجاء للتهديد أو لاستخدام القوة لتسوية المنازعات ، وسيتم تسوية أى نزاع بالطرق السلمية طبقا لأحكام المادة ٣٣ لميثاق الأمم المتحدة ٠

٢ ـ فى سبيل تحقيق السلام فيما بينهما يوافق الطرفان على التفاوض بنية حسنة بهدف توقيع معاهدة سلام بينهما خلال ثلاثة أشهر اعتبارا من تاريخ توقيع هذا الاطار ٠ وفى ذات الوقت يدعون أطراف النزاع الأخرى الى العمل فى نفس الوقت للتفاوض وللتوصل الى معاهدة سلام مماثلة تستهدف تحقيق تسوية شاملة فى المنطقة ٠ أن الاطار الخاص بتوقيع معاهدة سلام بين مصر واسرائيل سيحكم مفاوضات السلام الخاصة بتلك الأطراف ٠ سيتفق الطرفان على ترتيبات وجدول تنفيذ التزامهم وفقا للمعاهدة ٠

(ج) المبادىء المرتبطة :

١ ـ تعلن مصر واسرائيل أن المبادىء والنصوص المذكورة أدناه ينبغى أن تطبق على معاهدة السلام بين اسرائيل وبين كل من جيرانها مصر والأردن وسوريا ولبنان ٠

٣ ـ على الموقعين أن يقيموا فيما بينهم علاقات طبيعية كتلك القائمة بين الدول التى هى فى حالة سلام كل منها مع الأخرى ٠

وعند هذا الحد ينبغي أن يتعهدوا بالالتزام بنصوص ميثاق الأمم المتحدة ، ويجب أن تشمل الخطوات التى تتخذ فى هذا الشأن على :

(أ) اعتراف كامل ·

(ب) الغاء المقاطعات الاقتصادية ·

(جـ) الضمان فى أن يتمتع المواطنون فى ظل السلطة القضائية بحماية الاجراءات القانونية فى اللجوء للقضاء ·

٣ ــ يجب على الموقعين استكشاف امكانيات التطور الاقتصادى فى أطار اتفاقيات السلام النهائية بهدف المساهمة فى جو السلام والتعاون والصداقة التى تعتبر هدفا مشتركا لهم ·

٤ ــ يجب أقامة لجان للدعاوى القضائية للحسم المتبادل لجميع الدعاوى القضائية المالية ·

٥ ــ يجرى دعوة الولايات المتحدة للاشتراك فى المحادثات بشأن موضوعات متعلقة بشكليات تنفيذ الاتفاقيات واعداد جدول زمنى لتنفيذ تعهدات الأطراف ·

٦ ــ سيطلب من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة المصادقة على معاهدات السلام وضمان عدم انتهاك نصوصها ، وسيطلب من الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن التوقيع على معاهدات السلام وضمان احترام نصوصها ، كما سيطلب منهم مطابقة سياستهم وتصرفاتهم مع التعهدات التى يحتويها هذا الاطار ·

عن حكومة اسرائيل	**عن حكومة جمهورية مصر العربية**
مناحم بيجين	**محمد أنور السادات**

عن حكومة الولايات المتحدة

جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة

١٧ سبتمبر ١٩٧٩

اطار الاتفاق لمعاهدة سلام بين مصر واسرائيل

من أجل تحقيق السلام ٠٠ وافقت مصر واسرائيل على التفاوض بنية صادقة بهدف التوصل الى معاهدة سلام بينهما خلال ٣ أشهر من تاريخ هذا الاتفاق ٠

وتم الاتفاق على مايلى :

ــ أن تجرى المفاوضات تحت علم الأمم المتحدة ، فى المكان ,و الأماكن التى يتفق عليها الجانبان ٠

ــ أن يتم تطبيق كل مبادىء قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ فى حل النزاع بين مصر واسرائيل ٠

ــ أن يتم تنفيذ بنود معاهدة السلام فى فترة بين عامين و ٣ أعوام من تاريخ توقيع المعاهدة ، فيما لو لم يتفق الطرفان على شىء آخر ٠ وقد أتفق الجانبان على المسائل التالية :

(أ) ممارسة مصر لسيادتها الكاملة على المنطقة التى تمتد الى الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين فى فترة الانتداب ٠

(ب) انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من سيناء ٠

(ج) استخدام المطارات الجوية التى يخلفها الاسرائيليون بالقرب من العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ ــ للأغراض المدنية فقط بما فى ذلك الاستخدام التجارى المحتمل من جانب جميع الدول ٠

(د) حرية مرور السفن الاسرائيلية فى خليج السويس وقناة السويس على أساس اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ والتى تنطبق على جميع الدول ٠

اعتبار مضيق تيران وخليج العقبة ممرات دولية مفتوحة أمام جميع الدول لحرية الملاحة وحرية المرور البرى والطيران فوقها ٠

(هـ) انشاء طريق سريع يربط بين سيناء والأردن بالقرب من ايلات مع ضمان حرية المرور السلمى فيه لكل من مصر والأردن •

(و) أن تتم مرابطة قوات عسكرية على النحو المبين فيما يلى :

مرابطة القوات :

(أ) لن ترابط مايزيد على فرقة واحدة (ميكانيكية أو مشاة) فى القوات المسلحة المصرية داخل منطقة تبعد بما يقرب من ٥٠ كيلو مترا شرق خليج السويس وقناة السويس •

(ب) قوات الأمم المتحدة والبوليس المدنى فقط المزودة بأسلحة خفيفة ، لممارسة مهام البوليس العادية وسوف ترابط فى منطقة تقع غربى الحدود الدولية وخليج العقبة ، يتراوح عمقها ما بين ٢٠ و ٤٠ كليو مترا •

(جـ) فى المنطقة الممتدة على مسافة ٣ كيلو مترات شرق الحدود الدولية تكون هناك قوات عسكرية اسرائيلية لاتزيد عن أربع كتائب مشاة ومراقبو الأمم المتحدة •

(د) وحدات حرس حدود لاتزيد على ثلاث كتائب تقوم بمعاونة البوليس المدنى فى صيانة النظام فى المنطقة التى لم ترد عالية •

وتعيين المناطق المذكورة عاليه سوف يكون حسبما يتم الاتفاق عليه خلال مفاوضات السلام • ومحطات الانذار المبكر قد توجد لضمان الالتزام ببنود الاتفاقية •

وتتمركز قوات الأمم المتحدة فى :

(أ) فى المنطقة فى سيناء التى تبعد عن البحر المتوسط بعشرين كيلومترا والقريبة من الحدود الدولية •

(ب) فى منطقة شرم الشيخ لضمان حرية المرور فى مضيق تيران — ولن يتم سحب هذه القوات الا فى حالة موافقة مجلس الأمن على سحبها بالأغلبية المطلقة •

وبعد أن يتم توقيع اتفاقية السلام وأثر اتمام الانسحاب المرحلى ، تقام علاقات طبيعية بين مصر واسرائيل بما فى ذلك : الاعتراف الكامل — متضمنا علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية •

وانهاء المقاطعة الاقتصادية ورفع القيود على حرية انتقال البضائع والأشخاص . على أن يتمتع مواطنو كل من الدولتين بحمايه القوانين المطبقة فى دولتهم .

- الانسحاب المرحلى :

ان تنسحب جميع القوات الاسرائيلية بعد فترة تتراوح بين ٣ و ٩ أشهر من توقيع الاتفاقية الى شرق الخط الممتد من نقطة العريش حتى رأس محمد ، وسيتم تعيين هذا الخط على وجه التحديد من الاتفاق بين الجانبين .

عن جمهورية مصر العربية — **عن حكومة اسرائيل**

محمد أنور السادات — **مناحم بيجين**

شهد التوقيع ...

جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية .

١٧ سبتمبر ١٩٧٩ .

نص الخطابات المتبادلة

الملحقة بوثائق كامب ديفيد

بين كارتر والسادات وبيجين بتاريخ ١٩٧٨/٩/٢٢

(أ) حول القدس

رسالة رقم (١)

الى الرئيس كارتر من الرئيس السادات :

اكتب اليكم لأعيد تأكيد موقف جمهورية مصر العربية بشأن القدس

١ ـ تعتبر القدس العربية جزءا لا يتجزا من الضفة الغربية ويجب احترام واعادة الحقوق العربية الشرعية والتاريخية فى المدينة ٠

٢ ـ ان القدس العربية يجب أن تكون تحت السيادة العربية ٠

٣ ـ ان من حق السكان الفلسطينيين فى القدس ممارسة جميع حقوقهم الوطنية المشروعة بوصفهم جزءا لا يتجزأ من الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية ٠

٤ ـ ان القرارات الصادرة من مجلس الأمن وخاصة القرارين رقم ٢٤٢ ، ورقم ٢٦٧ يجب أن تطبق بشأن القدس وتعتبر كافة الاجراءات التى اتخذتها اسرائيل لتغيير وضع المدينة لاغية وغير قائمة ويجب ابطال آثارها ٠

٥ ـ يجب أن تتوافر لجميع الشعوب حرية الوصول الى القدس وممارسة الشعائر الدينية وحق زيارة الأماكن المقدسة بدون أى تمييز أو تفرقة ٠

٦ ـ يجوز وضع الأماكن المقدسة لكل دين من الأديان الثلاثة تحت ادارة واشراف ممثل هذا الدين ٠

٧ ـ ينبغى ألا تقسم الوظائف الضرورية فى المدينة ٠ ويمكن اقامة

مجلس بلدى من كل من العرب والاسرائيليين للاشراف على تنفيــذ عدة الوظائف . وبهذه الطريقة فانه لن يتم تقسيم المدينة .

رسالة رقم (٢)

الى الرئيس كارتر من رئيس الوزراء بيجين :

يشرفنى ان أبلغكم يا سـيادة الرئيس بان البرلمان الاسرائيــلى « الكنيست » أصدر قانونا فى ٢٨ يونيو عام ١٩٦٧ يقضى بأن يكون من سلطة الحكومه عن طريق مرسوم تصـــدره ـ اخضاع اى جزء من أرض اسرائيل الكبرى للقانون والقضاء والسلطة الادارية للدولة على النحو المبين فى المرسوم .

وقد قامت حكومة اسرائيل على أساس هذا القانون باصدار مرسوم فى يوليو ١٩٦٧ ينص على أن القدس مدينة واحدة غير قابلة للتقســيم وأنها عاصمة لدولة اسرائيل .

رسالة رقم (٣)

الى الرئيس السادات من الرئيس كارتر :

لقد تسلمت رسالتكم المؤرخة فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ والتى توضح الموقف المصرى بشأن القدس . وقد أرسلت نسخة من هذه الرسالة الى رئيس الوزراء مناحم بيجين لاحاطته علما بها .

ان موقف الولايات المتحدة بشأن القدس يظل هو نفس الموقف الذى أعلنه السفير جولد برج أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٤ يوليو عام ١٩٦٧ وهو ما أكده من بعده السفير يوست أمام مجلس الأمن فى أول يوليو ١٩٦٩ .

(ب) حول المســـتوطنات

رسالة رقم (١)

الى الرئيس كارتر من الرئيس السادات :

الحاقا باطار التسويةفي سيناء الذى ينبغى التوقيع عليه هـذا المســاء أود أن أؤكد من جديد موقف جمهورية مصر العربية بشـــأن المستوطنات ٠

١ ــ يجب اجلاء جميع المستوطنين الاسرائيليين من ســـيناء طبقا لجدول زمنى خلال الفترة المحددة لتطبيق معاهدة السلام ٠

٢ ــ لذلك فان موافقة حكومة اسرائيل ومؤسساتها الدستورية على هذا المبدأ الأساسى تعتبر شرطا مسبقا لبدء مفاوضاتالسلام التى تستهدف الوصول الى معاهدة سلام ٠

٣ ــ فى حالة فشل اسرائيل فى الوفاء بهذا الالتزام فان اطـــار التسوية سيكون لاغيا وغير قائم ٠

رسالة رقم (٢)

الى الرئيس كارتر من رئيس الوزراء مناحم بيجين :

أتشرف أن أبلغكم أنه خلال الأسبوعين التاليين لعودتى الى اسرائيل سأطرح على البرلمان الاسرائيلى (الكنيست) مشروع قرار للبت فيـــه يتضمن الاجابة على السؤال التالى :

اذا تمت خلال المفاوضات الخاصة بابرام معاهـــدة سلام بين مصر واسرائيل تسوية جميع المشاكل المعلقة هل تؤيدون اجلاء المستوطنين الاسرائيليين من المناطق التى يقيمون فيهـا شمال وجنوب سيناء أم أنكم تؤيدون بقاء هؤلاء المستوطنين فى تلك الأماكن ؟

ان التصويت على هذا السؤال ــ سيدى الرئيس ــ سيتم بحرية تامة بعيدا عن جميع تقاليد البرلمان المتبعة التى تقضى بأن يتقيد النائب برأى حزبه وذلك برغم أن الائتلاف الحكومى بتأييد ٧٠ نائب من بين

١٢٠ نائبا هم كل الكنيست وفى اعتقادى أنه سيكون فى استطاعة كل عضو فى الكنيست سـواء من المؤيدين للحكومة أو فى مقاعد المعارضـة الادلاء بصوته بوحى من ضميره الشخصى ٠

رسالة رقم (٣) :

من الرئيس كارتر الى الرئيس السادات بتاريخ ٢٣/٩/١٩٧٨ الى الرئيس السادات من الرئيس كارتر :

مرفق بهذه الرسالة نسخة من الرسـالة التى بعث بها الى رئيس الوزراء مناحم بيجين موضحا كيفية طرح قضية مسـتوطنات سيناء على الكنيست لاتخاذ قرار بشأنها فى وقت لاحق ٠

وفيما يتعلق بهذه القضية فأنا أفهم من رسالتكم أن موافقة الكنيست على أجلاء جميع المستوطنين الاسرائيليين من سيناء طبقا لجدول زمنى خلال الفترة المحددة لتطبيق معاهدة السلام تعتبر شرطا مسبقا لأى مفاوضات من أجل ابرام معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ٠

رسالة رقم (٤)

نص رسالة كارتر الى بيجن بتاريخ ٢٢/٩/١٩٧٨

الى رئيس الوزراء بيجين من الرئيس كارتر :

لقد تسلمت رسالتكم بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ توضحون فيهـا كيفية طرح قضية مستقبل المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء على الكنيست كى تتخذ قرارا بشأنها ٠

ومرفق هنا نسخة من رسالة الرئيس السادات الى حول هـذا الموضوع ٠

(ج) حول الضفة الغربية وغزة

رسالة رقم (١)

الى الرئيس كارتر من الرئيس السادات :

الحاقا على اطار السلام فى الشرق الأوسط أكتب لكم هذه الرسالة لأحيطكم علما بموقف جمهورية مصر العربية بشأن تطبيق التسوية الشاملة .

أنه من أجل ضمان تنفيذ البنود المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ومن أجل حماية الحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى فان مصر ستكون على استعداد للاضطلاع بالدور العربى الذى تحدده هذه البنود وذلك بعد المشاورات مع الأردن وممثلى الشعب الفلسطينى .

رسالة رقم (٣)

الى رئيس الوزراء بيجين من الرئيس كارتر :

احيطكم علما هنا أنكم أبلغتمونى بما يلى :

(أ) أنكم ستفسرون وتفهمون عبارات « الفلسطينيون » أو « الشعب الفلسطينى » الواردة فى كل فقرة من وثيقة اطار التسوية المتفق عليها باعتبارها تعنى « عرب فلسطينيون » .

(ب) ان الحكومة الاسرائيلية ستفهم تعبير « الضفة الغربية » فى أى فقرة يرد فيها من وثيقة اطار التسوية على أنه يعنى « يهودا والسامرة » .

قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧

فى ٢٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٧ ، صوت مجلس الأمن على مسودة قرار قدمتها بريطانيا ، وأقرها بالاجماع · وفيما يلى نص القرار :

ان مجلس الأمن اذ يعرب عن قلقه المستمر للوضع الخطير فى الشرق الاوسط · واذ يؤكد عدم جواز اكتساب الأرض بالحرب والحاجة للعمل من أجل سلام عادل ودائم تستطيع فيه كل دولة فى المنطقة أن تعيش فى أمن ·

واذ يؤكد كذلك أن جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل وفق المادة الثانية من الميثاق ·

١ ــ يثبت أن تحقيق مبادىء الميثاق يتطلب اقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط يجب أن يشمل تطبيق المبدأين التاليين كليهما ·

* انسحاب القوات الاسرائيلية من أراض احتلت فى النزاع الأخير

* انهاء كل تمسك بصفة المحاربة أو فى حالة الحرب وايلاء الاحترام والاعتراف بسيادة كل دولة فى المنطقة وحقها فى أن تعيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها خالية من التهديدات أو أعمال القوة ·

٢ ــ يثبت كذلك الضرورة ·

(أ) لضمان حرية الملاحة عبر الطرق المائية الدولية فى المنطقة ·

(ب) لتحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ·

(ج) لضمان الحرية الاقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة باتخاذ اجراءات بما فيها انشاء مناطق مجردة من السلاح ·

٣ ــ يطلب الأمين العام انتداب ممثـــل خاص ليذهب الى الشرق الأوسط لاقامة ومواصلة الاتصالات مع الدول المعنية بغية تشجيع الاتفاق ومساعدة الجهود الرامية الى تحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفق النصوص والمبادىء الواردة فى هذا القرار ·

٤ ــ يطلب من الأمين العام موافـــاة مجلس الأمن ، فى أقرب وقت ممكن ، بتقرير عن سير جهود الممثل الخاص ·

قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣

أن مجلس الأمن :

١ ـ يدعو جميع أطراف القتال الحالى الى وقف كل اطلاق للنيران، وانهاء كل نشاط عسكرى فورا ، فى فترة لا تتجاوز ١٢ ساعة من لحظة اعتماد هذا القرار وذلك فى المواقع التى يحتلونها الآن ٠

٢ ـ ويدعو الأطراف المعنيين الى البدء فور وقف اطلاق النار فى تنفيذ قرار مجلس الأمن ١٩٦٧/٢٤٢ بكل أجزائه ٠

٣ ـ ويقرر أن يبدأ فوز وقف اطلاق النار ، اجراء المفاوضات بين الأطراف المعنية تحت الرعاية المناسبة بهدف اقرار سلم عادل ودائم فى الشرق الأوسط :

الفصل الثالث

معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل والاتفاق التكميلى

المعاهدات من قدم التاريخ

لعل اقدم معاهدة سـلام فى تاريخ البشرية ، هى المعاهدة التى أبرمهـا (عام ١٢٦٩ ق ٠ م) فرعون مصر « رمسـيس الثانى » مع « حاتوسيليس » ملك الحيثيين ٠

وقد نقشت هذه المعاهدة باللغـة الهيروغليفية على حائط معبـد الكرنك ، وهى تشمل نصوصا فريدة فى أهميتها لتاريخ العلاقات الدولية، اد تتضمن معانى الصداقة الأبدية ، والسلم الدائم ، والسلامة الاقليمية، وعدم الاعتداء وتبادل المجرمين والمساعدة المتبادلة ٠

ويوجد نموذج مجسم لهذه المعاهدة باللغة المسمارية ، فى البهـو المؤدى الى مجلس الأمن ، من اهداء جمهورية تركيا الى هيئة الأمم المتحدة٠

معنى المعاهدة :

والمعاهدة أو الميثاق أو العهد ، يعنى اتفاقا أو محالفة ٠ وقد تتم المعاهدة بين طرفين فتعرف بالمعاهدة الثنائيـة ، أو بين أكثر من طرفين، فتكون معاهدة جماعية ٠

وقد تكون مدة سريان المعاهدة غير محددة التاريخ ، فتكون لها صفة الاستمرار فهى معاهدة دائمة ، أو محددة الأجل بتاريخ معين متفق عليه ضمن النصوص فتسمى معاهدة مؤقتة ٠

واذا كان هناك تقارب بين طرفين أو أكثر من حيث القوى العسكرية والاقتصادية والسياسية ، فتكون المعاهدة متكافئة ، أما اذا تفاوتت القوى وتباعدت ، فتميز طرف لانفراده وتفوقه فى تلك القوى ، فتصبح المعاهدة غير متكافئة ٠

وقد لا تتوفر الثقة المطلقة بين طرفى المعاهدة ، فيطلبون ضمانا من دولة قوية ، فتكون معاهدة الضمان ٠ ومن الأرجح أن تباشر الضمان دولة قوية « الدولة الضامنة » ، التى تأخذ على عاتقها ، الزام المتعاهدين على احترام شروط المعاهدة وتقييدهم بها ٠ وغالبا ما يكون موقف الدولة الضامنة حساسا ، ولذا لا تقبل أى دولة أن تقوم بدور الدولة الضامنة الا اذا كانت :

- دولة لها مصلحة مباشرة فى احترام المعاهدة والالتزام بشروطها .
- دولة تربطها بدولتى التعاقد صداقة خاصة .

وتعتبر معاهدة « بلوا » (عام ١٥٠٥ م) ، أول معاهدة ضمان فى تاريخنا الحديث ، وكانت بين فرنسا وملك أراجون . وقامت انجلترا بدور الدولة الضامنة ، والتزمت بدور المشرف المنفذ لتطبيق شروط المعاهدة ، ووعدت بأن تضمن احترام المتعاهدين للشرط وعدم خروجهما عليها .

وقد يتجاوز الضمان حدود تعهد الدولة الواحدة ، الى ضمان مجموعة من الدول ، فيسمى الضمان الجماعى ، الذى طبق فى ميثاق عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى .. كما طبق ميثاق هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ، وفى ميثاق الضمان الجماعى العربى .

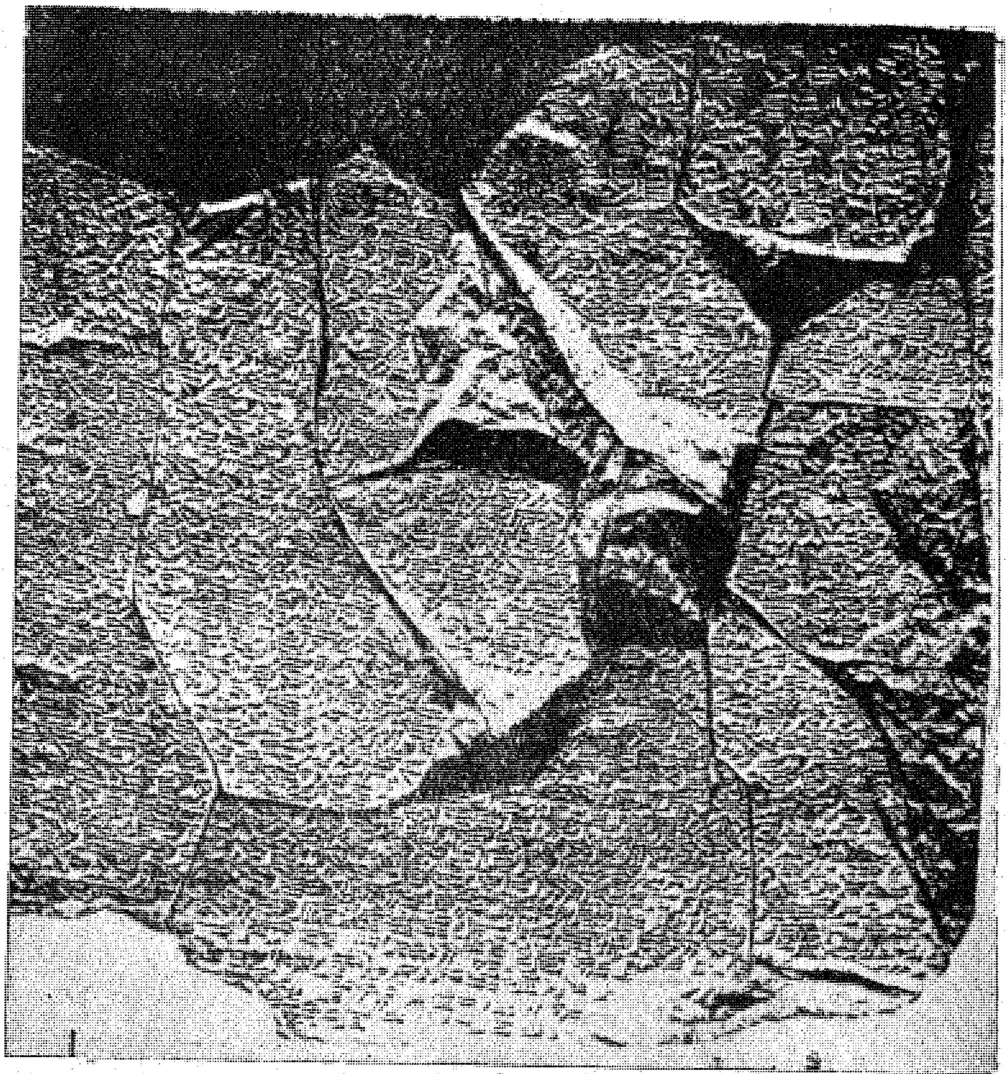
أحلاف الجاهلية

ومن أهم أحلاف الجاهلية :

- حلف الأحلاف .. عقده بنو عبد الدار مع سادة القبائل الموالية والمطلب ونوفل ، بهدف جمع ما تفرق من شملهم . وسمى بالمطيبين لأنهم غمسوا أيديهم فى طيب ، جاءوا به الى الكعبة وأقسموا عليه ألا ينقضوا حلفهم .
- حلف الأحلاف .. عقده بنو عبد الدار مع سادة القبائل الموالية لهم للتصالح مع قريش ، بعد أن كادت الحرب أن تضيع من شأنها واتفق فيما بينهم على أن يكون اللواء لبنى عبد الدار والسقاية لبنى عبد مناف .
- حلف الفضول .. استمرت حرب الفجار بين هوزان وقريش أربع سنوات كان القتال فيها يدور لعدة أيام ، وفيما عداها كان العرب يكفون عن القتال لتصريف شئونهم وتجارتهم .

وقد اشترك فى هذه الحرب ، الرسول محمد وهو فى حداثته .. فكان يجمع السهام التى كانت ترميها قبيلة هوازن ، ويعطيها لجده عبد المطلب ليردها الى صدور مقاتلى هوازن .

وفى هذه الحرب ، قتل عبد المطلب وهاشم ، وتشتت بعدهما العرب لصراعهم على الزعامة والسيادة . فرأى الزبير بن عبد المطلب ، أن



أقدم معاهدة سلام فى العالم وقعتها مصر عام ١٢٦٩ قبل الميلاد

يعيد جمع الشمل ، وتعاهدوا على منـــاصرة المظلومين حتى يظهر الحق وينالوه · وقد حضر الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذا الحلف ·

وكان العرب يوثقون عهودهم ، بلعق الدم ثم بسوائل أخرى فى لون الدم · وكانوا يغمسون أيديهم فى الماء ، فكأنما أمسك بعضهم بيد بعض ، وكأنهم أرادوا أن يسرى العهد فى جسدهم ·

المعاهدات فى الاسلام

فى صدر الاسلام ، كان معظم الأحلاف والعهود بين المشركين وبين النبى محمد عليه الصلاة والسلام ، وضده بالذات ، لأن الوحى هبـط بالاسلام عليه لذاته ·

وكان هناك صلح الحديبية ، وهو عهد بين محمد النبى الكريم وبين كفار قريش ، عقد فى شهر ذى القعدة عام ٦ هجرية ، عند بئر الحديبية بالقرب من مكة · ويعتبر هذا الصلح نقطة الانطلاق الجوهرية لانتشار الدعوة المحمدية ·

فقد خرج المسلمون ، بعد احرامهم بالمدينة ، وطريقهم مكة للزيارة ، وقد سبقهم خبر بين الناس بأن محمدا لا يبغى قتالا · ولكن المشركين من قبائل قريش فى مكة ، توجسوا خيفة وتوقعوا أمرا ، وصمموا قائلين :

ــ لا يدخلن محمد علينا مكة فيظن العرب أنه دخلها علينا عنوة ·

وبعثوا برسول ليتقصى الخبر ويستطلع الأمر ·· فقال له النبى محمد عليه الصلاة والسلام :

ــ انا لم نجىء لقتال ولكن جئنا معتمرين ، وأن قريشا قد نهكتهم الحرب وأجهدتهم ، فان شاءوا ماردتهم (هادنتهم) مدة ويخلوا بينى وبين الناس ·

وعاد رسول قريش وأخبر قومه بالأمر ·

وبعد مشاورة الصحابة ، أوفد الرسول الكريم عثمان بن عفـــان ليخبرهم بسبب قدومهم · وكان عثمان ينتمى الى بنى أمية ، احدى بطون قريش التى يرأسها أبو سفيان ·· وبذلك يعتبر عثمان من أقرباء أقوى رجل فى قريش ·

ولاقت قريش عثمان مرحبة به ، وأنبأهم بعزم المسلمين · ولما طالت غيبة عثمان ، حسب المسلمون أن شرا قد لحقه ، وراجت بينهم اشـــاعة

قتله ، فتحمسوا لقتال قبـــائل مكة ، حتى فاجأهم قدوم عثمان وقص عليهم ما حدث ٠

وأرسلت قريش ، سهيل بن عمرو ، مبعوثا عنها ٠ فلما رآه النبى الكريم ، هتف قائلا :

ــ لقد أراد القوم الصلح حتى بعثوا هذا الرجل ٠

وقال الرسوم الكريم :

ــ أكتب يا على ٠٠ هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، ســهيل ابن عمرو ٠٠ وقرر الاتفاق شروطا ملزمة للطرفين ٠

وهكذا عقد الرسول الكريم هذا الصلح ، حرصا منه على الســلام وتجنب الحرب ، ولاطمئنانه الى صلح يكفل له الأمن من جانب قريش ، حتى يصل الى حرية الدعوة فى ظلال الاسلام ٠

وروى ابن هشام : أن النبى عليه الصـــلاة والسلام ، لم تمض له سوى مدة قليلة فى المدينة ، حتى اجتمع له اسلام أهل المدينة من العرب ولم يبق دار من دور الأنصـــار ، الا أسلم أهلها ، عدا أفراد من قبيلة الأوس ٠

فكتب رسول الله عليه الصـــلاة والسلام ، كتـابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه اليهـــود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم ٠

لقد كان بالامكان أن تؤتى هذه المسالمة العادلة ، ثمارها فيمـــا بين المسلمين واليهـــود ، لو لم تتغلب على اليهــود طبيعتهم من حب الغدر والخديعة ، فكان المسلمون بذلك فى حل مما التزموا به تجاههم ٠

والأصل أن مشروعية فرض الجهاد ، حكم تبليغى لا يخضـــع لأى نسخ أو تبديل ، وكذلك أصل مشروعية الصلح والمعاهدات فهو ثابت لا يجوز ابطاله أو اجتثاثه من أحكام الشريعة الاسلامية ، وهو يخضـــع للسياسة الشرعية أو ما يسمى ب « حكم الامامة » ، وتتحكم فيه ظروف الزمان والمكان وحالة المسلمين وحالة أعدائهم ٠ والميزان المحكم فى ذلك، انما هو بصيرة الامام العادل ، بجانب اعتماده الدائم على مشاورة المسلمين والاستفادة من خبراتهم وآرائهم ٠

فاذا رأى الحاكم أنه من الخير للمسلمين أن لا يجابهوا أعداءهم بالحرب والقوة ، بعد التشاور ، فله أن يجنح الى سلم معهم لا يصادم

نصا من النصوص الشرعية الثابتة · وله أن يحمل رعيته على القتال ، اذا ما رأى المصلحة والسياسة الشرعية السليمة فى ذلك الجانب · وهذا ما اتفق عليه عامة الفقهاء ، ودلت عليه مشاهد كثيرة من السيرة النبوية الشريفة · والصحيح الذى اتفق عليه الفقهاء ، أن الشورى مشروعية ولكنها ليست بملزمة للحاكم المسلم ، فليس عليه أن يأخذ بآراء الأكثرية لو خالفوه الرأى ·· ويقول الامام القرطبى فى كتاب الجامع لأحكام القرآن :

« المستشير ينظر فى اختلاف الآراء ، وينظر أقربها الى الكتاب والسنة ان أمكنه ، فاذا أرشده الله تعالى الى ما شاء منها عزم عليه وأنفذه » ·

معاهدة السلام

بين مصر واسرائيل

كانت اتفاقيات كامب ديفيد ·· كاطار شامل وعادل للسلام فى الشرق الأوسط ·· تمثل صرحا عظيما ومنطلقا حيويا لدفع عجلة السلام قدما ، بدون ابطاء أو توقف ، لتحقيقه بشكل عملى ·

وقد نص فى مقدمة اتفاق اطار العمل لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل ، على موافقة الطرفين على التفاوض بنية حسنة ، بهدف عقد معاهدة سلام بينهما ، فى غضون ثلاثة أشهر من توقيع الاتفاق (يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨) ·

وفى الفترة ما بين ١٢ أكتوبر الى ٤ ديسمبر ١٩٧٨ ، عقدت مباحثات بين مصر واسرائيل والولايات المتحدة بوصفها شريكا كاملا فى السلام ، فى « بلير هاوس » بواشنطن ، بهدف الوصول الى اتفاق شامل للسلام باثارة موضوعات فرعية سبق بحثها فى كامب ديفيد ·

ودارت المباحثات فى حلقة مفرغة ، لجأ اليها الجانب الاسرائيلى باثارة موضوعات فرعية سبق بحثها فى كامب ديفيد ·

ولعل اسرائيل قد تناست ، أن مصر تتحمل مسئولية خاصة فى المنطقة ، جعلتها فى أول صفوف المحاربين ، حين كانت الحرب هى الوسيلة الوحيدة للتعامل مع الموقف ، كما جعلتها فى أول صفوف المفاوضين حين سنحت الفرصة ·· وأن مصر لا يمكن أن تقبل أى موقف يحاول فيه أحد أطراف النزاع أن يأخذ فى يده مقاليد التصرف والتحكم ·· فكان

أن رفضت مصر أى تسوية فى قضية السلام ، وتعثر سير المباحثات حتى غلب الظن على فشلها المؤكد ٠

ورأى الرئيس كارتر ، أن تجميد المباحثات لا يفيد مطلقا قضية السلام فى الشرق الأوسط ، فكان عليه أن يتحرك شخصيا كشريك كامل لحسم العقبات ولتفهم وجهة نظر كل من الطرفين ٠ فقرر أن يقوم بزيارة مصر واسرائيل يوم ٥ مارس ١٩٧٩ ٠

وبعد انتهاء زيارة الرئيس الأمريكى ، وقبل مغادرته مطار القاهرة الدولى يوم ١٣ مارس ، صرح كارتر بأنه قد تم تحديد كل عناصر اتفاق السلام ، ووجه دعوته الى مصر واسرائيل للتوقيع على الاتفاق فى واشنطن ٠

ونجحت مساعى كارتر مع السادات وبيجين ، وتم التوقيع النهائى على معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية وملحقاتها فى واشنطن ٢٦ مارس ١٩٧٩ ٠٠ وذلك بعد ستة أشهر من الاستغراق المطلق فى العمل الجاد المتواصل ، الذى أسفر عن :

١ ـ معاهدة السلام بين مصر واسرائيل وملحقاتها الثلاثة ٠

٢ ـ اتفاق تكميلى ـ على شكل خطاب موقع عليه من السادات وبيجين ـ موجه الى الرئيس كارتر ، بشأن اقامة الحكم الذاتى الفلسطينى الكامل فى الضفة الغربية وغزة خلال فترة انتقالية مدتها خمسة أعوام ، تمهيدا لتقرير الشعب الفلسطينى لمصيره ٠

٣ ـ تفسيرات رسمية لبعض المواد ، تعتبر جزءا لا يتجزأ من المعاهدة ٠

٤ ـ الرسالة المرسلة من جمهورية مصر العربية الى الرئيس الأمريكى بشأن تبادل السفراء بين مصر واسرائيل ٠

وقد حصلت مصر على تعهد قاطع من الرئيس الأمريكى ، بأن تستمر الولايات المتحدة فى الاضطلاع بدور الشريك الكامل ، والقيام بجهد مكثف للتوصل الى حل عادل للمشكلة الفلسطينية ٠

السلام العادل الدائم :

لم تشط مصر أو تخرج ـ فى اتفاقيات ومعاهدة السلام ـ عن التزاماتها العربية ٠٠ فكلها تحقق الأهداف المصرية والعربية ، التى

أجمعت عليها الأمة العربية ، فى قرارات مؤتمرات القمة العربية ، على الأخص قرارات مؤتمر الرباط (أكتوبر ١٩٧٤) .

كما تتمشى مع التطبيق العملى لقرارى مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ورقم ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣ ، والتى وافقت عليهما مصر والدول العربية ، على مراحل وفترات مختلفة على مدى ١٣ سنة .

وتحقق معاهدة السلام واتفاقياتها المرتبطة بها شكلا وموضوعا أهدافا كثيرة من أهمها :

بالنسبة لمصر :

١ ــ انهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل ، بمجرد تبادل التصديق على المعاهدة .

٢ ــ انسحاب القوات الاسرائيلية من الأرض المصرية ، التى احتلتها سنة ٦٧ ، على أن يتم الانسحاب دون تدمير المنشآت والطرق والمطارات والموانى . واستعادة مصر لممارسة سيادتها كاملة على سيناء .

٣ ــ تصفية جميع المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء .

٤ ــ تأكيد أن ترتيبات الأمن فى سيناء التى وضعت على أساس التبادل بين الطرفين ، هى ترتيبات مؤقتة .

٥ ــ تأكيد التزام مصر القومى والتاريخى الى الأمة العربية والتضامن العربى .

٦ ــ نظرا لتمسك مصر بسياسة عدم الانحياز ، فقد تم الاتفاق على حق مصر فى اختيار الدول التى ستتبع لها قوات الطوارىء الدولية لحفظ السلام بالمنطقة .. وذلك حتى تضمن مصر عدم اشتراك الدول الكبرى فى تلك القوات .

٧ ــ عودة القوات المسلحة المصرية ، بالحجم والتسليح التى كانت عليه قبل ١٩٦٧ ، بما يكفل قدرتها على تنفيذ مهامها وتأمين سلامة مصر .

٨ ــ رفض التعهد بامداد اسرائيل بالبترول ، الا اذا دخلت فى العطاءات الدولية بالنسبة للكميات الفائضة عن حاجة مصر .

بالنسبه للشعب الفلسطينى

١ ـ الاعتراف بالحقوق المشروعة ٠

٢ ـ اقامة حكم ذاتى كامل فى الضفة الغربية بما فيها مدينة القدس الشرقية وقطاع غزة ، بعد مرحلة انتقالية مدتها خمس سنوات . تتم خلالها مفاوضات يشارك فيها الممثلون المنتخبون من الشعب الفلسطينى ٠ على أن تتم تلك المراحل وفقا لجدول زمنى ، ينتهى ببدء انسحاب القوات الاسرائيلية الى خارج الضفة والقطاع أو الى مواقع محددة يتفق عليها ٠

٣ ـ تأكيد ارتباط التسوية على الجبهة المصرية ، بتسوية القضية الفلسطينية ٠٠ وذلك بالتوقيع على الاتفاق التكميلى الخاص بالضفة وغزة ، فى نفس وقت توقيع المعاهدة المصرية الاسرائيلية وبين نفس الأطراف ٠

٤ ـ مشاركة مصر ، فى جميع المفاوضات الخاصة بمستقبل الشعب الفلسطينى ٠

بالنسبة لعرب المواجهة

تطبيق مبدأ الانسحاب الاسرائيلى الكامل من الأراضى العربية التى احتلت سنة ١٩٦٧ ، وممارسة السيادة الكاملة عليها ، تنفيذا لقرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ورقم ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣ ٠

وقد تم التأكيد على ذلك فى مقدمة المعاهدة ، على أن « اطار السلام»، لم يقصد به أن يكون أساسا للسلام بين مصر واسرائيل فقط ، بل يسرى أيضا كأساس للسلام بين اسرائيل وجيرانها (الأردن وسوريا وممثلى الشعب الفلسطينى) اذا رغبوا فى التفاوض ٠

التصديق على المعاهدة

وفقا للقرار الجمهورى رقم ١٥٣ لسنة ١٩٧٩ ، حول مجلس الشعب بجلسته يوم ٥ ابريل ١٩٧٩ ، المعاهدة ووثائقها والاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى فى فلسطين (الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة) ، الى اللجنة المشتركة من لجان العلاقات الخارجية والشئون العربية والأمن القومى والتعبئة القومية للقيام بالدراسة اللازمة ، حتى يتسنى للمجلس مناقشتها واقرارها ، تطبيقا للمادة ١٥١ من الدستور ٠

وشرح رئيس اللجنة ما قامت به من بحث ودراسة ، أمام مجلس الشعب بجلسة يوم ١٠ ابريل ١٩٧٩ · تم أخذ رأى ممثلى الشعب فى المعاهدة وملحقاتها والاتفاق التكميلى ، وذلك نداء بالاسم ، ووافقت الأغلبية (كان عدد الموافقين ٣٢٩ عضوا ، وامتنع عضو واحد عن التصويت) ·· فصدر قرار المجلس بالموافقة على معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ووثائقها والاتفاق التكميلى مع التحفظ بشرط التصديق ·

وصدر القرار الجمهورى رقم ١٥٧ لسنة ١٩٧٩ ، لدعوة الناخبين يوم ١٩ ابريل ١٩٧٩ ، لابداء الرأى فى الاستفتاء على معاهدة السلام وملحقاتها والاتفاق التكميلى ، وعلى عدد من المواضيع لتصحيح المسار الديمقراطى ·

وفى يو ٢٠ ابريل ١٩٧٩ ، أعلنت نتيجة الاستفتاء ، فكان عدد الآراء الصحيحة التى أعطيت بالموافقة ٩٩٫٩٥٪ ·

وباسم الشعب ، صدق الرئيس السادات يو ٢١ ابريل ١٩٧٩ على معاهدة السلام وملحقاتها ، وعلى المحضر المتفق عليه بشأن بعض المواد ، وعلى الخطاب المشترك الموجه من رئيس مصر ورئيس وزراء اسرائيل الى الرئيس الأمريكى ، بشأن الحكم الذاتى الفلسطينى ·

كما قامت اسرائيل من جانبها باتخاذ اجراءات التصديق اللازمة بدءا بموافقة الكنيست يوم ٢٢ مارس ١٩٧٩ ، وقرار حكومة اسرائيل بالتصديق على الوثائق الخاصة بالمعاهدة يوم ١ ابريل ١٩٧٩ ، تم توقيع رئيس دولة اسرائيل (كشاهد على ذلك) الذى أمر بالتصديق عليها بختم الدولة يوم ٢٣ ابريل ١٩٧٩ ·

وتم تبادل وثائق التصديق بين مصر واسرائيل والولايات المتحدة، الشريك الكامل للطرفين ·

وأصبح اتفاق السلام نافذ المفعول ··

وتبددت الى الأبد ظلمات السنين الغابرة ، وأشرق على الشعب المصرى نور الحياة من جديد ·

·· وأخيرا وليس آخرا

وأخيرا ·· انتصرت مسيرة السلام العادل الدائم الذى يكفل الأمان لمصر ، والتنمية والرخاء لشعبها الصامد ، ويمهد الطريق الديمقراطى ، لبسط الحرية للانسان المصرى ·

وليس آخرا .. لأن مصر قد حققت السلام ، بالعمل الجدى الذى بدأ بالقوة والردع ، وانتهى بالتفاوض السلمى لتحققه .

وليس هناك أصعب من الحصول على السلام ، الا الاحتفاظ به .. وهذا فرض وواجب على الجيل الحاضر وأجيال المستقبل .

وسوف يصبح تيار السلام ، الذى سرى فى ربوع مصر المباركه. تيار التاريخ القادم فى كل مكان .

أهمية سيناء العسكرية

تعتبر سيناء ، مدخل مصر الشرقى ، والحائط الدفاعى العظيم . وتقع بين قارتى آسيا وأفريقيا . وتعتبر حلقة الوصل بين شقى العروبة فى الشرق والغرب ، وعلى أرضهـــا تلتقى مصر والأردن وشـــبه الجزيرة العربية .

وسيناء ، شبه جزيرة مساحتها ٦١٫٠٠٠ كم٢ ، مثلثة الشـــكل تقريبا ؛ طول القـــاعدة ٢٠٠ كم ، تمتد على ســـاحل البحر الأبيض المتوسط ، من بور فؤاد غربا الى رفح شرقا .. ورأس مثلث سيناء عند منطقة رأس محمد فى أقصى الجنوب ويبعد ٣٩٠ كم تقريبا عن ســـاحل البحر الأبيض المتوسط .

ويحد شبه جزيرة سيناء :

- الحد الغربى .. وطوله ٥١٠ كم تقريبا ، على امتداد خليج السويس وقناة السويس .
- الحد الشرقى .. بطول ٢٤٠ كم تقريبا ، على الساحل الغربى لخليج العقبة .
- حد الخط الوهمى للحدود السياسية بين سيناء وفلسطين .. بطول ٢١٥ كم تقريبا ، ويمتد من طابا على رأس خليج العقبة حتى رفح على ساحل البحر الأبيض المتوسط .

ومن الناحية العسكرية ، تنقسم سيناء الى جزءين ، لكل منهمـــا قيمته الاستراتيجية المتميزة :

١ ــ المثلث الجنوبى : وتدخل فيه الهضبة الوسطى وجبال الطور وتعتبر شرم الشيخ ، مفتاح المثلث الرئيسى ، فهى التى تتحكم تماما فى كل خليج العقبة ، عن طريق مضيق تيران . كما تتحكم شرم الشيخ فى

السهلين الساحليين بحكم التقائهما عندها ، ومضيق مدخل خليج العقبه عند جزيرتى تيران وصنافير ، مع وجود الشعب المرجانية التى تقلل من عمق المضيق . وتجعل الملاحة فى المياه الاقليمية المصرية وحدها ، أى فى مضايق تيران الأكثر صلاحية للملاحة ، مما أعطاها أهمية عسكرية خاصة بالنسبة لمصر ٠

٢ ــ المستطيل الشمالى : ويتفوق بأهميته الاستراتيجية المميزة ٠ ويمتد بمحاذاته الطريق البرى ، ويحتوى على المحاور الثلاثة الأساسية للحركة فى سيناء كلها ، والتى يستحيل تحرك القوات الميكانيكية خارجها ٠

ودائما ما كان المستطيل الشمالى بموقعه وتضاريسه ومحاوره ــ طريق الحرب ومسرحها لتحكمه فى كل سيناء ٠ كما هو طريق التجارة قديما وحديثا ٠

وتعتبر هذه المحاور بامتدادها من الشرق الى الغرب ، من أهم طرق المواصلات والحركة المدنية والعسكرية ٠٠ وهذه المحاور هى :

(أ) المحور الشمالى ٠٠ من القنطرة ليتجه شمال شرق ، موازيا لسهل الطينة الرخو ، فيمر ب : بالوظة ــ الفرما ــ بير العبد ــ العريش ثم رفح ، ويضيق هذا الطريق عند رمانه ٠

(ب) المحور الأوسط ٠٠ يمتد بين الاسماعيلية فأبو عجيلة ثم العوجة (داخل اسرائيل) ٠وهو العمود الفقرى فى المحاور الثلاثة لصلاحيته التامة لتحرك القوات الميكانيكية الثقيلة ٠ ويزيد من أهميته أنه يؤدى شرقا الى قلب هضبة فلسطين الداخلية ، وغربا الى قلب الدلتا مباشرة ٠

(ج) المحور الجنوبى ٠٠ يمتد بين السويس والقسيمة ، ولايصلح الا لتحرك الحملات الخفيفة ٠

الطريق الحربى القديم

وعادت سيناء بأكملها الى أحضان أهلها المصريين ٠ فمنذ عهد يزيد على ٥ آلاف سنة ، امتزج البدو بممثلى الادارة المصرية ٠٠ حتى كان عهد الأسرة الحادية عشر عندما تمصرت سيناء تماما ٠ وهذا يؤكد بوضوح ، أن مصر جعلت سيناء أرضا مكملة لها منذ فجر التاريخ ٠٠ وتدل على ذلك، أقدم آثار الوجود المصرى فى سيناء والتى اكتشفت فى وادى المغارة ٠٠ ومنها لوحات فرعونية تعتبر أقدم أثر انسانى من نوعه ، تدل على أن

الفراعنة بسطوا سلطانهم على سيناء • كما توجد أقدم النقوش الفرعونيه وهو ما سمى (بصخرة سمرخت) وهو سابع ملوك الأسرة الأولى ومن بين اللوحات العديدة فى وادى المغارة ، لوحتين للملك سنفرو من الأسرة الثالثة •

ولما طبقت مصر الفرعونية فى استراتيجيتها العسكرية مبدأ : « هاجم حتى لا تهاجم » : أقام مؤسس الأسرة الثانية عشر ، الاستحكامات الدفاعية والحصون المنيعة ، وأرسلت اليها الحاميات على امتداد حدود مصر الشرقية والشمالية الشرقية •• وذلك حتى ينقل الفراعنة الحرب وساحتها الى ما وراء سيناء حتى لا يضطرون الى الحرب فى داخل وادى النيل •

وقد سلك تحتمس الثالث (١٤٧٩ ــ ١٤٧٦ ق•م) الطريق الحربى القديم (القنطرة ــ رفح) عبر سيناء ، لتأمين حدود مصر الشرقية • وقد سجلت تفاصيل حملته هذه ، على جدران معبد آمون بالكرنك •

ويعتبر هذا الطريق أهم الطرق الحربية فى العالم القديم ، وكان يعرف بطريق حورس ، وقد اهتم الفراعنة ، وخاصة فى الأسرة التاسعة عشر ، بحفر الآبار فى أماكن متعددة منه وبناء القلاع لتقيم فيها الحاميات •

كما سلك نفس الطريق :

- رمسيس الثانى (١٢٩٠ ــ ١٢٢٣ ق•م) ، عندما قاد جيشه لتأديب جيوش مملكة خيتا ، وانتصر عليهم فى معركة قادش •
- الاسكندر الأكبر (٣٣٢ ق•م) عندما جاء لغزو مصر والشام فدخل مصر من البحر قرب بورسعيد ، ودخلها من البر عن طريق الشمال عند العريش •
- عمرو بن العاص وجيش المسلمين (١٨ هـ = ٦٣٩ م) ، فقد دخل مصر من طريق الفرما الشمالى •

خطوط الدفاع الاستراتيجية فى سيناء

وثمة ثلاثة خطوط دفاعية أساسية عن مصر ، بامتدادها من الشمال الى الجنوب هى :

١ ــ خط الدفاع الأول •• يقع قرب الحدود السياسية لمصر ، ويكاد يوازيها ويمتد أساسا من رأس خليج العقبة حتى

العريش ويعلو الخط فى قطاعه الجنـــوبى . مـا بين رأس النقب والقسيمة ، قوس من المرتفعات الجبلية أو شبه الجبلية . ويبعد هذا القطاع عن طريق التحركات العسكرية الأساسية .

ويؤلف هذا القطاع ، سلسلة هضبية تصل ما بين هضبة التية فى قلب سيناء ومرتفعات وسط النقب فى جنوب اسرائيل . أمـــا القطـاع الشمالى لهذا الخط ، فيبدأ من القسيمة وينتهى بالعريش . وهو متوسط الارتفاع كثير المنخفضات . ويمثل الممر الطبيعى بين سهول سيناء وسهل فلسطين . ولذلك يعتبر مركز الخطر فى الخط كله ، اذ تجتمع فيــه نهايات محاور سيناء الاستراتيجية الثلاثة .

ويعتبر خط الدفاع الأول ، أكثر تعرضا للخطر ، لعدم تمتعه بالعمق الاستراتيجى الكافى .. كما أنه يقع فى منطقة استراتيجية حرجة حيث تتقارب فى دائرة واحدة حدود مصر واسرائيل والأردن والسعودية .

وتوجد فى خط الدفاع الأول ، مواقع ذات أهمية أســـتراتيجية حيوية .. وهى :

- الكونتلا .. بموقعها عند بداية أحد رواق وادى العقبة ، فوق هضبة عالية مشرفة ، تسيطر على المنخفضات والطرق والأودية المحيطـــة بها . كما يوجد بها مصادر المياه الوحيدة فى المنطقة .. فهى تمثل بذلك نقطة حصينة للغاية .
- القسيمة .. التى تسيطر على طريق سيناء الجنوبى الى السويس .
- العريش .. التى تسيطر على المحور الشمالى الممتد من القنطـــرة الى اسرائيل ، كما تسيطر على الطريق الموصل الى أبو عجيلة .

٢ ـ خط الدفاع الثانى .. ويقع على بعد يتراوح بين ٣٢ و ٧٥ كم من قناة السويس . ويتميز الخط بجباله الوعرة فى قطاعه الجنوبى ، ثم يتحول فى الشمال الى بحر من الرمال والمستنقعات السبخة مما يجعل الخط بأكمله غير صالح للإختراق أو العبور الا من خــلال خمس فتحات محددة مما يجعل الخط متحكما فى التحركات من شرق سيناء الى غربها .

ومن بين هذه الفتحات ، اثنتان أساسيتان هما :

- ممر متلا على المحور الجنوبى ، ويبدأ من علامة الكيلو ٣٢ على طريق شرق القناة/نخل ، وينتهى عند علامة الكيلو ٦٣ . وهو عبارة عـن أرض محدودة بين جبل الراحة شمالا وجبل الحيطان جنوبا.ويعتبر

ممر متلا الفتحة الجبلية الحاكمة ، ومن هنا تبرز أهميـــة هذا الممر الدفاعية عن السويس والقناة ثم القاهرة ٠

- مضيق جفجافة على المحور الأوسط ، بين جبلى الختمية وبلق جنوبا، وجبل المغارة ومنطقة الكثبان الرملية شمالا ٠ وهو أقوى وأهم مواقع سيناء الاستراتيجية ٠

أما الثلاث فتحات الثانوية ٠٠ فهى :

- وادى السدر ، جنوب ممر متلا ويوازيه ٠ ويفصل وادى سدر جبل الراحة شمالا ، عن كتلة الهضبة الوسطى جنوبا ٠
- ممر الجدى ، الذى يفصل بين جبل أم خشيب وجبل حيطان ٠ ويقع شمال ممر متلا ٠
- ممر الختمية ، الذى يفصل بين جبل الختمية وجبل أم خشيب ٠

ويمتد خط الدفاع الثانى نحو الشمال ، بعد مضيق الجفجافة وجبل المغارة عبر نطاق الكثبان الأساسى ، حتى بحيرة البردويل كمانع أخـــير على نهاية الخط ٠

ويتفاوت عرض بحـــيرة البردويل بين أقل من كيلو متر وبين ١٥ كيلو مترا ويبلغ تنفث نيرانها لتغطى مياه القناة حينما تشاء اسرائيل ٠

وأقامت الاستحكامات وقواعد للصواريخ ومحطات الرادار عنـــد الممرات ، وأنشأت المستوطنات فى سيناء ٠

وكانت مصر تستعد للحرب ، ووضعت القيادة السياسية والعسكريه التخطيط الجيد لحرب أكتوبر ٠

وفى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ــ ١٠ رمضان ، وبمفاجئة لم تتوقعها اسرائيل بل العالم بأسره ، وفى الساعة الثانية بعد الظهر ، كانت طائرات القوات الجوية المصرية تملأ السماء فوق القناة متجهة باصرار وعزيمة نحو المواقع الاسرائيلية فى سيناء ٠ وفى نفس الوقت ، عبرت القوات المسلحة المصرية قناة السويس لتقتحم بجرأة فائقة ، حصون خط بارليف على الضـــفة الشرقية للقناة ٠ ولم يجد جنود اسرائيل مفرا سوى الهرب وهم فى فزع وذهول ، مما رأوه بأعينهم ولمسوه بأنفسهم ، من براعة المقـــاتل المصرى وجسارته ٠ وبعد ساعة واحدة من لحظات العبور ، رفرف العلم المصرى فوق حصون خط بارليف مكان العلم الأسرائيلى ٠ وتقدمت القوات المصرية فى أعماق سيناء ورسخت الأقدام المصرية فى ســـيناء ٠٠ وكان النصر لمصر ٠

وكانت مصر تواقة الى السلام الشامل العادل المستقر ، فخاضت مرة أخرى أخطر المعارك السلمية من أجل ادراك السلام ٠

وبنصر أكتوبر المجيد ، استعادت مصر جزءا من شبه جزيرة سيناء، واستردت بقيتها بعد اتفاقية كامب ديفيد التى وقعتها مصر واسرائيل فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ ٠

طولها ١٠٠ كيلو مترا ٠

ويماثل خط الدفاع الثانى فى أهميته ، المحور الأوسط ، الذى يقع عند تقاطعها مضيق جفجافة ٠

قناة السويس ٠٠ خط الدفاع الأخير

تعتبر قناة السويس أهم وآخر خط دفاع عن مصر كلها ، حيث يتقارب بحراها (الأبيض المتوسط والأحمر) ، وتتخللها بحيرات داخلية (المرة والتمساح) مما يوطد ويقوى مناعتها ٠

وهى مانع مائى فريد مميز بالغ الطول ٠ وتصب فى قناة السويس، نهايات محاور الحركة الثلاث عند القنطرة والاسماعيلية والسويس ٠

وتتميز قناة السويس ، كمانع استراتيجى بالآتى :

- يحدها شاطىء شديد الانحدار ٠
- يختلف فيها منسوب المياه عدة مرات فى اليوم الواحد ، بسبب المد والجزر ٠٠ ولذلك أثره الهام عند التخطيط للعبور ٠ وتنفيذه ٠
- سرعة التيار ، وتغيير اتجاهه كل ٦ ساعات ٠٠ مما يؤثر على تخطيط العبور ٠
- انخفاض سطح الماء بمقدار ٢ متر عن حافة الشاطىء ٠

وتجرى قناة السويس لنحو ٤٠ كيلو مترا فيما بين بورسعيد والقنطرة ، فى مضيق مختنق بين سهل الطينة ٠ واذا تحققت السيطرة بما يقوى الدفاع عن القنطرة ، فيمكن التحكم فى بورسعيد دفاعا وهجوما ، مما يجعل تقدم أى قوات هجومية محكوم عليها بالفشل ٠

★★★

ويتضح مما تقدم ، مدى أهمية سيناء من الناحية الجيواستراتيجيه (الجغرافيا العسكرية) ، مما يستوجب اعطاء الأهمية القصوى لأمن سيناء الاستراتيجى الذى يعد من أهم مبادىء الأمن القومى المصرى .

وضـع سـيناء

(من حرب ١٩٦٧ حتى حرب ١٩٧٣)

فى ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ، وافقت فرنسا وانجلترا ، على انهاء العمليات الحربية ، وأجلت قواتهما عن الأراضى المصرية فى ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ . وأرادت اسرائيل الاحتفاظ بقطاع غزة ، ولكنها اضطرت للجلاء عنها فى ٥ ديسمبر ١٩٥٧ ، بعد تدخل الاتحاد السوفيتى .

وكانت الجمعية العموميـــة لهيئة الأمم ، قد قررت فى ٥ نوفمبر ١٩٥٦ ، انشاء قوة طوارىء دولية تحت قيادة الأمم المتحدة لوقف النزاع بين مصر وقوات العدوان الثلاثى . وتمركزت قوات الطوارىء فى موقعها بين المتحاربين على حدود سيناء وفى خليج العقبة وشرم الشيخ وغزة ، وعلى طول خطوط الهدنة ، وذلك بعد جلاء القوات الاسرائيلية .

وقد امتدت قوات الطوارىء فى الجانب المصرى ، دون اسرائيل التى رفضت مرابطة القوات فى جانبهم .

وكانت موافقة مصر على قوات الطوارىء على أساس وجودها المؤقت ، بحيث يمكن لمصر طلب سحبها اذا اقتضت الظروف .

وفى ١٤ مايو سنة ١٩٦٧ ، أعلنت حالة الطـــوارىء فى القـــوات المسلحة المصرية ، وطلبت مصر من هيئة الأمم ، سحب قوات الطـــوارىء الدولية .

وفى ٢٢ مايو تم اغلاق خليج العقبة أمام السفن الاسرائيلية والسفن التى تحمل مواد استراتيجية لاسرائيل .

وفى ٥ يونيو ١٩٦٧ ، بدأت الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة ، واحتلت اسرائيل سيناء بأسرها حتى الضفة الشرقية لقناة السويس ، حيث أقامت على طولها خط بارليف وحصونه المنيعة ، ودعمته بمواسير النابالم .

معـاهدة السـلام

بين مصر واسرائيل

كانت معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية النى نم التوقيع عليها يوم ٢٦ مـارس ١٩٧٩ المنطلق الى انهـاء حـالة الحـرب ، واسـتـرداد الأرض المصرية السليبة عام ١٩٦٧ ، بعد انسحاب القـوات الاسرائيلية بأكملها عن سيناء ، وعلى مراحل يتفق عليها بين مصر واسرائيل ·

على أن يتم ذلك بعد التصديق الرسمى على المعاهدة ، طبقا للأصول الدستورية المرعية فى دولة كل طرف ·

الانسحاب الاسرائيلى من سيناء

يمثل هذا الانسحاب ، التطبيق الكامل للمعاهدة فى شقها العسكرى وجاء فى المادة الأولى (فقرة ٢) من معاهدة السلام المصرى الاسرائيـلى :

٢ ــ تسحب اسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء الى ما وراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، كما هـو وارد بالبروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الأول) ·

وتستأنف مصر ممارسة سيادتها الكاملة على سيناء » ·

واشترطت لاقامة علاقات طبيعية وودية ، بين مصر واسرائيل ، اتمام الانسحاب المرحلى (المنصوص عليه فى البروتوكول الخاص بالانسحاب الاسرائيلى وترتيبات الأمن) ·· على أن يتم الانسحاب الى ما وراء حدود مصر وفقا لاتفاقية عام ١٩٠٦ ·

وكان من نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، أن أرتفع العلم المصرى ، على ضفة قناة السويس الشرقية لبسط السيادة العسـكرية المصرية ، فوق مساحة تمتد بطول القناة وبعمق ١٠ كيلو مترا فى سيناء ·

ثم انتهت اسرائيل من تنفيذ أول مراحل الانسـحاب فى ٢٦ مايو ١٩٧٩ ، من خط العريش/رأس محمد ·

وعادت سيناء بأكملها الى السيادة المصرية ، بانتهاء آخـر مرحلة للانسحاب يوم ٢٥ ابريل ١٩٨٢ ·

وكان ذلك فى عهد الرئيس محمد حسنى مبارك ، الذى تمسك بحق مصر الواضح فى اتفاقية السلام ·· ودخلت سيناء المصريه عهدا جديدا ، لحمته السلام والأمن والاستقرار ، وسداته الرخاء والخير العميم ·

وعادت مصر الى وادى القمر (وهو الاسم الذى اشتهرت به سيناء)

ولم تبق الا طابا المصرية ، التى تقع فى آخر الحدود الدولية لمصر وتطل على خليج العقبة .

منطقــة طــابا

تم تحديد خط الحدود الدولية الشرقية لمصر ، وفقــا لاتفاقيه القسطنطينية بين حكومتى مصر وتركيا ، ويمتد بين رأس طابا ورفح .. كما نص عليه الدكريتو العثمانى سنة ١٨٩٢م والمصاحب لفرمان عباس حلمى الثانى ، الذى تقرر أن سيناء المحدودة شرقا بخط يصل من رفح الى رأس العقبة ، هى جزء طبيعى من مصر .

وقد تشكلت لجنة مشتركة من المصريين والأتراك (سنه ١٩٠٦) قامت بتعليم نقط الحدود على الطبيعة ب ٩١ علامة على شكل هرم ناقص . وتم تثبيت أول علامة فى رأس طابا يوم السبت ٣١ ديســمبر ١٩٠٦ واعطيت رقم ٩١ ، وثبتت آخر علامة على تل الجرائم بساحل رفح فى ٩ فبراير ١٩٠٧ وأعطيت رقم ١ .

ولكن طرف التفاوض الاسرائيلى ، رأى أن هنــاك اختلافا فى خط الحدود بالنسبة لمنطقة طابا ، اذ اختلف الخط المحدد على الأرض عن الخط المحدد على الخريطة ، بحوالى كيلو متر و ٢٠ مترا . واســتند الجانب الاسرائيلى فى ذلك ، الى كتاب وضعه نعوم شقير سكرتير اللجنة المصرية التركيــة التى حــددت الحــدود ، وفيه أعطى وصفا للخريطة مخالفا لما جاء فى اتفاقية سنة ١٩٠٦ .

وفى اجتماعات اللجنة الفنية المصرية الاسرائيلية ، أصر كل جانب على موقفه . كما أن مجموعتى اللجنة العليا للانسحاب ، برئاسة كمــال حسن على نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية المصرى ، وايريل شارون وزير الدفاع الاسرائيلى لم يقتنع كل منهما بوجهة نظر الآخر .

ويوم ١٥ مارس ١٩٨٢ ، قدم نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية المصرى خلال زيارته لاسرائيل ، اقتراحا وافق عليه وأقره منــاحم بيجين رئيس الوزراء الاسرائيلى ، الذى نص على :

١ ــ أن يتم انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية الى خــط الحــدود الدولية الذى تراه مصر .

٢ ــ أن تتقدم الشرطة المدنية المصرية فى هذا القطاع (المنطقة جـ) الى الخط الذى تراه اسرائيل ٠

٣ ــ أن ننشأ بعد ذلك منطقة حدود مختلف عليها ، الى أن يتم الاتفـاق على أساس حل الخلاف الفنى حول تحديد خط الحدود ٠

ومن المعروف دوليا ، أن « منطقة حدود مختلف عليها » لا تعطى حقا للسيادة لأى من الدولتين المتنازعتين على هذه الأرض ٠

وتحولت منطقة طابا ــ التى تشملها مساحة كيلو متر و ٢٠ مترا ــ الى منطقة خلاف الى أن يتم التوصل الى اتفاق بشأنها ٠ ونظرا لعدم نجاح التوفيق ، لتمسك الجانب الاسرائيلى برأيه ، فقد تحول الخلاف الى التحكيم الدولى ٠ وتعتبر نتيجة التحكيم ملزمة لكل طرف ٠

معَاهدة السلام

بين

جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل

والملاحق والخرائط الملحقة بها

والمحضر المتفق عليه

معاهدة السلام بين جمهورية مصر
ودولة اسرائيل

ان حكومة جمهورية مصر العربية وحكومة دولة اسرائيل ..

الديباجة

اقتناعا منهما بالضرورة الماسة لاقامة سلام عادل وشامل ودائم في الشرق الأوسط وفقا لقراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ .

اذ تؤكدان من جديد التزامهما « باطار السلام في الشرق الأوسط المتفق عليه في كامب دافيد » ، المؤرخ في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ ..

واذ تلاحظان أن الاطار المشار اليه انما قصد به أن يكون أساسا للسلام ، ليس بين مصر واسرائيل فحسب ، بل أيضا بين اسرائيل وأي من جيرانها العرب كل فيما يخصه ممن يكون على استعداد للتفاوض من أجل السلام معها على هذا الأساس ..

ورغبة منهما في انهاء حالة الحرب بينهما واقامة سلام تستطيع فيه كل دولة في المنطقة أن تعيش في أمن ..

واقتناعا منهما بأن عقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل يعتبر خطوة هامة في طريق السلام الشامل في المنطقة والتوصل الى تسوية النزاع العربي الاسرائيلي بكافة نواحيه ..

واذ تدعوان الأطراف العربية الأخرى في النزاع الى الاشتراك في عملية السلام مع اسرائيل على أساس مبادىء اطار السلام المشار اليها آنفا واسترشادا بها ..

واذ ترغبان أيضا في انماء العلاقات الودية والتعاون بينهما وفقا لميثاق الأمم المتحدة ومبادىء القانون الدولي التي تحكم العلاقات الدولية في وقت السلم ..

قد اتفقنا على الأحكام التالية بمقتضى ممارستهما الحرة لسيادتهما من تنفيذ الاطار الخاص بعقد معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ..

المـادة الأولى

١ ــ تنتهى حالة الحــرب بين الطرفين ويقام السلام بينهما عند تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة ٠

٢ ــ تسحب اسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء الى ماوراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، كما هــو وراد بالبروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الأول) وتستأنف مصر ممارسة سيادتها الكاملة على سيناء ٠

٣ ــ عند اتمام الانسحاب المرحلى المنصوص عليه فى الملحق الأول ، يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية بينهما طبقــا للمــادة الثالثــة (فقرة ٣) ٠

المـادة الثانية

ان الحدود الدائمة بين مصر واسرائيل هى الحدود الدولية المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب كما هو واضح بالخريطة فى الملحق الثانى وذلك دون المساس بما يتعلق بوضع قطاع غزة ٠ ويقر الطرفان بأن هذه الحدود مصونة لا تمس ويتعهد كل منهما باحترام ســلامة أراضى الطرف الآخر بما فى ذلك مياهه الاقليمية ومجاله الجوى ٠

المـادة الثالثة

١ ــ يطبق الطرفان فيما بينهما أحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبــادىء القانون التى تحكم العلاقات بين الدول فى وقت السلم ، وبصفة خاصة :

(أ) يقر الطرفان ويحترم كل منهما سيادة الآخر وسلامة أراضيه واستقلاله السياسى ٠

(ب) يقر الطرفان ويحترم كل منهما حق الآخر فى أن يعيش فى سلام داخل حدوده الآمنة والمعترف بها ٠

(جـ) يتعهد الطرفان بالامتناع عن التهديد باســتخدام القوة أو استخدامها ، أحدهما ضد الآخر على نحو مباشر أو غير مباشر، وبحل كافة المنــازعات التى تنشــأ بينهمــا بالوســائل السلمية ٠

٢ ــ يتعهد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من افعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو أفعال العنف أو التهديد بها من داخل أراضيه أو بواسطة قوات خاضعة لسيطرته أو مرابطة على اراضيه ضد السكان أو المواطنين أو الممتلكات الخاصة بالطرف الآخر . كما يتعهد كل طرف بالامتناع عن التنظيم أو التحريض أو الاثارة أو المساعدة أو الاشتراك في فعل من أفعال الحرب العدوانية أو النشاط الهدام أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر في أي مكان . كما يتعهد بأن يكفل تقديم مرتكبي مثل هذه الأفعال للمحاكمة .

٣ ــ يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التي ستقام بينهما ستضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وانهاء المقاطعة الاقتصادية والحواجز ذات الطابع المتميزة المفروضة ضد حرية انتقال الأفراد والسلع . كما يتعهد كل طرف بأن يكفل تمتع مواطني الطرف الآخر الخاضعين للاختصاص القضائي بكافة الضمانات القانونية ويوضح البروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الثالث) الطريقة التي يتعهد الطرفان بمقتضاها ــ بالتوصل الى اقامة هذه العلاقات وذلك بالتوازي مع تنفيذ الأحكام الأخرى لهذه المعاهدة .

المادة الرابعة

١ ــ بغية توفير الحد الأقصى للأمن لكلا الطرفين وذلك على أساس التبادل تقام ترتيبات أمن متفق عليها بما في ذلك مناطق محدودة التسليح في الأراضي المصرية والاسرائيلية وقوات أمم متحدة ومراقبين من الأمم المتحدة وهذه الترتيبات موضحة تفصيلا من حيث الطبيعة والتوقيت في الملحق الأول وكذلك أية ترتيبات أمن أخرى قد يوقع عليها الطرفان .

٢ ــ يتفق الطرفان على تمركز أفراد الأمم المتحدة في المناطق الموضحة بالملحق الاول ويتفق الطرفان على ألا يطلبا سحب هؤلاء الأفراد وعلى أن سحب هؤلاء الأفراد لن يتم الا بموافقة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بما في ذلك التصويت الايجابي للأعضاء الخمسة الدائمين بالمجلس وذلك ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك .

٣ ــ تنشأ لجنة مشتركة لتسهيل تنفيذ هذه المعاهدة وفقا لما هو منصوص عليه في الملحق الأول .

٤ — يتم بناء على طلب أحد الطرفين اعادة النظر فى ترتيبات الأمن المنصوص عليها فى الفقرتين ١ ، ٢ من هذه المادة وتعديلها باتفاق الطرفين ٠

المادة الخامسة

١ — تتمتع السفن الاسرائيلية والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها بحق المرور الحر فى قناة السويس ومداخلها فى كل من خليج السويس والبحر الأبيض المتوسط وفقا لأحكام اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ المنطبقة على جميع الدول ٠ كما يعامل رعايا اسرائيل وسفنها وشحناتها وكذلك الأشخاص والسفن والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها معاملة لا تتسم بالتميز فى كافة الشئون المتعلقة باستخدام القناة ٠

٢ — يعتبر الطرفان أن مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول دون عائق أو ايقاف لحرية الملاحة أو العبور الجوى ٠ كما يحترم الطرفان حق كل منهما فى الملاحة والعبور الجوى من والى أراضيه عبر مضيق تيران وخليج العقبة ٠

المادة السادسة

١ — لا تمس هذه المعاهدة ولا يجوز تفسيرها على نحو يمس بحقوق والتزامات الطرفين وفقا لميثاق الأمم المتحدة ٠

٢ — يتعهد الطرفان بأن ينفذا بحسن نية التزاماتهما الناشئة عن هذه المعاهدة بصرف النظر عن أى فعل أو امتناع عن فعل من جانب طرف آخر وبشكل مستقل عن آية وثيقة خارج هذه المعاهدة ٠

٣ — كما يتعهدان بأن يتخذا كافة التدابير اللازمة لكى تنطبق فى علاقاتهما أحكام الاتفاقيات المتعددة الأطراف التى يكونان من أطرافها بما فى ذلك تقديم الاخطار المناسب للأمين العام للأمم المتحدة وجهات الايداع الأخرى لمثل هذه الاتفاقيات ٠

٤ — يتعهد الطرفان بعدم الدخول فى أى التزامات تتعارض مع هذه المعاهدة ٠

٥ — مع مراعاة المادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة يقر الطرفان بأنه فى حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأى

من التزاماتهما الأخرى ، فان الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافذة ٠

المادة السابعة

١ ـ تحل الخلافات بشأن تطبيق أو تفسير هذه المعاهدة عن طريق المفاوضة ٠

٢ ـ اذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضة فتحل بالتوفيق أو تحال الى التحكيم ٠

المادة الثامنة

يتفق الطرفان على انشاء لجنة مطالبات للتسوية المتبادلة لكافة المطالبات المالية ٠

المادة التاسعة

١ ـ تصبح هذه المعاهدة نافذة المفعول عند تبادل وثائق التصديق عليها ٠

٢ ـ تحل هذه المعاهدة محل الاتفاق المعقود بين مصر واسرائيل فى سبتمبر ١٩٧٥ ٠

٣ ـ تعد كافة البروتوكولات والملاحق والخرائط الملحقة بهذه المعاهدة جزءا لا يتجزأ منها ٠

٤ ـ يتم اخطار الأمين العام للأمم المتحدة بهذه المعاهدة لتسجيلها وفقا لأحكام المادة ١٠٢ من ميثاق الأمم المتحدة ٠

حررت فى واشنطن د٠ى٠س فى ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م ، ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٩٩ هـ من ثلاث نسخ باللغات العربية والعبرية والانجليزية ، وتعتبر جميعها متساوية الحجية وفى حالة الخلاف فى التفسير فيكون النص الانجليزى هو الذى يعتد به ٠

عن حكومة جمهورية مصر

محمد أنور السادات

عن حكومة دولة اسرائيل

مناحم بيجين

شهد التوقيع

جيمى كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

ملحق (١)

البروتوكول الخاص بالانسحاب الاسرائيلي وترتيبات الأمن

المـادة الأولى

أسس الانسـحاب

١ ـ تقوم اسرائيل باتمام سحب كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء فى موعد لا يتجاوز ثلاث سنوات من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة ·

٢ ـ لتوفير الأمن لكلا الطرفين سيصـــاحب تنفيذ الانسحاب على مراحل ، الاجراءات العسكرية وانشاء المناطق الموضـــحة فى هذا الملحق وفى الخريطة رقم (١) والمشار اليها فيما بعد بكلمة « المناطق » ·

٣ ـ يتم الانسحاب من سيناء على مرحلتين :

(أ) الانسحاب المرحلى حتى شرق خط العريش / رأس محمد كما هو مبين على الخريطة رقم (٢) وذلك خلال تسعة أشـهر من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة ·

(ب) الانسحاب النهائى من سيناء الى ما وراء الحدود الدولية فى مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة ·

٤ ـ تشكل لجنة مشتركة فور تبادل وثائق التصديق على المعاهدة من أجل الاشراف على وتنسيق التحركات والتوقيعات أثناء الانسحاب ، وأحكام الخطط والجداول الزمنية وفقا الضرورة فى حدود القواعد المقررة فى الفقرة (٣) أعلاه ، والتفاصيل المتعلقة باللجنة المشتركة الموضـــحة فى المادة (٤) من المرفق لهذا الملحق ·

وسوف تحل اللجنة المشتركة عقب اتمام الانسحاب الاسرائيـلى النهائى من سيناء ·

المادة الثانية

تحديد الخطوط النهائية والمناطق

١ ـ بغية توفير الحد الأقصى لأمن كلا الطرفين بعد الانسحاب النهائى فان الخطوط والمناطق الموضحة على الخريطة رقم (١) يتم انشاؤها وتنظيمها على الوجه التالى :

(أ) المنطقة « أ » :

١ ـ المنطقة « أ » يحدها من الشرق الخط « أ » (الخط الأحمر) ومن الغرب قناة السويس والساحل الشرقى لخليج السويس كما هو موضح على الخريطة رقم (١) ٠

٢ ـ تتواجد فى هذه المنطقة قوات عسكرية مصرية من فرقة مشاة ميكانيكية واحدة ومنشآتها العسكرية وكذا تحصينات ميدانية ٠

٣ ـ تتكون العناصر الرئيسية لهذه الفرقة من :

(أ) ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية ،

(ب) لواء مدرع واحد ،

(ج) سبع كتائب مدفعية ميدانية تتضمن حتى ١٢٦ قطعة مدفعية ،

(د) سبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات تتضمن صواريخ فردية أرض / جو وحتى ١٢٦ مدفع مضاد للطائرات عيار ٣٧ مم فأكثر ،

(هـ) حتى ٢٣٠ دبابة ،

(و) حتى ٤٨٠ مركبة أفراد مدرعة من كافة الأنواع ،

(ز) اجمالى حتى ٢٢ ألف فرد ٠

(ب) المنطقة « ب » :

١ ـ المنطقة «ب» يحدها من الشرق الخط «ب» (الخط الأخضر) ومن الغرب الخط « أ » (الخط الأحمر) كما هو موضح على الخريطه رقم (١) ٠

٢ ـ توفر الأمن فى المنطقـــة «ب» وحدات حدود مصرية من أربع

كتائب مجهزة بأسلحة خفيفة وبمركبات عجل تعاون الشرطة المدنيه في المحافظة على النظام في المنطقة ، وتتكون العناصر الرئيسية لكتائب الحدود الأربع من اجمالي حتى ٤٠٠٠ فرد ٠

٣ ـ يمكن اقامة نقاط انذار ساحلية أرضية قصيرة المدى ذات قوة منخفضة لوحدات الحدود على ساحل هذه المنطقة ٠

٤ ـ تنشأ في المنطقة « ب » تحصينات ميدانية ومنشآت عسكرية لكتائب الحدود الأربع ٠

(جـ) المنطقة « جـ » :

١ ـ المنطقه « جـ » يحدها من الغرب الخط «ب» (الخط الأخضر) ومن الشرق الحدود الدولية وخليج العقبة كما هو موضح على الخريطة رقم (١) ٠

٢ ـ تتمركز في المنطقة «جـ» قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المصرية فقط ٠

٣ ـ تتولى الشرطة المدنية المصرية المسلحة بأسلحة خفيفة أداء المهام العادية للشرطة داخل هذه المنطقة ٠

٤ ـ توزع قوات الأمم المتحدة داخل المنطقة «جـ» وتؤدي وظائفها المحدودة في المادة السادسة من هذا الملحق ٠

٥ ـ تتمركز قوات الأمم المتحدة أساسا في معسكرات تقع داخل مناطق التمركز التالية والموضحة على الخريطة رقم (١) ، على أن تحدد مواقعها بعد التشاور مع مصر :

(أ) في ذلك الجزء من المنطقة في سيناء التي تقع في نطاق ٢٠ كم تقريبا من البحر المتوسط وتتاخم الحدود الدولية ٠

(ب) في منطقة شرم الشيخ ٠

(د) المنطقة « د » :

١ ـ المنطقة «د» يحدها من الشرق الخط «د» (الخط الأزرق) ومن الغرب الحدود الدولية كما هو موضح على الخريطة رقم (١) ٠

٢ ـ تتواجد في هذه المنطقة قوة اسرائيلية محدودة من أربع كتائب مشاة ومنشآتها العسكرية وتحصينات ميدانية ومراقبي الأمم المتحدة ٠

٣ ـ لا تتضمن القوة الاسرائيليه فى المنطقة «د» دبابات أو مدفعية أو صواريخ فيما عدا صواريخ أرض/جو ٠

٤ ـ تتضمن العناصر الرئيسية لكتائب المشـــاة الاسرائيلية الأربع حتى ١٨٠ مركبة أفراد مدرعة من كافة الأنواع واجمالى حتى ٤٠٠٠ فرد ٠

٥ ـ يسمح باجتياز الحدود الدولية من خلال نقاط المراجعة فقط والمحددة من قبل كل طرف وتحت سيطرته ويكون هذا الاجتياز وفقـــا للقوانين والنظم المعمول بها فى كل دولة ٠

٦ ـ تتواجد بهذه المناطق تلك التحصـــينات الميدانية والمنشـآت العسكرية والقوات والأسلحة المسموح بها والمحددة فى هذا الملحق ٠

المـادة الثالثة

نظام الطيران العسكرى

١ ـ تكون طلعات طائرات القتـــال وطلعات الاســتطلاع ، لمصر واسرائيل فوق المنطقتين « أ » و « د » فحسب ، كل فى منطقته ٠

٢ ـ تتمركز الطائرات غير المسلحة وغير المقاتلة لمصر واسرائيـل فى المنطقتين « أ » و « د » فقط ، كل فى منطقته ٠

٣ ـ تقلع وتهبط طائرات النقل غير المسلحة المصرية فقط فى المنطقة «ب» ويمكن الاحتفاظ فى المنطقة «ب» بعدد ٨ طائرات منها ٠

يمكن تجهيز وحـدات الحـدود المصرية بطائرات هلبكوبتر غـــير مسلحة لأداء وظائفها فى المنطقة «ب» ٠

٤ ـ يمكن تجهيز الشرطة المدنية المصرية بطائرات هليكوبتر غير مسلحة لأداء وظائف الشرطة العادية فى المنطقة «ج» ٠

٥ ـ يمكن انشاء مطارات مدنية فقط فى هذه المناطق ٠

٦ ـ دون المساس بأحكام هذه المعـاهدة ، يقتصر النشاط الجوى العسكرى فى المناطق المختلفة أو فى المجال الجوى الواقع فوق مياهـها الاقليمية على ما هو مقرر على وجه التحديد فى هذا الملحق ٠

المـادة الرابعة

النظام البحري العسكرى

١ ـ يمكن للقطع البحرية التابعة لمصر واسرائيل التمركز والعمل على سواحل المنطقتين « أ » و « د » كل فى منطقته ٠

٢ ـ يمكن لزوارق حرس السواحل المصرية خفيفة التسليح أن تتمركز وتعمل فى المياه الاقليمية للمنطقة «ب» لمعاونة وحدات الحدود فى اداء وظائفها فى هذه المنطقة ٠

٣ ـ تؤدى الشرطة المدنية المصرية والمجهزة بزوارق خفيفة مسلحة تسليحا خفيفا وظائف الشرطة العادية داخل المياه الاقليمية للمنطقة «ج» ٠

٤ ـ ليس فى هذا الملحق ما يعتبر انتقاصا من حق المرور البرى للقطع البحرية لكلا الطرفين ٠

٥ ـ يمكن أن تقام فى المناطق المختلفة موانىء ومنشآت بحرية مدنية فقط ٠

٦ ـ دون المساس بأحكام هذه المعاهدة يقتصر النشاط البحرى العسكرى فى المناطق المختلفة وفى مياهها الاقليمية على ما هو مقرر على وجه التحديد فى هذا الملحق ٠

المـادة الخامسة

نظام الانذار المبكر

يمكن لكل من مصر واسرائيل انشاء وتشغيل نظم انذار مبكر فى المنطقتين « أ » ، « د » كل فى منطقته ٠

المـادة السادسة

عمليات الأمم المتحدة

١ ـ يطلب الطرفان من الأمم المتحدة أن توفر قوات ومراقبين للاشراف على تنفيذ هذا الملحق وبذل كل جهودها لمنع أى خرق لأحكامه ٠

٢ ـ يتفق الطرفان ، كل فيما يخصه ، على طلب الترتيبات التالية فيما يتعلق بقوات ومراقبى الأمم المتحدة :

(أ) تشغيل نقاط مراجعة ودوريات استطلاع ونقاط مراقبة على امتداد الحدود الدولية وعلى الخط «ب» وداخل المنطقة «ج» ٠

(ب) التحقق الدورى من تنفيذ أحكام هذا الملحق مرتين فى الشـــهر على الأقل ، ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك ٠

(ج) اجراء تحقق اضافى خلال ٤٨ ساعة بعد تلقى طلب بذلك من أى من الطرفين ٠

(د) ضمان حرية الملاحة فى مضيق تيران وفقا للمادة الخامســـة من معاهدة السلام ٠

٣ ــ تنفذ الترتيبات المقررة عالية لكل منطقة بواسطة قوات الأمم المتحدة فى المناطق « أ » ، «ب» ، «ج» وبواسطة مراقبى الأمم المتحـدة فى المنطقة « د » ٠

٤ ــ يرافق أطقم التحقق للأمم المتحدة ضـــباط اتصال من الطرف المختص ٠

٥ ــ تخطر قوات الأمم المتحدة ومراقبوها كلا الطرفين بالنتائج التى يتوصلون اليها ٠

٦ ــ تتمتع قوات الأمم المتحدة ومراقبوها الذين يعملون فى مختلف المناطق بحرية الحركة والتسهيلات الأخرى الضرورية لأداء واجباتهم ٠

٧ ــ لا تتمتع قوات الأمم المتحدة ومراقبوها بأية صلاحيات للسماح باجتياز الحدود الدولية ٠

٨ ــ يتفق الطرفان على الدول التى تشكل منها قوات ومراقبو الأمم المتحدة وسيتم ذلك من الدول غير ذات العضوية الدائمة بمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ٠

٩ ــ يتفق الطرفـان على أن تقوم الأمم المتحدة بوضع ترتيبـــات القيادة التى تضمن أفضل تنفيذ فعال لمسئولياتها ٠

المـادة السابعة

نظام الاتصال

١ ــ عقب حل اللجنة المشتركة يتم انشاء نظام اتصـــال بين الطرفين ، ويهدف هذا النظام الى توفير وسيلة فعالة لتقييم مدى التقدم فى تنفيذ الالتزامات وفقا لهذا الملحق وحل أية مشكلة قد تطرأ أثناء

التنفيذ ، كما تقوم باحالة المسائل التى لم يبت فيها الى السلطات العسكرية الأعلى للبلدين كل فيما يخصه للنظر فيها ٠

كما يهدف أيضا الى منع أية مواقف قد تنشأ نتيجة أخطاء أو سوء فهم من قبل أى من الطرفين ٠

٢ ـ يقام مكتب اتصال مصرى فى مدينة العريش ومكتب اتصال اسرائيلى فى مدينة بئر سبع ويرأس كل مكتب ضابط من البلد المعنى يعاونه عدد من الضباط ٠

٣ ـ يقام اتصال تليفونى مباشر بين المكتبين وكذا خطوط تليفونية مباشرة بين قيادة الأمم المتحدة وكلا المكتبين ٠

المادة الثامنة

احترام النصب التذكارية للحرب

يلتزم كل طرف بالمحافظة على النصب المقامة فى ذكرى جنود الطرف الآخر بحالة جيدة ، وهى النصب المقامة بواسطة اسرائيل فى سيناء والنصب التى ستقام بواسطة مصر فى اسرائيل ، كما سيسمح كل طرف الوصول الى هذه النصب ٠

المادة التاسعة

الترتيبات المؤقتة

ينظم المرفق لهذا الملحق والخريطتان رقم (٢) و (٣) انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية والمدنيين الى ما وراء خط الانسحاب المرحلى ، وكذا حركة قوات الطرفين والأمم المتحدة حتى الانسحاب النهائى ٠

مرفق الملحق (١)

بشأن تنظيم الانسحاب من سيناء

المـادة الأولى

مبادىء الانسحاب

١ ـ يتم انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية والمدنيين من سيناء على مرحلتين كما هو مبين فى المادة الأولى من الملحق (١) · ويتضمن هذا المرفق تخطيط وتوقيت الانسحاب · وتقوم اللجنة المشتركة باعداد التفاصيل الخاصة بهذه المراحل وتقدمها الى كبير منسقى قـوات الأمم المتحدة بالشرق الأوسط قبل شهر من ابتداء أى مرحلة مـن مراحل الانسحاب ·

٢ ـ اتفق الطرفان على المبـــادىء التـالية بشـــأن ترتيب التحركات العسكرية :

(أ) على الرغم مما تقضى به أحكام المادة التاسعة الفقرة الثانيـــة من هذه المعاهدة ، وحتى يتم انسحاب القـــوات المسلحـــة الاسرائيلية من الخطين (ى و م) الحاليين الذين انشئا بناء على الاتفاقية المصرية/الاسرائيلية الموقعة فى سبتمبر ١٩٧٥ والمشار اليها فيما بعد باتفاقية عام ١٩٧٥ ، الى خط الانسحاب المرحلى ، فان جميع الترتيبات العسكرية المنصوص عليها خلاف ذلك فى هذا المرفق ·

(ب) مع انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية تدخل قوات الأمـم المتحدة فورا للمناطق المخلاة لاقامة مناطق عازلة مؤقتة كما هو موضح على الخريطتين (٢) ، (٣) على التوالى بغرض الابقـاء على الفصل بين القوات · ويكون داخـــل قوات الأمم المتحدة سابقا لتحرك أى أفراد آخرين الى داخل هذه المناطق ·

(جـ) خلال فترة سبعة أيام بعد اخلاء القوات الاسرائيلية المسلحة لآية مساحة واقعة فى المنطقة « ا » تنتشر وحدات القوات المسلحة المصرية وفقا لاحكام المادة الثانية من هذا المرفق ٠

(د) خلال فترة سبعة أيام بعد اخلاء القوات الاسرائيلية المسلحة لآية مساحة واقعة فى المنطقتين « أ » و «ب» تنتشر وحدات الحدود المصرية وفقا لأحكام المادة الثانية من الملحق (١) ٠

(هـ) تدخل الشرطة المدنية المصرية الى المساحات المخلاه عقب دخول الأمم المتحدة مباشرة لآداء الوظائف العادية للشرطة ٠

(و) تنتشر وحدات القوات البحرية المصرية فى خليج السويس وفقا لأحكام المادة الثانية من هذا المرفق ٠

(ز) وباستثناء تلك التحركات المشار اليها أعلاه فان أعمال الانتشار للقوات المسلحة المصرية والأنشطة الموضحة فى الملحق (١) تكون سارية المفعول فى المناطق المخلاه بعد أن تتم القوات المسلحة الاسرائيلية انسحابها الى ما وراء خط الانسحاب المرحلى ٠

المادة الثانية

المراحل الفرعية للانسحاب الى خط الانسحاب المرحلى

١ ـ يتم الانسحاب الى خط الانسحاب المرحلى على مراحل فرعية كما هو منصوص عليه فى هذه المادة وكما هو موضح على الخريطة (٣) وتتم كل مرحلة فرعية خلال العدد المقرر من الأشهر التى يبدأ احتسابها من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة :

(أ) المرحلة الفرعية الأولى :

خلال شهرين تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من منطقة العريش بما فى ذلك مدينة العريش ومطارها والمشار اليها بالمنطقة (١) على الخريطة (٣) ٠

(ب) المرحلة الفرعية الثانية :

خلال ثلاثة شهور ، تنسحب القوات الاسرائيلية من المنطقة الواقعة بين الخط « م » المقرر بمقتضى اتفاقية عام ١٩٧٥ والخط «أ» والمشار اليها بالمنطقة (٢) على الخريطة رقم (٣) ٠

(ج) المرحلة الفرعية الثالثة :

خلال خمسة شهور ، تنسحب القوات المسلحـــه الاسرائيلية من المنطقة الواقعة شرق وجنوب المنطقة (٢) والمشار اليها بالمنطقة (٣) عـلى الخريطة رقم (٣) ٠

(د) المرحلة الفرعية الرابعة :

خلال سبعة شهور ، تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من منطقة الطور ــ رأس الكنيسة والمشار اليها بالمنطقة (٤) على الخريطة رقم (٣) ٠

(هـ) المرحلة الفرعية الخامسة :

خلال تسعة أشهر ، تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من المناطق المتبقية غرب خط الانسحاب المرحلى بما فى ذلك منطقة سانت كاترين والمناطق شرق ممرى الجدى ومتلا والمشار اليهما بالمنطقة (٥) على الخريطة رقم (٣) ويكتمل بذلك الانسحاب الاسرائيلى الى ما وراء خط الانسحاب المرحلى ٠

٢ ــ تنتشر القوات المصرية فى المناطق المخـــلاه من القوات المسلحـــة الاسرائيلية وفقا لما يلى :

(أ) ينتشر حتى ثلث القوات المسلحة المصرية الموجودة فى سيناء وفقا لاتفاقية عام ١٩٧٥ فى الأجزاء من المنطقة « أ » التى تقع داخل المنطقة (١) وذلك حتى اتمام الانسحاب المرحلى ٠ وبعد ذلك تنتشر القوات المسلحة المصرية كما هو موضح فى المادة الثانية من الملحق (١) فى المنطقة « أ » حتى حد المنطقة العازلة المؤقتة ٠

(ب) يبدأ نشاط القوات البحرية المصرية وفقا للمادة الرابعة مـن الملحق (١) على امتداد سواحل المناطق (٢) و (٣) و (٤) عقب اتمام المراحل الفرعية الثانية والثالثة والرابعة على التوالى ٠

(ج) تنتشر كتيبة واحدة من وحدات الحدود المصرية الموضحة فى المادة الثانية من الملحق (١) فى المنطقة (١) عقب اتمـــام المرحلة الفرعية الأولى ٠ كما تنتشر كتيبة ثانية فى المنطقـة (٢) عقب اتمام المرحلة الفرعية الثانية ٠ وتنتشر كتيبة ثالثة فى المنطقة (٣) عقب اتمام المرحلة الفرعية الثالثة ٠ والكتيبتان

الثانية والثالثة المذكورتان عاليه يمكن أن تنتشر فى أى من المناطق المخلاه بعد ذلك بجنوب سيناء ٠

٣ ـ يعاد توزيع قوات الأمم المتحدة في المنطقة العازلة (١) المقررة بمقتضى اتفاقيه عام ١٩٧٥ لتمكين انتشار القوات المصرية الموضح فى السابق وذلك عقب اتمام المرحله الفرعية الأولى ، وفيما عدا ذلك تستمر فى اداء مهامها وفقا لأحكام الاتفاقية المشار اليها فى الأجزاء المتبقية من المنطقة المذكورة حتى اتمام الانسحاب المرحلى ، وفقا لما هو موضح فى المادة الأولى من هذا المرفق ٠

٤ ـ يمكن للقوافل الاسرائيلية استخدام الطرق جنوب وشرق التقاطع الرئيسى للطرق الواقع شرق العريش لاخلاء القوات الاسرائيليه ومعداتها حتى اتمام الانسحاب المرحلى ٠ وتتحرك القوافل فى ضوء النهار بعد تقديم اخطار بذلك ، بأربع ساعات الى مجموعة الاتصال المصرية وقوات الأمم المتحدة ، وتصاحبها قوات الأمم المتحدة ٠ وسيتم ذلك وفقا للتوقيتات المنظمة من قبل اللجنة المشتركة ٠ ويصاحب القوافل ضابط اتصال مصرى لتأمين التحركات دون عائق ويمكن للجنة المشتركة أن توافق على ترتيبات أخرى بالنسبة للقوافل ٠

المادة الثالثة

قوات الأمم المتحدة

١ ـ يطلب الطرفان توزيع قوات الأمم المتحدة وفقا للضرورة لأداء الوظائف الواردة فى هذا المرفق حتى موعد اتمام الانسحاب النهائى، ولهذا الغرض يوافق الطرفان على اعادة توزيع قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة ٠

٢ ـ تشرف قوات الأمم المتحدة على تنفيذ هذا المرفق وتبذل ما فى وسعها لمنع أية مخالفة لأحكامه ٠

٣ ـ عندما توزع قوات الأمم المتحدة تبعا لأحكام المادتين الأولى والثانية من هذا المرفق ، تباشر مهمة التحقق فى المناطق محدودة القوات وفقا للمادة السادسة من الملحق (١) ، وتقيم نقاط مراجعة ، ودوريات استطلاع ونقاط مراقبة فى المناطق العازلة المؤقتة الموضحة بالمادة الثانية أعلاه ، والوظائف الأخرى لقوات الأمم المتحدة والمتعلقة بالمنطقة العازلة للخط المرحلى موضحة فى المادة الخامسة من هذا المرفق ٠

المادة الرابعة

اللجنة المشتركة والاتصال

١ - تعمل اللجنة المشتركة المشار اليها فى المادة الرابعة من هذه المعاهدة من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة ، وحتى تاريخ اتمام الانسحاب الاسرائيلى النهائى من سيناء ٠

٢ - تتكون اللجنة المشتركة من ممثلين عن كل طرف برئاسة ضباط من رتب عالية وتدعو اللجنة المشتركة ممثلين للأمم المتحدة لحضور اجتماعاتها عند مناقشة موضوعات تتعلق بالأمم المتحدة أو اذا طلب أى من الطرفين وجود الأمم المتحدة ويتم التوصل الى قرارات اللجنة المشتركة باتفاق كل من مصر واسرائيل ٠

٣ - تشرف اللجنة المشتركة على تنفيذ الترتيبات الموضحة فى الملحق (١) وفى هذا المرفق ٠ ولهذا الغرض وبالاتفاق بين الطرفين وتقوم بما يلى :

(أ) تنسيق التحركات العسكرية الموضحة فى هذا المرفق وتشرف على تنفيذها ٠

(ب) تتناول بالبحث وتسعى الى حل أية مشكلة تنشأ عن تنفيذ الملحق (١) وهذا المرفق وتناقش أية مخالفات تبلغ اليها بواسطة قوات الأمم المتحدة ومراقبيها ، وتحيل الى حكومتى مصر واسرائيل أية مشاكل لم يتم حلها ٠

(ج) تساعد قوات الأمم المتحدة ومراقبيها فى تنفيذ مهامهم ٠ وتبحث الجداول الزمنية الخاصة بالتحقيقات الدورية عندما يطلب منها الطرفان ذلك ، كما هو وارد فى الملحق رقم (١) وفى هذا المرفق ٠

(د) تنظم وضع العلاقات على الحدود الدولية وجميع الخطوط والمناطق المشار اليها فى الملحق (١) وهذا المرفق ٠

(هـ) تشرف على تسليم المنشآت الرئيسية فى سيناء من اسرائيل الى مصر ٠

(و) توافق على الترتيبات اللازمة للعثور على الجثث المفقودة لجنود مصر واسرائيل واعادتها ٠

(ز) تنظم اقامة وتشغيل نقاط المراجعة للمداخل على امتداد خط العريش رأس محمد ، وفقا لأحكام المادة الرابعة من الملحق (٣) ٠

(ح) توالى أعمالها عن طريق استخدام أطقم اتصال مشتركة من ممثل واحد عن كل من مصر واسرائيل من مجموعة اتصال دائمة وسوف تمارس أنشطتها وفقا لتوجيه اللجنة المشتركة٠

(ط) توفر الاتصال والتنسيق مع قيادة الأمم المتحدة التى تنفذ أحكام المعاهدة وعن طريق أطقم الاتصال المشتركة تحافظ على التنسيق والتعاون المحلى مع قوات الأمم المتحدة المتمركزة فى مناطق معينة أو مراقبى الأمم المتحدة الذين يرصدون مناطق معينة لتوفير أية مساعدة مطلوبة ٠

(ى) تناقش مسائل أخرى قد يتفق الطرفان على طرحها على اللجنة ٠

٤ ـ تعقد اجتماعات اللجنة المشتركة مرة واحدة كل شهر على الأقل وفى حالة طلب أحد الطرفين أو قيادة الأمم المتحدة عقد اجتماع خاص ، فيتم عقد هذا الاجتماع خلال ٢٤ ساعة ٠

٥ ـ تجتمع اللجنة المشتركة فى المنطقة العازلة حتى اتمام الانسحاب المرحلى ، ثم تجتمع فى مدينتى العريش وبير سبع بعد ذلك بالتبادل ، على أن يعقد أول اجتماع لها ليس متأخرا عن اسبوعين بعد بدء سريان مفعول المعاهدة ٠

المادة الخامسة

تعريف المنطقة العازلة المؤقتة وأنشطتها

١ ـ تنشأ منطقة عازلة مؤقتة بغرض قيام قوات الأمم المتحدة بالفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية ، وذلك غرب خط الانسحاب المرحلى ومتاخمة له كما هو مبين فى الخريطة رقم (٢) ، وذلك بعد تنفيذ الانسحاب الاسرائيلى وتوزيع القوات خلف خط الانسحاب المرحلى ٠

وتتولى الشرطة المدنية المصرية المجهزة بأسلحة خفيفة القيام بمهام الشرطة العادية فى هذه المنطقة ٠

٢ ـ تقوم قوة الأمم المتحدة بتشغيل نقاط مراجعة ودوريات استطلاع، ونقاط مراقبة داخل المنطقة العازلة المؤقتة بغية التأكد من الالتزام بأحكام هذه المادة ٠

٣ ـ وطبقا للترتيبات التى أتفق عليها الطرفان والتى سيتم تنسيقها فى اللجنة المشتركة ، يتولى أفراد اسرائيليون ادارة منشآت حربية فنية فى أربع مواقع محدودة وموضحة على :

الخريطة رقم (٢) ومشار اليها بـ (ف ١) (احداثى) ٠

المركز على الخريطة ٥٧١٦٣٩٤٠) و (ف ٢) (احداثى) ٠

المركز على الخريطة ٥٩٣٥١٥٤١) و (ف ٤) (احداثى) ٠

المركز على الخريطة ٥٩٣٣١٥٢٧) و (ف ٤) (احداثى) ٠

المركز على الخريطة ٦١١٣٠٩٧٩) وذلك طبقا للمبادىء التالية :

(أ) يتولى العمل بالمنشآت الفنية أفراد فنيون واداريون مسلحون بالأسلحة الصغيرة اللازمة لحمايتهم (مسدسات ، بنادق ، مدافع رشاشة خفيفة ومتوسطة ، قنابل يدوية وذخيرة) كالآتى :

ف ١/ ما لا يزيد على ١٥٠ فرد ٠

ف ٢ ، ٣/ ما لا يزيد على ٣٥٠ فرد ٠

ف ٤/ ما لا يزيد على ٢٠٠ فرد ٠

(ب) لا يحمل الأفراد الاسرائيليون أسلحة خارج المواقع ، باستثناء الضباط الذين يجوز لهم حمل الأسلحة الشخصية ٠

(جـ) سيدخل طرف ثالث يتفق عليه بين مصر واسرائيل لأجراء تفتيشات داخل محيط المنشآت الفنية فى المنطقة العازلة ، ويقوم الطرف الثالث بالتفتيش مرة كل شهر على الأقل وبطريقة فجائية ويتحقق المفتشون من طبيعة عمل وتشغيل المنشآت من الأسلحة والأفراد داخلها ، ويقوم الطرف الثالث بابلاغ الطرفين فورا عن أى تحول لأى منشآة عن دورها فى أعمال المسح البصرى والالكترونى والمواصلات ٠

(د) يجوز القيام بامداد المنشآت وزيارتها لأغراض فنية وادارية واستبدال الأفراد والأجهزة المقاومة فى المواقع دون تعطيل

وذلك من خلال نقاط مراجعة الامم المتحدة حتى مداخل المنشآت الفنية بعد المراجعة والمرافقة بواسطة قوة الأمم المتحدة فحسب ٠

(هـ) يسمح لاسرائيل أن تدخل فى منشآتها الفنية المواد اللازمة للاداء الصحيح للمنشآت والأفراد ٠

(و) يسمح لاسرائيل بما يلى وطبقا لما تحدده اللجنة المشتركة :

١ ـ الابقاء داخل منشآتها على معدات مكافحة الحريق والصيانة العامة وكذلك العربات الادارية ذات العجل والمعدات الهندسية المتحركة اللازمة لصيانة المواقع وجميع العربات تكون غير مسلحة ٠

٢ ـ صيانة الطرق وخطوط المياه وكابلات المواصلات التى تخدم هذه المواقع سواء بداخلها أو بداخل المنطقة العازلة وفى كل من مواقع المنشآت الثلاثة (ف١،ف٢/ف٣،ف٤) ويجوز أن تتم هذه الصيانة بما لا يتجاوز عربيتين ذات العجل وغير مسلحتين وبما لا يتجاوز اثنى عشر فردا غير مسلحين ومعهم المعدات الضرورية فقط بما فى ذلك المعدات الهندسية الثقيلة اذا ما دعت الحاجة لها ٠ ويجوز اتمام عمليات الصيانة هذه ثلاث مرات أسبوعيا باستثناء المشاكل الخاصة وبعد اعطاء الأمم المتحدة اخطارا مسبقا بأربع ساعات ويرافق الطاقم قوات الأمم المتحدة ٠

(ز) يتم التنقل من المنشآت الفنية واليها خلال ساعات النهار فقط ويكون الدخول اليها والخروج منها على الوجه التالى :

١ ـ ف ١/عن طريق نقطة تفتيش الأمم المتحدة ومن خلال الطريق الموصل بين أبو عجيلة ومفترق طريقى أبو عجيلة وجبل لبنى (كيلو متر ١٦١) كما هو موضح على الخريطة رقم ٢ ٠

٢ ـ ف٢،ف٣/عن طريق نقطة تفتيش الأمم المتحدة ومن خلال الطريق المنشأ عبر المنطقة العازلة الى جبل كاترين (الخريطة ٢) ٠

٣ ـ ف ٢ ، ف ٣ ، ف ٤/ من خلال طائرات الهليكوبتر على أن نستخدم ممرا جويا وفى الأوقات وطبقا لنظام طلعات توافق عليها اللجنة المشتركة ٠

وتقوم قوة الأمم المتحدة بتفتيش طائرات الهليكوبتر فى مواقع الهبوط وخارج نطاق المنشآت ٠

(ح) تخطر اسرائيل قوة الأمم المتحدة قبل ساعة على الأقل من قيامها بأى تحرك تعتزم القيام به من المنشآت واليها ·

(ط) يحق لاسرائيل اخلاء المرضى والجرحى واستدعاء الخبراء الطبيين والأطقم الطبية فى أى وقت بعد أعطاء بلاغ فورى الى قوة الأمم المتحدة ·

٤ ـ تتناول اللجنة المشتركة بحث تفاصيل المبادىء المشار اليها أعلاه وكل الأمور الأخرى الواردة فى هذه المادة التى تتطلب التنسيق بين الطرفين ·

٥ ـ يتم سحب هذه المنشآت الفنية عند انسحاب القوات الاسرائيلية من خط الانسحاب المرحلى أو فى وقت يتم الاتفاق عليه بين الطرفين ·

المادة السادسة

أسلوب التصرف فى المنشآت والموانع العسكرية

يحدد الطرفان أسلوب التصرف فى المنشآت والموانع العسكرية طبقا للأسس الآتية :

١ ـ تقوم اللجنة المشتركة خلال فترة لا تتجاوز ثلاثة أسابيع قبل انسحاب اسرائيل من أية منطقة بالاعداد لقيام أطقم الاتصال والأطقم الفنية المصرية والاسرائيلية بعمل تفتيش مشترك على جميع المنشآت المناسبة للاتفاق على حالة المنشآت والمواد التى ستسلم الى الجانب المصرى ولترتيب عملية التسليم · وستعلن اسرائيل فى ذلك الوقت عن خططها فيما يتعلق بكيفية التصرف فى هذه المنشآت والمواد التى بداخلها ·

٢ ـ تتعهد اسرائيل أن تنقل لمصر كل ما يتفق عليه من المرافق الاساسية والمنافع العامة والمنشآت بحالة سليمة بما فى ذلك المطارات والطرق ومحطات الضخ والموانىء · وتقدم اسرائيل لمصر المعلومات اللازمة لصيانة وتشغيل هذه المنشآت وتسمح للأطقم الفنية المصرية بمراقبة تشغيل هذه المنشآت والتعرف على طريقة عملها لمدة تصل الى أسبوعين قبل التسلم ·

٣ ـ عندما تخلى اسرائيل نقاط المياه العسكرية بالقرب من العريش والطور تباشر الأطقم الفنية المصرية ادارة هذه المنشآت والمعدات المعاونة لها طبقا لعملية استلام منظمة وسابقة الاعداد بواسطة اللجنة المشتركة • وتتعهد مصر بأن تستمر فى توفير الكميات العادية من المياه المتوفرة حاليا عند مختلف نقاط المياه لحين انسحاب اسرائيل الى ما وراء الحدود الدولية ، الا اذا تم الانفاق على خلاف ذلك فى اللجنة المشتركة •

٤ ـ تتعهد اسرائيل بازالة أو تدمير جميع العوائق العسكرية بما فى ذلك الموانع وحقول الألغام فى المناطق التى تجلو عنها ومن المياه المجاورة لها تبعا للأسلوب التالى :

(أ) تزال أولا الموانع العسكرية من المناطق القريبة من السكان والطريق والمنشآت الرئيسية والمنافع العامة •

(ب) بالنسبة للموانع وحقول الألغام التى لا يمكن ازالتها أو تدميرها قبل الانسحاب الاسرائيلى ، تقوم اسرائيل بتقديم خرائط مفصلة الى مصر والأمم المتحدة عن طريق اللجنة المشتركة وفى موعد لا يتجاوز ١٥ يوما قبل دخول قوات الأمم المتحدة الى هذه المناطق •

(جـ) يقوم المهندسون العسكريون المصريون بالدخول الى هذه المناطق بعد دخول قوات الأمم المتحدة لاجراء عمليات ازالة هذه الموانع طبقا لخطة تقوم مصر بتقديمها قبل التنفيذ •

المادة السابعة

النشاط الاستطلاعى

١ ـ يتم النشاط الجوى الاستطلاعى خلال الانسحاب على الوجه التالى :

(أ) يطلب كلا الطرفين من الولايات المتحدة الاستمرار فى طلعات الاستطلاع الجوى وفقا للاتفاقات السابقة حتى اتمام الانسحاب الاسرائيلى النهائى •

(ب) تغطى الطلعات الجوية المناطق المحدودة القوات للتأكد من حجم القوات والتسليح وللتأكد من أن القوات الاسرائيليـــة قـد انسحبت من المناطق المبينة فى المادة ٢ من الملحـــق (١) ، والمادة الثانية من هذا المرفق والخريطتين (٢) ورقم (٣) ، ومن بقاء القوات خلف خطوطها بعد بناء ذلك ، ويمكن القيام بطلعات تفتيش خاصة بناء على طلب أى من الطرفين أو بناء على طلب من الأمم المتحدة ٠

(ج) تقتصر التبليغات على العناصر العسكرية الرئيسية لتنظيم كل طرف كما هى موضحة فى الملحق (١) وفى هذا المرفق ٠

٢ ـ يطلب الطرفان من بعثة سيناء الميدانية التابعة للولايات المتحـــدة أن تستمر فى عملياتها طبقا للاتفاقات السابقة وحتى اتمام انسحاب اسرائيل من المنطقة الواقعة شرق ممرات الجدى ومتلا ٠٠ وبعد ذلك تنتهى مهمة البعثة ٠

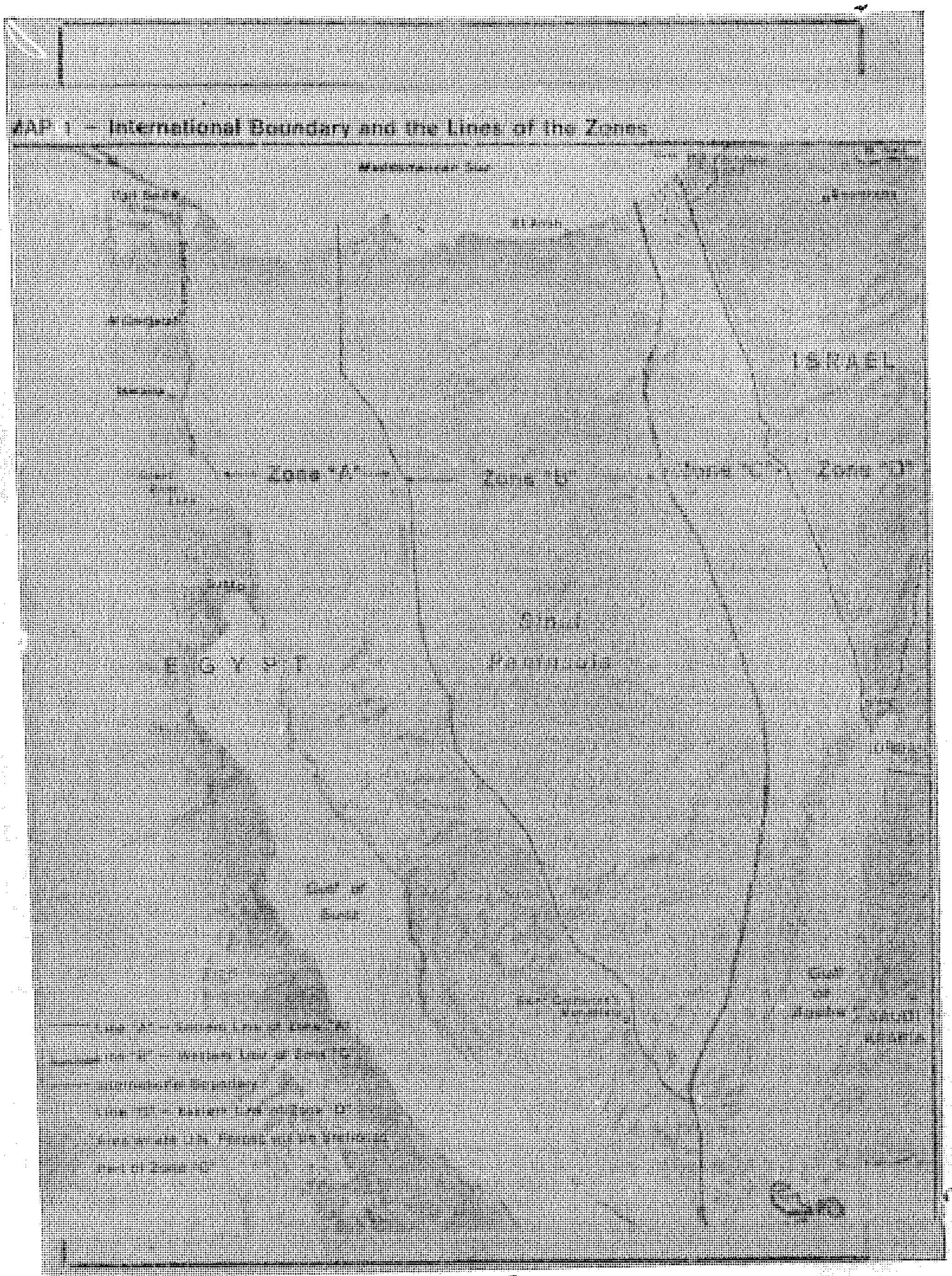
المـادة الثامنة

ممارسة السيادة المصرية

تستأنف مصر ممارستها لسيادتها الكاملة على الأجـــزاء التى يتم اخلاؤها فى سيناء بمجرد انسحاب اسرائيل من هذه الاجزاء ، كما هـو منصوص عليه فى المادة (١) من هذه المعاهدة ٠

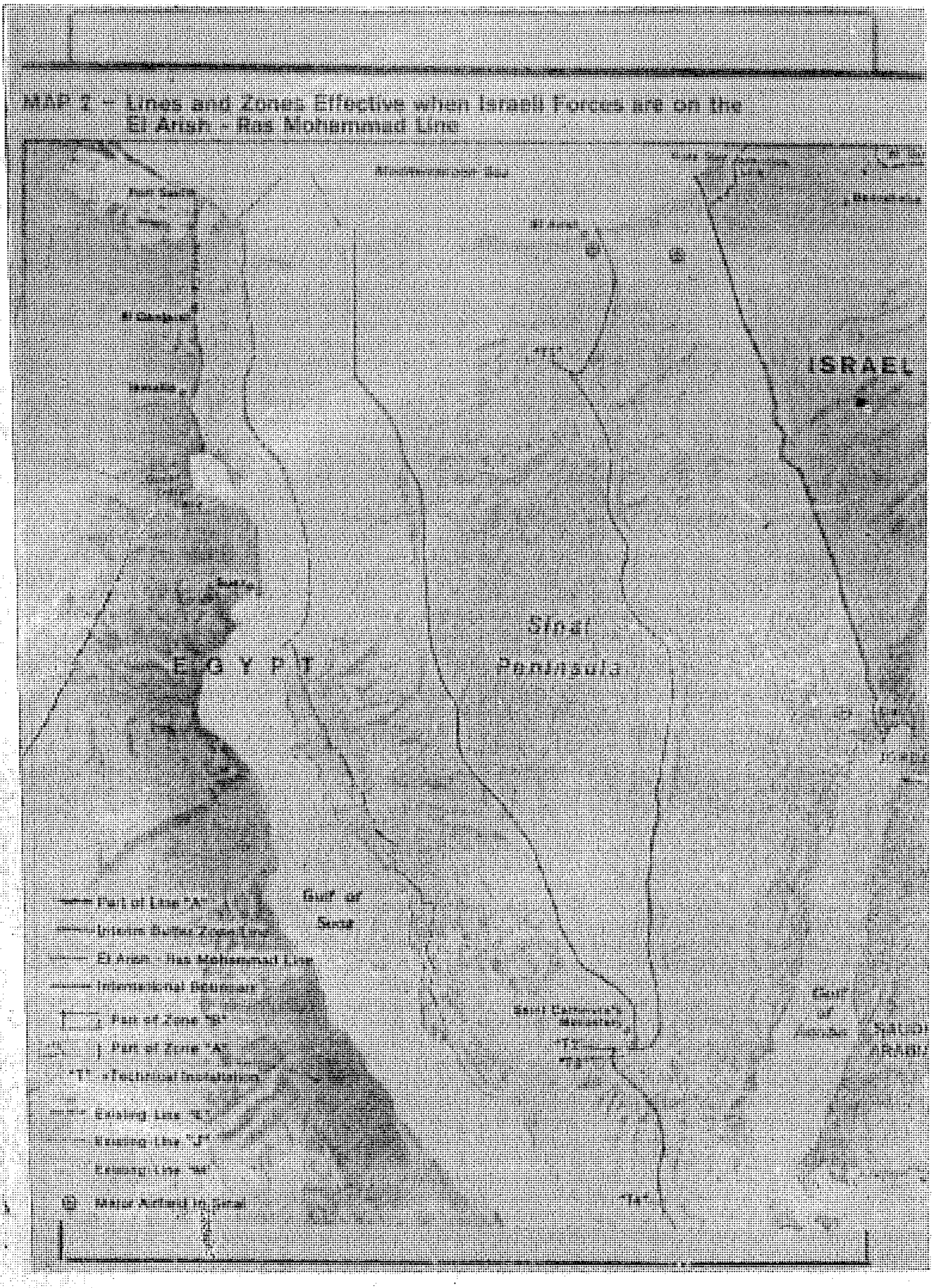
ملحق (٢)

الخريطة رقم (١)



الحدود الدولية وخطوط المناطق

الخريطة رقم (٢)



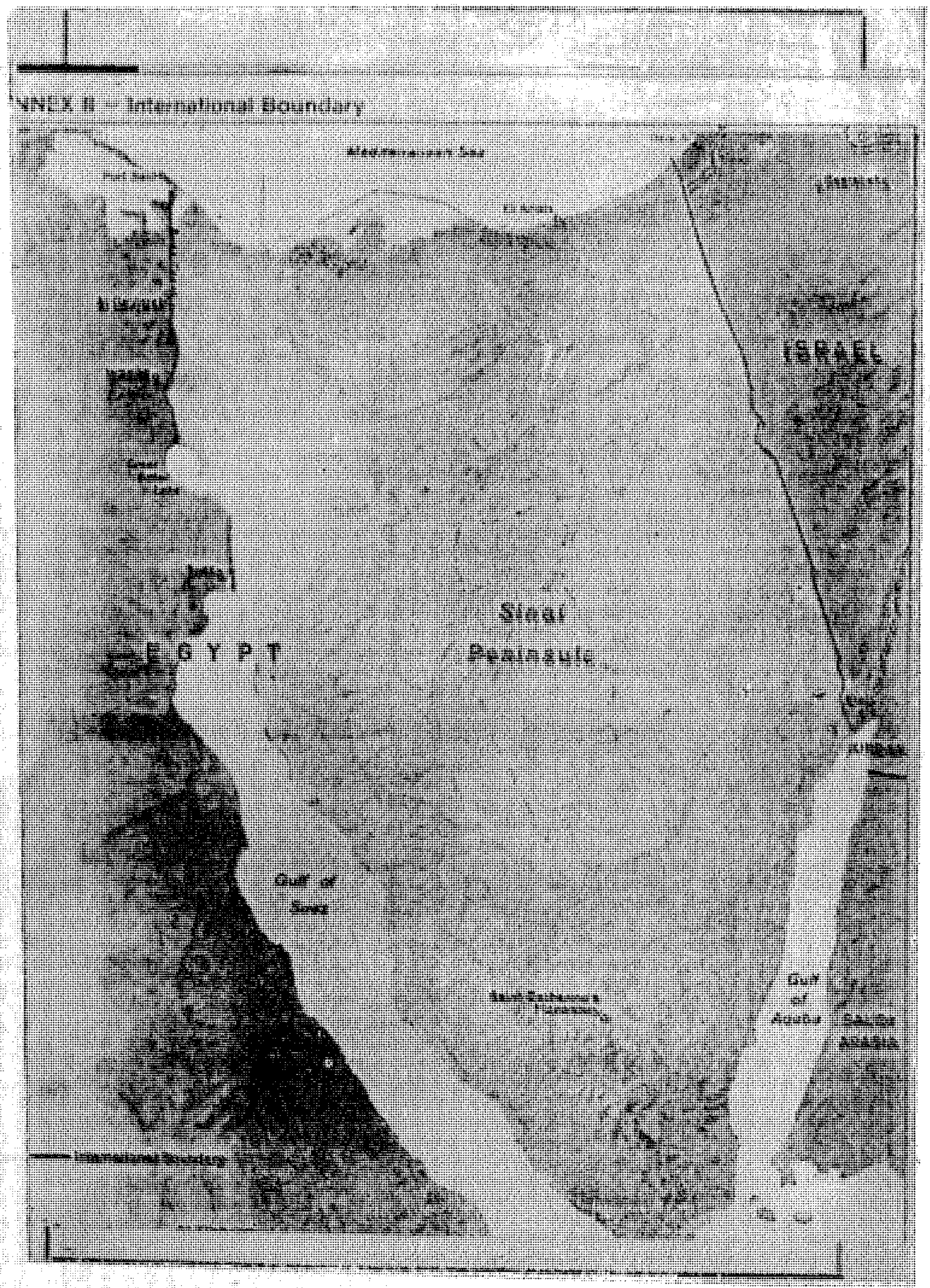
الخطوط والمناطق السارية عند انسحاب
اسرائيل الى خط العريش ـ رأس محمد

الخريطة رقم (٣)



المراحل الفرعية للانسحاب الى خط العريش ــ رأس محمد

ملحق (٣)



خريطة الحدود الدولية

ملحق (٤)

بروتوكول بشأن علاقات الطرفين

المـادة الأولى

العلاقات الدبلوماسية والقنصلية

يتفق الطرفان على اقامة علاقات دبلوماسـية وقنصلية وتبـادل السفراء عقب الانسحاب المرحلى ٠

المـادة الثانية

العلاقات الاقتصادية والتجارية

١ ـ يتفق الطرفان على ازالة جميع الحواجز ذات الطـابع التميزى القائمة فى وجه العلاقات الاقتصادية العادية ، وانهاء المقاطعة الاقتصادية لأى منهما عقب اتمام الانسحاب المرحلى ٠

٢ ـ يدخل الطرفان فى مفاوضات فى أقرب وقت ممكن وفى موعد لا يتجاوز ستة شهور بعد اتمام الانسحاب المرحلى بغية عقد اتفـاق تجارة يستهدف انماء العلاقات الاقتصادية ذات النفع المتبادل بينهما ٠

المـادة الثالثة

العلاقات الثقافية

١ ـ يتفق الطرفان على اقامة علاقات ثقافية عادية بعد اتمـام الانسحاب المرحلى ٠

٢ ـ يتفق الطرفان على أن التبادل الثقـافى فى كافة الميادين أمر مرغوب فيه وعلى أن يدخلا فى مفاوضات فى أقرب وقت ممكن وفى موعد لا يتجاوز ستة أشهر بعد اتمام الانسحاب المرحلى بغية عقد اتفاق ثقافى٠

المادة الرابعة

حرية التنقل

١ ـ عقب اتمام الانسحاب المرحلي يسمح كل طرف لمواطني وسيارات الطرف الآخر بحرية الانتقال الى اقليمه والتنقل داخله وذلك طبقا للقواعد العامة التي تطبق على مواطني وسيارات الدول الاخرى . ويمتنع كل طرف عن فرض قيود ذات طابع تمييزي على حرية تنقل الأشخاص والسيارات من اقليمه الى اقليم الطرف الآخر .

٢ ـ كما يسمح بالدخول دون اعاقة الى الأماكن ذات القيمة الدينية والتاريخية وذلك على أساس تبادلي وغير ذي طابع تمييزي .

المادة الخامسة

التعاون في سبيل التنمية وعلاقات حسن الجوار

١ ـ يقر الطرفان أن هناك مصلحة متبادلة في قيام علاقات حسن الجوار ويتفقان على النظر في سبل تنمية تلك العلاقات .

٢ ـ يتعاون الطرفان في انماء السلام والاستقرار والتنمية في المنطقة ، ويوافق كل منهما على النظر في المقترحات التي قد يرى الطرف الآخر التقدم بها تحقيقا لهذا الغرض .

٣ ـ يعمل الطرفان على تشجيع التفاهم المتبادل والتسامح ويمتنع كل طرف عن الدعاية المعادية تجاه الطرف الآخر .

المادة السادسة

النقل والمواصلات

١ ـ يقر الطرفان بأن الحقوق والمزايا والالتزامات المنصوص عليها في اتفاقيات الطيران التي يكونان من أطرافها تنطبق على كل منهما ، وبصفة خاصة الواردة في الاتفاقية الدولية للطيران المدني لعام ١٩٤٤ (اتفاقية شيكاغو) والاتفاق الدولي بشأن خدمات النقل الجوي لعام ١٩٤٤ .

٢ — عقب اتمام الانسحاب المرحلي لاينطبق أى اعلان لحالة الطوارىء الوطنية الذى يعلنه أحد الطرفين وفقا للمادة ٨٩ من اتفاقية شيكاغو فى مواجهة الطرف الآخر على أساس تمييزى .

٣ — توافق مصر على أن المطارات الواقعة بالقرب من العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ التى سوف تخليها اسرائيل يكون استخدامها للأغراض المدنية فحسب بما فى ذلك امكان استخدامها تجاريا بواسطة كافة الدول .

٤ — يدخل الطرفان فى مفاوضات فى أقرب وقت ممكن وفى موعد لا يتجاوز ستة شهور بعد اتمام الانسحاب المرحلي وذلك لغرض ابرام اتفاق طيران مدنى .

٥ — يقوم الطرفان باعادة فتح الطرق وخطوط السكك الحديدية بين بلديهما وصيانتها ، كما ينظران فى اقامة طرق وسكك حديدية اضافية . كما يتفق الطرفان أيضا على اقامة وصيانة طريق برى بين مصر واسرائيل والأردن بالقرب من ايلات مع كفالة حرية وسلامة مرور الأشخاص والسيارات والبضائع بين مصر والأردن وذلك على نحو لا يمس بالسيادة على الجزء من الطريق الذى يقع داخل اقليم كل منهما .

٦ — عقب اتمام الانسحاب المرحلي تقام بين الطرفين وسائل اتصالات بريدية وتليفونية وتلكس وصور بالراديو ومواصلات سلكية ولاسلكية وخدمات نقل الارسال التليفزيونى عن طريق الكابلات والراديو والأقمار الصناعية وذلك وفقا للاتفاقيات واللوائح الدولية المنطبقة .

٧ — عقب اتمام الانسحاب المرحلي ، يسمح كل طرف بالدخول المسموح به عادة الى موانيه لسفن وبضائع الطرف الآخر ، وكذلك للسفن والبضائع المتجهة الى الطرف الآخر أو القادمة منه بنفس الشروط المطبقة بصفة عامة على سفن وبضائع الدول الأخرى . وسوف ينفذ حكم المادة ٥ من معاهدة السلام عقب تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

المادة السابعة

التمتع بحقوق الانسان

يؤكد الطرفان التزامهما باحترام ومراعاة حقوق الانسان والحريات الأساسية للجميع ، وسوف يدعمان هذه الحقوق والحريات وفقا لميثاق الأمم المتحدة .

المادة الثامنة

المياه الاقليمية

مع مراعاة أحكام المادة ٥ من معاهدة السلام ، يقر كل طرف بحق سفن الطرف الآخر فى المرور البرىء فى مياهه الاقليمية طبقا لقواعد القانون الدولى ·

محضر متفق عليه

للمواد الأولى والرابعة والخامسة والسادسة

للملحقين الأول والثالث لمعاهدة السلام

المـادة الأولى

ان استئناف مصر لممارسة السيادة الكاملة على سيناء المنصوص عليها فى الفقرة الثانية من المادة الأولى تتم بالنسبة لكل منطقة بمجرد انسحاب اسرائيل من هذه المنطقة ٠

المـادة الرابعة

من المتفق عليه بين الأطراف أن تتم اعادة النظر المنصوص عليها فى المادة ٤ فقرة (٤) عندما يطلب ذلك أحد الأطراف ، وعلى أن تبدأ فى خلال ثلاثة أشهر من طلبها ولكن لا يجرى أى تعديل الا باتفاق كلا الطرفين٠

المـادة الخامسة

لا يجوز تفسير الجملة الثانية من الفقرة الثانية من المادة الخامسة على أنها تنتقص مما جاء بالجملة الأولى من تلك الفقرة ٠ ولا يفسر ما تقدم على أنه مخالف لما جاء بالجملة الثانية من الفقرة الثانية من المادة الخامسة التى تقضى بما يلى :

« يحترم الطرفان حق كل منهما فى الملاحة والعبور الجوى من والى أراضيه عبر مضيق تيران وخليج العقبة » ٠

المـادة السادسة (فقرة ٢)

لا تفسر أحكام المـادة السادسة بما يخالف أحكام اطار السـلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب دافيد ٠

ولا يفسر ما تقدم على أنه مخالف لأحكام المادة السادسة (فقرة ٢) من المعاهدة بصرف النظر عن أى فعل أو امتناع عن فعل من جانب طرف آخر وبشكل مستقل عن أى وثيقة خارج هذه المعاهدة ٠

المادة السادسة (فقرة ٥)

من المتفق عليه بين الأطراف أنه لا توجد أى دعوى بأن لهذه المعاهدة أولوية على المعاهدات والاتفاقيات الأخرى ، أو للمعاهدات والاتفاقات الأخرى أولوية على هذه المعاهدة ٠

ولا يفسر ما تقدم على أنه مخالفة لأحكام المادة السادسة (فقرة ٥) من هذه المعاهدة التى تنص على ما يلى :

« مع مراعاة المادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة يقر الطرفان بأنه فى حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأى من التزاماتها الأخرى ، فان الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافذة » ٠

الملحق الأول

تقضى المادة السادسة (فقرة ٨) من الملحق الأول بما يلى :

« يتفق الطرفان على الدول التى تشكل منها قوات ومراقبوا الأمم المتحدة ويتم ذلك من الدول غير ذات العضوية الدائمة بمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة » ٠

وقد اتفق الطرفان على ما يلى :

« فى حالة عدم الوصول الى اتفاق بين الطرفين فيما يتعلق بأحكام الفقرة الثامنة من المادة السادسة من الملحق الأول ، فانهما يتعهدان بقبول أو تأييد ما تقترحه الولايات المتحدة الأمريكية بشأن تشكيل قوات الأمم المتحدة والمراقبين » ٠

الملحق الثالث

تنص معاهدة السلام والملحق الثالث لها على اقامة علاقات اقتصادية طبيعية بين الأطراف ـ ووفقا لهذا فقد اتفق على هذه العلاقات سوف

تشمل مبيعات تجارية عاديه من البترول من مصر الى اسرائيل — وأن يكون من حق اسرائيل الكامل التقـدم بعطاءات لشراء البترول المصرى الأصل الذى لا تحتاجه مصر لاستهلاكها المحلى — وأن تنظر مصر والشركات التى لها حق استثمار بترولها فى العطاءات المقدمة من اسرائيل على نفس الأسس والشروط المطبقة على مقدمى العطاءات الآخرين لهذا البترول ٠

عن حكومة	**عن حكومة**
جمهورية مصر العربية	**اسرائيــل**
محمد أنور السادات	**مناحم بيجين**

شهد التوقيع

جيمى كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

الخطابات المصاحبة للمعاهدة

الخطابات الخاصة بتبادل السفراء

(١) نص خطاب الرئيس السادات الى الرئيس كارتر

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزى السيد الرئيس

استجابة لرجائكم ، أستطيع أن أؤكد أنه فى خلال شهر واحد بعد اتمام انسحاب اسرائيل الى الخط المؤقت طبقا لمعاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، مصر سوف ترسل سفيرا مقيما لدى اسرائيل ، وسوف نستقبل سفيرا اسرائيليا مقيما بمصر ٠

المخلص

محمد أنور السادات

السيد الرئيس

البيت الأبيض

(٢) نص خطاب الرئيس كارتر الى رئيس وزراء اسرائيل

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزى السيد رئيس الوزراء

لقد تلقيت كتابا من الرئيس السادات يفيد بأنه فى خلال شهر من اتمام اسرائيل لانسحابها الى الخط المؤقت فى سيناء طبقا لما

تقضى به معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، فان مصر ستوفد سفيرا مقيما فى اسرائيل وستستقبل سفيرا اسرائيليا مقيما بمصر ٠

وسأكون ممتنا اذا ما أكدتم لى أن هذا الاجراء يعد مقبولا من حكومة اسرائيل ٠

السيد مناحم بيجين

رئيس وزراء دولة اسرائيل

المخلص

جيمى كارتر

(٣) نص خطاب رئيس وزراء اسرائيل الى الرئيس كارتر

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزى السيد الرئيس

يسرنى أن أؤكد لكم أن حكومة اسرائيل توافق على الاجراء الموضح بكتابكم المؤرخ ٢٦ مارس ١٩٧٩ والذى ينص على ما يلى :

« لقد تلقيت كتابا من الرئيس السادات يفيد بأنه ، فى خلال شهر من اتمام اسرائيل لانسحابها الى الخط المؤقت فى سيناء ، طبقا لما تقضى به معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، فان مصر ستوفد سفيرا مقيما فى اسرائيل وستستقبل سفيرا اسرائيليا مقيما بمصر » ٠

المخلص

مناحم بيجين

السيد الرئيس

البيت الأبيض

الخطابان المتطابقان الموجهان من الرئيس جيمى كارتر الى الرئيس محمد أنور السادات والسيد مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل بشأن الالتزامات الأمريكية تجاه الطرفين :

(١)

عزيزى السيد الرئيس

٢٦ مارس ١٩٧٩

أود أن أؤكد لكم ، وذلك رهنا باستيفاء الاجراءات الدستورية فى الولايات المتحدة أنه :

فى حالة حدوث خرق أو تهديد بخرق لمعاهدة السـلام بين مصر واسرائيل فان الولايات المتحدة ستقوم ـ بناء على طلب أحد الأطراف أو كليهما ـ بالتشاور مع الأطراف فى هـذا الشأن وسـتتخذ الاجراءات الأخرى التى تراها مناسبة لتحقيق الالتزام بهذه المعاهدة ٠

وستقوم الولايات المتحدة بعمليات الاستطلاع الجوى بناء على طلب الأطراف طبقا للملحق رقم ١ من هذه المعاهدة ٠

وتعتقد الولايات المتحدة أن مواد المعاهدة الخاصة بتمركز أفراد الأمم المتحدة فى المنطقة المحدودة التسليح يمكن ويجب أن تنفذ بواسطة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ٠ وستبذل الولايات المتحدة قصارى جهدهـا للحصول على موافقـة مجلس الأمن على هـذا الاجراء ٠ واذا لم يتمكن مجلس الأمن من اقامة الترتيبات التى تتطلبها المعاهـدة ، فان رئيس الولايات المتحدة سيكون على استعداد لاتخاذ الخطوات اللازمة لضـمان انشاء واستمرار قوة بديلة مقبولة مكونة من دول متعددة ٠

المخلص

جيمى كارتر

صاحب السعادة

محمد أنور السادات

رئيس جمهورية مصر العربية

عزيزى السيد رئيس الورزاء

٢٦ مارس ١٩٧٩

اود أن أؤكد لكم ، وذلك رهنا باستيفاء الاجراءات الدستورية فى الولايات المتحدة أنه :

فى حاله حدوث خرق أو تهديد بخرق لمعاهدة السلام بين مصر واسرائيل فان الولايات المتحدة ستقوم ـ بناء على طلب أحد الأطراف أو كليهما ـ بالتشاور مع الأطراف فى هذا الشأن وستتخذ الاجراءات الأخرى التى تراها مناسبة لتحقيق الالتزام بهذه المعاهدة ٠

وستقوم الولايات المتحدة بعمليات الاستطلاع الجوى بناء على طلب الأطراف طبقا للملحق رقم ١ من هذه المعاهدة ٠

وتعتقد الولايات المتحدة أن مواد المعاهدة الخاصة بتمركز أفراد الأمم المتحدة فى المنطقة المحدودة التسليح يمكن ويجب أن تنفذ بواسطة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ٠ وستبذل الولايات المتحدة قصارى جهدها للحصول على موافقة مجلس الأمن على هذا الاجراء ٠ واذا لم يتمكن مجلس الأمن من اقامة الترتيبات التى تتطلبها المعاهدة ، فان رئيس الولايات المتحدة سيكون على استعداد لاتخاذ الخطوات اللازمة لضمان انشاء واستمرار قوة بديلة مقبولة مكونة من دول متعددة ٠

المخلص

جيمى كارتر

صاحب السعادة

مناحم بيجين

رئيس وزراء دولة اسرائيل

التصديق على معاهدة السلام
بين
جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل
وملحقاتها والاتفاق التكميلي الخاص بالحكم الذاتي الكامل في الضفة الغربية وقطاع غزة

١ ـ قرار رئيس جمهورية مصر العربية
رقم ١٥٣ لسنة ١٩٧٩

بشأن الموافقة على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها والاتفاق التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتي الكامل في الضفة الغربية وقطاع غزة الموقع عليهما في واشنطن في ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ ٠

رئيس الجمهورية :

بعد الاطلاع على الفقرة الثانية من المادة ١٥١ من الدستور ٠

قـــرر :

(مادة وحيدة)

ووفق على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها وعلى الاتفاق التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتي الكامل في الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، الموقع عليهما في واشنطن في ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، مع التحفظ بشرط التصديق ٠

صدر برياسة الجمهورية في ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ (٥ أبريل ١٩٧٩) ٠

« أنور السادات »

٢ ـ المذكرة التفسيرية لقرار رئيس جمهورية مصر العربية رقم ١٥٣ لسنة ١٩٧٩

٨ أبريل ١٩٧٩

مذكـرة

للعرض على السيد رئيس الوزراء

تم توقيع اتفاق سلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل فى واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثانى ١٣٩٩ هجرية الموافق ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، ويتألف هذا الاتفاق من شقين : أولهما معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها ، والثانى اتفاق تكميلى على شكل خطاب مشترك بشـأن اقامة الحـكم الذاتى الفلسطينى الكامل فى الضـفة الغربية وغزة ٠

وفيما يلى موجز بأحكامها الرئيسية :

تتألف المعاهدة من ديباجة وتسع مواد ، الحقت بها الوثائق التالية :

- ملحق رقم (١) وهو البروتوكول الخاص بانسـحاب اسرائيـل وترتيبات الأمن ٠
- وملحق رقم (٢) خاص بالخرائط ٠
- وملحق رقم (٣) هو البروتوكول الخاص بتطبيع العلاقات ٠
- ومحضر متفق عليه بالتفسـيرات الرسـمية لبعض مواد المعـاهدة وملاحقهـا ٠

٢ ـ وقد نصت المعاهدة على أن مقصدها الرئيسى هو اقامة سلام عادل وشامل ودائم فى الشرق الأوسط ، وأن أساس هذا السلام هو قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ والالتزامات التى تضمنها اطـار

السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد فى سبتمبر ١٩٧٨ (الفقرتان ١ و ٢ من الديباجة) ٠

٣ ـ وقد حرصت المعاهدة على أن تؤكد على أن عقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل انما هو خطوة هامة فى طريق السلام الشامل فى المنطقة والتوصل الى تسوية للنزاع العربى / الاسرائيلى بكافه نواحيه ، وأن المبادىء التى يستند اليها اقامة السلام بين مصر واسرائيل انما قصد بها أن تكون أساسا للسلام أيضا بين اسرائيل وأى من جيرانها العرب كل فيما يخصه (الفقرتان ٤ و ٦ من الديباجة) ٠

٤ ـ والخاصية الرئيسية للسلام الذى تقيمه هذه المعاهدة وتنتهى به حالة الحرب بين مصر واسرائيل هى أنه سلام تحكمه ـ فى اقراره وتحقيقه والعلاقات التى تترتب عليه ـ ميثاق الأمم المتحدة ومبادىء القانون الدولى التى تحكم العلاقات بين الدول فى وقت السلم (الفقرة ٧ من الديباجة ، والمادة الثالثة فقرة ١) ٠

٥ ـ والخاصية الرئيسية الثانية لمعاهدة السلام بين مصر واسرائيل هو ارتباطها بالحل الشامل للنزاع العربى / الاسرائيلى على النحو الذى يتحقق به سلام شامل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط ٠ ففى نفس الوقت الذى توقع فيه مصر معاهدة للسلام مع اسرائيل فانها توقع أيضا اتفاقا تكميليا يستهدف تمكين الشعب الفلسطينى من اقامة سلطته الوطنية الذاتية تمهيدا لممارسته لحقه فى تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة ٠ واذا كان هذا الربط يترجم عن موقف مبدئى لمصر وهو أن جوهر النزاع ولبه وسببه هو المشكلة الفلسطينية ، ومن ثم فلابد من الربط المتكامل بين أية خطوة على طريق السلام الشامل وبين الخطوات الأخرى المكملة لها ، فان هذا الربط ليس ربطا شكليا ، وانما هو ربط عضوى حددت فى الاتفاق التكميلى خطواته ومراحله وأهدافه وغايته ٠

٦ ـ وتأخذ الأحكام الخاصة بانسحاب اسرائيل من سيناء مكان الصدارة بين مواد المعاهدة (المادة الأولى) ٠ ووفقا لهذه الأحكام فان انسحاب اسرائيل من سيناء شامل سواء فى شموله للقوات الحربية والمدنية أى انهاء المستعمرات أو فى شموله لأراضى سيناء بأسرها ٠ كما يترتب على هذا الانسحاب استئناف مصر ممارستها لسيادتها الكاملة على كل جزء تنسحب منه اسرائيل (المادة الأولى فقرة ٢ من

المعاهدة والفقرة الخاصة بالمادة الأولى في المحضر المتفق عليه بشأن التفسيرات الرسمية) ٠

وأخيرا فان النقطة التى يتم الانسحاب الى ما ورائها هى الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب (المادة الثانية من المعاهدة) وبالرغم من أن وصف الحدود الدولية انما هو فى اطار الحدود بين مصر واسرائيل فقد حرصت مصر أن تتحفظ تماما بحيث لا يمس أو يفسر مثل هذا النص بوضع قطاع غزة (الفقرة الأولى من المادة الثانية) ٠

٧ ـ وقد تضمنت المعاهدة بيانا بالمبادىء الرئيسية التى تحكم العلاقات بين مصر واسرائيل بعد انتهاء حالة الحرب بينهما ٠ فذكرت المادة الثالثة من المعاهدة كمبدأ أساسى أن العلاقات بين مصر واسرائيل تحددها أحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادىء القانون الدولى التى تحكم العلاقات الدولية فى وقت السلم ، ثم أشارت ـ بصفة خاصة ـ الى مبدأ احترام السيادة وسلامة الأراضى والاستقلال السياسى ، واحترام حق كل طرف فى العيش فى سلام داخل حدوده الآمنة المعترف بها ، والامتناع عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها ، وحل المنازعات بالطرق السلمية ٠ وأوردت الفقرة الثانية من المادة الثالثة أمثلة للأفعال التى يتعهد كل طرف بعدم ارتكابها وهى جميعها تفريعات عن مبدأ عدم استخدام القوة وأفعال العنف ضد سلامة الأراضى أو مواطنى الطرف الآخر وممتلكاته تفرضها الأحكام العامة للقانون الدولى ، ووردت نصوص مماثلة لها فى اتفاق الهدنة بين مصر واسرائيل ، وفى رد مصر على مذكرة يارنج ، وفى اعلان الأمم المتحدة الخاص بمبادىء القانون الدولى بشأن العلاقات الودية والتعاون بين الدول الذى تم اقراره بالاجماع فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٩٧٠ ٠

٨ ـ قد وردت ترتيبات الأمن فى المادة الرابعة من المعاهدة ، والسمات الرئيسية لهذه الترتيبات أنها من ناحية تستهدف توفير الحد الأقصى للأمن لكلا الطرفين على أساس التبادل المتفق عليه ، ومن ناحية أخرى فانها ذات طابع مؤقت اذ تفترض منذ التوقيع على المعاهدة انها سيعاد النظر فيها بناء على طلب أحد الطرفين بغية الاتفاق على تعديلها الذى سيحتمه تطور العلاقات بينهما بعد انها حالة الحرب وزوال عوامل عدم الثقة وعدم الشعور بالأمن التى نجمت عن الحروب العديدة بينهما . وقد حرصت مصر على أن تتضمن التفسيرات الرسمية الواردة فى المحضر المتفق عليه على أن تتم اعادة

النظر في ترتيبات الأمن خلال ثلاثة شهور من طلب أحد الأطراف بذلك .

٩ ـ تؤكد المادة الخامسة من المعاهدة على حرية الملاحة في قناة السويس ومضيق تيران . وقد ورد هذا المبدأ كمبدأ من مبادىء التسوية السلمية في قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وفي قبول مصر لمذكرة يارنج ، وهو نتيجة لانتهاء حالة الحرب التي كانت تستند اليها مصر في قيود الملاحة التي تفرضها على السفن والبضائع الاسرائيلية في قناة السويس ومضيق تيران .

١٠ـ وقد اشتملت المادة السادسة على عدة فقرات تؤكد عزم الطرفين على تنفيذ التزاماتها بمقتضى معاهدة السلام بحسن نية ، واتخاذ التدابير التي تكفل انطباق المعاهدات المتعددة الأطراف التي قد يكونان من أطرافها على العلاقات فيما بينهما بعد أن كانت مصر تتحفظ عند انضمامها الى هذه المعاهدة بالنسبة لانطباقها على العلاقات بينهما وبين اسرائيل كنتيجة لعدم اعتراف مصر باسرائيل ووجود حالة الحرب بينهما .

وقد سجلت المادة السادسة في فقرتها الأولى مبدأ رئيسيا تفسر على أساسه وفي ضوئه الفقرات الأخرى للمادة ، وهو أن المعاهدة لا تمس ولا يجوز تفسيرها على أي نحو يمس بحقوق والتزامات الطرفين وفقا لميثاق الأمم المتحدة .

وقد حرصت مصر على أن تسجل في التفسيرات الرسمية الواردة في المحضر المتفق عليه أن النص في آخر الفقرة الثانية من المادة السادسة على أن البدء في تنفيذ التزامات المعاهدة بصرف النظر عن أي فعل أو امتناع عن فعل من جانب طرف آخر وبشكل مستقل عن أي وثيقة خارج المعاهدة لا يمكن أن يفسر على أي نحو يتناقض مع أحكام اطار السلام المتفق عليه في كامب دافيد . كما حرصت مصر على أن تسجل في هذه التفسيرات الرسمية أن التعارض بين التزامات المعاهدة والالتزامات الأخرى للطرفين لا يمس بذاته وضعها كالالتزامات يتعين تنفيذها ، وحرصت على أن تسجل أنه ليس هناك أي أداء بوجود أولوية لهذه المعاهدة على أية معاهدات أخرى .

ومما تجدر ملاحظته أن الفقرة الخامسة من المادة السادسة من المعاهدة تؤكد ـ بشكل قاطع ـ عدم المساس بالمادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة التي تعطي لأحكام الميثاق الصدارة بين المعاهدات بما في ذلك

أحكام الفصل الثامن من الميثاق الخاص بالترتيبات والمنظمات الاقليمية وحق الدفاع الشرعي الجماعي الذى تنظمه معاهدات الدفاع المشترك ·

١١ ـ التزم الطرفان بمقتضى المادة السابقة على أن يتفاوضا لحل أى خلاف بشأن تطبيق المعاهدة أو تفسيرها ، وأنه اذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضـة فتحل بالتوفيق أو تحال الى التحكيـم ·

١٢ ـ كما حرصت مصر على أن تضمن المعاهدة نصـا هو نص المادة الثامنـة الذى يقضى بأنه ستنشأ لجنـة تعويضات لتسوية التعويضات ·

١٣ ـ وقد اشتملت المادة التاسعة على ما يعرف بالأحكام الختامية ووفقا لهذه الأحكام حدد تاريخ تبادل وثائق التصديق عليها ، وانهـا تحل محل اتفاق فك الاشتباك الثانى المعقود بين مصر واسرائيل فى ستبمبر ١٩٧٥ ·

١٤ ـ كما تتضمن الأحكام الختاميـة للمعاهدة أن كافة البروتوكولات والملاحق والخرائط الملحقة بالمعاهدة تعتبر جزءا لا يتجزء منها · وأنه يتم ايداع نصها لدى الأمين العام للأمم المتحدة وفقـا للمادة ١٠٢ من ميثاق الامم المتحدة وانها حررت من ثلاث نسخ باللغات العربيـة والانجليزية والعبرية التى تعتبر جميعها متساوية الحجية ، وأنه فى حالة الخلاف فى التفسير فيكون النص الانجليزى هو الذى يعتد به ·

١٥ ـ أما الاتفاق التكميلى بشأن الضفة الغربيـة وقطاع غزة فيتضمن الأحكام التالية :

(أ) أن الخطاب منبثق عن اطار السـلام الشامل الموقع فى كامب ديفيد فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ ·

(ب) أن تدخل مصر واسرائيـل فى مفاوضـات خـلال شهر من التصديق على اتفاقية السـلام ، وذلك للاتفـاق على قواعد الانتخابات وصلاحيات الحكومة الفلسطينية الذاتية ، ويمكن أن يتضمن الوفد المصرى فى المفاوضات عناصر فلسطينية ·

(ج) أن الدعوة مفتوحة للأردن للانضمام الى هذه المفاوضات ·

(د) أن تسعى مصر واسرائيل الى الانتهاء من هذه المفاوضات خلال عام بحيث تجرى الانتخابات بأسرع ما يمـكن ، ثم تقـدم

الحكومة الفلسطينية الذاتية خـــلال شهر واحد بعد اجراء الانتخابات ٠

(هـ) أن الهدف هو اعطاء الضفة الغربية وغزة حكما ذاتيا كاملا ٠

(و) تلغى الحكومة العسكرية الاسرائيلية والادارة المدنية التابعة لها بمجرد أن تقوم الحكومة الذاتية الفلسطينية ، وفى نفس الوقت يتم انسحاب بعض القوات الاسرائيلية ٠ ويعاد تمركز القوات الباقية فى أماكن محدودة خارج المناطق السكنية ٠

(ز) تتعهد الولايات المتحدة بالمشاركة الكاملة والفعالة فى جميع مراحل المفاوضات ٠

١٦ ـ وتشمل ملحقات المعاهدة على الوثائق التالية :

(أ) الملحق رقـــم (١) وهو البروتوكول الخاص بالانســحاب الاسرائيلى وترتيبات الأمن ، ويتناول أسس الانسحاب وتحديد المناطق وتسليحها وهو يشتمل على تسعة مواد وبه مرفق يبين مبادىء الانسحاب ويشتمل أيضـا على ثمانيـــة مواد وعدد ٣ خرائط ، الأولى تبين الحدود الدوليـة وتحديد المناطق ، والخريطة الثانية تبين الخطوط والمناطق فى الفترة التى تكون فيها قوات اسرائيل على خط العريش ـ رأس محمد ، والخريطة الثالثة تبين تفاصيل انسحاب الاسرائيليين الى خط العريش رأس محمد ٠

(ب) الملحق رقم (٢) خريطة تبين الحدود الدولية للدولتين ٠

(جـ) الملحق رقم (٣) بروتوكول بشأن علاقات الطرفين الدبلوماسية والقنصلية والاقتصادية والتجارية والثقافية وحرية التنقـل والتعاون فى سبيل التنمية وعلاقات حسن الجوار والنقـــل والمواصلات ، وهو يشتمل على ثمانية مواد ٠

(د) كذلك وقع مع المعاهدة محضر متفق عليه بين الجانبين المصرى والاسرائيلى بشأن المواد الأولى والرابعة والخامسة والسادسة والملحقين الأول والثالث لمعاهدة السلام ٠

تفضلوا بقبول فائق الاحترام

(د ٠ بطرس بطرس غالى)

وزير الدولة للشئون الخارجية

نص قرار (١) مجلس الشعب بجلسته المعقودة

يوم ١٠ ابريل ١٩٧٩

بالموافقة على معاهدة السلام وملحقاتها والاتفاق التكميلى

« ووفق على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها ، وعلى الاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى العامل فى الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، والموقع عليهما فى واشنطن فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ م التحفظ بشرط التصديق » .

---

(١) تم أخذ الرأى على القرار نداء بالاسم وبلغ عدد الموافقين ٣٢٩ عضوا ، وغير الموافقين ١٥ عضوا ، وامتنع عضو واحد عن التصويت .

قرار رئيس الجمهورية رقم ١٥٧ لسنة ١٩٧٩
بدعوة الناخبين الى الاستفتاء

رئيس الجمهورية ٠

بعد الاطلاع على الدستور ٠

وعلى القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ ، بتنظيم مباشرة الحقوق السياسية والقوانين المعدلة له ٠

قــرر

(المادة الأولى)

الناخبون المقيدة أسماؤهم فى جداول الانتخاب بالتطبيق لأحكام القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ ، المشار اليه ، مدعوون للاجتماع فى مقار لجان الاستفتاء الفرعية المختصة ، وذلك لابداء الرأى فى الاستفتاء على الموضوعات الآتية :

أولا : معاهدة السلام وملحقاتها بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل ، والاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية وقطاع غزة الموقع عليهما فى واشنطن فى ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ ، والصادر بالموافقة عليهما القرار الجمهورى رقم ١٥٣ لسنة ١٩٧٩ ،واللتان وافق عليهما مجلس الشعب بتاريخ ١٠ من ابريل ١٩٧٩ ٠

ثانيا : اعادة تنظيم الدولة على الأسس التالية ، تدعيما للديمقراطية٠

١ ــ حل مجلس الشعب والدعوة الى انتخابات عامة فى الموعد الذى حدده الدستور ٠

٢ ــ اطلاق حرية تكوين الأحزاب ٠

٣ ــ اعلان حقوق الانسان المصرى ٠

٤ ـ الالتزام بالحفاظ على الوحدة الوطنيـــة والســلام الاجتمـــاعى والاشتراكية الديمقراطية ·

٥ ـ سعار الدولة هو العلم والايمان ·

٦ ـ الشرعية الدستورية فى الدولة تقوم على مبـادىء وانجازات ثورتى ٢٣ يوليو و ١٥ مايو ٠٠ فى :

(ا) انتماء مصر العربى حقيقة ومصير ·

(ب) الالتزام بسياسة عدم الانحياز ·

(جـ) القضاء على الفساد الحزبى والاقطاع وتطهير الحياة السياسية

(د) الالتزام بنسبة الخمسين فى المائة للعمال والفلاحين فى جميع التنظيمات ·

(هـ) الالتزام بالسلوك الأخـلاقى الذى ينبع من ديننا ومن القيم الأساسية لأرض مصر ·

(و) الالتزام فى كل الظروف بسيادة القانون ·

٧ ـ الدستور هو الوثيقة الأساسية الوحيدة التى يقوم عليها نظام الدولة وتعديله بالاسلوب الدسـتورى ـ هو الطريق الوحيد للتعبير عن متطلبات مرحلة التطور للشعب ·

٨ ـ انشاء مجلس للشورى يكون بمثابة مجلس العائلة لمصر ويضـــم ممثلين عن كل فئات الشعب وهيئاته ·

٩ ـــ تقنين الصحافة كسلطة رابعة ضـــمانا لحريتهـــا وتأكيـــدا على استقلالها ·

المادة الثانية

تجرى عملية الاستفتاء المشار اليها فى المادة السابقة يوم الخميس الموافق ١٩ من أبريل سنة ١٩٧٩ وتبدأ الساعة الثامنة صباحا وتنتهى فى الساعة الخامسة مساء بالكيفية المنصوص عليها فى قانون تنظيم مباشرة الحقوق السياسية ·

المادة الثالثة

توقف جلسات مجلس الشعب اعتبارا من تاريخ نشر هدا القرار بالجريدة الرسمية ·

المادة الرابعة

على وزير الداخلية تنفيذ هذا القرار ·

المادة الخامسة

ينشر هذا القرار فى الجريدة الرسمية ·

صدر برئاسة الجمهورية فى ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق ١١ من أبريل سنة ١٩٧٩ م ·

النتائج الرسمية للاستفتاء الشعبى الذى أجرى
يوم ١٩ أبريل ١٩٧٩

على معاهدة السلام وملحقاتها والاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة •

أعلن السيد وزير الداخلية يوم ٢٠ أبريل ١٩٧٩ النتائج الرسمية التالية للاستفتاء :

١ ـ عدد الناخبين المدعوين لابداء الرأى وهم جملة الأشخاص المقيدة أسماؤهم فى جداول الانتخاب بالتطبيق لأحكام القانون	١٠٩٩٨٦٧٥ ناخبا
٢ ـ عدد من حضر منهم واشترك فى عملية الاستفتاء	٩٩٢٠٢٦٠ ناخبا
٣ ـ عدد الآراء الصحيحة التى أعطيت	٩٩١٠٦٢٦ صوتا
٤ ـ عدد الآراء الباطلة	٩٦٣٤ صوتا
٥ ـ عدد آراء الموافقين	٩٩٠٥٣٨٠ صوتا
٦ ـ عدد آراء غير الموافقين	٥٢٤٦ صوتا
٧ ـ النسبة المئوية لعدد الحاضرين الى عدد الناخبين المدعوين	٩٠ر٢٠٪
٨ ـ النسبة المئوية لعدد آراء الموافقين الى عدد الآراء الصحيحة التى أعطيت	٩٩ر٩٥٪

تصديق السيد رئيس الجمهورية بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٧٩ على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها الموقع عليها فى واشنطن فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ والمسلم الى الجانب الاسرائيلى يوم ٢٥ ابريل ١٩٧٩ بمقر بعثة سيناء الميدانية فى سيناء •

باســم الشعب

محمــد أنــور الســادات

رئيس جمهــورية مصر العربيــة

بعد الاطلاع على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها وعلى الاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، الموقــع عليهما فى واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م ٠

وبعد الاطلاع على موافقــة مجلس الشعب بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٠ أبريل سنة ١٩٧٩ م ٠ وموافقة الشعب المصرى فى الاستفتاء الذى جرى فى ٢٢ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٩ أبريــل ١٩٧٩ ٠

وحيث أننا نوافق على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربيــة ودولة اسرائيل وملحقاتها الموقع عليها فى واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيــع الثانى سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م ٠

لذلك نعلن بمقتضى هذه الوثيقة أننــا نقبلهــا ونؤيدها ونصــــدق عليهـــا ٠

واشهادا على ذلك وقعنا هذه الوثيقة وأمرنا بوضع خاتم الجمهورية عليهـــا ٠

القاهرة فى ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩هـ

الموافق ٢١ أبريل سنة ١٩٧٩ م

بأمـــر

رئيس الجمهورية

وزير الدولة للشئون الخارجية

تصــديق السيد رئيس الجمهورية بتاريــخ ٢١ أبريل ١٩٧٩ على المحضر المتفق عليه للمواد الأولى والرابعة والخامسة والسادسة وللملحقين الأول والثالث لمعاهدة السلام الموقع عليهما فى واشنطن يوم ٢٦ مارس ١٩٧٩ والمسلم الى الجانب الاسرائيلى يوم ٢٥ أبريل ١٩٧٩ بمقــر بعثــة سيناء الميدانية فى سيناء ٠

باسم الشعب

محمد أنور السادات

رئيس جمهورية مصر العربية

بعد الاطلاع على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها وعلى الاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، الموقع عليهما فى واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م ٠

وبعد الاطلاع على موافقة مجلس الشعب بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٠ أبريل سنة ١٩٧٩ م ٠ وموافقة الشعب المصرى فى استفتاء الذى جرى فى ٢٢ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٩ أبريل ١٩٧٩ ٠

وحيث أننا نوافق على الخطاب المشترك الموجه من رئيس جمهورية والخامسة والسادسة والملحقين الأول والثالث لمعاهدة السلام الموقع عليه فى واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع سنة ١٣٩٩هـ الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ ٠

لذلك نعلن بمقتضى هذه الوثيقة اننا نقبلها ونؤيدها ونصدق عليها٠

واشهادا على ذلك وقعت هذه الوثيقة وأمرنا بوضع خاتم الجمهورية عليها ٠

القاهرة فى ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ

الموافق ٢١ أبريل سنة ١٩٧٩ م

بأمر

رئيس الجمهورية

وزير الدولة للشئون الخارجية

تصديق السيد رئيس الجمهورية بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٧٩ على الخطاب المشترك الموجه من رئيس جمهورية مصر العربية ورئيس حكومة اسرائيل الى رئيس الولايات المتحدة الامريكية المتضمن الاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة الموقع عليه فى واشنطن بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، والذى سلم الى الجانب الاسرائيلى يوم ٢٥ أبريل ١٩٧٩ بمقر بعثة سيناء الميدانية فى سيناء ٠

باسم الشعب

محمد أنور السادات

رئيس جمهورية مصر العربية

بعد الاطلاع على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها وعلى الاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، الموقع عليهما فى واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م ٠

وبعد الاطلاع على موافقة مجلس الشعب بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٠ أبريل سنة ١٩٧٩ م ٠ وموافقة الشعب المصرى فى استفتاء الذى جرى فى ٢٢ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٩ أبريل ١٩٧٩ ٠

وحيث اننا نوافق على الخطاب المشترك الموجه من رئيس جمهورية مصر العربية ورئيس حكومة اسرائيل الى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية المتضمن الاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة الموقع عليه فى واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس ١٩٧٩ ٠

لذلك نعلن بمقتضى هذه الوثيقة اننا نقبله ونؤيده ونصدق عليه

واشهادا على ذلك وقعنا هذه الوثيقة وأمرنا بوضع خاتم الجمهورية عليهـا ٠

القاهرة فى ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ

الموافق ٢١ أبريل سنة ١٩٧٩ م

بأمـر

رئيس الجمهـورية

وزير الدولة للشئون الخارجية

ـ الخطاب الموجه من السيد الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء الى السيد مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل بتاريخ ٢٩ أبريل ١٩٧٩

بشأن تبـادل وثيقة التصديق الخاصـة بالخطاب المشترك المؤرخ فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ الموجه الى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ٠

٢٩ أبريل ١٩٧٩

عزيزى السيد رئيس الوزراء

بالاشارة الى تبـادل وثيقة التصديق المتعلقة بالخطـاب المشترك المؤرخ ٢٦ مارس ١٩٧٩ والموجه الى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية من الرئيس محمد أنور السادات عن حكومة جمهورية مصر العربية ورئيس الوزراء مناحم بيجين عن حكومة اسرائيل ٠

أؤكد أن الوثيقة المشـار اليها تقرأ تمشـيا مع الخطـاب المشترك المؤرخ ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ والمرفق صورة منه ٠

مصطفى خليل

رئيس الوزراء

صاحب السعادة

السيد مناحم بيجين

رئيس وزراء إسرائيل

وثائق التصديق الاسرائيلية

معاهدة ســلام

بــين

دولة اسرائيل و جمهورية مصر العربية

وثيقة تصديق

حيث أن : الكنيست وافـق فى الثـانى والعشرين مـن مارس ، ١٩٧٩ ، على معاهدة السلام بين دولة اسرائيل وجمهورية مصر العربية :

وحيث أن : المعاهدة المذكورة أبرمت بواشنطن ، مقاطعة كولومبيا ، فى السادس والعشرين من مارس ، ١٩٧٩ ، ووقع عليها فى اليوم نفسه رئيس الوزراء مناحم بيجين عن حكومة اسرائيل ، والرئيس محمد أنـور السادات ، عن حكومة جمهورية مصر العربية ، وجيمى كارتر ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بصفته شاهدا :

وحيث أن : المادة التاسعة من المعاهدة المذكورة تنص على أن توضع موضع التنفيذ بمجرد تبادل وثائق التصديق عليها :

وحيث أن : حـكومة اسرائيـل قررت فى الأول من أبريل ، سـنة ١٩٧٩ ، بمقتضى السلطة التى يخولها لها القانون ، أن تصدق على معاهدة السلام المذكورة :

وحيث أن : النص الحرفى لمعاهدة الســلام المذكورة مرفق بهذه الوثيقة :

بناء عليه : تعلن بموجب هذه الوثيقـة أن حكومة اسرائيل تصـدق على معاهدة السلام بين دولة اسرائيل وجمهورية مصر العربية :

وكشاهد على ذلك : وقعت انا اسحاق نافون ، رئيس دولة اسرائيل بامضائى على هذه الوثيقة ، وأمرت بالتصديق عليها بختم دولة اسرائيل ، ويتم ذلك فى القدس فى الثالث والعشرين فى نيسان ، عام خمسة آلاف وسبعمائة وتسع وثلاثون ، الموافق العشرين من ابريل ، عام ألف وتسعمائة وتسع وسبعون .

امضاء مصدق

(موشى ديان)

وزير الخارجية

امضـــاء

(اسحاق نافون)

وثيقة التصديق الاسرائيلية بتاريخ ٢٠ ابريل ١٩٧٩ على الوثائق المصاحبة لمعاهدة السلام الموقع عليها بواشنطن يوم ٢٦ مارس ١٩٧٩ والمسلمة الى الجانب المصرى يوم ٢٥ أبريل ١٩٧٩ بمقر بعثة سيناء الميدانية فى سيناء ٠

وثائق مرافقة لمعاهدة السلام

بين دولة اسرائيل وجمهورية مصر العربية

وثيقة تصديق

حيث أن : الكنيست وافق فى الثانى والعشرين من مارس ١٩٧٩ ، على الوثائق المرفقة لمعاهدة السلام بين دولة اسرائيل وجمهورية مصر العربية التالى ذكرها :

١ ـ محضر متفق عليه للمادة الأولى والرابعة والخامسة والسادسة والملحق الأول والثالث لمعاهدة السلام ٠

٢ ـ خطاب من جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، لرئيس الوزراء مناحم بيجين بشأن تنفيذ معاهدة السلام ٠

٣ ـ خطابات متبادلة بين الرئيس جيمى كارتر ورئيس الوزراء مناحم بيجين ، بشأن تبادل السفراء بين دولة اسرائيل وجمهورية مصر العربية ٠

وحيث أن : المحضر المتفق عليه المذكور قد وقع عليه بواشنطن ، مقاطعة كولومبيا فى السادس والعشرين من مارس ١٩٧٩ ، من قبل رئيس الوزراء مناحم بيجين عن حكومة اسرائيل ، والرئيس محمد أنور السادات عن حكومة جمهورية مصر العربية ، والرئيس جيمى كارتر بصفته شاهدا ٠

وحيث أن : الخطابات المذكورة قد وقع عليها أيضا فى السادس والعشرين من مارس ١٩٧٩ ٠

وحيث أن : حكومة اسرائيل قررت فى الأول من ابريل ١٩٧٩ ، بمقتضى السلطة التى يخولهـا لها القـانون ، أن تصـــدق على الوثائق المذكورة ٠

وحيث أن : النص الحرفى للوثائق المذكورة مرفق بهذه الوثيقة :

وبناء عليه : نعلن بموجب هذه الوثيقة أن حكومة اسرائيل تصدق على الوثائق المذكورة المرافقة لمعاهدة السلام :

وكشاهد على ذلك : وقعت أنا اسحاق نافون ، رئيس دولة اسرائيل بامضائى على هذه الوثيقة ، وأمرت بالتصديق عليها بختم دولة اسرائيل ٠

وتم ذلك فى القدس فى الثالث والعشرين من نيسان عام خمسة ألف وسبعمائة وتسع وثلاثون ، الموافق للعشرين من أبريل عام ألف وتسعمائة وتسع وسبعون ٠

امضـــاء

(اسحاق نافون)

امضاء مصدق

(موشي ديان)

وزير الخارجية

الخطاب الموجه من السيد / مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل
الى السيد الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء بتاريخ ٢٩ ابريل ١٩٧٩
بشأن موافقة حكومة اسرائيل على الخطاب الموجه الى الرئيس جيمى كارتر
والذى سبق أن وافق عليه الكنيسست الاسرائيلى يوم ٢٢ مارس ١٩٧٩ ·

القدس فى ١٩ ابريل ١٩٧٩

عزيزى الدكتور خليل

أود أن أؤكد أنه فى ١ ابريل ١٩٧٩ قامت حكومة اسرائيل بالموافقة على الخطاب الموجه الى الرئيس جيمى كارتر والذى وافق عليه الكنيسست فى ٢٢ مارس ١٩٧٩ والموقع فى ٢٦ مارس من قبل رئيس الوزراء مناحم بيجين عن حكومة اسرائيل والرئيس محمد أنور الســادات عن حكومة جمهورية مصر العربية والمتعلق بتطبيق نصوص الوثيقة المعنوية « اطار السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد » ·

المخلص

مناحم بيجين

سعادة الدكتور مصطفى خليل

رئيس الوزراء ووزير الخارجية

جمهورية مصر العربية

الفصل الرابع

اقرار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى

الموقف المصرى

فى ١٤ مايو ١٩٤٨ ، أقامت اسرائيل دولتهـا على أشلاء فلسطين العربية ، وتشرد الشعب الفلسطينى مطرودا من وطنه ، لتظهر أمام العالم، مشكلة اللاجئين ٠

واحتجت الشعوب العربية ، وعلى رأسها مصر ، فاعدوا جيشا من المتطوعين ٠٠ ثم نشبت حرب فلسطين ٠

وقد كان لمصر دور هام مؤثر فى تلك الحرب ، اذ اشترك الجيش المصرى فى تلك الحرب ، وحقق أولى خطوات النصر ، لولا مساعدات الدول التى اعترفت باسرائيل التى أمدتها بالأسلحة والمعدات بعد الهدنة الأولى ، بجانب الخيانات العربية ، التى أدت الى تصدع الجبهة العربية ٠

وظلت الحرب قائمة بين الدول العربية وبين اسرائيل ، أكثر من ثلاثين عاما لم تبخل مصر خلالها بامكاناتها المادية والبشرية ، دون الدول العربية الأخرى ، من أجل الحقوق الفلسطينية ، التى كانت من الأسباب الرئيسية ، لنشوب حروب ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ مع اسرائيل ٠

واستطاعت مصر ، بثقلها السياسى والدبلوماسى ، أن تجذب انتباه العـــالم ، الى أهداف حركة التحرير الفلسطينية ، وأن تنبت للمجتمع الدولى ، أن الشعب الفلسطينى لايزال موجودا ٠

الى أن تعددت المنظمات الفلسطينية ، وتحركت من داخلها ، الأحزاب العربية ، فانقسم الفلسطينيون على أنفسهم ، وتصارعت أنظمتهم المتكاثرة فيما بينها ، حتى غطت أخبار صراعاتهم المستمرة ، على القضية نفسها ٠ وتحول انتباه العالم الى صراع المنظمات وتاهت القضية الفلسطينية ٠

غير أن مصر ، لم تتخل قط عن ايمانها بحقوق شعب فلســطين ، وأصبحت قضيتهم من أهم المبادىء التى كانت مصر تتمسك بها ، بجانب مشاكلها السياسية الخاصــــة ٠ واقترحت مصر فى عام ١٩٧٢ ، على الفلسطينيين ، أن يشكلوا حكومة مؤقتة فى المنفى ، تجسد كيانهم وتعبر عن ارادتهم فى المجتمع الدولى ٠ الا أن تعدد آراء القوى المسيطرة على مصير شعب فلسطين ، حال دون التنفيذ ٠

وفى المخاطرة الكبرى التى قام بها الرئيس السادات بزيارة القدس ٠ أوضح فى خطابه أمام الكنيسست الاسرائيلى (يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧) بكل جرأة وثبات ، لحكومة وشعب اسرائيل ، أن القضية الفلسطينية هى لب النزاع فى الشرق الأوسط وجوهر مشكلته ٠٠ وأنه لا يمكن أن تتم أية تسوية للنزاع القائم فى هذه المنطقة ، قبل حل القضـــية الفلسطينية حلا عادلا ، يقوم على استعادة حقوق الشعب الفلسطينى الوطنية ٠

وقال السادات :

(ان قضية شعب فلسطين وحقوق شعب فلسطين المشروعة ، لم تعد اليوم موضع تجاهل أو انكار من أحد ٠

٠٠ حتى الولايات المتحدة ، اختارت أن تواجه الحقيقة والواقع ، وأن تعترف بأن للشعب الفلسطينى حقوقا مشروعة ، وأن المشـــكلة الفلسطينية هى قلب الصراع وجوهرة ، وطالما بقيت معلقة دون حل ، فان النزاع سوف يتزايد ويتصاعد ليبلغ أبعادا جديدة) ٠

وتبلغ مبادرات السادات من أجل السلام ذروتها ، عندما وجهت الولايات المتحدة الدعوة ، لكل من مصر واسرائيل ، لعقد قمة كامب ديفيد (من ٥ سبتمبر حتى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨) لمباحثـة اقرار السلام فى الشرق الأوسط بمشاركتها ٠

وقد ركز السادات خلال مباحثاته ، على موضوع الفلسطينيين الذين يعيشون فى منطقة النزاع ٠

وعلى الرغم من ذلك ، أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية ، رفضها للجهود التى تبذلها مصر من أجلهـــم ٠ ونتيجة لهذا الرفض ، رفضت اسرائيل بدورها ، الاعتراف بمنظمة التحرير ، أو التعامل معها ، وأظهرتها أمام دول العالم ، على أنها منظمة ارهابية لا تهدف الى السلام ٠٠ ونجحت اسرائيل ، فى جذب اهتمام المجتمع الدولى الى صفها على حساب الشعب الفلسطينى ، بسبب رعونة ممثليه ورفضهم التدخل المصرى الذى يسعى لايجاد تسوية سلمية شاملة لقضيتهم ٠

ولم تنظر مصر ، فى أى وقت ، الى المشكلة الفلسطينية على أنهـا قضية انسانية ، تحتاج الى التأييد الأدبى والمادى فحسب ، انما كانت تعتبرها قضية متشابكة الجذور مع قضايا الشعب المصرى ذاته ٠

كامب ديفيد والتسوية الفلسطينية

واستمرت مصر في مسيرة السلام الشامل ، لايمانها بالتزامها القومى ازاء الأنسان الفلسطينى ٠

وتم التوقيع النهائى على اتفاقيتى كامب ديفيد للسلام . وفيهما التطبيق اللازم لتنفيذ نصوص ومبادىء القرار ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، وفيهما اعتراف اسرائيل بالحقوق الفلسطينية ، والنص على مرحلة انتقالية تمهد لمرحلة تقرير مصير الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة ٠ كما اتفق على فتح باب التعامل السلمى لتحقيق تعايش فلسطينى اسرائيلى بعد الاعتراف المتبادل بينهما والذى سيتم بين الطرفين فى نفس الوقت ٠

ويرتكز القسم الفلسطينى بوثيقة كامب ديفيد ، على الأسس الآتية ، لكى تكون أساسا لمفاوضات الحكم الذاتى الكامل :

ـ اعتراف اسرائيل بحقوق الشعب الفلسطينى وبضرورة التفاوض معه ٠

ـ اقامة سلطة فلسطينية على مراحل ، تحل محل الادارة الاسرائيلية ٠

ـ اتخاذ ترتيبات انتقالية ، لبدء اجراءات انسحاب القوات الاسرائيلية من الضفة الغربية وقطاع غزة ٠

ـ الأمن هو أمن جميع الأطراف ٠

كما نص فى الخطابات المتبادلة بين مصر واسرائيل ، والموافقة ضمن وثائق الاتفاقيتين ٠٠ على :

ـ تحديد واضح للقدس ، يؤكد على أن القدس العربية جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية ، ويجب احترام الحقوق الشرعية والتاريخية للقدس ٠

ـ التأكيد على ضرورة اجلاء المستوطنين الاسرائيليين من المستوطنات ٠

ـ استعداد مصر للاضطلاع بدورها العربى ، لضمان تنفيذ البنود المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة ، ومن أجل حماية الحقوق الشرعية للفلسطينيين وذلك بعد المشاورات مع الاردن وممثلى الشعب الفلسطينى ٠

الاتفاق التكميلي للحكم الذاتي

ومن الوثائق الهامة ، المرفقة بمعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ، الاتفاق التكميلي والخطابات الخاصة بالحكم الذاتي الكامل ٠

وينص الاتفاق بين مصر واسرائيل على :

(٠٠ تشرع مصر واسرائيل في تنفيذ النصوص المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة ٠ وقد اتفقنا على بدء المفاوضات ، خلال شهر من تبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام ٠ ووفقـا لاطار السلام في الشرق الأوسـط ، فان المملكة الأردنيـة الهاشـمية ، مدعوة للاشتراك في المفاوضات) ٠

وبدأت بالفعل مفاوضات الحكم الذاتي ، التي استمرت عاما كاملا (من مايـو ١٩٧٩ حتى مايـو ١٩٨٠) ثم تعثرت ٠٠ بسبب المواقف السلبية للمنظمات الفلسطينية ، التي تعددت القوى المتحكمة فيها ، تلك المنظمات الرافضـة للجهود المصرية التي أثمرت تلك المفاوضـات والاتفاقات ٠٠ بجانب عمليـات العنف والارهاب من جانب الفدائيين الفلسطينيين ، التي كدرت صفو المجتمع الدولي ، وانعكست آثارها السيئة على السلطات الاسرائيلية ، فتعثرت المفاوضـات وسرعان ما توقفت ٠ وعادت المشكلة الفلسطينية ، الى اطار الدائرة المفرغة التي كانت عليه من قبـل ٠

لماذا قاطعتم السلام ؟

قبل نصر أكتوبر ١٩٧٣ ، بربع قرن من الزمان ، كان الانسـان العربي يرى بكل حواسه ، صورته المهانة والملطخة بعار الهزيمة ، وهو يطرق جميع أبواب المجتمع الدولي ، متسولا استعادة أرضه المحتلة ، واسترداد كرامته الوطنية المنتهكة ٠٠ دون أن يظفر الا بقرارات التأييد وبيانات المسـاندة ، التي كانت تتكوم كلها ، تحت أقدام المغتصب الصهيوني ، بلا نتيجة ٠

وبعد احراز النصر ، عادت للانسان العربي ذاته غير مهانة ٠

ونجحت مصر في مباحثات كامب ديفيد ، وتم التوقيع على اتفاقيتي السلام بين مصر واسرائيل ، بمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية ٠ وكان من أبرز بنودها تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، وهو ما كانت تصـبو اليه الـدول العربية وتقرره بمؤتمرات القمـة العربية

العديدة ٠٠ تلك القرارات التى كانت مصر تحرص على التمسك بها ، ولم تخرج عنها فى جميع مباحثاتها ٠

غير أن الدول العربية ، سارعت برفض اتفاقيتى السلام ، قبل الاطلاع على مضمونهما ٠٠ وأعلنوا جميعا مقاطعتهم لمصر ٠

وكان يجب أن تكون المقاطعة مبنية على تقدير مدروس ، ونفهم دقيق لأهداف الاتفاقيتين ٠٠ فتجارب الحرب لا يعرف أهوالها الا من اكتوى بها ، ومعرفة الطبيعة البشرية ، التى تسير مع تطور التاريخ ــ هما الصفتان اللازمتان لتكوين حكم صحيح ٠٠ بيد أن الدول الرافضة للسلام ، مازالت سجينة وراء أكوام الشعارات البالية ، الخالية من كل معنى ٠

نصوص وثائق السلام

كان من الضرورى أن يتضمن هذا الباب ، بنصوص اتفاقيتى كامب ديفيد للسلام ووثائقهما المكملة لهما ٠٠ ومعاهدة السلام بين مصر واسرائيل ووثائقها المرفقة بها ، والتى منها تنظيم عملية الانسحاب الاسرائيلى من كل سيناء ، والخطاب التكميلى لاتفاق الحكم الذاتى للفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة ٠

وذلك حتى يعيها ويتفهمها الشعب العربى ــ خاصة بعد أن طبقتها مصر ــ عسى أن تدرك حكوماته الرافضة لكل انجاز ايجابى تقوم به مصر ، حقيقة مضمونها ، ويطابقونه على جميع قرارات مؤتمرات القمة العربية ، ليستردوا ادراكهم ووعيهم ، ويعودوا الى رشدهم السياسى ، قبل أن يفوتهم قطار السلام ٠

الاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية وقطاع غزة والوثائق المتعلقة به

(أ) الاتفاق التكميلي والخطابات المتعلقة بالحكم الذاتي في الضفة الغربية وغزة ٠

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزي السيد الرئيس

يؤكد هذا الخطاب أن كلا من مصر واسرائيل قد اتفقتا على ما يلي :

تستذكر حكومتا مصر واسرائيل انهمـا قد اتفقتا في كامب دافيد ووقعتا في البيت الأبيض يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٩ الوثائق المرفقة والمعنونة « اطار السلام في الشرق الأوسط المتفق عليه في كامب دافيد » و « اطار لعقـد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل » ٠

وبغية التوصل الى تسوية سلمية شاملة وفقا للاطارين المشار اليهما آنفا تشرع مصر واسرائيل في تنفيذ النصوص المتعلقـة بالضفة الغربية وقطاع غزة ٠ وقد اتفقنا على بدء المفاوضات خلال شهر من تبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام ٠ ووفقا لـ « اطار السلام في الشرق الأوسط » فأن المملكة الأردنية الهاشمية مدعوة للاشتراك في المفاوضات ٠ ولكل من وفدي مصر والأردن أن يضم فلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة أو فلسطينيين آخرين باتفاق مشترك ٠

وهدف المفاوضات هو الاتفاق قبل اجراء الانتخابات على الترتيبات الخاصة باقامة سلطة الحكم الذاتي المنتخبة (المجلس الاداري) ، وتحديد سلطاتها ومسئولياتها ، والاتفاق على ما يرتبط بذلك من مسائل أخرى ٠ وفي حالة اذا ما قرر الأردن عدم الاشتراك في المفاوضـات فسـتجري المفاوضات بين مصر واسرائيل ٠

وتتفق الحكومتان على أن تتفاوضا بصفة مستمرة وبحسن نية مـن أجل الانتهاء من هذه المفاوضات في أقرب تاريخ ممكن ٠ كمـا تتفـق الحكومتان على أن الغرض من المفاوضات هو اقامة سلطة الحكم الذاتي في الضفة الغربية وغزة من أجل تحقيق الحكم الذاتي الكامل للسكان ٠

الرئيس

البيت الأبيض

ولقد حددت مصر واسرائيل لنفسيهما هدفا للانتهاء من المفاوضات خلال عام واحد بحيث يتم اجراء الانتخابات بأسرع ما يمكن بعد أن يكون الاطراف قد توصلوا الى اتفاق · وتنشأ سلطة الحكم الذاتى المشار اليها فى « اطار السلام فى الشرق الأوسط » وتبدأ عملها خلال شهر من انتخابها ، واعتبارا من هذا التاريخ تبدأ فترة الخمس سنوات الانتقالية· ويتم سحب الحكومة العسكرية الاسرائيلية وادارتها المدنية لتحل سلطة الحكم الذاتى محلها كما هو منصوص عليه فى « اطار السلام فى الشرق الأوسط » · وحينئذ يتم انسحاب القوات الاسرائيلية المسلحة واعادة توزيع القوات الاسرائيلية المتبقية فى مواقع أمن محددة ·

ويؤكد هذا الخطاب أيضا مفهومنا بأن حكومة الولايات المتحدة ستشترك اشتراكا كاملا فى كافة مراحل المفاوضات ·

مع خالص التحية ،،،

عن حكومة
جمهورية مصر العربية
محمد أنور السادات

عن حكومة
اسرائيل
مناحم بيجين

٢ ــ خطاب السيد الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء ووزير الخارجية الموجه الى وزير خارجية الولايات بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٧٩ بشأن المستوطنات التى أقامتها سلطات الاحتلال الاسرائيلى فى الضفة الغربية وقطاع غزة ٠

★★★

جمهورية مصر العربية

رئيس الوزراء

٢٣ فبراير ١٩٧٩

عزيزى الوزير فانس :

انه فيما يتعلق بالمحادثات الراهنة بشأن أحكام « اطار السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد » الخاصة بمفاوضات الضفة الغربية وغزة ، أود أن أشير الى المذكرة التى تقدم بها وفد مصر اليكم يوم ١٣ أكتوبر سنة ١٩٧٨ ، والمتضمنة خطوات ينبغى اتخاذها من جانب الحكومة الاسرائيلية بهدف خلق جو يؤدى الى التنفيذ السليم للأحكام المذكورة ٠

وأود أن أكرر أن حكومة مصر تعتبر مثل هذه الخطوات ذات أهمية بالغة فى جهودنا المشتركة نحو المضى قدما لوضع أحكام الاطار المتعلقة بالضفة الغربية وغزة موضع التنفيذ ٠

وأود أيضا أن تحيطونى علما بنتيجة اتصالاتكم مع الجانب الاسرائيلى فى هذا الصدد ٠

مصطفى خليل

رئيس الوزراء

ووزير الخارجية

٣ ـ خطاب السيد الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء ووزير الخارجية الموجه الى وزير خارجية الولايات المتحدة بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٧٩ بشأن تقارير ومقترحات اللجنة التى شكلها مجلس الوزراء الاسرائيلى لوضع المفهوم الاسرائيلى للحكم الذاتى فى الضفة الغربيــــة وقطاع غـــزة ٠

* * *

جمهورية مصر العربية

رئيس الوزراء

٢٤ فبراير ١٩٧٩

عزيزى الوزير فانس :

أود أن أشير الى المعلومات الخاصة بمفاهيم اسرائيلية معينة بشـأن الحكم الذاتى المقرر فى اطار كامب ديفيد للضفة الغربية وقطاع غـــزة ٠ وأشير بصفة خاصة للمعلومات المتعلقة بتقارير ومقترحات لجنة شكلهـا مجلس الوزراء الاسرائيلى ٠

وفى هذا الصدد ، أود أن أحيطكم علما أن حكومة مصر تعتبر مثـل هذه التقارير والمفاهيم كما نشرت أو أذيعت غير مقبولة كلية حيث أنهـــا تشكل خروجا خطيرا عن نص وروح اطارات كامب ديفيد ٠ وعلاوة على ذلك تمثل هذه التقارير استفزازا آخر للسكان الفلسطينيين بالضفة الغربيـة وقطاع غزة ، بل وللشعب الفلسطينى ككل فى الحقيقـــة ٠ ومن المؤكد أنها تشكل تهديدا خطيرا للغاية لعملية السلام برمتها ٠

مصطفى خليل

رئيس الوزراء

ووزير الخارجية

٤ ـ خطاب من وزير خارجية الولايات المتحدة الى السيد وزير الدوله للشئون الخارجية بتاريخ ١٥ أبريل ١٩٧٩ يتضمن الرد على خطابات السيد الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء ووزير الخارجيه الخاصة بالقضايا المتعلقة بالمفاوضات المقبلة الخاصة باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية وقطاع غزة ٠

★★★

القاهرة ، مصر

١٥ أبريل ١٩٧٩

عزيزى الدكتور بطرس

قام السفير ايلتس بابلاغى باقتراحكم بالرد على الخطابات المتعددة الموجهة لى من رئيس الوزراء فى خلال اجتماعنا فى كامب ديفيد فى فبراير فيما يتعلق بمواضيع خاصة بالمفاوضات ٠

ويتعلق عدد من هذه الخطابات بنقاط معينة كانت محل تفاوض وقت تحريرها الا أنها حلت بعد التوصل الى اتفاق على عناصر المعاهدة ككل ٠ وأعتقد أنكم توافقوننى على أن هذه الخطابات تمت معالجتها فى اطار المفاوضات النهائية ٠

وفيما يتعلق بالخطابات التى تعالج موضوعات خاصة بالمرحلة القادمة من المفاوضات فأننى أود أن أؤكد لكم اننا سنولى آراء حكومتكم المعبر عنها فى تلك الخطابات كامل عنايتنا ٠

المخلص

سيروس فانس

سعادة الدكتور بطرس غالى

وزير الدولة للشئون الخارجية ـ القاهرة

القسم السادس

قناة السويس وسيناء

الفصل الأول

قناة السويس .. الهرم الرابع

قدماء المصريين وحفر القناة

من أشنع الغلطات ، التى يحتفظ بها التاريخ ، اعتبـار فرديناند ديليسبس ، أول من فكر فى حفر قناة تربط بين البحرين الأبيض والأحمر ·· وواقع الأمر ، أن فكره لم يتعد اعادة حفر قناة السويس فلا يمكن مطلقا أن يسبق فكره فكر قدماء المصريين ، الذين تم فى عهدهم ربط هذين البحرين بقناة بحرية عبر الأراضى المصرية ·

ففى عهد الملك سنوسرت الثالث ، أحد ملوك مصر الفرعونية ، شقت أول قناة صناعية عرفها التاريخ ، لتصل بين البحر الأبيض المتوسط (وكان يسمى بحر الشمال) وبين البحر الأحمر (وكان يسمى بحر أروترى) ، وذلك عن طريق نهر النيل وفروعه ·· وافتتحت قناة سنوسرت (أو قناة سيزوستريس) عام ١٨٧٤ ق·م ·

ثم أهملت تلك القناة ، ثم أعيد فتحها عدة مرات ، وكان ذلك :

ـ عام ١٣١٠ ق·م ، فى عهد سيتى الأول ·

ـ عام ٦١٠ ق·م ، فى عهد نخاو ·

ـ عام ٥١٠ ق·م ، فى عهد دارا الأول ، وأطلق عليها قناة الفرس ·

ـ عام ٢٨٥ ق·م ، فى عهد بطليموس الثانى ·

ـ عام ١١٧ م ، فى عهد الامبراطور الرومانى تراجان ، وأطلق عليها قناة الرومان ·

ـ عام ٦٤٠م ،فى عهد القائد الاسلامى عمرو بن العاص ،وأطلق عليها قناة أمير المؤمنين ·

وأغلقت القناة نهائيا ، فى بداية عهد الدولة العباسية ·

وفى ٣٠ نوفمبر ١٨٥٦ م ، استطاع فردينانـد ديليسبس ، الحصول على فرمان من والى مصر محمد سعيد باشا ، على حفر قناة السويس ·

وبدأ الحفر فى ٢٥ ابريل ١٨٥٩م ، بأيدى ٢٠ ألف عامل مصرى شهريا ، واستشهد ـ خلال مدة الحفر ـ أكثر من ١٢٠ ألف مصرى ،

بسبب طغيان ديليسبس وتقصيره فى تغذية العمال المصريين ، حتى أصيبوا بأمراض الجوع (كان ديليسبس يصرف لكل عامل رغيفا واحدا من الخبز كل يوم) ، واهماله فى توفير أماكن لايوائهم ، فأماتتهم العوامل الجوية الصحراوية صيفا وشتاء ٠٠ وكان ذلك خروجا منه عما اتفق عليه مع والى مصر ٠

وفى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩م ، أفتتحت قناة السويس للملاحة الدولية، وكان عرضها ٢٢ مترا وعمقها نحو ١٣ مترا ، وكانت السفن تسير فيها ببطء حتى لا تضطرب المياه فتسبب انهيار جوانب القناة ٠

وكانت أول قافلة تعبر القناة فى يوم الافتتاح ، ٧٧ سفينة ، منها ٥٥ سفينة حربية ٠ وعلى رأس تلك القافلة ، كانت تسير السفينة الحربية المصرية ايجل (النسر) ، وعليها الخديوى اسماعيل وملوك أوروبا المدعووين ٠

وكانت مساحة القطاع المائى للقناة ٣٠٤ مترا مربعا ، وعمق مجراها الملاحى ٨ مترا ، وأقصى غاطس مسموح به للسفن ٢٢ قدما ، أى لا يسمح بمرور آية سفينة تزيد حمولتها عن ٤٤٠٠ طنا ٠

ووضح فكر فرديناند ديليسبس ، الهادف الى الاستعمار ، بتكوين شركة قناة السويس الدولية ، بالأسهم التى كانت تمتلك أغلبها فرنسا وانجلترا ، واستطاعت بوسائلها وأساليبها الاستعمارية ، أن تنهب من مصر كل نصيبها من الأسهم ، بأبخس الأسعار ٠ ولم يكن مسموحا لأى مصرى ، مهما بلغت كفاءته البحرية ، باختراق حاجز المرشدين الأجانب ٠ وكانت الشركة — وهى وسط أراض مصرية صميمة — بمثابة دولة أخرى داخل الدولة المصرية ٠

وكان من المفروض أن تستمر الامتيازات التى اقتنصتها الشركة من دماء مصر ، لمدة ٩٩ عاما ، حتى نقضها (يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦) قرار رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر ، بتأميم شركة قناة السويس ، لصالح شعب مصر ٠ وفى لحظة اذاعة القرار ، كان المصريون يسيطرون على جميع ممتلكات الشركة ، وأصبحت قناة السويس مصرية فى كل شىء : موقعها ومياهها وادارتها ومرشديها ٠

وكان قد تم انسحاب جميع المرشدين الأجانب بأوامر من الشركة المنحلة ، بهدف عرقلة الملاحة الدولية وتعطيلها ، حتى يتشفى العالم فى مصر ٠٠ ولكن الادارة المصرية سبقت نواياهم ، وقام رجال القوات البحرية المصرية ، بجميع عمليات الارشاد بكفاءة وجدارة ، حازت على اعجاب

المجتمع الدولى ، ولم يتعطل مرور قوافل السفن فى قناة السويس المصرية وشهد العالم بقدرة المصريين فى الادارة الحكيمة والارشاد المحكم ٠

– وفى عام ١٩٥٦، تعطلت الملاحة فى قناة السويس بسبب العدوان الثلاثى على مصر ، الذى أشركت فيه اسرائيل ، انجلترا وفرنسا ٠

وبعد العدوان تم تطهير القناة ، بمعاونة الأمم المتحده ٠

– وفى حرب ١٩٦٧ ، تعطلت الملاحة فى القناة ، وظلت مغلقة لمدة ٨ سنوات ، عانت فيها مصر ودول العالم ، من كثير من الظروف العصيبة، اذ طالت رحلة السفن للتجارة الدولية ، وتباطأت حركة الملاحة بشكل ملحوظ ، لاضطرار السفن وناقلات البترول ، للسير فى الطريق البحرى القديم ، من أوروبا الى الشرق ، حول رأس الرجاء الصالح (وطوله ١١ر١٣٣ ميلا) والذى كان قد أصبح بفضل قناة السويس (٦٠٦٩ ميلا) ٠

حتي جاء نصر أكتوبر ١٩٧٣ ، وسيطرت القوات المسلحة المصرية . على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وصدرت تعليمات الرئيس السادات، بالبدء فى مشروعات تطهير القناة وتطويرها ، وفقا لتطوير الناقلات ذات الحمولات الضخمة ، والتغييرات العلمية الهائلة ، بالنسبة لنوعيات السفن فظهرت سفن الحاويات ، وحاملات المركبات المتحركة ، وحاملات الصنادل البحرية والسيارات ، وسفن الدحرجة ٠ هذا بالاضافة الى صدور اتفاقية تعديل خطوط الشحن (عام ١٩٦٨) ، حيث وجد أن الحجم الأمثل للناقلات هو ما بين ٢٥٠ ألف طن و ٣٠٠ ألف طن ٠

وقامت اليابان بالتنفيذ ، مستخدمة أحدث ما وصلت اليه التكنولوجيا الحديثة ٠

واستعادت القناة سابق أهميتها :

وفى ٥ يونيو ١٩٧٥ ، أعيد فتح قناة السويس للملاحة الدولية ، بالقدر الذى يسمح بمرور السفن المتوسطة الحمولات بكامل شحنتها ، أما السفن العملاقة فكانت تمر فى القناة وهى فارغة ٠

لقد فتحت القناة للملاحة والتجارة الدولية ، بالارادة المصرية الصميمة ، وأعادت الخير للعالم أجمع ٠ وتم هذا الانجاز ، بما فرضته القوات المسلحة المصرية ، من ارادة أذهلت العالم ، وشارك المجتمع الدولى مصر ، وهى تمارس عملية من أهم آثار انتصار أكتوبر المجيد ٠

وكانت اسرائيل تزعم دائما ، بل وأشاعت فى العالم كله ، أن قناة السويس قد فقدت أهميتها الى الأبد ، وأنه لن تمر فيها سفن بالقدر الذى كانت عليه قبل ١٩٦٧ · ووصل بها الأمر الى مجاهرة المسئولين بهـا بالتصريح الآتى · اذا أرادت مصر أن تفتح القناة ، فعليها أن تتفاوض معنا لكى نسمح ، وحتى ندخل شركاء فيما سيعود من القناة ·

وحطمت القوات المصرية كل ذلك ، وتحطمت الأسطورة ، وفرض الانسحاب على اسرائيل ·

ومنذ معركة اكتوبر ، ومصر تسير بجدية الى الأمام فى كل اتجاه · وكان العمل فى مشروعات تطوير قناة السويس ، يجرى على قدم وساق ، وتستخدم فيه أحدث ما أنتجه العصر من التكنولوجيا ·

وكان افتتاح قناة السويس فى ٥ يونيو ١٩٧٥ ، مثبتا للتاريـخ ، أن يوم الهزيمة فى عام ١٩٦٧ ، قد انمحى وولى الى الأبد ، وأن ٥ يونيو الجديد ، قد أصبح عيدا للقوات المسلحة ، التى أثبتت بكل المقاييس ، كفاءتها وجدارتها ، وقد شهد الأعداء قبل الأصدقاء ، بروعة أداء القوات المصرية ، وبتضحيات رجالها الأبطال ·

وشارك العالم فى كل مكان ، مصر فى احتفالاتها بيوم افتتاح القناة (٥ يونيو ١٩٧٥) وهو مولد الفتح الجديد ، بعد أن قوى الظن بالأعداء وبطانتهم ، بأن قناة السويس لن تستعيد مكانتها ·· كما كان أيضـا انتصارا عظيما على أفكار المغرورين وعلى أحلام الموهومين ، وبداية موفقـة للصحوة الكبرى لشعب مصر وللأمة العربية بأكملها ·

واستعادت قناة السويس مكانتها وأهميتها ، أكثر من ذى قبل ·· بل وعادت مزدهرة لتشارك فى رخاء العالم ·· ولم تفتح لتبقى على حالها السابق ، بل وضعت لها مشاريع التطوير ، لاضـفاء تكنولوجيا العصر الحديث ، على جميع ما تشمله القناة من مرافق حيوية ·

مشروع تطوير القناة

وفى عام ١٩٦٦ ، بدأت هيئة قناة السويس ، دراسة مشروع ضخم لتطوير القناة · وكانت الهيئة ، قد أنشـأت (فى عام ١٩٦١) ، مركزا للأبحاث ومركزه الاسماعيلية ، ليكون اداة فعالة فى دراسـة المشروعات اللازمة لتطوير القناة وفقا لأحدث الأساليب العلمية ، وليساير ما يماثله من مراكز عالميـة ، حتى تقابل القنـاة التطورات الهائلة فى مجـالات التكنولوجيا الحديثة ، ولتبقى القناة قادرة على الوفاء باحتياجات التطوير

العالمى فى أحجام وحمولات السفن . ولمسايرة التصميمات المسمره على أنواع جديدة من السفن والناقلات ، لتتناسب مع أنواع البضائع المطلوب شحنها ، بما يحقق أقل مستوى لتكاليف الشحن ، مع رفع القدرة اللازمة لزيادة الحمولات ، وخضوع كل ذلك الى دراسات الجدوى الاقتصادية .

ويقوم المركز ، بعمل الدراسات النظرية والعمليه والتجارب المعملية واجراء البحوث الدقيقة الخاصة بالتربة المتعلقة بمواد البناء والانشاء ، وتحسين الكفاية الانتاجية ، للماكينات والأجهزة المختلفة والمهمات ومعدات القياس وتطويرها .

وبالمركز أقسام متخصصة فى كل نوع من الابحاث ، وهى : الهيدروليكا ، المتعلقة بمشروعات المجرى الملاحى والقنوات الملاحية والشواطىء .. وأبحاث المواد ، اللازمة للبناء والانساءات ، وتدريب الفنيين على أعمال الاشراف بالمواقع ، والعاملين بالتجارب المعملية والمشروعات الهندسية .. أبحاث التربة ، وهذا القسم مجهز بأحداث الأجهزة الدقيقة لدراسة أنواع التربة والأساسات والتنقيبات الاختبارية .. أبحاث الأجهزة لتحسين كفاءة الأجهزة والماكينات والمهمات الكهربائية وأجهزة القياس وتطويرها وايجاد أنسب الطرق لصيانتها وتشغيلها .. الأرصاد الجوية ، ومهمة هذا القسم التنبؤ بحالة الجو التى تؤثر على الملاحة فى القناة . وقد أعدت محطات رصد على أعلى مستوى من الدقة تعمل ٢٤ ساعة يوميا . وبها أجهزة لقياس سرعة الريح وغزارة المطر ، ودرجة حرارة الشمس . ويتبع هذا القسم ، محطة أرصاد رئيسية بالاسماعيلية ، وأخرى ببورسعيد ، وثلاث محطات فرعية فى الكاب وكبريت والدفرسوار .. وأخيرا قسم الخدمات ، لخدمة العمل فى جميع الأقسام الأخرى ، ويشمل المكتبة العلمية وقاعة المحاضرات ومعمل للتصوير الفوتغرافى .

وكان من أهم ما أنجزه المركز منذ انشائه :

- دراسة تطوير القناة .
- اجراء تجارب على عمليات التوقف الفجائى للناقلات العملاقة فى القناة .
- اختيار أنسب أنواع التكسيات لجوانب القناة .
- عمل دراسات الجدوى الاقتصادية لمشروعات الهيئة .
- عمل دراسات رسوم المرور فى القناة .

ـ عمل دراسات تحديد التلوث ومقاومته فى القناة والموانىء ٠

ـ عقد عدة مؤتمرات دولية ٠

★★★

وكان قد بدىء فعلا فى تنفيذ مشروع التطـــوير ، فى ٢٢ فبراير ١٩٦٧ ، ولكن حرب يونيو ١٩٦٧ عطلت عمليات التنفيذ ثم توقفت نهائيا، بعد أن تعطلت الملاحة فى القناة ٠

وعقب عودة الملاحة فى القناة (فى ٥ يونيو ١٩٧٥) بدأت هيئـــة القناة ، فى تنفيذ المرحلة الأولى من المشروع المعدل الجديد ، الذى يتواكب مع التطورات الهائلة فى أحجام وحمولات وأنوع السفن والناقلات وغيرها من أنواع السفن المستحدثة ، التى لم تكن موجودة قبل حرب ١٩٦٧ ٠

وكانت هيئة قناة السويس قد عهـــدت الى بيوت الخبرة العالمية ، بدراسة الجوانب الفنية والاقتصادية المتعلقة بمشروع تطوير القناة عـلى ضوء كل جديد مستحدث ، ونتج عن ذلك تعديل مشروع التطـوير القديم المقدم فى عام ١٩٦٦ ، حتى يسمح بعبور الناقلات التى حمولتها ٢٦٠ ألف طن بكامل شحنتها ، والناقلات حمولة ٣٠٠ ألف طن بشحنات جزئيـــة ، والناقلات ذات الحمولات الأكبر فارغة وبغاطس حتى ٦٧ قدما ٠

وقد أكدت الدراسات ، أن تنفيذ مشروع التطوير ، سيحقق زيادة كبيرة فى ايرادات القناة ، كما أعلنت بيوت الخبرة الأجنبية ، أنه أحسن مشروع استثمارى فى مصر ، يحقـــق أرباحا تتراوح مـــا بين ٣٠و٤٠٪ سنويا ٠

★★★

وبدأت الخطوات التنفيذية ، وانطلقت أجهزة هيئة قناة السويس ، لتعمل بأقصى طاقاتها وقدراتها ، ولتسبق الزمن لسرعة انجاز أولى مراحل المشروع ٠

وتم ازالة ١٠٦ مليون متر مكعب من الرمال بالضفة الشرقية للقناة، وازالة خط بارليف ونقاطه الحصينة ، وقام بالتنفيذ ٩ شركات مصرية متخصصة ، عملت فى ٢٩ موقعا للعمل ٠ وتم ازالة ١٣١ كيلو مترا مـــن التكسيات القديمة لجوانب القناة ، ونفذت ذلك ٣ شركات مصرية وشركة يابانية ٠ وكذلك تم ازالة ٧٠٠ شمعة رباط قديمة ، وقد عاونت معدات الهيئة فى تنفيذ ذلك ٠ ثم ازالة ٦٨ قيسونا قديمة ، فى مناطق الانتظار بمدخلى القناة ، وقام بالتنفيذ شركة يابانية ٠

كما تم انشاء ١٥٤ كيلو مترا من التكسيات الجديدة ، لحماية جوانب القناة ، وتم بناء ١٠٠٠ شمعة رباط جديدة ، ونفذت ذلك ٥ شركات مصرية كما تم انشاء ٩٧ فيسونا جديدا ، ونفذت ذلك احدى شركات هيئة القناة ٠

وتمت أعمال التطهير بالحفر تحت الماء بالكراكات ، وبلغ حجم هذا العمل حوالى ٦٠٠ مليون متر مكعب ، ونفذت ذلك ٦ شركات أجنبية وأسطول كراكات الهيئة ، وعمل بالمشروع ٤٠ كراكة مصرية وعالمية ٠

كما تم بناء ٢٠ حوضا للترسيب ، على امتداد الجانب الشرقى للقناة ونفذت ذلك الشركات التى قامت بأعمال الحفر الجاف ٠

★★★

وقد استغرق تنفيذ هذا الجانب من التطوير ، ٤ سنوات ونصف ، انتهت فى ديسمبر ١٩٨٠ ٠ وتم افتتاح هذه المرحلة فى ١٦ ديسمبر ١٩٨٠ ٠٠ وبذلك دخلت قناة السويس ، عصر عبور الناقلات العملاقة ٠٠ وأصبحت القناة تساوى ٤ أضعاف القناة عام ١٩٥٦ ، و ٢ ونصف ضعف القناة عام ١٩٧٥ ٠ وقد تكلفت ما يعادل ١٢٧٠ مليون دولار ٠

★★★

كما تم تنفيذ الانشاءات الآتية :

- ٣ تفريعات جديدة : تفريعة بورسعيد وطولها ٣٧ كيلو مترا ٠٠ وتفريعة التمساح وطولها ٥ ونصف كيلو مترا ٠٠ وتفريعة الدفرسوار وطولها ١٠ كيلو مترا ٠
- تطوير وتحسين تفريعة البلاح وطولها ١٠ كيلومتر ، وتفريعة كبريت وطولها ٦ كيلومتر ٠
- أصبحت القناة مزدوجة لمسافات مجموعها ٦٨ كيلو مترا ، من مجموع طول قناة السويس الذى بلغ بعد التطوير ١٩٥ كيلو مترا ٠
- تطوير أسطول كراكات الهيئة وقاطراتها ٠

★★★

وبعد الانتهاء من تنفيذ المرحلة الأولى لتطوير القناة ، قامت هيئة قناة السويس ، بتطوير مناطق انتظار السفن بالبحيرات المرة ، حيث بدأت احدى الشركات اليابانية (فى ٧ ديسمبر ١٩٨١) فى توسيع وتعميق مناطق الرباط الجديدة بالبحيرات المرة ، بحجم عمل بلغ ١٩ مليون مترا مكعبا ٠ وقد انتهت الشركة اليابانية ، من تنفيذ هذا العمل فى مارس ١٩٨٣ ٠

ويستمر التطوير عاما بعد عام ، لتساير قناة السويس ، التدفق المستمر فى تطور أحجام وحمولات السفن ، مع التطوير الدائم لاعداد المجرى الملاحى وتفريعاته ، لاستقبال أضخم الناقلات العملاقة ، وعبورها القناة في سهولة ويسر ، مما يحقق دخلا كبيرا لموارد مصر والتى تمثل فيه ايرادات هيئة قناة السويس ، المرتبة الثالثة ٠

ويوضح الجدول التالى تطور ايرادات قناة السويس ، منذ عودة الملاحة (عام ١٩٧٥) الى عام ١٩٨٠ الذى انتهى فيه تنفيذ المرحلة الأولى من التطوير :

السنة	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠
الايرادات(بالمليون جنيه)	٩٩	٣٥٦	٤٢٧	٥١١	٥٨٧	٦٥٦

وتعتبر قناة السويس ، رافدا للسلام وشريانا للازدهار ، والتعاون بين البشر ٠

وقد حققت القناة منذ افتتاحها بعد نصر أكتوبر والعبور المجيد ، تقدما ملحوظا فى عدد السفن العابرة ، وتزايدا مستمرا فى الحمولات التى تعبر بها ٠٠ مما يدل على قوة وقدرة قناة السويس ، فى خدمة الملاحة الدولية ، وتزايد الخدمات التى تيسرها هيئة القناة للسفن العابرة ٠

وبلغت ايرادات قناة السويس ، خلال العام المالى ٨٦ — ٨٧ ، مليارا و ١٠٦ مليون دولار ، مقابل ٩٨٠ مليون دولار فى العام السابق ٠ ولا شك فى أن هذه الزيادة ، محصلة لسياسة مصر الحكيمة ، وروعة أداة هيئة القناة فى تشجيع وتطوير القناة ، لمرور السفن والناقلات فوق العملاقة ٠٠ وهكذا ستظل قناة السويس موردا أساسيا متزايدا من موارد الدخل القومى فى مصر

مميزات قناة السويس ٠

تمتاز قناة السويس بموقعها الاستراتيجى الحيوى ، فهى تربط أربعة طرق بحرية عظيمة هى : المحيط الاطلسى والبحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندى ٠

وتعتبر قناة السويس ثالث وأطول الممرات البحرية العالمية ، بعد ممر لورانس البحرى فى أمريكا الشمالية ، والقناة البحرية عند بحر البلطيق فى الاتحاد السوفيتى ٠

كما تعتبر حلقة الاتصال بين مراكز الانتاج فى أوربا الغربية وأسواق الاستهلاك فى جنوب وشرقى آسيا ٠٠وقد بلغ ما تم نقله عبر قناة السويس ١٤٪ من حجم التجارة الدولية ، و ٣٢٪ من البضائع المتداولة فى موانىء الخليج العربى ، و ٣٢٪ من البضائع المنقولة لموانىء جنوب آسيا ٠

وفيما يلى أهم الخصائص الأساسية للقناة :

ـ الطول الكلى	١٩٥	كم
ـ طول الاجزاء المزدوجة	٦٨	كم
ـ عرض صفحة القناة	٣٦٥	مترا
ـ عرض المجرى الملاحى	١٤٠	مترا
ـ العرض عند ٦٦ مترا	١٦٠	مترا
ـ مساحة القطاع المائى	٣٦٠٠	متر مربع
ـ أقصى غاطس	٥٣	قدما
ـ أقصى حمولة	١٥٠٠٠٠	طن
ـ الطول من الشمندورات المضاءة الى ميناء بورسعيد	١٨	كيلو مترا
ـ الطول من منطقة الوقوف الى مداخل القناة الجنوبى	١٥	كيلو مترا
ـ الطول من بورسعيد الى الاسماعيلية	٧٨	كيلو مترا
ـ الطول من الاسماعيلية الى بورتوفيق	٨٤	كيلو مترا

وتتم الملاحة فى قناة السويس ، ليلا ونهارا طول العام ٠ وتعبر السفن فى ٣ قوافل يومية ، قافلتان من بور سعيد الى السويس ، وأخرى من السويس الى بور سعيد ٠ ويبلغ متوسط زمن عبور كل سفينة بالقناة ١٥ ساعة ٠ هذا وتوفر قناة السويس من ١٧٪ الى ٦٦٪ من المسافة البحرية بين الشرق والغرب ٠ وبالتالى يؤدى هذا التوفير فى المسافات ، الى توفير الوقود المستخدم فى السفن بنسبة تتراوح من ٥٠ ٪ الى ٧٠٪ ٠

المراقبة الألكترونية للملاحة

تطلب مشروع تطوير القناة ، تنفيذ مشروع مراقبة الملاحة ، بأحدث الوسائل الالكترونية ، على امتداد القناة من مسافة ٣٠ كيلو مترا شـمال بور سعيد فى البحر الأبيض المتوسـط ، حتى مسافة ٣٠ كيلو مترا جنوب السويس فى خليج السويس •

ويهدف هذا المشروع الى زيادة الأمان أثناء عبورها ، والسـماح بزيادة أعدادها • وقد بلغت تكلفة هـذا المشروع ، ١٧ مليون دولار ، ويتكون من أربعة أجزاء :

- الشبكة الرادارية •• لتحديد مواقع السـفن ، بنقل الصـورة الرادارية وتحويلها الى صـورة تليفزيونية ملونة ، عن طريق ٣ محطات : فى بورفؤاد ، وفى بورتوفيق ، والأخيرة فى البحيرات المرة •
- الشبكة اللاسلكية لتحديد الموقع •• وتتـكون من ٣ محطـات فى بورسعيد ، وفى مدينة العاشر من رمضان ، والأخيرة فى رأس سـدر بسيناء •
- شبكة أجهزة الحسابات الألكترونية •• وتنقسم الى ثلاثة أقسام : الرئيسية فى بور سعيد ، والثانية فى بور توفيق ، والأخيرة فى الاسماعيلية •
- شبكة الاتصالات اللاسلكية •• وتقوم بالاتصـال بجميع المسئولين عن الملاحة فى القناة •

القناة سنة ٢٠٠٠

من أهم مميزات قناة السويس ، امكان توسيعها وتعميقها فى أى وقت • ومن هنا ، قامت هيئة قناة السويس ، بواسطة خبرائها الفنيين، بوضع خطة مستقبلية ، بانشاء قناة جديدة موازية للقناة الحالية ، عـن طريق التفريعـات ، وذلك بطول ١٧٦ كيلو مترا كمرحلة أولى ، والذى تم تنفيذها فعلا فى ديسمبر ١٩٨٠ •

أما المرحلة الثانية ، فتمتد بطول ٦٣ كيلو مترا : من الكيلو ١٧ الى الكيلو ٥١ ، أى وصل تفريعة بورسعيد بتفريعة البلاح ، ومن الكيلو ١٣٣ الى الكيلو ١٦٢ ، أى وصل تفريعة البحيرات المرة الصغرى بالبحر الأحمر •

وتؤدي قناة السويس ، دورها المؤثر الفعال فى مجالات التجارة الدولية .. وذلك بفضل موقعهـا المميز بين قارات العالم الانتـاجى والاستهلاكى . وقد استطاعت هيئة قناة السويس ، بمجهود وطاقـة أبنائها المخلصين لمصر ، والمفعمين بحب القنـاة ذاتها ، اسـتطاعت تنفيذ أكبر خطة للارتقاء بخدمات القناة الملاحية ، لاستقبال السفن وناقلات البترول العملاقة . كما حققت ايرادات مرتفعة من النقد الأجنبى ، لرفع مستوى الدخل القومى ، بهدف اعلاء شأن الانسان المصرى ، الذى حمـل الانسان أمانة تشغيل هذا المرفق العالمى بالقدرة والمقدرة الفائقة وبالعمل الشاق ، فى صمت وحب ، لتبقى قناة السويس فى تطوير دائم ، وعلما خفاقا مرتفعا نحو سماء الله جل جلاله ، ليعرف المجتمع العالمى ، أن قناة السويس ستبقى دائما لمصر والمصريين ، ورمزا للخلود .

الفصل الثانى

سيناء .. أرض القمر والفيروز

المسح الجيولوجي

منذ بدأت مراحل تحرير سيناء ،قامت هيئة المساحة الجيولوجية، بوضع خطط قصيرة المدى وأخرى طويلة المدى ، لتخطيط استغلال خامات سيناء ، التى كانت موجودة قبل حرب ١٩٦٧ ، ولاكتشاف المزيد من هذه الخامات ، ووضع برامج فنية عملية لحصر المواد التعدينية الفلزية واللافلزية ، الى جانب البترول ·· ومواد البناء والانشاء والمياه الأرضية ، وغيرها من الأغراض الهامة التى كان يلزم لمعرفتها ضرورة سبر أغوارها ، بأحدث الوسائل التى هيأتها التكنولوجيا المتطورة ·

وقام مشروع الاستشعار من بعد ، بعمل خريطة جديدة لشبه جزيرة سيناء والتى تغطى مساحة ٦٤ ألف كيلو متر مربع ، وذلك باستخدام الصور الفضائية المجمعة ، من القمر الصناعى « أرتس – ١ »· وقد توصل البحث الى عدد من الحقائق والاستنتاجات والتوصيات العملية ·

ونركز قيمة هذه الخريطة ، فى بعض التطبيقات العملية للأغراض الآتية :

- حساب كمية المياه الأرضية المختزنة ، وبيان خطوط الصرف التى تجرى فيها مياه الأمطار المتجمعة فى الروافد الصغيرة ، والتى تنقلها بدورها فى الوديان الكبيرة ·· وبذلك أصبح التخطيط لمشروعات المياه الأرضية ، أكثر وضوحا ·
- التقديرات الخاصة بمساحة الأراضى السهلية المنبسطة ، الممتدة على طول خطوط الصرف ، والتى يمكن القيام باستصلاحها ·
- التعرف على مختلف المواقع فى سيناء ، لايجاد الحل اللازم لمشكلة النقل ·
- استخلاص الخريطة التركيبية لسيناء ، والتى تشير الى تحديد مواقع تجمعات أهم المواد الخام الرئيسية مثل : الغاز الطبيعى والبترول ورواسب الرمال السوداء ورواسب النحاس والمنجنيز والحديد والمعادن النادرة ، علاوة على تكوينات الحجر الرملى (أجود أنواع الجرانيت – الكاولين – الفوسفات – رواسب الرصاص والكبريت) والفحم الملح الصخرى ·

مزايا موقع شبه جزيرة سيناء

تقع شبه جزيرة سيناء قرب المركز الجغرافى للشرق الأوسط وغرب آسيا . وهى منطقة من العالم ، ينمو فيها النشاط الاقتصادى بسرعة كبيرة • وتتميز بالنسبة لموقعها بمميزات تتفوق بها على غيرها •• فهى قريبة من المملكة العربية السعودية والعراق ، أولى وثانية دول العالم البترولية . كما أنها قريبة جدا من الدول الأخرى ، كالمملكة الأردنية الهاشمية والدول الأفريقية الواقعة شرق أفريقيا وغيرها من الدول التى تمثل أسواقا كبيرة بالنسبة لمصر •

وتتمتع شبه جزيرة سيناء ، باحتوائها على أربعة شواطىء : البحر الابيض المتوسط وخليجى السويس والعقبة والبحر الأحمر علاوة على شاطىء قناة السويس ، مما يوفر لها فرصا فريدة للتجارة ، ويوفر مدى كبيرا لفرص النشاط السياحى •

ومما لا شك فيه . ان القدر الذى ستناله هذا الجزء الهام من مصر . من التنمية والتعمير والتطوير الصناعى والزراعى والسياحى ، سيقرب مصر كثيرا الى مركز الشرق الأوسط ، ويجعل سيناء منطقة جذب للسائحين الأوروبيين ، ويزيد الفرص التجارية ويؤدى الى اقتصاد قوى •

وتحيط سيناء بعض المواقع التاريخيةوالدينية والصحية والسياحية وتقع بين مناطق الاستجمام فى البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندى •• ولذلك ، فان موقع سيناء يجعلها فى وضع متميز ، يوفر للسائح النواحى الترفيهية الجبلية والشاطئية والدينية والصحية ، فأماكن مثل كاترين وسرابيط الخادم والبلوسيوم وعين الجديرات ، تقدم فرصا أوسع للسائحين ، الذين يستجمون فى المناطق المجاورة لسيناء ، خاصة وأن الطائرات تقرب المسافات وتختصر الوقت •• فمثلا : تستغرق المسافة بين الشاطىء المرجانى والتاريخى فى منطقة عيون موسى وبين مطار القاهرة أقل من ساعة من المدة التى تستغرقها الرحلة من مطار القاهرة الى الاسكندرية ، وكذلك الرحلة بين المطار والبحيرات المرة تقل حوالى ساعتين عن تلك المدة التى تستغرقها الرحلة ما بين القاهرة والاسكندرية •

كما أن السياحة فى المنطقة الجنوبية الشرقية من سيناء ، تناسب السائحين الموسرين القادمين من السعودية واليابان وأوروبا ، بينما هى تناسب فى المنطقة الشمالية الغربية القادمين من القاهرة لقضاء أجازاتهم • أما السياحة فى شمال وجنوب هضبة سيناء ، فهى للباحثين

عن الآثار · أما على ساحل البحر الأبيض المتوسط فيناسب الاوروبيون الذين يهمهم انخفاض الأسعار ، من خلال الرحلات الجماعية ·

موسوعة تنمية سيناء

وبدأت السلطات المصرية تمارس سـيادتها ، عقب أولى مراحل تحرير سـيناء (مايو ١٩٧٩) حتى تم التحرير الكامل لجميع أراضى سيناء (يوم ٢٥ ابريل ١٩٨٢) ، حيث كانت مصر مستعدة بجميع الدراسات اللازمة للتنمية الشاملة لسـيناء ، واعداد الخطط اللازمـة للتنمية الاقتصادية والاستثمار من عام ١٩٨٣ حتى عام ٢٠٠٠ م ·

وفى عام ١٩٨٢ ، صرح المهندس حسب الله الكفراوى وزير التعمير والاسكان والمجتمعات الجديدة ، لمجلة المهندسين ·· بأن مشروعات تعمير سـيناء ، بدأت فى خطين متوازيين : يسـتهدف الأول اعادة الحياة الطبيعية للمناطق المحررة كهدف عاجل ، والثانى التنمية الشاملة على أسس علمية سليمة لايجاد مجتمعات عمرانية جديدة ، ترتبط بمواقع المشروعات الانتاجية مثل : مشروعات التعدين والسياحة واسـتصلاح الأراضى والثروة السمكية ·

ولذلك ، قامت لجنة على مستوى عال ، من المختصين المحترفين ، تضم ممثلى الأجهزة المصرية على كافة المستويات الحكومية ، وعـدد من الشخصيات العامة الوثيقة الصلة بسيناء ، من أجل اعداد التوصـيات الخاصة ، باستراتيجيات التنمية ووضع البرامج اللازمة للتنفيذ ·

ورخصت وزارة التعمير بالبدء فى دراسـة تعمير سيناء (المرحلة الأولى فى نوفمبر ١٩٨٠) · وركز فريق الدراسة على :

- تجميع ومراجعة وتقييم كافة المعلومات المتاحة من الموارد والأنشطة الاقتصادية والاحتياجات الاجتماعيـة والتحقق منهـا وصـياغتها وتلخيصها ·
- تحديد فرص ومتطلبات التنمية ·
- تحليل المشروع من أجل التخطيط المستقبلى ·
- تقييم كيفية تأثير المعلومـات الجديدة الخاصـة بالموارد · على الاستراتيجيات والخطط المقترحة ·
- وضع خطط مكانية واستراتيجيات تنمية بديلة ·

اعداد اقتراحات عمل للاسراع بمشروعات التعمير والتنمية ذات الأولويات الكبيرة · وقد حظى موضوعان بالاهتمام المكثف خلال دراسة تعمير سيناء فى المرحلة الأولى :

١ ـ تحليل احتمالات المياه الجوفية والسطحية ، وتكلفة تنمية هذه الامكانيات وتدعيمها بمياه النيل أو باستخدام المياه المحلاة ، وتكلفة النظم البديلة من حيث نقل مياه النيل ومياه صرف الاراضى الزراعية فى الدلتا الى سيناء ·

٢ ـ تحليل قدرات الأرض مع التركيز الخاص على تحديد الأراضى فى كافة انحاء سيناء ، التى تستجيب بدرجة كبيرة للرى · وتقدير المساحات المحتملة لهذه الأراضى فى مختلف المناطق الفرعية من شبه الجزيرة · كما تحددت الأماكن المناسبة للسياحة والصناعة ومختلف الاستخدامات الحضرية ، والسياسات المقترحة للحفاظ على الأماكن · كما درست الأسس التى يلزم توفرها لاقامة المستوطنات الجديدة أو التوسع فيها ·

وقد استغرقت الدراسة ثلاث سنوات ونصف ، وأصدرت اللجنة بأبحاثها وأعمالها ، موسوعة دراسات تنمية سيناء فى سبع مجلدات ·

ـ فيعرض المجلد الرئيسى من التقرير النهائى للدراسة الخاصة بتنمية سيناء (المرحلة الأولى) ما يلى :

١ ـ استراتيجية مقترحة لاستيطان وتنمية شبه جزيرة سيناء ·

٢ ـ مجموعة مقترحة من المشروعات والبرامج ·

٣ ـ صورة عامة للنتائج المتوقعة ، بحلول عام ٢٠٠٠ م ، فى حالة تنفيذ الاستراتيجية الموصى بها ·

وكانت الأفكار البديلة التى تم وضعها وتقييمها بدقة ، والتى تم بحثها خلال المراحل الأولى لعملية التخطيط ، كما يلى :

ـ تركيز أكبر على الصناعة مع زراعة أقل ·

ـ أدنى حد ممكن من استخدام المياه المنقولة ·

ـ التركيز على التنمية فى الشمال الشرقى ·

ـ تركيز أكبر على الشواطىء ·

ـ التركيز المبكر على السياحة ·

- التركيز على انشاء عدد قليل من المستوطنات الكبيرة ·
- تركيز اكبر على الزراعة المتناثرة ·
- تأثير أكبر للاتجاهات الماضية (قبل حرب ١٩٦٧) على الاعمال المستقبلية ·
- وتقدم المجلدات الستة الاخرى ، علاوة على ما يزيد عن ٤٠ ورقة عمل ، سبل انجاز الاستراتيجية المقترحة ·

وقد قامت الحكومة المصرية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية بتمويل الدراسة · هذا كما اشترك في الدراسات مندوبون من « معهد الصحراء بالقاهرة » و « مركز الاستشعار من البعد بالقاهرة » ·

التنمية الشاملة

وقد عرضت الموسوعة ، تصورا لسياسة طويلة الأجل ، لوضع تخطيط شامل لسيناء بأكملها ، ووضحت الخطوط العريضة والضرورية لهذا التخطيط ، ليكون منطلقا لدراسات تفصيلية ، فى شتى المجالات من : زراعة ـ تعدين ـ بترول ـ صناعة سياحية ـ ثروة سمكية ·

وبذلك ، تكون تلك الدراسات نواة أساسية للتنمية الشاملة ، وركيزة متينة بنيت عليها الشروط والمواصفات الخاصة بالتخطيط الشامل الاقليمى الجارى تنفيذه ، على أسس سليمة مع الاستفادة الكاملة من التكنولوجية الحديثة فى مجالات التنمية والتعمير ·· بجانب الاستفادة الكاملة من جميع موارد سيناء ، بما يتبح اقامة مجتمعات متكاملة جديدة، وتنمية المجتمعات الموجودة فعلا ، مع التركيز على مجالات الطاقة والصناعات والثروة المعدنية والثروة السمكية والتنمية الزراعية والحيوانية والخدمات ومشروعات البيئة الأساسية والمشروعات السياحية ·

وسيناء صحراء ، يتطلب تنميتها الى كميات ضخمة من المياه . وقد اقترحت الاستراتيجية الموصى بها ، نقل مياه النيل بما فى ذلك مياه الصرف من الدلتا الى مناطق عديدة فى كل أنحاء شبه الجزيرة · ومع ذلك فانه من الممكن استخدام المياه الجوفية (ومعظمها قليل الملوحة) على نطاق أوسع من ذى قبل ·

وعدد السكان فى سيناء قليل ، وتدعو الحاجة الى وجود عدد أكبر من السكان لتحقيق التنمية الكاملة فى هذه المنطقة المترامية الأطراف · وقد خلصت الدراسات الى ضرورة تعمير سيناء بعدد من السكان ، يقدر بحوالى مليون نسمة ، بحلول عام ٢٠٠٠ م · ولذلك ، بات من الضرورى

النجاح فى توفير بيئة مناسبة للمعيشة ، تساعد على جذب المهاجرين من الدلتا والوادى . وتهدف الحكومة المصرية الى اقامة حوالى اثنى عشر مدينة جديدة لتوطين السكان الجدد ، فى مواقع ذات امكانيات طيبة للتنمية الاقتصادية .. حتى يمكن تطوير سيناء ، لتكون بمثابة معبر برى الى الشرق الأوسط ، وكمنطقة تصدير لمصر .

كما أوضحت الدراسات ، تقديرات حجم الاستثمارات للقطاعين العام والخاص حتى عام ٢٠٠٠ م .

وعلى ضوء دراسة الموارد الطبيعية المتاحة فى سيناء ، أمكن وضع التصور التالى :

١ ـ قيام مركز كبير للتجمع السكانى فى منطقة العريش ، وفى السهل الساحلى حتى رفح ، بحيث يتضمن نشاط السكان ما يتصل بالنواحى الزراعية والصناعية والسياحية .

٢ ـ انتشار مراكز التجمع السكانى ، على محور العريش / القنطرة شرق ، ليقوم السكان بنشاط الصيد والزراعة والسياحة .

٣ ـ قيام صناعات فى منطقة القنطرة شرق ، ونشاط استزراع فى منطقة شرق البحيرات المرة ، وصناعات تعدينية فى غرب سيناء .

٤ ـ تنمية زراعية فى سهل القاع ، مع اعتبار مدينة الطور مركزا لهذا النشاط .

٥ ـ قيام نشاط سياحى كبير على الشاطىء الغربى لخليج العقبة .

٦ ـ قيام نشاط زراعى فى وسط سيناء .

خطوات التنفيذ

وتم تقسيم مشروعات تعمير سيناء ، وفقا لخطوات تنفيذها ، الى المجموعات الآتية :

١ ـ مشروعات تحتاج الى اجراءات ادارية ، منها تنظيم عبور القناة ، وتأسيس شركة استثمارية للثروة السمكية فى بحيرة البردويل

٢ ـ مشروعات تحتاج الى دراسات حقلية وتجميع بيانات أولية ، مثل عمل احصاء سكانى للتعرف على خصائص سكان سيناء ، والراغبين فى العودة اليها .

٣ ـ مشروعات تحتاج الى تجميع بيانات مكثفة ، لوضع برامج حفر الآبار والمياه الجوفية وتحليل جودتها ٠

٤ ـ مشروعات تحتاج الى أعمال انشائية بسيطة ، كحماية المناطق من مخاطر السيول وتعميم مداخل بحيرة البردويل ٠

٥ ـ مشروعات دراسات ما قبل الجدوى ، ذات الأعمال الانشائية البسيطة منها : انشاء رصيف للصيد بمنطقة الطور والعريش ٠٠ وتشغيل تربينات الغاز لتوليد الكهرباء واستخدام الطاقة الشمسية ٠

٦ ـ مشروعات دراسات ما قبل الجدوى ، ذات الأعمال الانشائية الكبيرة منهـا : تقييم وعمـــل خرائط لتحـديد كميـات الرمل الزجاجى والكاولين ، والحصول على الفيرومنجنيز لاستخدامه فى صناعة الصـلب محليا وتصديره للخارج ، واستغلال مناجم الفحم فى المغارة ، وانتاج مواد البناء فى العريش ٠

٧ ـ مشروعات تحتاج الى دراسة تخطيطية فى مجال التنميـة الاقليمية منها :

دراســـات تجميع مياه الأمطار ، والتنمية السـمكية فى بحيرة البردويل ، واقامة شبكة للأرصاد الجوية ، وتثبيت الكثبان الرملية ٠

٨ ـ مشروعات جارية ، يلزم نهوها طبقا للبرامج الزمنية المحددة لها منها :

تركيب المضخات على الآبار الموجودة ، واستكمال خطوط المبـــاه العذبة ، وتمهيد طريق السويس الساحلى لجنوب ســـيناء وطرف وادى تيران ومطار العريش ٠

٩ ـ مشروعات تحتاج الى سرعة الانجـــاز ، كاعادة طريق الحج القديم الموصل بين الشط أمام نفق الشهيد أحمد حمدى ، الى نخل ثـم طابا على خليج العقبـــة ، وطوله ٢٢٥ كيلو مترا منها ١١٠ كيلو مترا مرصوفة حتى نخل والباقى مدقات صحراوية ، وهو يربط بين مصـــر والسعودية ، بطريق برى لنقل الحجاج الى بيت الله الحرام ، كما يساعد على انشاء المجتمعات العمرانية على محور هذا الطريق ٠

نهاية عزلة سيناء

نفق الشهيد أحمد حمدى

ولربط سيناء بالدلتا ووادى النيل ، تم انشاء نفق الشهيد احمد حمدى (١) ، الذى يعتبر احدى المعجزات الهندسية ، لينهى عزلة سيناء عن باقى الوطن ، ويكون شريان الحياة اليها ، متمثلا فى طريق المواصلات ، وشبكات تغذية للمياه ، وخطوط الكهرباء • وليجعل العبور من أفريقيا الى قارة آسيا فى ثلاث دقائق •

وقد افتتح النفق عام ١٩٨١ ، وهو أكبر نفق دائرى فى العالم ، وطوله ١٫٦٤ كيلو متر ، ويبلغ قطره الخارجى ١١٫٨ مترا والداخلى ١٠٫٤٠ متر ، ويبلغ طوله الشامل (النفق ومداخله) ٤٫٢٠ كيلو مترا وقد بنى هيكله الخارجى من الميلامين ، وهو مزود بمجموعة من الأجهزة الميكانيكية الحديثة •

ويتكون النفق من حلقات من الخرسانة المسلحة ، سمكها ٦٠٠ ملليمتر ، وتصل قدرة تحملها للضغط الى ٤٥ مترا ، وعدد هذه الحلقات ١٥ حلقة طول كل منها ١٫٢٠ متر بزنة ٣ أطنان •

وبالنفق طريقان كبيران لمرور العربات ، وهو يمتد تحت قناة السويس فى منطقة الشلوفة ، على بعد ١٧ كيلو مترا من شمال مدينة السويس •

ويوجد بالمدخل الغربى للنفق ، مركز تحكم رئيسى مزود بأربعة أجهزة لضمان المراقبة ، وبأجهزة تليفزيونية وأجهزة تكييف وأجهزة تحكم ضوئى داخل وخارج النفق ، وأجهزة تحديد درجة اتجاه الريح فى داخل النفق • وقد روعى عند تصميم نظام التهوية فى داخل النفق ، تلافى الأخطار التى يمكن أن تنجم عن أى تدمير أو تخريب • وبلغت تكاليف النفق ١٠٥ مليون جنيه •

اقامة المعديات

وتم انشاء معدية مزدوجة عند القنطرة شرق ، بالاضافة الى معدية الاسماعيلية تم معدية الدفرسوار ، ومعدة للأحمال النقيلة بالقرب من الفردان • هذا علاوة على معديات عبر خليج السويس •

---

(١) اللواء المهندس وقائد سلاح المهندسين ، الذى استشهد فى حرب العبور عام ١٩٧٣ ، أثناء اشرافه على أقامه الكبارى على قناه السويس لتعبر من عليها القوات المسلحة المصرية •

وبذلك لم تعد سيناء منعزلة ، ولكنها ترتبط ارتباطا وثيقا ببقية أنحاء مصر ، عن طريق المعديات وعن طريق النفق ، وسحارات المياه والطرق وخطوط الكهرباء وأنابيب الغاز الطبيعي والموصلات الألكترونية والخطوط الجوية ٠٠ وبذلك تستطيع سيناء أن تجذب المصريين القاطنين حول نهر النيل ، للاستجمام والدراسة والعمل ، وللسفر عن طريق سيناء الى شبه الجزيرة العربية والمملكة الأردنية الهاشمية٠٠ وكل ذلك من العوامل والتسهيلات التى تساعد على تكامل سيناء مع باقى أجزاء مصر ٠

هذا ومن الضرورى معاملة سيناء معاملة مميزة فى كافة النواحى ، لتوفير الحافز والدافع لباقى أبناء الوطن على التوجه اليها ، وتوطين مشروعاتهم فيها ٠

محافظتى شمال سيناء وجنوب سيناء

وكان الهدف من صدور القرار الجمهورى رقم ٨٤ لسنة ١٩٧٩ ، انهاء عزلة سيناء ، بتقسيمها الى محافظتين هما شمال سيناء وجنوب سيناء ، مع ضم مساحات منها الى محافظات بورسعيد والاسماعيلية والسويس ، لتعزيز الروابط بين المناطق الغربية من سيناء وبين المحافظات المجاورة لها كمحافظة السويس ومحافظة الاسماعيلية ومحافظة بورسعيد من ناحية الغرب ، وكذلك محافظات شرق الدلتا والبحر الأحمر ، والشرقية والقاهرة ٠٠ وكلها تعتبر منطقة تأثير حيوية ، ولسوف تصبح سيناء جزءا متكاملا من التنمية التى تشهدها منطقة التأثير الأكبر ٠

وأهم المدن فى سيناء الشمالية : العريش ــ بالوظة ــ رمانة ــ رابعة ــ نجيلة ــ الخربة ــ التلول ــ سلمانة ــ الروضة ــ سبيكة ــ الخروبة ــ قبر عمير ــ الشيخ زويد ــ أبو طويلة ــ أبو شنار ــ رفح ٠

أما أهم المدن فى سيناء الجنوبية : الطور ــ شرم الشيخ ــ أبو رديس ــ أبو زنيمة ــ نويبع ــ قرية طابا (آخر حدود مصر الدولية)٠

وقد لعبت سيناء أدوارا دفاعية خالدة فى الماضى ، الا أن فراغها العمرانى كان دائما يشجع الطامعين على غزوها ٠ وقد آن الوقت ــ بعد تحرير جميع أراضى سيناء ــ الى ضرورة فض عزلتها بتعميرها ، والعمل الجدى على تسيير عجلة تنميتها ، لتجذب الكثير من السكان الجدد ، بجانب انشاء العديد من المشروعات الانتاجية بالاستفادة التامة من

مواردها الغنية المتوفرة ، واقامة ما يخصصها من مجتمعات سكانية ، لتكون حافزا على تشجيع هجرة السكان من الدلتا والوادى ، ليندمجوا مع أهل سيناء الأصليين ٠٠ حتى تعوض سـيناء عن الاهمـال والتخلف الذى عانت منه زمنا طويلا ، وحتى تصبح خطا دفاعيا محكما أمام أى عدوان عبر حدودها الشرقية ٠

توفير المياه العذبة

وفى مقال نشرته مجلة المهندسين ، ينادى المهندس محمد عبد الهادى سماحة ، أنه صار من الضرورى توفير الميـاه العذبة اللازمة للشرب أو لأغراض التنمية المختلفة ، سواء للزراعة والرى والصناعة أو لغيرها من الاستخدامات الحيوية المختلفة ، حتى تكون سـيناء امتدادا طبيعيا للدلتـا ٠

ومنذ مئات السنين ، كانت مياه النيل تصل الى سيناء ٠٠ فقد كان لنهر النيل عنددخوله فى منطقة الدلتا ، سبعة أفرع يدخل منهـا فرعان الى سيناء : فرع النيل البيلوزى ، الذى كان يمتد حتى قرب البحر الأبيض المتوسط ، ليصب فى بحيرة البردويل عند مدينـة بلوز (الطينة) ، حيث يوجد الآن سـهل الطينة الذى يتكون من طبقـات رسوبية من طمى فرع النيل القديم ٠٠ وفرع التنتيك الذى كان يصب فى البحر الأبيض المتوسط عبر سيناء ٠

الا أن ظروفا مورفولوجيـة ، أدت الى أن يصـبح للنيل فرعان فقط هما : فرعى دمياط ورشيد ٠٠ وذلك نتيجة للتحكم البشرى فى تنظيم مياه النيل ، واقامة العديد من المبانى عليه ٠

وتنحصر موارد المياه بسيناء فى مياه الأمطـار والمياه الجوفية ، والتى ينتج عنها كميات من المياه لا تفى بأغراض التوسـع والتنمية المطلوبة ٠ ولهذا السبب كانت الميـاه على الدوام ، من أهم معوقات التنمية واقامة التكامل فى الماضى ، بين سيناء وبين الدلتا ووادى النيل ٠

الا أن وزارة الرى ، قد وضعت خطتهـا لرى ٧٣٥ ألف فدان بسيناء ٠

- ٥٥ ألف فدان سيتم ريهـا عن طريق خط مواسير لنقل المياه من المعادى الى مدينة السويس ثم الى سيناء ٠
- ٢٥٠ ألف فدان سيتم ريها من ترعة الاسماعيلية ، بعد توسيعها وتعميقها ، ثم تنقل الى سيناء عبر سحارة تحت قنا السويس ٠

- ٣٠ ألف فدان سيتم ريها عن طريق سحارة تم تنفيذها عام ١٩٦٦ ، وأغلقت ليعاد تصميمها بعد حرب ١٩٧٣ ، لتتناسب مع توسيع وتعميق قناة السويس ٠ وتم تنفيذها عام ١٩٧٩ لتنقل مليون ونصف متر مكعب من المياه يوميا لاستخدامات جنود القوات المصرية ، ولزراعة المساحة المقررة ٠
- ٤٠٠ ألف فدان ، ستروى عن طريق ترعة السلام التى ستمر تحت قناة السويس عبر سحارة ضخمة ٠ وفى نوفمبر عام ١٩٧٩ بدأ العمل فى هذه الترعة ٠ وكان من المقرر انهاء المرحلة الأولى لرى ٢٠٠ ألف فدان غرب قناة السويس عام ١٩٨٥ ، الا أن الرئيس محمد حسنى مبارك حتهم على تقصير مدة التنفيذ الى النصف ٠ وسيزود أكثر من ٦٠٪ من هذه المياه ، من مصرفى حادوس والسرو الأسفل بشرق الدلتا ، والباقى من مياه النيل من فرع دمياط التى تنساب هدرا الى البحر الأبيض المتوسط ٠

ويحتاج رى ال ٧٣٥ ألف فدان ، الى نحو ٤ مليار متر مكعب من المياه سنويا ، سيتوفر نصفها من مياه المصارف الذى سيعاد استخدامها، والباقى من حصة مصر من مياه النيل ٠ وتبلغ التكلفة نحو ٦٠٠ مليون جنيه بخلاف تكاليف شبكات الرى والصرف الفرعية داخل سيناء ٠

هذا وقد تم الانتهاء من المرحلة الأولى لتوصيل مياه النيل الى مدينة أبو رديس بمحافظة جنوب سيناء ، عبر سحارة تمر فى نفق الشهيد أحمد حمدى ٠ وسيبدأ تشغيل خط المياه مع نهاية ديسمبر ١٩٨٧ ، بطول ١٧٠ كيلومترا وبقطر ٦٠ مترا ، من خلال محطة ضخ غرب النفق ، الى محطات تقوية (روافع) بطول الطريق ، نظرا لتضاريس المنطقة المرتفعة ، حتى تصل الى أبو رديس ، وتكفى لضخ ٢٢ ألفا و ٥٠٠ مترا مكعبا ٠

وقد وضع التخطيط اللازم لتصل المياه – فى مرحلة لاحقة – الى باقى مراكز ومدن محافظة جنوب سيناء ٠٠٠ هذا بالاضافة الى اصلاح وحدات تحلية المياه التى كانت معطلة ، لتعطى ١٧٥٠ مترا مكعبا من المياه يوميا ٠ كما تم اضافة بئرين جديدين الى ال ٦ آبار الرئيسية ، لتصل الى ٨ آبار تغذى منطقتى الطور وشرم الشيخ ٠

أما فى منطقة دهب ، التى تعتمد على مياه الآبار ، فقد تم اقامة محطة تحلية رئيسية ، طاقتها ٥٠٠ مترا مكعبا يوميا ٠ أما منطقة كاترين، تعتمد على مياه الآبار بشكل منتظم ٠

وبذلك يكون قد تم حل مشكلة المياه على مستوى محافظة جنوب سيناء ، بنسبة ٨٠٪ ٠

سيناء أرض المستقبل

والتنمية الشاملة فى سيناء هى هدف المرحلة القادمة ، لأن سيناء هى محافظة المواجهة عسكريا وحضاريا ٠ وتستهدف استراتيجية التنمية الشاملة ، التركيز على الأهداف الآتية :

- اقامة مستوطنات دائمة فى جميع أجزاء سيناء ٠
- تحقيق تكامل تام لسيناء مع باقى أجزاء مصر ٠
- الاستغلال الأمثل لموارد سيناء الطبيعية والبشرية ٠
- تتولى السلطات الحكومية ، اجراء استثمارات استراتيجية ، من شأنها جذب الاستثمار العام والخاص والدولى ، حتى يبدأ المسار للتنمية الكاملة ٠ على أن يوجه الاستثمار ليشمل مجال تحسين البيئة والأنشطة المرتبطة به ، والاستثمار على نطاق واسع فى مجال السياحة الداخلية والدولية ، وفى مشروعات الرى والمياه ، وفى مجالات الصناعات الثقيلة والتعدين وصناعات انتاج السلح ، وصناعات البتروكيماويات والمواد المعدنية الأخرى ٠
- الاسراع فى فتح المناجم ٠
- تطوير حياة البدو وتوفير أسباب الراحة لهم ، والتى تشمل التعليم والرعاية الصحية والتأمينات الاجتماعية ، علاوة على أبواب العمل وفتحها لتشجيعهم على التكامل والاستيطان ٠
- دفع المصريين القاطنين حول نهر النيل ، على التعود على نظام الحياة الملائم لمناخ الصحراء والسواحل والجبال ٠
- تصميم وبناء مجتمعات جديدة تناسب البيئة الصحراوية وتلائم أساليب المستوطنين ٠
- استكمال شبكات النقل والمواصلات ٠
- الاعتماد على دراسات عملية للجدوى الاقتصادية لمشروعات التنمية ، تقوم بها محافظتنا سيناء الشمالية والجنوبية ، باسهام الجامعات الاقليمية وبيوت الخبرة ٠

- تنفيذ مشروعات البنية الأساسية من الكهرباء والمياه والمرافق العامة والنقل والطرق والمواصلات السلكية واللاسلكية والموانى والمطارات. باعتبارها كلها الدعامة الأساسية فى قيام المشروعات الانتاجية والخدمية .

- الاستغلال الأمثل للظروف المناخية والطبيعية لمنطقة خليج العقبة ، من الناحية السياحية التى تعتبر موردا اقتصاديا هاما .

- الاستغلال الأمثل للموارد التعدينية والبترولية ، الموجودة بوفرة فى سيناء ، والتى تعتبر موردا اقتصاديا هاما على المستوى القومى .

- الاهتمام بنشر مراكز التدريب المهنى ، لتوفير العمالة الحرفية المدربة فى المشروعات ، خاصة الصناعى منها ، سواء الصناعات الاستخراجية أو التحويلية ، واعتبار التدريب هدفا اقليميا ، لتحقيق الانتعاش الاقتصادى .

- الخروج من أنماط الاستغلال والانتاج التقليدية ، فى مشروعات التنمية ، أو تطويرها فى صورة تتناسب مشروعات تنمية سيناء ، مثل : الرى بالرش أو التنقيط فى الزراعة ، وعدم اللجوء الى زراعة المحاصيل التقليدية ، واستخدام خامات البيئة المتوفرة ، من مواد البناء فى مشروعات التعمير المختلفة ، واستخدام التكنولوجيا الحديثة فى المشروعات الصناعية .

- استغلال المياه الجوفية الوفيرة فى الزراعة . وكذا ترشيد استخدام مياه النيل التى تمر الى سيناء ، عبر قناة السويس من خلال أنابيب مياه داخل نفق الشهيد أحمد حمدى .

وعلى ضوء ما تقدم ذكره ، استلزم الأمر وضع خريطة لمشروعات التنمية ، فى كل من محافظتى سيناء الجنوبية وسيناء الشمالية ، تحدد محاور التنمية ، على ضوء الاستراتيجية المستهدفة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

الثروة المعدنية والبترول

كانت نقطة البدء فى مسح سيناء ، من أجل التوصل الى الامكانات البترولية والاحتمالات التعدينية ، هو المسح الاقليمى الشامل ، باستخدام صور القمر الصناعى « لاندسات » والذى وضحت بعد دراسة تفاصيل الصور ، الى تأكيد احتمالات ثلاث :

١ – موارد طبيعية يمكن استثمارها بالمجهود الذاتى – سواء بمعرفة القطاع الخاص أو القطاع العام ، وبدون تدخل من الأجهزة الحكومية ٠

٢ – موارد طبيعية ذات امكانات ملموسة ، ولكنها تحتاج الى بحوث نصف اقليمية للنظر فى وضعها النهائى ٠

٣ – موارد طبيعية تبدو امكاناتها محدودة ، أو أن هناك بديلا لها مستغلا فعلا فى الأراضى المصرية الأخرى (خامات الحديد) ٠

ومما لاشك فيه ، أن نتائج المسح ، تشير الى اختيار أنسب الوسائل للاستغلال الأمثل لموارد سيناء المعدنية والبترولية ٠

البترول والغاز الطبيعى

بدأ اكتشاف البترول فى شبه جزيرة سيناء عام ١٩١٨ م ، فى منطقة « أبو دربة » التى تقع فى الجزء الأول من المنطقة الساحلية الغربية ، وكان ذلك الاكتشاف بمعرفة المساحة الجيولوجية المصرية ٠ ثم توالت الاكتشافات طول هذا القرن ، بمعرفة عدد من شركات البترول الأجنبية ، التى حصلت على امتيازات البحث من مصر ، وذلك فى مناطق متفرقة من سيناء ٠ وقد أسفر نشاط تلك الشركات ، عن اكتشاف ثلاثة حقول صغيرة هى : سدر (عام ١٩٤٦) ، وعسل (عام ١٩٤٧) ، ومطارنه (١٩٤٨) ٠

وكان النشاط الاستكشافى فى سيناء ، مركز فى المنطقة الساحلية الغربية ، ويرجع ذلك ، الى أن حوض خليج السويس يعتبر الحوض البترولى الأول فى مصر ٠ واكتشف بعد ذلك حقول : فيران (١٩٤٩) ، وبلاعيم الأرضى (١٩٥٥) ، وأبو رديس (١٩٥٧) ، وبلاعيم بحرى (١٩٦١) ٠ ومرجان (١٩٦٥) ٠ ومنذ يونيو عام ١٩٦٧ ، توقف نشاط البحث عن البترول ، الا أن حقل « الطور » قد اكتشف خلال فترة الاحتلال الاسرائيلى ٠

وتم استرداد المنطقة الأولى من سيناء ، بعد اتفاقية فك الاشتباك الأول والثانى ، ثم مرحلتى الانسحاب الأخيرتين ، طبقا لمعاهدة السلام ، وعادت سيناء الى وطنها الأم ٠٠ حيث ابتدأ نشاط البحث والتنقيب ، بمعرفة شركات مصرية وعالمية ، وانتقل معظم نشاطها الى قطاعات أخرى (لأن معظم حقول البترول ، فى القطاع الجنوبى الغربى من سيناء بمحاذاة خليج السويس) ، وتم تغطية قطاعات عديدة فى السهل

الساحلى الغربى ، ومنطقتى سهل القاع والطور ‥ وترتب على هـــذا النشاط اكتشاف البترول فى تركيب طينة البحرى فى الشمال الشرقى لبورسعيد . وفى عام ١٩٧٨ ، اكتشف حقل أكتوبر البحرى فى عروض حقل أبو رديس ‥ وفى عام ١٩٧٩ ، اكتشف حقل ١٩٥ غرب أبو رديس فى ناحية سيناء ، وكذلك حقــل علما الذى عــاد الى مصر ‥ وفى عام ١٩٨٢ . بدأ الانتاج فى حقل رأس بدران البحرى ، الذى يقع شمال بلاعيم ، وتم توصيله الى ساحل سيناء عن طريق الأنابيب . ويبلغ معدل انتاجه ١٥ ألف برميل يوميا . كما اكتشف البترول على بعد ٣٩ ميلا جنوب شرق الطور داخل خليج السويس .

ويقدر احتياطى البترول فى حقول سيناء ، بنحو ٣٦ مليون طن ، موزعة على العديد من الحقول التى تستغل حاليــا بمعدلات لاتخل بهذا الاحتياطى وتحافظ على ثروتنا من البترول . ويبلغ متوسط انتــاج حقول سيناء ١٠٨٢٠٠ برميل يوميا ، وهو ما يمثل حوال ٢٠٪ من اجمالى الانتاج المصرى .

هذا وتشير الدراسات المستقاة من صـــور الأقمــار الصناعية والاستشعار عن بعد ، الى ترجيح احتمالات وجود البترول والغاز الطبيعى فى منطقتى المثلث الجنوبى ، وشمال سيناء .

وقد اكتشفت عدة آبار للغاز الطبيعى ، بمنطقة « جوز أبو رعد » جنوب رفح ، ويفتح ذلك آفاقا جديدة لتأمين الوقود والطــاقة اللازمة لتشغيل محطات الكهرباء التى تغذى المنطقة .

مناطق سيناء التعدينية

ويمكن تقسيم سيناء الى أربع مناطق تعدينية ، هى :

١ ــ منطقة المثلث الجنوبى .

- ★ النحاس ‥ كان يستغل منذ العصور القديمة ، من جنوب سيناء قرب دير سانت كاترين (سهل السند والرقيطية) ، كما يوجد فى وادى أبى طليحات ، بالقرب من رأس النقب وجبل الحمراء ، وكذلك فى وادى سمر .
- ★ المنجنيز ‥ يوجد فى بعض طبقات الصـــخور الرسوبية ، فى منطقة شرم الشيخ ، وفى منطقة حويط ؛ وجارى دراسة جدوى استغلاله اقتصاديا .

★ التنجستين والفلسبار ·· وقد اكتشفت خامات الولفرام (التنجستين) ومعادن الفلسبار ، فى الجبال المتاخمة لخليج العقبة ·

٢ ـ منطقة هضبات وسط سيناء ·

★ المنجنيز ·· ويوجد شرق أبى رينمه فى « أم بجمة » وما حولها ويعتبر هذا المنجنيز من أنقى الأنواع الموجودة فى العالم ، كما تعتبر كميات مناجمة من أضخم المخزون على مستوى العالم أجمع · وكان الانتاج يشحن لمسافة ٣٠ كيلومترا بالخط الهوائى، الى ميناء التصدير فى أبو زنيمة حيث يوجد مصنع « الفيرومنجنيز» اللازم لصناعة الصلب · وقد تم اسناد هذا المصنع الى شركة سيناء للمنجنيز ، لانتاج ١٤ ألف سبيكة الفيرومنجنيز ، بالاضافة الى ١٢ ألف طن حديد غفل · وقد بدأ بالفعل التشغيل لانتاج ١٨٠ ألف طن من خام المنجنيز سنويا ·

ومن أهم مناطق مناجم المنجنيز أيضا : أبو حماطة ـ وادى الشلال وادى نصب الحسنيين ـ الركايز ـ أم السيالات · ويقدر الاحتياطى بحوالى ٥ر٥ مليون طن ·

★ طبقات الكاولين ·· تعتبر منطقة جبل سبع سلامة ، مصدر الخام الوحيد لمصانع الخزف والصينى ، اذ يبلغ انتاجه السنوى حوالى ٤٥ ألف طن · كما يستخدم فى صناعات أخرى مثل : الطوب الحرارى ـ المواسير ـ الأسمنت ـ المنسوجات ـ الورق ـ المطاط ·

★ الرمال البيضاء (رمل الزجاج) ·· ويوجد بمناطق أبو قفص ونتش ومنطقة ما حول بير النصب الغربى · وقد بلغ الانتاج السنوى حوالى ٣٠ ألف طن ، تستخدم فى صناعة الزجاج والحراريات ·

★ الطفلة الكربونية والمواد الفحمية ·· وتوجد بمناطق : بدعة وثورة (شرق أبو زنيمة) · ويقدر الاحتياطى بحوالى ٧٥ مليون طن تصلح كوقود فى أفران توليد البخار وكمادة أساسية لانتاج بعض أنواع الكيماويات ·

★ الحديد ·· يوجد بمناطق قرب وادى نصيب وأم بجمة · وهو مازال تحت دراسة جدوى كمياته الاقتصادية · وكان قد تم اكتشاف طبقة من الحديد الهيماتينى (أنقى أنواع الحديد) تم

تقدير احتياطيها بحوالى ٣ مليون طن ٠ هذا وقد ظهرت بعض الكشوف المشجعة فى جبل الحلال بجانب الفحم ٠

★ الفوسفات ٠٠ تم العثور على طبقة من الفوسفات الفقير نوعا ، ولكنها تحتوى على آثار لخامات اليورانيوم والتوريوم ٠ وينتشر الفوسفات بكثرة حول هضبة العجمة ٠

★ البنتونيت ٠٠ ويتواجد بكثرة فى وسط سيناء ، وهو يستخدم فى الزراعة والصناعة ٠ وغير أن مصر تقوم باستيراده لاستخدامه فى ماكينات الحفر للبحث عن البترول ، ولذلك فقد قامت السلطات الحكومية بدراسة امكانات استغلاله ٠

★ كبريتات الصوديوم ٠٠ وقد اكتشف تواجد طفح كبريتات الصوديوم ، فى أماكن تواجد خامات الفوسفات والبنتونيت ٠ ويدخل فى الصناعات الكيمائية والدوائية ٠ ويوجد بكميات تحقق استغلاله فى وسط سيناء جنوب نخل والثمر ٠

★ الجبس والانهيدرايت ٠٠ ويوجدان فى مناطق وادى الربينة (شرق السويس) ، ورأس ملعب (شمال حمامات فرعون) ، ومنطقة الشط ٠ وهو يصدر الى أسواق الشرق الأقصى ٠ ويبلغ متوسط انتاجه السنوى ، حوالى ٧٥ ألف طن ٠

★ الفيروز ٠٠ ويوجد فى مناطق شرقى أبو زنيمة (بوديان مغارة وقنى وسرابيط) ٠ وكان يستغل منذ عهود قدماء المصريين الى الوقت الحاضر ٠ وتقوم السلطات الحكومية بدراسة أفضل الطرق لاستغلاله بأسلوب اقتصادى مثمر ٠

★ الكبريت ٠٠ تشير الدلائل الى وجوده فى منطقة أبو دريه على خليج السويس ، كما تظهر عدسات الكبريت أيضا ، فى وسط سيناء قرب جبل بضيع وهضبة العجمة ٠ وجارى دراسة جدوى استغلاله اقتصاديا ٠

★ الفحم ٠٠ ويتوزع وجوده بين كثير من المواقع فى سيناء ، ولذلك فانه يعتبر أكثر المصادر استغلالا ٠ ويبلغ رصيده رواسب الفحم فى ثلاث مناطق ، بنحو ١٠٠ مليون طن مؤكدة و ١٠٠ مليون أخرى محتملة فى الصدارة كما وكيفا ٠ أما فى منطقة جبل المغارة فقد قدرت الاحتياطات القابلة للاستغلال بحوالى ٥١٫٨ مليون طن مؤكدة ٣٥٫٨ مليونا قابلة للاستخراج ، يضاف اليها ٣٦ مليونا

محتملة • ويوجد الحقـــل الثانى فى منطقـــة بدعة وتور ويحق
استغلال ١٥ مليون طن مؤكدة ، و ٦٠ مليونا محتملـــة • كمـ
اكتشف أخيرا منجم فى عيون موسى ، ويأتى بنحو ٤٠ مليونا
ونوعية الفحم المستخرج من المغارة وعيون موسى ، تصلح لتشغيل
محطات القوى الكهربائية ومجمعات الحديد والصلب • أما فحـ
بدعة وتور فيصلح كمنتج للغاز بطاقة حرارية عالية جدا ، كم
يستخدم فى الصناعات الكيمائية •

★ الزلط •• اللازم لصناعة البناء • ويوجد فى كـل المتسعـات الرحبة ، بين جبال سيناء الشمالية ، خاصة بمنطقة السر (السهل الممتد بين ريان وعنيزة وجبال الحلال وبلق) •

★ الأحجار الجيرية •• الصالحة لصناعة الجير فى القمائن ، وهى موجود فى جميع الجبال الرسوبية فى شمال سيناء •

★ خامات الأسمنت •• وهى الطفلة والأحجار الجـيرية النقية أ المخلوطة ، وتوجـد فى كل مناطق شـمال سـيناء ، وقد ثبت صلاحيتها لصناعة الأسمنت • ونظرا للتطـورات الحـديثة ع صناعة الأسمنت ، فقد ثبت صـلاحية رواسب وادى العريش الطينية التى تجرفها السيول من أواسـط سـيناء ، لصناع الأسمنت •

★ الرخام •• وتوجـد نوعيات جيدة وبكميات ضـخمة ، صـالحـ للاسـتغلال ، فى منطقة وادى الخمـارات • كما توجد أنواع م الأحجار الجيرية الطحلبية القابلة للصقل والتلميع ، لاستخدامه كأحجار للزينة ، وذلك فى جبل المغارة وريان وبلق •

★ الدولوميت •• ويوجـد بكثرة فى حـواف جبل المغارة الشرقي والجنوبية ، وعند مدخل وادى العريش وجبل الحلال •

★ الألونيت •• وهو من الخامات الحـرارية المسـتخدمة كخامات للألومنيوم والبوتاسيوم • وقد تم العثور عليه فى منطقة اللجمة وجارى عمل الدراسات اللازمة لتأكيد انتشاره •

★ الرصاص •• وقد عثر على خامات الرصاص فى جبل خرم ، بصور تبشر باحتمال انتشاره فى شرق سيناء ، الأمر الذى يلزمه عم مزيد من الأبحاث والدراسات •

٤ ــ المناطق الساحلية الشمالية •

★ الرمال السوداء •• التى تحوى الكثير من العناصر المشعة ، وتعتبر أيضا خامات للحديد والتيتانيوم ومواد صنع الطوب الحرارى وأوراق الصنفرة • وقد ثبت وجود ملايين من الأطنان منها ، فى المنطقة الساحلية بين العريش وبور فؤاد ، وفيما بين العريش ورفح •

★ حجر الخفاف •• يترسب طبقات وأكواما على الساحل الجنوبى فى شمال سيناء ، من نواتج البراكين فى جنوب أوروبا خاصة ايطاليا وجزر البحر الأبيض المتوسط • ويعتبر الحجر الخفاف ذا أهمية بالغة فى صناعة مواد البناء ، وجارى بالفعل بحث واستقصاء هذا الأمر •

★ الرمل •• اللازم لعمليات البناء والتعمير ، ويوجد بكميات كبيرة جدا حول العريش •

★ ملح الطعام •• ويوجد بالملاحات الموجودة حول صبخة البردويل وجنوب شرق بور فؤاد ، بجانب احتمال وجود أملاح البوروق • وغالبا يوجد الملح مغطى بطبقة من الأنهيدريت وكبريتات الكالسيوم •

★★★

لم تنل سيناء ، منذ أجيال طويلة ، حظها من جهود التنمية ، مثل ما نالته باقى مناطق مصر الأخرى • وحتى تتكامل سيناء مع باقى مناطق مصر ، فانه يلزم أن تكون هناك عدالة كاملة ، فى توفير كافة الخدمات الاساسية لسيناء مثل : الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية والثقافية والسياحية ورعاية الشباب والرياضة ، علاوة على خدمات التعمير والاسكان •

وبذلك ، نحقق الهدف المرتقب ، لما تتيحه سيناء من الفرص الاقتصادية العديدة ، التى تزيد من رخاء مصر •• ومن أهم تلك الفرص :

- القرب من أسواق الشرق الأوسط •
- احتياطات البترول ووفرة المعادن المختلفة ، وما يترتب عليها من انشاء الصناعات اللازمة لها ، وتشغيل الأيدى العاملة وتنشيط انشاء المستوطنات حولها •
- زيادة العائد من توافد السائحين على مواقع سيناء الجذابة للسياحة•

الثروة السمكية

تأتى حرفة صيد الأسماك ، فى المرتبة التالية بعد الزراعة والرعى، لأنها حرفة يمارسها السكان طوال العام ٠

وتحيط البحار بسيناء من ثلاثة جوانب ، وتبلغ فى مجموعها ما يزيد عن ٧٥٠ كيلو مترا ـ علاوة على ما تضمه فى مصادر هامة للثروة السمكية ـ ممثلة فى بحيرة البردويل الطينية وقناة السويس وخليج السويس وبحيرة ملاحة بور فؤاد ٠٠ وكلها مساحات رحبة لانتاج الثروة السمكية ٠

ويعتبر هذا النوع من الانتاج الغذائى ، احدى ركائز التنمية الشاملة ، التى تساهم الى درجة كبيرة ، فى سد النقص البروتينى ، لا فى سيناء وحدها ، بل وفى باقى أنحاء مصر ٠

علاوة على أن هذه الثروة ، تقوم أساسا على حرفة الصيد ، سواء فى البحر بعد استكمال ، ميناء العريش أو فى بحيرة البردويل ، وتهدف خطط التنمية ، الى تطوير انتاج صيد الأسماك ، واستقرار العاملين فى مجاله ، بانشاء قرى الصيادين كقرى التلول الجديدة ، واقامة المراسى المختلفة والثلاجات وكافة الامكانيات اللازمة لعملية الصيد والصيادين ٠ ومن المنتظر عند تطبيق نظام الاستزراع السمكى ، وتوصيل مياه الصرف للمناطق المزمع التوسع فيها والمتاخمة للبحيرات ، أن يرتفع معدل انتاج الفدان الى ما يزيد عن الطن من الأسماك ، نظرا لتوفر البيئة البحرية المناسبة للأنواع المختلفة من الأسماك والقشريات (الجمبرى) مما قد يتيح توفير الكميات اللازمة للاستهلاك المحلى علاوة عى كميات للتصدير ٠ علما بأن جملة المساحة المقدرة لهذه البحيرات ، تبلغ حوالى ١٦٠ ألف فدان ٠

بحيرة البردويل ٠

وقد اقترنت الثروة السمكية بسيناء ، ببحيرة البردويل التى تعتبر فعلا من أهم البحيرات المنتجة للأسماك ، حيث يوجد لها امتداد

فى بحيرة أخرى تسمى الزرانيق • وتعتبر البردويل ثانى البحيرات المصرية بعد بحيرة المنزلة ، حيث تشغل مساحة ١٦٤ ألف فدان تقريبا ، وتتصل بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق بوغازين : بوغاز رقم ١ وبوغاز رقم ٢ ، ولهذين البوغازين فائدة عظيمة ، اذ أنهما يشكلان مصدر الثروة السمكية للبحيرة ، فعن طريقهما يدخل مياه البحر الى البحيرة وتجدد باستمرار عن طريق المد والجزر • وتحدث دورة المد والجزر ٤ مرات كل ٢٤ ساعة ، وعن طريقها تدخل زريعة صغار الأسماك من البحر الى البحيرة •

وتقع البحيرة فى أقصى الشمال لشبه جزيرة سيناء ، على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وتمتد على الساحل بمسافة ٨٣ كيلومترا وبعرض يتراوح بين ٢ و ٥ كيلومترا ، ويصل أقصى عرض لها ٣٠ كيلومترا عند مصفق •

ويفصل البحيرة عن البحر ، برزخ رملى يتراوح عرضه بين ٢٠٠ و ١٠٠٠ مترا ، عند منطقة القلس ، ويرتفع عن سطح البحر فيما بين ٢٠ و ٦٠ مترا • ومن أشهر ألسنتها : لسان التلول والعفرة وماط وبليس ومحيسن • ومن معالم البحيرة وجود ٥١ جزيرة مساحتها حوالى ٣١٧ فدانا ، ومن أشهرها : جزيرة المحاسنة والوطواط والروميات والقلس •

وتنتج البحيرة أكثر من ٣٠٠٠ طنا سنويا ، من أجود الأسماك البحرية خاصة البورى والطوبان والجران والدنيس والوقار والقاروس• وقد تم تمويل مشروع الاستزراع البحرى لمنطقة بحيرة البردويل بطاقة انتاجية قدرها ٥ مليون أصبعية وزريعة جمبرية سنويا •

وللمحافظة على كفاءة البحيرة ، تم انشاء محطة أبحاث لبحيرة البردويل بالتلول (فى ابريل ١٩٨٥) لتخدم متطلبات البحث العلمى •

وقد أثبتت نتائج الأبحاث الأولية ، أن المخزون السمكى بالبحر الأبيض المتوسط ولمنطقة شمال سيناء ، يقدر بحوالى ٢٠ ألف طن سردين على أعماق بين ١٠٠ و ١٥٠ مترا ، و ٥٠٠٠ طن من سمك التونة على أعماق من ٥٠ و ١٠٠ مترا و ١٠ كيلو جرام / ساعة قشريات بحرية على أعماق ٥٠ مترا •

وجارى العمل حاليا ، لتوفير سفن صيد ، بطاقة انتاجية كبيرة تلائم الصيد بالبحر على أعماق كبيرة •

مصايد أخرى بسيناء

توجد بحيرة ملاحة بور فؤاد التى تبلغ مساحتها ١٢ فدانا ، ومعظم مسطحاتها ضحلة • وتتصل البحيرة بالبحر عن طريق بوغاز ، كما تتصل عن طريق قناة الملح المتفرعة من قناة السويس ببوغاز المواسير •

وقد وصل الانتاج السمكى لمحافظة سيناء الشمالية أكثر من ٤٠٠٠ طن ، كما وصل انتاج محافظة سيناء الجنوبية الى حوالى ١٦٠٠ طن سنويا •

كما يتم استغلال الثروة السمكية بالمناطق التالية :

- رأس سدر ورأس مطامر بطاقة انتاجية ١٠٠٠ طن خلال الموسم سنويا •

- قطاع خليج السويس بطاقة انتاجية تتراوح بين ١٨٠ و ٤٠٠ طن سنويا •

- خليج العقبة بطاقة انتاجية قدرها حوالى ٤٠٠ طن سنويا •

وتأتى مصايد خليجى السويس والعقبة ، فى المرتبة التالية للبحيرات ، نظرا لضعف استغلالها •

وتعتبر الطور ، من أشهر مراكز الصيد على سواحل سيناء الجنوبية ، حيث يعمل أسطول صيد صغير ، يمتد نشاطه الى العمق ويمتد الى خليج العقبة والى قرب سواحل السعودية والسودان •

السياحة في سيناء

تعد سيناء مركزا عالميا للسياحة بمختلف أنواعها .

والسياحة مصدر حيوى فى اقتصاد البلاد ، وكلما ازدادت الخدمات السياحية والطاقة الفندقية وتعددت التسهيلات السياحية ، تحققت للدولة نموا كبيرا فى الدخل والموارد بالعملات الأجنبية .

ولكثرة الآثار وتناثرها فى أرجاء شبه جزيرة سيناء ، أصبح من الضرورى وضع الخطة المتكاملة للتنمية السياحية لسيناء ، واجراء حصر للثروة السياحية ، والمناطق الواجب تنميتها سياحيا ، واعداد دليل شامل لتسجيل الآثار والمنشآت السياحية ، مع الاهتمام بالطرق والمطارات والاتصالات السلكية واللاسلكية لتيسير سبل الراحة للسائحين .

ويشير تقرير المجالس القومية المتخصصة عن ، الخطوط العامة للتنمية فى سيناء حتى سنة ٢٠٠٠ ، بأنه من المهم — من وجهة النظر السياحية — التركيز على الوثائق ، التى تثبت للسائح عراقة هذا الاقليم المصرى ، وأصالة ثروته السياحية وتنوعها ، وتميزها بسمات خاصة تنفرد بها دون سائر المناطق السياحية الأخرى .

وتشمل سيناء العناصر السياحية الآتية :

- السياحة الدينية الثقافية .
- السياحة التاريخية .
- السياحة العلاجية الاستشفائية .
- السياحة الترفيهية .
- السياحة العسكرية .
- سياحة الصحارى والواحات .
- المحميات النباتية والحيوانية .
- السياحة الرياضية .

ولايضاح تفاصيل ومنشآت كل عنصر سياحى ، رأى تقرير المجالس القومية المتخصصة ، أن يقسم سيناء الى منطقتين سياحيتين :

المنطقة السياحية الجنوبية :

ـ منطقة المغارة :

فى وادى سـدر (شرق خليج السويس) · وتعتبر النقوش الفرعونية بها ، أقدم وثائق للسياحة الثقافية بسيناء ، وتبلغ : ٤٥ نقشا ، منها ٢٢ من الدولة القديمة ، ٢٠ من الدولة الوسطى ، ٢ من الأسرة الثامنة عشرة من الدولة الحديثة ·· ولكثير من هذه النقوش طبعات محفوظة بالمتحف البريطانى ·

وقد تحطم نصف هذه النقوش تقريبا ، على يد شركة انجليزية ، كانت تستخرج الفيروز من هذه المنطقة فى أوائل القرن العشرين · أما النصف الآخر فقد نقل الى المتحف المصرى منذ عام ١٩٠٥ م ·

وفى وادى مكتب ·· توجد آلاف من النقوش النبطية واليونانية والعبرية والعربية ، تعود الى فجر التاريخ المسيحى ·

وتؤكد النقوش النبطية صلات مصر العربية،لأن الأنباط عرب هاجروا من وسط شبه الجزيرة العربية حوالى عام ٥٠٠ ق·م ، واستوطنوا المنطقة التى تفصل بين الشام وشبه الجزيرة العربية وتمتد من الفرات الى البحر الأحمر · واستمرت الدولة النبطية حتى عام ١٠٦ م ·

ـ منطقة سرابيط الخادم :

بها الكثير من النقوش والآثار والمعابد التى تعود الى الأسرة الثانية عشرة ، ويبلغ عددها ٣٨٧ نقشا من الدولتين الوسطى والحديثة ·

كما يوجد معبد سنوسرت الأول وملحق به هيكل « سبد » منحوت فى الصخر ، وهيكل للآلهة « حتحور » (منذ عهد أمنمحات الثالث والرابع) · كما يوجد هيكل للملوك منفصل عن المعبد ·

ومن أهم مايميز هذه المنطقة الأثرية ، اكتشاف الكتابات المعروفة بالنقوش السينائية والتى تعتبر أصل كل الأبجديات · وقد نقشها العمال الآسيويون الذين كانوا يعملون فى سيناء ، وذلك عن طريق اختزال المقاطع الهيروغليفية والاكتفاء بالحروف الأولى من أسماء الصور ، التى تعبر عن المعنى ، ومن مجموع تلك الحروف تكونت الأبجدية

السينائية من ٢٢ حرفا · ثم انتقلت تلك الأبجدية الى الشرق ، ومنها نشأت الكتابة الفينيقية التى هى أصل الأبجدية اليونانية ، وهى أصل جميع الأبجديات الأوروبية · كما تعبر النقوش السينائية ، اصل الكتابة الآرمنية وأصل الخط العربى ·

ومن المقترحات المفيدة ، التى طرحت فى تقرير المجالس المتخصصة، اقامة متحف الهواء الطلق لآثار الأسرات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والثانية عشرة والثانية عشرة والثامنة عشرة ·· وذلك بمنطقة المغارة ·

علاوة على اقامة متحف فى المنطقة نفسها ، تعاد اليه آثارها التى نقلت الى المتحف المصرى ، وتلحق به مكتبة تضم نسخا من الصور التى ألتقطت لآثار المنطقة الموجودة بالمتحف البريطانى ·

وكذا انشاء متحف الهواء الطلق فى سرابيط الخادم ، لمهد أول أبجدية عرفها الانسان ، ولآثار الأسرتين الثانية عشر والثامنة عشرة ·

ـ جبل موسى وجبل سربال :

ويشترك الجبلان فى القداسة ، لأن نبى الله موسى تلقى كلمات الله عز وجل فى تلك المنطقة ·· ومن المرجح أن يكون جبل سربال هو المقصود · ولذلك من الضرورى اعتماد أى الجبلين مرجحا ، اعداده للاستغلال فى السياحة الدينية ·

ـ طريق الخروج :

وهو الطريق الذى سلكه موسى عليه السلام ، فى المرحلة الأخيرة من رحلته ، حتى وصل الى جبل « حوريب » الذى عرف بجبل موسى ·

ولتحقيق الاستغلال السياحى ، يتطلب الأمر الى تحديد الطريق بكل دقة ·

ـ دير سانت كاترين :

بنى هذا الدير ، فى القرن السادس الميلادى · ويقع فى سفح قمة جبل طور سيناء ، على أحد فروع وادى الشيخ ، حيث كلم الله عز وجل موسى عليه السلام · والذى جاء ذكره فى القرآن الكريم · وقد شيد فى عهد الامبراطور الرومانى جستنيان · ويرتفع الدير حوالى ٥٠١٢ قدما عن سطح البحر ، وله سور ضخم طوله ٨٥ مترا وعرضه

٧٥ مترا ومتوسط ارتفاعه ١١ مترا ، وسمك الحائط ٢٥ر٢ متر . وقد بني داخل السور ، عدة كنائس صغيرة للعبادة ، وقد حدثت به ترميمات على مدى العصور المختلفة .

وعلى القمة الأخرى للجبل ، يقع دير القديسة كاترين ، ابنة الشريف السكندرى « كوستوس » ، الذى فصل الامبراطور « ماكسيمينوس » رأسها ، لأنها استطاعت أن تقنع ٥٠ من حكمائه باعتناق المسيحية . وقد استشهدت ولهذا سمى الدير باسمها . ويحتوى الدير على :

★ المكتبة .. وهى تضم آلاف المخطوطات الأثرية العظيمة ، باللغات السريانية واليونانية والعربية . وهى تقع فى الدور الثالث من بناء قديم جنوب الكنيسة الكبرى . وتتكون من ثلاث غرف فى صف واحد ، وتضم ٢٣١٩ من المخطوطات اليونانية (الهيلينية) ، و ٢٨٤ من المخطوطات اللاتينية ، و ٨٦ مخطوطا بالسريانية والقبطية والأثيوبية والسلافية والأمهرية والأرمينية والانجليزية والعربيةوالفرنسية والبولندية وبها نحو ٦٠٠٠ مجلد من بينها مخطوطات تاريخية وجغرافية وفلسفية علاوة على الكتب الدينية . وأكثر المخطوطات شهرة فى هذه المكتبة ، كتاب « سيناء » الذى كتبه « أسبيوس » أسقف قيصرية تنفيذا لأمر الأمبراطور قسطنطين (عام ٣٣١م) ، ثم أهداه « جستنيان » الى الدير (عام ٥٦٠ م) .

ويوجد أيضا كتاب « الانبياء » الذى كتب فى عهد الامبراطور « تيودوسوس » الثالث (عام ٧١٦ م) وتحمل كل ورقة من أوراقه الأربعمائة ، عمودين من الكتابة بماء الذهب .

ومن أهم الوثائق التاريخية المخطوطة ، والتى أتفق على أهميتها ، والموجودة بالدير هو « كتاب الأم » ، الذى يعد سجلا تاريخيا عظيما يصور الحالة الاقتصادية والتجارية والاجتماعية ، فى قطاع الطور وجنوب سيناء بوجه عام ، وذلك خلال العصر التركى . ويحتوى على ٥٦٧ ورقة ولغته العربية ، وفيه بعض النصوص بالتركية واليونانية . ويسجل الكتاب بكل دقة ، الدعاوى والأحكام وصكوك المبايعات والرهونات من النخيل والأراضى الزراعية ، سواء فى منطقة الطور أو فى مدينة وادى فيران والمناطق الأخرى وضواحيها ، من أملاك الدير والرهبان وأهل الطور .

كما يوجد عدد من الفرامانات التى أعطاها الخلفاء والولاة لرهبان الدير .

وقد احتفظت المكتبة بعهد الأمان الذى اعطاه رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، الى رهبان الدير لحماية أرواحهم وموالهم فى ظل الدين الاسلامى وقد كتب العهد على بن أبى طالب ، وجاء فى نهايته : « شهد بهذا العهد ، على بن ابى طالب ، أبو بكر بن ابى قحافة ، طلحة ابن عبد الله ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان ، الزبير بن العوام ، وغيرهم من الصحابة • ويقال أن العثمانيين نقلوا أصل هذه الوثيقة الى الأستانة ، بعد الفتح العثمانى لمصر ، بمعرفة السلطان سليم الأول وأعطى الرهبان صورة منها مع ترجمتها بالتركية •

كما يوجد خطاب حماية من نابليون منحه للبدو فى أوائل القرن ١٩ بعد غزوه مصر • وبالمكتبة أيضا : نسخة للانجيل باللغة السريانية من القرن الخامس الميلادى ، وأقدم مخطوط طبى عربى فى العالم وهو كتاب الطبيب « على بن على » فى طب العيون •

★ مكتبة الأيقونات •• ويحتوى الدير ، على أندر وأعظم مجموعة من الأيقونات فى العالم أجمع ، والأيقونة عبارة عن صورة زيتية تعبر عن أهم الأحداث فى العهدين القديم والجديد • ويوجد منها حوالى ١٥٠ ايقونة ذات قيمة روحية وتاريخية وفنية ، وترجع الى القرن الثامن الميلادى ، ولم يمسسها قرار « باولوس » بابا روما ، باحراق جميع الأيقونات الموجودة فى كنائس العالم •

ولذلك ظلت الأيقونات الموجودة بالدير هى النسخ الأصلية •

وتعد أيقونة « العذراء » أقدم وأثمن ما بالدير ، حيث صنعت فى القرن السادس الميلادى ، وأيقونة « موسى » وهو يتلقى الوصايا العشر من تجلى الله ، على قمة الجبل ، وأيقونة « القديسة كاترين » •

★ الكنيسة الكبرى •• وهى من أقدم الآثار المسيحية فى صحراء سيناء ، وتعرف بكنيسة الاستمالة • وهى احدى كنائس العالم الهامة ، لما تحويه جدرانها من فسيفساء قديمة ، بالاضافة الى ما تحويه من التحف النادرة •

وبنيت فى عهد الامبراطور جستنيان (القرن السادس الميلادى) وتقع شمال شرق الدير ، ومبنية بالحجر ، وطولها حوالى ٣٨ مترا وعرضها ١٩ مترا وتقوم على اثنى عشر عامودا يرمز كل منها ، الى شهر من شهور السنة ، أو ترمز الى الاثنى عشر رسولا •

★ شجرة العليقة المقدسة •• وتوجد بداخل الدير ، حيث المكان الذى كلم منه موسى عليه السلام ربه فى وادى « طوى » كما جاء فى القرآن الكريم •

★ كنيسة العليقة المقدسة (كنيسة هيلين) ·· وهى أقدس مكان بالدير ، وتوجد خلف كنيسة الدير الرئيسية · وتنمو العليقة بضعة أمتار خارج الكنيسة ·

★ كنيسة الموتى (معرض الجماجم) ·· ويوجد بالدير ، معرض لحفظ جماجم الموتى ويسمى كنيسة الموتى · وللمعرض قبو متسع تعلوه كنيسة ، ورصت فيه الجماجم فوق بعضها · كما يوجد بالدير ٦ مقابر خاصة بالرهبان والمطارنة ·

★ مسجد الحاكم بأمر الله ·· ويوجد على مسافة ١٠ متر أمام الكنيسة الكبرى فوق الجبل · وهو مسجد صغير بنى بالحجر الجرانيتى فى عهد الخليفة الفاطمى الآمر (٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م) · وهو مكون من حجرة واحدة مساحتها حوالى ٧ × ١٠ أمتار ، ويحمل سقفها عمودين وله مئذنة بسيطة مربعة الشكل · ويوجد بالمسجد قطعتان أثريتان : مقعد يوضع عليه المصحف الشريف ، والمنبر الذى يعتبر من الآثار الباقية من العصر الفاطمى ، ومحفور عليه « لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير » ·

★ أبنية الدير الأخرى ·· ويوجد بداخل الدير ، معصرة للزيتون وأخرى للكروم ، ومخازن المؤن ، وطاحونتان وفرنان ومطبخ ومنازل للرهبان وحديقة بها أشجار الفاكهة ، و ٦ بئرا هى : بئر موسى (ويقال أنه البئر الذى سقى منها موسى عليه السلام ، غنم بنات شعيب عند خروجه من مصر ·· بئر اسطفانوس وماؤه عذب لشرب الرهبان ، وقد حفره اسطفانوس مهندس الدير ·· بئر العليقة ·· بئر مكاريوس ·· بئر اللوزة ·· وبئر مهجور ·

كما يوجد أربعة ينابيع : ثلاثة منها أسفل الحديقة ، والرابع (بئر البركة) وهو نبع غزير يجرى ماؤه فى قناة تحت الأرض ، ليروى الجهة الشرقية من حديقة الدير ·

ـ عيون موسى وحمامات فرعون :

وتوجد على بعد ٢٠ كيلو مترا شرق السويس فى وادى الغرندل ·

وقد ورد ذكر عيون موسى فى القرآن الكريم : (واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم) ·

(البقرة : آية ٦٠)

والكلام موجه من الله عز وجل الى سيدنا موسى عليه السلام ، حين طلب منه بنو اسرائيل ماء ليرتووا به ويشرب منه دوابهم ٠

وتمتاز حمامات فرعون بمياهها الكبريتيه ٠ وقد انتهت بحوث وزارة الصحة الى ان مياهها تفوق مياه حلوان فى النتائج العلاجيه ٠

وقد سجل علماء الحملة الفرنسية فى كتاب « وصف مصر » ٠ بيانات هامة عن تلك المنطقة وان نابليون اكتشف بمنطقة العيون ترعه كانت مغطاه ، وأن مياه العيون كانت تنقل حتى شاطىء خليج السويس كما لاحظ أن المنطقة بين العيون والشط كانت مزروعة ، ومن الممكن أن المياه كانت تنقل اليها عن طريق قنوات مغطاة ٠

- طريق المحمل :

اذا كانت سيناء فى التاريخ القديم هى الطريق الحربى ، وفى التاريخ اليهودى هى طريق الخروج ، وفى التاريخ المسيحى هى الطريق الذى سلكته الأسرة المقدسة عند قدومها الى مصر ، فان بها فى التاريخ الاسلامى طريقا هو طريق المحمل ، وهو الطريق البرى الذى كان يسلكه الحجاج لعدة قرون ٠

ويبدأ هذا الطريق من العجرود (غرب السويس) الى النواطير بمدخل صحراء صحراء التيه ، فبئر القريض الى نقب دبة البغلة ثم نخل فنقب العقبة ومن هناك الى أرض الحجاز ٠

وقد استخدم هذا الطريق للحج منذ سافرت شجرة الدر (عام ١٢٤٨م) مع قافلة الحجاج الى مكة عبر سيناء ٠ وقد اهتم السلطان قنصوه الغورى (١٥٠١ - ١٥١٦ م) بتمهيد ذلك الطريق ، وسجل ذلك على أحد الآثار الموجودة فى نقب دبة البغلة ٠ وقد بنى السلطان الغورى : قلعة بناها (عام ١٥١٦) قبل معركة « مرج دابق » التى انتصر فيها العثمانيون عليه ٠ وبنى قلعة أخرى فى العقبة ، وتشير نقوشها الى أن السلطان العثمانى مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥) قام بترميمها٠

وقد مهد سلاطين مصر ، فى نهاية طريق الحج عبر سيناء ، طريقا فى الجبل المطل على العقبة ، وسمى الوادى الذى يصب فى الخليج على بعد ٢ كيلو متر من مصب طابا ، بالوادى المصرى ، لأنه منفذ الحجاج المصريين الى العقبة ٠

- الطريق الحربى القديم (القنطرة ـ رفح) :

وهو أعرق الطرق التاريخية فى العالم ، ويسمى « طريق حورس »، وقد شهد هذا الطريق ، من أحداث التاريخ ومعاركه مالم يشهده أى طريق آخر ، كما سلكه الغزاة الذين دخلوا مصر خلال حقب التاريخ المختلفة .

وسلكه تحتمس الثالث (١٤٧٩ ـ ١٤٧٦ ق.م) لتأمين حدود مصر الشرقية ، وقد سجلت تفاصيل حملته هذه ، على جدران معبد آمون بالكرنك .. وهو نفس الطريق الذى سلكه الاسكندر الاكبر عند غزو مصر (عام ٣٣٣ق.م) .. كما التقت جيوش كيلوبترا (عام ٤٨ ق.م) مع أخيها بطليموس تأهبا للقتال ، على مشارف هذا الطريق عند «الفرما» (بالوظة حاليا) على بضعة كيلو مترات شرق بورسعيد . وهو طريق الفتح العربى الذى سلكته جيوش العرب المسلمين بقيادة القائد الاسلامى عمرو بن العاص ، عندما فتح مصر ، وقد سلمت قلعة الفرما (٢ يناير ٦٤٠ م) بعدحصار دام شهرا .. ولما أرادت مصر ، تحقيق وحدة الشرق العربى ، اتخذت الجيوش المصرية (١٨٣١ ـ ١٨٣٣م) نفس الطريق القنطرة ـ قطيعة ـ بير مزار ـ العريش ـ الشيخ زويد ـ رفح .

وعبر هذا الطريق أيضا ، قدمت الى مصر العائلة المقدسة (المسيح ابن مريم عليه السلام ومريم العذراء ويوسف النجار) من رفح الى الفرما. ويبدو أنها توقفت فى العريش ، وسلكت طريق الشاطىء شمال بحيرة البردويل . وقد أقيمت ـ فيما بعد ـ كنيسة بكل مكان توقفت فيه العائلة المقدسة .

وكان هذا الطريق ، يبدأ عند « سيلا » (ومكانها الآن « تل أبو صيفة » على بعد ٣ كم شرق القنطرة) ، ثم يتجه شمالا الى «المجدول» جنوب الفرما مباشرة (ومكانها الآن « تل الحير ») ثم بير رمانة على مقربة من المحمدية ، ثم الحصن الذى كان منسوبا الى « سيتى » وأبدلت نسبته الى ابنه « رمسيس الثانى » (ومكانه الآن « قطية) ، ثم بير العبد (جنوب بحيرة البردويل) ثم يتجه الى العريش ومنها الى الشيخ زويد ثم الى رفح .

ويزخر الأدب السياسى الأوروبى والعربى ، بمواد كثيرة عن هذا الطريق .

★ آثار ما قبل العصر الحجرى فى أبى عويجلة ، وآثار العصر الحجرى فى بير الحسنة : وقد عثر فى منطقة أبى عويجلة ، على أدوات من العصر السابق على العصر القديم ، وأدوات أخرى أقدم من عصر رجل الكهف الذى وجدت آثار من العصر الحجرى المتوسط والأعلى بصحراء التيه ،وسط سيناء ٠

أما منطقة بير الحسنة ، فقد اكتشف بها موقع ، يعود الى العصر الحجرى الحديث ٠

★ ميادين معارك الحروب الحديثة : وتشمل المواقع التى دارت بها الحروب الحديثة ، وبصفة خاصة ميادين حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وبعض المعارك السابقة عليها ٠

★★★

هذا ومن الضرورى اقامة محميات طبيعية ، للعناصر النباتية (فلورا) والحيوانية (فونا) ، وتتميز بها منطقة سيناء الجنوبية ٠ وبذلك يمكن خلق هذا النوع من السياحة ، التى تجذب السائحين خاصة من الخارج، للبحث والدراسة ، اذ أن بعض الحيوانات التى تعيش فى سيناء ، لا وجود لها فى الدول المصدرة للسياح ٠٠ كما أن الزهور والفواكه الجبلية والصحراوية لها طابع خاص ، كما يمكن الاكثار منها حول مناطق الآبار كعنصر جذب سياحى ٠

ثم من الممكن أن يقوم نوع جديد من السياحة هو « سياحة الصحارى والواحات » والتى اهتمت به دول المغرب العربى ٠٠ ويمكن أن يزور السياح ـ خلال هذا النوع من الرحلات ـ مخيمات البدو ، حيث تقام حفلات السمر ، وتعرض الفنون الشعبية لأهالى سيناء (كالرقص والتمثيل والغناء البدوى) ، وكذلك حضور حفلات أفراح البدو ٠

وقد حبا الله شبه جزيرة سيناء بالشواطىء الجميلة والجبال المتعددة الألوان والمياه المحيطة بها من ثلاثة جوانب ٠ وكل هذه العناصر ، ذات جاذبية لا يمكن أن يقاومها السائح خاصة وكلها عناصر تطلع عليها شمس سيناء الدافئة والطبيعة الرائعة ٠

ومن كل ذلك تكون « السياحة الرياضية » ، التى تشمل سباق اليخوت ، ومسابقات صيد السمك فى الأماكن المناسبة على الشواطىء ، ثم رياضة تسلق الجبال ٠

كما يمكن انشاء مشتى عالمى بمدينة الطور ، لأن جوها شتاء من اروع الأجواء وأصحها ٠

المـراجع

أولا : مراجع حرب ٦ أكتوبر

صدر حتى الآن عديد من الكتب عن حـــرب ٦ أكتـوبر ١٩٧٣ ، تناولت آثارها الفعلية وأبعادها المختلفة ومضاعفاتها المتوقعة على الصراع العربى الاسرائيلى ٠

وقد فاقت هذه الكتب مثيلاتها ، التى صدرت فى أعقاب حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ ٠ ولقد ضرب عدد الكتب عن الحرب الرابعة ، رقما قياسيا، على الأخص بين دور النشر العربية ، وكان معظمها من تأليف واعداد كتاب عرب ، منهم طليعة المؤلفين العسكريين ٠

على عكس ما حدث فيما كتب عن حرب ٥ يونيو ، فقـــد ولدت الهزيمة ، فقدان الثقة الشامل بين المثقفين العرب ، بجانب ما سببه الدور المتخلف لوسائل الاعلام العربية ، فلم ينزل فى أسواق الكتب العربيــه الا أقل القليل ، الذى لم يمس الا هوامش النكسة دون أى تعرض لأسباب النكبة ٠ هذا فى الوقت الذى غمرت الأسواق العربية كميات هائلة من الكتب الأجنبية الصهيونية الاتجاه ، والتى تمجد أسطورة الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر ، وتروج لعظمة وقدرات أجهزة المخابرات الاسرائيلية ٠ وقد حاولت الترجمات العربية التى صدرت لهذه الكتب ، وكلها من صنيعة وترجمة أقلام اسرائيلية ، ان تعمق الهزيمة فى الوعى الشعبى العربى وتضفى الوهن والضعف على نفسية الانسان العربى ، مثلما ورد فى كتب : « **وتحطمت الطائرات عند الفجر** »و« **لعبة الأمم** »و« **كيف ضاع الجولان** » ٠٠٠ وغيرها من الكتب التى اصدرها الغـــرب ، مشايعا ومتبنيا الرواية الاسرائيلية للحرب ، بما فيها التنديد بالعرب والســـخرية من قوتهم وتداعى وحدتهم ٠

أما بعد حرب ٦ أكتوبر ، فالأمر جد مختلف ، فقد انعكست الآيــه تماما ، فقد قلت الكتب التى صدرت عن الغرب ، فى حين زاد ما صدر منها من جانب الكتاب العرب ٠ ولا شك أن فى ذلك ، دلالة واضحة عــلى المشايعة المطلقة لاسرائيل ، واستجابة منهم لرغبة الصهيونية العالمية الى عدم الدعاية والترويج لانهيار أسطورة التفوق الاسرائيلى ٠

الا ان حقائق حرب اكتوبر ، قد فرضت موضوعيتها ، فاعترف معظم ما صدر من كتب أجنبية ، بتفوق العرب وقدرتهم وانتصارهم ، وأكدت انهيار الأسطورة الاسرائيلية ، والاندحـــار الساحق لجيش مؤسستها العسكرية وأجهزة مخابراتها ٠

حتى كتابهم « المحدال » أى « التقصير » ، والذى صدر فى داخـل اسرائيل نفسها ، وقام بتأليفه سبعة من أشهر المراســلين الحـربيين الاسرائيليين العاملين فى صحف اسرائيل الرسمية ، والذين أصـــدروا كتابهم هذا بعد الحرب مباشرة وعقب معايشتهم الواقعية لتجربة النار ٠ ٠ حتى هذا الكتاب ، الذى يعتبر عن لسانهم ، أول رواية كاملة وحقيقية عن الحرب العربية الاسرائيلية ، فقد تمت مصادرته بمجرد نزوله الى السوق فى تل أبيب ، وأصبح هذا الكتاب الاسرائيلى ممنوعا من التـــداول فى اسرائيل ذاتها ، لشموله شهادة اسرائيلية على الحقائق الاساسـية التى أسفرت عنها حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وأهمها كفاءة الجندى العربى وقدرته القتالية ومهارته فى استعمال المعدات والأسلحة ، وســقوط ما أحاط بالانسان العربى من تشويه بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ٠

وقد تولت المخابرات الاسرائيلية ، ترجمة هذا الكتــاب وكلفت بنشره واصداره دار « هاشيت » الفرنسية تحت عنوان « كيبور » أى « الغفران » بعد أن حذفت منه الكثير الذى يدين المؤسسة العســكرية الاسرائيلية وأجهزتها ، وبعد أن حورت ما يشير الى مصير اسرائيل الذى كان مهددا بالزوال والفناء ، لولا الدعم الأمريكى الاســتثنائى ثم وقف اطلاق النار ٠

ومن الطريف أن مؤسسة الدراسات الفلسطينية فى بيروت ، قــد حصلت على نسخة من الكتاب الأصلى وترجمته ونشرته ووزعته باغراق على انحاء العالم العربى (١) ٠

ولا ريب فى أن هناك مزيدا من الكتب التى صدرت عن حـــرب أكتوبر ، فى مختلف الدول العربية والأوروبية والتى لم تصلنا حتى أعداد كتابنا هذا للطبع ٠

وفيما يلى بيان بالكتب العربية والأجنبية التى حصلنا عليها ، فكانت مرجعا لما ورد فى أبواب هذا الكتاب عن الجـــولة العربية الاسرائيلية الرابعة ٠

---

(١) عن مجلة « جون أفريك » التى تصدر فى باريس ، قالت « المفاجأة الغريبة ان مؤسسة الدراسات الفلسطينية فى بيروت سرعان ما حصلت على الكتاب وقامت بترجمته الى العربية وتوزيعه بكميات ضخمة (٢٤٫٠٠٠ نسخة) فى الوطن العربى ٠٠ بمعنى أنه كتاب اسرائيل ممنوع فى اسرائيل ، يوزع فى العالم العربى بمعرفة الفلسطينيين ٠

المراجع العربيــة

ـ حرب رمضان	لواء/حسن البدرى ـ لواء/طه المجدوب ـ عميد أ.ح/ضياء الدين زهدى
ـ وثائق حرب أكتوبر	موسى صبرى
ـ التقصير (المحدال)	صحفيون اسرائيليون (ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت)
ـ حرب الساعات الستة (واحتمالات الحرب الخامسة)	عبد الستار الطويلة
ـ وتحطمت الاسطورة عند الظهر	احمد بهاء الدين
ـ وانطلقت المدافع عند الظهر	لواء أ.ح/محمد عبد الحليم أبو غزالة
ـ الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ـ وقائع وتفاعلات	مجموعة من الباحثين (مركز الأبحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ بيروت)
ـ عيد الغفران	هيئة الاستعلامات المصرية
ـ ٦ أكتوبر فى الاستراتيجية العالمية	د. جمال حمدان
ـ حرب الساعات الست	د. عبد الكريم درويش ـ د. ليلى تكلا .
ـ الشرارة طريق النصر	مركز الأبحاث والدراسات والمحفوظات ـ دار الصياد ـ لبنان
ـ حرب أكتوبر (دراسات فى الجوانب الاجتماعية والسياسية)	المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ومركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام
ـ ماذا حدث فى تشرين ؟ (وقائع معارك التحرير)	حان الكسان (دمشق)

ـ وماذا بعد أكتوبر ؟	الفريق/صلاح الدين الحديدى
ـ حرب أكتـوبر فى الميزان العسكرى	الفريق/صلاح الدين الحديدى
ـ أبطال الطيران فى معارك رمضان	العقيد طيار/على عثمان زيكو
ـ خمسة فصول عن حـرب أكتوبر	السيد الشوربجى
ـ سرى جدا	محمود عوض
ـ من حرب الأيام الستة الى حرب الساعات الستة	(جاك كوبار) كمال السيد (بيروت)
ـ صراع الجنرالات فى اسرائيل	محمد كعوش (بيروت)
ـ تقرير حرب تشرين	المؤتمر القطرى الثامن لحزب البعث العربى الاشتركى ـ القطر العراقى (بغداد)
ـ ماذا بعد تشرين ؟	كريم مروة (بيروت)
ـ الملف المصرى لحرب أكتوبر	محمد جبر
ـ ٦ تشرين بين التسـوية والتحرير	د٠الياس فرج (بيروت)
ـ الساعة ١٤٠٥	صلاح قبضايا
ـ الأمـن الأوروبى والشرق الأوسط	حسين فهمى
ـ عبور القناة وانتصار الارادة العربية	السيد فرج
ـ اسرار حرب رمضان	ابراهيم البرجاوى (بيروت)
ـ السويس مدينـة تحـت الحصار	رياض سيف النصر
ـ وجاء العيد بعد العاشر من رمضان	مصطفى بهجت بدوى
ـ حـرب أكتـوبر ١٩٧٣ واطارها الاجتماعى	محمد مصطفى الشعبينى

ـ وتحطمت الطائرات فى سماء دمشق	عبد الله الأسدى (دمشق)
ـ يوميات مقاتل فى الجيش الثالث	أمام سيد مصطفى
ـ اليوم السابع (يوميات مذيع فى جبهة القتال)	حمدى الكنبسى
ـ ٦ أكتوبر « الحرب الأليكترونية الأولى »	محمد عبد المنعم
ـ حرب رمضان (أو حرب الغفران)	السيد جعفر شرف الدين (بيروت)
ـ حرب تشرين (فى مواقف ومشاهد من خطوط النار)	حسين الزين (بيروت)
ـ أدب المعركة (حرب ٦ تشرين ٧٣)	أحمد عطية (بيروت)
ـ ماذا بعد حرب رمضان ؟	د. أحمد صدقى الدجانى (بيروت)
ـ وعادت القنيطرة	عدنان الملوحى (بيروت)
ـ معركة العبور	أحمد حسين
ـ ملحمة الشرارة	عبد الفتاح شلبى
ـ ملحمة العبور	عبد الفتاح شلبى
ـ العبور	حسين طنطاوى
ـ الزجل والدين والمعركة	محمد هاشم السمان
ـ حرب أكتوبر فى الأعلام العالمى	د . حمدى الطاهرى (بيروت)
ـ السلام فى الشرق الأوسط	د . نعوم شومسكى (نيويورك)
ـ دمعة ديان (حرب تشرين على جميع الجبهات)	العميد الأول الركن/ عزيز الأحدب
ـ الحرب الرابعة والقرار السياسى	مجلة « دراسات عربية » عدد خاص دار الطليعة (بيروت)
ـ حرب أكتوبر	مجلة « قضايا عربية » عدد خاص أكتوبر ١٩٧٤ (بيروت)
ـ الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة	مجلة « السياسة الدولية » عدد خاص ـ يناير ١٩٧٤ (دار الأهرام ـ القاهرة)

المراجع الأجنبية

— The Soviet Union And The October 1973 Middle East (The Implications For Detente).	Foy D. kohlet — Leon Gouve — Mose L. Harvey.
Insight on The Middle East War.	The Insight Team of The Sunday Times Newspaper.
— The October War (Documents , Personalities Analyses And Maps).	Riad N. Elrayyes Dunia Nahas (A'-Nahar Press Services. Lebanon).
— Armageddon in The Middle East.	Dana Adams Schmidt
— Confrontation , The Middle East and World Politics.	Walter Laquer.
— The Fourth Arab-Israeli War	Col. B.K. Narayan.
— La Vraie Guerre du Kippour.	Walter Laquer.
— Les Jours Terreibles d'Israel.	Jean Claude Guillebond.
— La Guerre du Kippour.	Envoyes Speciaux du Sunday Times.
— Les Palestiniens et la Crise Israelo - Arabe	J. Berque
— Kippour.	7 Journalistes Israeliens.
— Israel La Mort en Face.	Jacque Derougie and Gerjean.

ثانيا : المراجع العامة

العربية

- القرآن الكريم
- صحيح البخارى
- صفوة البيان لمعانى القرآن — الشيخ/حسنين محمد مخلوف
- معجم ألفاظ القرآن الكريم — مجمع اللغة العربية
- المصحف الميسر — الشيخ/عبد الجليل عيسى
- الكتاب المقدس
- فقه السيرة — د٠محمد سعيد رمضان البوطى
- معجم آيات القرآن — ترتيب : د٠ حسين نصار
- بيانات وأحاديث وخطب — الرئيس/محمد حسنى مبارك
- خطب وتصريحات وأحاديث
- أسرار الثورة المصرية — الرئيس/محمد أنور السادات
- نحو بعث جديد
- فلسفة الثورة — الرئيس/جمال عبد الناصر
- ميثاق العمل الوطنى
- بيان ٣٠ مارس
- ورقة أكتوبر
- رأى المسيحية فى اسرائيل — البابا شنودة الثالث
- أنور السادات (قصة ايمان بالعسكرية المصرية) — حمدى لطفى

- عبد الناصر والقوات المسلحة	عميد أ·ح/محمد جمال الدين محفوظ
- دور القوات الجوية فى الجولة	لواء مهندس/سعد شعبان
- الدين والحياة	د· عبد العزيز كامل
- معالم الطريق فى التطبيق	مصطفى المستكاوى
- مع المجاهدين	د· أحمد الشرباصى
- تحت راية الاسلام	د· أحمد الحوفى
- مصر تحت السلاح	محمد فيصل عبد المنعم
- فلسطين قلب العروبة	محمد فيصل عبد المنعم
- نحن واسرائيل فى معركة المصير	محمد فيصل عبد المنعم
- اسرار ١٩٤٨	محمد فيصل عبد المنعم
- فلسطين والغزو الصهيونى	محمد فيصل عبد المنعم
- هذا الحائط الشرقى العظيم يعود الى مصر من جديد	محمد فيصل عبد المنعم
- التوسع الاسرائيلى (عرض وتحليل مشروعات السلام الاسرائيلى)	ابراهيم كروان
- الحلف الاستسلامى	أحمد كمال الطوبجى
- القوات المسلحة والسلام فى اليمن	أحمد كمال الطوبجى
- خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية	عبد الله التل
- كارثة فلسطين	عبد الله التل
- معركة النضال العربى	أحمد يوسف القرعى
- مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية	د· حسين شريف (هنرى كيسنجر)
- أيام وأيام	محمد صبيح

- بطل لا ننســـاه (عزيز محمـد صبيح المصرى)
- كفاح شعب مصر — محمد صبيح
- المعتدون واليهود — محمـد صبيح
- يوم الكرامة — أمين سـلامة
- الوحدة الوطنية — د. سليمان محمد الطماوى
- الاسلام نظام انسانى — د. مصطفى الرافعى
- هنا فلسطين — حسين الشريكى
- فلســطين بين الحقـائق والأباطيل — عقيد/أحمد عبد الوهاب
- هكذا ضاعت وهكذا تعود — نقولا الدر
- يوميات هرتزل — أنيس الصايغ (تيودور هيرتزل)
- التجربة والخطأ — د. حايم وايزمان - مذكرات
- تجسيد الوهم (دراســة نفسية للشـخصية الاسرائيلية) — د. قدرى حفنى
- العرب فى الحاضر — محمود حسين
- فلســطين تاريخا وعبرة ومصيرا — شفيق أرشيدات
- اليهود وفلسطين — الشيخ/صبرى عابدين
- الولايات المتحدة الأمريكيـة واسرائيل — د . كامل أبو جابر
- أمريكا مستعمرة صهيونيـة — صلاح دسوقى
- دراســات اســتراتيجية عسكرية عن فلسطين — اللواء/حسن عبد الخالق مطاوع
- بترول الوطن العربى — محمد الحسينى مصلحى
- النفط العربى — عبد الله الطريقى

- حــرب البترول فى العالم العربى ١٩٦٧ — د٠ راشد البراوى
- حـرب البترول فى الشرق الأوسط — د ٠ راشـد البراوى
- البترول العـــربى وأزمة البترول — د٠ محمد طلعت الغنيمى
- اقتصاديات البترول — د ٠ حسين عبد الله
- البترول والسياسة العربية — أمين شاكر – سعيد العريان – توفيق مقار
- التسابق على البترول — بيير فونتين
- التطور القومى فى أفريقيا — د٠ عبد العزيز الرافعى
- خنجر اسرائيل — كارانجيا
- الصهيونية والعنف — حسين طنطاوى
- الصهيونية العالمية — عباس محمود العقاد
- اسرائيل بين المسير والمصير — صابر عبد الرحمن طعمة
- اليهود فى موكب التاريخ — صابر عبد الرحمن طعمة
- فى مواجهة اسرائيل — سامى منصور
- الحركة الصهيونية والعالم العربى — د٠ جلال يحيى
- اسرائيل الحقيقة والمستقبل — د٠ محمود متولى
- اسرائيليات — أحمد بهاء الدين
- دولة اسرائيل — أحمد بهاء الدين
- طريقنا الى القدس — عبد المنعم الصاوى
- سيناء الحرب والمكان — عبد الحليم عويس
- الصابرا — انيس منصور
- اعتداءات اسرائيل — عبد الخالق حسونة
- طريق النكبة — سامى الحكيم
- نظام الحكم فى اسرائيل — د٠ عبد الحميد متولى

ـ المشكلة الاسرائيلية وهــل تحلها اسرائيل	محمود نعناعة
ـ أضواء على الصهيونية	مصطفى السعدنى
ـ التاريخ الموحد للأمة العربية	د . على حسنى الخربوطلى
ـ العرب واليهود	د. على حسنى الخربوطلى
ـ الخطر اليهودى (بروتوكولات حكماء صهيون)	محمد خليفة التونسى
ـ تاريخ الشعب اليهودى	هوارد مورلى ساشمار
ـ فلسطين بين عصــبة الأمم والأمم المتحدة	على محمد على
ـ موجز القضية الفلسطينية	على محمد على
ـ الهجرة اليهودية الى فلسطين	ولسن فهمى
ـ الاعلام العربى والاعلام الصهيونى	حافظ محمود
ـ ابحاث مختارة فى القوميــة العربية	ساطع الحصرى
ـ العالم العربى	د. نجلاء عز الدين
ـ مصر الظافرة	عبد الرحمن زكى
ـ معركة المنصورة وأثرها فى الحروب الصليبية	عبد الرحمن زكى
ـ شاهد على حرب ٦٧	الفريق/صلاح الدين الحديدى
ـ الشرق الأوسط فى الميزان	اللواء/محمد كمال عبد الحميد
ـ يقظة العالم اليهودى	أيلى ليفى أبو عسل
ـ اليهود انثروبولوجيا	د. جمال حمدان
ـ اسرار العسكرية الاسرائيلية	معين أحمد محمود

ـ السياسة بين الأمم	حمدى حماد (مورجنتاو)
ـ العرب تاريخ ومستقبل	حمدى حماد
ـ الطريق الى السويس	حمدى حماد (شايندرر)
ـ الفتوحات العربية الكبرى	حمدى حماد (جلوب)
ـ اهداف الاستعمار فى عدن	حمدى حماد (جبليان كنج)
ـ الاستعمار الجديد	حمدى حماد (نكروما)
ـ مصر فى الميدان	احمد عطية الله
ـ صور من البطولة	د. حسين مؤنس
ـ تاريخ غزوات العرب	الأمير شكيب أرسلان
ـ مذكرتان	أمير اللواء/ محمد لبيب الشاهد باشا
ـ مذكرات أحمد عرابى	أحمد عرابى
ـ الزعيم احمد عرابى	عبد الرحمن الرافعى
ـ تكتيك الحرب النفسية	عميد أ.ح/عبد الرحيم عجاج
ـ القواعد والقوانين المنظمة للحرب	يوزباشى/عدلى الشريف
ـ الفكر الدينى الاسرائيلى	د. حسن ظاظا
ـ اسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة	أبكار السقاف
ـ العدوان	أمين سعيد
ـ حرب السويس	بول جونسون (مجموعة)
ـ فتح السويس	محمود حسن ابراهيم
ـ قصة الاستعمار فى أفريقيا	د. شوقى الجمل
ـ شمال أفريقيا فى الحاضر والماضى والمستقبل	أمين شاكر ـ سعيد العريان ـ مصطفى أمين
ـ أهداف اسرائيل التوسعية فى البلاد العربية	اللواء الركن/محمود شيت خطاب

- **حقيقة اسرائيل** اللواء الركن/محمود شيت خطاب
- **فناة السويس (حقائق ووثائق** محمد أبو نصير - عبد القادر حاتم محمود يونس - د. حسين مؤنس - كمال عبد الحميد - مصطفى الحفناوى - السيد محمود مدنى - عبد الرازق حسن - محمد الخطيب - ابراهيم صقر - عادل عامر
- **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية** د. عبد الوهاب محمد المسيرى
- **سجل الارهاب اليهودى** هيئة الاستعلامات المصرية
- **نتائج التحقيق السرى فى بريطانيا عن خبايا السويس** جريدة الأهرام (نشرت مسلسلة)
- **الثورة فى ٢٠ عاما** التوجيه المعنوى للقوات المسلحة
- **الجهاد فى الاسلام** جامعة الأزهر
- **الكتب الرسمية الصادرة عن وزارة الخارجية المصرية**
- **سلسلة مطبوعات الهيئة العامة للاستعلامات**
- **سلسلة بيانات الولايات المتحدة السياسية (١٩٧٨)**
- **تقرير عن الخطوط العامة للتنمية فى سيناء حتى سنة ٢٠٠٠** المجالس القومية المتخصصة
- **اعداد مجلة المهندسين**
- **مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية**
- **المجلة المصرية للعلوم السياسية**
- **مجلة « السياسة الدولية » المصرية**
- **مجلة « الطليعة »**
- **مجلة « البترول » - المؤسسة المصرية العامة للبترول**
- **مجلة « الأهرام الاقتصادى »**
- **مجلة « نفط العرب »**

- النشرة الاقتصادية - بنك مصر
- المجلة الاقتصادية - البنك المركزى المصرى
- مجلة « عالم الفكر » الكويتية
- نشرات هيئة قناة السويس
- سلسلة دراسات فلسطينية - مركز الأبحاث (بيروت)
- الجرائد والمجلات المصرية والعربية والأجنبية
- نشرة وثائق هيئة الاستعلامات المصرية
- « الطاقة » - المكتبة العلمية لمجلة لايف
- مجموعة مجلة القوات الجوية

الأجنبيـــة

— What Price Israel ?	Lilienthal
— On both sides of the hill.	John and David Kimsh.
— The Suez War.	Paul Jonson.
— Suez.	Michel Bar-Zohar.
— The Road to Suez.	Erskine Childrers.
— Peace and Opinion.	Evan Luard.
— How Nasser did it ?	R. K. Karanjia.
— A Solider With Arabs.	Sir. J.B. Glubb.
— Palestine Land of Promise.	Gollancz.
— World Dictatorship.	Hillary Cotter
— Free Masonry.	Arnold Leese.
— Gothic Ripples.	» »
— Palestine Portrayed.	S.W. Gentle-Cacket.
— Moses And Monotheism.	Sigmund Freud.
— The Jewish Problem.	Louis Golding.
— American Jewish Year book (1943 - 1944).	
— Encyclopaedia Britanica.	

المحتويات

القسم الثـانى

القسم الثالث

القسم الخامس

القسم السادس